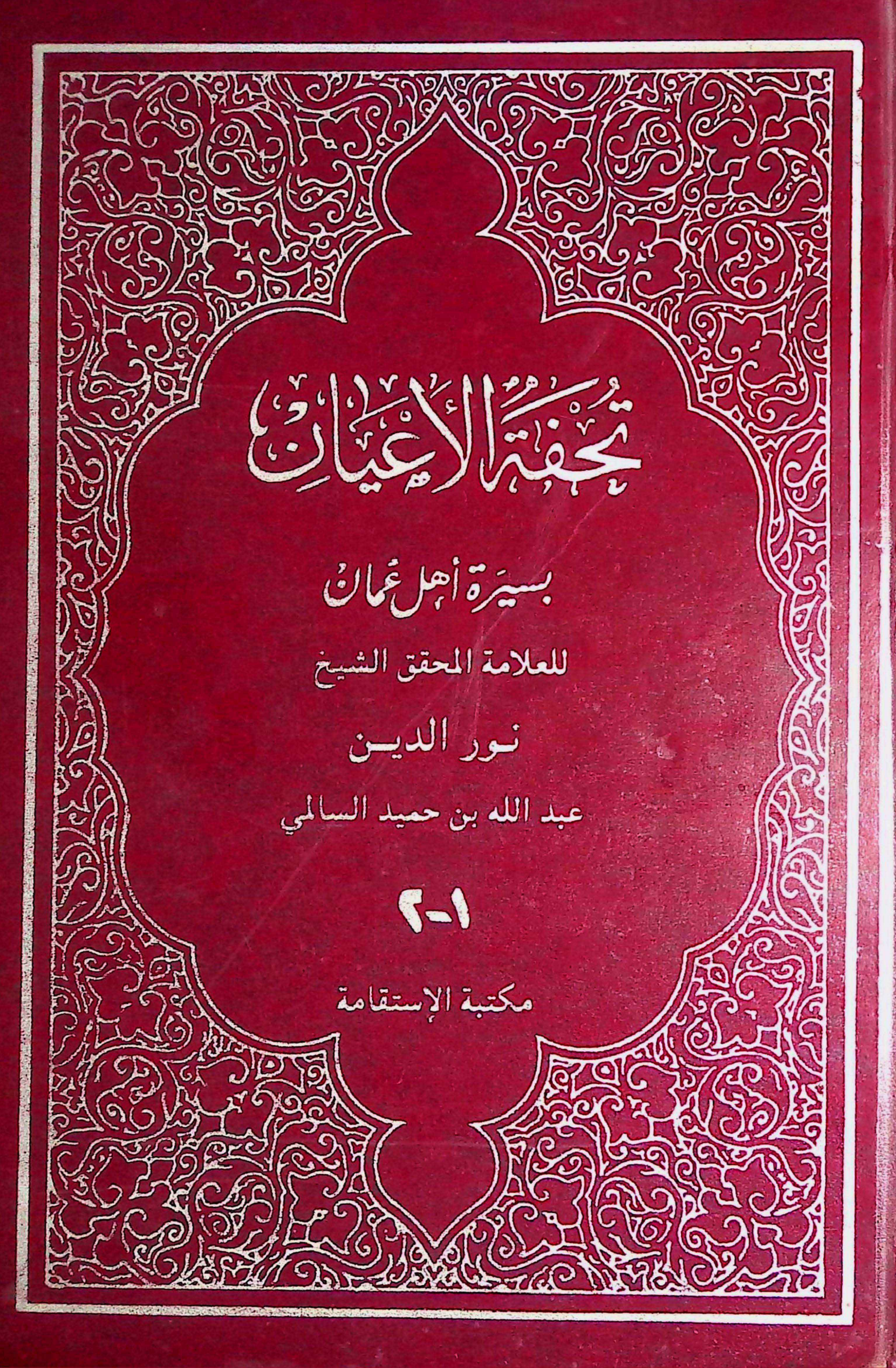


تحفة الأعيان
بسيرة أهل عمان
للعلامة المحقق الشيخ
نور الدين
عبد الله بن حميد السالمي
١-٢
مكتبة الإستقامة

تحفة الأعيان

بسيرة أهل عمان

للعلامة المحقق الشيخ

نور الدين

عبدالله بن حميد السالمي

المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ.

الجزء الأول

مكتبة الأستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » .

الحمد لله الذى قص على نبيه صلى الله عليه وسلم من أنباء الرسل والقرى ما ثبت به فؤاده مصبراً ، وجعله له ولمن بعده عظة ومعتبراً ، أفنى القرون الماضية ، وأباد الدول الخالية ، فلم تبق إلا أخبارهم ، ولا ترى إلا آثارهم : « فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ - تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ - مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ - وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ » .

فلم يبق منهم غير نشر حديثهم ... وما اكتسبوا من فعل مَحْمدةٍ وذَمّ

قَدِموا على ما قَدَّموا ، وأسفوا على ما خلّفوا ، فما منهم من أحد إلا وهو يود أن يكون ما خلف فى جملة ما أسلف ، فمن قدم خيراً حُمد عليه وله أجره ، ومن قدم شراً ذم به وعليه وزره ، نسأل الله أن يجعلنا من أول الفريقين ، وأن يثيبنا على ذلك أجرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، وأن محمداً عبده ورسوله « أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون » اللهم صل وسلم على مهبط الوحي ومعدن الخصوصية ، سيد ولد آدم ولا فخر ، أُسوة كل راشد ، وقدوة كل مهتد ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة مدى الحقب

أما بعد : فإنه لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد إلى طريقة المتقين ، لأن فيه ذكر أخبار من مضى من صالح وطالح ، فإذا سمع العاقل أخبار الصالحين اشتاقت نفسه إلى اقتفاء آثارهم ، وإذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يكون من جملتهم فتراه بذلك يقتفي آثار من صلح ، ويتجنب أحوال من طلح ، فيجاهد نفسه حق الجهاد ، فيستحق بذلك من الله العون والتوفيق لقوله عز من قائل « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »

وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عُمان أكثر وجوداً بعد الصحابة من سائر الأمصار ، تشوقت نفسي إلى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى ليعرف سيرتهم الجاهل بهم ، وليقتدي بها الطالب لأثرهم ، مع قلة المادة في هذا الباب إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب . بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية ، وبيان ما لابد من بيانه للناس ، أخذاً بالأهم فالأهم فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملا ، فتتبعت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار ، والتواريخ ، وكتبت ما أمكنني أن أكتبه من أحوال عمان ، وأئمتها

من أول أمر العرب فيها إلى آخر ما انتهى إليَّ علمُه من أخبار أهلها الماضين ليكون عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعظين .

وقد كنت عزمت أن أجمع سيرة تجمع أحوال المذهب ، وذكر أهله أينما كانوا من الحجاز ، والعراق ، وعمان ، واليمن ، والمغرب ، وخراسان ، وغيرها من عهد الصحابة إلى عصرنا هذا ، ثم رأيت أن ذلك شيء يطول ، وخشيت معاجلة الأيام قبل تمام تتأمول ، فعجلت للناس السيرة العمانية ، وإن كان في الأجل فسحة جمعت إن شاء الله باقي السير على حسب ما ذكرت ، فأجعل سيرة الصحابة في جلد مفرد ، وسيرة أهل العراق ، واليمن ، وخراسان في جلد مفرد ، وسيرة أهل المغرب في جلد مفرد ، فتجتمع السير في أربع مجلدات ، فإن بقيت فأسأل الله تمام ما ذكرت ، وإن عوجلت فأسأله أجر ما قصدت والله المستعان ، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا ملجأ من الله إلا إليه ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

مقدمة فى تعريف عمان

قال ابن خلدون : هى من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن ، والحجاز ، والشحر ، وحضرموت ، وعمان ، « يعنى إن عمان بعض جزيرة العرب المشتملة على هذه البلدان » قال : وهى خامسها إقليم سلطانى منفرد على بحر فارس من غربيه مسافة شهر ، شرقيها بحر فارس ، وجنوبيها بحر الهند ، وغربيها بلاد حضرموت ، وشمالها البحرين ، كثيرة النخل ، والفواكه ، وبها مغاص اللؤلؤ ، سميت بعمان بن قحطان ، أول من نزلها بولاية أخيه يعرب ، وصارت بعد سيل العرم للأزد ، وجاء الإسلام وملوكها بنو الجلندى . قال : والخوارج[1] . « يعنى المسلمين » بها كثيرة . قال : وكانت لهم حروب مع عمال بنى بويه . وقاعدتهم نزوى . قال : وملك عمان من البحر ، ملوك فارس غير مرة قال : وهى فى الإقليم

---

(١) إطلاق لفظ الخوارج على الأباضية أهل الحق والاستقامة من الدعايات الفاجرة ــ التى نشأت عن التعصب السياسى أولا ، ثم عن المذهبى ثانيا ، لما ظهر غلاة المذاهب ، وقد خلطوا بين الأباضية ، والأزارقة ، والصفرية ، والنجدية . فالأباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم إلا إنكارُ الحكومة بين على ومعاوية ، وأما استحلالُ الدماء والأموال من أهل التوحيد والحكمُ بكفرهم كفْر شِرْكٍ فقد انفرد به الأزارقة والصفرية والنجدية وبه استباحوا حمى المسلمين ، ولما كان مخالفونا لا يتورعون ولا يكلفون أنفسهم مؤنة البحث عن الحق ليقفوا عنده ــ خلطوا بين الأباضية ، أهل الحق الذين لا يستبيحون قطرة من دم موحد بالتوحيد الذى معه ، وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة ، حتى قتلوا الأطفال تبعاً لآبائهم ، مع أن الفرق كبير جداً كالفرق بين المستحل والمحرم ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولنا بحث هذا الموضوع باستيفاء فى التاريخ .

الثانى ، وبها مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخل ، إلى أن قال : وقلهات هى فرضة عمان على بحر فارس من الإقليم الثانى ، ومما يلى الشحر وحجار فى شمالها إلى البحرين ، بينهما سبع مراحل ، وهى فى جبال منيعة فلم تحتج إلى سور ، قلت : وحجار هـذه لم نعرفها بهذا الإسم ، فالله أعلم ما أراد بها ولعله أراد بها مسكد[1] وسيأتى أن عمان كانت قبل العرب فى يد الفرس وأنها صارت إليهم بعد سيل العَرِم بعد حروب كانت بينهم شديدة ، وأنهم سموها عمان باسم وادٍ كانوا ينزلون حوله إذ كانوا فى مأرب ، وأن الفرس كانت تسميها مزون ، وفى ذلك يقول قائلهم :

ان كسرى سمى عُمان مزونًا   ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل   ومراع ومشرب غير صادِ

وقال المسعودى فى المروج : وسنجار قصبة بلاد عمان « وأراد بها صحار » ولعل اسمها كان كذلك فى لسان العجم . والله أعلم ، وقال الأندلسى الشريشى : صحار سوق عمان مدينة كبيرة على ساحل البحر ، مرساها فرسخ فى فرسخ ، وبلاد عمان ثلاثون فرسخاً ، ما ولى البحر سهول ورمال ، وما تباعد حزون وجبال ، وهى مدن منها مدينة عمان ، وهى حصينة على الساحل ، ومن الجانب الآخر مياه تجرى إلى المدينة ، وفيها دكاكين وأشجار ، مفروشة بالنحاس مكان الآجر . قال : وهى

---

(١) هى العاصمة السلطانية مسقط اليوم . (أبو إسحاق)

كثيرة النخل، والبساتين، وضروب الفواكه، والحنطة، والشعير، والأرز وقصب السكر. قال: وفي الأمثال، « من تعذر عنه الرزق فعليه بعمان ». قال: وفي أحوازها مغاص اللؤلؤ. قال: وعمان من أحواز اليمن[1] قلت: ولعله أراد بمدينة عمان « قلهات » وهي الآن عارية من هذه الصفات لانتقال العمارة عنها إلى مسكد، وكون عمان ثلاثين فرسخاً فيه نظر، بل هي أكثر من ذلك بأضعاف مضاعفة، والأرز لا يوجد فيها وإنما يجلب إليها من الهند، اللهم إلا أن يكون قد زرع في أيام الأئمة ثم انقطع بانقطاع ذلك الخير. فإنه سيأتي أن الإمامين. سلطان بن سيف وولده قيد الأرض، قد جلبا لعمان أشجاراً كثيرة، من البحر، وغرسا فيها تلك الأشجار، حتى الورس، والزعفران والله أعلم.

وفي عمان. الجبل الأخضر « ويقال له رضوى » وهو من عجائب الدنيا، مملوء بالفواكه من الرمان والعنب والجوز والخوخ والمشمش والبوت والتمت، وغيرها من أشجار الجبل، وفيه من الرياحين كالورد والزعفران والآس والنرجس وغيرها، وسئل بعض أهله عن وصفه فقال: هو جبل عظيم الارتفاع، صعب الامتناع، في وسط عمان أهله في رفاهة، وأمان لايخافون جور شيطان، ولا سطوة سلطان، ذو نهور، وقصور، وحياض ورياض، وبساتين بها كروم وتين وتوت وجوز وخوخ ولوز

---

(١) هذا التعبير غير مفهوم وإن كان المراد ظاهر اللفظ فهو خطأ كبير، إذ لا يصح أن يكون « قطر عمان » من أحواز اليمن، والمسافة بينهما في غاية البعد. وكل منهما قطر خاص بذاته حتى ولو كان كل منهما يرجع إلى الآخر في الحكم فتأمل.

ومشمش ورمان وفواكه ألوان ، محصنة حدائقها بالورد والياسمين ، وحشيشها الزعفران الثمين ، والفوذنج والسذاب والنرجس المشبه بعيون الكعاب ، محفوفة بالآس ، كأنها الجنة فى القياس ، اغتصت بالكرم والتفاح ، والشجر المعطر النفاح ، قال : وإن حللت فى أقفارها ، اكتفيت عن جنى أثمارها ، بكمثل النمت ، والبوت شفاء وقوت ، تسفح من هذا الجبل تسعة أودية ، وكل وادٍ به له طريق مؤدية ، وعلى أبوابها قرى لبنى ريام أحاطوا به كالأكمام بالثمر ، والهالة بالقمر ، حامين لأبوابه عن طلابه . انتهى وصف صاحب الجبل له والله أعلم .

باب فضائل أهل عمان

ذكر أبو يعقوب فى لواحق المسند من روايات الربيع بن حبيب ، عن شيخه أبى سفيان ، « وهو محبوب بن الرحيل » ، عن أَزْوَرَ « رجل من المسلمين » قال : إن نسوة من نساء أهل عمان استأذن على عائشة رضى الله عنها ، فأذنت لهن فدخلن عليها ، وسلمن عليها — وفى نسخة وسلمت عليهن — ثم قالت : من أنتن ؟ قلن ، من أهل عمان ، قال فقالت لهن : لقد سمعت حبيبى عليه السلام يقول « ليكثرن وراد حوضى من أهل عمان » وفيه أيضاً من روايات الربيع عن أبى سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنها ، قال فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل — سألها عن جماع النبى صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل ؟[1] — وأن جبينها يتصبب عرقاً وتقول : سل يا بنى . ثم قالت له ممن أنت ؟ قال من أهل المشرق . من بلد يقال لها عمان . قال أبو سفيان : فذكرت له شيئاً لم أحفظه إلا أنى أظن أنها قالت أظن أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكره لى وأشباه هذا . وفى بعض الكتب قال : وقد أوصى عليه السلام عائشة أم المؤمنين « ليصلك شيخ العمانية الأعور

---

(١) المراد أنه سألها عن مقدمات الجماع التى يجوز السؤال عنها حرصاً منه رضى الله عنه على نقل السنة . وجمعها كى يكون المسلم مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أعماله . دقيقها ، وجليلها . لا السؤال عن نفس الجماع . فإنه لا يجوز ، ولو سأل عما لا يجوز لزجرته ، والله أعلم . .

وليجدنى ميتاً ، ويسألك عن الدين ، فعلميه جميع الدين ، الدقيق ، والجليل[١] قال : ثم وصلها بعد موته ، ونقل عنها العلم كله . حتى فيما بينها ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لها : يا أم المؤمنين ، أنا أحبك ، فقالت له : وأنا كذلك أحبك . ثم لام نفسه ، فقال لها : أنا أحبك فى الله . قالت : أتظن أنا أحبك فى غير الله يا أعور ، قال : فحمل عنها العلم إلى عمان . قال : وله قصة عجيبة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ . فطوبى للغرباء من أمتى — قالوا : ومن الغرباء يارسول الله . قال : — الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » قال محمد بن أحمد : الغرباء أهل عمان ، من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى الصلحاء من أهل عمان .

وروى أحمد من طريق أبى لبيد قال : خرج رجل منا يقال له بيرح ابن أسد فرآه عمر فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عمان ، فأدخله على أبى بكر فقال هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى لأعلم أرضاً يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر . لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر » وعند مسلم من حديث أبى برزة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا إلى قوم ، فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « لو أهل عمان أتيت

---

(١) لم يظهر لهذا المتن سند رواية وإنما ذكره بعض المؤرخين والله أعلم بثبوته .

ماسبوك ، ولا ضربوك » وفى حديث مازن بن غضوبة ، قال قلت يارسول الله صلى الله عليه وسلم وآلك ، ادع الله تعالى لأهل عمان . فقال : « اللهم اهدهم وائبهم ـ فقلت زدنى يا رسول الله فقال ـ اللهم ارزقهم العفاف ، والكفاف ، والرضى بما قدرت لهم » قلت : يارسول الله البحر ينضح بجانبنا . ادع الله فى ميرتنا ، وخفنا ، وظافنا ، قال : « اللهم وسع عليهم فى ميرتهم ، وأكثر خيرهم من بحرهم ـ قلت . زدنى قال : ـ اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم قل يا مازن آمين . فإن آمين يستجاب عنده الدعاء » قال . قلت آمين . قال فلما كان فى العام القابل . وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فقلت يا المبارك ابن المباركين ، الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عمان . ومنّ عليهم بدينك . وقد أخصبت عمان خصباً هنياً ، وكثرت الأرباح ، والصيد بها . فقال عليه السلام « دينى دين الإسلام سيزيد الله أهل عمان خصباً ، وصيداً فطوبى لمن آمن بى ورآنى ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ولم ير من رآنى ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاماً » .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استعمل على عمان عمرو بن العاص ، وأراد عمرو أن يرجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحبه ملك عمان عبد بن الجلندى ، وجعفر بن خثم العتكى ، وأبو صفرة سارف بن ظالم ، فى جماعة من الأزد ، فقدموا بعمرو بن العاص على أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فلما دخلوا عليه قام سارف بن ظالم فقال : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويا معاشر قريش . هذه

أمانة كانت فى أيدينا ، وفى ذمتنا ، وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قد برئنا منها إليكم فقال أبو بكر : جزاكم الله خيراً ، وأثنى عليهم المسلمون خيراً ، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح . فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم فقام عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله فى الأزد ، وجاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه . فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه . وقال : يا معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ، ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ؛ ولا تشتت شمل فجمع الله على الخير شملكم . ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم ، وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ، وأى فعل أشرف من فعلكم كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً إلى يوم المعاد . ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً ، وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر — ابنى الجلندى — وأعزكم الله به ، وأعزه بكم ؛ وكنتم على خير حال وجميل ، حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاماً . حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال . فيثبت الله به ألسنتكم ، ويهدى به قلوبكم ، وللناس حولة فكونوا عند

حسن ظنى فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم الله خيراً . ثم سكت .

وظهرت إجابة دعاء رسول الله ، ودعاء خليفته لأهل عمان ، وصدق الله توسمهما فيهم . فهم أكثر الناس هدى ، وصواباً . منهم الأئمة العادلون ، والعلماء الراشدون . لم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ؛ ولم تخرج بلادهم من أيديهم — وإن غلبوا على دولتهم فى بعض الأحيان ، لما أراد الله من تمحيص المؤمنين ، وتمحيق الكافرين ، فما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل شاهرة ، ودولتهم بالفضل زاهرة — منهم العلماء النجباء ، والعقلاء الفضلاء ، والبلغاء الخطباء .

قال عمرو بن بحر وهو الجاحظ : لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان ؟ قال : وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء البلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟ منهم مصقلة بن الرقية ، أخطب الناس قائما وجالساً ومفرداً ومنافساً ومجيباً ومبتدئاً ، ثم ابنه من بعده كرب بن مصقلة ولهما خطبتا العرب : العجوز فى الجاهلية والعذراء فى الإسلام .

وقال أبو عبيدة ما سمعنا مثلهما فى الإسلام إلا خطبة قيس بن خارجة بن شيبان فى حمالة داحس . فقد ضرب به المثل ، وذلك أن قيساً أتى الجاهلين : وهما خارجة بن شيبان ، والحارث بن عوف . فضرب مؤخر راحلة ابنه بالسيف وقال : مالى وهذه الحمالة أيها العبسيميان ؟ فقد فقأت عين بعير عن ألف بعير . قالوا وما عندك ؟ قال: رضا كلِّ ساخط ، وقِرَى كل

نازل . وخطب من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب . أمر فيها بالصلة ، ونهى فيها عن القطيعة ، وخوّف فيها درك العواقب ، وما تجىء به النوائب . فزعموا أنه خطب من غدوة إلى الليل فقال قائلهم . وهو يذكر غيره فلو قال حتى تغرب الشمس قائماً لكان كقيس فى ديار بنى مرة ، وهو خطيب قيس فى الجاهلية ، وخطيبهم فى الإسلام سحبان بن وائل الباهلى . ومن خطباء عمان وعلمائها ، صحار العبدى[1] صاحب الخلفاء . ومن خطبائهم صعصعة بن صوحان بن زيد وأخيه ، خطيبان مصقاعان ، ومن خطبائهم مرة بن البليد وهو من الأزد لم يكن فى الأرض أجود منه ارتجالا وبديهة ، ولا أعجب فكراً وتحبيراً منه ، وكان رسول المهلب إلى الحجاج ، وله عنده كلام محفوظ ، ومنهم عرفجة بن هزيمة البارقى ، ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة . لم يكن فى الأرض عمانى أنطق منه ، وكان خطيب المصر يحى بن يعمر ، وكان منشأه ومولده إلى أن بلغ الأهواز ، وكذلك الجحاف بن حكيم . وغيرهما . قال : فالذى ينكر أن لا يكون بعمان خطيب ليس يقول ذلك بعلم .

وقال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : رأيت أعرابياً بمكة فاستفصحته فقلت : من الرجل ؟ قال : من الأزد قلت : من أيهم ؟ قال :

---

(١) ابن العباس العبدى . قيل الصحابى قيل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى عنه ثلاثة أحاديث ، وهو من أئمتنا وشيخ أبى عبيدة مسلم ، وهو أول من ألف فى الأدب ، له تآليف فى أمثال العرب ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ، وكان من أخص أصحاب الإمام أبى الشعثاء جابر بن زيد رحمهما الله .

من بنى الحدان بن شمس . فقلت . من أى بلاد ؟ قال عمان . قلت صف لى بلادك فقال : سيف أفيح ، وفضاء صَحْصَح ، وجبل صَلْدَح ، ورمل أصيح ، فقلت : فاخبرنى عن مالك : قال . النخل . فقلت : وأين أنت عن الإبل ؟ فقال : كلا أن النخل أفضل أما علمت . ان النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وجذعها غماء وفروها إناء ؟ فقلت وأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال . أنا بقطر لا نسمع فيه ناجخة التيار ، وخرج الحجاج بن يوسف إلى القاوسان . فإذا هو بأعرابى فى زرع له فقال له ممن أنت قال من أهل عمان قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال من الأزد قال فكيف علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم منه علما ، قال : فأى شىء خيره ؟ قال : ما غُلظت قصبته ، واعتم نبته ، وعُظمت جثته ، قال : فأى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عوده ، وعظم عنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لحاه ، ودق نواه ، ورق شحاه .

ومن أهل « عمان » كعب بن سور — قاضى عمر بن الخطاب على البصرة — وهو من أول من قدم على البصرة ، بعد تمصيرها .

ومنهم أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى رحمه الله تعالى ، وكان غاية فى العلم والورع ، وشهرته عند الموافق ، والمخالف كافية عن إطالة ذكره .

ومنهم الربيع بن حبيب رحمه الله ، وهو من « فراهيد » انتقل إلى البصرة ونسب إليها ، ورجع إلى عمان آخر عمره ، وكان يضرب به المثل فى العلم .

ومنهم أبو حمزة الشارى المختار بن عوف . وهو من بنى سليمة بن مالك بن فهم . صاحب الإمام . طالب الحق عبد الله بن يحيي الحضرمى ، وهو خطيب مصقع ، وله الخطب المشهورة المأثورة ، روى بعضها مالك ابن أنس ، وقال عند روايته : خطبنا أبو حمزة المختار بن عوف خطبة حيرت المبصر ، وردت المرتاب (يعنى أن البصير فى دينه ، المخالف لأبى حمزة صار بعد سماع خطبته محتاراً ، غير مبصر ، لما سمع فيها من الحجج الباهرة ، والبراهين القاهرة ، الناقضة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وأن المرتاب فى مذهبه رجع بسماع خطبة أبى حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب) وكان يشير بالمبصر إلى نفسه . فهذا من قوله يدل على أنه صار محتاراً فى مذهبه . حيث أنه لم يستطع جواباً لحجج أبى حمزة ، ولادفعاً للحق الذى نطق به ، والحق إذا قام صرع معانده ، وليته ترك الحيرة ، وأخذ بالبصيرة . ومحل ذكر خطبه فى سيرة طالب الحق من أهل اليمن . فلا نطيل بذكرها هنا .

ومن أهل « عمان » الخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى ، وكان من أهل ودام من الباطنة . خرج إلى البصرة ، وأقام بها فنسب إليها . وهو صاحب كتاب العين الذى هو إمام الكتب فى اللغة ، وما سبقه إلى تأليفه أحد ، وإليه يتحاكم أهل العلم والأدب فيما يختلفون فيه من اللغة ، فيرضون به ، ويسلمون له . وهو صاحب النحو ، وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه ، وأوضحه ، ورتبه ، وشرحه ، وهو شيخ

سيبويه في النحو ، وكان قد أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، واضع هذا الفن . وهو صاحب العروض ، والنقط والشكل ، والناس تبع له ، وله فضيلة السبق إليه والتقدم فيه .

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن بن دريد الأزدى . وهو صاحب كتاب الجمهرة ، وله مصنفات كتب عـدة ، وهو الخطيب المذكور ، والشاعر المشهور ، والفصيح الذى يقف عند كلامه البلغاء ، ويعجز عن آدابه الأدباء ، ويستعير منه الفصحاء ، ويستعين بكلامه الخطباء ، وهو خطيب فى شعره ، ومصقع فى خُطَبِه ، وقدوة فى أدبه ، وحكيم فى نثره ، ومجيد فى شعره لا زيادة عليه فى فنون العلم والأدب .

ومن أهل « عمان » أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل ، وإنما ذكرت من بلغائهم ، وفصحائهم ، من هو مشهور عند قومنا ، وإلا فهم أكثر من أن يحصوا . يطول بذكرهم الكتاب ، ولهم السياسة التى يحار فى وصفها الواصفون ، وناهيك بسياسة (المهلب بن أبى صفرة) . وحزمه ، وشجاعته . فإنه كان من أهل « عمان » . وهو الذى استنقذ البصرة من أيدى الأزارقة بأهل عمان ، وغيرهم . بعد أن كادت الأزارقة تستحوذ على البصرة فى مقاومتهم زمانا طويلا . حتى ردهم الله بسببه علي أعقابهم ومن هناك كانوا يقولون فى البصرة أنها بصرة المهلب .

وسترى فى هذا الكتاب من سياسات أئمتها ، وملوكها ، وولاتها ،

وقضاتها ما تقضى به العجب ، ولهم فى الشجاعة المنزلة العليا والسهم الأوفر ، وذلك فيهم غير مجهول ولا مستنكر ، فمنهم (بلج بن عقبة الفراهيدى)[١] الذى كان يعد عن ألف فارس ، وهو شاب ابن عشرين سنة ، وخبره فى سيرة طالب الحق والله أعلم .

---

(١) من تخليط الكتاب الذين يحطبون بالليل ، أن البستانى فى دائرته ذكر « أبا حمزة » وزعم أنه هو « بلج بن عقبة » لا غيره مع أن الأول من بنى فهم بن مالك ، والثانى فراهيدى ، وهذا تخليط سخيف .

باب دخول العرب فى عمان

وأخذها من يد الفرس

وسمعت من يدعى المعرفة بذلك يقول : إن ذلك كان قبل الإسلام بألفى عام . وذلك بعد ما أرسل الله على سبإٍ سيل العرم . وخرجت الأزد منها إلى مكة ، وأرسلوا روادهم فى النواحى . يرتادون لهم الأمكنة ، وتفرقوا من هنالك إلى الأطراف ، وخرج « مالك » فى جملة من خرج إلى السراة . ثم منها إلى عمان .

وفى مروج الذهب للمسعودى : أن مالكا سار من اليمن مع ولد جفنة ابن عمر بن عامر مزيقيا . فسار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق ، فملك على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه جذيمة . قال : وقد كان ملك جذيمة من مشارف الشام إلى الفرات من قبل الروم ، وكانت داره بالموضع المعروف ، بالمضيرة ، بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا قال : وأقام جذيمة ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وفى ملك أزدشير بابك ، وسابور الجنود بن أزدشير ثلاثا وعشرين سنة ، فكان ملكه ثمانية عشرة سنة ومائة . وذكر العوتبى فى الأنساب ، عن الكلبى ، أن أول من لحق بعمان من الأزد ، مالك ابن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب ابن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وكان سبب قصة

خروجه عن قومه إلى عمان : كان له جار ، وكان لجاره ذلك كلبة ، وكان بنو أخيه عمرو بن فهم بن غانم . يسرحون ويروحون على طريق بيت ذلك الرجل ، وكانت الكلبة تنبحهم ، وتفرق غنمهم ، فرماها رجل منهم بسهم فقتلها . فشكا جار مالك إليه ما فعل بنو أخيه ، فغضب مالك وقال : لا أقيم ببلد ينال فيها هذا من جارى . ثم خرج مراغما لأخيه عمرو بن فهم .

وقال أبو حاتم السجستانى ، عن أبى عبيدة ، عن أبى اليقظان . قال : سبب خروج مالك بن فهم عن قومه ، بعد تفرقهم فى البلاد ، حين أخرجهم سيل العرم من جنتى مأرب ، ونزلوا بالسراة — أنّ راعيا لمالك ابن فهم . خرج بغنم ، وكان فى طريقهم ثنية فيها كلب عقور ، لغلام من دوس . فشد الكلب على راعى مالك ، فرماه الراعى بسهم فقتله ؛ فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك ، فخرج من السراة ، هو ومن أطاعه من قومه ، (فاسم ذلك النجد نجد الكلبة إلى اليوم) قال : فخرج مالك بن فهم من أرض السراة — يريد « عمان » — فيمن أطاعه من ولده ، وقومه ، وعشيرته من الأزد ، ومن اتبعه من أحياء قضاعة ، وسار متوجها نحو « عمان » . وقد اعتزل عنهم من قبل ذلك من ولده جذيمة الأبرش بن مالك ، بمن سار معه من الأزد إلى أرض العراق .

وقال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبى : أخبرونى أبى وشرقى بن القطامى . قالا : لما خرج مالك بن فهم من السراة يريد

عمان ، وقد توسط الطريق حنت إبله إلى مراعيها ، وأقبلت تلتفت إلى نحو السراة ، وتردد الحنين . فقال مالك فى ذلك :

تحن إلى أوطانها بزل مالك ومن دونها عرض الفلا والدكادك
وفى كل أرض للفتى متقلب ولست بدار الذل طوعا[1] بـرامك
ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب رحاب النواحى واضحات المسالك

وقال أيضاً :

تحن إلى أوطانها بزل مالك
ومن دون ما تهوى فرات المقارف
وسيح أبىّ فيـه منـع لضائم
وفتيان أنجاد كرام غطارف
فخنى رويدا واسـتريحى وبلغى
فهيهات منك اليوم تلك المآلف

ثم سار من فوره يريد عمان . فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب ، من معد وغيرهم من اليمن ، إلا سالموه ووادعوه ، لمنعته وكثرة عساكره . ثم إنه سار فى مسيره ذلك ، حتى أخذ على برهوت ، وهو واد فى حضرموت ، فلبث فيه حتى أراح واستراح ، وبلغه أن بعمان ، « الفرس » وهم ساكنوها ، فعبأ أصحابه ، وعساكره ، وعرضهم ، فيقال : إنهم بلغوا زهاء ستة آلاف فارس وراجل . ثم أنه أعد واستعد ، وأقبل

---

(١) نسخة يوما .

يريد « عمان » وقد جعل على مقدمته ، ابنه هناة بن مالك (ويقال فراهيد ابن مالك) فى ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها . ثم سار يؤم « عمان » حتى انصب على الشحر ، فتخلفت عنه مهرة بن حيدان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير ، فنزلت بالشحر . قال الكلبى : كان أول من خرج من العرب من تهامة ، مالك بن فهم الأزدى ، وعمرو ، وابناء فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، وراسب بن الخزرج بن جدة بن حزم بن ريان ابن حلوان بن حمير بن الحاف بن قضاعة ، فنزلت الشحر . وتقدم مالك بن فهم ، فى قبائل الأزد ، ومن معه من أحياء قضاعة . إلى أرض عمان . فوجد « بعمان » (الفرس) من جهة الملك دارا بن دارا بن بهمن ابن اسفيديا ، وهم يومئذ أهلها وسكانها ، والمتقدم عليهم « المرزبان » عامل ملك فارس . فعند ذلك أنزل مالك بن فهم من كان معه من الحشم ، والعيال ، والنساء ، والأثقال ، إلى جانب « قلهات » من شط أرض عمان . ليكون أمنع لهم ، وترك عندهم من الخيل والرجال ، من يحفظونهم ثم سار هو ببقية عساكره ، وصناديد رجاله ، وقد جعل على مقدمته ابنه هناة بن مالك فى ألفى فارس ، حتى دخل ناحية الجوف ، فعسكر بالصحراء ، وأرسل إلى الفرس — والمتقدم عليهم يومئذ « المرزبان » عامل الملك على عمان — يطلب منهم النزول فى قطر من عمان ، وأن يفسحوا له ، ويمكنوه من الماء والكلأ ، ليقيم معهم . فأتمروا بينهم وتشاوروا فى أمره حتى طال ترديد الكلام ، والتشاور بينهم ، ثم إنهم أجمع رأيهم على صرفه

وأن لا يمكنوه مما طلب ، وقالوا لا نحب أن ينزل هذا العربى معنا ، فيضيق علينا أرضنا وبلادنا فلا حاجة لنا في قربه وجواره . فلما وصل جوابهم إلى « مالك » أرسل إليهم أنه لابد لى من المقام فى قطر من عمان ، وأن تواسونى فى الماء والمرعى . فإن تركتمونى طوعا نزلت فى قطر من البلاد ، وحمدتكم ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ، وإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم قتلت المقاتلة ، وسبيت الذرارى ، ولم أترك أحدا منكم ينزل عمان أبدا ، فأبت الفرس أن تتركه طوعا ، وجعلت تستعد لحربه ، وقتاله

ثم إن مالك بن فهم أقام فى مدته تلك بناحية الجوف ، حتى أراح ، واستراح ، واستمد لحرب الفرس ، وتأهب للقائهم ، وحفر بناحية الجوف « الفلج » الذى بمنح ، ويعرف اليوم بفلج مالك ، وكان معسكره ومضرب خيله وعساكره هناك ، إلى أن استعدت الفرس لحربه ، وقتاله . ثم إن « المرزبان » أمر أن يُنفَخَ فى البوق الذى يؤذن فيه بالحرب ، وأن يضرب الطبل ؛ وركب فى جنوده ، وعساكره ، وخرج من صحار فى عسكر جم . فيقال أنه كان فى زهاء أربعين ألفا . ويقال ثلاثون ألفا . وخرج معه بالفيلة ، وسار يريد الجوف فى لقاء العرب . فعسكر بصحراء سلوت ، وبلغ ذلك « مالكا » ومن معه ، فركبوا جميعا ، وكانوا فى زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، وعلى مقدمته ابنه هناة فى ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها . فأقبل فى تلك الهيئة . حتى أتى صحراء سلوت فعسكر بإزاء عسكر « المرزبان » فمكثوا يومهم ذلك إلى الليل ،

ولم يكن بينهم حرب ولا قتال . ثم إن مالـكا بات ليلته تلك يعبىء أصحابه ، يمنة ويسرة وقلبا ، ويكتب الـكتائب ، ويوقف فرسان الأزد مواقفهم . فولى الميمنة هناة بن مالك . وولى الميسرة ابنه فراهيد ابن مالك . وسار هو فى القلب ، فى أهل النجدة والشدة من أصحابه . وبات « المرزبان » يعبىء ويكتب كتائبه . حتى إذا أصبحوا توافقوا للحرب ، وقد استعد كل واحد من الفريقين ، وركب مالك بن فهم فرسا له أبلق ، وظاهر بين درعين ، ولبس عليهما غلالة حمراء ، وتـكمم على رأسه بكمة حديد ، وتعمم عليها بعمامة صفراء ؛ وركب معه ولده ، وفرسان الأزد على تلك التعبئة ، وقد تقنعوا بالدروع ، والبيض ، والجواشن ، فلا يبصر منهم إلا الحدق .

فلما توافقوا للحرب ، جعل مالك بن فهم يدور على أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويقول : يا معشر الأزد أهل النجدة والحفاظ ، حاموا عن أحسابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم ، وقاتلوا ، وناصحوا ملـككم وسلطانـكم فإنـكم إن انـكسرتم ، وهزمتم انبعثـكم العجم فى كافة جنودكم ، فاختطفوكم ، واصطادوكم بين كل حجر ومدر وَبَادَ عَنْـكم ملـككم ، وزال عنكم عزكم وسلطانـكم ، فوطنوا أنفسكم على الحرب ، وعليكم بالصبر والحفاظ ، فان هذا اليوم له ما بعده . فجعل يحرضهم ، ويأمرهم بالصبر ، والجلد ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره . ثم إن « المرزبان » زحف بعسكره ، وجميع قواده ، وجعل الفيلة أمامه ، وأقبل نحو مالك بن فهم

وأصحابه ، ونادى مالك أصحابه بالحملة عليهم فقال : يا معشر فرسان الأزد احملوا معى فداكم أبى وأمى على هـذه الفيلة فاكْتَنِفُوهَا بأسنتـكم وسيوفـكم . ثم حمل ، وحملوا معه على الفيلة بالرماح والسيوف ، ورموها بالسهام . فولت الفيلة راجعة بحملتها على عسكر « المرزبان » فوطئت منهم خلقا كثيرا . وحمل مالك فى كافة أصحابه وفرسانه على « المرزبان » وأصحابه . فانتقضت تعبئة « المرزبان » وجالوا جولة ، ثم ثابَت العجم ، ورجعت إلى بعضها بعض ، وأقبلت فى حدها وحديدها ، وصاح « المرزبان » فى أصحابه وكافة جنوده ، وأمرهم بالحملة فحملوا ، والتقى الجميع ، واختلط الضرب ، واشتد القتال . فلم تسمع إلا صليل الحديد ، ووقع السيف ، واقتتلوا يومهم ذلك أشد ما يكون من القتال ، وثبت بعضهم لبعض إلى أن حال بينهم ظلام الليل . فانصرفوا ، وقد انتصف بعضهم من بعض ، وابتكروا من غدٍ بالحرب ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل فى اليوم الثانى من الفرس خلق كثير ، وثبت لهم الأزد فلم يزالوا كذلك إلى أن حال بينهم الليل ، وانصرف بعضهم عن بعض ، وقد كثر القتل والجراح فى الجميع ، فلما أصبحوا فى اليوم الثالث ، زحف الفريقان بعضهم إلى بعض . فوقفوا مواقفهم تحت راياتهم ، وأقبل أربعة نفر من المرازبة ، والأساورة ممن كان يعد الرجل منهم عن ألف رجل . حتى دنوا من مالك . فقالوا : هلم إلينا لننصفك من أنفسنا ، ويبادرك منا رجل رجل ، فتقدم إليهم مالك وخرج إليه واحد منهم : وطارد مالـكا ساعة فعطف عليه مالك ، ومعه نجدة الملوك ، وحمية العرب فطعن الفارس طعنة

حطم بها الرمح فى صلبه ، فوقع الفارس إلى الأرض عن فرسه ثم علاه مالك بالسيف فضربه فقتله ثم حمل الفارس الثانى على مالك وضرب مالكا ، فلم تصنع ضربته شيئاً ، فضربه مالك على مفرق رأسه ففلق السيف البيضة ، وانتهى إلى رأس الفارسى . حتى خالط دماغه فخر ميتا . ثم حمل عليه الفارس الثالث ، وعليه الدرع والبيضة ، فضربه مالك على عاتقه ، فأبانه مع الدرع نصفين . حتى انتهى سيف مالك إلى سرج دابة الفارسى ، فرمى به قطعتين فلما نظر الفارسى الرابع ماصنع مالك بأصحابه الثلاثة ، كاعت نفسه ، وأحجم عن لقائه ، فولى راجعا نحو أصحابه حتى دخل فيهم ، ثم انصرف مالك إلى موقفه ، وقد تفاءل بالظفر ، وفرحت بذلك الأزد فرحاً شديداً ، ونشطوا للحرب . فلما رأى « المرزبان » ما صنع مالك فى قواده الثلاثة دخلته الحمية ، والغضب ، وخرج من بين أصحابه وقال : لاخير فى الحياة بعدهم . ثم نادى مالكا ، وقال : أيها العربى أخرج إلىَّ إن كنت تحاول ملكا فأينا ظفر بصاحبه كان له ما يحاول ، ولا نعرض أصحابنا للهلاك ، فخرج إليه مالك برباطة جأش ، وشدة قلب . فتجاولا مليا ، وقد قبض الجمعان أعنة خيولهم ، فأوقفوها ينظرون إلى ما يكون منهما ، ثم إن « المرزبان » حمل على مالك بالسيف حملة الأسد الباسل ، فراغ عنه مالك روغان الثعلب ، وعطف عليه بالسيف فضربه على مفرق رأسه ، وعليه البيضة والدرع ، ففلق البيضة ، وأبان رأسه ، فخر ميتا . وحملت الأزد على الفرس وزحف الفرس إليهم فاقتتلوا قتالا شديداً من ظهر النهار إلى العصر ، وأكل أصحاب المرزبان السيف ، وصدقتهم

الأزد الضرب والطعن ، فولوا منهزمين حتى انتهوا إلى معسكرهم ، وقد قتل منهم خلق كثير ، وكثر الجراح فى عامتهم ، فعند ذلك أرسلوا إلى مالك بن فهم ، يطلبون منه أن يمن عليهم بأرواحهم ويجيبهم إلى الهدنة والصلح ، وأن يكف عنهم الحرب ، ويؤجلهم إلى سنة ليستظهروا على حمل أهلهم من عمان . وأن يخرجوا منها بغير حرب وقتال ، وأعطوه على ذلك عهدا ، وجزية على الموادعة ، فأجابهم مالك إلى ما طلبوه وسألوا منه ، وهادنهم وأعطاهم على ذلك عهداً وميثاقا ، أنه لا يعارضهم بشىء إلا أنْ يبدأوه بحرب وقتال . فكف عنهم الحرب وأقرهم فى عمان على ما سألوه . فعادوا إلى صحار وما حولها ، فكانوا هناك ، وكانت الأزد ملوكا فى البادية وأطراف الجبال . وانحاز مالك إلى جانب « قلهات » .

فيقال : إن الفرس فى مهادنتهم تلك طمعوا أنهاراً كثيرة وأعموها ثم إنهم من فورهم كتبوا إلى الملك « دارا بن دارا » فأعلموه بقدوم مالك ابن فهم ، ومن معه إلى عمان ، وقتله لقائده « المرزبان » فى جل قواده وعسكره وما كان من شأنه ، ويخبرونه بما هم فيه من الضعف والعجز ، ويستأذنونه فى التحول إليه بأهلهم وذراريهم إلى فارس .

فلما بلغ ذلك الملك « دارا » غضب غضباً شديداً ، وداخله القلق ، وأخذته الحمية لمن قتل من أصحابه وقواده . فعند ذلك دعا بقائد من عظماء مرازبته ، وأساورته ، وعقد لهُ ثلاثة آلاف من أجلاء أصحابه . وشجعان مرازبته وقواده ، وقدمه فيهم ، وبعثهم مدداً لأصحابه الذين بعمان . فتحملوا إلى البحرين ثم تخلصوا إلى عمان وكل هذا لم يدر به « مالك بن فهم »

فلما وصلوا إلى أصحابهم أخذوا يتأهبون للحرب حتى انقضى أجل الهدنة ؛ فحمل مالك يستطلع أخبارهم ، فبلغه وصول المدد إليهم فكتب إليهم : إنى قد وفيت لكم بما كان بينى وبينكم من العهد ، وتأكيد الأجل ، وأنتم بعدُ حلولٌ بعمان ، وبلغنى أنه قد آتاكم من قبل الملك مدد عظيم وأنكم تستمدون لحربى وقتالى . فأما أن تخرجوا من عمان طوعاً ، وإلا زحفت عليكم بخيلى ، ورجلى ، ووطئت ساحتكم ، وقتلت مقاتلتكم ، وسبيت الذرارى ، وغنمت الأموال .

فلما وصل رسوله إليهم هالهم أمره ، وعظموا رسالته إليهم مع قلة عسكره ، وكثرتهم وما هم فيه من القوة والمنعة ؛ وزادهم غيظاً وحنقاً ، وَرَدَّوا عليه أقبح رد . فعند ذلك زحف عليهم مالك فى خيله ورجاله . وسار حتى وطىء أرضهم ، واستعدت الفرس لقتاله ، ومعهم الفيلة فلما قربوا من معسكره عبأ أصحابه راية راية وكتيبة كتيبة ـ جعل على الميمنة ابنه هناة بن مالك ـ وجعل على الميسرة فراهيد ـ وقام هو وبقية أولاده فى القلب ، والتقوا هم والفرس فاقتتلوا قتالا شديداً ، ودارت رحا الحرب بينهم كأشد ما يكون ملياً من النهار . ثم انكشفت العجم ، وكان معهم فيل عظيم فتركوه ، فَدَنَاَ منه هناة فضربه على خرطومه ، فولى وله صياح ، وتبعه معن بن مالك فعرقبه فسقط . ثم إن العجم ثابوا ، وتراجعوا وحملوا على الأزد حملة رجل واحد . فجالت الأزد جولة ونادى مالك : يامعشر الأزد أقصدوا إلى لوائهم فاكشفوه من كل وجه ، وحمل بهم على العجم حملة رجل ، حتى كشفوا اللواء واختلط الضرب ، والتحم

القتال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج حتى حجب الشمس . فلم تسمع إلّا صَلِيلَ الحديد ، ووقع السيوف ، وترامو بالسهام فتقصدت ، وتجالدوا بالسيوف فتكسرت ، وتطاعنوا بالرماح فتحطمت ، وصبروا صبراً جميلا ، وكثر الجراح والقتل فى الفريقين . ثم لم يكن للفرس ثبات ، وولوا منهزمين على وجوههم ، فاتبعهم فرسان الأزد يقتلون ، ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ولحق فراهيد سنفدار بن مرزبان وكان من أعظم قواد العجم . فطعنه فأَرْدَاهُ عن فرسه ثم علاه بالسيف فقتله ، وسارت فرسان الأزد ومن خف من أبطالهم فى آثار العجم ، لا يلوون على سَلَب ولا غيره يومهم ذلك كله يقتلون ويأسرون ، حتى حال بينهم الليل ، فما أفلت منهم إلا من ستره الليل . فتحمل من بقى منهم من تحت ليله ، وركبوا فى السفن وعبروا إلى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ، ومن معه على سوادهم . فاستباحهم ، وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقاً كثيراً . فمكثوا فى السجون زماناً . ثم أطلقهم ، ومن عليهم بأرواحهم ، وكساهم ووصلهم ، وزودهم ، وحملهم فى السفن إلى أرض فارس ، واستولى على عمان فملكها وما يليها ، وساسها وسار فيها سيرة جميلة ، ولمالك وولده فى أمر ورودهم إلى عمان وحربهم للفرس أشعار كثيرة ذكر بعضها العوتبى فى الأنساب وتركتها اختصاراً .

باب انتقال العرب إلى عمان بعد فتحها

ثم جاءت إلى عمان قبائل كثيرة من الأزد ، فأول من لحق بمالك من الأزد ، عمر بن عمرو بن عامر (ماء السماء) وولداه الحجر ، والأسود وتفرعت من الحجر والأسود بعمان قبائل كثيرة ، ثم جاء ربيعة بن الحارث بن عبدالله بن عامر الغطريف ، وإخوته ، ثم جاء ملارس بن عمرو ابن عدى بن حارثة فدخل فى هداد ، ثم جاء عمران بن عمرو بن الأزد ، ثم جاء اليحمد بن حمى ، ثم جاءت بنو غنم بن غالب ، ثم جاءت الحدان وأخوها زياد (وهو الندب الأصغر) ثم معولة (وهم بنو شمس) ثم جاءت الندب الأكبر ، وجاءت الصيق ، وجاءت ناس من بنى يشكر ، وجاءت ناس من بنى غامد ، وجاءت ناس من خوالة ـ جاءت هـــذه القبائل كلها على راياتها لا يمرون بأحد إلا أكلوه حتى وصلوا عمان فملأوها ، وأقاموا فى بلد ريف ، وخير واتساع ، وسمت الأزد عمان عمانا لأن منازلها كانت على واد لهم بمأرب ، يقال له عمان ، فشبهوها به ، والعجم تسميها مزونا :

ان كسرى سمى عمان مزونا ومزون يا صاح خير بلاد

بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد

فلم تزل الأزد تنتقل إلى عمان حتى كثروا بها ، وقويت يدهم ، واشتدت شوكتهم ، وملأوها حتى انتشروا إلى البحرين ، وهجر .

ثم نزل عمان من غير الأزد، سامة بن لؤى بن غالب ، فنزل بتوام فى جوار الأزد ، وزوج ابنته هند بنت سامة بالأسد بن عمران بن عمرو بن عامر ، فولدت له العتيك بن الأسد . قال العوتبى : وبنو سامة اليوم بتوام. قال : وفيها ناس من بنى سعد ، وناس من بنى عبد القيس .

ونزل بعمان ناس من بنى تميم ، منهم آل جذيمة بن خازم وغيرهم . ونزلها أيضاً قوم من بنى النبيت ، من الأنصار فى الجاهلية ، ومنازلهم فى قرية يقال لها (ضنك) من أعمال السر .

ونزلها بنو قطن من الأنصار ، ومنازلهم عبرى . والسليف . وتنعم من أرض السر .

ونزلها ناس من بنى الحارث بن كعب ، ومنازلهم بضنك .

ونزلها قوم من قضاعة من بنى المقين بن جسر نحو مائة رجل ، منازلهم بضنك

ونزلها ناس من بنى رواحة بن قطيعة بن عبس منهم أبو الهشم العبيسى الرواحى .

باب بعض أخبار مالك بن فهم
بعد ملكه لعمان

وكان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ، ويخافون بأسه ، فيفتخرون به ، ويتعززون بنعمته ، وكانت له جرأة وإقدام ما لم يكن لغيره من الملوك ، وكان ينزل ما بين عمان إلى ناحية اليمن ، وكان أكثر نزوله بشاطىء قلهات من شط عمان ، وينتقل منها إلى غيرها ، وكان فى ناحية أخرى من نواحيه قد نزل ملك من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير من ولد عبد الله بن الأزد وكان عظيم الشأن ، وكاد يكون مثل مالك بن فهم ، فى العزة ، والقدرة ، وخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب ، فخطب مالك بن فهم ابنته الحزام بنت مالك ابن زهير ، فزوجه على أن يكون الملك لولدها من بعده ، فأجابه مالك ابن فهم إلى ذلك ، وزوجها فولدت له سليمة بن مالك ، وهو أصغر أولاده ، وأحبهم إليه ، وملك مالك بن فهم عمان ، وما حولها سبعين سنة لم ينازعه فى ملكه عربى ولا عجمى .

وعاش مائة وعشرين سنة وامتدحه أوس بن زيد العبدى ، وكان عظيم القدر فى معد ، وهو فى جوار مالك بن فهم فقال :

إن الأسد الكرام إن حل جار   فمع النجم لا يخاف عريبا

عز من كان مالك له جار لست فى الأزد ان حللت غريبا
ليكن أوسط الأقارب فى النسبـــة فيهم كل يراك قريبا
كان فهم أوصى بنيه وصاة حفظوها وكان فيهم مصيبا
أكرموا الضيف واحفظوا حرمة الجار وكونوا ممن أحب قريبا
فوعى مالك وصاة أبيـــه وكذاك النجيب يحيي النجيبا
مالك يأخذ الخراج من النا س ومعد تخاف منـــه الوثوبا

فلما سمع مالك بن فهم شعر أوس بن زيد، ومدحه إياه قسم له أرضا وماء وأعطاه مائة ناقة، واتخذه وزيراً له، وكان أوس شريفاً فى قومه فلم يزل وزيراً لمالك حتى مات فاقبل بنوه يفتخرون بما كان من مالك إليه حتى الساعة، وقيل إن مالكا هو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه أنه يأخذ كل سفينة غصبا .

قال العوتبى فى الأنساب : قال أبو عبد الرحمن بن قبيصة عن أبيه عن ابن عباس فى حديث موسى والخضر عليهما السلام . قال : فانطلق موسى والخضر ويوشع بن نون ، حتى إذا ركبوا السفينة ولججوا خرق الخضر السفينة ، وموسى عليه السلام نائم ، فقال أهل السفينة ماذا صنعت ؟ خرقت سفينتنا وأهلكتنا وأيقظوا موسى ؛ وقالوا ما صحب الناس أشَرّ منكم، خرقتم سفينتنا فى هذا المكان ، فغضب موسى حتى قام شعره ، فخرج من مدرعته ، واحمرت عيناه ، وأخذ برجل الخضر ليلقيه فى البحر فقال : « أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا » قال له يوشع

يا نبي الله أذكر العهد الذى عاهدته قال صدقت . فرد غضبه ، وسكن شعره ، وجعل القوم ينزفون من سفينتهم الماء ، وهم منها على خطر عظيم وجلس موسى فى ناحية السفينة يلوم نفسه يقول لو كنت فى غنى عن هذا فى بنى إسرائيل أقرأ لهم كتاب الله غدوة وعشية فما أدنانى إلى ماصنعت ؟ فعلم الخضر ما يحدث به نفسه فضحك ثم قال « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا » أحدثت نفسك بكذا وكذا ؟ قال موسى « لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا » فانطلقوا حتى انتهوا إلى عمان ، وكان الملك يريد أن ينتقل منها ، وكان كلما مرت سفينة أخـذها وألقى أهلها ، فإذا الناس على ساحل البحر كالغنم لايدرون ما يصنعون فلما قدمت سفينتهم قال أعوان الملك : أخرجوا عن هذه السفينة ؛ قالوا إن شئتم فعلنا ولـكنها مخرقة ، فلما رأوها وخرقها قالوا لا حاجة لنـا بها ، فقال أصحاب السفينة جزاكم الله عنا خيراً فما صحب قوم قوماً أعظم بركة منكم . وأصلح الخضر السفينة فعادت كما كانت إلى أن قال وكان الملك الذى ذكره الله فى كتابه يأخذ كل سفينة غصبا مالك بن فهم الأزدىّ ، وكان ينزل قلهات من شط عمان وينتقل من هناك إلى ناحية أخرى . وقيل هو مسدلة بن الجلندى بن كركر الأزدى من ولد مالك ابن فهم الأزدى وهو جد الصفاق ومن ولده ملوك مرو ، وقيل هو الجلندى ابن المستكبر ، ويقال المستنير ن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة ابن شمس . قال العوتبى : والقول الأول أشبه دلالة وأوضح حجة وأقرب فى النظر صحة من هذا القول الأخير ، قال لأن الجلندى هذا كان قبل

الإسلام بيسير ، وقيل إنه أدرك الإسلام . وابناه عبد وجيفر أدركا الإسلام وإليهما كتب النبي صلى الله عليه وسلم على يد عمرو بن العاص ، وقصة السفينة كانت فى عصر موسى عليه السلام وبين موسى ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم أعوام كثيرة .

ذكر وفاة مالك بن فهم

وذلك بعد ما ملك عمان سبعين سنة وكان قد مضى له من عمره مائة وعشرون سنة جاءته المنية على يد أحب الناس إليه وأعظمهم شأناً لديه وهو ولده سليمة .

إن من ترجو به دفع البلا　　سوف يأتيك البلا من قبله

وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وعظة لمن اتعظ . وسبب ذلك أن مالكا لما ملك عمان وأطراف العراق وما حول عمان ، وقع بينه وبين ملوك اليمن تنافس وتحاسد إلى أن طمع كل واحد منهما فى ملك الآخر . وكان مالك قد جعل على أولاده الحرس بالنوبة ، كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه ، وكان سليمة أحظى ولد مالك عنده وأقربهم إليه ، وهو أصغر أولاده فحسده إخوته وجعلوا يطلبون له زلة عند أبيه وقومه . وكان مالك يعلم سليمة فى صغره الرمى بالسهام إلى أن أتقنه ، وكان يحرس كإخوته ، وأقبل ذات يوم نفر من إخوته إلى أبيهم فقالوا يا أبانا إنك قد جعلت على أولادك الحرس بالنوبة وما أحد منهم إلا وهو قائم بما عليه ما خلا سليمة فإنه أضعف همة وأعجز ، وإنه إذا

جن الليل يعتزل عن فرسان قومه ويتشاغل بالنوم والغفول عما يلزمه فلا يكن لك فيه كفاية ولا غنى ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه ، وينسبونه إلى العجز والتقصير ، فقال لهم مالك : إنكم لكذلك وما أحد منكم إلا وهو قائم بما عليه ، وأما قولكم فى ابنى سليمة فليس هو كذلك ، وإن ظنى فيه كعلمى ولم تزل الإخوة تحسد بعضهم بعضا لإيثار الآباء بعضا دون بعض فانصرفوا من عنده راجعين بغير ما كانوا يأملون .

ثم إن مالكا دخله الشك ، فأسر كلامهم ذلك فى نفسه إلى أن كانت الليلة التى كانت فيها نوبة ابنه سليمة وقد خرج سليمة فى نفر من فرسان قومه يحرسون كالعادة ثم اعتزل عنهم سليمة فى المكان الذى يكمن فيه بقرب دار أبيه ، فبينا هو كذلك إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الليل مختفيا من حيث لا يعلم به أحد ، قاصدا إلى ذلك الموضع وكان سليمة فى ذلك الوقت قد لحقته سنة فأغفا على ظهر فرسه وهو متنكب كنانته وفى يده قوسه ، وهو على ذلك الحال ، فحست الفرس شخص مالك من بعيد فصهلت ، وانتبه سليمة من سنته تلك مذعورا ، ونظر إلى الفرس وهى ناصبة أذنيها إلى شخص مالك ، ففوق سهمه فى كبد قوسه ويممه نحو شخص مالك وهو لا يعلم أنه أبوه فسمع مالك صوت السهم فهتف به يا بنى لا ترم أنا أبوك فقال سليمة يا أبت ملك السهم قصده فأرسلها مثلا فأصاب السهم مالكا فى قلبه فقتله فقال مالك حين أصابه السهم هذه القصيدة ، نعى نفسه فيها وذكر سيره الذى ساره من أرض السراة وخروجه من برهوت إلى عمان وما كان من شأنه :

ألا من مُبْلِغ أبناء فهم　　　　عالكه من الرجل العمانى

وبلّغ منهيا وبنى خنبس وسعد الله ذا الحى اليمانى
ومن أمسى بحى بنى صريح إلى حرس وحى بنى عدان
ومن حل الثنية من كلاع إلى بطن المناقب والمثانى
بلاد قد نأى عنها مزارى وجيران المجاورة الأدانى
نعته الدار من أبناء فهم ومن أبناء دوس والقنان
قتلت محرقا وحميت نفسى وراغمت الأعادى من أسان
وفى العرنين كنا أهل عز ملكنا بربرا وبنى قران
جلبت الخير من ثروات نجد وواصلت الثنايا غير دان
صددنا قومنا الأدنين قدما لدى بطن المبالغ والرعان
بها عمران من أولاد عمرو ونسوتها ذوو النسب الأدانى
وسرنا بين أحقاف ورمل وغلفات تماطاها بنانى
وأودية بها نعم وشاء يردن الماء تنزحه السوانى
به أولاد ناجية بن حزم وأوباش من الأمم الفوانى
جلبت الخيل من برهوت شعثا إلى قلهات من أرضى عمان
قتلت بها سراة بنى قياد وحاميت المعانى غير وان
وفى الهيجاء كنا أهل بأس قتلنا بهمنا وبنى كران
لقينا خيلهم عند التمادى بأبطال المرازبة الدعان
يؤمون الدرى والخيل تترى بفرسان اللقاء كجن عان
فصالت بهمن الأملاك فيهم بمرهفة تحل عرى المتان
نصفناهم فنصف الخيل قتلى ونصف فى الوثاق وفى القران

ثأرنا الملك يوم بني قياد   وبهمن والمنايا في العيان
فأضحت بهمن وبنو قياد   موالينا حيارى في الرهان
فأمتعناهم بالمن عفـــوا   وجـدنا بالمكارم والأمان
وصرت مملَّكا قِطرَيْ عُمانٍ   وقدت المبرزى مع كل عانٍ
نـكحت بها فتاة بني زهير   وخودة بنت نصر الأسودان
وجعدة بنت حارثة بن حرب   من الحور المحبرة الحسان
وأم جــذيمة وهناة بكر   عقيلة من ذَوِي العرب الهجان
ومعن والعميق ثم عمرو   وحارث منهم ذرب اللسان
شربت الماء من قطرى عمان   فلم أر مثـــل ماء البيذجان
جزاه الله من ولد جزاء   سليمة إنه ســا ما جزاني
أعلمه الرماية كل يوم   فلمـــا اشتد ساعده رماني
توخاني بقدح شك لبي   دقيق قـــد برته الراحتان
فأهوى سهمة كالبرق حتى   أصاب به الفؤاد وما عداني
ألا شلت يمينك حين ترمى   وطارت منك حاملة البنان

ثم قضى مالك نحبه وأنشأ ولده هناة يرثيه ويقول :

لو كان يبقى على الأيام ذو شرف   لمجـــده لم يمت فهم وما ولدا
حلت على مالك الأملاك جائحة   هدت بناء العلا والمجد فانقصدا
أبا جذيمة لا تبعد ولا غلبت   به المنايا وقد أودى وقــد بعدا
لو كان يفدى لبيت العز ذو كرم   فداك من حل سهل الأرض والجلدا
يا راعى الملك أضحى الملك بعدك لا   تدر الرعاة أجار الملك أم قصدا

ثم أن سليمة تخوف من إخوته ، واعتزلهم ، وأجمع على الخروج من بينهم ، فسار إليه أخوه هناة فى جماعة من وجوه قومه ، فاجتمعوا إليه وكرهوا إليه الخروج وكان أكثر خروجه تخوفه من أخيه معن . فقال لهم : إنى لا أستطيع المقام معكم وقد قتلت أباكم وكان ذلك من سبب حسد إخوتى لى ، وقد يبلغنى من معن ما أكره ، وإنى لأخشى أن يغتالنى فى بعض سفهاء قومه ، فناشدوه الله والرحم أن يقعد معهم ، وضمن له هناة بتسليم الدية عنه إلى إخوته من ماله ، وأعفوه عن القود ، فقبل ذلك سليمة وأقام معهم وسلم هناة عنه الدية من ماله إلى إخوته ، فقبلها الإخوة وعفوا إلا معنا فإنه قبلها ولم يعف وطمع هناة أن يصلح ذات بينهم ، وكان حسن السيرة فى إخوته ، وقومه ثم إن معن خلا له زمن لا يتعرض لسليمة بسوء حتى أكل الدية . ثم إنه جعل يطلب غفلة سليمة ، ويغرى به سفهاء قومه . من حيث لا يعلم به أحد ، فبلغ ذلك سليمة فأقسم أنه لا يقيم بأرض عمان ، وأجمع رأيه على ركوب البحر ، فخرج هاربا فى نفر من قومه ، وقطع البحر حتى نزل بأرض فارس ، فلما رأى ذلك أخوه ثعلبة بن مالك اعتزل إخوته وخرج عند أخواله من تنوخ ، فصار فيهم وسارت تنوخ بأجمعها حتى لحقت بجذيمة الأبرش بن مالك بن فهم وهو يومئذ ملك الحيرة ثم انتشروا من بعد ذلك إلى الشام ، والجزيرة ، فتفرقوا بها ، وهم الآن كثيرون هناك ، فولد ثعلبة بن مالك فى تنوخ إلى اليوم والله أعلم .

باب خبر ولد مالك من بعده

وقد تقدمت الإشارة إلى جذيمة ، وملكه بالعراق ، وله خبر يطول ، ولمقتله على يد الزباء خبر غريب للمشتغل بذكره ، لأنه ليس من أخبار عمان وملك عمان بعد مالك ولده هناة ، وكان أحسن ولد مالك سيرة وأكملهم رأيا ، وأجودهم مروءة وكانت خيرة مالك وقعت عليه لعقله ، وكمال أمره ، وكان ذا فَهْم ، وحلم ، ولم يكن لأحد من ولد مالك مالهناة من هذه الخصال ، فقام بتدبير الأمر ، وسياسة الملك إلى أن مات ، ولم أجد تاريخاً لموته ، ولا لمدة ملكه ، وهو الذى أرسل المدد لأخيه سليمة بن مالك ، حتى قَوَّمَ ما اعوج من ملكه بأرض فارس ، وكان من خبره أن سليمة لما خرج من عمان متخوفاً من أخيه معن نزل بأرض فارس ، وكان أول موضع نزل فيه من ساحل البحر « جاشك » وتزوج امرأة منهم من قوم يقال لهم الاسفاهية ، فولدت له غلاماً فأولاده منها يسمون بنجب الإسفاهية نسبة إلى أمهم فبينما هو ذات يوم قاعداً يذكر أرض عُمَانْ ، وانفراده عن إخوته ، وقومه وما كان فيه من العز ، والسلطان ، فأنشأ يقول :

كفى حزناً أنى مقيم ببلدة أخلاى عنها نازحون بعيد
أقلب طرفى فى البلاد فلا أرى وجوه أخلاى الذين أريد

ثم إنه رحل من « جاشك » حتى نزل أرض كرمان ، فأقام بها عند

ملوك بعض أهلها ، وانتسب إليهم ، وقال إنى رجل من أهل بيت كان لنا الملك فى العرب ، وكان لأبى عدة من الولد ، وكنت أنا أقربهم إليه ، وأحبهم ، فحسدنى أخوتى مكانى من أبى ، وكان ذلك سبب قتل أبى على يدى ، ثم إنه إخبرهم بقصته وأمره وقال إنى قد قدمت إلى هـذه البلاد مستجيراً بأهلها ، ومستعديا بهم ، وقد رجوت الله أن يمن علىّ بجوارهم ، ويشد أزرى بمكانهم ، فلما انتسب إليهم . وعرفهم قصته عرفوه ، وتبينوا موضعه ومكانه وشرفه ، فأنزلوه وأكرموه ، وأعجبهم ما رأوا من فصاحته ، وجماله وكمال أمره ، فرفعوا قدره وأكرموا منزلته ، وزوجوه بامرأة من كرائم نسائهم ، ويقال إن سبب تزويجهم إياه : أنّ سليمة لما قدم إلى أرض كرمان ، وانتسب إليهم أرادوا أن يزوجوه بامرأة من بنات بعض ملوكهم ، وكان الملك إذ ذاك على أرض كرمان (ولد دارا ابن دارا بن بهمن) وكان ملكا جباراً ، كثير العسف والظلم لأهل مملكته ، وقومه وكان قد بلغ من أمره أنه مازفت عروس على بعلها حتى يؤتى بها إليه فيصيبها قبله ، وإلا قتل بعلها ، وبدد أهلها فكان ذلك دأبه فى أهل كرمان إلى أن قدم عليهم سليمة ، وكانوا قد كتموا مجيئه ، وقدومه مخافة أن يعرض له بسوء لأجل ما كان من أبيه مالك وأخيه جذيمة الأبرش إلى ملوك فارس فشكوا إلى سليمة أمر ملكهم وحكوا له قصتهم ، وذكروا أنهم لا يتوصلون إلى دفعه بحيلة من كثرة حرسه ، وحجابه ومنعته فقال سليمة : وماذا لى عليكم إنْ أنا كفيتكم أمر بأسه ، وأرحتكم من سلطانه ، قالوا : وأنى لك ذلك ولم يرمه أحد من أهل العز

والسلطان ممن كان قبلنا فقال سليمة : تدبير الأمر فى ذلك علىّ فماذا لى عليكم ، قالوا : ماشئت قال : فإذا أردتم ذلك فيجتمع إلي من الغد أهل الوفا والتقديم فقالوا : نعم فلما كان من الغد اجتمع إليهم عظماء أهل كرمان وأهل الوفا منهم ، وجرى الكلام بينهم كما جرى بالأمس ، فقال سليمة : إن أمكنتمونى مما اشترط عليكم دبرت الأمر . فقالوا بأجمعهم لك جميع ما شرطت وسألت . قال سليمة : أشترط على أنكم تصيرون ملكه وسلطانه لى ، ولعقبي من بعدى دون سائر أهل كرمان ، وعلى أنى آخذ جميع غلاتكم ، وجباية جميع أموال كرمان إلى أن أتمكن وأبلغ غاية مرادى ، وأن أنتخب لنفسى من جميع ما قدرت عليه من رجال العرب ، ومن أجناس أهل كرمان من أردت من الرجال ، وأن تزوجونى بامرأة من كرائم عقائل نسائكم ، فأمسك القوم لذلك ، ونكسوا رؤوسهم ساعة ثم أقبل بعضهم إلى بعض ، فقال : إن كان فيكم معاشر أهل كرمان من يستطيع ذلك بدون هذه الشروط ، والمطلب فليفعل ، فسكتوا ولم يتكلم منهم أحد ، فقال سليمة : إنى لا أستطيع إلى فعل ذلك إلا على هذه الشروط فعند ذلك ضربوا أيديهم على يد سليمة ، وقالوا له : لك جميع ما شرطت وطلبت ، فبايعوه على قتل الملك ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق وكانت تلك الجماعة من أهل بيت الملك والسلطان قوام أمر الملك ، ونظام الدولة فلما فرغوا من أمر البيعة عمدوا إلى سليمة فزوجوه بامرأة من كرائم بناتهم ، والملك لم يعلم بشىء من ذلك كله إلا أنهم أشهروا أمر تزويج المرأة باسم رجل من بعض أهل كرمان ممن شهد البيعة ، ولم يذكر

اسم سليمة لئلا يعلم الملك بشيء من أمره ، ولما فرغ القوم من بيعتهم له وتزويجهم واعدهم فى ليلة معلومة ليزفوه إلى الملك ، وقال لهم إذا عزمتم على ذلك فأشهروا أمر هذه المرأة إلى بعلها حتى يبلغ ذلك الملك ليكون متأهباً للتعريس ثم أتوا إلىّ فى خفية من الناس . فالبسونى أنواع الحلى والحلل ، وزفونى إليه بين النساء والحشم ، ليتيقن فى وهمه أنى المرأة التى تريدون أن تزفوها إلى بعلها فإذا أنا صرت إليه وأغلقت الأبواب ، وأرخيت الستور دونى ، وأمر الخدم بالانصراف وأشرف علىّ وتمكنت منه ، ضربت بيدى على هذه السكين التى فى حجزة سراويلى ، ووجأته بها فإذا أنا ظفرت به ، وتمكنت من حجابه ، وأهل حرسه وسمعتم الصريخ فبادروا إلى بأجمعكم فى سلاحكم وآلة حربكم ، وأعينونى على ما حاولت وعاهدتمونى عليه فقالوا نعم .

فلما كانت تلك الليلة أشهروا أمر تلك المرأة من النهار ، وعمدوا إلى سليمة ، وهو إذ ذاك شاب وكان جميلا حسن الوجه ، والهيئة فألبسوه أنواع الحلى والحلل ، وقد حدد سكينه وجعلها معه فى حجزة سراويله ، وسار عنده النساء ، وأنواع الخدم والحشم ، يزفونه بينهم فى هيئة المرأة حتى انتهوا به إلى الملك . فحين نظر إليه الملك فى الاشماع وضوء المصابيح وهو على تلك الهيئة والجمال ، هاله منظره وما رأى من حسنه ، وجماله وقد أقبل إليه يرفل فى أنواع الحلى والحلل بين الخدم والحشم ، فأعجبه فأومأ إلى النساء والخدم بالانصراف فانصرفوا عنه ، وأمر بالأبواب فأغلقت وبالستور فأرخيت ،ولم يبق إلاهو وسليمة ، ثم أنه أهوى على

سليمة ليقبله ويضمه إليه فاسترخى له مائلا عليه حتى إذا تمكن منه أهوى على السكين من حجزة سراويله فوجأ بها الملك فى خاصرته . فأثبتها فيه ثم أردفه الثانية فى لبته فبعج بطنه . فخر الملك ساقطاً على فراشه يخور فى دمه خوار الثور ، ثم وثب سليمة من فوره ذلك فلبس درع الملك وبيضته وتقلد سيفه ، ثم نظر إلى الملك وإذا فيه رمق الحياة فضربه بالسيف فأبان رأسه عن جسده وبات ليلته على تلك الهيئة ولا يدرى أحد ما عنده وبات وجوه أهل كرمان الذين بايعوا ليلتهم فى خوف ووجل لا يدرون ما يكون من أمره .

فلما أصبح وثب على الأبواب وفتحها وخرج إلى حراس الملك وحاميته فشد عليهم فلم يزل يجالدهم بسيفه ، ويقتل من لحق منهم ، حتى أباد عامتهم ، وباب الدرب مغلوق عليه وعليهم ، ثم تصايح الناس وتهاتفوا بالسلاح ، ووقع الصريخ ، وأقبل إليه جماعة وجوه أهل كرمان أهل البيعة منهم وغيرهم من أعوان الملك فى آلة حربهم ، وخيلهم وعددهم فعندها أشرف عليهم سليمة من رأس الحصن ، وعليه الدرع ، والبيضة شاهراً سيفَ الملك بيده ، وهو مختضب بالدم فألقى إليهم جثة الملك ، ورأسه ، فلما نظروا إلى ذلك هالهم أمره وأكبروا شأنه وأعظموا ، وتحاجز الناس عنه ، وسر بذلك بعض ، فأمسك أمر الجميع وحمده عظماء أهل كرمان ، والاشراف منهم ممن كان بايعه ، وصرفوا إليه جميع الناس ، وفرحوا بذلك فرحا شديدا لما كان من عسف الملك ، وسوء

سيرته فيهم . ثم إنهم شدوا فى رجل الملك حبلا ، وأمروا الصبيان أن يجروه ، ويطوفوا به فى شوارع كرمان وسككها .

ثم اجتمع العظماء والأشراف ، فتآمروا بينهم فى تمليك سليمة عليهم وتسليم الأمر إليه دونهم ، فاجتمعوا على ذلك فوفوا له بما بايعوه ، وصرفوا له جميع الناس ، واستقبلوه بالسمع والطاعة حتى استقر له الأمر وتمهد . ثم إنهم أهدوا إليه عرسه فابتنى بها واستقام له أمر كرمان وأطاعه الجميع من أهلها فمكنوه من أنفسهم وأموالهم ، وأعانوه على جميع أمره

فلم يزل أمره فيهم كذلك إلى أن حسده بعضهم ، وقالوا إلى متى يملكنا هذا العربى ، ونحن أهل القوة والمنعة والعز والسلطان ، وجعلوا يتعرضون له فى أطراف عماله ، وناحية داره فعند ذلك كتب سليمة إلى أخيه هناة بن مالك بعمان يستصرخه ، ويطلب منه المعونة والمدد ، فأمده هناة بثلاثة آلاف من فرسان الأزد وأبطالهم بالمدد والدروع ، وحملهم فى المراكب حتى أوردهم إلى كرمان فتحصلوا عند سليمة وأقاموا معه : فشد بهم عضده ، وأقام بهم أود من أعوج عليه من العجم ، واستقام له الأمر وسياسة الملك ، ولم يزل أمر سليمة بأرض كرمان مستقيما وقد أذعن له أهلها يؤدون إليه خراجها ، وولد له عشرة أولاد ، ومات بأرض كرمان فاختلف رأى ولده من بعده واضطرب أمرهم ، ودخل الناس بينهم ، وكان ذلك سبب زوال أمرهم ، ورجوع الملك إلى العجم حين وجدوا عليهم المدخل ، فاضمحل أمرهم وتفرقوا فى أرض

فارس وكرمان ؛ وفرقة منهم توجهت إلى جبال عمان فلحقوا بإخوانهم ، ومنهم الجلندى بن كركر ، وقد ملك عمان من ولده الصفاق ، ومن ولده ملوك مرو ، وجمهور بنى سليمة بأرض فارس وكرمان لهم بأس وشدة وعدد كثير ، وبعمان منهم الأقل .

ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك ، ولم يرجع أحد من الفرس إلى عمان ، حتى انقضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عمان إلى آل الجلندى ابن المستكبر ، وهو من معولة بن شمس ، وصار ملك فارس إلى ساسان وهم رهط الأكاسرة فتهادنوا هم وآل الجلندى بعمان على أن يجعلوا فيها أربعة آلاف من الأساورة ، والمرازبة مع عامل يكون له بها عند ملوك الأزد ، فكانت الفرس فى السواحل وشطوط البحر ، والأزد ملوك فى سائر البلاد والأمور كلها منوطة بهم ، وكان كل من غضب عليه كسرى من الفرس وأهل بيته ، ومملكته أو خافه على نفسه وملكه أرسله إلى عمان يحبسه بها . فلم يزالوا كذلك بين ظهرانى الأزد إلى أن أظهر الله الإسلام بعمان فأخرجوهم منها على حسب ما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ذكر جماز بن مالك بن فهم

وكان اسمه زياد بن مالك ، وكان قد ملك مائة وعشرين سنة ، وكان ملكه على مضد وطوائف من اليمن ، قال العوتبى : وهو الذى ذكره الله تعالى فى القرآن ووصف جنته فقال تعالى : قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يحاوِرُهُ —

إلى قوله ـ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا » فخرب الله جنته بكفره ، وهو الذى تقول فيه العرب : لأنت أكفر من حماز قال : ولم يملك العرب قط ملك كان أعظم كبرا ، ولا أقتل لمعد منه ، كان إذا رأى رجلا من معد دهينا حلق رأسه ، وإذا رآه جميلا ضرب وجهه ، وإذا رآه متكلما هشم فاه ، وكان هذا دأبه فى معد ، وكان ملكه من بلاد العالية إلى جانب إيلة من الشام ، فصار كفره فى الناس يضرب به المثل ، ولم تستطع معد أن تخرج من سلطانه فسار رجل من عدوان فدعا المستنير بن عمرو ، ويقال المستجير بن عمرو ، وجماعة الأزد فقال :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أشتكى ... بوائق جاءت من حماز بن مالك

فيا معشر الأسد الذين هم هم ... خيار عباد الله ترضون ذلك

لكم شيمة لم يعطها الله غيركم ... وساجح أحلام وأصل مرائك

فهرتم معداً غثها وسمينها ... ملوكا لهم والقوم تحت السنابك

وكنتم خيار الناس ملكا وقدرة ... فكيف بهذا بينكم شر مالك

ثم ان العدوانى . أقام بعمان مع الأزد فى جوارهم ، وخاف إن رجع إلى بلاده بلغ حمازا أمره ، وأنه شكاه إلى قومه وإخوته فيعاقبه ؛ فولد العدوانى اليوم فى الأزد ولأولاد مالك أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون ، وذكر بعضها العوتبى فى الأنساب ونحن نقتصر على الغرض المقصود والله أعلم

باب فى ذكر شىء من أخبار عمان

بعد ملك العرب لها

قال العوتبي فى الأنساب : ذكر أن سليمان بن داود عليهما السلام كان يغدو من اصطخر فيتغذى فى بيت المقدس ، ويروح من بيت المقدس فيتعشى فى اصطخر ، فبينما هو يسير وقد حملته الريح إلى نحو البر . فقال للريح : شائمى فهبت في برية عمان . فرأى قصراً فى صحراء كأنما رفعت عنه اليد الساعة ، وإذا عليه نسر واقع . فقال للريح حطى . ثم قال لمن معه : ادخلوا القصر فدخلوا فلم يروا شيئاً فعادوا إليه فأعلموه فدعا بالنسر فقال : لمن هذا القصر ، فقال : ما أدرى أنا عليه منذ ثمانمائة سنة هكذا عهدته ، وفى نسخة أخرى . أن سليمان بن داود عليهما السلام سار من أرض فارس من قلعة اصطخر . إلى عمان فى نصف يوم ، ونزل موضع القصر من سلوت من عمان ، وهو بناء جديد كأنما رفع الصناع أيديهم منه فى ذلك الوقت ، وإذا عليه نسر فسأله نبى الله عليه السلام عنه فقال يا نبى الله أخبرنى أبى عن أبيه عن جده أنه عهده على هـذا الحال ، فقال فى ذلك بعض الشياطين الذين صحبوا سليمان عليه السلام .

غدونا من قرى اصطخر   إلى القصر فعلناه

فمن سأل عن القصر   فانا قد وجدناه

وللشىء على الشيء   مقاييس وأشـــباه

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه

قال ويقال والله أعلم : أن سليمان بن داود دخل عمان ، وأهلها بادية فأقام فيها عشرة أيام ، وأمر الشياطين فى كل يوم يحفرون ألف نهر ، وقد أجرى فيها عشرة آلاف نهر ، قال وحدثنى أبو المنذر عن خالد بن محمد أنه بلغه أن فى جبل اليحمد بعمان قبر نبى .

باب انتقال ملك عمان

من أولاد مالك بن فهم إلى بنى معولة بن شمس

والأيام دول قال العوتبي : فمن ولد معولة بن شمس . كانت ملوك عمان قال : وإليهم صار الملك فى عمان من بعد مالك بن فهم وولده قال : فأول ملوكهم عبد عز بن معولة بن شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الازد . قال : فملك واشتد ملكه ، وكان من أعز الناس نفساً ومملكة ، وهو الذى سبا أهل العباب ، واستاق منهم ألف فارس ، وكان فى جملة السبي ابنة عم له دوالة بن صعدت النخل ، فقدم دوالة على عبد عز فى شأنها فسأله ردها فردها على أهلها ، وكان قد بلغ ملك عبد عز بن معولة إلى اليمامة والبحرين ، وما وَالَاهُماَ ، وكان له على أهل البحرين ، واليمامة إتاوة ، وهى الخراج المقدر عليهم ، وكان رسوله فى قبضها من أهل اليمامة باقل بن شارى بن اليحمد ، وكان منزله إذا قدم اليمامة على عمرو بن عمرو الحنفى من أهل اليمامة . فقدم باقل اليمامة فى بعض مَرّاته . فأعجل اهلها بالإتاوة فأغلظ عليهم فيها ، وحبس منهم بشراً كثيراً فى محبس كان له باليمامة يسمى محبس الهون .

فبينما باقل ذات ليلة فى منزله إذ سمع قائلا يقول :

ولولا تعدية الخيار بن جـنة ... سقته سيوف الأزد سما مقسبا

فدانوا وأعطوا بالإتاوة عَنوة ... فمـلوه أو كان أصوبا

ولو عبد عز أمّ بالجيش كبكبا لزلزل بالجيش العمانى كبكبا
ولو قدحت كفاه بالنبع صخرة غـداة الفخر فدى وأثقبا

وقال مصعب بن عمر الحنفى :

ثمامة قادنا للحين جهراً وعرضنا البلاء لعبد عز
وصبحنا بحر صباح سـوء على خيـل يقحمها بنقز
فكم قـد تقرى وسنان المعز والمعز[1]

وقال المستكبر بن عبد عز فى ذلك شعراً تركناه لتحريف النسخ ، ثم لم يزل ملك عمان فيهم حتى أظهر الله الإسلام فى عمان وغيرها ، وأسلم أهل عمان وقيل أن ملكهم يومئذ الجلندى بن المستكبر ، وأنه أسلم فى جملة من أسلم وإليه تنسب بنو الجلندى ، وقيل أن الجلندى مات قبل الإسلام وإنما أسلم ابناه جيفر وعبد وهو أثبت والله أعلم .

(١) فى بعض هذه الأبيات خلل وتحريف ولم نجد تصحيحاً لها . وقد وجدنا بالكتبخانة الملكية بمصر نسخة من تاريخ العوتبى الصحارى أبى مسلم صاحب الضياء من كتب الفقه ، وهذا الكتاب هو الأصل لما نقله المصنف إلا أن خطه يكاد لا يفهم لبشاعته وكثرة تحريفه فشق علينا أن نصحح منه شيئاً والأمر لله .

باب فى إسلام أهل عمان

ذكر والله أعلم أن أول من أسلم من عمان مازن بن غضوبة بن سبيعة ابن شماسة ابن حيان بن مر بن حيان بن أبى بشر بن خطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طى وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أول ظهور الإسلام بعمان ، وأسلم ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم ولأهل عمان بخير . وكان من خبره أنه كان يسدن صنما له فى الجاهلية فى سمائل يقال له ناجر تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طى ، قال مازن فعترنا عنده ذات يوم عتيرة فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر بدين الله الأكبر
فدع نحيتاً من حجر تسلم من حر سقر

قال مازن ففزعت لذلك ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

أقبل إلى أقبل تسمع مالا يجهل
هذا نبى مرسل جاء بحق منزل
آمن به كى تعدل من حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فقلت : إن هذا لعجب وإنه لخير يراد بى ، فبينما نحن كذلك إذ قدم

رجل من أهل الحجاز فقلنا له : ما وراءك ؟ فقال : ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه « أجيبوا داعى الله » فقلت : هذا نبأ ما سمعت فعُدت إلى الصنم فكسرته ، وركبت راحلتى فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، وفى العتبى : أن القادم قال: ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه « أجيبوا داعى الله فلست بمتكبر ولا جبار ولا مختال أدعوكم إلى الله ، وترك عبادة الأوثان ، وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض ، واستنقذكم من نار تلظى لا يطفأ لهيبها ولا ينعم من سكنها » . قال مازن : فقلت هذا والله نبأ ما سمعته من الصنم ، فوثبت إليه وكسرته جذاذاً ، وركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته عما بعث له فشرح لى الإسلام ونور الله قلبى للهدى فأسلمت وقلت :

كسرت ناجرَاً أَجْذاذاً وكان لنا ربّاً نُطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمى هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينُه منى على بالِ
يا راكبا بلغَنْ عمراً وإخوتها أنى لمن قال « ربي ناجر» قالي

قال العتبى : قوله بلغن عمراً ، يريد بنى الصامت ، واسمه عمرو بن غنم ابن مالك بن سعد بن نبهان بن الغوث بن طى . وقوله وإخوتها ، يريد بنى خطامة بن سعد بن نبهان بن الغوث بن طى . قال مازن : فقلت يارسول الله صلى الله عليك وسلم وآلك ادع الله تعالى لأهل عمان فقال « اللهم اهدهم وأثبهم » فقلت: زدنى يا رسول الله ، فقال: « اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم » قلت يارسول الله : البحر ينضح بجانبنا فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ، قال : « اللهم وسع عليهم في

ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم » قلت : زدنى فقال : « اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم قل يا مازن آمين فإن آمين يستجاب عنده الدعاء » قال: قلت آمين .

قال : قلت يارسول الله إنى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء ، وقد نفد أكثر مالى فى هذا وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويهب لى ولداً تقر به عينى ، ويأتينا بالحيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالعهر عفة الفرج ، وبالخمر ريًّا لا إثم فيه ، وآتهم بالحيا وهب له ولداً تقر به عينه » . قال مازن : فأذهب الله تعالى عنى ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب ، وحججت حججاً وحفظت شطر القرآن ، وتزوجت أربع عقائل من العرب ورزقت ولداً سميته حيان بن مازن . وأخصبت عمان فى تلك السنة ومابعدها ، وأقبل عليهم الخف والظلف ، وكثر صيد البحر ، وظهرت الأرباح فى التجارات ، وآمن عدد من أهل عمان ولمازن فى ذلك شعر حيث يقول :

إليك رسول الله خبّت مطيتى ... تجوب الفيافى من عمان إلى العرج[1]
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصى ... فيغفر لى ربى فأرجع بالفلج[2]
إلى معشر جانبت[3] فى الله دينهم ... فلا دينهم دينى ولا شرجهم شرجى[4]
وكنت امرءاً باللهو والخمر مولعاً ... شبابى إلى أن[5] أذن الجسم بالنهج

(١) موضع قرب المدينة . (٢) النصر .
(٣) خالفت . (٤) يقال ليس هو من شرجه أى من طبقته وشكله .
(٥) حتى أذن .

فبدلني بالخمر أمنا وخشـــية وبالعهر احصانا فحصّن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فلله ما صومى ولله ما حجى

قال : فلما كان فى العام القابل الذى وفدت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فقلت يا المبارك . ابن المباركين الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عمان ومنّ عليهم بدينك وقد أخصبت عمان خصباً هنياً ، وكثرت الأرباح والصيد بها ، فقال عليه السلام : « دينى دين الإسلام سيزيد الله أهل عمان خصباً وصيداً فطوبى لمن آمن بى ورآنى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ولم ير من رآنى وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاماً » .

ذكر سبب إسلام ملوك عمان

وسبب ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى ابروين ابن كسرى أنو شروان يدعوه إلى الإسلام ، فمزق كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : « اللهم مزق شمله كل ممزق » ، فلم يفلح كسرى بعد دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله ، ثم إن شيرويه كتب إلى باذان مرزبانه على عمان ، ويقال بل اسمه فستحان ، أن ابعث من قبلك رجلا عربياً فارسياً صدوقاً مأموناً وقد قرأ الكتب إلى الحجاز يأتيك بخبر هـذا الرجل العربى الذى يزعم أنه نبى - وعنى بقوله عربياً فارسياً أى قد تكلم بالعربية والفارسية ويعرفهما . فبعث باذان ويقال الفستحان رجلا من طاحية يقال له كعب بن برشة الطاحى ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ،

فقدم المدينة ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فرأى فيه الصفات التي يجدها في الكتب فعرف أنه نبي مرسل ، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم كعب ورجع إلى عمان ، فأتى باذان فأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي مرسل ، فقال باذان هذا أمر أريد أن أشافه فيه الملك . فاستخلف على أصحابه الذين بعمان رجلا من أصحابه يقال له مسكان . وخرج باذان إلى الملك كسرى بفارس . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل عمان ، وكان الملك في ذلك العهد بعمان الجلندى بن المستكبر ، وأرسل إليه يدعوه ومن معه إلى الإسلام فأجاب ، وأرسل إلى الفرس الذين بعمان ، وكانوا مجوسا ، يدعوهم إلى التدين بهذا الدين والإجابة إلى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبوا فأخرجهم الجلندى قهراً وصغراً من عمان .

وقال آخرون : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل عمان يدعوهم إلى الإسلام وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلندى ، وكان أبوهما قد مات في ذلك العصر ، فكان في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان : « فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله ، وأدوا الزكاة ، واعمروا المساجد ، وإلا غزوتكم » .

وعن الواقدي باسناد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزدي بعمان ، وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمي بكتابه إليهما ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر ، فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول

الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلى تطأ ساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما » . وكان الكاتب لهذا أبى بن كعب وهو عليه السلام المملى عليه ، وطوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك ، وكان نقش الخاتم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . قال : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى عبد وجيفر ابني الجلندى بعمان ، فكان أول موضع دخله من صحار (دستجرد) وهى مدينة بنتها العجم فى صحار فى مدادتهم لبنى الجلندى ، فنزل بها وقت الظهر ، وبعث إلى بنى الجلندى وهم بادية عمان ، فكان أول من لقيه عبد بن الجلندى ، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً ، فأوصل عَمْراً إلى أخيه جيفر بن الجلندى ، بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفعه إليه مختوماً ففض ختامه وقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه عبد فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت إلى عمرو فقال إن هذا الذى تدعو إليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير ، وأنا أعيد فكرى فيه وأعلمك ، وإنه استحضر جماعة الأزد ، وبعثوا إلى كعب بن برشة العودى فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : الرجل نبى ، وقد عرفت صفته وسيظهر على العرب والعجم . فأجاب إلى الإسلام وأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأدخلهم فى دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها فقبضها على الجهة التى أمره بها النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بعث الى دُبى وما يليها إلى آخر عمان ، فما ورد رسول جيفر على أحد

إلا وأسلم وأجاب دعوته ، إلا الفرس الذين كانوا فى ذلك العهد بعمان ، واجتمعت الأزد إلى جيفر بن الجلندى وقالوا : لايجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج مسكان ومن معه من الفرس . فدَعا جيفر بالمرازبة والأساورة ، فقال لهم إنه قد بعث منا فى العرب نبىء ، فاختاروا منا إحدى حالتين : إما أن تسلموا وتدخلو فيما دخلنا فيه ، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم فأبوا أن يسلموا ، وقالوا لسنا نخرج . فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالا شديداً ، وقتل مسكان وكثير من أصحابه وقواده ، ثم تحصن بقيتهم فى (دستجرد) فحاصروهم أشد الحصار ، فلما طال بهم ذلك طلبوا الصلح ، فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع ، ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم فى سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس فأجابوهم إلى ذلك . وخرجوا من عمان وفى ذلك يقول شاعر الأزد وهو ثابتُ (قُطْنَةُ) العتكى :

ألم تنبئك عن سكانها الدار	وعندها من بيان الحى أخبار
كأنهم يوم راحوا تاركين لها	من جهدهم بجناحى طائر طاروا
صادفت مسكان وسط النقع منجدلا	أثوابه بعد تاج الملك أطمار
ويل امه فارسا ما هو يعنبله	كأنما ناظراه فى الوغى نار
بقية من سراة الأزد يقدمهم	رئيس صدق إلى الروعات كرار
لا هم ضعاف ولا أزرى بهم خور	عند الطعان ولا عزل وأغمار
إذا أقول لهم والحرب ساطعة	والموت يكره سيروا نحوه ساروا
نحن العتيك مضاض الناس قد علموا	وفى القبائل آساد وأحرار
قوم نعز ولا ترجى ظلامتنا	ولا يكون اكالى بيننا الجار

من كان فيه من الأحياء مختلف　　فنحن لا عيب فينا لا ولا عار
والله يعلم والأقوام قد علموا　　أنا لنصر إذا ما معشر جاروا

وفى السيرة الحلبية : أن عمرو بن العاص قال خرجت حتى انتهيت إلى عمان ، فعمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا ، فقلت إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك ، فقال أخى المقدم علىّ بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ، ثم قال وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده ، وتخلع مَا عُبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال ياعمرو إنك ابن سيد قومك ، فكيف صنع أبوك ؟ يعنى العاصى بن وائل فإن لنا فيه قدوة ، قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لو كان آمن وصدق به ، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام ، قال فمتى تبعته قلت قريباً ، فسألنى أين كان إسلامى فقلت عند النجاشى ، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال فكيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال : والأساقفة ؟ أى رؤساء النصرانية والرهبان ـ قلت : نعم ، قال : انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة فى رجل أفضح له ـ أى أكثر فضيحة ـ من كذب ، قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى ، قلت له بلى : قال : بأى شىء علمت ذلك يا عمرو ؟ قلت كان النجاشى رضى الله عنه يخرج له خراجاً ، فلما أسلم النجاشى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قال : لا والله لو سألنى درهما واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله ، فقال له أخوه : أتدع عبدك لايخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ؟ فقال هرقل : رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ، ما أصنع به ؟

والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع . قال : انظر ما تقول يا عمرو ، قلت والله صدقتك ، قال عبد : فاخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم ، وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ! لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصدق به ، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً أي تابعاً . قلت انه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه : فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم . قال ان هذا لخلق حسن ، وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الأموال ، ولما ذكرت المواشي ، قال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه ؟ فقلت نعم ، فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا .

قال عمرو فمكثت أياماً بباب جيفر وقد أوصل إليه أخوه خبري ، ثم إنه دعاني فدخلت عليه ، فأخذ أعوانه بضبعي (أي عضدي) قال دعوه . فأرسلت . فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس ، فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك ، فدفعت إليه كتاباً مختوماً ففض ختامه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه ثم قال : ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت تبعوه ، إما راغب في الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في

ضلال مبين . فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه الخرجة . وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه ، تطؤك الخيل وتبيد خضراؤك (أى جماعتك) ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، قال دعنى يومى هذا وارجع إلى غداً ، فلما كان الغد أتيت إليه ، فأبى أن يأذن لى . فرجعت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه ، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب أن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله ههنا ، وإن بلغت خيله ألفت (أى وجدت) قتالا ليس كقتال من لاقى . قلت وأنا خارج غداً . فلما أيقن بمخرجى خلى به أخوه ، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه ، وصدقا وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوناً على من خالفنى .

ذكر رجوع عمرو بن العاص
من عمان إلى المدينة

بعد أن مكث فى عمان عاملا عليها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهلها له طائعون ولقوله سامعون ، إلى أن بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزم على الرجوع إلى المدينة . فصحبه عبد بن الجلندى وجعفر بن خشم العتكى وأبو صفرة سارف بن ظالم الأزدى فلما دخلوا على أبى بكر رضى الله عنه قام سارف بن ظالم فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا معاشر قريش ، هذه أمانة كانت فى أيدينا وفى ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئنا منها إليك ، فقال أبو بكر : جزاكم الله

خيراً وأثنى عليهم المسلمون خيراً . وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح ، فقالوا كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم . وقام عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله فى الأزد . وجاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام أبو بكر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى فصلى عليه وقال : معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعا لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ولا جَشَّمْتُمُوهُ ما جَشَّمَهُ غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فاجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم . فأى فضل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً إلى يوم المعاد . ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ورحل عنكم إذ رحل مسلماً . وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف فضلكم وقتم مقاماً حمدناكم فيه ومحضتم بالنصيحة وشاركتم بالنفس والمال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظنى فيكم ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم . جزاكم الله خيراً . ثم سكت .

وقيل أن عبداً لما قدم على أبى بكر استنهضه لمقاتلة آل جفنة[1] ،

---

(١) هم الغسانيون من عرب الشام .

فأجابه إلى ذلك ، فسرى سرية وأمره عليها . فخرج عبد على السرية حتى وافى ديار آل جفنة ، ولها حديث يطول ذكره ، وقد شهر مقام عبد وعرف مكانه . وكان فى السرية حسان بن ثابت الأنصارى ، فلما قدموا من ديار آل جفنة قام حسان وقال : قد شهر مقام عبد في الجاهلية والإسلام فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبيراً من عبد ، هو والله ممن وهب نفسه لله فى يوم غارت صباحُه وأُظلم صبَاحه . فسر ذلك أبا بكر وقال : هو يا أبا الوليد كما ذكرت والقول يقصر عن وصفه والوصف يقصر عن فضله . فبلغ ذلك عبداً فبعث إليه بمال عظيم ، وأرسل إليه أن مالى يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر واقبل ما تيسر . ثم أن أبا بكر كتب كتاباً إلى أهل عمان يشكرهم ويثنى عليهم .

وفى تاريخ الخميس : كان عمرو بن العاص عاملا للنبى صلى الله عليه وسلم على عمان ، فجاءه يوما يهودى من يهود عمان فقال : أرأيتك إن سألتك عن شيء أأخشى علىّ منك ؟ قال لا ، قال اليهودى : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ، قال : اللهم رسول الله . قال اليهودى آلله أنك لتعلم أنه رسول الله ؟ قال عمرو : اللهم نعم . فقال اليهودى : لئن كان حقا ما نقول لقد مات اليوم . فلما رأى عمرو ذلك ، جمع أصحابه وحواشيه ، وكتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى فيه ما قال ، ثم خرج بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم فجاءته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجره ووجد ذكر ذلك عند المنذر بن ساوى فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة فأخذ منهم خفراء حتى جاء أرض بنى عامر فنزل على قرة بن هبيرة القشيرى ، ويقال خرج قرة مع عمرو فى مائة من قومه خفراء له ، وأقبل

عمرو بن العاص يلقى الناس مرتدين حتى أتى ذى القصة فلقيه عيينة بن حصن خارجا من المدينة ، وذلك حين قدم على أبى بكر يقول : إن جعلت لنا شيئاً كفيناك ما وراءنا . فقال له عمرو بن العاص : ما وراءك يا عيينة من ولى الناس أمورهم ؟ قال أبو بكر ، فقال عمرو : الله أكبر ، قال عيينة : ياعمرو استوينا نحن وأنتم ، فقال عمرو كذبت يا ابن الأخابث من مضر . وسار عيينة فجعل يقول لمن لقيه من الناس احبسوا عليكم أموالكم ، قالوا فأنت ما تصنع ؟ قال لا يدفع إليه رجل من فزارة عناقا واحدة . ولحق عند ذلك بطليحة الأسدى فكان معه . ولما فرغ خالد من بيعة بنى عامر ، أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيرى ، وبعث بهما إلى أبى بكر الصديق . قال ابن عباس فقدم بهما إلى المدينة فى وثاق فنظرت إلى عيينة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ويضربونه ويقولون أى عدو الله . أكفرت بالله بعد إيمانك .. ! فيقول والله ما كنت آمنت بالله . فلم يعاقب أبو بكر قرة وعفا عنه وكتب له أمانا ، وكتب لعيينة أمانا وقبل منه .

وفى كامل ابن الأثير قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعمان ، فأقبل حتى انتهى إلى البحرين فوجد المنذر بن ساوى فى الموت ، ثم خرج عنه إلى بلاد بنى عامر ، فنزل بقرة بن هبيرة ، وقرة يقدم رجلا ويؤخر أخرى ومعه عسكر من بنى عامر فذبح له وأكرم مثواه ، فلما أراد الرحلة خلا به قرة وقال ياهذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، فإن عفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم . فقال له عمرو : أكفرت يا قرة ؟ تخوفنا بالعرب !

فوالله لأوطئن عليك الخيل فى حفش أمك وأحفاش بيت ينفرد فيه النساء . وقدم على المسلمين بالمدينة فأخبرهم ، فطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى المدينة . فتفرقوا وتحلقوا حلقا ، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو ، فمر على حلقة فيها على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال : فيمَ أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال لهم إنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب ، قالوا : صدقت . قال : فلا تخافوهم ، أنا والله منكم على العرب أخوف منى من العرب عليكم ، والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب فى آثاركم ، فاتقوا الله فيهم . ومضى عمر فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبى بكر أسيراً استشهد بعمرو على إسلامه ، فأحضر أبو بكر عمرا فسأله فأخبره بقول قرة إلى أن وصلا إلى ذكر الزكاة ، فقال قرة مهلا يا عمرو ، فقال : كلا والله لأخبرنه بجميعه فعفا عنه أبو بكر وقبل إسلامه .

وذكر ابن الأثير فى كامله أيضا فى قدوم عمرو على معاوية بعد قتل عثمان قال : وكان قد علم الذى يكون فعمل عليه لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه إلى عمان فسمع من خبر هناك شيئاً عرف مصداقه ، فسأله عن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومن يكون بعده ، فأخبره بأبى بكر وأن مدته قصيرة ، ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملأ قال ذلك أشر ، ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه، ثم يلى بعده أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه ، وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت .

باب عمال عمان

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر فى بعض السير العمانية أن أبا بكر رضى الله عنه أقر جيفراً وأخاه عبداً على ملكهما ، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها إليه ، قال : ولم يزالا فى عمان متقدمين إلى أن ماتا ثم خلف من بعدهما عباد بن عبد الجلندانى فى زمن عثمان وعلى . فلما وقعت الفتنة وصار الملك إلى معاوية لم يكن لمعاوية سلطان فى عمان . حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق ، وكان ذلك فى زمن سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد ابن الجلندى وهما القيمان فى عمان ، فكان الحجاج يغزوهما بجيوش عظيمة وهما يفضان جموعه ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة ، على حسب ما سيأتى ذكره فى محله إن شاء الله تعالى .

وفى أسد الغابة لابن الأثير : أن أبا بكر استعمل عكرمة على عمان ثم عزله وسيره إلى اليمن ، واستعمل على عمان حذيفة القلمانى ، فلم يزل واليا عليها إلى أن توفى أبو بكر .

وضبط القلمانى فى نسخة أبى عمر بالقاف واللام والدين ، قال ابن الأثير : وأنا أشك فيه . قال وذكره الطبرى فقال : حذيفة بن الحصين الغلفانى بالغين المعجمة واللام والفاء . قال وله فى قتال الفرس آثار كثيرة واستعمله عمر على اليمامة ، واستعمل على عمان والبحرين عثمان بن أبى العاصى الثقفى فى سنة خمس عشرة ، فسار إلى عمان ووجه أخاه الحكم إلى البحرين ، وسار هو إلى توج فافتتحها ومصرها وقتل ملكها شهرك سنة إحدى وعشرين وكان يغزو سنوات فى خلافة عمر وعثمان ، يغزو

صيفا ويشتو بتوج ثم سكن البصرة .

وذكر العتبي في الأنساب : أن عمر بن الخطاب استعمل على عمان عثمان ابن أبي العاصي الثقفي ، سنة خمس عشرة ، فسار إلى عمان ، فكان فيها حتى كتب إليه عمر بعد وقعة جلولاء أن يقطع البحر إلى ابن كسرى بفارس . فلما أتاه كتاب عمر يأمره بذلك قال ابغوني رجلا أشاوره ، قالوا أبا صفرة ، فدعاه ، فقال ما اسمك ؟ قال : ظالم بن سراق ، قال اسمان من أسماء الجاهلية ، فكره الاسمين فلم يشاوره . وندب عثمان الناس فانتدبت إليه ثلاثة آلاف ، ويقال ألفان وستمائة من الأزد ، وراسب ، وناجية ، وعبد القيس وأكثرهم من الأزد . قال وكان رأس شنوءة صبرة بن سليمان الحداني ، ورأس بني مالك منهم يزيد بن جعفر الجهضمي ، ورأس عمران أبو صفرة ومعه جماعة ، فعبر بهم عثمان بن أبي العاصي من جلفار إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم فسالم عثمان ولم يقاتله ، فكتب يزدجرد إلى عظيم كرمان أن اقطع إلى جزيرة بني كاوان فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم . فقطع في ثلاثة آلاف أو أربعة من هرموز إلى رأس القسم فلقيه عثمان بن أبي العاصي في جزيرة القسم (واسمها جاش فعربوها) فتقاتلوا قتالا شديداً فقتل الله شهرك وهزم المشركين . وقيل إن يزدجرد وجه إليهم شهرك في أربعين ألفا من الأساورة وقد انتخبهم وقواهم، فالتقوا بشهرك واقتتلوا قتالا شديداً وقتل شهرك وانهزم المشركون ، وكانت العرب تدعو شهرك ابن الحمراء ، وكان الذى قتل شهرك جابر بن حديد اليحمدى ، ويقال اشترك في قتل شهرك جماعة منهم أبو صفرة وباب بن ذى الحرة الحميرى ، وكان باب فيما يزعمون هو الذى طعن شهرك

فأرداه وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

باب بن ذى الحرة أردى شهركا والخيل تجتاب العجاج الأرمكا

فلما ظفر أهل عمان بشهرك ساروا حتى قدموا العراق فنزلوا توج ، وذلك بعد افتتاح الكوفة والمدائن بيسير ، فيزعمون أن أهل البصرة كانوا قد حسدوهم منزلتهم وكان قدومهم البصرة حين أمر عمر بن الخطاب أن تمصر البصرة ، وأمر أن يضرب بموضع البصرة خططا لمن هناك من العرب ويجعل فى كل قبيلة محلة ، وأمرهم أن يبنوا لأنفسهم المنازل .

وكان أول من قدم البصرة من أهل عمان ثمانية عشر رجلا منهم كعب بن سور من بنى لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم ، وفد إلى عمر ابن الخطاب من توج فاستقضاه عمر على البصرة ثم إن جماعة الأزد الذين قدموا من عمان مع ظالم بن سراق وكانوا جند عثمان بن أبى العاصى ضمهم عبد الله بن عامر إليه وهو عامل عثمان بن عفان على البصرة والله أعلم .

ذكر وقعة دبا

بفتح الدال المهملة وفتح الباء الموحدة المخففة ، موضع فى الجانب الغربى من عمان على ساحل البحر الشمالى ، وكان ذلك فى آخر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وذلك أن أبا بكر الصديق وجه حذيفة ابن محصن الغلفانى وهو من بارق حليف للأنصار ، وكان له بصر (وليس هو بحذيفة بن اليمان) فوجهه أبو بكر إلى عمان أميراً فصدقهم ، فلما صار فى ولد الحارث بن مالك بن فهم ليصدقهم ، تناول بعض أصحابه امرأة من العفاة وكان عليها فريضة شاة مسنة فأعطتهم عتوداً أو عناقاً مكان الشاة

المسنة فأبوا أن يقبلوها فأخذوا ما أرادوا فنادت يا آل مالك ... فقال حذيفة دعوة جاهلية وخاف أن يكون القوم قد ارتدوا فأغار عليهم فأخذ ناساً منهم وهم قليل فمضى بهم إلى المدينة . واتبعهم سبيعة بن عراك الصيلمي والمعلى بن سعد الحمامى والحارث بن كلثوم الحديدى فى أصحابهم ، فوفدوا إلى أبى بكر فقالوا : يا خليفة رسول الله إنا على إسلامنا لم ننتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم ننزع يداً من طاعة ولم نرجع عن دين وقد عجل علينا صاحبك وكففنا أيدينا إلى أن أتيناك فقال : أصنع بكم ما صنعت بالعرب إن شئتم خليت المال وأخذت السبي ، فمادوا السبي فقالوا على كل أسير أربعمائة وخمسون درهما — كذا ذكر العتبي في الأنساب — قال : ويقال إن سبيعة بن عراك خرج إلى أبى بكر الصديق فى سبى دبا الذين أخذهم حذيفة بن محصن الغلفانى ، وكان سبيعة زعيم القوم والملا بن سعد الحمامى — وكان اسم معلا ثعلبة فسماه عمر بن الخطاب الملا — فقدموا المدينة وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله وقام بأمر الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلماه فى سبى أهل دبا ، وقال الملا بن سعد الحمامى : يا أمير المؤمنين إن حذيفة بن محصن تمدى طوره وعظم فى الناس حدثه ولولا مراقبة أمير المؤمنين لكان شكامه متانا جزاء له عن غيره ، واعظا لغيره ، ولكن حملنا على مخافة نكاله فنرادف العثرة وسكنت الحرة ، ولم نكد ، فقال عمر : يا معلى إن فى الحق سعة ، وكف غربك أولى بك ؛ إن الإسلام سوى بين الناس فرفع الوضيع ورفع[1] الشريف وأعطى كل امرىء

---

(١) لعله ووضع الشريف . أى إذا منع الحق أو اعتدى وفى الكلام تحريف .

قسطه من خيره وشره . ثم أمر عمر برد السبي . فذلك حيث يقول كعب ابن معدان الأشقرى يفخر على يزيد بن حسان الأيادى :

في زمان سبيعة بن عراك والمهلا إذ يبنيان الفعالا

حين ردا سباء أهل عمان أكثر الحل فيه والترحالا

(وفيه يقول أيضا)

وما ولد المحاصن كالمهلى أخى النجدات ثعلبة بن سعد

وقال الشيخ خلف بن زياد البحرانى فى سيرته : بلغنا أن أبا بكر بعث إلى أهل عمان مصدقا يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله، فأعطوه الصدقة جميعا لم يمنعها أحد منهم ، غير أن امرأة من أهل دبا شاجرت بعض المصدقين فزعمت أنه قد استوفى جميع حقه وزعم أنه بقى عليها بقية منه فتنازعا فى ذلك فقرعها قرعة فاستغاثت ببعض أهلها فأغاثها فأقبل ومن معه إلى الذى قرعها ومن معه من المصدقين فتواقعوا ، وتنادوا عند ذلك يا آل بنى فلان حين رأوا أن القبائل قد نشت بينهم . قال : وكانت دعوة جاهلية قد كان يقال إن من دعا بها حل دمه حين يدعو بها أو يتوب ، فاقتتلوا ما شاء الله وظهر المصدقون عليهم فجاء حذيفة الغلفانى وكان ولى ذلك فسبا أهل دبا وفيهم ذرية من لم يقاتلهم من النساء والولدان وذرية من كان قد غاب أو كان قد مات وهو مسلم ونساؤه ، فى غير إنكار منهم بشىء من التنزيل ولا امتناع منهم بما قبلهم من الحق . قال فلم يبق أحد من أهل دبا قدر عليه إلا سباه . فوافق بذلك عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وكان أول مبعثهم فى حياة أبى بكر رحمة الله عليه ،

فقال له عمر حين انتهى إليه وحلف له بالله أن لو أعلمك تسبيهم بدين دونى تقطع فيهم علىّ لقطعتك طوائف ثم بعثت إلى كل مصر منك بطائفة قال ثم نقض أمر أهل دبا وردهم إلى منازلهم بأموالهم إلا من استخفى بشىء منهم خيانة . قال وأجاز المسلمين بما أصيب منهم وأصابهم من البلى بثلاثمائة ثلاثمائة ، وأخرج ذلك لهم من مال الله .

هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية وهم أعرف بحالهم وبما عليه أوائلهم . ولا يصح ما ذكره ابن الأثير فى كامله حيث قال : وأما عمان فإنه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى وكان يسمى فى الجاهلية الجلندى . قال وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عمان مرتدا . قال والتجأ جيفر وعباد إلى الجبال وبعث جيفر إلى أبى بكر يخبره ويستمده عليه . قال وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفانى من حمير ، وعرفجة البارقى من الأزد ، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه فى وجهه فإذا قربا من عمان يكاتبان جيفرا ، فسارا إلى عمان . وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبى جهل وكان بعثه إلى اليمامة فأصيب فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن ، فلحقهما عكرمة قبل عمان ، فلما وصلوا رجاما — وهى قريب من عمان — كاتبوا جيفرا وعبادا وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا ، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصحار ، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما ، وكاتبوا رؤساء من عند لقيط وارفضوا عنه ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالا شديدا واستعلى

لقيط ، ورأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر . قال فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم ، فقوى الله المسلمين فولى المشركون الأدبار . قال فقتل منهم فى المعركة عشرة آلاف وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذرارى وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبى بكر مع عرفجة ، وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس . قال : وأما مهرة ، فإن عكرمة بن أبى جهل سار إليهم لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد ، فاقتحم عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة أحدهما مع سخريت — رجل منهم — والثانى مع المصبح — أحد بنى محارب ومعظم الناس معه — وكانا مختلفين فكاتب عكرمة سخريتاً فأجابه وأسلم ، وكاتب لمصبح يدعوه فلم يجب ، فقاتله قتالا شديداً فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شاءوا منهم وأصابوا ما شاءوا من الغنائم وبعث الأخماس إلى أبى بكر مع سخريت وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع . وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذى يحب وبايعوا على الإسلام . انتهى كلام ابن الأثير وكله باطل لا أصل له . والله أعلم .

باب خروج الحجاج بن يوسف لعمان

تقدم أن أمر عمان صار بيد أهلها بعد افتراق الصحابة ، وأنه لم يكن لمعاوية ولا لمن بعده سلطان فى عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق ، وكان ذلك فى زمن سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى وهما القيمان فى عمان ، فكان الحجاج يغزوهما بجيوش عظيمة وهما يفضان جوعه ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة وكانا كلما أخرج إليهما جيشاً هزماه واستوليا على سواده ، إلى أن أخرج إليهما القاسم بن شعوة المزنى فى جمع كثير وخميس جرار ، فخرج القاسم بجيشه حتى انتهى إلى عمان فى سفن كثيرة ، فأرسى سفنه فى قرية من قرى عمان يقال لها حطاط ؛ فسار إليه سليمان بن عباد فى الأزد فاقتتلوا قتالا شديداً فكانت الهزيمة على أصحاب الحجاج وقتل القاسم وكثير من أصحابه وقواده واستولى سليمان على سوادهم ، فبلغ ذلك الحجاج فأصابه أمر هائل ، ثم استدعى بمجاعة بن شعوة أخى القاسم وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم وينادى فى قبائل نزار حيث كانوا ويستعينهم ويستنجدهم . وأظهر الحجاج من نفسه غضبا وحمية وأنفة ، وكتب بذلك إلى عبد الملك بن مروان وأقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد ، فقيل إن العساكر التى جمعها الحجاج وأخرجها إلى عمان كانت أربعين ألفا ، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفا ، ومن جانب

البر عشرين ألفا ، فانتهى القوم الذين خرجوا من البر ، فسار سليمان بسائر فرسان الأزد وكانوا ثلاثة آلاف فارس وأصحاب النجائب ثلاثة آلاف وخمسمائة فالتقى بهم عند الماء الذى دون البلقمة بخمس مراحل ، وقيل بثلاث مراحل — وهو الماء الذى بقرب قرية بوشر ، يقال له اليوم البلقمين — فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم أصحاب الحجاج . فأمعن سليمان فى طلبهم وهو لا يعلم بشىء من عسكر البحر حتى انتهى عسكر البحر باليوتانة من جلفار ، فلقيهم رجل فأعلمهم بخروج سليمان بسائر العسكر للقاء القوم الذين اقتتلوا من جانب البر ، وأن الباقين مع أخيه شرذمة قليلة . فواصل مجاعة سير الليل بالنهار حتى وصل بركا فنزل إليهم سعيد وقاتلهم قتالا شديداً حتى حجز بينهم الليل . وتأمل سعيد عسكره ، فإذا هم فى عسكر مجاعة كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ... قد قتل منهم من قتل ... فاعتزل من ليلته وعمد إلى ذرارى أخيه وذراريه ، فاعتزل بهم إلى الجبل الأخضر — وهو جبل بنى ريام — ويقال له رضوا بضم الراء ، قيل سمى بذلك ، باسم نبى دفن فيه — ولحقه القوم ، فلم يزالوا محصورين حتى وافَىٰ سليمان ، وكان مجاعة أرسى سفنه فى البحر فى بندر مسقط ، وكانت ثلثمائة سفينة ، فمضى إليها سليمان فأخرق منها نيفاً وخمسين سفينة وانفلت الباقون فى لجج البحر ، ثم مضى يريد عسكر مجاعة . فتصور لمجاعة أنه لا طاقة له بسليمان فخرج يريد البحر فالتقى هو وسليمان بقرية سمائل ، ووقعت بينهم صكة عظيمة ، فانهزم مجاعة ولحق بسفنه فركبها ومضى إلى جلفار ، وكاتب الحجاج ، فأخرج له فى طريق البر عبد الرحمن بن سليمان فى خمسة

آلاف عنان من بادية الشام ، وكان فيهم رجل من الأزد ، ولا يعلمون به أنه من الأزد ، فهرب فى الليل حتى نزل على سليمان وسعيد فأعلمهما بذلك ، فاستشعر العجز ، فحملا ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج ، حتى ماتا هناك . ودخل مجاعة وعبد الرحمن بالعسكر إلى عمان ففعلا فيها غير الجميل ، ونهباها . نعوذ بالله من ذلك .

باب فى عمال الحجاج
ومن بعده على عمان

بعد أن ظهروا على أهلها ، وخرج منها سليمان وسعيد إلى أرض الزنج ، استعمل الحجاج عليها الخيار بن سبرة المجاشعى ، فلما مات عبد الملك ، وملك بعده ابنه الوليد ومات الحجاج ، استعمل الوليد على العراق يزيد بن أبى مسلم ، فبعث يزيد سيف بن الهانى الهمدانى ، عاملا على عمان ، فلما مات الوليد بن عبد الملك ، وولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، عزل العمال الذين كانوا على عمان ، فاستعمل عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثى ، ثم إنه رأى أن يكون عمال عمان على ما كانوا عليه فردهم ، وجعل صالح بن عبد الرحمن مشرفاً عليهم . ثم ولى يزيد بن المهلب العراق وخراسان ، فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عمان ، فلم يزل عاملا عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك . وولى عمر بن عبد العزيز ، فاستعمل عدى بن أرطاة الفزارى على العراق ، واستعمل عدى على عمان عمالا فأساءوا السيرة فيها ، فكتبوا إلى عمر بن عبد العزيز ، فاستعمل عليهم عمر بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن السيرة فيهم ، فلم يزل والياً على عمان مكرماً بين أهلها يستوفى الصدقات منهم بطيبة أنفسهم ، حتى مات عمر ابن عبد العزيز . فقال عمر بن عبد الله لزياد بن المهلب هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها ، وخرج عمر بن عبد الله من عمان . وقام زياد بن المهلب فى عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح . وصار ملك بنى أمية إليه .

وولى أبا جعفر المنصور على العراق ، فاستعمل أبو جعفر على عمان جناح ابن عباد بن قيس بن عمرو الهنائى — وهو أخو عقبة ابن أسلم الهنائى لأمه — فقدم إلى عمان عاملا عليها ، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح ، وهو بصحار ، ثم عزله المنصور وولى ابنه محمد بن جناح ، فداهن المسلمين حتى صارت ولاية عمان لهم ، فمند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى ابن مسعود ، فكان سبباً لقوة الإسلام على حسب ما سيأتى ذكره .

والله أعلم

باب فى عقيدة أهل عمان

وإنما احتجنا إلى ذكرها ليعلم الواقف عليها أنهم على السبيل الأول، لم يبدلوا ولم يغيروا، وإنما كان التغيير والتبديل فى سواهم من أهل الافتراق فى الدين، وأهل الشك والعمى. وأهل عمان هم أهل الطريق القويم، وأهل الصراط المستقيم، الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ودعا العرب والعجم إليه، وجاهدهم عليه، حتى دخلوا فيه رغباً ورهباً، وعليه لقى ربه، صلى الله عليه وسلم، وعليه مضى الخليفتان الرضيان المرضيان حتى لقيا ربهما. وعليه مضي عثمان بن عفان فى صدر خلافته حتى غير وبدل فقاموا عليه وعاتبوه فتوبوه. فرجع إلى تغييره، ثم عاتبوه فتوبوه، ثم عاد إلى تغييره واعذروا إلى الله فيه حتى عذروا بين الخاص والعام، وطلبوا الاعتزال عن أمرهم فأبى فاجتمعوا عليه وحاصروه حتى قتل فى داره، ثم اجتمعوا على علىّ بن أبى طالب فقدموه وبايعوه على القيام بأمر الله ومضى على ذلك ما شاء الله من الزمان، وقاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله المتسترين عند العوام بطلب دم عثمان، حتى قتل منهم ألوفا وهزم صفوفا، ثم رجع القهقرى، وحكم الرجال على حكم أمضاه الله ليس لأحد أن يحكم فيه برأيه[1] فعاتبوه فلم يعتبهم وخاصموه فخصموه — فكانت لهم الحجة عليه،

---

(١) لعل مسألة التحكيم من أهم المسائل التى لعبت بها أيدى الهوى وشوهت حقيقتها تبريراً للطعن فى المحكمة زوراً وجوراً، وذلك أن الذين أنكروا التحكيم بقولهم لا حكم إلا لله لا يعنون غير مسألة قتال الفئة الباغية، لأن الله لم يجعل حكمها =

فهم أن يرجع إليهم ويترك ما صالح عليه البغاة من التحكيم فى حكم الله ، فقامت عليه رؤساء قومه فأطاعهم ، وعصى المسلمين فاعتزلوه بعد أن خلع نفسه بتحكيم الرجال فى إمامتـه وهو يظن أن الأمر باق فى يده وهيهات . . . فقد أعطى العهود والمواثيق على قبول حكم الرجلين ، فصارت الإمامة يلعب بها الحكمان إن قدموه أو عزلوه ، فاعتزله المسلمون عند ذلك وقدموا على أنفسهم إماماً وهو عبد الله بن وهب الراسبى ، فسار إليهم علىّ فقاتلهم بالنهروان حتى قتل جماعتهم الذين هنالك ، وهم قدر أربعة آلاف رجل لم ينج منهم إلا اليسير وهم يرون أن الموت هو النجاة ، وهو الرواح إلى الجنة ، فبقى من بقي منهم فى الأمصار والنواحى ، وهم خلق كثير فبقوا متمسكين بما وجدوا عليه أسلافهم ، عاضين على وصية النبي صلى الله عليه وسلم فى اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشـدين من بعده ، فنصبوا على ذلك الأئمة وأذهبوا فى رضا الله الأنفس ، وفارقوا

= لعباده بل بينه هو تعالى ، وقد ثبت أن الذين حملوا السلاح فى وجه إمام المسلمين فئة باغية ، وزال الريب عمن بقى فيه بعد قتل عمار بن ياسر لقوله عليه السلام له « ستقتلك الفئة الباغية » ولم يرد أحد من الصحابة هذا الحديث يومئذ فثبت إذن أن الناصبين لعلى فى صفين باغون . بحكم الكتاب والسنة ، والتحكيم فيما كان كذلك لا يجوز ، فقال المنكرون له لا حكم إلا لله ، أى فيما حكم فيه الكتاب والسنة . ولكن المكابرين أبوا إلا أن يصرفوا الحقيقة عن ظاهرها ، فحملوا هذه الجملة على العموم والواقع يناقضه ، وزعموا أن المحكمة أرادوا إبطال الخلافة بقولهم لا حكم إلا لله مع أن المحكمة نصبوا الأئمة فى كل قطر حلوا فيه ، وجرى معهم فى إنكار التحكيم مثل الحسن البصرى ومالك بن أنس المدنى كما ذكره المبرد فى الكامل ، فنعوذ بالله من تسفيه الحق . واستيفاء البحث فى هذا فى تاريخنا .

فى حبه نسائهم وأبنائهم ومساكن يرضونها حتى أقاموا شعار الإسلام ، وظهر الدين بين الخاص والعام فى أقطار من الأرض ، فأظهروا للناس معالم الإسلام ، وذكروهم بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام . فأمرنا تبع لأئمة المسلمين قبل نزول الفتنة ، ورأينا اليوم تبع لرأيهم وتأويلنا القرآن تبع لتأويلهم ، لسنا ممن يزعم أنه أفاد اليوم علماً فى القرآن والسُّنة حتى غلبهم ، ونرى حق الوالدين وحق ذى القربى وحق اليتامى وحق المساكين وحق أبناء السبيل وحق الصاحب وحق الجار وحق ماملكت أيماننا أبراراً كانوا أو فجاراً ، ونؤدى الأمانةَ إلى من استأمننا عليها من قومنا أو غيرهم ، ونوفى بعهود قومنا وأهل الذمة وغيرهم ، ونجير من استجارنا من قومنا وغيرهم ، ويأمن عندنا منهم الكاف عن القتال المعتزل بنفسه من غير أن نشك فى ضلالته ، وندعو إلى كتاب الله ومعرفة الحق وموالاة أهله ومفارقة الباطل ومعاداة أهله ، فمن عرف منهم الحق وأقر به وتولانا عليه توليناه وحرمنا دمه ، ومن أنكر حق الله منهم واستحب العمى على الهدى وفارق المسلمين وعاندهم فارقناه وقاتلناه حتى يفيء إلى أمر الله أو يهلك على ضلالته ، من غير أن ننزلهم منازل عبدة الأوثان فلا نستحل سباهم ولا قتل ذراريهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم[1] . ولا نرى الفتك بقومنا ولا قتلهم فى السر وإن كانوا

---

(١) هذا رد لقول الخوارج الصفرية والأزارقة والنجدية المانعين لموارثة ومناكحة مخالفيهم . وكذلك ما يأتى بعد من أمر الفتك فهو رد لما ذهبوا إليه من جواز الفتك بمن يخالفهم واغتياله كما أجازوا قذفه بالزنا والله أعلم .

ضلالا ، لأن الله لم يأمر به فى كتابه ، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة ؟ وقد أمر الله نبيه أن ينبذ إلى من خاف منه خيانة فقال : « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » . ونرى أن مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا ، لأن المسلمين قد كانوا يناكحون المنافقين ويوارثونهم ويظهر من المنافقين من المعاصى أكثر مما يظهر اليوم من كثير قومنا ، ولا نرى أن نقذف أحداً ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافا للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه برىء من الزنا من قومهم وهم بذلك مضلون ، ونبرأ ممن زعم أن الزنا فى دينه حلال ، ولا نرى استعراض قومنا بالسيف ماداموا يستقبلون القبلة ، ولا نرى قتل الصغير من أهل قبلتنا ولا غيرهم[1] . ولا نستحل فرج امرأة رجل نزوجها بكتاب الله وسنة نبيه حتى يطلقها زوجها أو يتوفى عنها ، ثم تعتد عدة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها ، ولا نرى انتحال الهجرة من دار قومنا لهجرة النبي وأصحابه من دار قومه ، ولكن يخرج من خرج منا مجاهداً فى سبيل الله على طاعته ، فان رجع إلى دار قومه توليناه إذا كان قائما بحق الله فى نفسه وماله ، ولا نرى الولاية إلا لمن علمنا منه الوفاء بما وجب عليه من دين الله ، ونبرأ من المصرين على المعاصى من أهل دعوتنا وغيرهم حتى يراجعوا التوبة ويتركوا الإصرار ،

---

(١) لأن حكم الأطفال أنهم من أهل الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم : « سألت الله فى اللاهين فأعطانيهم خدما لأهل الجنة » وهذا رد لقول الخوارج أن الأطفال تبع لآبائهم مستدلين على زعمهم بقوله تعالى فى قوم نوح : « ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا » حملا للآية على قاعدتهم .

ولا نرى للنفر من المسلمين أن يبايعوا إمامهم إلا على الجهاد فى سبيل الله والطاعة فى المعروف حتى يهلكوا على ذلك أو يظهروا على عدوهم ، ونتولى مجاهدنا وقاعدنا ، ويعرف قاعدنا لمجاهدنا الفضيلة التى خصه الله بها ، ونتولى من لم ندرك من المسلمين ولم نره منهم بشهادة المسلمين ، ونبرأ ممن لم ندرك من أئمة الظلم وممن لم نره منهم ومن أوليائهم بشهادة المسلمين ، ونرضى من ملوك قومنا أن يتقوا الله ولا يتبعوا أهواءهم ولا يجحدوا سُنة ، ولا يصروا على ذنب بعد معرفة ، وأن يضعوا الصدقة والفىء حيث أمرهم الله . ونرضى من السبابة[١] وهم الشيعة ، أن يتقوا الله ، ولا يفارقوا من لم يُحَكِّم إلا الله فى أمر قد حكم الله فيه ، ولا يتولوا من ترك حكم الله رغبة عنه وحكّم غير الله . ونرضى من الخوارج أن يتقوا الله ولا يغشموا فى دينهم ، ولا يرغبوا عن سبيل من هُدى الله قبلهم ، ولا يتولوا قوما ويخالفوا أعمالهم ، وأن لا يفارقوا من سار بسيرة قوم يتولونهم . ونرضى من المرجئة أن يتقوا الله ربهم وأن يؤمنوا للمؤمنين فى ولاية من لم يدركوا من المسلمين ، والبراءة ممن لم يدركوا من أئمة الظلم فيتولوا بشهادتهم كشهادة من يشهدون اليوم عليهم بالضلالة ، وأن لا يسموا الحكام بغير ما أنزل الله من أسمائهم . ونرضى من الفتنة أن يتقوا الله وأن يقروا بحكم القرآن ويوقنوا بوعده ، وأن يستحلوا من

---

(١) سموا سبابة لأنهم يسبون الصحابة الذين نقموا منهم كأبى بكر وعمر وعائشة ومعاوية وغيرهم وكأنهم اتخذوا سبهم جزءاً من عقائدهم تصح به وتفسد بدونه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أهل البغى والعداء والظلم ما أحل الله من فراقهم وقتالهم حتى يتوبوا ونرضى من البدعية أن يتقوا الله ربهم وأن يعملوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولوا على العمل بها وإن ضعفوا عنها . ونرضى من سائر قومنا أن يتقوا الله ربهم ولا يجعلوا حكمه تبعاً لحكم قومهم ، وأن لا يتمسكوا بطاعة قوم يعصون الله ، فإن الله لم يأذن لأحد أن يعطى عهده من يعصى أمره . ندعو أن يطاع الله فيحل حلاله ويحرم حرامه ، ويحكم بما أنزل الله فى كتابه ، وأن تتبع سنة نبيه وسنة الصالحين من عباد الله ، ليس من رأينا بحمد الله الغلو فى ديننا ولا الغشم فى أمرنا ولا التعدى على من فارقنا ، حكمنا اليوم فيمن ترك قبلتنا ووجه غيرها حكم نبينا فيمن ترك قبلته ، وحكم المسلمين من بعده فيمن وجه غير قبلتهم . وحلالنا فى دار قومنا حلالنا إذا خرجنا ، وحرامنا إذا خرجنا حرامنا فى دار قومنا ؛ نعلم بحمد الله أنه لا يحرم على الخارج منا شىء هو على القاعد حلال ، ولا يحل للقاعد منا شىء هو على الخارج حرام ، الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، والسنة طريقنا ، وبيت الله الحرام قبلتنا ، والإسلام ديننا ، وهو من الإيمان ، والإيمان من الإسلام ، والتقوى من الإيمان ، والبر والوفاء من الإيمان ، بعض ذلك من بعض على استكمال الإيمان بما فيه ، وإقامة حدوده والعمل بحقوقه ، ولا يثبت الإيمان بانتقاص فرائض الله ، ولا بالمقام على حرام الله ؛ والإيمان هو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ، وأن ما جاء به حق ، والإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والجنة والنار ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، والأمر بالمعروف وإتيانه ،

والنهى عن المنكر واجتنابه ، وإقامة الصلاة بمواقيتها فى الليل والنهار ، وحضورها فى الجماعة ، ولا يؤمّن فيها ولا يقنت ولا يَقْتَصَرُ على المسح فى الخفين عند الطهر لها[1] ، والقصر لها فى السفر دون الحضر ، والجمعة فى الأمصار الممصرة مطلقاً إذا أقيمت ، وعند أئمة العدل فى غير الأمصار الممصرة . إلى آخر خصال الإيمان المذكورة فى محالها . فالحمد لله الذى وفقنا لهذا وهدانا له « وَمَا كُناَّ لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ . لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ » . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين ينادون « أَنْ تِلْـكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

ذكر من أخذ عنه أهل عمان دينهم الصحيح

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الثقات الفضلاء من العمانيين وغيرهم ، أخذوا ذلك عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر وعبد الله ابن مسعود وأبى ذر وسلمان وصهيب وبلال وأبىّ بن كعب وزيد بن صوحان المقتول شهيداً يوم الجمل وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ومحمد وعبد الله ابنى بديل وحرقوص بن زهير السعدى وزيد بن حصن الطائى ، هؤلاء الذين ذكرهم أبو المؤثر فى سيرته ، ولأصحابنا فى آثارهم أخذ كثير عن غيرهم ، لكن قال أبو المؤثر بعد هذا كلاماً مجملا معناه : أنهم أخذوا

---

(١) قوله ولا يؤمن الخ وذلك أن التأمين لم يثبت عند أصحابنا والقنوت لم يصح أو منسوخ وكذا المسح على الخفين منسوخ بآية الوضوء .

أيضاً ممن لم يسم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أنكر المنكر على أهله ممن شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين وشهد النهروان عند المسلمين ، ومن لم يشهد هذه المشاهد ممن مات على دينهم ، ومن مات قبل اختلاف الأمة فهم أئمتنا وأولياؤنا رحمهم الله . قال ثم من بعدهم عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه الذين جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا ، رحمهم الله على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم من بعدهم فروة بن نوفل الأشجعى ووداع بن حوثرة الأسدى ومن شهد معهما يوم النخيلة ، ثم قريب والزحاف ، ثم عروة ومرداس ابنا حدير وأصحاب مرداس الذين دعوا إلى دين الله حتى استشهدوا عليه ، ثم عبد الله ابن اباض وجابر بن زيد وصحار بن (العباس) العبدى وجعفر بن السماك وحتات بن كاتب وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة وأبو نوح صالح بن نوح الدهان ، ثم عبد الله بن يحيي الإمام طالب الحق والمختار بن عوف وأبو الحر على بن الحصين ومن استشهد معهم ، ثم الربيع بن حبيب وضمام بن السائب وأبو منصور الخراسانى ، ثم الجلندى بن مسعود الإمام العمانى وأبو الخطاب وعبد الرحمن بن رستم الإمامين المغربيين وأصحابهم ، ومن كان فى طبقتهم ، ثم محبوب بن الرحيل وهاشم بن عبد الله الخراسانى وموسى بن أبى جابر وبشير بن المنذر ومنير بن النير وهشام بن المهاجر وعبد الله بن أبى قيس وسعيد بن المبشر وعلى بن عزرة وهاشم بن غيلان[1] وسليمان بن عثمان وعبد المقتدر بن حكم ومحمد بن هاشم بن غيلان

(١) ليس هو هاشم بن غيلان الدمشقى المشهور بآرائه فإنه من المعتزلة فافهم .

وموسى بن على وسعيد بن محرز والوضاح بن عقبة ومحمد بن محبوب ، ثم امتلأت عمان بالعلماء الفضلاء أهل الثقة والورع والإخلاص وصدق النية حتى ضرب بذلك المثل ، فشبهوا العلم بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان ، وإنما ذكرنا من علماء المسلمين قليلا من كثير ، بعضهم يأخذ عن بعض وبعضهم يتولى بعضاً ، ليس فيهم من ينقم عليه شيء من سيرته ولا من يعاب عليه شيء من خليقته ، كلهم أهل بصائر وهدى ، ماتوا على ما أبصروا من الحق ، فرحم الله تلك الأرواح ، ونور تلك المضاجع ، ورزقنا حسن الاقتداء بهم ، إنه ولىّ التوفيق ، وهو على مايشاء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

باب إمامة الجلندى بن مسعود

ابن جيفر بن جلندى رضى الله عنه وأرضاه

وهو أحد بنى الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس، ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم — وغلط من نسبه لغير ذلك — وقد تقدم أن سبب إمامته أن أبا العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق، وولى المنصور على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائى، ثم عزله وولى ولده محمد بن جناح فَلانَ للمسلمين ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود فكانت سبباً لظهور الإسلام وقوة شوكته، وكان عادلا مرضياً، وكان الجلندى ممن حضر بيعة عبد الله بن يحيي طالب الحق .

قال أبو الحسن البسيانى : وقد أجمعوا على إمامته وولايته والمجاهدة معه، قال وكان فى أيامه حاجب والربيع بن حبيب بالعراق، وعبد الله ابن القاسم وهلال بن عطية وخلف بن زياد البحرانى وشبيب بن عطية العمانى وموسى بن أبى جابر الأزكائى وبشير بن المنذر النزوانى ومنير بن النير الجعلانى . قال وكان هؤلاء بعضهم أكبر من بعض واقتدى بعضهم ببعض . وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر رحمه الله : لا نعلم فى أئمة المسلمين بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله، إلا أن يكون الجلندى ابن مسعود . قال أبو الحسن : فسار الجلندى بن مسعود رحمه الله فى عمان

فأظهر الحق وعمل به ، وأخذ الدولة من يد أهل الجور ، وبرىء من الجبابرة وأشياعهم ، ودان بقتال أهل البغى ، ولم يستحل مع ذلك غنيمة ، ولا سبي ذرية ، ولا استمراضا بالقتل من غير دعوة .

وقد وصف منير بن النير سيرته للامام غسان بن عبد الله ، فنعته ومن معه من بوارع كل قوم بما عرفوا به من المعروف والعدل والإحسان والصدق والاقتصاد والبصيرة والمعرفة والورع والزهد والتحرج والعبادة والسمت الحسن الجميل . قال : لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها فى غير مواضعها ، ولم يستحلوها من الناس على غير الإثخان فى الأرض والحماية والكفاية والمكاخة عن حريم المسلمين : بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التى تعنيهم فى دين الله وحفظ الرعية ثم وضعوها فى مواضعها ، وقسموها على أهلها بحكم القرآن « فريضة من الله والله عليم حكيم » . قال : ثم بلغنا عنهم فيما استقام عليه رأيهم أن يرفضوا بصدقة البحر إلا ما طاب بأنفس الناس أن يبذلوه لهم ، وذلك لما يتخوفون من الدخل عليهم فى سبيل الله إذ لم يحموه . قال : ولا يولون أمرهم ولا يبعثون فى حوائجهم ولا يستعملون على صداقتهم وأهل رعيتهم ، ولا يستقضون على أهل ولايتهم إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتحرج المعروفون بالفضل الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم غير سقاط ولا أدعياء ولا متهمين ولا مقترفين ، منهم موسى بن أبى جابر والحسن بن عقبة والوليد بن خالد وموسى بن سعيد وجعفر بن بشر ومعين بن عمر ولوط بن سام وحميم بن المغيرة والهماس بن المغلس والنير

ابن عبد الملك وعبد الله بن أبيّ وعمارة بن همام ومحمد بن عبد الله بن سوم وعمر بن يحيي وحميد بن عبد الله ويحيي بن يزيد وعمر بن عبد الله ، وضرباؤهم من الناس ، لا يتعلق عليهم بالسباب ، ولا يلجأ إليهم القبيح ، ولا يتهمون فى دينهم ، مرضيون فى إخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فضلهم ، معروفون به ، قد أحكمت آراؤهم فى قوة الحق وإحكام أمور الدين . قال : وعلى كل مائتين من الشراة إلى ثلاثمائة إلى أربعمائة قائد من أهل الفضل والحجا والبصيرة والثقة والمعرفة والعلم والفقه والحزم والقوة . قال : وعلى كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف ، ويسددهم عن الزيغ ، ويقيمهم على الطريقة ويهديهم سبيل الرشاد ، ليست الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم . قال : وكيف لا يكون كذلك من باع لله نفسه ليجود بها على ترك الدنيا ويزهد بما فيها قال : غير أن رجالا منهم تاقت أنفسهم إلى النساء ، فلما ذكروا ذلك ، استوحش منهم أئمتهم وقادتهم . قال : فلم يكن من القوم إذ ذكروا النكاح نظر إليه دون أن يعرضوا أمرهم على أهل الفضل من أهل العراق . فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه ، وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا الله أنفسهم للنساء وطلب الشهوات ، فكتبوا إليهم إنكم كتبتم إلينا تخبرونا عن الشراة أن أنفسهم تنازعهم إلى النساء وهذا أمر عظيم ، غير أنهم إن لم يقدروا على الصبر فليعرض الفقير منهم نفسه على النساء المسلمات الصالحات ، فإن قبلته المسلمة بعشرة دراهم ، ينجزها إياها ولا يبقى لها عليه

دين بعد العشرة فليتزوج ، وإن صبر على النساء فهو خير له ، وإن لم يقدر على وفاء حقها ، فلا يحمل على نفسه لامرأة ولا لأحد من الناس ديناً ، للذى طوق نفسه من البيعة وحمل على نفسه من الميثاق . فلما عرض القوم أنفسهم على النساء بذلك الشرط ، لم يقبل منهم إلا قليل منهم ، فصبر القوم على ما لم يقووا له ، وقبلوا النصيحة ، واقتدوا بهدى أهل الفضل ، واتبعوا أمرهم ، ولو خالفوهم إلى ما نهوهم عنه وكرهوا عليهم من ذلك ، ما كان لهم واسعاً .

قال : وكان المرء منهم يرزق فى الشهر سبعة دراهم ، فى غلاء من السعر ، فيصبر على القوت اليسير ، رغبة فى الآخرة والثواب من عند الله . قال : وقد بلغنا أنه ربما بقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده فى فىء المسلمين ، رحمهم الله وجزاهم خيراً مع ما أظهروا من السُّنة ، والأمر بإدناء الجلابيب على النساء ، ورفع الخُمُر فوق الأذقان وستر النواصى وسائر الزينة إلا الوجه والبنان ، أما ما وراء ذلك فهو حرام على من أبداه من النساء ، أو من نظر إليه من الرجال شهوة ، والنطاق من تحت الدرع ، إلا فقيرة لا تقدر على درع سابغة ، فلها أن تبرز فوق درعها ، ونهى النساء عن الجلوس فى السكك والخروج فى يوم المطر والريح العاصفة ، وأمر الرجال برفع ذيولهم وتقصير أشعارهم إذ أسبغت على العواتق ، وأنكر على أهل القبلة أن يتشبهوا بزى أهل الذمة ، وأنكر على أهل الذمة أن يتشبهوا بزى أهل الإسلام ، ونهى الرجال أن يبدوا ما فوق الركب .

قال : وكانوا أهل فقه وأهل علم وحلم وتؤدة وتودد ووقار وسكينة ولب وعقل وبر ومرحمة وصدق ووفاء وتخشع وعبادة وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتماطون من الناس الحقوق ، ولا يدخلون فى خصومات الناس ، ولا يحتملون على استخراج الحقوق ولا يسترشون على طلب الحوائج التى تعنيهم من أمر الرعية ، ولا يستفضلون فى الرزق على الشبعة ، ولا يغتاب بعضهم بعضاً ، ليس من شأنهم الغيبة ولا البغى ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شىء من أخلاق أهل الريبة . يحرصون على آدابهم فى الدين ومع أهل الدين ويكرهون العيوب ويهجرون أخلاق الفجور والمعاصى . هم أنوار فى الأرض وغرباء فى الناس ، يعرفون بسيماهم ، وكيف لا يكون كذلك من باع لله نفسه ينتظر حتفها صباحا ومساء ، ليس له فى شىء من الأمور ولا لأحد من الناس دنت رحمه أو بعدت أو عظم خطره أو صغر أو ارتفع شأنه أو تواضع هوى إلا ما وافق الحق مع ما لا يحصى من أخلاقهم الحسنة الجميلة التى زينهم الله بها فى الدنيا ، وترك عليهم الثناء الحسن الجميل فيمن خلف بأعقابهم انتهى كلام منير فى الجاندى وأصحابه ، وحسبك بمن أثنى عليه منير هذا الثناء وأطبقت ألسنة الأمة على الثناء الجميل لهم ، والناس شهود الله فى أرضه ، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً .

ذكر قتل جعفر الجلندانى

وابنيه النظر وزائدة

وهم من أقارب الإمام رحمه الله قال أبو الحوارى : بلغنا أن الجلندى بن مسعود رحمه الله قتل جعفر الجلندانى وابنيه النظر وزائدة على كتاب بيعة كانت منهم على المسلمين ، فلما صح ذلك عند الجلندى رحمه الله أرسل إليهم ولم يكن منهم محاربة فيما بلغنا إلا ما ظهر من كتابهم فقدمهم الجلندى فضرب رقابهم على ذلك الكتاب فيما بلغنا . قال : وبلغنا أن الجلندى لما قتلهم فاضت عيناه دموعاً ، فلما نظر إليه أصحابه وعيناه تفيضان بالدموع قالوا له : أعصبية يا جلندى ؟ فقال : لا ولكن الرحمة . وقال غيره : كان الجلندى بن مسعود رحمه الله قتل جعفر بن سعيد وغيره من بنى الجلندى ، فدمعت عينه جزعاً عليهم فوقع فى أنفس المسلمين عليه من ذلك ، فقالوا له : اعتزل أمرنا ، فاعتزل أمرهم وطرح إليهم السيف والقلنسوة ، فلبث ما شاء الله يغدو غدوهم ويروح رواحهم ، ثم رجعوا إليه فطلبوا إليه أن يرجع إلى ما كان فيه من أمرهم فكره ذلك ، فلم يزالوا به حتى رجع إلى مكانه بعد اعتزاله . وفى مواضع أنه اعتزل فلم يكد يرجع ولم نعلم أنهم بايعوه بعد اعتزاله ، يعنى أنه رجع إلى الأمر بالعقد الأول والله أعلم ؛ وكان أبو صالح الوضاح والياً للجلندى على أبرى ، فمر به قوم استحل المسلمون دمهم فأمنهم وخرج بهم إلى الجلندى ، وبلغ الجلندى أن الوضاح أمنهم فقال لا أمان لهم عندى ،

أوقال : لا أمان دون الإمام ، فوجه إليهم من لقى الوضاح ببهلى فقتلهم فيها فوقع فى نفس بعض المسلمين من ذلك شىء ، فرفعت المسألة إلى أبى عبيدة مسلم ، وأبى مودود حاجب ، فقال حاجب : لا أمان إلا للامام ، ولا أمان دون الإمام

ذكر مقتل شيبان الخارجى

إمام الصفرية

وكان قد جاء إلى عمان بجيش هارباً من السفاح ، فلما قدم إلى عمان أخرج إليه الجلندى هلال بن عطية الخراسانى ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين ، فلما التقوا وصاروا صفين قام يحيى بن نجيح ، وكان يحيى فضله مشهوراً بين المسلمين ، فدعا بدعوة أنصف فيها الفريقين فقال : اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذى ترضاه ، والحق الذى تحب أن تؤتى به ، فاجعلنى أول قتيل من أصحابى ، ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، واجعل الدائرة على أصحابه ، وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذى ترضاه والحق الذى تحب أن تؤتى به ، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه . فأمن الفريقان . ثم زحف القوم بعضهم إلى بعض . فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح ، وأول قتيل من أصحاب شيبان شيبان ، ومكن الله المسلمين منهم واستولوا عليهم فلم تبق لهم بقية فيما علمنا .

ذكر مشهد الجلندى وأصحابه

رحمهم الله تعالى

وكان ذلك بجلفار على يد خازم بن خزيمة الخراسانى عامل السفاح ، من بنى العباس ، وسبب ذلك أنه لما قتل شيبان ، وصل إلى عمان خازم ابن خزيمة ، وقال : إنا كنا نطلب هؤلاء القوم — يعنى شيبان وأصحابه وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم ، ولكنى أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة وأخبره أنك له سامع مطيع فشاور الجلندى المسلمين فى ذلك ، فلم يروا له ذلك . وقيل سأله أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه فأبى الجلندى . وقال أبو محمد : طلب خازم من الجلندى تسليم خاتم شيبان وسيفه ، وأن يخطب لسلطان العراق ويعترف له بالسمع والطاعة قال : فاستشار الجلندى العلماء من أهل زمانه ومعهم يومئذ هلال بن عطية الخراسانى ، وشبيب بن عطية العمانى وخلف بن زياد البحرانى ، فأشاروا عليه أن يدفع سيف شيبان وخاتمه وما يرضيه من المال ، ويضمن لورثة شيبان قيمة السيف والخاتم ، ثم يدفع بذلك عن الدولة ، فأبى خازم إلا الخطبة والطاعة فرأوا أن ذلك لا يجوز فى باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين ، وإنما يدفع عنها بالرجال والمال انتهى كلام أبى محمد : وقال أبو عبد الله محمد بن محبوب : لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بألسنتهم إذا خافوهم على الدولة والرعية . قال : ولا يفعلون ذلك بغير الألسنة شراة كانوا أو غير شراة . قال : وأما المال فلا . اهـ . ثم إن الجلندى أبى من إعطاء خازم ما سأل ، فوقع القتال بين خازم بن خزيمة والجلندى ، فقتل جميع أصحاب الجلندى ، فلم يبق إلا هو وهلال بن عطية الخراسانى . فقال الجلندى : احمل ياهلال

فقال هلال للجلندى : أنت إمامى فكن أمامى ، ولك علىّ أن لا أبقى بعدك . فتقدم الجلندى فقاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم تقدم هلال بن عطية وعليه لامة حربه ، فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته وهم لم يعرفوه ، ثم عرفوه وقالوا : هلال بن عطية ، فاحتولوه حتى قتلوه رحمه الله . وقيل إن الذى تولى قتل الجلندى خازم بن خزيمة ، فقيل انه لما حضرته الوفاة قيل له أبشر فقد فتح الله على يديك ، فقال غررتمونا فى الحياة وتغرروننا فى الممات هيهات هيهات فكيف لى بقتل الشيخ العمانى .

وذكروا أن رجلا من أهل عمان خرج إلى الحج ، وكان في صحبته رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا ينام ، فسأله العمانى عن حاله ، وهو لا يعرف أن صاحبه من أهل عمان ، فقال إنى خرجت مع خازم بن خزيمة إلى عمان فقاتلنا بها قوماً لم أر مثلهم قط ، فأنا من ذلك اليوم على هذه الحالة لا يأخذنى النوم ، فقال الرجل العمانى فى نفسه : أنت حقيق بذلك إن كنت ممن قاتلهم ، وقيل إن الأخصام جمعوا ما في مسكرهم فلم يجدوا فيه إلا ثياباً خلقة ، ووجدوا حمائل سيوفهم من ليف ؛ رضى الله عنهم . ولكونهم استشهدوا جميعاً فى وقعة واحدة ، صارت الدولة من بعدهم إلى الجبابرة لقلة الأخيار حتى فرج الله كرب المسلمين وجمع شملهم بعد حين على حسب ما سيأتى — وكانت إمامة الجلندى سنتين وشهراً ، وقيل وأشهراً ، وذلك أنه ولى الإمامة سنة إحدى وثلاثين ومائة ، واستشهد سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، كذا قيل وفيه نظر ، لأن إمامته كانت فى أيام دولة السفاح ، والسفاح إنما تغلب على الأمر وتمكن من الدولة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة

اثنين وثلاثين ومائة وقيل فى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، والله أعلم بحقيقة الأمر .

وذكر ابن الأثير فى كامله قتل الجلندى وأصحابه رحمهم الله فى حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة ، وهذا أقرب إلى صواب التاريخ . وبقيت عمان بعده فى يد الجبابرة من بنى الجلندى منقادين لأمر بنى العباس إلى سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم رجعت الدولة للمسلمين وقدموا محمد بن أبى عفان — على ما سيأتى فجملة تلاعب الجبابرة بعمان أربع وأربعون سنة وبعض سنة والله أعلم .

وفى كامل ابن الأثير ما معناه : أن خازم بن خزيمة الخراسانى كان من أنصار السفاح ، وكان أخوال السفاح من بنى عبد المدان وهم خمسة وثلاثون رجلا ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليهم سبعة عشر . قصدوا السفاح فلقيهم خازم بن خزيمة بذات المطامير ، وكان قد وجد عليهم فلم يسلم عليهم . فلما جازهم شتموه ثم رجع إليهم وعاتبهم على أمر كان قد وجد عليهم به ، فأغلظوا له فى الجواب ، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً وهدم دورهم ونهب أموالهم ثم انصرف . فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا ودخل زياد بن عبيد الله الحارثى معهم على السفاح ، فقالوا له : إن خازماً اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك ، حتى إذا صاروا فى جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه ، فهم بقتل خازم ، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وقالا : يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء ، وأنك هممت بقتل خازم ، وإنا

نعيذك بالله من ذلك ، فإن له طاعة وسابقة ، وهو يحتمل له ما صنع فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم ، وأنت أحق من يتغمد إساءة مسيئهم . فإن كنت لابد مجمعاً على قتله فلا تتولى ذلك بنفسك وابعثه لأمر إن قتل فيه كنت قد بلغت الذى تريد ، وإن ظفر كان ظفره لك . قال وأشاروا إليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج — يعنى المسلمين — وإلى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى . قال : وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب إلى سليمان بن على — وهو على البصرة — يحملهم إلى جزيرة بركاوان وعمان . قال : فسار خازم إلى البصرة فى الجند الذين معه ، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، فلما وصل البصرة حملهم سليمان فى السفن وانضم إليه بالبصرة أيضاً عدة من بنى تميم ، فساروا فى البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان ، فوَجَّه خازم فضلة بن نعيم النهشلى فى خمسمائة إلى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا إلى عمان وهم صفرية ، فلما صاروا إلى عمان قاتلهم الجلندى وأصحابه . قال : وهم أباضية ، واشتد القتال منهم فقتل شيبان ومن معه . قال : ثم سار خازم فى البحر بمن معه حتى أرسوا إلى ساحل عمان ، فخرجوا إلى الصحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وكثر القتل يومئذ فى أصحاب خازم ، وقتل منهم أخ له من أمه فى تسعين رجلا ، ثم اقتتلوا من الغد قتالا شديداً فقتل يومئذ من الخوارج — يعنى المسلمين — تسعمائة ، وأحرق منهم نحواً من تسعين رجلا ، قال : ثم التقوا

بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأى أشار به بعض أصحاب خازم ، وهو أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ، ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندى وكانت من خشب ، قال : فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم ، فحمل عليهم خازم وأصحابه ، فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتلوا الجلندى فيمن قتل ؛ قال : وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف ؛ قال : وبعث برءوسهم إلى البصرة ، فأرسلها سليمان إلى السفاح . قال : وأقام خازم بعد ذلك أشهراً حتى استقدمه السفاح فقدم .

ولما كثر ذكر شيبان الخارجى فى الكتب العمانية ، وكان لا يعرف نسبه ولا موضعه ، حسن أن نعرّف به — على حسب ما ذكره ابن الأثير فى كامله فى حوادث سنة تسع وعشرين ومائة — قال : ذكر شيبان الحرورى إلى أن قتل ، وهو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلف اليشكرى وكان سبب هلاكه أن الخوارج لما بايعوه بعد قتل الخيبرى ، أقام يقاتل مروان ، وتفرق عن شيبان كثير من أصحاب الطمع ، فبقى فى نحو أربعين ألفا ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا فتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل ، فعسكروا شرقى دجلة ، وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم إلى المدينة ، فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ، ومروان بخصة ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل تسعة أشهر وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام ،

يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان فى عسكر شيبان أسيراً فقطع يديه ، وضرب عنقه ، وعمه ينظر إليه ، وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، يأمره بالمسير من قرقيسيا ، بجميع من معه إلى العراق ، وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش ، وهو خليفة للخوارج بالعراق ، فلقى ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانصرفت الخوارج ، ثم اجتمعوا بالكوفة بالنخيلة ، فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة ، فأرسل شيبان إليهم عبيدة بن سوار فى خيل عظيمة ، فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج ، وقتل عبيدة ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم فلم تكن لهم همة بالعراق ، واستولى ابن هبيرة علي العراق وكان منصور ابن جمهور مع الخوارج فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة إلى واسط ، فأخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كور الاهواز ، فسمع سليمان الخبر ، فأرسل إلى نباتة داود بن حاتم ، فالتقوا بالمرتان على شاطىء دجيل ، فانهزم الناس وقتل داود بن حاتم ، وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما استولى على العراق ؛ يأمره بإرسال عامر بن ضبارة المرّى إليه ، فسيره فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره ، فأرسل الجون بن كلاب الخارجى فى جمع ، فلقوا عامرا بالسن فهزموه ومن معه ، فدخل السن وتحصن فيه ، وجعل مروان يمده بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا إلى السن ، فكثر جمع عامر ، وكان منصور بن جمهور يمد شيبان من الجبل بالأموال ، فلما كثر من مع عامر نهض إلى الجون والخوارج ، فقاتلهم فهزمهم ، وقتل الجون ، وسار ابن ضبارة مصعدا إلى الموصل . فلما انتهى خبر قتل الجون إلى شيبان

ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين ، فارتحل بمن معه من الخوارج . وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره فى جمع كثير فى أثر شيبان ، فان أقام أقام ، وإن سار سار ، وأن لا يبدأه بقتال ، فإن قاتله شيبان قاتله وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتبعه : فكان على ذلك حتى مرّ على الجبل وخرج على بيضاء فارس وبها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر فى جموع كثيرة فلم يتهيأ الأمر بينهما . فسار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية أياما ، ثم ناهضه وقاتله فانهزم ابن معاوية ، فلحق بهراة . وسار ابن ضبارة بمن معه فالتقى شيبان بجيرفت ، فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ، ومضى شيبان إلى سجستان فهلك بها وذلك فى سنة ثلاثين ومائة .

وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس ، وعامر بن ضبارة يتبعه ، وصار شيبان إلى جزيرة بركاوان ثم خرج منها إلى عمان ، فقتله جلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزدى سنة أربع وثلاثين ومائة انتهى ما أردنا نقله من كلام ابن الأثير في كامله وقد تقدم ذكر سبب ارتحال شيبان من جزيرة بركاوان ، وأن ذلك كان بسبب حروب خازم بن خزيمة فى أيام السفاح ، فيكون أول أمر شيبان فى أيام مروان بن محمد ومقتله فى أيام السفاح فى عمان على يد شراة الجلندى ، إمام المسلمين . والله أعلم .

ذكر قتل عبد العزيز الجلنداني

وذلك في حال ضعف المسلمين

ذكر عن الوضاح بن عقبة ، عن مسبح بن عبد الله ، أن عبد الرحمن ابن المغيرة أخبرهم — وقد كان الأشعث بن حكيم والجلندانيون على حال من الخروج فى حال ضعف المسلمين — أن جعفر بن بشير كان هو وآخر غيره بالعراق مع أبى عبيدة وحاجب حتى قدم الجلندانيون ، فأخبروا أبا عبيدة وحاجباً أن الجلندانيين نزلوا على عبد العزيز الجلندانى فقراهم ثم قتلوه ، فقال لهم موسى وحاجب لا تقبل مقالتكم على المسلمين ، فلم يقبلا قولهم قالوا فإنا نذهب إلى السلطان ، قال اذهبوا . فلما حضر خروج جعفر وصاحبه إلى عمان ، قالوا لأبى عبيدة وحاجب : ما تقول لأهل عمان منكما فى القوم ؟ — وقد كان أهل عمان افترقوا فى الذين قتلوا عبد العزيز ، فمنهم من برىء منهم ، ومنهم من تولاهم ، ومنهم من وقف عنهم فقالا قولا لأهل عمان ، أن كل من كان له ولاية يتولاه المسلمون ، وكل من كان على أمر من أمرهم ، أولى بما ضيع حتى يطلب إليه الأمر الذى ضيعه فيكون عليه الحق فيمتنع بإعطاء الحق ، فهنالك تترك ولايته . فهذا حديث عبد الرحمن ابن المغيرة لمسبح ، وحاصله أن الطائفة الخارجية نزلوا على عبد العزيز فأضافهم ، فقتلوه ، فلم يستحسن المسلمون ذلك منهم ، فلهذا اختلفوا فى ولايتهم ، حتى قال أبو عبيدة وحاجب ما قالا فى فصل القضية ، وكان المسلمون يرجعون إلى قولهما وأن بنى الجلندى قد طلبوا إلى أبى عبيدة وحاجب ما طلبوا من قتلة عبد العزيز ، فلم يسمعا دعواهم ، فلذا قال

الجلندانيون نذهب إلى السلطان ، يعنون عامل بنى العباس فقال اذهبوا على طريق التهديد ولم يبلغنا أنهم ذهبوا إلى السلطان ، والله أعلم بما كان .

قال أبو المؤثر : وكان خلف بن زباد مع الإمام الجلندى فى حرب خازم عامل السلطان ، فمرض خلف بن زياد ، فتخلف عن المسير مع الجلندى بأزكى ، وبقى بها من بعد الجلندى حتى مات بأزكى .

وقال غيره : نشأ خلف بن زياد بالبحرين ثم خرج منها يلتمس الحق . فكان كلما لقى أحداً من أهل الفرق من قومنا طلب منه أن يعرفه مذهبه فإذا عرفه قال الحق فى غير هذا ، حتى بلغ البصرة ، ولقى أبا عبيدة مسلماً ، فسأله عن مذهبه ، فنسبه له . فقال هذا هو الحق ، فلزمه وكان عليه حتى مات رحمه الله .

ذكر شبيب بن عطية العمانى[1]

رحمه الله تعالى

وذكر أبو محمد وأبو الحسن أن شبيبا كان من أصحاب الجلندى ، وذكر غيرهما أنه كان يجبى القرى ولم يكن إماماً منصوباً وإنما كان محتسبا . والظاهر أن أمره هذا كان بعد الجلندى ، وكان رجلا صلباً فى دينه ، شديداً على الجبابرة ، داعياً إلى مخالفتهم ، وله سيرة تنبئ عن تصلبه فى دينه وشدته على البغاة قال فى أولها :

« أما بعد فانه قد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يد المسلمين واحدة على من سواهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » وقد أمسيتم وأمسينا إخواناً على الحال التى قد ترون اختلفت فى اعلاق الأمة ، وتشتت أمرها ، ووثب بعضهم على بعض كالسباع ينهش بعضهم بعضاً بالظلم والعدوان والغشم وانتهاك المحارم ، ولا يعرفون حق الله ولا حرمة الإسلام ولا يحتجرون به ، وأمسينا وأمسيتم بحمد الله ونعم الله علينا وعليكم سابغة وفضله علينا وعليكم عظيم ، يؤمن بعضنا بعضا ويعرف بعضنا لبعض حرمة الإسلام وحق أهله ، وكتاب الله أمامنا وأمامكم إن كنا وكنتم صادقين . يا أيها الناس علموا أن من أمرنا أن نقاتل ونقتل من عصى الله ، حتى يفيئوا إلى

---

(١) شبيب العمانى رحمه الله ليس هو شبيب الخارجى المشهور فشبيب بن عطية إمام عمان أباضى وشبيب الخارجى صفرى فليتنبه لهذا من يبتغى التحقيق .

أمر الله أو تفنى أرواحنا إن شاء الله ، لنرد منار الإسلام إلى معالمها الأولى ، التى كانت على عهد نبى الله والذين من بعده أبى بكر وعمر . حلال الله حلال إلى يوم القيامة ، ورضاء الله رضا إلى يوم القيامة ، وسخط الله سخط إلى يوم القيامة ، لاتنقض الطاعة بالمعصية ، ولا تثبت الطاعة لمعصية بالطاعة ، ولكن حتى يستكمل الناس جميعاً الطاعة بحدودها وأعلامها ومنارها وأحكامها وأنسابها والرضا بها ، فمن كره هذا فالطريق له مخلى يذهب حيث شاء من البر والبحر ، وليكن امرءا على حذر أن يتبع عورات المسلمين ويكاتب عدوهم ويشغب عليهم فيتخذ عليهم بسعيه بين المسلمين بطانة » . إلى آخر ما ذكره فيها من بيان الحق الواضح ، والتحريض على القيام بالأمر ، والرد على المخالفين فى شكهم وحيرتهم .

وفى الأثر كلام فى ولاية شبيب وفي البراءة منه ، وذلك لتصلبه حتى صار يجبى القرى احتسابا ، فمنهم من لم ير له ذلك ، لأنه ليس بامام منصوب ، ومنهم من عذره ورآه محتسبا . قال المعتمر بن عمارة بن سالم بن ذكوان الهلالى : إن البراءة منه وحد السيف معاً ، أو قال سواء إنى لا أبرأ منه حتى يحل دمه .

وعن هاشم بن غيلان عن موسي بن أبى جابر قال : قلت للربيع ما تقول فى أهل عمان فانهم اختلفوا وافترقوا فى أمر شبيب ؟ قال الربيع : من تولاه فتولوه ، ومن برىء منه فابرأوا منه ، قال : فقلت ما القول فى الكف ؟ فانى أرجو أن يكون فيه ألفة وصلاح ، قال : فقال ما يقول بشير ؟ قال : « قلت صاحبي ولا يخالف على » . فقال : أنتم أعلم

بأهل بلادكم ، وأما أنا فليس ذلك رأيي . فلما قدم موسى أظهر ذلك ، ولقي هادية فتابعه .

قال عبد الوهاب بن جيفر : من تولاه برئنا منه . قال هاشم : وكره بشير الكف ، وقال معقل يتولاه بشير وأهل الحق .

وسئل الفضل بن الحوارى فيما اختلفوا فيه من أمر شبيب ، قال كان محاباً وكان يجبي القرى ، فإذا قدم السلطان تركها واعتزل . قلت : ولعل اعتزاله كان فى عام لا يجبي فيه القرى ، إنما جبايته كانت وقت حمايته ، فمتى حصلت له الحماية جبي ما قدر عليه ومتى زالت عنه بالعجز عنها رفع يده ، وهذا هو الظن بشبيب إن صح ما قاله فيه الفضل بن الحوارى ، والظاهر منه التصلب فى الأمور ، فتخلية البلاد للجائر منافية للظاهر من حاله ، والله أعلم بما كان هنالك . قال أبو الحوارى : من برىء من شبيب برئنا منه ، ومن برىء ممن تولاه برئنا منه ، ومن تولى من تولاه فهو على ولايته إن كان له ولاية .

باب أمر عمان بعد الجلندى

ذكرت السير أن الجبابرة(1) استولت على عمان بعد الجلندى ، فأفسدوا فيها ، وكانوا أهل ظلم وجور . فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة ، وراشد بن النظر الجلندانيان ، ويشبه أن يكونا أولاد من قتلهما الجلندى لأجل البيعة التى ظهرت عليهم ، فإن صح ذلك فيكون محمد بن زائدة بن جعفر ، وراشد بن النظر بن جعفر ، وقد تقدم أنهم من أقارب الجلندى . وفى زمنهما وقع غسان بن سعد المحاربى الهنائى على نزوى ونهبها وهزم بنى نافع ، وكانت الدائرة على بنى نافع و بنى هميم ، بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وذلك فى شعبان من سنة خمس وأربعين ومائة . وبنو نافع هم رهط أبى المنذر بن بشير بن المنذر ، وبنو هميم من معن بن مالك بن فهم . ثم أن أهل ابرى من بنى الحارث غضبوا لهم ، وكان فى بنى الحارث رجل عبدى من بكرة ، يقال له زياد بن سعيد البكرى ،

---

(1) المراد بالجبابرة أمراء الاقطاع وملوك الطوائف . وقد توالى على قطر عمان انقلابات من إمامة إلى ملوكية ومن ملوكية إلى إمامة فمنذ انقطاع الخلافة الاسلامية ، تولى عمان أئمة على طريقة الخلفاء الراشدين ، فمتى ضعف أمر الإمامة برزت إلى الميدان الملكية ، أو أمراء الطوائف ، وهكذا : إلا أن الغالب عليه الإمامة ، وكأنها الروح السائدة فى سواد الأمة ولا سيما العلماء . ولم يحكم عمان أجنبى عنه ، إلا ما رأيت من أيام الحجاج اليسيره ، فمن يومئذ إلى يومنا هذا وعمان فى يد أهله ، حتى كأن الاستقلال ممتزجا بدماء أهله فرداً فرداً ، يرى الموت أهون من أن يضيع الأمر من يد قومه ، بل يرى الذلة كفراً ، وكلما ذكر المصنف الجبابرة فالمراد الولاة غير العدول ، أو استيلاء الغائرين على عمان ، فالمراد قسما منه فافهم .

فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى العتيك ليقتلوا غسان الهنائى ، فساروا إليه فجلسوا له بين داره ودار جناح ، بموضع يقال له الخور ، وقد رجع عائداً رجلا مريضاً من بنى هناة من بنى رنجة ، فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم فقتلوه ، فغضب لذلك منازل بن خنبش العابرى الهنائى ، وكان منزله بنبأ ، بموضع يقال له العقير ، وكان عاملا لمحمد بن زائدة ، وراشد بن النظر الجلندانيين ، فساروا إلى أهل ابرى على غفلة منهم فلما أحسوا به برزوا إليه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ووقعت الهزيمة على أهل ابرى ، وقتل منهم أربعون رجلا .

وفى الأثر : أن محمد بن عبد الله بن جساس وموسى بن أبى جابر ، سارا مع غسان بن عبد الملك إلى راشد بن النظر ، وكانا من فقهاء المسلمين ، فنى هذا الأثر ما يدل على أنه قد خرج على راشد بن النظر خارجة ، قائدها غسان بن عبد الملك ، وهو ممن لم تحمد سيرته ، وإنما خرج معه الشيخان لقصد زوال راشد بن النظر ، وهو أشد ظلماً ، والمسألة مذكورة فى جواز الخروج مع الظالم على من هو أظلم منه ، والله أعلم . ثم منّ الله على أهل عمان بالألفة على الحق ، فخرجت عصابة من المسلمين فقاموا بحق الله ، وأذلوا ملك تلك الجبابرة ، وبذلك انقضت دولة بنى الجلندى وانتقلت الدولة إلى اليحمد ، فلم يكن لبنى الجلندى بعدها دولة أصلا ، ولم تكن لهم حركة إلا ما كان منهم بتوام فى أيام المهنا ، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

باب انتقال الدولة من يد الجبابرة إلى المسلمين
وتقديم محمد بن أبى عفان فى العسكر

وذلك أنه لما كان من أمر راشد بن النظر ومحمد بن زائدة ما كان، رأى المسلمون[1] الخروج عليهما فتكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف، فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحق. ويقال كان عبد الملك بن حميد يومئذ شاباً، وأنه كان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد بن النظر فأول من حكم محمد بن المعلى والأحنش الفسحى من كندة، وخرجوا فى طلب راشد بن النظر، وكان فى ناحية مهرة يحشد، إلى أن صار بالمجازة من ناحية الغابة، فأتى إليه المسلمون فألفوه بالمجازة من أرض الظاهرة شرقى الوادى منها، فوقعت الهزيمة على راشد ومن معه وقتل من بنى نجو مقتلة عظيمة، وهرب راشد بن النظر واستولى المسلمون على داره، ونسفوها من أصلها.

وحدث الفضل بن الحوارى عن أبى جعفر سعيد بن محمد، وفى نسخة سعيد بن محرز ومحمد بن محبوب، عن محمد بن هاشم وفى المصنّف عن هاشم ابن غيلان، أن المسلمين لما نسفوا دار راشد، غضب لذلك من غضب من أشياخ سلوت وغيرهم، فقدم علينا الأشعث بن محمد ونحن مع بشير بهلى،

---

(١) إعلم أن أصحابنا رحمهم الله يذكرون لفظ المسلمين ويريدون به أهل الوفاء بالدين أى أهل الإسلام الكامل فيدلك على هذا أنه ذكر هنا لفظ المسلمين مقابل الجبابرة وكلاهما يصدق على أهل المذهب كما يذكرون المسلمين مقابل المخالفين ويذكرونه ويراد به أهل الولاية ويراد بقسيمه أهل البراءة وكل ذلك يستدل عليه بمعونة القرائن وليس المراد أن قسيم المسلمين المشركون كما هو اصطلاح الخوارج والوهابيين.

فتكلم فى ذلك الأشعث وقال : ليست هذه من سير المسلمين ، فقلت له قد نسف رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن بنى النضير ، فرد على ذلك الأشعث ، فقلت بيان ذلك فى كتاب الله « يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ » . وذلك أن المؤمنين كانوا ينسفون من قبلهم ، وكانت اليهود تنسف من ناحية أخرى ، فيسدون به ما نسف المسلمون ، فرد على ذلك الأشعث ، فقال بشير بل هكذا كان . قلت : وبلغنا أن أهل دار رموا المسلمين بسهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسفها فنسفت ، فقال الأشعث : لعلهم نسفوا شرفاتها ، فقال بشير : من أصلها .

وكان ابن راشد فى نزوى ، قال أبو جعفر : خرج المسلمون بعمان ، فلم يأخذوا الزكاة حتى كانت وقعة المجازة فى رمضان ، وهرب ابن راشد من نزوى ، وبعثوا العمال فأخذوا الصدقة ، ورجع المسلمون إلى منح ، وخرج منهم من خرج إلى موسى بن أبى جابر إلى أزكى ، وكان به علة ، فحملوه إلى منح؛ فلما وصلوا بموسى وكان معه بشير بن المنذر وجماعة المسلمين نظروا واجتمعوا وتشاوروا كيف يأتون هذا الأمر فقال موسى بن أبى جابر لمحمد بن المعلى الكندى : قد وليناك صحار وما يليها فاكفنا أمرها ، وولينا فلانا كذا ، وولينا محمد بن أبى عفان القريات وبقية الجوف ، فرضى كل موضعه وقال موسى بن أبى جابر لمحمد بن عبد الله : اقطع للناس الشرى ، فقال بشير بن المنذر عند ذلك : قد كنا رجوناك يا أبا على أن تسير بهذه الدولة فرددتها إلى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ! فقال موسى بن أبى جابر : إنما كان نظرى يا أبا الحكم للدولة ، لأنهم قد اجتمعوا وكل يطلب هذا الأمر لنفسه ، والأمر بعده ضعيف ، ففرقناهم عن وجوهنا حتى يقوى

الأمر ، فأمر محمد بن عبد الله بن أبى عفان أن يقطع للناس الشرى ، فقطع حتى قوى أمره ، فلما قوى الأمر أمر موسى ابن أبى جابر محمد بن عبد الله ابن أبى عفان فأرسل إلى القرى الولاة وعزل كل من كان ولاه ، وقامت دولتهم بإذن الله تعالى وكان ذلك فى أول يوم من شوال سنة سبع وسبعين ومائة . وذكر بعضهم أن أول ذلك كان فى رجب من سنة سبع وسبعين ومائة . وقال الفضل بن الحوارى : ملكت هذه الدولة يوم الجمعة بعد العصر لسبع بقين من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وقيل أن موسى رحمه الله ، أراد محمد بن المعلى للإمامة ، فكره محمد بن المعلى أن يقطع الشرى ، فكره موسى أن يوليه أمر الإمامة حتى يقطع الشرى ، فولى محمد بن أبى عفان .

ومحمد بن أبى عفان هو محمد بن عبدالله بن أبى عفان كان رجلا من اليحمد إلا أنه نشأ فى العراق وكان من أهل العراق ، فقدموا به إلى عمان واختلفوا فى صفة إمامته ، فقيل كان إمام دفاع حتى تضع الحرب أوزارها ، وقيل كان أمير جيش فأساء السيرة وبدل وغير ، وكان يستقبلهم بالكلام الغليظ ، حتى قال وائل بن أيوب : ليس ابن أبى عفان بإمام بل ذلك جبار ، فعزله المسلمون حين لم يرضوا سيرته ولا مذهبه فى النصف من ذى القعدة من سنة تسع وسبعين ومائة ، وكانت ولايته سنتين وشهرين إلا شيئا .

وفى بيان الشرع من سيرة أبى عبد الله محمد بن روح قال : أخبرنى أبو الحوارى رحمه الله ، عن الصلت بن خميس رحمه الله ، عن محمد بن محبوب رحمه الله ، أنه ذكر محمد بن أبى عفان فقال : هو عندنا خليع فقال أبو الحوارى : وأما أبو المؤثر فقال : أنه يضيق عن خلعه ، فلو أن رجلا من أهل زماننا

برىء من محمد بن أبى عفان من أجل مايجده فى الكتب ، عن أبى أيوب
وائل بن أيوب الحضرمى رحمه الله أنه قال : إن ابن أبى عفان كان جباراً ،
أو من أجل إذ سمع محمد بن محبوب يبرأ منه ، فبرىء منه من أجل ذلك ،
من غير أن يصح معه من ابن أبى عفان مكفرة ، فإن ذلك الرجل على هذه
الصفة عندنا خليع ، وسبيل محمد بن أبى عفان عندنا سبيل إمام حضرموت
عبد الله بن سعيد ، وقد كان أهل حضرموت عزلوه وقدموا عليه
خنبشا وكان ابن أبى عفان قد أرسل سعيداً ابن زياد البكرى إلى أهل
الأحداث من أهل الشرق . فلما وصل إليهم وكان بينه وبينهم ما كان وظهر
عليهم سعيد ، واستولى على بلادهم ، وأراد دمارها بعث رسولا إلى موسى
ابن أبى جابر ، وقال سعيد للرسول أن يقول لموسى أن سعيداً يقطع نخل
بنى نجو . فلما وصل إلى موسى قال له ان سعيداً يقطع نخل بنى نجو . فقال
له موسى : « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » . فلما رجع الرسول إلى سعيد وأخبره بما قال له
موسى ، أقبل سعيد على قطع النخل ، وهدم المنازل . ذكر ذلك أبو الحوارى
وقال : قد حفظنا ذلك عمن حفظنا من أهل العلم المأمونين على ذلك . وقال
وائل ابن أيوب : فأما ما أحرق سعيد بن زياد ممن أحرق مع راشد ،
فلو ألقى فى النار لكان لذلك أهلا ، وأما من أحرق سعيد ممن لم يحرق ،
فان كان بعثه إمام كان ذلك فى بيت المال . فقال عبد الله بن نافع : فان
الإمام يؤمئذ كان ابن أبى عفان وهو الذى بعثه ، قال وائل : إن ابن أبى
عفان ليس بامام بل ، ذلك جبار . وحفظ الفضل بن الحوارى ، عن

محمد بن محبوب ، عن أبى صفرة ، عن وائل بن أيوب أنه قال : لو كان ابن أبى عفان إماما لما كان ما أحدث سعيد بن زياد فى بيت مال المسلمين . وقال محمد بن محبوب : ماسمعنا عن أحد من قواد هذه الدولة أولاها ولا أخراها صنع ، ولا سار فى أهل حزبهم بشر ، مما صنع سعيد بن زياد البكرى ، من سفك الدماء ، وحرق المنازل والأمتعة ، وأخذ البرىء بالسقيم ، وترك المعروف . إلا أن وارثا رحمه الله كان قد جفاه وأقصاه ، فخرج إلى البحرين إلى أن توفى وارث ، فرجع ، فحمله غسان الإمام على فرس وأحسن إليه وفوده . وقال وائل بن أيوب : وارث ليس بوكيل للناس كان يسمه مجامعة سعيد ، حتى يطلب من يطلب إلى سعيد حقه فينصف منه أو فيعطاه والله أعلم . وفى شهر ربيع من سنة ثمانى وسبعين ومائة ، مات بشير بن المنذر النزوانى العقرى جد بنى زياد ، وهو من سامة بن لؤى بن غالب أحد حملة العلم رضى الله عنه .

باب إمامة الوارث بن كعب الخروصى

رضى الله عنه

وهو أول إمام من بنى خروص ، وهم من اليحمد ، وذلك بعد أن عزل محمد بن أبى عفان ، وكان ذلك فى ذى القعدة من سنة تسع وسبعين ومائة. وفى بيان الشرع قال : أخبرنا أبو محمد الفضل بن الحوارى عن زياد بن مثوبة أنه أخبره بأنه لما أراد المسلمون أن يعزلوا محمد بن أبى عفان ، حضر موسى ابن أبى جابر العسكر ، وهو شيخ كبير مشدود على حاجبيه بعمامة ، وهو نائم على سرير فى العسكر ، وقد خرج وارث يريد العسكر مناظراً محتجاً لابن أبى عفان ، إذ أرادوا عزله ، فقال لموسى من إمامنا ؟ فقال موسى : أنا إمامكم. فلما وصل وارث إلى نزوى أخذ موسى بيده فقدمه إماماً قال : فما علمنا أن أحداً من الناس عاب ذلك على وارث .

وقال أبو قحطان : أخرج المسلمون ابن أبى عفان من نزوى ، حين ظهرت منه أحداث لم تعجبهم ، ولم يرضوا سيرته ، أخرجوه من نزوى باحتيال فلما خرج من نزوى ، اجتمعوا واختاروا لأنفسهم إماماً ، فقدموا وارث بن كعب . قال ولو كان لابن أبى عفان إمامة أصل إمامة ماقدموا عليه وارث بن كعب حتى يظهروا للناس ما يحل به عزله ويحتجوا عليه قال فوطىء وارث أثر السلف الصالح من المسلمين ، وسار فى عمان بالحق ، وظهرت دعوة المسلمين بعمان وعز الإسلام وخمد الكفر[1] ، وقال أبو الحسن :

(١) المراد كفر النعمة وهو الكفر العملى لا الكفر الذى هو الشرك فتأمل ذلك فيما يأتى من قوله : ولا يسموا بالشرك أهل القبلة الخ فليتنبه لهذه الدقيقة فإنها مزلة =

بايعوا وارث بن كعب على ما بويع عليه أئمة العدل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والشرى فى سبيل الله ، وإظهار الحق وإخماد الباطل ، والجهاد فى سبيل الله ، وقتال الفئة الباغية ، وكل فرقة امتنعت من الحق حتى تفىء إلى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا سبى عيال ، وانتحال هجرة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يسموا بالشرك أهل القبلة ما يدينوا الشهادتين . قال : فقام وارث بالحق ماشاء الله ، والمسلمون عنه راضون ، وله مؤازرون ، وعليه مجتمعون ، ولمن امتنع من طاعته مفارقون .

وما ذكره بعضهم فى سبب اختيار المسلمين للوارث ، تحتمل صحته ، وإن صح فالظاهر أن ذلك كان فى وقت الجبابرة من بنى الجلندى قبل ظهور المسلمين عليهم ، فتكون تلك الحالة منقبة للوارث محفوظة له منذ مدة من الزمان ، فظهرت ثمرتها فى أوانها برغبة المسلمين فى تقديمه ، وذلك ما قيل أن الوارث كان يسكن قرية هجار من وادى بنى خروص ، وكان يرى الرؤيا فى نومه تدل على ظهور الحق على يده ، وأنه كان ذات يوم يحرث فى زرع له فسمع صوتاً يقول له اترك حرثك وسر إلى نزوى وأقم بها الحق ، ثم ناداه ثانية وثالثة بذلك فقال الوارث ومن أنصارى وأنا رجل ضعيف ؟ فقيل له أنصارك جنود الله ، فقال إن كان ذلك حقاً فليكن مصاب مجزى هذا ينبت ويخضر من الشجرة التى أصله منها فغرسه فى الأرض فنبت شجرة لومى ، ويقال إن هذه الشجرة موجودة

= أقدام كثير وهذا رد لعقيدة الخوارج ورد لما يدعيه قومنا زوراً على أصحابنا من أنهم يكفرون سواهم . ويريدون بالتكفير الحكم بالشرك وهذه فرية تهدمها هذه الحقيقة الناصعة .

إلى الآن ببلدة هجار ، وهى مركز إمامته المحفوظة ، ثم سار إلى نزوى وهى فى أيدى الجبابرة وقد ملأوها جوراً وظلماً . فلما وصل إلى نزوى وجد خبازاً يخبز ، وجنديا من جنود السلطان يأكل خبزه ، والخباز يستغيث بالله والمسلمين منه ، فلما رآه على ذلك زجره ثلاثا فلم ينته ، فقتله فمضى مسرعا إلى مسجد قريباً من شاطىء الوادى — والآن سمى مسجد النصر — فأسرعت إليه الرجال لتقتله ، فلما وصلوا قريباً منه ، رأوا المسجد قد غص من الرجال المقاتلة ، فلم يصلوه ، قالوا فلذلك اختاره المسلمون عليهم إماماً .

وقيل انه لما خرج الوارث لإظهار العدل تخلف عنه أخوه محمد بن كعب ، فقالوا خزر فسموه خزيراً ، فبنوه يقال لهم بنو خزير . ومر فى مسيره على بئر لبنى صبح ، يقال له زكت بنى صبح ، وكان عليه رجل من بنى صبح ومعه أربعون رجلا ، فخرجوا عند الوارث ، فأوصى وارث بإيقاف مال ينفق منه على من حضر الإنفاق فى موضع مخصوص من الهجار إلا لمانع كمطر أو غيره ، فما زاد عن ذلك القدر فإنه ينفق على أهل الهجار وستال خاصة ، وأوصى لأهل زكت منه بأربعين سهماً ، ينفق فيهم وفى ذراريهم ولو بقى منهم رجل واحد ، فهم يعطون أربعين سهماً ، ومنع منه بنى أخيه لخزره عنه ، فوقفه يقسم إلى اليوم ما أوصى ، ولا يستطيع أحد من بنى خزير أن يأخذ منه لتعجيل العقوبة ، ولهذا الوقف آثار شاهرة وكرامات ظاهرة ، ذكرها لنا من نثق به ، منها أنه إذا أنفق فى الموضع المخصوص رأوا فيه زيادة على القدر الذى عهدوه ، وإن أنفقوه فى غير ذلك الموضع لعذر ، وجدوه كما عهدوه من كيل أو وزن ، ومنها أنه إذا أكل

من الوقف غير مستحقه : عوجل بالعقوبة ، ولو دابة أكلت منه مع علم صاحبها بذلك عوقبت ، وإن لم يعلم صاحبها لم يصبها شيء ، وغير ذلك مما شاء الله ، لم يتجاسر الناقل الثقة أن نأخذ عنه جميع ذلك .

وفى ليلة إحدى عشرة من المحرم سنة إحدى وثمانين ومائة توفى شيخ المسلمين موسى ابن أبى جابر الازكوى ، وهو من سامة بن لؤى بن غالب جد موسي بن على لأمه وكان قد عاش أربعا وتسعين سنة وأشهراً ، رضى الله عنه .

ذكر مسير عيسى بن جعفر

ابن المنصور إلى عمان

وكان ذلك فى أيام الوارث ، وكان عيسى بن جعفر بن عم هارون الرشيد وهو أخو زبيدة ، فبعثه هارون إلى عمان عاملا عليها فى ستة آلاف مقاتل، فيهم ألف فارس وخمسة آلاف راجل ، فلما وصلها كتب داود ابن يزيد المهلبى إلى والى صحار ، وهو مقارش بن محمد اليحمدى ، يخبره بذلك ، وبعث الإمام إليه مقارش بن محمد فى ثلاثة آلاف ، والتقوا بحتى فانهزم عيسى بن جعفر وسار إلى مراكبه بالبحر ، فسار إليه أبو حميد بن فلج الحدانى السلوتى ومعه عمرو بن عمر ، فى ثلاث مراكب ، فدخل عليهم أبو حميد مركبه فأسر عيسى ، وانطلق به إلى صحار فحبس بها ، وكان الإمام قد خرج من نزوى لدفاع عيسى أخذاً منه بالحزم ، فلما وصل سيفم لقيه الخبر بهزيمة عيسى بن جعفر ، فرجع إلى عسكر نزوى ، قال أبو الحوارى : فلما بلغ نزوى بلغه أن عيسى بن جعفر فى السجن ، قال : فبلغنا أنه قام فى الناس خطيبا فقال : ياأيها الناس ، إنى قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل ، قال : فبلغنا أن على بن عزرة ، وكان من فقهاء المسلمين قام فتكلم فقال : إن قتلته فواسع لك ، وإن تركته فواسع لك ، فأمسك الإمام عن قتله ، وتركه فى السجن ، قال فلما كان بعد ذلك ، بلغنا أن قوما من المسلمين وفيهم رجل يقال له يحيى بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان من أفاضل المسلمين واعله لم يكن يقدم عليه أحد فى الفضل فى زمانه بعمان ، انطلقوا

من حيث لا يعلم الإمام حتى أتوا إلى صحار ، فتسوروا السجن على عيسى ابن جعفر فقتلوه فى السجن من حيث لا يعلم الإمام ولا الوالى ، وانصرفوا من ليلتهم ، قال : وبلغنا عن بشير بن المنذر رحمه الله أنه كان يقول : قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار — أى بسبب قتله — وليس هو حكما بالغيب وإنما هو حكم بالظاهر ، يعنى أنه إذا لم يفعل غير هذا فلا يشم النار بسببه .

قال أبو الحوارى فهذا الذى حفظنا من خبر عيسى بن جعفر ، عن أهل العلم المأمونين على ذلك ، ثم ذكر صورة الحكم فى قتله فقال والذى حفظنا من قول المسلمين ، أن إمام المسلمين إذ قتل ، أو قتل والى المسلمين فى ولايته ، أو قتل قائد المسلمين فى مسيره ، أو قتلت سرية المسلمين ، أن دماءهم للمسلمين دون أوليائهم ، وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قدروا عليه فى غيلة أو غير غيلة ، قال وفى ذلك آثار المسلمين قائمة معروفة .

قال محمد بن محبوب : إن بعض أهل عمان أخبره أن خبر هزيمة عيسى ابن جعفر وصل مكة ، وأنهم أخذوه أسيراً قال : فقال والدى — يعنى محبوبا — للرجل ، سرنى إذ أخذوه أسيراً ، قال : قلت ولم يسرك ذلك ياأبا سفيان ؟ قال ليمنوا عليه ، قال الرجل : فقلت لمحبوب ياأبا سفيان ، لو كان معه كذا وكذا من رأس لقطعوها أهل عمان — أو نحو هذا من القول — قال : فقال هكذا ، قال نعم .

وفى المصنف قال : وبلغنا أن المسلمين باعوا شيئا من الخيل التى كانت مع عيسى بن جعفر ، وتصدقوا بثمنها على الفقراء ، والدار قاصية بعيدة ، فلما قتل عيسى عزم هرون على إنفاذ جيش إلى عمان ، فارتاع الناس لذلك ، ثم مات وأراح الناس من شره .

ذكر وفاة الوارث رضى الله عنه

قالوا فلم يزل الوارث إماما حسن السيرة قائما بالعدل ، حتى اختار الله له ما لديه ، فكان سبب موته أنه غرق فى سيل وادى كلبوه من نزوى ، وغرق معه سبعون رجلا من أصحابه ، وسبب ذلك أن حبس المسلمين كان عند سوقم مائل ، وكان ناس محبوسين (١) ، فسال الوادى جارفا ، فقيل للامام إن الوادى سيلحق المحبوسين ، فأمر بإطلاقهم ، فلم يجسر أحد أن يمضى إليهم خوفا من الوادى ، فقال الإمام : أنا أمضى إذهم أمانتى وأنا المسئول عنهم يوم القيامة ، فمضى إليهم ، واتبعه ناس من أصحابه ، فمر بهم الوادى فحملهم مع المحبوسين .

وقبر الإمام بعد أن يبس الوادى ، بين العقر وسمال ، وقبره معروف مشهور ، وكان كلما سال الوادى جارفا ، يدور بقبره ولم يضر بقبره ، فكانت هذه كرامة ظاهرة .

وقيل سبب دفنه هناك ، تشاجر أهل العقر وسمال عليه ، كل يريد أن يدفن معه ، فرأى من حضر من أهل الرأى أن يدفن مكانه ، صاحا بين

---

(١) ذكر بعضهم أن المحبوسين كانوا أسارى ، فهذه الواقعة تبين مروءة الإمام وأمانته ووفاءه ، فإنه لما رأى أسراه فى خطر وهم أمانة فى عهدته ، دفعه الواجب إلى إنقاذهم بنفسه حين خاف الناس أن يقتحموا الخطر ، فأين هذه الكمالات الإنسانية وأين هذه الهمة ؟ فلله در تلك النفوس العظيمة الشريفة ، رضى الله عنها .

الفريقين ، وكانت إمامته اثنتى عشرة سنة وستة أشهر إلا أياما ، وقيل اثنتى عشرة سنة وستة أشهر ويومين ، وأن وفاته كانت فى اليوم الثالث من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وقيل مات يوم الاثنين لأربع ليال من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وقيل إمامته كانت اثنتى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، والله أعلم .

باب إمامة غسان بن عبد الله

اليحمدى من الفجح

وذلك لما مات الوارث بن كعب رحمه الله ، بايعوه بعده ، يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وقيل اليوم الرابع من الشهر المذكور . قال أبو زياد : لما غرق الوارث ابن كعب رحمه الله ، قال سليمان بن عثمان لمسعدة بن تميم ، عند فلج ضوت فى البطحاء ، نكتب إلى أهل السر يأتون ، قال مسعدة : إنما يريد ابن عثمان أن نؤخر هذا الأمر حتى يجتمع إلينا الناس ، أو قال غوغاء الناس ، فيختلفوا علينا ، ولكنا نقطع الأمر . قال أبو الحسن : بايعه المسلمون على ما بويع عليه الوارث بن كعب ، فقام بالحق وعمل به ، وعز الحق فى أيامه ، وظهرت دعوة المسلمين بعمان . وكان فى أيامه جمة من العلماء ، قال : واختلف فى تلك الأيام هرون بن اليمان الشعبى[1] ، ومحبوب بن الرحيل ، فبين محبوب بدعته وأوضح ضلالته ، قلت : والظاهر أن اختلافهما كان فى أيام المهنا ، ولكل واحد منهما إلى المهنا رسائل يرد فيها على صاحبه ✡

وقدم غسان بعد إمامته صحار ، لخمس بقين من جمادى الأخرى

---

(١) الظاهر أن هرون بن اليمان معه من يشايعه بدليل قوله بعد : فبين محبوب — بدعتهم وأوضح ضلالتهم ، وإلا فالعباره يجب أن تكون : فبين محبوب بدعته وأوضح ضلالته اهـ..

سنة إحدى ومائتين ، فوقع الحريق فى السوق بعد ذلك بخمسة أيام ، فوافق هلال رجب ، فيذكرون أنه احترق ما بين الخورين ، فلا أدرى أنه فى هذا الحريق أو فى الحريق الذى كان سنة ثمانى ومائتين ، إلا أنهم يذكرون أنه احترق ما بين الخورين ، وكان البوارج — وهم كفار الهند — يقصدون بأطراف عمان ، ويسلبون منها ويسبون ويمضون إلى ناحية فارس والعراق ، فكانوا فيما بلغنا ربما يسيرون بناحية دبا وجلفار ، واتخذ غسان الشذاة[1] للغزو ، وهو أول من اتخذها بعمان وغزا فيها البوارج من هذه الشطوط ، وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاءات وبالغرف ، وفى رجب من سنة اثنتين ومائتين مات على ابن موسى ، ورجع غسان إلى نزوى يوم الإثنين لإحدى عشرة خلت من رجب سنة ست ومائتين .

وقتل أبو راشد بن محمد بالأولاح يوم الخميس لست من ربيع الأول سنة سبع ومائتين ، وقتل صقر بعده بعشرين يوماً — وهو صقر ابن محمد بن زائدة الجلندانى — وذلك يوم الأربعاء لست وعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وسبب ذلك أن صقر بن محمد ، كان قد بايع المسلمين على راشد بن النظر الجلندانى ، وأعان المسلمين بالمال والسلاح ، فلما أزال الله ملك راشد بن النظر الفاسق وغير نعمته وأظهر الله دعوة المسلمين وكلمتهم ، خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق من بنى هناة ،

(١) الشذاة ضرب من السفن يعنى اتخذ أسطولا لحماية شطوط عمان من القرصان الهنود وهو أول من اتخذ الأسطول من أئمة عمان . وأما الغرف فهو من نوع السفن تقرب من الشذاة .

ومعه بنو هناة وغيرهم ، وألقى إلى المسلمين أن أخا صقر مع البغاة ، فلما ذكر ذلك لصقر قال من يقول ذلك وإن أخي مريض عندي في الدار ؟ وكان صقر يومئذ بسمائل ، فلما هزم الله البغاة وظفر المسلمون بهم ، تحقق أن أخا صقر بن محمد كان مع البغاة ، فعند ذلك اتهموا صقراً بالمداهنة لما ستر عنهم أمر أخيه ، وكان الإمام يومئذ بنزوى ، وكان الوالي على سمائل رجل يقال له أبوالوضاح ، فرفع أبو الوضاح صقراً إلى الإمام ، مع سرية بعثها الإمام لحمله ، وخرج أبو الوضاح معه خوفاً عليه من الشراة أن يقتلوه ، وبعث الإمام إليه أيضاً سرية أخرى ، وبعث معهم موسى بن على ، فالتقوا بنجد السحامات ، فبينما هم في مسيرهم ، إذا اعترض بعض الشراة صقراً فقتلوه ، فلم يكن للوالي أبي الوضاح ولا لموسى بن على قدرة على منعهم من قتله ، قال أبو الحواري : وبلغنا أن موسى بن على رحمه الله خاف على نفسه فلو قال شيئاً لقتلوه .

قيل ولم يكن من الإمام غسان إنكار على من قتله ، وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمة العلماء ، فيحتمل سكوت الإمام أحد وجهين : إما أن يكون قد صح أن صقراً بايع عليه واستوجب بذلك القتل ، فأسر إلى بعض الشراة أن يقتله ، ولم يتشهر هو بقتله كي لا تكون عصبية . وإما أن يكون قد احتمل للقاتل معه أن يكون قد قتله بحق علمه ، كما احتملوا ذلك في قتل عيسى بن جعفر ، وإما خوف موسى على نفسه لو أنكر ، فلم يتحقق ذلك ، وإنما هو نفس خوف وظن ، لما رأى من الشدة في الشراة والله أعلم .

ولعل الخارج على الإمام الذي وجد معه أخو صقر ، هو راشد بن

شاذان بن غسان بن سعيد بن شجاع الهنائى من بنى محارب ، فنى الأنساب للعتبى : أنه هو الذى سار إلى دما فانتهبها وقتل واليها قومه ، قال : وكان ذلك فى ولاية الإمام غسان بن عبد الله الفجحى ، فوجه غسان بن عبد الله على آثارهم فيه طلبه وطلب من كان معه من بنى محارب من بنى هناة ، فلم يلحقوا ، ثم إن راشد بن شاذان طرح نفسه بالرستاق على الفجح من اليحمد ، فأخذوا له ولأصحابه أماناً من غسان ، وكان مقام غسان بنزوى فى بيت الإمامة فى العقر ، وفى زمانه سميت نزوى بيضة الإسلام ، وكانت قبل ذلك تسمى تخت ملك العرب ، قال فى بعض السير : ولها مدائح فى كتاب سير العرب ، وفى كتاب سير العجم ، تركت خوف الإطالة .

وفي زمانه خصبت عمان خصباً كثيراً ، وصارت خير دار ، وبقى الخصب من بعده زماناً طويلا ، حتى قيل إن فلج ضوت بنزوى يسقى ماله[1] من جلبة خراسين أربعين سنة ، قيل ومن كثرة الماء ذهب فلج ضوت القديم ولم يبق له أثر بأموال دارس ، قيل وكان غسان فى كل جمعة يزور قبر الوارث رحمه الله ، فمر يوماً على الغيل[2] الذى بالوادى ، وفى بعض جوانبه بعض الطحاب ، فقال في نفسه إن هذا أثر عن تغيير وقع فى البلد ، فأحضر أهل الأموال وقال لهم : أنا أريد حرب الهند ، وبيت المال لا يكفى ، وأريد أن أجعل على التجار قرضاً يكون أداؤه من بيت المال[3]

(١) المال : اسم لكل أرض غرست نخلا أو شجرا بلغة عمان .

(٢) الغيل : الماء الجارى فى الأودية يلتف عليه الشجر دائما .

(٣) هذا القرض يعبرون اليوم عنه بقرض الدفاع أو القرض القوى وهو ما تقرضه الأمة لدولتها لأجل الحرب وهذا الذى أفتى به شيخ الإسلام سعيد بن خلفان للإمام عزان رضى الله عنهم وأرضاهم والله هم رجال الدولة والعظمة قيض الله للأمة من يقوم مقامهم .

وأشاوركم فى ذلك ، فقال أصحاب الأموال : التجار يسعون بالفائدة ، وإن قلت دراهمهم ضاعت المعاملة بيننا وبينهم ، ونحن أرباب الأموال والقرضة علينا بما تريد ، فقال : لا غير هاهنا ، ثم أحضر التجار وقال : أريد أن أحارب الهند ، وخزانة بيت المال لا تكفى بمقاومة الحرب ، وأناظركم أريد أن أجعل قرضة على بيت المال لتقويم هذا الحرب من أرباب الأموال فما ترون ؟ فقال التجار أصحاب الأموال أهل حرث ، وأكثر الحروث لا تكفى مغرم ما عليها ، وليس فى أيديهم شىء مما يكفى لذلك ، فقال الإمام : لا غير هاهنا ، ثم أحضر الوزراء وأرباب الدولة ، فقال : أريد أن أجعل قرضة على أرباب الأموال والتجار فى بيت المال لحرب الهند ، فما ترون ؟ — وهو يريد بهذا السؤال كله كشف ما عندهم — فقالوا : هذا شىء وقع فى قلوبنا من قبل ، فقال فى نفسه : الغير من هاهنا ، فاستبدل بهم غيرهم ، فلما مر فى الجمعة الثانية على النيل لم ير شيئاً ، ورأى الماء زائداً عن أصله .

ذكر وفاة الإمام غسان رحمه الله

قيل إنه مرض يوم الأربعاء ، لثمان بقين من ذى القعدة ، ومات يوم الأحد بعد صلاة الفجر ، لأربع بقين من ذى القعدة سنة سبع ومائتين ، وكانت إمامته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر ، وفى نسخة وتسعة أشهر ، — بتقديم التاء — إلا ثمانية أيام ، وقيل ولى خمس عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً ، وقيل خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ، والله أعلم .

ذكر أحكام الإمام غسان رحمه الله

قيل إنه لم يَقْطَعْ بعمان يد سارق ، إلا غسان بن عبد الله ، فإنه قطع يد سارق واحدة بصحار ، بعد أن وجب عليه القطع ، ومن أحكامه أنه كانت لبنى الجلندى بسمد نزوى محلة ولعل موضعها اليوم المال المسمى العقودية ، قال أبو الحوارى : وكانت هذه الدار عقوداً على الطريق الجائز . قال : وأحسب أنه كان فوق العقود الغرف ، وكانت تلك العقود يقعد فيها أهل الريبة . قال : فبلغنا أن امرأة مضت فى الليل فى تلك العقود وهى مظلمة ، فاعترض لها رجل من الفساق ، فبلغ ذلك الإمام ، فأرسل إلى أصحاب الدار ، وأمرهم أن يهدموا العقود ، وحكم عليهم بذلك ، أو يسرجوا فيها بالليل ، حتى يرى من يقعد فيها من أهل الريبة ، فأخرج أهل الدار طريقاً للناس فى أموالهم ، وكان الناس يمرون فى تلك الطريق إلى أن خربت تلك الدار ، فرجع أصحاب الدار إلى طريقهم فأدخلوها فى أموالهم وعمروها ، ورجع الناس إلى طريقهم الأول ، ولهذه الطريق آثار ورسوم سهلى المسجد الجامع من سمد نزوى . قال أبو الحوارى : ولو أن أهل الدار لم يفعلوا ذلك ، ولم يسرجوا فى العقود على ما أمرهم الإمام ، فلعله كان يهدم الدار ، وهو وجه من الحق والعدل إن شاء الله تعالى قال : فهذا غسان قد أمر بهدم الدار لدفع هذه المفسدة ، فكيف ولو كان فيها أحد من البغاة لكان أعظم ذنباً وأشد عقوبة ...

ومن أحكامه رحمه الله تعالى ، ما حكم به فى فلج الخطم من منح ، وذلك أن السيل الذى غرق فيه الإمام الوارث ، أتى عليه فاجتاحه وذهب به أصلا ولم يجدوا إلى إخراجه سبيلاً إلا فى أموال أهل نزوى ، فأمر

الإمام غسان القاسم بن الأشعث وهو الطالب لإخراج الفلج أن يستر نفسه ، ثم أرسل إلى سليمان بن عثمان رحمه الله ، فلما أتى إليه قال له : يا أبا عثمان ما تقول فى فلج لقوم مثل فلج نزوى يمضى فى أرض سمد وهى لبنى أبى المعمر ، فأتى السيل عليه فاجتاحه ، فلم يقدروا على إخراجه إلا فى أموال الناس ، فهل لهم ذلك ؟ فقال سليمان : نعم لهم ذلك ، فقال له الإمام : يكون لهم ذلك بالثمن أو بغير الثمن ؟ فقال سليمان : بل لهم ذلك بالثمن ، فقال الإمام : يكون بالثمن بما قال أصحاب الأرض أم بقيمة العدول ؟ فقال له سليمان فيما بلغنا : يكون ذلك بقيمة العدول ، فلما عرف الإمام غسان رأى سليمان بن عثمان فى ذلك تمسك به فلما انصرف سليمان أرسل الإمام إلى القاسم بن الأشعث ، فلما أتى قال له الإمام : اذهب فادع خصماك ، فانطلق القاسم بن الأشعث فأتى بهم إلى الإمام ، وهم بنو زياد ، فلما حضروا ،معه طلب القاسم بن الأشعث مجرى لفلجهم بالثمن ، فقال أهل نزوى ليس علينا ذلك ، فقال لهم الإمام غسان : « هذا رأى سليمان بن عثمان » ، فانطلق أهل نزوى حتى أتوا سليمان ، فأعلموه بقول الإمام ، وقالوا له أنه قال إن هذا رأى سليمان بن عثمان ، فقال لهم سليمان : غرنى غسان ، فانطلق سليمان فأتى الإمام ، فقال سليمان للإمام إنه قد رجع عن رأيه ذلك ، فقال له الإمام فإنى لا أقيلك ، وتمسك بذلك الرأى . وقال الإمام غسان لأهل نزوى : اذهبوا فاخرجوا للقوم مجرى لفلجهم بالثمن ، فأبوا عن ذلك وامتنعوا ، فقال الإمام غسان لأهل منح اذهبوا فاخرجوا فلجكم ، فإن طلبوا الحق كان لهم ذلك برأى المسلمين — أو كما قال — فانطلق أهل منح فأخرجوا فلجاً فى أرض أهل نزوى برأى الإمام

غسان ، ولم يكن ذلك برأى أهل نزوى ، وهم كارهون لذلك ، وهو فلج الخطم . ذكر ذلك أبو الحوارى قال : والفلج قائم بعينه فى أرض أهل نزوى فى يومه هذا ، قال ولعله لا يزال إلى يوم القيامة ، ولم يجبر أهل نزوى حتى يأخذوا حقوقهم من أهل منح أو يبرءوا منها .

ومن أحكامه رضى الله عنه حبس صقر بن محمد بن زائدة ، بتهمة اتهمه بها هاشم بن الجلندى فى جراح أصابه — أنه أمر به — قال أبو عبد الله : أن هاشم ابن الجلندى كان قد أصابته رمية بالليل فجرحته فى رأسه ، وهو يومئذ بدما مع الإمام غسان ، فاتهم هاشمٌ وصقر بن محمد بن زائدة أنه أمر به من رماه ، وكان صقر يومئذ بسمائل ، فأمر به غسان فحبس ، فأنكر ذلك عليه سليمان بن عثمان ، وقال ليس عليه حبس لأنه لم يتهمه أنه جرحه وإنما اتهمه أنه أمر من جرحه ، فإنما عليه يمين ولا حبس عليه ، فلم يقبل ذلك غسان حتى غضب سليمان وهجره . قال بعضهم لا أدرى كيف غضب على الإمام ، وقد فعل . قال : ولعله شاهد ما لم يشاهده ، قال والإمام أحق بتحسين الظن والله أعلم . قلت قد ظهر سبب غضبه وهجره ، من قوله أنه ليس عليه حبس وإنما عليه يمين ، فهذا سليمان لا يرى على صقر حبساً بتلك الدعوى ، وحبسه الإمام وسليمان لا يرى له ذلك فى نظره واجتهاده ، وكان قد أحب له السلامة منه والتعفف عنه ، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله أعلم .

ومن أحكامه رضى الله عنه ، ما ذكر زياد بن الوضاح ، أن بقية أتى به إلى غسان ، وأجله أربعة أشهر على أن يخرج من عمان ، فمات قبل انقضاء الأجل . قال أبو محمد كان بقية يقال أنه كاد أن يكون فتنة لو بقى ، وكان

يظهر الاعتزال ويرضى الزندقة . قال زياد بن مثوبة : كان بصحار شيعه، كان بقية أصغرهم ، قال: وكانوا يشددون عليهم . وكان المسبح بن عبدالله أعمى ، وكان يقضى فى نزوى بين الناس فى أيام الإمام غسان والقاضى ، ليسمع الشهود ويقضى على الخصمين وهو لا يرى أحداً منهم ، فجعل المسبح قاضياً على هذا الوصف من جملة أحكام الإمام ، وبعض المسلمين لايرى أن يولى القضاء أعمى .

قال العلامة الصبحى : وبلغنى أن عبداً أُخِذَ من بعض أهل عمان ، وخُرِجَ به إلى الأعاجم ، فأنفق الإمام غسان على رده أربعة آلاف درهم من مال الله ، أو ماشاء الله ، فى أيام جمة من أهل العلم ، فلم يعيبوا ذلك .

قال أبو مروان : اجتمع سعيد بن المبشر ، وأبو مودود ، وهاشم بن غيلان ، والقاسم بن شعيب ، عند الإمام غسان بن عبد الله رحمه الله فسألهم عمن يقدم من بلاد الهند بتجارة ، كيف آخذ منه الزكاة ؟ فقالوا : إذا وصل إلى عمان وباع متاعه ، فخذ منه الزكاة من حينه ، وإن لم يبع المتاع حتى حال عليه الحول ، يقوم متاعه كما يباع ، ثم خذ منه الزكاة سنة واحدة ، وأما من يقدم من البصرة وسيراف بمتاع ، فلايؤخذ منه الزكاة حتى يحول عليه الحول ، وإذا حال عليه الحول أخذت منه باع أو لم يبع

وكتب الإمام غسان ، إلى عبد الله بن شاذان ، فى امرأة احتجت فى دفع زكاة حليها بأن عليها ديناً : إن الحلى ليس بمنزلة الدراهم ، فخذ منها زكاة الحلى ولا تنظر فى حجتها ، وهذا رأى منه رحمه الله تعالى . وقيل أن الدين يسقط زكاة الحلى أيضاً كما يسقط زكاة النقدين المضروبين ، وهو قول أكثر من رفع الزكاة بالدين من أصحابنا .

وقيل أن الإمام غسان ذكر يوماً العدل ، وذكر حالة العبيد فى الباطنة ، وكانوا يزجرون لساداتهم بالليل ، فقال : عدلنا إلا فى عبيد الباطنة ومعناه أنه ليس للسيد أن يستخدم عبده بالليل ، وأهل الباطنة قد استخدموهم للضرورة الداعية لذلك ، ولكنهم يريحونهم بالنهار فوق قدر عملهم بالليل . وقد رخص لهم بعض المسلمين فى ذلك ، إذا أراحوهم بالنهار وكان الإمام يرى التشديد فقط .

ويوجد أنه كان فى أيام الإمام غسان ، ناس جىء بهم ، وكانوا قد استحقوا القتل فى رأى بعض المسلمين ، فشاور الإمام القاضى مسبح بن عبد الله ، فلم ير قتلهم ، فسجنهم الإمام ، ثم ناظر المسلمون القاضى فى قتلهم ، حتى رجع إلى القول بالقتل ، فدخل على الإمام فأخبره أنه رجع إلى القول بقتلهم ، فقال الإمام : لا أقبل ذلك منك إلا أن تقول به بين جماعة من المسلمين ، لأنك أفتيت بمنع قتلهم في جماعة من المسلمين . فلما اجتمع الناس بالمسجد ، قام القاضى واقفاً وقال : إنى كنت قد أفتيت الإمام بمنع قتل هؤلاء ، وإنى قد رجعت عن ذلك ، وأفتيته الآن بقتلهم ، فأمر بهم الإمام فضربت أعناقهم . وهذه سياسة من الإمام تقتضى تبرئة ساحته من التهمة ، وفيها تصلب عظيم من القاضى ، جزاهم الله خيراً عن الإسلام وأهله .

ذكر شيء من نصائح العلماء

للإمام غسان

فمن نصيحة أبي مودود له ، قال : ولا تول الأمور من يختلف المسلمون عليك فى عدله ، فيخون الله ، بخلاف الصادقين الذين يحبون الله ويريدون وجهه ، وأنت تقدر ومعك الجهاد والاجتهاد ، وأنت بإذن الله قادر على بقية صلحاء الصادقين . ولا تأتمن على المسلمين إلا من رآه الصالحون أميناً ، فتحارب الله ، ولا تحل نصرتك ، ويحل خذلانك ، ولا تطلبن العسر ومعك اليسر . ولا تختر على الله فإن الله يقول : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » .

وكتب إليه منير كتاباً طويلا ، يذكر له فيه سيرة من قبله من أئمة الهدى ، وذكرنا فى إمامة الجلندى بعض ذلك ، وإنما وصف له سيرتهم ليحرضه على سلوكها واقتفاء آثارهم ، فى الأخذ بالأحزم ثم الأحزم ، ثم ذكر له أحوال الناس بعد أولئك الأئمة فقال : اعتقدوا الشراء فى غير صدق أهله ، فركنوا إلى الدنيا ، ومال بهم الهوى إلى باطلها ، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، قال الله تعالى : « فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ » . فباعوا الكثير الباقى بالقليل الفانى ، وصغر الدين فى أعينهم ، وهان عليهم فأهانهم ، وأنزل بهم الخزى ، وألبسهم شيعاً ، وأذاق بعضهم بأس بعض ... إلى أن قال : واعلم أن الوهن والتقصير ، وتألف الناس على ما لا يوافق الحق ، لا يزيد فى الرزق ،

ولا يعد فى العمر ، ولا يزيد أهله إلا مقتاً ووهناً وخساراً ... إلى أن قال: وإياك أن تكثر بمن يشين معك ولا يزين ، ويفسد ولا يصلح ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً : « وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ » . نسأل الله أن يتولانا وإياك بما تولى به المتقين ، وأن يردنا وإياك إلى الحق وأهل الحق ، ويجمعنا وإياك عليه ، ويهدينا وإياك لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، إن الله رؤوف رحيم . قال : فإذا استعتبتكم أنفسكم ومن معكم ، ومن إقامة أموركم على ما مضى عليه من كان قبلكم من أسلافكم واستقام على السير ، مبارك بن جعفر ، وسليمان بن عثمان ، والحكم بن بشير ، ومسعدة بن تميم ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زياد ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر ، والأشعث بن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن وضرباؤهم من المسلمين، فاكتب إلينا فيأتيك من أحببت منا وكرامة بك ونعم عين . قال : وإن كره النفر الذين سميت لك فى الكتاب السير فنحن أضعف عنه ، وأبعد داراً ، وأكثر ديناً ، وأشد حاجة إلى المقام فى ضيعتنا ومعائشنا ، ولو خلونا ما سرنا إلا معهم ، عافانا الله وإياك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

باب إمامة عبد الملك بن حميد

رحمه الله تعالى

وهو من بنى على بن سودة بن على بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدى ، وكانت البيعة له يوم الاثنين لثمان ليال بقين من شوال سنة ثمانى ومائتين ، وقيل لثلاث بقين من ذى القعدة من سنة سبع ومائتين ، فسار سيرة الحق والعدل ، واتبع أثر السلف الصالح ، وصارت عمان يومئذ خير دار .

قال أبو الحسن : بايعوا لعبد الملك بن حميد علي ما بويع عليه غسان ، فقام بالحق إلى أن كبر ، وخافوا على الدولة فقام موسى بن على[1] رحمه الله بالدولة حتى مات عبد الملك .

قال أبو المؤثر : وحدثنى الثقة ، أن عبد الملك بن حميد الإمام رحمه الله ، كان قد ضعف وسقط وثقل منه السمع والبصر ، إلا أنه قد كان يسمع ويبصر الشىء ، وقد كان يقع فى عسكره القتال ، قال : وكانت ضعفته فيما بلغنا أشد من ضعفة الصلت ، وسألوا موسى بن على عنه فرأى أن إمامته ثابتة ، ولم يستحل عزله حتى مات . وقال أبو الحسن : وكان بعض المسلمين — أظن أنه المنذر بن بشير — يصدر عن موسى بن على إذا رآه لم يعزل عبد الملك ، وكان يقول هذا الشاب يصدعنا إذ لم يعزل الجبل وقال محمد بن الحسن : كتب موسى بن على إلى الإمام عبد الملك فى

---

(١) موسى بن على هو شيخ المسلمين يومئذ إمام العلم وعلم من الأعلام المجتهدين .

أمر رجل ، ثم إن الرجل أتى موسى فقال : رد الإمام كتابك فقال أبو على : هو المأمون علينا وعليك . وكان عبد الملك الإمام يطرد مهرة ، ويطلبهم لسفكهم دماء المسلمين ، وكانوا يلقون بأيديهم ولا يقبل الإمام منهم ، حتى أشار عليه موسي بن على رحمه الله أن يقبل ذلك منهم ويؤمنهم ، فأمنهم ، وكانوا قد سفكوا دماء المسلمين .

وفى سبع بقين من ذى القعدة ؛ من سنة عشر ومائتين ، توفى محمد ابن موسى ، ويحكى أن زاهداً كان يواصل موسى بن علىٰ بأزكى ، فلما ولى القضاء انقطع عنه وجعل يواصل سعيد بن جعفر بمدبى من أزكى ، فقيل للزاهد فى ذلك ، فقال : ذلك قد دخل فى الدنيا وأمور الناس ، فأرسل موسى إلى سعيد بن جعفر أن ينتظره الزاهد معه ، حتى يصل إليه ، فامتنع الزاهد عن ذلك ، فلم يزل سعيد بن جعفر بالزاهد إلى أن أجابه إلى ذلك ، فوصل موسى إليه ، فاجتمع بالزاهد عند سعيد بن جعفر ، فلما أراد الزاهد الانصراف سلما إليه دريهمات فلم يقبلها منهما إلا بعد مسألة منهما له ، فقبضها وخرج من عندهما نخرجا فى أثره ينظرانه فلم يزالا ينظرانه إلى أن اتى رجلين معهما حمار فوقف معهما كأنه يكلمهما ، فوقف موسى وسعيد إلى أن وصلا إليهما الرجلان، فسألاهما عن وقوف الزاهد معهما ، فقالا لهما إنه سألهما عن الحمار الذى معهما لمن هو منهما ؟ فعرفاه أنه لأحدهما ، فسلم الدريهمات إلى الذى اعترف بأن الحمار لصاحبه ، وكان هذا الزاهد يدخل مسجد الجامع من نزوى فى أيام الإمام ، فيصلى فيه ، ولا يدخل السوق ، ويصل إلى مجلس الإمام ثم يشرف على السوق فيقول : يا أهل الغفلة ، ويا أصحاب المكيال والميزان ثم ينصرف .

وتوفى الإمام رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ، لثلاث خلون من رجب ، سنة ست وعشرين ومائتين ، وكانت إمامته ثمانى عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ويقال ثلاثة أيام ، وفى أيامه رحمه الله تعالى صلى عمر بن الأخنس بالناس الجمعة بنزوى ركعتين من غير أن يأمره الإمام ، وكان الإمام مريضا بنزوى ، فلم يخرج إلى الجمعة وكان موسى بن على يومئذ حاضراً فلم ير موسى عليهم النقض وأجاز صلاتهم ، قال أبو عبد الله : فأنا أرى على عمر بن الأخنس وعلى من صلى معه النقض .

وفى أيامه رضى الله عنه قتل سعيد بن محمد النخلى فى نخل على فراشه خفية ، فأقر ربيب سعيد بن عمر أنه قتله ، وأنه إنما أراد قتل عمه زوج أمه سعيد بن عمر ، وإليه قصد ، فوقع فى سعيد بن محمد خطأ ، فشاور عبد الملك المسلمين فى ذلك ، فلم ير موسى وغيره القود ، قال محمد بن على : قال موسى بن على : أشار علينا الإمام عبد الملك فى رجل أقر أنه قتل رجلا وجده على سرير ، واحتج أنه أخطأ ولم يتعمد إلى الذى قتل ، قال : فأمسكت أنا عن ذلك حتى رأيت فى كتاب ، أن القول قول القاتل ، وأما بعضهم فلم يروا له ذلك ، وقال عزان بن صقر : أخبرنى هاشم بن الجهم أن قوما من أهل نخل دخلوا على رجل فقتلوه ، فأقروا بقتله ، وقالوا ظننا أنه فلان لرجل غيره ، فذكر أن موسى بن على لم ير عليهم قودا فيما بلغنا ، قال : وأخبرنى الفضل بن الحوارى عن سعيد بن محرز ، أنه قال فى هذه المسألة : أن الأشياخ رأوا عليهم القود إلا موسى بن على ، قال فرأيناه فى آثار المسلمين أنه خطأ ، قال : وأخبرنى محمد بن على فى هذه المسألة عن أبى على

يعنى موسى قال . سكت فلم أقل شيئاً فلما رجعت رأيت فى بعض كتب المسلمين أنه خطأ .

وذكر الإمام الصلت بن مالك قال : وصل كتاب من والى صحار ، إلى الإمام عبد الملك بن حميد ، يذكر فيه أن يهوديين اقتتلا بالساحل ، فقال أحدهما : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » قال : أعينوا أخاكم المسلم ، ثم أنكر ولم يقر بالاسلام ، فجمع عبد الملك ابن حميد الأشياخ ، فأرادوا أن يجيبوا فيه جوابا ، كأنهم يرون ذلك يلزمه ، ثم كتبوا إلى موسى بن على رحمه الله ، فكتب أن يشد على اليهودى ويهدد بالقتل ، فإن أسلم قبل منه وإلا فلا قتل عليه ، وقال أبو عبد الله إنما لم يلزمه القتل لأنه لم يقر بجملة الاسلام ، لأن القول الذى يلزمه فيه الاسلام ، ويجب عليه القتل فى تركه إذا قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن جميع ما جاء به حق من عند الله » قال : فهذا الذى يدخل به فى الاسلام ويخرج به من الشرك .

وفى الأثر قال : سمعت أبا يزيد التاجر ، يسأل بشيراً ، وهو عنده ، عن رجل قتل رجلا فأقاده به الامام أو القاضى ، فلما رفع إلى الوالى وانطلق ليقتله ، لقيهم رجل فقال لهم : ما هذا ؟ قيل له رجل يقتل ، فقال : وهو حلال دمه ؟ فقالوا له نعم ، فقتله الرجل ، فقال له الوالى أحسنت فيما صنعت وأجاز له ذلك ، فقال بشير : ليس ذلك إليه بل يقتل به ، قلت لهاشم : فيذهب صاحب دم هؤلاء ، لا دية ولا قود ، قال نعم .

وقال جابر بن النعمان : اختلف المسلمون من أهل صحار فى الذى يعمل الحسنات والسيئات ، فقال بعضهم أنها تحصى عليه حتى يموت ، ثم ينظر

فى حسناته وسيئاته أيهما أكثر جزى به ، وقال آخرون إذا عمل حسنة ثم عمل سيئة محت السيئة الحسنة ، قال جابر : نخرجنا من صحار إلى سمائل فسألت هاشم بن غيلان رحمه الله عن ذلك ، فقال : كفوا عن هذا ، فقد وقع هذا بصحار وكتبوا إلينا فلم نجبهم ، وعند هذا ومثله تقع الفرقة وبالله التوفيق ، وقال أبو على : جاءنا كتاب من أشياخ صحار ، وكتاب آخر من الشراة ، فيه عتاب فيما بينهم وشىء كرهناه لهم ، ولا يبلغ فيه براءة ولا فراق ، ولا عظيم من الأمر والدرك فيه قريب ، فأهل الفضل منكم الذين يسعون فى الألفة والصلاح ، فإذا جاءكم كتابنا فاجتمعوا رحمكم الله فليستغفر بعضكم لبعض ، وتمسكوا بشرعة الله ودينه ، وما حدث بينكم من التنازع فقولوا ديننا فيه دين المسلمين ، ورأينا فيه رأيهم ، وحكمه إلى الله ، ثم ارفضوا به ، وقال الله تعالى : « وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا » « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » هذه وصية الله فالزموها يكن الله معكم ، ويكفيكم ما أهمكم .

وفى زمانه رحمه الله تعالى أظهر قوم من القدرية والمرجئة دينهم بصحار ، ودعوا الناس إليه وكثر المستجيبون لهم ، حتى صاروا بتوام وغيرها من عمان ، نخاف هاشم بن غيلان رحمه الله تعالى على المسلمين من ذلك ، فكتب إلى الإمام ما نصه :

إلى الإمام عبد الملك بن حميد من هاشم بن غيلان :

بسم الله الرحمن الرحيم . . . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى

لا إله إلا هو ، وأوصيك ونفسى بتقوى الله ، وطلب ما يخرج به من فتنة العلماء التى أصبح فيها كثير من أهل الشقاء ، وأستعين بالله .

أما بعد أيها الإمام(١) ... مما العاقبة منه سلامة فى الدنيا والآخرة وإيانا برحمته ، فإنى كتبت إليك ، والعافية حالنا ، والحمد لله كثيراً لحب سلامتك ، ويسراً لصلاحك ، وصلاح قسم الله لك ، وما وفقك الله وأرشدك وأعزك ونصرك ، فنسأل الله لك ذلك من لدنه فضلا منه ورحمة ، والله ذو الفضل العظيم ، أعلمك رحمك الله . أنه كان قبلك من أئمة المسلمين أدركنا من أدركهم ، وأخبرونا عنهم ، أن أول شىء ساروا به فى الناس ، أن علموهم دينهم وأظهروا لهم نسب الإسلام ، وبينوا لهم ما يأتون مما أمرهم (الله) به من طاعته ، وما يتقون مما نهاهم عنه من معصيته ، ومن كان على غير دين المسلمين من أصناف الخوارج والشكاك وغيرهم لم يدعوهم على ذلك ، حتى دخل الناس فى الإسلام ، فمنهم من دخل فى الإسلام على أيديهم وألسنتهم بالصدق منه والرغبة فى دين المسلمين ، ومنهم من قبل دين المسلمين تقية منه ، ولم يظهر به على الله حتى أماتوا كل بدعة وكل دين على خلاف الإسلام ، وكانوا رحمة الله عليهم إذا بلغهم من أحد أنه على غير دين المسلمين ، أرسلوا إليه وعرضوا عليه دينهم ، فإن قبله كان له ما لهم وعليه عليهم ، وإن أبى إلا أن يغير ما عليه دين المسلمين ، أمروه بالخروج من بلادهم ، فان خرج تركوه وإن لم يتب ولم يخرج لم يقاروه على ذلك ، وأكرهوه على قبول الإسلام ، فأحيا الله بهم الدين ، وأمات بهم البدع ،

---

(١) هنا سقط بالأصل .

وأظهر بهم الحق ، وأطفأ بهم كل جور حتى مضـوا عليهم رحمة الله ورضوانه .

وأنه بلغنا أن قوماً من القدرية ، والمرجئة بصحار ، قد أظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه ، وقد كثر المستجيبون لهم ، ثم قد صاروا بتوام وغيرها من عمان ، وقد يحق عليك أن تنـكر ذلك عليهم ، فإنا نخاف أن يعلو أمرهم فى سلطان المسلمين ، فأمر يزيد أو اكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم ، حتى يطفأ الضلال والبدع ، واكتب إليه رحمك الله ، أن يظهر الإنـكار عليهم ، ويرسل إلى كل من بلغه شىء من ذلك ، فيعرض عليهم الإسلام ويصف لهم الدين ، وإثبات القدر ، وتـكفير أهل الإصرار ، فإن قبلوا ذلك وإلا فاحبس ، وعاقب . ومن بلغه عنه تماد فى ذلك حبسه وعاقبه ، وأطال حبسه .

أحببنا أن نعلمك ، ونـكتب إليك بالذى بلغنا من ذلك ، وضاقت به صدورنا ، فانظر فى ذلك ، نظر الله إليك وإلينا برحمته .

والسلام عليك ورحمة الله ».

ذكر نصائح العلماء للإمام عبد الملك

- وعن هاشم بن غيلان وأهل أزكى إلى الإمام عبد الملك بن حميد ، نوصيك بتقوى الله وطاعته ، والقيام لله بسبيل ما جعلك لسبيله من دينه ، المطوقة حقوقه التى أوجبها بميثاق وتؤكد ، وأحسن رعاية ذلك بالجهد ، واعمل فيه بالتشمير والجد ، فإنها نعمة من الله أسبغها عليك ، وهدية كريمة صرفها إليك ، عليك فيها لله المبالغة فى كل ما أنت بالغ فيه بقولك

وفعلك ما أمكن لك فيه القول والفعل ، فبالله فاستعن على ذلك ، واستنصر يكن لك عوناً على ذلك وناصراً .

أما بعد : فعافاك الله أيها الإمام وإيانا عافية يجعل لك فيها ولايته ، وكلاءته وعصمته ورحمته ، ويبلغك فيها إلى حسن كرامته وحلول جنته ، ويمنّ علينا وعليك بمثل ذلك ، إنه ذو الفضل العظيم ، وصل إلينا كتابك رحمك الله فى الذى نظرت فيه من الأمر الواجب عليك من حق الله ، وذكرت إراحة من راح إلى الجهاد فى سبيل الله ، فالله يوفقك فى ذلك لرشدك ، ويتم لمن نوى الخير أصدق نية ، ويزيدهم فى ذلك بصيرة وبالثواب يقيناً ،

إعلم رحمك الله أنك قد عامت ببيان الله الذى بينه لك ولنا فى عهده الذى عهده إليك وإلينا إلى الدعوة التى دعت ، والشريعة التى شرعت للجهاد فى سبيل الله حتى يكون دين الله هو الظاهر على كل دين ، فذلك هو الدين الذى يدان إليه ، وهو الرأى المجتمع عليه عند من توجه إلى الله ، وأراد ثوابه ، واصطفاه الله حين أمر به ، وانتخب له المصطفين من عباده لا يكون إلا لهم ، ولا يقوم إلا بهم ، فأولئك لهم نصر الله ، وعونه ، وولايته ، وتوفيقه ، وما جعله حقا لأوليائه عامته فى الدنيا والآخرة ، ولا يصلح إلا من الصالحين من عباد الله ، وليس كل من استوهب أمراً وهب له ، ولا من استأذن فى أمر فى الدخول دخل فيه ولكل من ذلك أهل معروفون ، وناس موصوفون كصفة الأسلاف الماضين من أهل الهدى والسابقة ، والنيات الصادقة ، وهذا أمر يستبين بالنظر والتفكر ، حتى يؤخذ منه بالثقة فى كل أمر ، ويبرأ أهله من كل تبعة وينقطع

فيه مقال العائب ، وتؤمن عواقبه ، فإذا تم جميع ما هو محتاج إليه مما لا غنى عنه ولاصلاح إلا به فاستخر الله فى المضى ، واستعن بالله على العمل به ، وليس الذى أمرناك بالنظر فيه من إصلاح الأمر ووضعه موضعه الذى لا يصلح إلا به ، جهالة منا لفضل الجهاد ، ولالما وعد الله عليه ، ولا تثبيطا عن الانبعاث فى سبيل الله ، فيكون كمن صد عن سبيل الله ، ونهى عبداً إذا صلى ، ولكن علمنا أن ما مر له منتهى وأنه قد جاء من الله فيه أمر وبيان ، جعله أثراً لأهل الإيمان ، ليس لهم أن يجاوزوا عليه فيه ولا يتعدوه إلى غيره ، فان كان المتأملون لهذا الأمر الراغبون فيه قد حل لهم المضى لهذا الأمر بمعرفتكم بحسن حالهم ، وأنتم وراءهم والصالحون أمناء على ما قد يغيب عنك من فعلهم ، وسيرتهم ، لأنهم منك ، ومصدرهم من عندك ، والمأمور فى أمر الآمر ، وله من أجره ووزره .

فانظر رحمك الله فى أمر قد أتاك النظر فيه ، ومن هذا الأمر نظراً بالغاً حتى تعدل وتصلح ، ثم اغتنم منه ما حضر ، وأعن عليه من فيه استنصر وأمدهم بآلتهم ولا تألهم من الإصلاح وإراشة الجناح ، فإنهم أهل لذلك منك لعظم عنائهم ولما يرجى من حسن بلائهم ، وقد رجوه أن أتم الله فى هذا الأمر النية ، وبلغ منها إلى الوجه أمنية أن يكون رحمة من الله فتحها وكرامة منه اختص بها من سهل ذلك له ، ومن عليه ، فخذ من ذلك بالثقة ، واشهد فيه للرشد ، واسند له الاستقامة والقصد ، فان الله لك ما استهديته وتوكلت عليه ، وكفى بالله وكيلا تولاك الله وحفظك وأحسن بك فى جميع أمورك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم : إلى الإمام عبد الملك بن حميد ، من هاشم ابن غيلان ومحمد بن موسى والأزهر بن على والعباس بن الأزهر وموسى ومحمد ابنىْ على ، وسعيد بن جعفر ، سلام عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ونوصيك بتقوى الله ، والقيام لله بسبيل ما جعلك سبيله ، من الأمر الذى قد أحكم فيه وصيته ، وأوضح فيه معرفته ، وأخذ فيه من أهله الميثاق الغليظ والعهد الوثيق ، ولأهله عنده جزاء فى العقبى بالوفاء بذلك على ما كلفك فى ذلك ، وبالنقص على قدر ذلك ، وكفى بالله مجازيا وإلى الله تصير الأمور .

أما بعد : فعافاك الله أيها الإمام وإيانا عافية تامة برحمته ، وعافاك وإيانا من النار فإنه الفوز العظيم ، كتبنا لك ونحن فى عافية ومن قبلنا ، والله نحمده على ذلك كثيراً ، حبب إلينا ما رفعك الله به ، وأعانك عليه من رشد وصلاح وتمام نعم الله عليك وعافية الله إياك وصل إلينا كتابك تذكر فيه وصولنا إليك فى الأمر الذى قد عرفته وعرفناه ، وكان من ذلك ما أذن الله به إلى منتهى من ذلك بلغ الله ، فإن الذى استأذنه أمر ألزمناه أنفسنا لله ولدينه ورأيناه لنا لازما لا مخرج لنا منه إلا بأدائه إليك ، لم نر لأنفسنا كتمانه ، ولا التقصير عليك فى إبلاغه إليك ، والنصيحة لك ، وذلك أنا وإياك على دين وجبت فيه الحقوق علينا وعليك بحقوق مؤداة ، والحق علينا لك محض النصيحة فى كل أمر ، وإن خالف فيه الهوى والحق عليك قبول ذلك ، وإن استمر مذاقه وثقل حمله ، وقد علمت أن منتهى أصل الدين عند ترك النصائح ، والتولى عنها البراءة الفراق ، فعائذون بالله من تلك المنزلة والمصير إليها وقد رجونا أن لا يبلغ

بنا الأمر إلى تلك المنزلة ، ونحن على طمع من عطف القلوب ومعرفة موقع النصيحة ، ولولا الثقة بذلك منك لعسى أنه قد بلغ منك الأمر إلى حقائق الأمور ، فنحن منتظرون الذي يرضى الله ولدينه غير مؤيسين من ذلك لمعرفتنا تقدعك ، والذى نتوهم عليك فيه أنك تزول إليه من بعد هذه الحال من الأمر الذى فى الدين أصفى ولله أرضى وأحب الأمور إلينا فيه تمام ما أنعم الله علينا وعليك من المواد والمحاب فى ذلك ، وذلك الذى يسرنا وتقر به أعيننا وكراهيتنا لغير ذلك غير أنا لا نريد على الله أحداً ، وذكرت قبول رأينا فى الذى نصحنا لك فيه ، فذلك الذى أردنا لك وهو اجتهاد منا وقبول ذلك بالفعل لا بالقول لأنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له وقد أعلمناك عزم رأينا فيما لقيناك به ، ولم يتعقبه إلا بمثله ولم يتحول إلى غيره ، لأنا نرى أنها نصيحة ، ولعمرى لئن فكرت فى هذا الأمر ببصرك لترين منفعة فى دنياك وسعة دينك ، وعاقبة أمرك أكثر من مضرته إن شاء الله ، ولسنا نهديك إلا إلى ما نرجو به السلامة عند ربك ، فإن تقبل فهى رحمة من الله قد رجوناها لك ، وإن ترد ذلك بوجه من الوجوه فإنا نرى الذى نصحناك فيه وأمرناك به هو الحق ، ومن كره الحق فإنما يكره الله لأن الله هو الحق المبين ، واعلم أنا قد خفنا أن يكون إنما يجرى ضياع ما يسدى إليك من نصيحة أو موعظة على يدى رجال قد نالوا منك إصغاء ، وقبولا منك لرأيهم على وجه حسن الظن منك بهم ، ولعمرى إن الأمور المكشوفة واضحة بما هى عليه ، فعليك بتقوى الله ، والقصد إلى الحق ، وما نرى أنك تحمله ، فقد بلغت بك السن إلى غاية الكفاية ، والانقطاع بما جرى عليك وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ هذا كتاب موسى إلى الإمام ، أوصيك ونفسي بتقوى الله وطاعته ، والاجتهاد لله فى إقامة ما ابتلاك باقامته ، وحفظ ما استحفظك من إمانته ، فانك من يحق عليه لله الاجتهاد ، به صلاحك فى المعاد فكن بذلك دائما ولو تكون بنفسك به ثابتاً إلا من وجد معك فى ذلك ، وسايرك وعاونك على ذلك ، وناصرك ولست على شىء حتى تقيم كل شىء مقامه ، وتبلغ من كل أمر تمامه وتأخذ منه بالمعرفة واليقين ، وتكون منه على الحق المبين الذى لا ترى فيه شكا ولا تخاف على نفسك هلكا ولا يرتاب فيه من يرتابك ، ولا يعيبك فيه من عاب ، فان الله جعلك على أمر مبرأ من اللبس مطهر من الدنس وجعل أهله من ذلك أبرياء قد ارتضاهم ورضى عنهم ، وهم ولاة أمانته ، وأهل ولايته ، لهم وراثة الأرض وأئمة الهدى ، يحكمون بالحق وبه يعدلون ، قد استضاءت علانيتهم بضياء سريرتهم ، وطاب ثناهم بطيب أعمالهم ، لهم فى الناس أمانة ، وللقلوب بهم طمأنينة ، ولا تحسن القلوب تهمتهم ، ولا تنكر معرفتهم ، ولا تتحرج لهم الصدور ، ولا تستنكر منهم الأمور ، وأنما أبدى ذلك لهم وأظهره وأضاءه لهم ، ونوره الذى أسروه من البر والتقوى ، وكذلك من أسر خلاف ما أظهر قربت منه الظنون وقال فيه القائلون ، والمرء من بيانه قريب وهو لعمله نسيب ، وعلى ماأطاع الله ورأى وأظهر لهم من الثناء ، جرت الولاية وانقطعت وأديت الحقوق ومنعت ، فحق على من كان من ذلك على بينة ومعرفة أن لا يخاف فى ذلك لومة لائم ، ولا مخافة وأن يعمل بما يبصر ويدع ما ينكر ،

ولا يعمل بتبذير ، ولا يدخل نفسه فى تغرير ، فانها شريعة ليست بمستحيفة ، وحمالة ليست بخفيفة ، برأ أهلها من الحرج ، وعدلهم من العوج ، ولم يرض لهم بالأخذ بالريبة ، ولا بنزول رفاهية ، ولا بموافقة رضاء ، ولا باعراض ، ولا إغضاء عن الحذر لأهل الفتنة والاحتراس منهم فى السر والعلانية ، بل عرف عداوتهم وحذر طاعتهم ونحلهم الخيانة ، ومنعهم الأمانة وتقدم فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يتخذ منهم ولياً ولا نصيراً ، ولا عضداً ولا مشيراً تطهيراً لدينه ، وتعظيما لحرماته ، أن لا يتولى من لا يرعاه ، ولا يدين له بتقواه ، ولقد برأ الله من ذلك بيته الحرام ، وجميع حرم الإسلام حيث يقول فى بيته : « وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ »

فالإسلام من الله بمكان رفيع فى عز منيع ، من أهل الريب والأدناس أن يكون لهم سبب سلطان بيد ولا بلسان ، فيخرقوا ستوره ، ويطفئوا نوره ، ويضيعوا مناره ، ويطمسوا آثاره ، فأبى الله ذلك لهم وحماه عنهم ، وولاه الله الذين يتطهرون بطهوره ، ويستضيئون بنوره ، ويرعونه حق رعايته ، ويدينون لله بمخافته ، فأولئك أولياؤه من الناس ، وبهم حق الاعتصام والاستئناس ، لا يلتجىء فى الأمور إلا بهم ولا تحل الأمانة إلا لهم ، فأحق من كان له مانعا وعنه دافعا لمن جعل الله له السبيل إلى ذلك بالقدرة ، وهداه بالنور والبصيرة ، فهم الذين يحيون سنته ويظهرون ملته ويتوجعون له ويجزعون ، ولا يرضون له بتضييع ولا يجعلونه فى مضيع ، يحمونه ممن يشيعه ، ويمنعونه ممن يضيعه ، يرون أن تماما انتقص

منهم فإليهم يطلب ، وما ضاع منهم فإياهم يعاتب ، وذلك الذى جعله الله فى أعناقهم وأخذ من ميثاقهم على القيام له بقسطه ، والوفاء له بشرطه الذى عهده إليهم وأوجبه حقا عليهم ، فهذا أمر محفوظ له يخشى فيه الله معمول فيه لله ولأهله فيه إلى الله إياب ، وفيه سؤال وحساب ، جنبك الله وإيانا من ذلك عسره وجعل لنا ولك يسره وإنا لرحمته راجون وإليه محتاجون .

أما بعد : فعافاك الله أيها الإمام من كل بلاء ووقاك كل سوء ، فى الآخرة والأولى ، وفعل لنا مثل ذلك إنه فعال لما يشاء .

كتبت إليك وأنا فى عافية ومن قبلى ، والله المحمود على ذلك وعلى كل نعمة وأمر ، حُبّبَ إلى بقاؤك فى سلامة وفى استقامة وزيادة من الله وكرامة ، ووفقك فى جميع الأمور لما يرضى الله به عنك ، وإنا لذلك محبون ولما خالف من ذلك كارهون ، وعافية الله وإياك وأهل ذلك أنت الذى جعل الله من دينه وأهل دينه ، وأصلح الله بك العباد ، وجعلك المرشد الهادى .

واعلم رحمك الله أنك بمكان لا يحل فيه خذلانك ولا كتمانك فى معونة على صواب ولا نصيحة فى خطأ ، وقد نكره من خطئك كما نسر به من صوابك ، ونصيحتك علينا حق ، وغيبتك علينا حرام ، ولا ينبغى لنا تركك ولا قطع النصيحة عنك ، وإن أعرضت عن شىء من ذلك فاخترت عليه غيره ولا يحسن ظننا بك نرى أنك تنظر لنفسك كما ننظر لك وتختار لها كما نختار لك ، وذلك قد يكون فى وجوه ولا يكون فى

أخرى ، فإما كل أمر قدم لك صدره وظهر لك خبره ، فذلك ليس فيه اختيار وأسلم لك الإمساك عنه والفرار منه ، وأما ما استقبلت من الأمر فقد يكون لك فى ذلك مذهب لرجية ترجوها ومظنة تظنها ، وأول الأمر بك أن لا تأخذ لنفسك فى هذا الأمر إلا بالثقة ، ولا تقلد دينك بالعذر فيمن ائتمنته ووليته ، وتكون منزلته ، ولا ينزلها منك إلا بعلمك ومعرفتك له علماً لا يشوبه كدر وجهل . أو يصح ذلك عندك صحة تكون عندك كقولك تأخذ ذلك ممن يخاف الله فى إشارته ويرى لك مثل ما يراه لنفسه ، فذلك العصمة لك إن شاء الله فيما ترجو به نجاة نفسك . فانظر فى ذلك نظر الله لك ، فأما كل من قربت تهمته أو تكلم بكلام أو كلمة مما إن كان ذلك حقاً كانت ولايته مؤتمنة ، فأحق من عاقبت نفسك منه ولا يعيبك فيه من الناس مقال ، ولا من الله سؤال ، فإنا نكره كل ذلك ونشفق منه عليك على قلة المشفقين .

واعلم رحمك الله أنا وإخوانك المشفقون عليك ، قد قلت ثقتهم بشأنك اليوم وأهل أمانتك التى أنت عليها اليوم عزيز ، والذى نراه لك إذا اهتممت بولاية أن تتبين فيه وأكثر من استخارة الله ، وتشير على ثقات إخوانك العالمين بالرجل الذى تريد أن توليه ، فإنا عند ذلك نرجو لك التوفيق ، ويزول العذر عند الله فيه من مبالغتك فى طلب عدله ، والله عند نيتك وإرادتك ، ولا تستغن فى ذلك بقول رجل دون آخر ، وإن كان ناصحاً فإنك عسى أن تجد عند هذا من العلم بالرجل ما لا تجد عند هذا . فيأتى فى ذلك الذى أسلم لك فى دينك ، وقد يدخل فى هذا الأمر

رجال يأتونك من طريق النصيحة لك ممن يجوز قوله عندك ، يزينون رجالا ويشيرون بولايتهم ، فاستوحش رحمك الله من تلك الشورى ، ولا تعمل بها فى الدين إلا من أهله ، وليكن الذى تعمل به وتسأل عنه أنت لنفسك وتعرفه بمعرفتك.

واعلم رحمك الله أن كتابى هذا عام لجميع ذلك ، ومما دعانى إلى الكتاب إليك ولاية رجل أتانا أحببنا إلقاءه إليك من كراهية من كره ولايته ، فكرهنا ما كره المسلمون من ذلك ، ورأيت الكتاب فيه إليك للقول الذى قيل ، والسلامة لك فى أن لا توليه ، فإنى لا أرى ولايته على ما بلغنا وفى المسلمين خير كثير وسعة وغنى يغنيك الله بمن هو أفضل وآمن لك فى العاقبة عما ترتاب به ، وقال المسلمون لا خير فى الريبة .

اعلم رحمك الله أنى أحب تعجيل عافيتك منه ، فانا نحب لك العافية، وأخاف أن تكون ولايته مأثما وعيبا ونحن نكره لك المأثم والعيب ، فان قبلت رأيى أن لا توليه ، وأنا أعوذ بالله من خيانتك وغشك فى رأى أو نصيحة أسديت بها إليك ، وأرجو أن يكون كتابى نصيحة لله ولدينه ولإمام المسلمين ، وهى الحقوق العظيمة علينا ، الحرم المحفوظة لربنا ، والخائن الغاش لله ولأئمة العدل ، فقد احتمل حوبا كبيرا .

انظر رحمك الله فى الذى كتبت به إليك فانه وسيلة منى أسأل الله قبولها وحق أديته إلى الله ، وإلى الله تصير الأمور ، وحسبك الله وإيانا ونعم الحسيب ، والمولى والنصير .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

باب إمامة المهنا بن جيفر

وهو من اليحمد . بويع له يوم الجمعة لثلاث خلون من رجب سنة ست وعشرين ومائتين . وهو اليوم الذى مات عبد الملك فى ليلته . بايعه موسى بن على رحمه الله عن مشورة من المسلمين على طاعة الله وطاعة رسوله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فوطأ آثار المسلمين وسار سيرتهم . قال أبو الحسن : قام المهنا بالحق ما شاء الله إلى أن مات والمسلمون له مجمعون ، وبأمره يعملون ، والولاة فى أيامه هم الصادقون لم نعلم أن أحداً أظهر عليه منكراً ، قال : وقد قيل إن بعد موته تكلم بعض المسلمين فيه بشيء يكره ، فقيل إن محمد بن محبوب تجهم فى وجه ذلك الرجل وأسمعه كلاماً وزجره عن ذلك ، وكان المهنا رجلا مهيباً ، وكان له حزم فى رأيه ، وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه ، ولا يعين خصما على خصم ، ولا يقوم أحد من أعوانه مادام قاعداً حتى ينهض ، ولا يدخل أحد العسكر ممن يأخذ النفقة إلا بالسلاح ، وكان له ناب يفتر عنه إذا غضب فتظهر منه هيبة عظيمة ، واجتمعت له من القوة البرية والبحرية ماشاء الله ، قيل إنه اجتمع له فى البحر ثلاثمائة مركب مهيأة لحرب العدو ، وكان عنده بنزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أول صارخ ، فما ظنك بباقى الخيل والركاب فى سائر ممالكه . وقال العلامة الصبحى : بلغنى أنه كان عند المهنا بن جيفر تسعة آلاف مطية أو ثمانية آلاف مطية . قال : ولعلها لبيت المال فيما يحكى عنه ثقات المسلمين ، وكانت عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل وهؤلاء بنزوى خاصة ، فكيف

بعساكر غيرها ، وكثرت الزعايا فى زمانه حتى بلغ سكان سمال (وهى محلة من نزوى) أربعة عشر ألفاً ، قال عبد الله بن جيفر الضنكى : كان الإمام المهنا قد أسنّ وكبر حتى أقعد . فاجتمع إلى موسى جماعة من الناس وهو يومئذ قاض[1] . فقالوا له : إن هذا الرجل قد أسنّ وضعف عن القيام بهذا الأمر ، فلو اجتمع الناس على إمام يقيمونه مكانه كان أضبط وأقوى على ذلك ، فخرج موسى بن على حتى وصل إلى الإمام ، فلما دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله ، فعرف الإمام معناه فقال : يا أبا على جئت إلىّ والله لئن أطعت أهل عمان على ما يريدون لا أقام إمام معهم سنة واحدة ، وليجعل لكل حين إمام ويولون غيره ، ارجع إلى موضعك فما أذنت لك فى الوصول ولا استأذنتنى ولا تقم بعد هذا القول ، قيل فخرج موسى ابن على من حينه ، ولم يلبث أن مات موسى ومات الإمام بعده ، وكانت وفاة موسى رحمه الله لثمان ليال خلون من ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين ، وكان مولده ليلة العاشر من جمادى الأخرى سنة سبع وسبعين ومائة ، فيكون قد عاش رحمه الله ثلاثاً وخمسين سنة ، وفى بعض الكتب أن وفاته كانت سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وإنه عاش ثلاثين سنة ، والأول أثبت والله أعلم .

وتوفي الإمام رحمه الله يوم الجمعه والناس فى المسجد قد حضروا لصلاة الجمعة بعد الأذان ، فصلى بالناس ذلك اليوم خالد بن محمد المعدى ، وفى بعض

---

(١) يعنى قاضى الإمام وهو شيخ الإسلام يومئذ ومرجع الفتوى فى الإمامة ، ورأس أهل الحل والعقد ، ولذا يرجع إليه أهل الرأى والمشورة فى أمر الإسلام من بيعة وخلع ، وكذا كان فى إمامة المغرب الرستمية قاضى الإمام هو شيخ المسلمين فافهم .

الأثر : كان الإمام مريضاً وقام الخطيب على المنبر ، فبينما هو فى الخطبة إذ جاء رجل فأخبرهم بموت الإمام ، فقطع الخطيب الخطبة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعا ونزل من المنبر وصلوا أربع ركعات ، قال : وأحسب أنه كان في المسجد محمد بن محبوب ، ومحمد بن على ، ولم أبصرهما ولكن توهمت ذلك لأنهم اجتمعوا فى بيت المشورة فيمن يقدمونه إماماً . قال : وأحسب أنه قد كان فى المسجد هلال بن منير ، وذلك لست عشرة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فصلى عليه ابنه جيفر بن المهنا .

وبويع للصلت بن مالك ذلك اليوم قبل غروب الشمس ، وكانت إمامة المهنا عشر سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وكان فى حياته قد استعمل على صدقة الماشية عبد الله بن سليمان ، وهو رجل من بنى ضبة من أهل منح وكان يسكن عز ، فقيل إنه دخل أرض مهرة مصدقاً ، ووصل إلى رجل منهم يقال له وسيم بن جعفر . وقد وجبت عليه فريضتان فامتنع إلا أن يعطى فريضة واحدة ، فقال : إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم ، ولعله يريد قبور من قتل هناك من الشراة أيام عبد الملك ، فقد وقع بين الإمام وبعض مهرة حرب فأرسل إليهم السرايا حتى أذعنوا ، فسكت عنه عبد الله ورجع ، وكان عنده جمَّال فلما وصل إلى عز تأخر عبد الله فى عز وأرسل الجمال إلى الإمام ، فقدم عليه وهو فى مجلسه فلما ارتفع عن مجلسه دعا بالجمال فسأله عن عبد الله وكيف كان فى سفره ، فأخبره بما كان من وسيم فقال الإمام للجمال : لا تخبر أحداً بما أخبرتنى ، واكتم ذلك وأكد عليه فى ذلك ،

فلما وصل عبد الله بن سليمان سأله الإمام عن خبر وسيم ، فأخبره بمثل ما أخبره الجمال ، فكتب الإمام من وقته إلى والى أدم ووالى سناو وإلى جعلان : أن إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهرى فاستوثقوا منه ، واعلمونى فكتب إليه والى أدم : أنى قد استوثقت منه وأنه قد حصل ، فانفذ إليه الإمام يحيى اليحمدى المعروف « بأبى المقارش » مع جماعة من أصحاب الخيل ، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم بالمنائف ، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم فى قرية عز ، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم فى قرية منح ، فلم تزل الكتائب تتراسل والرماح تحتمله حتى وصلوا به إلى نزوى ، فأمر الإمام بحبسه ، فمكث لا يقدر أحد يذكر فيه ولا يسأل عن أمره ، حتى وصل جماعة من المهرة فاستعانوا على المهنا بوجوه اليحمد ، فأجابهم إلى إطلاقه وشرط عليهم ثلاث خصال . إما أن يرتحلوا من عمان ، وإما أن يأذنوا بالحرب ، وإما أن يحضروا الماشية كل حول إلى عسكر نزوى وتشهد على حضورها العدول إنه لم يتخلف منها شىء ، وتعدل الشهود المعدلون بأدم ، فقالوا أما الارتحال فلا يمكننا ، وأما الحرب فلسنا نحارب الإمام ، وأما الإبل فنحن نحضرها فعند ذلك عدل الإمام الشهود فكانوا يحضرون إبلهم فى كل سنة تدور .

وفى زمانه طعن رجل رجلا فأمر به الإمام فجلد تسعين سوطاً وقال : تسفك دماء المسلمين على بابى . وذلك على قول من لم يحد للتعزير حداً وإن زاد عن قدر الحد ، ونحوه ما ذكر أبو المؤثر : إن الإمام الصلت ضرب عبد الله بن نضر خمسين سوطاً ، قال : ولا نعلم أن أحداً من المسلمين عاب عليه .

وكان أبو مروان عاملا للمهنا على صحار ، وكان يشدد على المخالفين أن يظهروا بدعتهم كالقنوت ، وتقديم تكبيرة الإحرام ، على التوجيه ورفع الأيدى فى الصلاة[1] لأن هذا كله مما خالفونا فيه ، قلت : إلا تقديم تكبيرة الإحرام على التوجيه ، فإن فيه قولا بجوازه فى المذهب لكن لم يعملوا به ، وإنما عمل به المخالفون فصار ذلك من جملة شعارهم ، فلهذا شدد عليهم فى إظهاره . والله أعلم

وفى زمانه ، رحمه الله تحرك بنو الجلندى ورأسهم يومئذ المغيرة ابن روشن الجلندانى . وشايعهم ناس من أهل الفتنة ، فدخلوا « توام » وكان أبو الوضاح واليا للامام عليها ، فقتلوه رحمه الله وأرسل الامام إليهم جمعا ولى عليهم الصقر بن عزان ، وكان أبو مروان رحمه الله واليا للامام على صحار فسار أبو مروان بمن عنده من الناس ، وسار معهم المطار الهندى ومن معه من الهند ، وبلغ الجيش فيما قيل اثنا عشر ألفا ، فقتل من قتل من البغاة وهزم الله جمعهم ، وهرب منهم من هرب وفرق الله شملهم ،

---

(١) فى هذا الكلام غموض . ووضوحه أن مخالفينا يمنعون متى اتخذوا مسائلهم دعاية إلى مذهبهم ، وفتنوا أهل المذهب فى دينهم ، ويدلك على هذا ما سبق لك مما كتبه إلى الامام العلامة هاشم بن غيلان ، لما ظهر القدرية والمرجئة ، وغيرهم بصحار أيضا ، وفتنوا الناس فى دينهم فإنه كتب إلى الإمام بمنعهم أو اخراجهم من عمان أما الذين كانوا على التزام السكينة ولا تخشى منهم بادرة ، فإنهم فى حرية مذهبهم دون أن يصدهم عنه أحد ، ولما كانت صحار العاصمة البحرية ، ومشهورة بسوقها يومئذ صار الأوفاض التى ترد إليها من كل أرباب المذاهب والدسائس كثيراً ما لعبت هنالك وكلفت الإمامة شيئا عظيما من المال والرجال وهددت الأمن لهذا كان رجال الدولة بعد يتخذون الحيطة الضرورية للمفاجآت ، وهكذا الواجب .

وعمد المطار الهندى ومن معه من سفهاء الجيش إلى دور بنى الجلندى ،
فأحرقها بالنيران وفى الدور الدواب مربوطة من البقر وغيرها ، وكان رجل
من السرية يلقى نفسه فى الفلج حتى يبتل بدنه وثيابه ثم يمضى فى النار
حتى يقطع عن الدواب حبالها وتنجو بنفسها من النار ، فقيل إنهم أحرقوا
خمسين غرفة أو سبعين ، وقيل إن نسوة من أهل الجلندى خرجن
هاربات على وجوههن إلى الصحراء ، فلبثن بها ما شاء الله واحتجن إلى
الطعام والشراب ، ومعهن أمَة فانطلقت الأمة إلى القرية فى الليل تلتمس
لهن طعاما وشرابا ، فلما وصلت وجدت شيئا من السويق وسقاء من
أسقية اللبن ، وكسر إناء فعمدت إلى الفلج فحملت فى سقائها من الماء ،
وأبصرها رجل من السرية فتوجهت الأمة إلى النسوة بذلك السويق
والماء فأدركها الرجل ، فعمد إلى السويق فأخذه فصبه فى الرمل ، وعمد
إلى الماء فأراقه ثم انصرف عنهن وخلى النسوة بضرهن ، قال أبو الحوارى :
فلم يقل لنا أحد أن أبا مروان أمر بذلك ولا نهى عنه ، قال : ولعله قد
نهى ولم يسمع . قال : ثم بلغنا أن الامام بعد ذلك بعث رجلين إلى توام
إلى القوم الذين احترقت منازلهم ، فدعوهم إلى الانصاف ويعطونهم
ما وجب لهم من الحق . والله أعلم .

وفى زمانه وقع الكلام بعمان فى خلق القرآن . وهى مسألة جىء بها
من البصرة ، فانتشر الكلام فيها ، وعظمت بها البلية فى عمان وغيرها .
وسببها شبهة ألقاها إلى أهل الحديث فى البصرة أبو شاكر الديصانى[1]

---

(١) أبو شاكر الديصانى . هو يهودى تظاهر بالإسلام لأجل الدس وإلقاء الفتنة
بين المسلمين ، ولطالما حاول أعداء الإسلام منذ بزغت شمسه أن يجدوا فجوة لهدمه =

وكان ممن يقول بقدم الأشياء ، فحسد المسلمين على حسن الحال الذى رآه فيهم ، فأظهر الزهدوالتقشف ثم ألقى إليهم أن القرآن قديم ليس بمخلوق فقبلها قوم وأنكرها آخرون ، وانتشرت فى الآفاق وتكلم فيها علماء الأمصار ، قال الفضل بن الحوارى . اجتمع الأشياخ بدما فى منزل منهم : أبو زياد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن هاشم ، ومحمد بن محبوب ، وغيرهم ، من الأشياخ فتذاكروا فى القرآن . فقال : محمد بن محبوب : أنا أقول إن القرآن مخلوق ، فغضب محمد بن هاشم ، وقال : أنا أخرج من عمان ولا أقيم بها ، فظن محمد بن محبوب أنه يعرض به . فقال : بل أنا أولى بالخروج من عمان ، لأنى فيها غريب ، فخرج محمد بن هاشم من البيت وهو يقول : ليتنى مت قبل اليوم ، ثم تفرقوا ، ثم اجتمعوا بعد ذلك ، ثم رجع محمد بن محبوب عن قوله ، واجتمع من قولهم إن الله خالق كل شىء ، وما سوى الله مخلوق ، وإن القرآن كلام الله ووحيه وكتابه وتنزيله على محمد صلى الله عليه وسلم . وأمروا الامام المهنا بالشد على من يقول أن القرآن مخلوق . اهـ كلام الفضل بن الحوارى .

وظاهره أن الأشياخ توقفوا عن إطلاق القول بخلق القرآن ، وأمروا بالشد على من أطلق ، وأدخلوه تحت معنى الآية من قوله تعالى : « خالق

= وما تركوا مسلكا إلا سلكوه ، ولا سـ ' اليهود ، والفرس المجوس ، ففتنة خلق القرآن إحدى حبائلهم ، ولقد أثمرت بعض ما رموا إليه ولكن الله امتحن بها عباده المؤمنين الذين يقفون مع الحق كلما در قرن الفتنة ، ولعل أعدل ما فى هذه المسألة . القول بأن الخلاف فيها لفظى ، لأن القائلين بالخلق يعنون القرآن المتلو المكتوب ، وغيرهم يعنى معانيه والله أعلم .

كل شىء » فيستلزم أنه من جملة الأشياء المخلوقة ، لـكن لا يصرحون بذلك نطقا ، فراراً من مقالة الجهمية ، القائلين بالمقالة الباطلة ، المفترين على الله فى صفاته ، الزاعمين أن صفات الذات حادثة ، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً . نخاف الأشياخ أن تـكون هذه المسألة مفرعة على اعتقاد الجهمية بحدوث الصفات الذاتية ، فتوقفوا عن إطلاق القول بخلق القرآن صراحا ، مع اعتقادهم الحق فى حكمه بإدخاله فى جملة المخلوقات اعتقادا . فهذا هو المعنى الذى لحظوه ، ولم يكن مرادهم نفى حقيقة الخلق عن الـكتب المنزلة ، ولا أرادوا إثبات قديم مع الله حاشاهم عن ذلك ، وأن الذى لحظوه لمعنى دقيق ، لا يسقط على فهمه إلا من منحه الله تعالى من مواهبه .

وقد تبين لأبى عبد الله ، الفرق بين هذه المقالة ، وهى القول بخلق القرآن ، وبين مقالة الجهمية بحدوث الصفات الذاتية ، فقال : « القرآن مخلوق » فلما رأى أن أصحابه لا يوافقونه على هذا التصريح ، تركه ورجع إلى الاجمال الذى اتفقوا عليه ، إذ ليس فى ترك التصريح بذلك محذور ، لدخول القرآن تحت الاجمال ، وهى العقيدة التى كان عليها السلف ، وحصلت بها السلامة العامة ، وإنما المحذور كل المحذور فى إنـكار صفة الخلق عن القرآن ، وإعطائه صفة القديم تعالى ، فتفطن لهذا المقام ، فإنه مزلة الاقدام ، ومضلة الافهام ، والله ولى التوفيق .

وفى زمانه ، اختلف فى البصرة محبوب بن الرحيل وهرون ابن اليمان فى مسائل خالف فيها هرون قول المسلمين ، وكانت أئمته فيها

الشعيبية[1] ، وكتب كل واحد من محبوب وهرون رسائل إلى المهنا والى حضرموت ، وهى سير مأثورة موجودة ، نقض فيها كل واحد على صاحبه ما قال به ، وكان الحق فيها مع محبوب ، فأخذت به عمان وحضرموت ، وتابعت اليمن هرون ولله الأمر وللامام المهنا رحمه الله سيرة إلى معاذ بن حرب ، بين فيها معالم الإسلام ، ووصف فيها طريق الاستقامة ، وهى سيرة موجودة ، تدل على غزارة علمه ، وفرط ذكائه ، وقوة فهمه ، والعلم لله .

ذكر ما وقع من الكلام فى المهنا بعد موته

قال أبو الحوارى : وقد كان محمد بن محبوب ، وبشير بن المنذر ، ومن قال بقولهم ، يبرءون من الإمام المهنا فيما بلغنا ، حتى مات ، قال : وكثير من المسلمين على إمامة المهنا ، قال : وكان محمد بن على ، وأبو مروان ومن قال بقولهم ، مستمسكين بإمامة المهنا حتى مات ، وكان محمد بن على له قاضيا ، وكان أبو مروان له واليا على صحار ، وكان زياد بن الوضاح

---

(١) الشعيبية فرقة أصحاب شعيب بن محمد وهى من فرق العجاردة وهم أشبه أن يكونوا أميل إلى المعتزلة ، إلا أنهم يخالفونهم فى مسألة القدر ، ولعلهم لا يقولون فيه بقول القدرية ، والله أعلم .

ومنذ ذلك الحين ، يوجد فى اليمن مذهب العجاردة ، إلا أن التشيع لآل البيت تغلب عليهم بعد ، فأخذوا فى الفروع بمذهب زيد بن زين العابدين ، وهو أقرب ما يكون إلى مذهب أهل القياس ، ومضى زمن واليمن على مذهب أهل الحق والاستقامة الأباضية ، ولم يكن فرق كبير إلى اليوم بين الزيدية والأباضية ، وحصرت المسائل الخلافية بينهما فى ثلاثة مسائل كما ذكر ضياء الدين فى المعالم ، ودلت عليها مؤلفاتهم .

معديا[1] لأبى مروان بصحار وكان خالد بن محمد معديا للمهنا بنزوى ، وكان الصقر بن عزان من قواده وأعوانه ، وكان المنذر بن عبد العزيز من ولاة وغيرهم من كبار المسلمين وعلمائهم لا يضلل بعضهم بعضا

قال وكان مع الامام المهنا من الأحداث فى ذلك الزمان ، ما تضيق به الصدور ، وتستوحش منه القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، من القتل والحرق ، وطائفة من المسلمين فى السجن والقيود ، ولا يقبل منهم شفاعة ولا يؤخذ منهم بالصحة فيما بلغنا ، إلا ما قال : من خيف على الدولة منه ، أكل ماله فى السجن ، يعنى أنه يودع السجن وينفق عليه من ماله حتى يأكله . قال : ففارقه من فارقه من المسلمين على تلك الأحداث ، وصاحبه من صاحبه من المسلمين ، لا يعلم بينهم فرقة[2]

قال : وبلغنا أن رجلا أظهر البراءة من الامام المهنا بعد موته مع محمد بن محبوب ، وكان لمحمد بن محبوب الطول فى ذلك اليوم مع الصلت ابن مالك ، فاشتد ذلك على محمد بن محبوب وغضب من ذلك غضباً شديداً ، وكان من محمد بن محبوب رحمه الله إلى الرجل من الكلام ، فيما بلغنا ، حتى أفحمه . قال : وإنما تقدم الرجل على إظهار البراءة ، لما يعرف

(١) لعل المعدى كالشرطى إذا المعدى لغة من نصرك وأعانك وقواك . وعدا أحضر . ومعدى الإمام أو واليه لا بد أن يكون من يكون مقامه مقام ضابط أو موظف إدارة ، والله أعلم .

(٢) لو سلك بقية الأئمة بالإمامة ، مسلك الإمام المهنا رضى الله عنه ، لكانت عظمة الإمامة بالغة أوجها ، وكان من الدول العظمى إلى اليوم ، فرحم الله : أولئك الرجال العلماء الذين أبصروا منهم الحق فأيدوا الإمام إلى أن لقى الله وهو فى عز الإسلام ، راضيا مرضيا . وعفى الله عن الناقدين .

فى محمد بن محبوب من الموافقة على ذلك ، فلم يقبل منه محمد ذلك ، ونبذه وأبعده وأسمعه من كلام الجفا بين الناس . قال : وكانت العامة على ولاية المهنا ، فلذلك غضب محمد بن محبوب على الرجل قال : ولم يحمل محمد ابن محبوب الناس على علمه فى المهنا ، وقال إنما ذلك لمن ناظر الامام — أى خاطبه فى الحدث المنكر وعرف عذره وعدم عذره فى ذلك — فإن تبين أنه معصية استتابه[1] ، فإن أبى برىء منه سرا فى نفسه ، إن كان الحدث والاصرار لم يشتهرا عند العامة ، لأنه إمامهم وعليهم ولايته ومناصرته ، والمدعى عليه خلاف ذلك لا يسمع ، وكأن هذا الانكار من ابن محبوب إلى الرجل ، إنما كان بعد استقرار الأمر إلى المهنا على ولايته وإمامته ، فان المتبرىء منه بسبب علمه لا يظهر براءته عند الناس فانهم قد هموا قبل ذلك بأمر ، ثم تركوه حين رأوا الصواب فى تركه .

قال أبو الحوارى : كتب بعض المسلمين من أهل العلم إلى بعض ، أنه حدثه بعض من لا يتهمه ، أن محمد بن محبوب ، والوضاح بن عقبة ، وسعيد بن محرز ، وغيرهم من أعلام المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين ، اجتمعوا ذات يوم ، وكتبوا كتابا قالوا فيه إلى من بلغه كتابهم من المسلمين

---

(١) من المعلوم أن مقام النقد هنا لأئمة العلم ورجال الحل والعقد ، وهم الذين يتولون مواجهة الإمام بما يستوجب البراءة منه واستتابته ، لا كما زعم بعضهم أن الخروج شنشنة ذلك الوطن ، كلما ظهر أمر منتقد من أولى الأمر . وكفى شرفا أن يكون أهل العلم على نسق الصحابة الذين قال منهم قائل لعمر رضى الله عنه : لو رأينا منك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فإذا قام بعض من أرباب المكانة على الإمام ، فإنما هو يريد إصلاح الدولة واستمرار الأمر على طريق كتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، ولكن الثائرين لمآربهم ، فهم فى كل دولة كما فى عمان ، وتخصيصه بعمان ضرب من المكابرة وقصد الطعن لا غير .

من أهل عمان : سلام عليكم ، فإنا نعلمكم أنه قد كان من فلان الإمام ، يريدون أن يظهروا لهم ما قد ظهر لهم هم ، ويعلمونهم أنهم لا يتولونه على ذلك ولا يتولون من علم منه ذلك ، ثم جاءهم أبو المؤثر الصلت بن خميس رحمه الله ، فقال لهم : « أرأيتم من كنتم تتولونه من إخوانكم وهو متمسك ولاية هذا الإمام الذى قد ظهر لكم منه ما قد ظهر ؟ أليس هم على ولايتهم معكم حتى تقوم الحجة عليهم بمعرفة حدثه ، أو بإقامتكم الحجة عليهم بالذى كان منه ؟ فإنا نسألك بالله يا أبا عبد الله لما أمسكتم كتابكم . فإنه لا يعدم من مجادل ، فتفترق أهل عمان ، وإنما هذا أحداث لا ينتحل خلاف دعوتكم ، ولا يدعو إلى بدعة شرعها ، وإنما هو اقتراف ذنب أعجب به ، فلم يقبل منكم النصح فيه ، فباينتموه عليه ، ولج هو ، فأمسكوا كتابكم » . ففعلوا ، وقبلوا نصيحته وأمسكوا عما هم عليه ، وكان ذلك إلى اليوم غير متنازع فيه ، قلت : وذلك يدل على بقاء الإمام على ولايته وإمامته ، كما عليه حال العامة فى حقه ، وكل واحد مخصوص بعلمه ، وقد انقرض من علم منه ما لا يحسن ، وبقيت أخبار الخير منتشرة له ، وذكره الناس بالثناء ، فلا يحل لأحد اليوم منه البراءة ظاهراً ولا خفية ، وكذلك لا يحل لمن كان فى ذلك الزمان أن يظهر البراءة منه عند العامة ، ولو علم من الأسباب ما يستوجب به البراءة .

باب إمامة الصلت بن مالك الخروصى

رحمه الله تعالى

وهو من اليحمد ، بويع له يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، لستة عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وهو اليوم الذى مات فيه المهنا رحمه الله ، وقام له بالبيعة بشير بن المنذر ، ومحمد ابن محبوب .

قال أبو المؤثر : كنا فى المشورة لما مات المهنا ، فوقع فى ثوبى دم ، قال فذهبت أغسله فرجعت وقد بايعوا للصلت ، أو قال قد انقطعت الأمور فسأل ، أو قال لى — يعنى أبا عبد الله — أين كنت أو ما أخرجك من الناس ؟ فقلت : وقع فى ثوبى دم ، فذهبت أغسله فاستتابنى . قال أبو المؤثر : وكان المشهور فيهم يومئذ محمد بن على القاضى ، وسليمان بن الحكم ، والوضاح بن عقبة ، ومحمد بن محبوب ، وزياد بن الوضاح ، قال : ومنهم أناس من أهل العلم والفضل ، وإن لم يبلغوا مبلغهم فى العلم ، منهم بشير بن المنذر ، كان سيدا من سادات المسلمين بعزمه وقوته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وزياد بن مثوبة ، والمنذر بن بشير ، ورباط بن المنذر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وهاشم بن الجهم ، وعبيد الله بن الحكم ، وعلى بن صالح ، وعلى بن خالد ، والحسن بن هاشم منهم من شهد البيعة ومنهم من غاب عنها ، ولم يعلم منهم خلاف عليهم ، قال : إلا أن محمد بن على ، وبشير بن المنذر ، ومحمد بن محبوب ، والمعلى ابن منير ، وعبيد الله بن الحكم ، كانوا هم المقدمين فى البيعة للصلت بن مالك رحمه الله ، مع من حضرهم من المسلمين ، فبايعوا الصلت بن مالك

رحمه الله وقدموه ، وسلم الناس لهم وسمعوا وأطاعوا . قال أبو قحطان : أجمعوا على إمامة الصلت وولايته وولاية من قدمه من المسلمين ، قال : وأجمعوا على نصرته وتحريم غيبته والامتناع من طاعته ، وقيل فى موضع آخر : ثم ولى الصلت بن مالك ، وكان يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين وفقهائهم رحمة الله عليهم ، وإمامهم يومئذ محمد بن محبوب رحمه الله وغفر له ، فبايعوه على ما بويع عليه أهل العدل قبله ، فسار الصلت بن مالك بالحق فى عمان ما شاء الله ، حتى فنى أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه ، لا نعلم أن أحدا منهم فارقه ، وعمر الصلت بن مالك فى إمامته ، ما لم يعمر إمام من أئمة المسلمين فيما علمنا حتى كبر ، ونشأ فى الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيا ، ويأكلون الدنيا بالدين ، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ملوه لما كبر وضعف . قال : وإنما كانت ضعفته من قبل الرجلين ، وأما السمع والبصر والعقل واللسان ، فلم نعلم أنه ضاع منه شيء ولا نقص منه شيء — هذا كلامه ، وسيأتى أنه كان يبرأ ممن عزل الصلت .

وكان أبو مروان رحمه الله تعالى ، والياً للمهنا على صحار ، فعزله الصلت ، فخرج أبو مروان إلى نزوى فأقام بها حتى توفى ، وولى الصلت ابن مالك صحار ، محمد بن الأزهر العبدى ، وقدم محمد بن محبوب صحار فى سنة تسع وأربعين ومائتين فولى القضاء بها .

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، كان بصحار وبعمان السيل الكثير المذكور ، وانهدم دور كثير ومات فيه ناس كثير ، وغرق السيل عامة عمان ، وبلغ الماء مواضع لم يبلغها قبل ذلك فيما بلغنا ، والله أعلم . وفى بعض التواريخ : لما كان ليلة الأحد ، لثلاث ليال خلون من

جماذى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتى سنة ، نزل أمر فظيع عجيب ببدبد ، وقيقا ، والباطنة ، وسمائل ، ودما ، وصحار ، أمر عظيم جليل ، ونزل عليهم فى الليل ، وثمارهم متعلقة فى نخيل محدقة ، فجاءهم دوى وظلمة وهوى وهول مفظع وأمر مطلع ، فعناهم فى ذلك بحيح وصياح وعجيج ، واستهلت السماء فأدفقت عليهم من الماء ، فبينما هم كذلك وأمرهم على ذلك وهم فى شدة من الفرق وخوف من الغرق ، ومنهم من أيقن بالمنية والحتف والقضية ، إذ جاءتهم السيول فأحدقت ، وعليهم من المسائل أو دقت ، وهم فى منازلهم خائفون مما نزل بهم ، فقلعت السيول المنازل والأموال ، وغرقت النساء والرجال ، فغرق الرجل وعياله ، وتخرب منزله وماله ، فأصبحوا فى ليلة واحدة ، أصواتهم خامدة ، ومنازلهم هامدة ، فهدمت السيول مساكنهم ، وأخرجتهم من أوطانهم ، وحملت إلى البحور أبدانهم ، وقلعت الأشجار ، وأغارت الأنهار ، فأصبح السالم الموسر منهم فقيراً ، يطلب الأكل والشىء اليسير ، وأعظمهم جائحة وأشدهم فادحة أهل بدبد ، وقيقا ، وتفرق من بقى منهم فى البلدان وتركوا الأوطان ، وخربت المواضع والعمران ، حتى إنه ليمر بها الإنسان فتأخذه لمنظرها رهبة ، وذكر هذا السيل فى بعض الكتب ، وقال : نزل أمر عظيم بقيقا ، وسمائل ، وبدبد ، ودما ، وصحار ، وكان فى ذلك اليوم مرابط المسلمين فى دمامن الباطنة وصارت الباطنة فى منزلة المال المجهول ربه لا يعرف ولا يكاتب فيها ، وأما صحار فخربها وادى صلان وتراهم يكتبون منها فيما قرب من الحصن ويتنزهون عما بعد منه ، قال : وأرجو أن ذلك بعد ما خربها السيل ، عرفوا تلك الأماكن وحدودهم دون ما بعد عن الحصن ، لأن بدبد وقيقا ، ومزرع بنت سعد ، وسمائل ، خربهن ذلك السيل ، وعرفت نخلة صنها من سمائل ، وقد قيست الأموال

عليها ، وسمى ذلك المـال الحلال ، وقد تراضوا على ذلك لأن أهلها بقوا وكذلك قيقا ، ومزرع بنت سعد ، الذى هو مطابق بدبد من سافل ، كل عرف ماله ، إلا بدبد ، لم يكن أحد يعرف ماله ، إلا مال مسجد قيقا منهـا ، عرف وحيز هو وماؤه إلى الآن ، وهو فى بدبد من سقى فلج البورد فى الجانب الشرقى العلوى مما يلى الوادى ، وقد تركت بدبد قبيضة فى أيدى المسلمين حتى يرجع إليها أهلها ثم صيرت بيت مال .

ومسجد قيقا ، معروف فى قرية من الباطنة يقال لها المعبيلة ، بنتـه امرأة من أهل منح اسمها قيقا ، قبل الجائحة ، وسبب ذلك فيما قيل إن منح أصابها محل شديد ، حتى غارت الآبار ، ولم يوجد فيها ماء للشرب ، وسار أهلها إلى الباطنة فى طلب المعاش ، وبنت لهم قيقا هذا المسجد ، فقيل أنها لم تخربه الجوائح أو أنه خرب بالسيول ، وعرف مكانه وجدد بناؤه ، وقيل كذلك المسجد المسمى طارود المعروف ، ببركا ، كان قبل الجائحة ، وقيل أن دما من الباطنة كانت قبل ذلك بلدة طيبة ذات أنهـار وأشجار ومعقل رباط المسلمين ، وكذلك الموضع المسمى الأسرار من الوى وحسيفين كانت بلدة طيبة ، ذات نخل وشجر ، ولـكن تغلب عليها بعض الجبابرة واستعجز أهلها بما لا طاقة لهم به ، حتى تركوها وهربوا منها ، وركبوا البحر بأهاليهم ، والآن مجبورة ببيت المـال ، ولم تعمر الباطنة كلها مدة أعوام كثيرة ، ثم أجاز الشيخ خلفين سنان الغافرى رحمه الله ، وغيره من العلماء ، أن تغسل بالعشر للفقير ، قالوا ولأن يؤكل منه خير من أن تـكون خرابا ، وسبب ذلك أن أحدا من العلماء جاء الباطنة قبل الغسل ، فلم يجدوا فيها نخـلة إلا ما شاء الله ، فـكان مروره عليها سبباً للترخيص فى عمارتها ، فما أبرك ذلك القدوم .

وفى سنة تسع وخمسين ومائتين ، قتـل خثعم العوفى بالسنينة من الظاهرة ، وهو رجل كان محمد بن محبوب قد أباح دمه لفساده فى الأرض ، ولم يزل محمد بن محبوب رحمـه الله بصحار على القضاء ، حتى مات يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر المحرم سنة ستين ومائتين ، وصلى عليه غدانة بن محمد ، وكانت رجفة[١] شديدة بصحار فى ولاية غدانة بن محمد ، فى غـداة الأحد لاثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وستين ومائتين .

وفى سنة ثمان وستين ومائتين ، مات عزان بن الصقر ، رحمه الله ، وكان مسكنه بغلافقة من عقر نزوى ، ومات بصحار .

وفى أيامه رضى الله عنه خانت النصارى[٢] ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين ، فهجموا على سقطرى ، وقتلوا والى الإمام وفتية معه ، وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد وتملـكوها قهراً .

وسقطرى جزيرة طولها ثمانون فرسخا ، وبها الصبر ، وبها نخل كثير ، ويسقط إليها العنبر ، وبها دم الأخوين ، وهى فى جنوب عمان بينها وبين عمان بحر الحبشة ، فكتبت امرأة من أهل سقطرى — يقال لها

---

(١) الرجفة هى الزلزال الشديد ورجة الأرض أول مرة .

(٢) لعل المراد بالنصارى الحبشة والظاهر أن عهد استعمار البرتغال للشرق لم يكن منذ ذلك العهد ، والعبارة تفيد أن هؤلاء حاولوا الاستيلاء على الجزيرة من قبل ، ولـكن لا قبل لهم بقوة الإمامة ، أو كانوا هم من سكان الجزيرة فتعاهدوا مع الإمام ثم نقضوا عهدهم ولم يسبق هنا ذكر لهذا ، ولعله إغفال من المصنف رحمه الله فقوله : خانت النصارى ونقضوا الخ مشعر بهذا ، ذكر محمد على الزرقا فى تاريخه المسمى عمان (ص ٨٠) أن الحبشة تغلبت على سقطرى فى عهد الإمام الصلت ، فأرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة استعادت سقطرى وطردت الحبشة من الجزيرة . والله أعلم .

«الزهراء» — للإمام رضى الله عنه قصيدة ، تذكر له فيها ما وقع من النصارى بسقطرى ، وتشكو إليه جورهم ، وتستنصره عليهم ، فقالت :

قل للإمام الذى ترجى فضائله ... ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم ... كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرىّ من الإسلام مقفرة ... بعد الشرائع والفرقان والكتب
وبعد حىّ حلال صار مغتبطا ... فى ظل دولتهم بالمال والحسب
لم تبق فيها سنون المحل ناضرة ... من الغصون ولا عوداً من الرطب
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية ... وبالأذان نواقيسا من الخشب
وبالذرارى رجالا لا خلاق لهم ... من اللئام علوا بالقهر والغلب
جار النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريم ولم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسما فى فتية نجب ... عقوى مسامعهم فى سبسب خرب
مجدلين سراعا لا وساد لهم ... للعاديات لسبع ضارىء كلب
واخرجوا حرم الإسلام قاطبة ... يهتفن بالويل والأعوال والكرب
قل للإمام الذى ترجى فضائله ... بان يغيث بنات الدين والحسب
كم من منعمة بكر وثيبة ... من آل بيت كريم الجد والنسب
تدعو أباها إذا ما العلج هم بها ... وقد تلقف منها موضع اللبب
وباشر العلج ما كانت تضن به ... على الحلال بوافى المهر والقهب
وحل كل عراء من ملمتها ... عن سوءة لم تزل فى حوزة الحجب
وعن نحوذ وسيقان مدملجة ... وأجعد كعناقيد من العنب
قهرا بغير صداق لا ولا خطبت ... إلا بضرب العوالى السمر والقضب
أقول للعين والأجفان تسعدنى ... يا عين جودى على الأحباب وانسكبى

ما بال صات ينام الليل مغتبطاً(١) وفى سقطرى حريم بادها النهب
يا للرجال! أغيثوا كل مسلمة ولو حبوتم على الأذقان(٢) والركب
حتى يعود عماد الدين منتصبا ويهلك الله أهل الجور والريب
وثم يصبح دعى الزهراء صادقة بعد الفسوق وتحيي سنة الكتب
ثم الصلاة على المختار سيدنا خير البرية مأمون(٣) ومنتخب

فجمع الإمام الجيوش ، وجهز المراكب ، وولى عليهم محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال ، فإن حدث بأحدهما حدث ، فالباقى منهما يقوم مقام صاحبه ، فإن حدث بهما جميعا حدث ، فنى مقامهما حازم بن همام ، وعبد الوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وكتب لهم كتابا بيّن فيه ما يأتون وما يذرون ، ويقال ان جملة المراكب التى اجتمعت فى هذه الغزوة مائة مركب ومركب ، فساروا إليهم ، ونصرهم الله عليهم ، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء ، ورجعوا ظافرين مستبشرين ، ومن ينصر الله ينصره الله ، وهذا عهد الإمام للغزاة فى هذه الغزوة ، قال رحمه الله ورضى عنه :

« هذا ما يقول الإمام الصلت بن مالك بسم الله الرحمن الرحيم . إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومقاليد كل شىء عنده الواحد الأحد ، العلى الجد ، الذى ليس لعظمته حد ، ولا لملكه عد ، ولا لقدره صاد ، ولا لأمره راد ، ولا له نظير ولا مضاد ، تفرد بفطر الخلق ، ونصر الحق ، ورتق الفتق ، وعلا فدنا ، ودنا فنأى ، وسمع ورأى ، وأعلم وأحصى ، وقدر وقضى ، وأعز وأذل ، وهدى وأضل ، وآثر وأقل ، وأفهم وأدل ، فهو الهادى الدليل ، وكل جبار عنده ذليل ،

(١) خ مضطجعاً (٢) خ الآناف (٣) خ مأمول

وكثير عنده قليل ، وهو الجواد بالتفضيل ، والمجازى لمن عصاه بالعذاب الوبيل ، وأشهد أن محمداً أمين الله ، أرسله بما أنزله وفضله ، فعرفه الله العقول ، وأقام به الحجة على الجهول ، وتبر به الأوثان ، وشرع به شرائع الإيمان ، ودفع به حزب الشيطان ، وأقمى به كل جبار عنيد ، وكل معتد مريد ، فحاربه الكفر وأهله إلى تشريد وتطريد ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، فالحمد لله على قضائه الغالب ، ودينه الواصب ، وحقه الواجب ، كما هو أهله من الحمد والثناء ، وكل وجه لوجهه يعنى ، وأوصيكم ونفسى بتقوى الله غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير ، فإليه فتوبوا فإنه يغفر الذنوب لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

« وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ، أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ـ قال الله تعالى ـ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ، وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

فالزموا تقوى الله فى الغيوب وداووا بها داء العيوب وتجهزوا للقاء الله بالطاهرة من العيوب فإن الله يغفر لمن يحوب ، ثم ينصح إذ يتوب .

« وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » .

فتوبوا إلى الله من سيء ما مضى ، وأصلحوا فيما بقى بما عنكم به يرضى ، وصونوا دينكم ، ولا تبيعوا دينكم بدنياكم ولا بدنيا غيركم ، وقفوا عن الشبهات واحرموا عن محارم الشهوات ، وغضوا أبصاركم عن مواقعة الخيانة ، واحفظوا فروجكم عن الحرام ، وكفوا أيديكم والسنتكم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير الحق ، واجتنبوا قول الزور ، وأكل الحرام ، ومشارب الحرام ، وجماعة السوء ، ومداهنة العدو ، وأدوا الأمانات إلى أهلها .

« وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

وإذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وأقيموا الصلاة بقيامها ، وقراءتها وركوعها وسجودها وتحياتها وتكبيرها وتسبيحها ، والخشوع فيها لله فإن الله مدح المؤمنين فقال :

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَافِظُونَ ، إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

فافهموا عن الله ، واقبلوا ما جاء من الله : ولا ترخصوا لأنفسكم فى شىء من طاعته الواجبة دخلا ولا كسلا ، ولا تبيتوا شيئا من معاصيه عبلا ولا خبلا ، ولا تركنوا إلى من حادّه تعصبا ولا ميلا ، فأخاف عند ذلك أن يخذلكم .

« إن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

واعلموا أنى وليت عليكم يا معشر الشراة والمدافعة — على جميع سقطرى ، أهل السلم منها وأهل الحرب وعلى الصلاة ، وقبض الزكاة ، والجزية ، والمصالحة والمسالمة والمحاربة لأهل النكث من النصارى ، أو من حاربكم من المشركين فى سفركم أو فى مستقركم ، على الأمر والنهى ، وإعطاء الحق ومنع الباطل ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، ووضع الأمور فى مواضعها ، وإعطاء كل ذى حق نصيبه من العدل ، من قريب الناس وبعيدهم . وقسم ثلث الصدقات على أهلها ، وتزويج النساء التى لا يصح لهن أولياء فى مواضعهن بمن رضين به ، إذا كان لها كفؤاً على ما تراضوا به من الصداق ، ولا يكون الصداق أقل من أربعة دراهم ، وإقامة الوكلاء لليتامى والأغياب الذين لا أوصياء لهم ولا وكلاء.

فى أموالهم ، وفرض الفرائض لليتامى فى أموالهم ، وللنساء النفقات على أرواجهن بالعدل والمعروف — محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال ، فاسمعوا لهما وأطيعوا لهما فى طاعة الله ، وفيما دعباكم إليه من حق ، ومجاهدة أعدائه مجتمعين أو متفرقين فى بر أو بحر ، ولتصدق نياتكم ، وتحسن رعايتكم ، وتألوا على الحق قلوبكم .

« وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ، « وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ تفرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا منْ بعْدِ مَاجَاءهُمُ الْبيِّنَاتُ وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، « وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

فانصحوا لواليبكم ، ووازروهما ، وتكنفوهما وانصروهما على الحق ، ولا تخذلوهما ، وأجيبوهما ولا تخلفوا ولا تبطؤا عن دعوتهما ، وتناصحوا ، فيما بينكم ، ولا تغاشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تغضبوا ، ولا تحزنوا ، ولا تكاذبوا ، ولا تكالبوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تكايدوا ، ولا تماكروا ، ولا تضاغنوا ، ولا تطاعنوا فى الأحساب ، ولا تفاخروا فى الأنساب ، ولا تضادوا ، فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المسلم أخو المسلم لا يضاره ولا يشاره ولا يماكره وهم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، وتكون غيب بعضكم لبعض فى الشهادة والسرائر كالعلانية ، كأنهم نفس واحدة ، على كلمة واحدة ، وولاية

واحدة وعداوة للعدو واحدة وحياة واحدة وميتة واحدة ، وأن الله يقول لنبيه « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » وقال : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ، لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ »

وقد بغى هؤلاء النصارى وطغوا ونقضوا عهدهم ، ونرجو أن يديل الله عليهم ، وإلى الله نرغب ونبتهل أن يهدم محاصنهم ، ويخرب بالعدل مساكنهم ، ويغنمكم أموالهم وطعامهم ، إن ربنا سميع قريب . فإذا سرتم أو نزلتم فأكثروا ذكر الله فإن بذكر الله تطمئن القلوب، وقال الله :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

وشدوا على ربابنة السفن أن لا يتفرقوا ، ولا يسبق بعضهم بعضا ، فمن سبق فليقصر على أصحابه بقدر ما يكون ، حيث يسمع بعضهم دعاء بعض ، فإن عناهم معنى تكيف ووازر بعضهم بعضا إن شاء الله . فإذا أقدمكم الله الجزيرة ، فتناظروا وتشاوروا ، وأرجو أن لا يجمعكم الله على ضلال ، فإن رأيتم أن يكون صمدكم ومنزلكم قريبا من القرية الناكثة ، فتحاصروهم ويكون رسلكم إليهم من هناك ، وترسلون إلى أهل العهد الذين لم ينقضوا عهدهم ، حتى يصل إليكم وجوههم ورؤساؤهم ، فإن رأيتم أن يكون منزلكم فى القرية حيث عود ينزل الولاة والشراة ، فافعلوا من ذلك ما اجتمع عليه رأيكم ، من بعد مشورة أهل الخبرة بذلك ، ممن ترجون بركة رأيهم وفضل معرفتهم . فإذا أرسلتم إلى أهل

السلم والعهد ، فاعلموهم مع رسلكم أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم وحريمهم وذراريهم واموالهم ، وأنكم وافون لهم بالعهد والذمة والجزية على الصلح الذى يقوم بينهم وبين المسلمين فيما مضى ، ولا ينقض ذلك ولا يبدله ، ومروهم بإحضار جزيتهم إليكم ، واختاروا إليهم رجالا من خيارهم ، من يثبت إلى الصلاح منهم ، فوجهوهم إلى هؤلاء الناقضين لعهدهم ، الناكثين على المسلمين ببغيهم ، واجعلوا ممن توجهون رجلين صالحين ممن يوثق بهم من أهل الصلاة ، فإن لم يمكنكم بعث اثنين صالحين من أهل الصلاة فواحد ، فتأمروهم أن يصلوا إلى الذين نقضوا العهد ، فتدعوهم عن لسانى وألسنتكم إلى الدخول فى الإسلام ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، مع حقوق الله والانتهاء عن معصيته ، فإن قبلوا ذلك فهى أفضل المنزلتين لهم وذلك يمحوما كان من حدثهم ، لأن الله يقول فى المحكم من كتابه .

« فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وإن كرهوا أن يقبلوا الإسلام ويدخلوا فيه ، فلتدعوهم إلى الرجعة من نكثهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول فى العهد الأول الذى كان بينهم وبين المسلمين ، على أن لهم وعليهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولى العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممن نزل إليهم أمر المسلمين ، فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك ما فى أيديهم وأيدى أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات ، ثم لا يتزوج رسلكم من عندهم حتى يقدم معهم رؤساء أهل الحرب ،

ويسلموا إليهم النساء المسلمات اللاتى سبوهن واجعلوا لرسلكم أجلا فى رجعتهم لمن أجابهم وبالسبايا إلى ذلك الأجل أن لا تظلموهم ، ولا تخادعوهم ، ولا تماكروهم بالمطل والتوانى فى ذهاب الأيام ، فإن وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد استسلموا وتابوا من حدثهم وجاءوا بالنساء المسلمات فاقبلوا ذلك منهم ، ولا تعرضوا لأحد ممن جاءكم تائباً مستأمناً مستسلماً بسفك دمه ، ولا انتهاك حرمته ولا سبى ذريته ، ولا غنيمة ماله ، وليكونوا مثلكم آمنين ، واحفظوهم ألا يرجعوا إلى هرب من أيديكم ، وتأمروهم أن يرسلوا إلى من ورائهم من أصحابهم أن يلقوا بأيديهم إلى ما ألقوا هؤلاء بأيديهم ، وتأمروهم أن يبعثوا إلى من وراءهم بإحضار جزية هؤلاء الذين قد أمنتموهم الماضية ، ولا يعلموا بما تريدون فيهم فإن جاء الذين وراءهم كما جاء هؤلاء وألقوا بأيديهم فاقبلوا ذلك منهم ، وخذوا جزية من وصل إليكم منهم ، وأما من تمرد وأراد أن يبعث بجزيته ويقيم فى منزله على حدثه فلا تقبلوا ذلك منهم ، ومن صار منهم إلى أمانكم وعهدكم فليكونوا فى أسركم آمنين ، وأحسنوا إليهم فى طعامهم وشرابهم ، وامنعوهم ممن أراد ظلمهم حتى توصلوهم إلىّ وإلى المسلمين إن شاء الله ، فإن الله يقول :

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ »

فإذا أعطوها فلا سبيل عليهم ، وإن رجع إليكم رسلكم فأخبروكم بأنهم كرهوا الدخول فى الإسلام ، والرجعة عن نكثهم ، وحدثهم إلى العهد والذمة وإعطاء الجزية ، وكان فى رسلكم رجلان ثقتان ،

أو رجل واحد من أهل الصلاة ممن تثقون به فى صدق خبره ، فقد حل لـكم عند ذلك مناصبة هؤلاء الناكثين ، ومحاربتهم بالمكائد والقتل لهم حيث وجدتموهم بالبيات وغير البيات ، وغنيمة أموالهم ، وسبى ذراريهم الذين ولدوا فى حال نقضهم ، ونـكثهم ، فأما من كان مولوداً فى حال سلمهم قبل أن ينقضوا عهدهم فأولئك لا سبى فيهم ، وحل لـكم أيضاً سبى نسائهم ، واتقوا الله فيما غنمتم ، فلا تستحلوا قليلا ولا كثيراً من الشسع فما فوقه ، ولا وطىء النساء من السبايا فإن ذلك حرام ، ومن الخيط والمخاط ، ولا تغلوا من ذلك شيئاً فإن ذلك عار وشنار ونار ، حتى تباع الغنائم فيحفظ خمسها من وليته أمركم محمد بن عشيرة ، وسعيد ابن شملال ، فإن حدث بأحدهما حدث فالباقى منهما يقوم مقام صاحبه ، فإن حدث بهما جميعاً حدث ، فقد أقمت مقامهما حازم بن همام ، وعبد الوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وأما ما قدرتم عليه من سبى نسائهم ، وذراريهم الذين وصفت لـكم كيف يحل سَبْيُهم ، فلا تبيعوهم هنالك حتى توصلوهم إلىّ ، وأنفقوا عليهم من مال الله من الغنائم حتى تصلوا بهم إلىّ ، وإن لم تقدروا على رجلين ولا رجل من أهل الصلاة ممن تثقون به فى إبلاغ الحجة عليهم وإبلاغ مقالتهم إليـكم فلا تبيتوهم ، ولا تغتالوهم بالقتل ، ولا تسبوا لهم سبيا ولا ذرية ، ولا تغنموا لهم مالا حتى تسيروا إليهم بأنفسكم ، فإن كانوا متفرقين فرأيتم أن توجهوا منكم طائفة ، وتقيم منكم طائفة فى عسكرهم ، إن لم تخافوا مكائد الفسقة على الطائفة الخارجة إليهم وإكمانهم لهم ، فاخرجوا إليهم من رأيتم فى كم رأيتم من الرجال من أهل النجدة ، والرحلة ، والخفة ، حتى يأتوا إلى من رجوا أن يدركوهم فى تواحدهم وانفرادهم من جماعتهم ، فإذا وصلوا إليهم دعوهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فإن أجابوا قبلوا منهم ، وإن

كرهوا دعوهم إلى الوفاء بالعهد والرجعة عن النكثة إلى حكم القرآن وحكم أهله من المسلمين بعمان ، وإن قَبلوا قبلوا منهم ، وإن كرهوا هللوا الله وكبروه وحكموه وقاتلوهم ، فإن أظفرهم الله بهم قتلوا من قاتلهم فى المعركة وسبوا ذراريهم الذين ولدوا بعد نقض العهد كما وصفت لك سباهم ، ولا يقتلوا مولياً إلا أن يقاتلهم ، فإن استأسر أخذوه ولم يقتلوه ، وإن خفتم مكيدتهم واجتماعهم على طائفة إن وجهتموها فلا توجهوا إليهم طائفة دون طائفة ، ولكن استعيذوا بالأدلة من أهل العهد . وسيروا بأجمعكم ، فإن خفتم على عسكركم ، وعلى ما تخلفون فيه من طعامكم فرأيتم أن تكوروا السفن إلى البحر وتردوا فيها الأطعمة ، وتخلفوا فيها رجالا من رجالكم فافعلوا ، ثم سيروا ولا قوة إلا بالله إلى حيث رجوتم أن تهجموا عليهم أو على أحد منهم ، وإن كانت الحجة قد صحت عندكم كما وصفت لكم برجلين ثقتين من أهل الصلاة ، أو بواحد من أهل الصلاة بأنهم قد كرهوا الدخول فى الإسلام ، والرجعة عن النكث إلى العهد ، فليس عليكم أن تحتجوا عليهم بعد ذلك ولا أن تدعوهم ، فانصبوا لواءكم واعطوه أرجى لكم فى أنفسكم بالكرة على عدوكم ، والتخصيص لواليكم لمن يتقدم ولا يتأخر ، ويثبت لواءه ولا ينكسه ويظهره ولا يدسه ، ثم اذكروا الآخرة وانسوا الدنيا فإنكم الحنفاء ، والله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً ، ثم سدوا الصفوف ، وقووا النيات ، وجردوا السيوف واجعلوا لكم ميمنة وميسرة وقلبا ، وإن رأيتم أن تجعلوا منكم كميناً لعدوكم فافعلوا « وهى طائفة تكون لا يراها العدو حتى تأتى من ورائهم » واعلموا أنه يقال إن السيوف مفاتيح الجنة ، وأن الجنة تحت البارقة ،

فلا يهولكم عدوكم ، وهبوا الله أنفسكم ، وامضوا إليهم زحوفا ولاحموا لهم صفوفا ، وليكن شعاركم « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لا حكم إلا لله ، ولا حكم لمن حكم بغير ما أنزل الله وخلما وبراءة وفراقا لجميع أعداء الله » فإنها ساعة تفتح لها أبواب السموات وأبواب الجنات ، وتزين فيها الحور العين ، وتهبط فيها الملائكة ويأتى نصر الله وعدكم إن شاء الله بأضعافكم من الملائكة ، ويقلل الله عدوكم فى أعينكم ويكثركم فى أعينهم ، فيجعل الله أصواتكم بالتكبير ، والتحكيم ، كالرعد القاصف فى أسماعهم ، ولوامع سيوفكم كالبرق الخاطف فى أبصارهم ، وعند ذلك لا تحصى أجوركم ، وما أعد الله للصابرين الصادقين أهل السموات وأهل الأرض من أجوركم ، فاصبروا ساعة يفرق الله فيها بين الحق والباطل ، وقولوا كما قال إخوانكم لو ضربونا حتى نبلغ الغاف من عمان لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل ، وهم حزب الشيطان وأنتم حزب الرحمن ، وقال الله :

« إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ » و « اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فإن الله يقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ، وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ، فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » ، « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا

غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » .

فما غنمتم من سلاح ، أو طعام ، أو أنعام ، أو أثاث فليس لأحد منكم أن يذهب منه شيئا قليلا ولا كثيرا لاطعام ولا غيره ، فأما الأثاث ، والطعام ، والأنعام ، وما ثقل عليكم فلا يمكن لـكم حمله ، فذلك يباع كله فيمن يزيد بالاجتهاد منكم فى طلب غاية الثمن ، ويتولى بيعه محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال ، أو من شهد ذلك منهما ، ثم يعزل خمس ذلك حتى يوصل إلىّ ، وتقسم أربعة أخماس على المقاتلة ، على من حضر الحرب كلهم بالسواء ، وما كان من سلاح ، أو نساء ، أو ذرية من الذين ولدوا بعد نقض العهد ، فأولئك يحملون إلىّ ويرفع وينفق عليهم من مال الله من المغانم إلى وصولهم . ويرفع السلاح إلىَّ ومن غنم شيئا ووقع فى يده شيء من النساء ، فليتق الله فلا يطأهن حتى يبيعهن ويقبض ثمنهن . فمن شككتم فيه واشتبه عليكم فيه من الذرارى ولم تدروا أكان مولده بعد العهد أو فى العهد فخلوا سبيلهم ولا تسبوهم . وما كان من المسلمات اللاتى سبوهن قد ولدن من أحد منهم ، أو كان فى بطونهن حبل فإن أولادهن لحق أمهاتهم المسلمات وهم مسلمون مثل أمهاتهم ، ولا يكونن لحقا بآبائهم ولو دخلوا فى العهد ورجعوا عن النكث ، وإن كان من النساء المسلمات المسبيات أحد قد ارتد عن الإسلام جُبِرْنَ حتى يرجعن إلى الإسلام .

وإذا التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبياً صغيراً . ولا شيخاً كبيرا ولا امرأة ، إلا شيخاً أو امرأة أعانوا على القتال ، ومن قتلتموه عند

المحاربة فلا تمثلوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة ، وكذلك ما أخذتم من الجزية فارفعوه إلىّ ، وأما إن كان فيها شيء من الصدقات على أحد من أهل الصلاة فقبضتموه ففرقوا ثلثه على فقراء البلد بالاجتهاد منكم فى ذلك ، وارفعوا إلىّ ثلثيه ، والذى عليه عزم رأيى أن يكون منزلكم فى القرية حيث كان ينزل ولاة المسلمين قبلكم ، فتعمروا عسكركم ومسجدكم بالصلوات والذكر لله بالغدو والآصال ، ثم لا تغفلوا عن الحرس فى الليل واجعلوه نوائباً بينكم فى كل ليلة حول قريتكم ، فإنه يقال إن الله يباهى بنفر من عباده من أهل أرضه ملائكته منهم مقدمة القوم إذا حملوا وحاميهم إذا انهزموا وحارسهم إذا ناموا ، وتتموا الصلاة مادمتم فى القرية ، وإذا خرجتم إلى أكثر من فرسخين من القرية صليتم قصراً ، وجمعتم الصلاتين الظهر والعصر ، والعشاء والعتمة ، وإن حضرتكم الصلاة ، وأنتم مواقعون لعدوكم ، وهم فى وجوهكم أو من وراء ظهوركم ، وأنتم فى القرية ، أو فى السفر ، فأى صلاة حضرتكم فى ذلك الوقت فليقم الإمام مستقبل القبلة وخلفه طائفة من أصحابه ، وتقيم طائفة أخرى فى نحر العدو مستقبلين لوجوههم وجوه العدو وحيث يسمعوا تكبير الإمام جميعا ، فيوجه الامام والطائفتان جميعا ويكبر الإمام تكبيرة الإحرام وتكبرها معه الطائفتان جميعا ، فإن كان فى صلاة النهار قرأ فاتحة الكتاب وحدها ، وإن كان فى صلاة فيها قراءة قرأ فاتحة الكتاب وسورة من قصار السور ، ثم كبر الإمام وركع وركعت الطائفة التى وراءه معه ، ووقفت الطائفة الأخرى فى نحر العدو غير راكعة ولا ساجدة ، فيركع الإمام وتركع الطائفة التى خلفه ويسجد الإمام وتسجد الطائفة التى خلفه

ويسجد الإمام سجدتين ، ثم يرفع الإمام رأسه وينتصب الإمام قائما وتمضى هذه الطائفة الذين كانوا خلفه فتركد فى نحر العدو ، حيث كانت الطائفة الأخرى ، وترجع الطائفة الأخرى ، فتقوم مقام الطائفة الذين كانوا خلف الإمام ، فتكون خلف الإمام فيقرأ الإمام ثم يركع وتركع معه الطائفة ويسجد وتسجد معه سجدتين ، ثم يقرأ التحيات ويسلم وتسلم الطائفتان جميعا ، ثم ترجع الطائفة إلى أصحابهم فهذه صلاة الحرب فى موضع التمام وفى موضع القصر ، وأما صلاة المضاربين بالسيوف عند التقاء الزحوف فهى خمس تكبيرات ، وصلاة الهارب خمس تكبيرات ، حيث كانت وجوههم ، وأما الطالب لعدوه فيصلى صلاة نفسه إذا كان لايخاف عدوا وإنما هو الطالب لعدوه ، فإن كان فى حد التمام صلى تماما ، وإن كان فى حد القصر صلى قصراً ، ومما أوصيكم به أن تتقوا الله ولا تبيعوا شيئا من الأسلحة بسقطرى ، ولا تشربوا نبيذاً ، ولا يحدثن أحدكم امرأة خاليا ، ولا يشتمن بعضكم بعضا ، ولا يكونن مجالسكم فى لهو ولا لعب ولا هزل ولا كذب ، فمن ظفرتما عليه أنتما « أعنى محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال » أو صح معكما عليه أنه شرب نبيذاً حراما ، أو خلا بامرأة يحدثها غير ذات محرم منه ممن تسبق إلى قلوبكم فيه التهمة ، أو يكون منهم اللهو باللعب أو بالغناء أو بشىء مما يكرهه الله والمسلمون ، أو آذى أحداً من المسلمين أو والى أحداً من عدوهم ، أو باع سلاحا فى أرض الحرب ، فقد أذنت لكما فى قطع صحبتهم ، وإخراجهم من عسكركم ، وقطع النفقات والإدام عنهم ، ومن كان معه منهم شىء من أسلحة المسلمين فتضمنونه ، إلا من تاب منهم واستغفر ربه وراجع

ما تحبون منه ، فاقبلوا توبته وأقيلوا عثرته ، وردوا عليه نفقته ورزقه ، إلى أن يسلمكم الله وترجعوا إلينا إن شاء الله ، ومن أراد من أهل سقطرى من أهل الصلاة من رجال ، أو نساء ، أو صبيان ، أن يخرجوا معكم إلى بلاد المسلمين ، فاحملوهم فى حمولتكم ، وأنفقوا عليهم من مال الله حتى يصلوا إلى بلاد المسلمين إن شاء الله ، ومن كان هنالك من أولاد الشراة وأعوان المسلمين فاحملوهم إلى بلاد المسلمين ، فإن تلك دار لا تصلح لهم بعد تلاحم الحرب بيننا وبينهم .

واعلموا أنه لا يحل لأحد من المسلمين نكاح نساء النصارى من أهل سقطرى لا نساء أهل العهد منهم ، ولا نساء أهل الحرب ، إلا نساء الذين يقرءون الإنجيل من أهل العهد منهم ، فأما من لا يقرأ الإنجيل منهم من أهل العهد ، فلا يحل نكاح نسائهم ، ولا أكل ذبائحهم ، ولا طعامهم ، وأما أهل الحرب فلا يحل نكاح نسائهم ، قرءوا الإنجيل أو لم يقرءوه ، ولا تؤكل ذبائحهم كانوا من أهل العهد أو من أهل الحرب .

وما اشتبه عليكم من الأمر الذى أنتم فيه فلم تجدوه فى الآثار ولا فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى كتابى هذا ، فقفوا عنه حتى توردوه إلىَّ إن شاء الله ، وإن انقضى الأمر بينكم وبين عدوكم إلى رأس الزنج فاخرجوه فى رأس الزنج ، ولا تخلفوا بعد أن ينقضى الأمر بينكم وبينهم ، وإن لم ينقض الأمر بينكم وبينهم إلى تبرمة فتأخروا إلى تبرمة إن شاء الله ، فإنى أرجو أن يكون معكم من الطعام ما يكفيكم إلى ذلك إن شاء الله .

لا تختلفوا فى آرائكم ، ولا فى سلمكم ولا فى حربكم ، وليكن رضاكم واحداً ، وغضبكم واحداً ، ووليكم واحداً ، وعدوكم واحداً سوىّ ، ودمكم

سواء ، فإنى أسأل الله أن يهديكم للائتلاف وأن يؤمنكم ، ويؤمن بكم من المخاوف ، وأن يعيذكم ويعيذ بكم من الارتجاف والاختلاف ، وأن يكسيكم كل خلق واف ، وكل علم كاف ، وكل عمل صاف ، وأن يدفع بكم أهل الإنطاف ، ويعلك بكم أهل الشرك والإسراف ، وأن يجربكم منهم المصارع ، ويجب بكم منهم المطامع ، ويصم بكم منهم المسامع ، ويحصدهم ، لكم بالقواطع اللوامع ، ويأسرهم لكم فى المجامع ، حتى يحيي بكم الشرائع ، ويهب لنا فيكم أكمل الصنائع ، ويجملكم وإيانا منه فى الحمى والودائع ، وأستودع الله أنفسكم ودينكم وخواتم أعمالكم فإنه خير حافظ وهو أرحم الراحمين ، ولا جعله الله آخر العهد بيننا وبينكم ، وذكرنا وإياكم برحمته ، وأيدنا وإياكم بعصمته ، وزادنا وإياكم من نعمته ، وهدانا وإياكم لحكمته ، وأعاذنا وإياكم الفتن والإحن والحزن ، وجعل كلمتكم العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأيدكم بروح القدس الذى لا يهزم ولا يغلب ، وأذل الشيطان وحزبه بالرعب والرهب والغرق ، وقطعهم شذرا مذرا ، ومنحكم منهم أدبارا ، وهتك بكم منهم أستارا ، وأهلك بكم منهم أرواحا وأبشارا ، وأصلاهم بكم بواراً ونارا ، آمين يارب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ، خاتم النبيين وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، شهد الله على ما تقول وكفى به شهيدا ، أشهدكم الله وملائكته ، ناصرين وضاربين لوجوه الكافرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ووجد بخط الشيخ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن سليمان ، مكتوبا

فى بعض الكتب أنه عن أبى عبد الله محمد بن محبوب ، رحمه الله وهذا عهد عهده الإمام الصلت بن مالك ، لغسان بن جليد[١] ، حين بعثه والياً على رستاق هجار : «إنى أوصيك بتقوى الله فى سرك وجهرك ، وأن تكون على أمر الله حدثا[٢] وفى مرضاته راغبا ، وأن تعمل بالعدل فى الرعية ، وأن تقسم بينهم بالسوية ، وأن تأمر بالمعروف وتحث أهله عليه ، وتنهى عن المنكر وترده على من عمل به ، وتنزل كل ذى حدث حيث أنزله حدثه ، وأن تقيم فيهم كتاب الله ، وتحيي فيهم سُنة نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وتسير فيهم بسيرة أئمة الهدى ، فى أحد الغضب منك والرضا ، ولا يخرجك غضبك من الحق ، ولا يدخلك رضاك فى الباطل ، ولا تتعاطى من الناس عند قدرتك عليهم ما لم يأذن الله به لك فيهم ، ولا تخف فى الله لومة لائم ، واجعل الناس عندك فى الإنصاف سواء ، واحذر أن يستميلك إلى أحد منهم هوى ، ولا تركن إلى أهل الجهل والباطل والطمع والغى ، فإن الله قد حذر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال :

« وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ » وقال : « وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ » . وقال : « ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

(١) خ خليد

(٢) يقال رجل حدث بين الحداثة ، أى تكون على أمر الله ثابتا ظاهرا كأنك فيه ابتدا أو فتيا .

فاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ » .

ولا تتخذ من الأصحاب إلا الأمناء الذين تؤمنهم على ما يغيبون به عنك من أماناتك فيما يرفعونه إليك عن رعيتك ، فإنى قد ائتمنتك على أمانتى ، ووثقت بك على حمايتى ، بالقيام بالقسط فى رعيتى ، والمساعدة لى على ما أنا قائم لسبيله من أمر ربى ، وكن كما رجوت فيك وعند ظنى بك ، فإنك عينى لى على ما غاب عنى ، والله شهيد عليك وعلىَّ ، وناظر إليك وإلىَّ ، وسائلك وسائلى ، فلست بمغن لك من الله ، ولا أنت بدافع ولا نافع لى عند الله ، إلا بحفظ أمانته ورعاية حقوقه والصدق عليه ، فبالله فاكتف ، ومنه فاستح ، وإياه فاتق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

واعلم أنك قادم على رعية قد رعاها رعاة قبلك ، وأفضل منك ما أنت قادم عليه ، وأن تأمرهم بطاعة الله ، وتعمل بها فيهم ، وتدعوهم إلى الوفاء بعهد الله ، وتفى به لهم ، وتحضهم على شرائع الإسلام ، والرضا بالحلال وترك الحرام ، وأن يعملوا بفرائض القرآن فيما ساءهم أو سرهم أو نفعهم أو ضرهم ، وأن يسمعوا ويطيعوا لمن ولاه الله أمرهم فيما أطاع الله فيه ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ، وأن تعدلوا بالحق وتجتمعوا على العدل ، وتوادوا أهل الطاعة ، ولا توادوا أهل المعصية فإن الله يقول :

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ » .

فمن كان من الله وجد فيه بعث الله للمؤمنين[١] وازجرهم عن العصيان والحميات[٢] ، فإنها من صفات الجاهلية فانْهَ عن ذلك وقدم فيه ، وأخمد ذلك واطفه ، وحذرهم الفتنة والبغى والضغائن والفساد والحقد والهمز واللمز لبعضهم بعضا ، فان ذلك يورثهم الإحن فيما بينهم ، وترك ذلك عونا لهم على سلامة الصدور ، وصلاح ذات البين ، واشدد عليهم فى الانتهاء عن مشارب الحرام ، ومجالس الخوض واللعب واللهو والباطل والسفه والجهل والظلم والخيانات ، وامرهم بعمارة مساجدهم ، وتقديم أهل الفضل والصلاح للإمامة فى صلاتهم ، فمن قبل ما أوصيته به وأجاب دعوتك واستقام على ذلك فاخفض لأوليائك جناحك ، وألن لهم جانبك واقبل منهم وأحسن إلى محسنهم ، ومن كره قبول العافية وأعرض عن الدعوة وخالف الحق وترك السُّنة وركب المعصية ، فشمر لأولئك عن الساق ، واحسر لهم عن الذراع ، وابسط عليهم من العقوبة ما يستحقونه بإحداثهم ، وأنزلهم حيث أنزلهم الحق فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلّم :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

---

(١) هذه العبارة غير صحيحة ولم نجد لها أصلا نرجع إليه فليتأمل .

(٢) الحميات جمع حمية وهى ميل المرء إلى قومه ، أو من يحبه فى حال الفساد وقوله وقدم فيه أى قدم إلى الحد والتعزير من يستحق ذلك من أهل الحمية الجاهلية .

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » وأنزل الناس منك منازل على قدر منازلهم من الخير والشر ، وليـنفع بذلك أهل المعروف ، وليضر أهل الباطل والمنـكر فعلهم عندك . وشاور من يخاف الله في أمرك وشاركهم فى عنايتك ، فانك تحتاج إليهم ولا غنى لك عنهم ، واتخذهم لسرك ولمشورتك ، ولا تأخذ تعديل الناس إلا بالثقات الذين لاشبهة فى صلاحهم ، ولايختلف فى عدلهم فأولئك فاسأل وعنهم فاقبل ، واحذر أهل الدنيا الذين تخاف مكرهم ، ولا تأمن شرهم وغدرهم ، ولا تقم شيئا من الحدود قبلك ، ولا تحكم بين الناس فى القصاص ، ولا فى الأرش ولا فى الأموال ولا فى نـكاح ولا فى طلاق ولا فى عتاق ، حتى ترفع ذلك إلىَّ ، وكلما اشتبه عليك شىء من الحـكم فيما بين الناس ، فقف ، ولا تتقدم عليه حتى تشاورنى ، فأنظر فيه أنا ومن معى من أهل الرأى ثم أطلعك من ذلك على ماأرجو به السلامة ، فإن ذلك أسلم لى ولك إن شاء الله ، وانصف الضعيف من القوى ، والفقير من الغنى ، والعبد من المولى ، وكل حق صح معك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا تـكن فظاً غليظ القلب من كثرة المعانى ، ولا محتجبا عن مطالب الحق والضعفاء واليتامى ، واجعل للنساء حظاً من خلوتك فان لهن أسرارا أنت موضعها[1] ، واصبر نفسك لذلك ، ولا تضجر من كثرة المعانى ، ولا تحكم بين الناس وأنت غضبان ، ولا تبع ولا تبتع فى ولايتك

---

(١) وذلك لأجل الاستفتاء والرجوع فى قضاياهن ، والنظر فى شكواهن ، فإن الوالى العادل التقى موضع إطمئنان الخائف الوجل ، والذى يعتريه الخجل والحياء كالمرأة وللمرأة أسرار كمسائل الحيض والنفاس ، والأحوال الزوجية قد تأبى أن يعلم بها أحد من الناس سوى القاضى ، أو المفتى ، فإن الأحوال العائلية كثيراً ما تضن بها كرائم العائلات إلا فى المجلس الخاص للفصل فيها صونا للكرامة .

شيئا إلا مالابد منه من بيعه ومن طعام الصدقات من غير أن تجبر أحدا يشترى منك شيئا ، ولا تعلم أحدا انه متخذ بذلك عندك يدا ، ولا تجبر أحدا يحمل طعاما من بلد إلى بلد استكراها منك لهم ، ولا تقبل من أهل ولايتك الهديات ، ولا تجبهم إلى الدعوات ، وأمر بذلك ولاتك ، وأصحابك ، فإن ذلك من المعائب ، ولا يدعو إلى الإدهان والإصغاء ، والركون الى الهوى ، فأعاذنا الله وإياك من الشيطان وفتنته ، ورغب الناس فيما افترض الله عليهم ، من أداء زكواتهم ودفعها ليضعوها فى مواضعها ، واعلمهم أنه من وفى بها فهو من الله فى رحبة من الأثر فى سعيه والإيجاب له من ثوابه ورحمته ، ومن سترها أو شيئا منها فقد خان الله ورسوله ، فليس من الله فى شىء ، ولا يقبل الله صلاة لمن كان لزكاته خائنا ، قال الله تعالى :

« قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » ومن لم يؤد زكاته لم يقم بما أنزل الله من فرائضه وشرائع دينه ، ومن أداها إليكم طائعا فاقبلوها منه ، ومن اتهمتموه فيها وكان عند أهل المعرفة متهما فاستحلفوه بالله ماستر عنكم ما يعلم لله فيه حقا من غير تهديد منكم له بحبس ولا قيد ولاضرب ، فإن يك صادقا فقد سلمتم وسلم وان يك كاذبا فسيأتى الله بخيانته وأنتم أبرياء منها ، ولعمرى لأن يلقى الله بخيانته أحبَّ إلىّ أن تلقوه بعقوبته على غير بيان ولا برهان ، وحاسبوا أهل التجارات على تجاراتهم بالرفق

والدعة ، ويقوّم عليهم كلما أرادوا التجارة بقيمة عادلة وسطا على أوسط سعر البلد ، ومن ادعى ان عليه دينا وقال إنه يريد أن يقضى دينه من وَرِقِهِ فى سنة طرح عنه دينه ، فإن بقى فى يده ما يبلغ فيه الصدقة أُخذت منه ، وإن لم يبق ما يبلغ فيه الصدقة فلا سبيل عليه ، وإن اتهم فيما ادعى استحلف بالله أن عليه من الدين كذا وكذا ، وكل دين على رجل مفلس فانه لا يحاسب عليه ، ولا يكمل به الصدقة ، ولا يؤخذ مما فى أيدى الناس من ثمارهم ، ولا يقوم ذلك عليهم فى حساب ورقهم حتى يبيعوها ويصيروها دراهم ، ويحمل مال الولد على مال والده مادام ولده فى حجره ولو كان بالغا ، وما كان أوفر للزكاة من حمل الورق على الذهب أو الذهب على الورق حمل ، ويقوّم الذهب والفضه بأوسط صرف البلد ، ومن أراد أن يعطى ما يلزمه من الفضة فضة بقدر ماوجب عليه فله ذلك ، وليس عليه أن يكسر فضة ، ومن أراد أن يعطى ما وجب عليه بالمصارفة على صرف فضة فى البلد فله ذلك .

واعلم أن الناس يختلفون فى محل صدقاتهم ، وكل امرىء منهم تؤخذ صدقته فى محلها ولا تعجل عليه قبل وقته ، ولا تؤخر بعد وقته ، وأما السلف فانما يحسب رأس المال مالم يقبض ، وقد قيل فيه أنه إذا حل قوم على سعر البلد إذا كان على الأوفياء ، والقول الأول أحب إلينا ونرجو أن يكون أبعد من الشبهة وأسلم ، وهو أكثر قول الفقهاء ، وأما الثمار فتؤخذ منها الصدقة على ما أدركت عليه ، وإن أدركت على سقى الأنهار أو ماء الأمطار وبلغت ثلاثمائة صاع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم أُخذ من كل عشرة مكائك مكوك ، ولا يحمل شىء من الثمار بعضها على بعض ، إلا البر والشعير فإنه يحمل أحدهما على صاحبه ، وليس على مايطعم الفقير صدقة ،

ولا ما أعطى لله إلا أن يعجز الكيل عن تمام الزكاة ، فعند ذلك يحسب ما أطعم الفقراء حتى يكمل به الصدقة ثم يأخذ مما يبقى ، وليس فيما يدفع إلى الفقراء صدقة ، وإذا كان الزوجان متفاوضين فى الثمار حمل ثمرة أحدهما على الآخر ، ولا تحبس على الناس ثمرة نخلهم بعد إدراكها من أجل حضوركم إياها لأخذ صدقاتهم فان الرياح والأمطار تضربها وتفسدها بعد إدراكها ، ولكن يؤذن لهم بجدادها ، وهم أمناء على ما ائتمنهم الله عليه ، ومن اتهم بالخيانة استحلف بالله ماستر شيئا من ثمرته حذار الصدقة ، وكذلك لاينبغى أن يعجل عليهم فى جداد ثمرتهم قبل إدراكها ، ولاصدقة فى البسر الذى لم يدرك ، ولا فى الرطب حتى يصير تمرا .

واعلم أن الذين يجمعون الصدقة من أصحابك تكون نفقتهم من جملة الصدقة ما داموا فى جمعها ، فإذا فرغوا من جمعها كانت نفقتهم فى الثلثين دون الثلث ، فإذا اجتمعت الصدقة من الورق والثمار ، فأخرج ثلث جميع ذلك ، ثم اجمع صالحى أهل البلد وأشهد على ذلك أنت بنفسك فى كل قرية حتى يقسموا صالحوا القرية ثلثها على فقرائهم ، ويفضل أهل الفضل فى دينهم ، وأهل الأمانة وأهل الفقه على غيرهم ، ولا تستبق من ذلك شيئا ، ولا تعط أحداً من أصحابك منها شيئا إلا من كان محتاجا إلى ذلك فتعطيه ما تعطى رجلا من أهل البلد ، ولا تمكن من قسم الثلث واحدا ولا اثنين إلا الجماعة من ثقات البلد ، ولا تغب أنت عن ذلك إن شاء الله .

وإذا خرج الساعى فلا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق ، حذار الصدقة ، والمجتمع ما اجتمع في الرعى والحلب والمأوى ، فان تفرق فى شىء من هذه الخصال فهى متفرقة ، وإن اجتمعت فى الحلب

فهى مجتمعة ، فاذا وجدت الغنم يبلغ فيها الصدقة فلتصدعها بنصفين ، فيبتدىء رب المال فيختار أحد النصفين ، ثم يختار أيضا رب المال من النصف الآخر شاة ، ويختار المصدق شاة ، ويختار رب المال شاة ، ثم يختار المصدق شاة ، ولا يزال على ذلك حتى يستوفى المصدق ، ولا يعد من السخال إلا ماقطع الوادى راعيا ، ولا يأخذ المصدق ، الفحل ولا الماخض ، ولا ذات النتاج ، وليس عليه أيضا أن يأخذ ذات عور ، ولاجربة ، ولا جذعة ، وعليه أن يأخذ من الضأن بقدر حصتها ، ومن المعز بقدر حصتها .

وأما الإبل العوامل ، والبقر الزواجر ، فانها لاتؤخذ منها الصدقة ، فما كان فى الشنق أخذ من صاحبها شاة وسطا ، ولا يكلف صاحبها شططا ، ولا يؤخذ من الدراهم حتى[1] نصف الشاة شاة وسطة ، يقبضها المصدق ثم إن أراد أن يبيعها منه عن تراض منهما على ما اتفقا عليه من الثمن بغير جبر ، ولا إكراه ، وكذلك الفريضة إذا وجبت فى الإبل فلا تباع من صاحبها حتى يحضر فيقف ثم يقبضها المصدق ، فان اتفقا على المبايعة وإلا أخذ المصدق فريضته ، ولا يكلف صاحب المال أن يأتى بفريضة من غير إبله ولا يقال إن إبلك ليس فيها فريضة كريمة ، فأحضرنا فريضة كريمة ، فإن ذلك ليس عليه إنما عليه أن يعطى ذلك الشىء الذى وجب عليه من إبله ، وإن لم يوجد ذلك الشىء ووجد دونه ، أو فوقه أخذ المصدق ما فوق ذلك السن ، ويرد على صاحب الإبل بقدر الفضلة من الورق والغنم ، ولا يأخذ دون ذلك السن ويسترد الفضل من صاحب الإبل ، ويأمر الساعى أن يقسم ثلث كل حى على فقرائهم ، ولا يسلم ذلك إلى أهل الأموال ، فإن

---

(١) سقط بالأصل .

لم يكن معه فقراء تجاوز إلى فقراء أقرب الأحياء إليهم ، وليس للسعاة أن يحسبوا شيئا من مؤنتهم على الثلث .

واعلم أن أهل الذمة تؤخذ منهم الجزية عند انسلاخ الشهر ، ويؤخذ من الدهاقين والملوك من كل واحد أربعة دراهم كل شهر ، ويؤخذ من سائرهم وأهل السعة من كل واحد منهم درهمان فى كل شهر ، وليس على الصبيان والشيخ الفانى ، ولا على الفقراء ، ولا على الزمناء ، ولا على النساء ، ولا على العبيد ، ولا على الإماء شىء ، وينبغى أن يؤخذوا بربط أوساطهم بالكساتيج[1] ، وجز نواصيهم ، وشرك نعالهم حتى لا يشبهوا بأهل الصلاة ، ويركبوا على الأُكُف ، ولا يركبوا على السروج ، ويزجروا عن شراء عبيد أهل الصلاة وإمائهم ، فمن فعل ذلك منهم عزم عليه حتى يبيعهم لأهل الصلاة ، وكل مال من مال أهل الصلاة اشتراه أهل الذمة ففيه العشر تاما ، وكذلك المواشى التى كانت لأهل الصلاة ثم صارت إليهم ففيها الصدقة ، وأظهر الشدة والتخويف لأهل الخلاف لقول المسلمين ، ومن يرى رأى القدرية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والمرجئة ، وأخمد أمرهم وأمت بدعتهم ، وأوعز إليهم فى اللفظ على ألسنتهم ، والكف عن القول بغير قول أهل هذه الدعوة ، فمن أظهر شيئا من ذلك فارفع إلىَّ أمرهم حتى أنظره ، وآمرك فيهم برأى إن شاء الله .

واعلم أنى قد وضعت لك جملا فى كتابى هذا ، مما أرجو لك ولى فيه السلامة من العيب ، والإحياء للسنة ، والإماتة للبدعة ، واقتد بما كتبت لك ، ولا تجاوز شيئا من ذلك ، ولا تختر عليه غيره ، فإنك إن تركت

---

(١) واحدها كستيج بضم الكاف خيط غليظ يشده الذمى فوق ثيابه دون الزنار

شيئا مما كتبت لك ، وعملت بخلافه لم آمن عليك العيب فى الدنيا والآخرة ، وكلما جاوزت أمرى فلزمك فى ذلك قصاص لأحد أو أرش أو غرامة فى مال فهو عليك فى نفسك ومالك دون مال المسلمين ، وإن عرض لك أمر مما لم أكتب به لك فى كتابى هذا فلا تقدم على إنفاذه حتى تشاورنى فيه إن شاء الله .

هذا كتابى لك ، ونصيحتى إياك ، وموعظتى لأهل ولايتك ، والله أسأله لك ولنا التوفيق ، وقبول النصائح والاقتداء بآثار الصالحين ، وأن يهجم بنا وبك على عدل الأمور وأصوبها وأرضاها لله ، واقرأ كتابى هذا على ولاتك إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد ، وآله الطيبين وسلم ، ورحم وكرم ، ولا تخرج أصحابك إلى الماشية إلا بعد الفطر ، فإن كل شىء أخذوه قبل الفطر فهو حرام مردود؟ وإن ارتبت فرد العهد إلىّ إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما .

قال : غيره ، وذلك عندى لأن مبتدأ مملكة الأئمة بعمان كان فى شهر رمضان ، على ما وجدت فى أخبار عمان ، فمن هنالك لم يروا أخذ زكاة الماشية والورق إلا بعد الفطر ، لأنهم لا يرون أخذ زكاة الماشية والورق إلا بعد حلول السنة ، وإلى الفطر تحول السنة

ذكر الحكم فى رجل من أهل بسيا

اتهم بقتل رجل فسجنه الإمام على التهمة فطال حبسه ، فأقر بالقتل ، ولكنه ادعى أنه قصد غيره فأخطأ فيه ، فشاور الإمام فى أمره من حضر

من علماء المسلمين ، وكتب بذلك إلى أبى عبد الله محمد بن محبوب فأجابه بقوله : وذكرت رحمك الله ما يفسد به من أمور رعيتك ، ما يحتاج فيه إلى مشاورة الإخوان ، وأن محمد بن عمر من أهل بسيا كان فى الحبس على تهمة بقتل رجل فأقر عندكم أنه أراد قتل رجل فقتل غيره ، وكان عنده إنما قتل الذى قصد إليه ، إلى أن رآه حيًّا ، ووقع القتل بغيره ، فبان له ذلك بعد فوت الرجل ، وذكرت رحمك الله أنك كتبت إلى القاضى تشاوره فكتب إليك أن مثل هذا يستودع الحبس عمره ، وأنك جمعت من كان بحضرتك وأبرزته إليهم ، فأقر معهم بهذا الإقرار ، فرأى من رأى عليه القود ، وذكرت أنك قد حبست هذا الرجل كثيرا ، وأحببت أن أعرفك رأيى فى ذلك ، فاسأل الله أن يهجم بك وبنا على الصواب ، وأن يوفقك للحكمة وفصل الخطاب .

واعلم رحمك الله أنه إنما يحبس أهل التهم بالدماء ، حتى تقوم عليهم البينة العادلة ، أو يقروا بما كان منهم ، ولا يصح ذلك عليهم ، فيرى الإمام أنه قد اجتهد وبالغ فى حبسهم ، فيرى بعد ذلك إطلاقهم ، ومن أقر منهم على نفسه بالقتل إقراراً صحيحا ، كان حقا على الإمام إنفاذ الحكم فيه بما جاء فى كتاب الله تعالى ، فإن لم يجد فى كتاب الله فمن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجد فمن آثار أئمة الهدى والعلم بالله وإنما يحبس من لم يدع إلى الإنصاف من نفسه ، فأما من دعا إلى أخذ الحق منه وأقر لأهله ، فلا حبس عليه .

واعلم ـ أسعدك الله ـ أن فى مثل هذا عندنا أثراً عن أسلافنا وأئمة الهدى منا ، وكان مثل هذا بنخل ـ أنت إن شاء الله قد عرفت ذلك ـ

فى قتل سعيد بن محمد النخلى ، فأقر ربيب سعيد بن عمر أنه قتله ، وإنما أراد قتل عمه زوج أمه سعيد بن عمر وإليه قصد ، وكان المقتول غيره ، وهو سعيد بن محمد ، ثم شاور عبد الملك الإمام فى ذلك ـ رحمه الله ـ فلم ير عليه موسى بن على رحمه الله وغيره من المسلمين القود ، ووجدت فى بعض آثار المسلمين فى هذا إنه لا قود عليه ، فأعلمت بذلك عليًا فأعجبه وتمسك به ، وقال إنما هذا إقرار الرجل على نفسه ، فهذا الذى حفظنا وقد كان الأزهر بن على قد خالفهم فى ذلك ، فلم يأخذوا بقوله ، والذى نأخذ به أنه لا قود على هذا الرجل ، وإنما تلزمه الدية فى نفسه ، ولا تلزم عاقلته منها شيء ، وإن أراد أولياء الدم يمينه ، فعليه لهم يمين بالله ، أنه ماقصد إلى قتل صاحبهم هذا ولا تعمد ذلك وما أراد إلا قتل رجل غيره فأخطأ به . وليس هذا — رحمك الله — عندنا ، بمنزلة من أقر بقتل رجل فقال ابتدأ بى فضربنى وبغى عَلَىَّ فقتلته ، هذا لا يقبل منه دعواه إلا بالبينة ، إلا أنه قد أقر إنه قصد إلى قتله وادعى بغيه عليه ، وذلك يقول إنى لم أقصد إلى قتل هذا ولا أردته ، وإنما أردت قتل غيره فقتلته ، وعندى أنه ذلك الذى أردته ، ثم بان لى أن الذى أردت قتله حى ، وإنما وقع القتل بغيره . ولو أن رجلا أقر بقتل رجل ، وقد رأيته قتل ابنى فقتلته ، لم تقبل دعواه هذه إلا بشاهدى عدل وإلا لزمه القود .

ثم سار موسى بن موسى بن علي إلى نزوى ، يريد عزل الصلت ، وتابعه على ذلك عبيد الله بن سعيد بن مالك الفجحى ، والحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وفهم بن وارث الكلبى ، والوليد بن مخلد الكندى ، فسار هؤلاء ومن اتبعهم حتى اجتمعوا بفرق مع موسى بن موسى ، وكان

الأمر إليه يومئذ ، فلما اجتمعوا بفرق ، خرج الصلت بن مالك من بيت الإمامة ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وكانت إمامته خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ولما خرج الصلت بن مالك من بيت الإمامة بلغ ذلك موسى ابن موسى والذين معه بفرق ، فبايعوا راشد بن النظر ذلك اليوم ، وهو يوم الخميس ، وتفرق رأى المسلمين يومئذ ، وفسدت أمورهم ، واختلفوا فيما بينهم فى الرأى ، ووقعت الفتنة ، وكره قوم إمامة راشد بن النظر ولم يبايعوه — منهم عمر بن محمد الضبي القاضى ، وموسي بن محمد بن على ، وعزان بن الهزبر ، وزاهر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم ، وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأخنس ، وغدانة بن محمد ، وأبو المؤثر ، وغيرهم — ولم يزالوا مستمسكين بإمامة الصلت بن مالك ، إلى أن مات ليلة الجمعة ، للنصف من ذى القعدة سنة خمس وسبعين ومائتين فصلى عليه عزان بن تميم ، ودفن يوم الجمعة . وبلغ الخبر عمر بن محمد القاضى ، فخرج إلى نزوى ، فقيل إنه تكلم عند خاصته ، فقال اليوم مات إمامكم فتمسكوا بدينكم ، وحدث يعقوب بن غيلان عن الفضل ابن الحوارى أنه دخل نزوى أيام راشد بن النظر فإذا هم على سبع فرق .

ذكر الأسباب التى اقتضت عزل الصلت بن مالك عن الإمامة

وقد اختلف الناس فى ذلك اختلافا كثيرا ، فمن عذر موسى وراشدا فى خروجهما ، ذكر أسباباً تسوغ لهما صنيعهما ؛ ومن خطأهما على ذلك ، ذكر أسباباً منكرة ، وأحوالاً غير جميلة ، وكثرت فى ذلك الدعاوى ،

ووقف من وقف من المسلمين للإشكال الواقع

فكان ممن يقف عنهم أبو الحوارى محمد بن الحوارى القرى المعروف بالأعمى ، وأبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبى بكر ، وأبو عبد الله محمد ابن روح بن عربى ، وأبو عبد الله محمد بن الحسن ، وأبو عثمان بن مشق ابن راشد ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبو المنذر بشير بن محمد ، وأبو سعيد محمد بن سعيد

وكان ممن يبرأ من موسى وراشد ، أبو المؤثر الصلت بن خميس ، وأبو المنذر بشير فى قول ، وروى عنه الوقوف كما تقدم ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن محبوب ، وأبو قحطان ، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبى المؤثر ، وأبو محمد الحوارى بن عثمان ، وأبو مالك غسان بن محمد ابن الخضر الصلانى ، وأبو مسعود النعمان بن عبد الحميد ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى شيخه ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، وأبو الحسن على بن محمد البسيانى .

وكان ممن يتولى موسى وراشدا ، الفضل بن الحوارى ، ومحمد بن جعفر ، وابنه الأزهر بن محمد ، وقد قيل أن الأزهر نظر بعد ذلك فى الاختلاف ، فرأى الوقوف أسلم ، فرجع إلى الوقوف ، وكان يتولى والده محمد بن جعفر .

فأما الواقفون فلم يكن لهم دعوى فى الحدث ، وإنما كانت الدعاوى بين المتولين والمتبرئين . فما ذكره المتولون لهم ، ما قاله الأزهر بن محمد ابن جعفر إن الصلت بن مالك صار إلى حد الضعف والزمانة والعجز عن القيام بالإمامة ، وخاف المسلمون ذهاب دولتهم ، وزوال نعمتهم ، وكان

موسى بن موسى فى وقته هو شيخ المسلمين وإمام أهل الدين ، فاجتمع إليه أخلاؤه وساروا لينظر المسلمون فيما فيه عز الدين ، فلما صاروا بفرق مكثوا بها ، وكانت الرسل فيما بينهم وبين الإمام ، فقال الإمام : ما يطلبون ؟ فقالوا قد صرت إلى حد الضعف ، ويخافون ذهاب الدولة ، ويسألونك أن تعتزل ، حتى يقوم رجل يحيي به الله هذا الدين ، أو نحو هذا من الكلام . قال أنظر فى ذلك ، فبقوا أياماً ينتظرون رأيه ، ثم عزم على الاعتزال ، وحول ما فى منزله إلى المنزل الذى تحول فيه ، وأرسل إليهم أنى قد اعتزلت فينظر المسلمون .

وممن أرسل إليهم الحسن بن سعيد ، وحضر قوله هذا للحسن من شاء الله من الشراة ، وشهدوا إنه أرسل الحسن بحضرتنا غير مجبور ولا مقهور ، ثم برز إلى الناس وودعهم وداع تارك الأمر معتزل بنفسه عما كان فيه ، وأمرهم بحفظ العسكر إلى أن يصل القوم ، وقال من قال إلى أن يجيء موسى ، وقال من قال إلى أن يجئ إمامكم ، وكان عنده فى العسكر خلق كثير ، فناظره منهم من ناظره ، فقالوا له أتترك إمامتك ؟ فزعق بهم على ما بلغنا ولم يلتفت إلى قولهم ، فعند ذلك انفلت من شاء الله من الناس الذين كانوا معه إلى موسى بفرق ، وجاء إلى موسى رسوله وكتاب عزان ـ بخطه ـ يستحثهم إلى التعجيل إلى العسكر ، وكان أمره وأمرهم إلى المسالمة . وعاش بجوارهم إلى أن مات .

قال : وممن شهد ببراءته من الأمر ، الحسن بن سعيد ، ومحمد بن القاسم بن مسبح ، وشهد معهم من العوام مع الاعتزال الظاهر الشاهر ، قال : وقد نسب ما فعله من الاعتزال إلى فعل الصلاح والكرم ، قال :

وكنت مخالطاً لهم وأناظرهم فى هذه الأمور ، فنهم من كان مع موسى رأيه كرأيه ، ومنهم من كان واقفا ، ولم تكن البراءة من أحد منهم حتى مات أولئك بورعهم ووقفهم ، وخلف من بعدهم قوم والله سائلهم عما إليه أسرعوا ، قال : ولعلهم يدعون أنهم أخذوا الذى أخذوا عن بشير ابن محمد بن محبوب رحمه الله ، وأبى المؤثر ، وكنت أنا أختلط بأبى المنذر، وكنت أقرب عهداً به ، وكنا جميعاً بمكة ، وكان يلقانى وألقاه ويلتمس النظر فى هذا ويطلب الآثار وقال لى : هؤلاء الذين يدعون ولبس عندهم معرفة بما أنا عليه ، وأنا أضعف عن القول فيما دون هــذا ، وما أنا إلا واقف ملتمس للحق ، وهذا الذى فى أيدى هذه الناس إنما أخذوه عن أبى المؤثر ، قال : فهذا عن بشير رحمه الله وكان على التوقف والورع ، قال فإن كان أحد أخذ عنه غير هذه فقد رجع ، ومات بعد أن فارقته من مكة بقليل رحمه الله

قال : وأما أبو المؤثر فلست أدرى ما كان بينه وبين هؤلاء، إلا أنى أعرف يقيناً ، أن أبا المؤثر كان كاتب أبا على ، وينكر مناكر كانت بصحار ، ثم قدم من صحار وقد قدم راشد وكان يختلف ويلتقى والدى فى فى تلك الأسباب . وقال لى والدى وأنا أسمعه ، قال فى أبى على ، أنه أراد أن يكون بفرق ، ولو شهرين ، حتى يتفق الأمر فى الصلت بن مالك ، فاعتزل برأيه . وقال أبو المؤثر ـ وأنا أحفظ هذا عنه ـ أن الصلت بن مالك قد خرج من الإمامة واعتزل ورد الخاتم ، ولكن راشد لم يقم بمقده إلا موسى وحده ، قال فانظر كيف كان موسى جليلا عنده ، فقال له والدى فنرسل إليه محمد بن المنذر فاستضعفه ، فقال له : أسيد بن المنذر ؟

فقال نعم ، ورآه موضعا للعقد . قال فهذا الذى أحفظه واستيقن عليه منه قال ثم كان من بعد ذلك مخالطا لراشد ماشاء الله ، ثم وقع سبب لعله عتب فيه على أبى على ، وجرت الأعتاب بينهم وقال محمد بن جعفر : أما بعد فرفع إلى المسلمين ، إن الغائب والضعيف والجافى العنيف ، يسألون كيف جاز لموسى أن يولى راشدا ؟ قال فما كان عندنا فيه ارتياب ، ولا أن يشك فيه ذوو الألباب ، قال : فأما الصلت فإنه ضعيف وصار إلى حد العجز عن حمايته ، وعزل نفسه وتبرأ إلى المسلمين من إمامته ، وكان اعتزاله شاهراً ظاهراً ، ووضحت براءته من الإمامة بالبينة العادلة عندنا قال : فلما اعتزل ولى المسلمون راشد بن النظر ، وبعث الصلت ابن مالك إليه بخاتم الإمامة ومفاتيح الخزانة ، ولم يمارضه فى شيء وهو فى جواره قريبا من سنة إلى أن مات ، وليس يذهب عليكم ما كان له من الأعوان والإجابة والقدرة من أهل عمان لو كان مقهوراً أو أراد القتال . قال : وعندنا أن موسى كان يريد عز الدين وصلاح المسلمين ، والذى عرفناه من رأيه وعزمه فى آخر عمره إنه كان يريد اجتماع أهل العلم والرأى الموثوق بهم ، حتى ينظروا فى أمر الصلت بن مالك ، وراشد ، وعزان ، فحيث كان الحق تبعه ، وإنه راجع إلى الحق فى ذلك ، وإلى رأى المسلمين قال : وقد كان موسى كتب إلى من كتب إليه من أهل سلوت فى آخر أيامه : إن الله وله الحمد قد أخذ على القوّام بأمره ميثاقاً بلغنا إلى ذلك وأطاقنا ، ولا عذر لنا عند الله إلا بإبلاغ العذر فيما ألزمنا وطوقنا ، ونرجو أن يشهد الله لنا ، أنا لم نقم فى شيء مما قمنا فيه ، لطلب فتنة ولا لإحنة ، فأما الصلت بن مالك فصار إلى حد الزمانة ، وتغير العقل

فى بعض الأوقات ، وشهد عندنا عدول من الناس بما استحللنا من أمره ما استحللنا ، وخرجنا للنظر منا ومن المسلمين ، وإقامة الحجة فى أمره ، فاعتزل بأمره ، وأرسل إلينا من يثق به أن ينظر للمسلمين ، وكتب إلى عزان بن تميم بخطه يذكر اعتزاله ويستحثنا على التعجيل ، فلما صح عندى أنه قد برئ واعتزل ، اتفق المسلمون هنالك على ما كانوا اتفقوا عليه ، فهذا أمر الصلت بن مالك ، وليس عندى فيه شك ولا ريب

وفى كتاب : عن الفضل بن الحوارى ، قال فى الصلت بن مالك ، إن الناس فيه فرق : فريق قال اعتزل ، وفريق قال عُزِلَ ، وفريق قال قد استحق العزل ، وفريق قال لم يستحق العزل . قال : والظاهر الشاهر أنه قد اعتزل لأنه قد ترك عسكر المسلمين وبيت مالهم وسلاحهم وترك سجنين مخوفين ، قال : وركب بعيراً وخرج حتى نزل دار ابنه من غير أن يلقى من القوم حجة ما يريدون أو نصيحة أو عزلا أو دعاء إلى توبة ، وقال لمن بقى فى العسكر: احفظوا عسكركم حتى يأتيكم إمامكم ، وقال قوم أتانا كتاب من تخلف على العسكر أن يعجلوا إلى العسكر ، قال الإمام قد اعتزل فقدم القوم إماماً وساروا حتى نزلوا العسكر ، وقدم إمام مكانه وبعث إليهم بالخاتم والسكة وآلة الإمامة ، ولم يقل لهم بينى وبينكم الحق فإنى لم أعتزل ، قال فأى اعتزال أبين من هذا من غير أن يرى حرباً ، ولا اختراط سيف ، ولا هداً بعصا ، ولا رمياً بحجر ، فإن قالوا اعتزل تقية خاف على نفسه ، فأئمة العدل القاطعة للشرى ، لا تسعها التقية ، وعليها الجهاد حتى تَقتل أو تُقتل كما قال الله تعالى ، فإن قالوا كما قلنا قد صار إلى حد ضعفة ، وعجز عن الإمامة ، وجاز له الاعتزال . ولو أنه

خرج هارباً فلحق بالرستاق أو بالجبل ، وترك دولة المسلمين وقال لم أعتزل ، أو خرج إلى جلفار وأبعد وحده ، وتجلى عن الأمر ثم قال لم أتبرأ ، كان على المسلمين أن يدعو دولتهم ويضيعوها ، أو يقوموا بها ، مع أنها حجة ضعيفة داحضة ، واعتزاله كان شاهراً ظاهراً ، فهو إذ تحول من موضع إلى موضع ، ولم يكن له إلا أن يخرج بعسكره وخيله ورجاله وبيت ماله ، ويدعو القوم إلى الحق ، ويكون اعتزاله إلى موضع يرجو فيه الأصلح للمحاربة والاعتذار إلى آخر ما أطال فيه ، فهذه دعوى المتولين لموسى وراشد ، وهى محتملة للحق والباطل ، وما تعودوا الكذب ولا يستحلونه ، وترك إنكار الصلت على موسى وراشد يسوغ لهم احتمال الصحة لما ادعوه عليه ، لأن ترك النكير ممن له النكير حجة ، فلو باع رجل مال رجل وهو فى المجلس لا يغير ولا ينكر ، وهو حر بالغ قادر على الإنكار غير خائف ولا متق ، ثبت البيع عليه ، ولا يقال للبائع أنه تعدى على مال غيره وأنه ظلمه وغصبه ، فظهر من ذلك احتمال صحة ما ادعاه هؤلاء .

وأما دعوى المتبرئين ، فإن أبا قحطان قال : نشأ فى الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيا ، ويأكلون الدنيا بالدين ، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ، ملوه لما كبر وضعف ، وإنما كان ضعفه من قبل الرجلين ، وأما السمع والبصر والعقل واللسان فلم نعلم أنه ضاع منه شيء ولا نقص منه شيء . قال: فلما ذهب أعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الآخرة ، وبلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما اختبر مَنْ قبلهم ، ليعلم المطيع من

العاصى ، وقد علمهم من قبل أن يخلقهم ، ابتلى الله أهل عمان برئيس وعلماء من علمائهم ، كما ابتلى غيرهم ، فلما اختبرهم قل بصرهم ، وزالت عقولهم ، وجاروا عن الحق ، وخالفوا سيرة المسلمين إلا قليلا أنقذهم الله ، قال : فخرج موسى بن موسى من أهل بيت علم وورع ، ووالده موسى بن على رحمه الله ، كان فى عصره مقدماً على أهل عمان ، قال فقام موسى بن موسى فى أهل عمان يتكلم بلسان فصيح ، ويهتف فى مجلسه ويصيح ، ومرة يطمن فى الإمام والقاضى ، ومرة يطعن فى الولاة والشراة ، ومرة يطعن فى غيرهم ممن يقوم بأمر الدولة ، ولا يوضح على الإمام حدثاً أحدثه ، ولا على أحد من أصحابه ، ولا يسم للإمام بكفرة ، ولا يبين ما يدعو إليه إلا إنه ناصح للدولة وأهلها ، ويصل إلى الإمام ، ويتكلم بما لو كان غير الصلت بن مالك لحبسه فى السجن أو يوضح على ما يقول برهاناً أو يمسك لسانه عن شتم أهل الدولة ، ولـكن الصلت كان رفيقاً ، وكان يجله لموضع والده ، ولم يكن يؤمل فيه هدم الدولة ، لأنه كان يظهر أنه ناصح للدولة ولأهلها ، وهو يسعى فى فسادها وهدمها ، للذى سبق فى علم الله قال : فلم تزل الأيام ترقى به ومجالسه تغلظ وهو يوشب ـ أى يكبر ـ على الدولة ويسعى في هدم عزها ويُظهر أنه بريد إعزازها ، حتى انتهت به الأيام أن جمع الأعراب والطغام من الناس ، ومن يسرع إلى الفتنة ، قال فتبعه الناس على منازل مختلفة ، من بين رجل قد أغضبه أحكام المسلمين وأوعز به فهو يطلب عزتهم ، وآخر قد حسد من له فى الدولة درجة رفيعة يطمع أن ينال مثلها ، وآخر يتعبد بغير بصر فيظن أنه محق وأنه يطلب حقاً ولا يدرى أنه قد افتتن قال : فجمع موسى بن موسى

الناس وسار بهم إلى فرق ، فوقعت الفتنة فى أهل عمان ، قال : وكان موسى أشد فتنة على الناس ، فإنهم قالوا أن وشل فرق تحول بدعائه عذبا ، وذلك بعد ما وصل موسى فرق ودعا الله أن يجعله عذبا . قال : وحتى قيل لو استنبئ بعد محمد صلى الله عليه وسلم لاستنبئ موسى ، قال : ولا يمكننا أن نذكر كل ما قيل فيه ، قال : فلما وصل موسى فرق يطلب عزل الصلت لا يذكر غيره ، اعتزل الصلت من المسكر إلى بيت ولده شاذان ، واستخلف فى المسكر من استخلف ، قال — والذى ذكر لنا عنه أنه قال — إنما اعتزل خوفا أن يقع سفك دم بلا حجة ، وأنه لم يحضره من يحتج به .

قال : وفى كتاب الصلت بن مالك إلى الجمهور بن سنجه يخبره كيف كان اعتزاله « وذكرت الذى كان فى قضاء الله وقدره ، من سير هذا الرجل ابن موسى ومن كان معه ، وقصدهم فى ذلك لما أراد الله حتى اعتزلت « من الموضع » وبلغك من نهب بيت مال المسلمين ، وجعلوه دولا ، وكلما وصفت من ذلك فقد فهمته عنك إن شاء الله ، واعلم يا أخى أن هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عالمة ، وقلوب سليمة ، كانوا على أمر واحد ، يطأ الآخِر أثرَ الأول ، وقد كانت بينهم الأعتاب ، فلم يبلغ بهم الأمر إلى مثل هذه الغاية ، فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم ، ثم خلفنا نحن وأنتم من بعدهم ، وبليت بهذا الأمر من غير محبة منى فيه ، ولا طلب له ، إلا أن طلب ذلك من طَلَبَ إلَيَّ من أفاضل المسلمين ، وأهل الفقه فى الدين ، ورغبت فى طلب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة الحق ، ورجوت نصرة المسلمين لى

على ذلك ، فكان يومئذ من قد عرفت من أشياخ المسلمين ، فقمت بهذا الأمر ما شاء الله والمسلمون لى أعوان ، نحن وهم على أمر جامع ، إلى أن ذهب أهل الفضل ومن يحب الحق ، وأهل العدل ، ونشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم فى الدنيا ، وطلبوا الرياسة فيها ، وكان موسى هذا يصل إلينا ويقول أنه يأتى بنصح ، ويكاتب الناس ويؤلب علىّ الدولة ، ومرة يظهر الشتم لأهل الدولة ، ومرة يطلب خلاف ذلك ، فلم تزل الأيام ترقى به ، وهو يدعو الناس إنما يطلب الصلاح وإظهار الحق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويطلب إلينا مطالب لا أراها ولا أعرفها من الحق ولا مقاربة إلى ذلك ، وأنا أدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيه وآثار أئمة المسلمين ، ولما يجتمع عليه رأى المسلمين ، فيقول ويرسل إلىّ ، أنا لا أنظر إلى قول فلان ، ولا أرضى إلا أن تنزل إلى قولى ، ورأى عدله ، فلم أر ذلك من الحق ، ثم حشد وسار إلينا بمن أجابه ، وكتب إلى من شاء الله من المسلمين ، حضر من حضر ، وزحف القوم إلينا ، وتقارب بعضهم من بعض ، فأمرت الشراة ومن كان على هذا النئ بالشخوص ومنع العسكر ، وأن يجاهدوا على الدولة ، فكرهوا ، فأمرتهم بالتقدم فتأخروا ولم يصلوا ، فكتبت إلى عمر بن محمد القاضى بالخروج إلىَّ وخرجت إليه فلم يخرج ، وصرت أنا فى حد من عرفت من الضعف ، وخفت أن يصل القوم ويدخلوا العسكر ، وتلقاهم رجال ، فيقع الحرب وسفك دم ، وأنا فى البيت بلا حجة ، ولا أمر يكون فى إظهار الأمر ، نخفت سفك دماء الناس ، فرأيت أن تحولت إلى منزل ولدى ، بلا ترك للإمامة ولا بخلع لها ، ولا لما طوقنى الله من هذه الأمانة ، فأمرت بحفظ مال المسلمين ،

وحفظ السجنين ، وأمرت عزان بن تميم بالقيام فى ذلك ، فلما بلغ القوم ذلك ، دخلوا ، وزعم موسى أنه قد عقد للامام برأيه ، وكسروا بيت مال المسلمين ونهبوه وأذهبوه ، وأطمعوا فى هذه الدولة عدوّها ، وفعلوا مالم يرض الله به ، وما اختامت وما تبرأت .

قال : هذا ما أخذنا من كتاب الصلت بن مالك ، ولم أكتب لكم الكتاب كاه لطول الكلام ، قال : ولما اعتزل الصلت بن مالك ، اغتنم موسى بن موسى ، وعقد لراشد إماماً ، قبل أن يدخل نزوى ويسأل الصلت عن اعتزاله ويحتج عليه فيه ، عن خوف اعتزل ، أو عن ضعف عن القيام بحق ما طوقه الله ، أو امتناع بحدث لزمه منه الحق ، إن كان موسى يدعى عليه ذلك ، ولا سأله حجة ولا عرض عليه التوبة ، ولا سمى له مكفرة ، ولكنه عقد على راشد إماماً على أهل عمان بالغلبة والجبرية ، وقعد قاضياً له طلباً للملك والدنيا ، فوطئ موسى وراشد ومن اتبعهما أثر الصلت بن مالك، وولوا ولاته وأنفذوا أحكامه ، كأنه ميت ، ولا نعرف هذا من سير المسلمين قال : فإن يكن الصلت بن مالك محقاً فقد كفروا ببغيهم .

قال فلما استقر الأمر لموسى وراشد ، لبثا فى ملكهما ما شاء الله ، وهما وليان لبعضهما بعض : راشد إمام ، وموسى قاض له ، يدعو له بالإمامة والنصرة على عدوه وكان فى قرب ولاية راشد خرج عليهما ، نصر بن منهال ، وفهم بن وارث ، وأبو خالد ، ومصعب ، وخالد بن سعوة وناس كثير . وكان فهم وأبو خالد ومصعب ممن خرج على الصلت بن مالك ، وحضرا بيعة راشد وبايعهم ، فخرجوا عليه بعد ذلك ، وأرسل

إليهم الجيوش ، وكان موسى وليه على ذلك يدعو له بالنصر .

قال : فلم يزل موسى مع راشد حتى بلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يبدى من عورته ويهتك ستره ، فخرج على راشد من بعد ماقدمه واختاره ، فخلعه ، وفسقه ، وبرئ منه ، ودعا إلى حربه ، من غير مخالفة لراشد منه له بحدث يستحق به معه الخلع فى دينه ، لأنه كان يراه إماماً ، ففعل به مثل ما فعل بالصلت بن مالك سواء بسواء ، ودعا إلى عزله وألب عليه ، قال : وقد كنا سمعنا أن راشداً خرج إليه إلى أزكى يسترضيه ، فلم يدرك رضاه ، وأخذ فى عزله من غير أن يظهر عليه حدثاً يعرفه الناس ، إلا إنه يدعو إلى عزله كما يدعو إلى عزل الصلت بن مالك ، بل كان الصلت بن مالك معه على ما كان يظهر منه ، خيراً من راشد . قال فسار موسى ومن اتبعه حتى نزلوا فرق ، واجتمع شاذان ومن أجابه فى موضع معاضدا لموسى ، وكان الحوارى بن عبد الله والوليد بن مخلد ومن أجابهما فى موضع يقال له سندان فى أعلا من الموضع الذى كان فيه شاذان ، وكان راشد فى موضع الإمامة ، والحوارى ومن معه معاضدون له ، فافترقوا بعد ما كانوا على يد واحدة ، وسار الحوارى والوليد ومن معهما يريدان نصر راشد وقتال شاذان وأصحابه ، فالتقوا من قبل أن يصلوا راشدا فهزم الحوارى والوليد وأصحابهما ، وقتل من قتل من أصحابهما ، ثم سار شاذان وأصحابه فأخذوا راشداً من موضعه بلا حرب ، وضربوه وحبسوه ، ووصل موسى ومن معه إلى العسكر وقد اجتمعوا بعد الفرقة من غير توبة ، فاجتمعوا وقدموا عزان بن تميم إماماً ، والله أعلم بأمورهم . وقد كان أبو المؤثر الصلت بن خميس يقول : إن بيعة عزان كانت صحيحة ،

ثم لم يحمد سيرته ، حتى قتل . والله أعلم

وقال أبو المؤثر : سار بهم الصلت بن مالك رحمه الله سيرة يعرفونها إلا ما قد يكون من الهفوة والزلة ، والمسلمون لا يغتنمون العثرة ، ولا يردون التوبة ، وقد كان متماسكا ، وهو فى ذلك دون من كان قبله من أهل الفضل ، من أئمة العدل ، والآخردون الأول ، إلا أن المسلمين كانوا متمسكين بولايته ، يلون له إذا ولاهم ، ويعينونه إذا استعان بهم ، لانهم لم يعصونه ، ولا يتناهون عن معونته ، إلى أن مضوا لسبيلهم رحمة الله عليهم ، قال خلف من بعدهم خلف قليل علمهم ، فجعل الصلت يولى ولاة يثق هو بهم ، ويشكون ، ويرتاب فيهم بعض المسلمين ، وينهونهم ، من غير أن يصح علمهم ببينة عادلة ، فتقوم الحجة على الصلت ، وتلزمه اللائمة أن يعزلهم ، وقد كان يولى ويعزل وننصح له ويقبل ، وربما دافع إذا لم تقم بينة على ما يستحقون به العزل ، قال : وهو مع ذلك لم تنقطع مع عامة المسلمين ولايته ، ولم يزل معهم إماماً ثابتة إمامته فيما علمنا ، قال إلى أن برز موسى بن موسى فجعل يتكلم ويدعى أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يسم بحدث منه ولا ذنب مكفر ، ولا حجة يقيمها على الإمام يعلمها العامة ، إلا أنه كان يطلب عزل بعض الولاة ، وعزل بعض الوزراء ، فيما ذكر لنا ، وعزل بعض المعدلين ، وأن يولى بعض الناس فيما ذكر لنا ، فكان يقول فيما بلغنا ، أن الدولة فى أيدى الفسقة ، ولا يسمى الذنب الذى فسقوا به ، وكان حقاً عليه أن يسمى ذنوبهم قبل أن يفسقهم ، وهم فى ذلك يلقونه ويأتونه ويقرب مجالسهم إذا أتوه ، ولا يبعدهم لأجل حدثهم — إن كان لهم حدث فيما يزعم — وهو فى ذلك

خطيبهم فى يوم الجمعة ، ويصلى الناس بخطبته ركعتين ، فقيل له لم كنت خطيباً لهم ، يصلى الناس بخطبتك ركعتين ؟ قال قد كان المسلمون يصلون الجمعة خلف الجبابرة ، قال أبو المؤثر : فهذا خطأ منه وجهل بآثار المسلمين لأن المسلمين لم يختلفوا فى صلاة الظهر يوم الجمعة مع غير أئمة العدل أربع ركعات ، إلا فى الأمصار الممصرة ، وأما غيرها فلا ، مع أن المسلمين لم يكونوا خطباء للظلمة ، ولا أعواناً لهم ، ولا يتولون أعوانهم ، قال ثم جعل يخطب ويتكلم ويسب ويشتم ، ولا يسمى حدثاً ولا ذنباً بعينه ، وكان يسميهم العيارين ، وكان يقول لأبعثن عليهم من أهل عمان رجالا يكسعون أدبارهم . قال : وجعل أهل الدنيا والأطماع والإحن يستولون عليه ، ويتقربون منه ، وجعل الصالحون يبتعدون عنه ، إلا قليلا . قال : فجعل يكاتب أهل الدنيا وأهل الأطماع وأهل الإحن ، ومن قد سخمته كلمة فأسرها إحنة ، ومن قد جرى عليه حكم فاستتر عنه ظلماً ، قال : فخرج معه عبد الله بن سعيد ، فسار بناس من اليحمد ، منهم طغام لا يعرفون حقاً من باطل ، ومنهم من يتحرى الحق ويظن أن الأمر يؤتى من جهته ، فساروا بأخلاط الناس والرعاع سراعا إلى الفتنة ، ينساقون لسائقهم ، وينقادون لقائدهم ، لا يسألون عن حق ، ولا ينكرون الباطل ، إلى أن بلغوا أزكى ، فأخذوا فيما بلغنا حباً كان جمعه والى أزكى . ووالى مطي من الصدقة ، فيما ذكر لنا ، فأنفقوه على جيشهم . قال ثم ساروا حتى نزلوا فرق ، قريباً من عسكر الإمام بمقدار فرسخ أو نحو ذلك ، ثم أمر بهم الأعراب وأهل الجفا وأصحاب الحنات ، وأكثر الناس يسرعون إلى الفتنة ، وفيهم ناس من ضعاف الناس ، قال فلما خذل الصلت ، واجتمع

عليه أخلاط الناس ، إلا بقية بقيت معه فى المسكر ، وهم الأقل ، خرج الصلت من دار الإمامة فتنحى عنها إلى منزل قريب منها ، وظن من بقى من المسلمين أن موسى لا يعجل ، وأنه سيأتى إلى موضع الإمامة ، ويجمع المسلمين ويشاورهم فى الأمر ، وينظرون فى حدث الصلت ، ويحتجون عليه ، فإن كانت له ذنوب وقفوا عليها ، وسألوه على ما اعتزل وتبرأ من الإمامة ، أم من ضعف ؟ أم من إصرار على ذنب ؟ أم تحول من دار إلى دار انتظاراً منه لرأى المسلمين ؟ قال فلم يفعل موسى شيئاً من هذا ، حتى أرسل إلى راشد بن النظر فبايعه على غير مشورة من المسلمين ، وما حضره يومئذ أحد ممن يثق هو به لفتيا مسألة إلا من شاء الله ، وقد كان فيما بلغنا بعضهم كارهاً لفعله ، مشيراً بغير ما فعل ، ولكن غلبتهم الكثرة ، وكان قد ساعد موسى فيما بلغنا فهم بن وارث ، وعبد الله بن سعيد ، وهما غير أمينين ولا رشيدين ، فأما فهم بن وارث ، فقد كان ابنه أحدث حدثا اتُّهِمَ أنه راود جارية بكراً على نفسها حتى استجارت منه ، فيما ذكر لنا ، بعلامة منه ، فامتنع ، وما تعوطى منه حقاً فيما بلغنا ، قال : وأما عبيد الله بن سعيد فسفيه جاف قريب من الفتنة ، جاهل بالسُّنة ، وهو رئيس معهم كبير . قال : فبايعوا راشدا فى غير موضع البيعة ، وعقدوا له فى غير موضع عقد الإمامة . والله أعلم كيف كانت بيعتهم ، أحسنوا عقدها أم لا . ثم ساروا به حتى أنزلوه دار الإمامة ، وقبض خزائن المسلمين ، وأنفق الأموال ، فأما أهل الفقه والعلم ، فيحتجون أنهم لم يرضوا ، ولم يروا عدل ما فعل ، فغلبهم الناس وقهروهم وبعض تحير ووقف ، ثم احتج باعتزال الصلت لا بحدثه ، ثم أرسلوا

إلى خاتم الإمامة فأخذوه منه . قال : فلما أقاموا راشداً إماماً أثبت ولاة الصلت فى مواضعهم ، منهم من كانوا يطعنون عليه وينكرون ولايته ، ومنهم من لم يكونوا يطعنون عليه ، ولم يعزلوا منهم إلا قليلا ، منهم من عزلوه ومنهم من عزل نفسه من غير أن يعزلوه . واستعانوا بأعوان الصلت وقودوا قواده منهم الحوارى بن بركة ، بعثه الصلت قائداً إلى والى سمائل ليمنعه منهم فى مسيرهم إلى الصلت ، فلما ظهروا استعانوا بالحوارى بن بركة على ما كان يستعين به عليه الصلت ، وولوه على الماشية وجعلوه قائداً ، ومنهم الحسن بن سعيد ، كان وفداً للصلت إليهم وحجة له عليهم فيما بلغنا ، فلما أظهروا عزلوه عن الرستاق ، وولوه جلفار اختيارا منهم له ، وثقة منهم به بلا توبة ، فلما ولوا الأمر لم يظهروا للصلت ذنباً ، ولم ينفذوا له حكما ، ولا وجدوا منه مظلمة فيردوها .

قال : فهؤلاء الخارجون على الصلت ما أوقفوه على ذنب ، ولا استتابوه منه ، ويسمونه كاذباً ومُخلعاً ، ولا يسمون كذبه ما هو ، فإن زعموا أنه قد وعدهم أن يعزل والياً ثم لم يعزله فذلك خلفه ، فإن الصلت يحتج فيما بلغنا أنه كان يجيبهم إلى عزل الوالى ويريد أن يعزله ، ثم ينظر فلا يرى لذلك البلد أصلح من ذلك الوالى فلا يعزله ، فهذا ليس منه خلفا وإنما هذا نظر منه ، وهم اليوم يتولون ولاة الصلت ، ويولون ولاة كان يوليهم الصلت ثم تركهم ، ويولون ولاة كانوا يصحبون الصلت ، وهم خلعوا الصلت وعزلوه إلى آخر ما أطال فى ذلك ، وذكر من أحداث موسى وراشد بعد الإمامة ما لا يناسب ذكره ها هنا ، وسنذكر بعضه فى الباب الآتى إن شاء الله تعالى .

فهذه الأحوال التى ذكرها المتبرئون من موسى وراشد لخروجهما على الصلت ، وهى دعاوى تحتمل الحق والباطل ، وما تعودوا الكذب ولا يستحلونه ، فمن هاهنا توقف من توقف من أفاضل المسلمين فى أمر موسى وراشد لالتباس أمرهما ، وكل مشكل موقوف ، والواقفون منهم يتولون أولياءهم الذين يتولون موسى وراشداً ، وأولياءهم الذين يتبرءون من موسى وراشد ، لإمكان صحة الدعوى عند كل واحد من الفريقين ، ومضى على ذلك ما شاء الله من الزمان . وكتب الإمام راشد بن سعيد فى ذلك كتاباً جعله صلحاً بين المختلفين فى أمر موسى وراشد ، نذكره فى إمامته .

ثم ظهرت أناس بعد ما مضى ما شاء الله من الزمان ، و بعد انقراض تلك العصور ، فغلوا فى أمر موسى وراشد ، وأوجبوا البراءة منهما على الناس ، وقالوا لا يسع جهل الحكم بحدثهما ، لأنهما خرجا على الإمام العادل وهو إمام بالإجماع ، والخارج على إمام بالإجماع باغ بالإجماع ، والبراءة من الباغى بالإجماع واجبة بالإجماع ، ورأس هذه الفرقة وعميدها الذى اشتهر فيها أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، ومن أخذ عنه من أهل عمان ، منهم أبو الحسن على بن محمد البسيانى ، وتبعهم على ذلك خلق ، وسميت فرقتهم الرستاقية ، ونقض عليهم أهل الحق مقالتهم هذه وردوا عليهم غلوهم ، وممن اشتهر فى الرد عليهم ، أبو عبد الله محمد بن روح بن عربى ، وأبو سعيد محمد بن سعيد الكدمى ، وفى الرد عليهم ألف كتاب الاستقامة بأسره ، وتبعهم على ذلك ناس وفقوا إلى الهدى ، وسميت فرقتهم النزوانية ، وبلى أهل عمان بهذا الافتراق بلاء عظيما ، وبقيت

الفرقة زماناً طويلا ، حتى ظهر الإمام الموفق المؤيد ناصر بن مرشد رضى الله عنه وأرضاه ، فأمات تلك البدعة ، وأحيا منار الحق ، وظهر الإسلام ، والحمد لله على إماتة الفتن .

أما قولهم أن الصلت إمام بالإجماع ، فهوكان كذلك ، لكن خصمهم يدعى أنهم لم يخرجوا عليه ، وإنما خرجوا لمناظرة المسلمين ومشاورتهم فى أمره ، وطلبوا منه أن يعتزل عن الأمر ، فاعتزل غير مجبور ولا مقهور ، وأن للإمام أن يعتزل إذا طلب منه المسلمون ذلك ، فهذه دعواهم تقول . نحن لم نخرج عليه ، وإنما خرجنا للمناظرة ولم نقدم عليه إماماً وإنما قدمناه بعد اعتزاله ، فإن صحت هذه الدعوى وهى محتملة ، فلا تصح البراءة من موسى وراشد ، فكيف يلزمونها الناس ؟ ثم إن هذه القضية كانت فى زمان قبل ظهور هؤلاء الغلاة ، فالناس منها فى سلامة :

فما مضى قبلك لو بساعة　　　فدعه ليس البحث عنه طاعة

بل البحث عنه تجسس عن عورات المسلمين ، وهو من المحرم فى الدين ، لو أن المسلمين فى عصر الصحابة لم يقبلوا من الطالبة بدم عثمان إلا الرجوع عن ذلك ، والبراءة من عثمان ، وتصويب المسلمين على خلعه وعزله ، قلنا إن الصحابة لم يدعوا الناس إلى البراءة من عثمان ، إلا بعد اشتهار أحداثه بين الخاص والعام ، فحكم فيها المسلمون بأنها مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وطلبوا منه الرجوع إلى الحق مراراً ، فكان يتوب ويرجع ، حتى طلبوا منه الاعتزال فأبى ، وأحاطوا به ليعتزل فكان من قدر الله عليه أن قتل ، ثم إن فريقاً من الناس قاموا فى طلب دمه بعد ظهور ذلك منه ، وحكم المسلمين عليه ،

وما طلبوا بدم عثمان وإنما طلبوا الملك والدولة ، وتستروا عند العوام بقولهم نطلب بدم الإمام ، فكانت بذلك فرقة عظيمة ، فالطالبون بدم عثمان يتولونه على أحداثه ويبرءون من المسلمين على قيامهم عليه ، وعلى حكمهم عليه بحكم الله ، فمن هناك لم يعذروا أهل تلك الفتنة إلا بالبراءة من عثمان وأشياعه ، وبعد انقراض تلك الفتن ، وذهاب تلك الأمم ، لم يلزموا الناس أن يحكموا فى أمر عثمان وأشياعه بحكم إلا من بلغه العلم القاطع بحدثهم ، وعرف الحكم فى ذلك ، فإنه يلزمه أن يحكم فيهم بحكم الله لأداء الواجب من فرض البراءة ، وأما الجاهل بحدثهم وحكم حدثهم ، فلا يلزمه منه شئ ، وإنما يلزمه أن يتولى المسلمين على ولايتهم لمن تولوا وبراءتهم ممن برءوا ، وهؤلاء الغلاة ألزموا الناس البراءة من موسى وراشد ، بعد مضى ثلاثة قرون ، فحكمهم فى ذلك مخالف قطعاً لحكم المسلمين فى أشياع عثمان ، لأن المسلمين يعذرون الجاهل بعد انقراض المحدثين ، ويسعون لهم فى الوقوف مالم يتولهم أو يعرفوا الحكم فيهم . وهؤلاء يلزمون الجاهل البراءة من موسي وراشد ، بعد انقراض ثلاثة قرون ، وإن جهلوا الحكم فيهم . قالوا يلزمهم أن يسألوا عن دينهم والبراءة من المحدث واجبة ، فعليهم أن يسألوا عن واجبهم ، قلنا ذلك فيمن وجب عليه ذلك ، وهو أمر خاص لايعم جميع الناس ، وإنما يعم من بلى به ، ثم إن البراءة من الأشخاص ليست مثل الصلاة والصوم ، فإنها وإن كانت لازمة فإنما تلزم من وصل إلى علم ذلك ببصر نفسه ، أما من وصل إليه ببصر غيره فلا تلزمه بإجماع ، وإنما تلزمه على قول فليس لهؤلاء الغلاة أن يخطئوا أحداً تمسك بقول من أقوال المسلمين . ثم إن الدين يتم من غير أن

نذكر فى اعتقادنا البراءة من فلان وفلان ، بل يكفى أن نعتقد البراءة من جملة أهل الضلال ، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس فى جاهلية عمياء ، فلم يكن يدعوهم إلا إلى الشهادتين ، ثم يعلمهم شرائع الإسلام ، وكانوا قبل ظهوره يتولون آباءهم وطواغيتهم ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يلزمهم أن يبرءوا منهم واحداً واحداً ، وإنما يكتفى منهم بقبول الإسلام والدخول فى شرائطه ، ويتضمن ذلك البراءة من أضداده ، وقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين بقبول الإسلام ، ولم تكتف الغلاة من المسلمين إلا بالبراءة من موسى وراشد ، فالله المستعان ، والتوفيق بالله .

باب إمامة راشـــد بن النظر

وهو من اليحمد من الفجح ، وهو إمام موسى بن موسى ، بايعه هو ومن معه بفرق لما بلغهم أن الصلت خرج من بيت الإمامة ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وكره قوم إمامته ، منهم عمر بن محمد القاضى ، وموسى بن محمد بن على ، وعزان ابن الهزبر ، وأزهر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم ، وشاذان بن الصلت ومحمد بن عمر ، بن الأخنس ، وغدانة بن محمد ، وأبو المؤثر وغيرهم ممن لم يسم لنا ولم يزالوا متمسكين بإمامة الصلت بن مالك إلى أن مات .

قال أبو المؤثر : أرسل موسى إلى راشد بن النظر فبايعه على غير مشورة من المسلمين ، وما حضره يومئذ أحد ممن يثق هو به لفتيا مسئلة إلا ما شاء الله ، قال : وقد كان فيما بلغنا بعضهم كارهاً لفعله ، مشيراً بغير ما فعل ، ولـكن غلبتهم الـكثرة . قال وكان ساعد موسى فيما بلغنا فهم ابن وارث ، وعبد الله بن سعيد ، وهما غير أمينين ولا رشيدين . قل : فلما استوليا على الأمر ، دخل داخل على راشد فقال راشد : انصحونى فإنى أقبل النصيحة ، فظن أنه عند قوله ، فقال له الناصح أرسل إلى نفر من المسلمين لم يكونوا شهدوا أمر موسى وراشد ، وهما خيار أهل بلدهم ، معهم شئ من علم وفقه ، فقال له أرسل إليهم ، فإذا اجتمعوا عندك فقل لهم أنى قد دخلت فى هـذا الأمر ، فإن كنت مصيباً فأعينونى ووازرونى ، وإن كنت مخطئاً فتوبونى ، فقال له : اكتب هذا الـكلام

فى كتاب وأملاه على صاحب له ، يقال له عمرو بن عباد ، فلما فرغ مما يريد من نصيحة أطلع موسى على ذلك الكتاب ، فرد تلك النصيحة ، ولم يرض رأى المسلمين ، قال فلما رد موسى النصيحة قال لهم قائل إن الإمامة لا تقوم بمشاورة أهل الإحن ، ولا بأهل المعصية ، ولا سفك الدم ، ولا بأهل أطماع ، فغضب موسى على أهل العلم واستخفهم ، قال ثم أتى من أتى قبلهم إلى الذى أهدى إليه نصيحته جند من جند الشيطان فأخافوه وأرعبوه ، ودخلوا منزله فكف الله شرهم وبأسهم . ثم إنه أتى إلى راشد فما استتاباه من ذنب ، ولا لزمته عندهما عقوبة ، إلا أن قالا له بايع ، فقال لراشد أبايعك على كذا وكذا ، شروط لله على الأئمة لم يكن موسى يبصرها ولا يعلمها ، فأبى راشد أن يبايع على ذلك ، وقبض كل واحد منهما على غير بيعة ، فقال جلساء السوء بايعه على الجملة ، فقال الرجل لا ، لكل زمان حكم ، ولا أبايعه إلا على التفسير ، قال وهم لا يعلمون تفسيراً ولا جملة لو سئلوا عن ذلك لم يهتدوا ، ثم إن الرجل قال لموسى بعثتم إلينا من جنودكم من أخافنا وأرعبنا ، فقال انا لم نبعث أولئك .

قال ثم وقعت رمية فى الدار التى سكنها راشد فقالوا كسرت جرة من صبي يرمى سدرة أو يرمى طائراً ، قال فاتهموا بتلك الرمية ابنى محمد ابن الصلت ، والصلت بن مالك ، على غير سبب فيما بلغنا ، قال وقد قيل إن غيرهما الذى رمى ولا نبرئهما ، ولا نحقق عليهما ، فعظم شأن تلك الرمية ، فأمر الناس فأحرقوا بعمهما شاذان بن الصلت . قال : وقد بلغنا عن الثقة وصح معنا ، أنه كان بعض من هو حزب الصلت يقول لموسى: نحن نأتيك بالغلامين فكفوا عنا هذه البعوث ، ولم يلتفت موسى إلى

ذلك ، قال وقد بلغنا أن عزان بن تميم كان يقول : يا قوم نحن نأتيكم بهما فلم يلتفتوا إلى ذلك حتى أحرقوا بهم ، وما حارب المسلمون عدوهم من أهل القبلة بالنار قط

قال : ثم إن موسى جعل يستكتب كاتب الصلت الذى يعيبه ، وأجاز شهادته على ثلثمائة نخلة ، صداقا لامرأة شهد لها وحكم بشهادتها على غير توبة ، وهو كان يعيبه ويطالب عزله ، قالوا واستعانوا بسعيد بن محمد على قصص جروح لا يؤتمن عليها إلا أهل العلم والبصر والإمامة ، وهو اليوم كاتب لراشد وموسى ، كان يعيب الصلت بصحبته ، قال ثم إن موسى قرب شاذان بن الصلت وكان يعيبه ويعيب أباه ، فجعل يهاديه ، يهدى هذا إلى هذا ويهدى هذا إلى هذا .

قال : ثم أن فهم بن وارث ، ومصعب بن سليمان ، خرجا بمن خرجا معهما من أخلاط الناس ، أهل الرستاق وغيرهم ، حتى نزلوا بالروضة ، موضع نحو فرسخين من نزوى أو يزيد بقليل ، وراشد بنزوى ، وقد كان وجه إليه قواداً وليس فيهم فقيه ، ولا أمين على حجة ، ولا بصير بسير المسلمين فى الحرب ، فلقوهم قبل وصولهم إلى الروضة ، ثم سايرهم حتى نزلوا جميعاً الروضة ، فنشبت الحروب فيما بينهم بعد أسباب يأتى ذكرها ، وقتل من قتل ، وأسر فهم وناس من أصحابه ، وقتل نصر بن منهال شيخ كبير ضعيف وكان قد سار مع فهم ، وذكروا أنه قتل وهو نائم ، وعقرت الجمال ، وقيل إن جملة المعقور ستة عشر جملا وفرساً ، ونهبت أموالهم ودوابهم وثيابهم فيما ذكر لنا . قال : وليس هذا من سيرة المسلمين فى أهل القبلة ، قال ورفع لنا الثقة أن الرجل من أصحاب

فهم كان يتلجأ فتوضع عليه السيوف ، وكان الرجل يأتى مستسلماً فيدفع إليهم سيفه ، فيأخذونه ثم يقتلونه ، ولم يظهر لموسى من ذلك إنكار ولا تغيير ، قال وقد بلغنا أن لحوم الجمال المعقورة ، كانت تباع فى سوق نزوى قريباً من موسى وراشد ، فلم يستطع المسلمون إنكار ذلك ، قال وقد كانوا يعيبون على الصلت ، ذكر أحداث من سرايا كانت تطرأ فى أطراف عمان ، لا يدرى كانت أو لم تكن ، ولم يعيبوا على أنفسهم الأحداث الشنيعة ، وهى قريبة منهم يكادون يماينونها بأعينهم .

قال ثم استقام الأمر لراشد ، واشتد سلطانه بعمان ، وقد تكون الأحداث من قبل مهرة فى طرف عمان ، فربما يضربون الرجل ويستاقون للناس بعض الإبل ، ولا أخذ راشد منهم رجلا على ذلك ، ولا بعث إليهم سرية ، وإنما كان بأسه وشدته على الرستاق ومن حولها

قال وفيما يصح عندنا من الخبر ، أن رجلا وقف على باب السجن ، فتناول كتباً إلى الحوارى بن عبد الله ، والأشعث بن محمد بن النضر ، وهما يؤمئذ من أصحاب راشد ومن حزبه ، فاطلع بعض جنود راشد ، فأخذوه فاهتدوه بالكتب إلى راشد ، فلما عرف الكتب إلى من هى أمر به فحبس فى السجن ، قال فبلغنا أنه ضرب مع ذلك فلبث فى السجن ما شاء الله ، ثم أخرج ، فدخل من دخل على راشد ممن نكر حبسه ، فقال لهم : حبستم الرجل وليس عليه حبس ، لأنه إنما حمل الكتب إلى أصحابكم . فقال إنما حبسناه ساعة ثم أخرجناه ولم نبيته فى سجنه . قال : والله لا نرضى بقليل الظلم ولا كثيره .

قال وقد بلغنا أن قوماً من أهل سلوت ، دخلوا على رجل فى منزله

فكسروا بابه وضربوه بالسيوف ، فحمل الرجل مضروباً إليه منتصفاً ، وأن يبعث سرية عنده إلى الذين ضربوه ، فلم ينصفه ، وقال من أجل رجل واحد أبعث إلى قوم أنصار ؟! فلم يفعل ولم ينصف الرجل من أعوانه . قال : ولم يجعل ضرب السيوف كرمية وقعت فى داره .

قال : ثم إنهم بعثوا قائداً يقال له زائد بن خطاب ، فيما ذكر لنا أنه معروف باللصوصية والسرقة ، فبعثوه فى نفر من أعوانهم إلى حى من الرستاق . يقال لهم بنو غافر ، ولا نعلم لهم حدثاً يستحقون به أن يبعث إليهم سرية ، فلما دخل واديهم تلقاه بعض من سرعان الناس وسفهائهم فيما بلغنا ، فهايجوه ، وكان بينهم هناك شئ من قتال ، حتى جرح بعض أصحابه ، ولم يقتل فى تلك الواقعة أحد ، وفر منهم هو وأصحابه ، فأتى الخبر إلى راشد ، فجهز إليه سرايا وقواداً جفاة عماة ، ولم يسيروا بقصد ، ولم يهتدوا لرشد ، فذكر لنا أنهم أكلوا من ثمرة نخلهم ، وأكلوا من سوقة كانت لهم فى أرضهم ، ودخلوا بيوتهم وكسروا أقفالهم ، قال فلم ينكر موسى ذلك ولم يغير .

قال : وعمر فى سجن راشد ، ناس من بنى غافر ، وأنلس ممن كان شهد وقعة الروضة فى القيود والهوان ، وكان أبو خالد بن سليمان جريحاً مريضاً فيما ذكر لنا ، نازلا فى بعض دور نزوى ، فأمر به راشد فقيد فى منزله كبعض العبيد ، وما يعرف المسلمون هذا القيد ، قال ولا نعلم أن أحداً من سلطان العدل أو الجور سبق راشدا إلى هذا الفعل ، يقيد رجلا فى بيته وهو مريض .

قال وإن ناساً من كليب اليحمد ، كتبوا إلى شاذان يسألونه الخروج

على راشد ، فكتب إليهم شاذان فيما ذكر لنا العدل يقول لهم فى كتابه : أما أنا فرجل من المسلمين ، لا أنفرد بالأمر دونهم ، ولا أريد أن أكون فى هذا الأمر رأساً ، فإن قام المسلمون فأنا معهم ، ونحو هذا من القول فيما رفع إلينا الثقة من المسلمين ، فخرج إليه يمان بن مصعب بن راشد ، وأبو جليل ، وأبو النظر بن أبى جليل ، وأبو النظر بن راشد فى ناس ، فهجموا عليه ليلا فأخذوه وخرجوا به ، فاجتمع من اجتمع معهم من اليحمد ، ولا ندرى ما أرادوا فى اجتماعهم ودعوتهم ما هى ، فلما بلغ راشداً اجتماعهم بعث إليهم من قبله قواداً جفاة لا علم لهم بحرب المسلمين ، ولا بصر لهم بحجة على عدوهم ، فساروا حتى نزلوا قرية يقال لها عينى ، وأقبل شاذان بمن معه من وادى عمق متجرداً ، يريد فيما قيل لنا ، قرية يقال لها سونى قريباً من عينى ، فلما كان بين القريتين وثب عليه أصحاب راشد بلا حجة ولا مناظرة ، وتداعوا بدعوة الجفا ، وقال شأنكم خذوهم ورأس شاذان خذوه ، فيما رفع إلينا ، وابتدرهم سرعان الناس ، فاقتتلوا فيما بينهم ، وقتل من قتل من أصحاب راشد ، وفر عامتهم ، وسار شاذان حتى دخل الباطنة ، ثم رجع إلى الرستاق ، ودخل وادى عمق ، وتراجع أصحاب راشد واجتمعوا ، وجاء عبيد الله بن سعيد بمن أجابه من أخلاط الناس ، ثم ساروا حتى لقوا شاذان وأصحابه فى موضع يقال له الطباقة من أسفل وادى عمق ، ، فاقتتلوا وقتل من قتل وانهزم شاذان بن الصلت وأصحابه ، فلم يظفروا بشاذان وجعلوا يلقطون الناس البرئ وغير البرئ فأسروهم ، ودفعوهم إلى سجن نروى ، قال ولقد حدثنا الحكم بن أبى سليمان وهو ثقة مأمون أنه قال لموسى : كم من مظلوم فى هذا الحبس ؟!

قال وحدثنا بعض من يتولى راشداً وموسى أن رجلا من الأسارى ضعف عن المشى ، فسحبوه سحبا حتى مات فى مسحبه ، وقد حدثنا الرجل أنه أخبر موسى بهذا فما ظهر منه إنكار ولا تغيير ، قال ولو أن مشركا محاربا سحب على وجهه حتى مات فى مسحبه ، لكان منكراً عظيما ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل المثلة فيما بلغنا ، وهذا من المثلة ، قال ثم إن شاذان هرب ، وبعثوا قواداً من قبلهم إلى الرستاق ، منهم أبو الجاندى بن معران معروف بالطلس[1] والسفه ، وإنما كان من جنود الشيطان ، ومنهم محمد بن أبى فضيل معروف بسفك الدماء من الحرام ، ومنهم عبيد الله بن سعيد وأخلاط الأعراب الجفاة ، فساروا حتى دخلوا الرستاق فيما بلغنا فقطعوا الزراعة ، فيما ذكر لنا ، ولقد بلغنا أن أبا الجنود[2] كابر امرأة على شىء من حليها ، واستفاض هذا الخبر ، قال ثم بسطوا لعبيد الله بن سعيد اليد بعمان من غير صلاح ولا وقار ولا عفاف وأنه لو شهد شهادة مع موسى ما قبل شهادته فيما عرف موسى منه ، ثم سار عبيد الله بن سعيد إلى صحار ، فعمل فيها أعمالا قبيحة ، فيما ذكر لنا ، من استرهاب الناس ، وأخذ أموالا فيما رفع إلينا ، وأذعن له والى صحار ، وسلم له فيما بلغنا .

قال ولقد ذكر لنا وشاع ذلك وشهر ، أنه أرسل إلى شيخ ضعيف يقال له عبد الرحمن بن الوليد وهو أمين للوالى على بعض صناعه ، فأرسل إليه عبيد الله جنداً من جنوده ، ليجروه إليه بغير حق ، فاستجار بالوالى

---

(١) الطلس أن يرمى الرجل بالقبح

(٢) لعله أبا الجلند وقد تقدم قريبا .

فيما ذكر لنا فلم يجره ، وقال الوالى أنا كفيل به فلم يقبلوا ، وجروه إليه كرهاً ليسأله تأخير حق له على بعض من استعان بعبيد الله عليه ، ثم هدده عبيد الله وأوعده فيما بلغنا حيث لم يشفعه ، قال وقد بلغنا أن والى صحار كان يرفع إليه الخصماء وهو غير فقيه ولا بصير بحكم ، قال وما فعل ذلك والى صحار ؛ إلا تعظيما لأمر الدنيا ، ومهابة للسلطان .

قال : وبلغنا أن عبيد الله خطب إلى رجل كثير المال ضعيف القوى ابنته ، فأبى أن يزوجه ، فأغرى سفهاء من الناس بماله ، فزوجه الرجل تقية ومخافة مما يرى ، فلما تزوج منه استولى على كثير من ماله ، أو على جملته ، قال ولقد بلغنا أن الرجل احتاج إلى قفيزين من تمر ، فما نالهما من ماله — وله مال كثير — حتى اشتراهما شراء .

قال : ولقد بلغنا أن والى نخل ، أراد أن يدخل فى شئ من انصافه ، وكتب إليه راشد — فيما ذكر لنا بعض أصحاب والى نخل — أن هذا قصور منك إلى الدولة .

قال : وقد ذكر لنا عن ابن موسى أنه يكتب إلى تجار صحار ، يسألهم القرض ، ويسألهم أن يتجروا له ، ولم يكن من قبل يسألهم هذا ، ولكن تقوى عليهم بسبب السلطان . ثم خرج ابن موسى إلى صحار ، فحكى عنه من أخذ أموال الناس ، أشنع مما كان يروى على شاذان فى أيام أبيه . قال فإن كان شاذان من عيوب الصلت ، فابن موسى من عيوب راشد ، فإن قالوا لم يصح ، قيل لهم ، كذلك الحكايات عن أصحاب الصلت لم تصح . قال وقد صارت صحار مأكلة لفساق السلطان ، لأن فيها تجاراً وأهل ذمة ضعفاء .

قال : وسجن سليمان بن أبى حذيفة ، رجلا ضعيفاً بغير حق ، حتى اطلع على ذلك راشد ، فأخرجه ولم ينكر على سليمان ما فعل ، ثم نصحهم من نصحهم فى أمر شاذان ، وقال أوفدوا إليه وفداً من صلحائكم ، يحتجون عليه قبل سفك الدماء ، ويسألونه ما يطلب ، فردوا النصيحة ، وجعلوها غشا ، وتعجبوا من الحق ، وجهلوا سيرة المسلمين . قال ثم سارت العصبية ، وجعلوا يولون ولاة ما اختاروهم لله ، وإنما ولوهم رضا وتقية ومصانعة .

قال ورأى موسى رجلا ضعيفاً ليس هو بإمام من أئمة الدين ، ولا يخاف على دولة ، رآه جالساً خارجاً من المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم أبصره يصلى بعد ما انقضت صلاتهم ، فاتهمه أنه لا يرى الصلاة معهم ففسقه ودعا عليه وشهر به ، وأغرى به السفهاء فساروا إلى منزله ، قريباً من فرسخ ، فشدوا يديه وراء ظهره ، وضربوه فيما بلغنا حتى أدموه ، ثم جاءوا به كأنه سافك دم ، أو قاطع طريق ، حتى أدخلوه السجن ، فحدثنا عدل ثقة من المسلمين أنه كان قاعداً فى المسجد . وقد جاءوا به ، فقال إنه كان يسمع شيئاً ليس يشبه الضرب ، ولكن يشبه الدروس من شدة الضرب ، فلما أدخلوه السجن قال واقتلاه — فيما بلغنا — فلبث فى سجنه مريضاً مرضاً شديداً فيما بلغنا ، وقال لهم رجل ارفقوا به ، فشدوا يديه وراء ظهره ، وأتوا به السجن ، قال ثم لم ينكروا على من ضربه ، ولا منعوه عنه ، قال وأمر راشد ولاة القرى أن لا يدعو الناس يشترون من طعام أهل القرى ، وهو وولاته يشترونه لأنفسهم ، قال وهذا تحليل لما حرم الله ، وقد أحل الله البيع وحرّم الربا .

قال : وبلغنا أن تاجراً خرج إلى قرية يقال لها أيبل ، فاشترى منها براً ، على حساب مكوك وثلث إلا ربع السدس بدرهم فأخذوه إلى ذلك البلد ، فقطره وقيده حتى رد بضاعته التى اشتراها ، ثم إن الوالى رجع فاشترى ذلك الحب ، على حساب مكوك وثلث زيادة على ما كان اشتراه التاجر ، فأضر بالبائع وأضر بالمشترى ، ثم إن التاجر أتى راشداً فشكى إليه ، فكان إنصافه له أن طرحه فى السجن ، ثم أخرج من السجن ، ثم أتى إلى موسى فشكى إليه من الوالى فطلب إليه الإنصاف ، فقال : نعم ننصف ، فلم يرفع له رأساً ، ولم يكن منه شئ ، إلا أن موسى تكلم ، فقال إن الإمام قد ترك ذلك الأمر الذى كان يأمر به ، فلم يكن منهم إنصاف ولا توبة إلا هذا . قال : ثم هم فيما بينهم يتهامزون ويتطاعنون ، يسمون إمامهم حماراً جلبياً ، وتيساً عشقياً ، ويسمون قاضيهم أبا السطور ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، إخواناً علانية أعداء سريرة ، إلا أنهم قد اجتمعوا على أنهم قد قهروا المسلمين وأخافوهم ، وأخافوا عزان بن تميم ، وأخرجوه من منزله وداره بكفالة لا تلزمه ، وهم يعرفون فضله ، وقد كان موسى احتاج إلى رأيه .

وحبسوا محمد بن عمر بن أخنس ، بلا ذنب ولا حدث منه ، إلا سوء الظن فيه ، وهو معروف فضله مع المسلمين ، ثم بعد ذلك أخافوه . وبعثوا إليه الخيل ، فخاف فى منزله بلا ذنب ولا حدث ، حتى ضاقت عليه الأرض ، وألقى بنفسه إليهم ، فلم يجدوا له ذنباً ، فحبسوه فى عسكرهم ، ولم يأذنوا له بالانصراف إلى منزله حتى أخذوا عليه كفيلا ، وما ذلك منهم بعدل .

قال : وهذا من عجائبهم فى تسعة عشر شهراً منذ ملكوا ، ولديهم المزيد ، ثم وصف راشداً بأنه لا يعقل ولا يبصر حكما ، وأنه يحسب الخطأ صوابا ، ووصف موسى بأنه يطعن على المسلمين ، ويقول ما هم . . ؟ وأى علم هاهنا . . ؟ فإن شربة النبيذ والأعراب لآمن عندى من علماء هذا الزمان . قال وهو فى ذلك لا يستغنى عنهم ، وجهله وقلة علمه ظاهر بين ، قال ومن ذلك أنه لم يحسن إقامة الجمعة ، فإن المؤذن كان يفرغ من الأذان الآخر يوم الجمعة ، وموسى فى بيته ، أو حيث يشاء الله ، حتى يخلو وقت طويل ، ثم يأتى فيخطب بالناس ، ويصلى ركعتين ، ومن السُّنة فى الجمعة أن الخطبة متصلة بالأذان ، والأذان متصل بالإقامة ، والإقامة متصلة بالصلاة لا فرق بينهن . قال : ومن قلة علمه أنه خطب الناس يوم الجمعة ، ثم نزل عن المنبر ، وإمامهم فى بيته أو حيث شاء الله ، فانتظروه وليسوا فى صلاة ولا خطبة مقدار ما استمر الإمام من بيته إلى المسجد مرتين ، وبيت الإمام منفسح عن المسجد بما شاء الله ، ثم صلى بالناس ركعتين بلا إعادة خطبة ، خلافاً للسُّنة ، وقد قال الفقهاء : لو أن الخطيب خطب يوم الجمعة ، ثم اشتغلوا عن الصلاة لأمر عنام ، كان عليهم أن يعيدوا الخطبة ولو خطبة موجزة . انتهى تلخيص ما أردنا ذكره من كلام أبى المؤثر ، وهو كما ترى قدح فى سيرة موسى وراشد ، والمثبتون لإمامة راشد يحملون هذه الأمور ونحوها ، على أسباب تسوغ لراشد صنيعه فيما صنع ويذكرون له أعذاراً واحتمالات يقبل مثلها فى أئمة العدل .

وممن كان يثبت إمامة راشد ، الفضل بن الحوارى ، وكان قبل الفتنة لا يختلف فى علمه وفضله ، وقد أخذ عن أبى عبد الله محمد بن محبوب ،

وكان فيما مضى قريباً لعزان بن الصقر حتى قال فيهما القائل : إنهما فى عمان كالعينين فى جبين ، فمات عزان رحمه الله تعالى قبل الفتنة ، وأدركها الفضل ، فأصاب منها . وقتل فيها فى وقعة القاع ، فى إمامة عزان بن تميم وسيأتى ذكرها ، فكان الفضل يرى أن لموسى ما صنعه من عقد الإمامة لراشد ، وكان يقول ان موسى عالمهم وأنه الحجة عليهم .

وفى كتاب عن الفضل بن الحوارى قال : إن الفريق الذى رأى عزل الصلت أو قال أنه اعتزل ، أثبت إمامة راشد وعقدته ، إلا شيخ نفسه ادعى أنه لا يجوز عزل الصلت . ولا تقديم راشد ، إلا بحضرته وعلمه ، وحتى تعرض عليه الأمور ، وكأنه يلوح بهذا الكلام إلا أبى المؤثر ، قال : وقد بلغنا عن شيخ نفسه أنه قال مرة : إن كان الصلت حل عزله فراشد إمام ، وبلغنا عنه حينا أنه لا يقبل ذلك حتى يصح ذلك معه ، وهو كان غائباً عن ذلك ، إلا أن فريقاً ممن ينتحل العلم والبصر فى الدين كانوا معاً على الصلت مع من عزله ، يحثونه ويأمرونه ، فلما عزلوه رجعوا ، والدنيا أمام العامة إلا من شاء الله .

وكتب الفضل بن الحوارى إلى راشد بن النظر: « بلغنا أنهم يحتجون عليك أن الإمامة لم يجتمع عليها ، وما لهم عليك بذلك حجة ، ولا على من معك ، لأن الإمامة ليست مشتركة لجميع المسلمين ، إنما هى لمن حضر منهم العقد ، ولم يخرج عنها إلا غائب عنها من المسلمين ، أو مضاد لها ولأهلها ، معاند مخطىء لأهلها ، يدين بإمامة الأول — يعنى الصلت — وأما الغائب ، فلم يكن للمسلمين أن ينتظروه ، ولو كانت لا تعقد حتى يتوافى إليهما جميع المسلمين ، كان جميع الأئمة ومن قد مضى قد أخطأ ، وهذه دعوى

باطلة ، لأن التقديم والعقد إنما هو لمن حضر من أهل العلم والقدم فى الإسلام وأعلام المسلمين ، وقد قدمها إمام المسلمين فى زمانه وأيامه موسى ابن موسى ومن معه ، ولو أن أحداً خالفه ممن حضر ، كان تقديمه أولى لأنه المقدم على الجميع ، وعلى ذلك مضى من مضى من المسلمين ، ومن أنكر هذا وادعاه لنفسه أو لغيره فقد أبطل ، وأما المضاد المعاند لها ولأهلها ، فلا شرك له مع المسلمين فيما ينكره عليهم ويخطئهم فيه ، ويبطل إمامتهم ويثبت الإمامة لغيرهم ، ولو رد الأمر إليه ما رضى لها ، وكيف يكون شريكا في الإمامة من يزعم أنها ضلال وكفر ولا يحل له أن يدخل فيها فيما يدين به . . ؟ ! وليس للمسلمين ولا عليهم أن يشركوا فى إمامتهم من يزعم أنها إمامة ضلال ، فمن احتج بهذا فقد أبطل ، ولا حجة له على المسلمين ، فكلا هذين الفريقين لا حجة له على المسلمين ، وليس كما ادعى واحتج وأوجب لنفسه على المسلمين ما ليس له ، وأقامها غير مقامها ، إذ كان لا يحق ، إذا غاب عن أمرهم ، زعم أنه له عليهم ألا يقيموا إماماً لهم إذا غاب عن أمورهم ، وأن ينقضوا عقد إمامتهم ويتوبوا إليه حتى يكون هو الذى يثبت الإمامة الزائلة ، ثم يسأل صاحبها الانخلاع منها ويردها إليه هو ، ويردها إلى الذى عقد له المسلمون ، فقد ادعى لنفسه على المسلمين ما ليس له ، وأقامها فى غير مقامها ، إذا كان لا يجوز لأحد من المسلمين القيام بحق الله ، ودعا إماماً إلى طاعة الله فأدبر وتولى ، فقام هو ومن معه حين أزالوه وأقاموا إماماً غيره ، وأن ذلك ليس لهم إذا غاب ذلك عنهم وغاب هو عن ذلك ، حتى ينظر المسلمون ما دخلوا فيه وأثبتوه من الحكم ، وإلا ردوا الأمر إلى من كان عقده ،

ونقضوا أمرهم له حتى يتولاه هو ولقد ذهب هذا بنفسه مذهبا بعيداً ولقد أعلى نفسه مرتقاً شامخاً لم يدعه لنفسه أحد من المسلمين فيما علمنا وسمعنا ، فطمع ذلك أنه دعا إلى خلاف الحق ، لأنه لم يدعُ إلى أن يطلب إلى الأول الانخلاع إلا وهو يثبت له الإمامة عليه وعلى المسلمين ، وإذا ثبت لم يجز للأول الانخلاع عنها ، لأن الله تبارك وتعالى لم يجعل لعباده الخيرة عليه وعليهم ما وجب من حقه ، وكذلك قال الله « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » قال الله إجلالا لنفسه : « سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » فحكمه على العوام بالإمامة ما قال الله « إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ » ولم يجعل لهم الخيرة والاستثناء لهم ، فكيف يزعم هؤلاء أنهم يجوز لهم أن يأمروا إماماً ، قد اشترى لله نفسه ، بيعة باع نفسه بها من الله ، أن يخلعها من عنقه ، وأجازوا له ذلك وما ذلك جائز للأئمة ، إلا إذا شاءت بعد الشرى خرجت منه واختلعت ، ولا ذلك جائز لأحد أن يسأل ذلك الصات ولا غيره إلا بحقه ، وحله منه بما تزول به الإمامة ، ومن أين يجوز لهم أن يأمروا إماماً يزعمون أنه انتزع إمامة إمام عدل وحاربه حتى وقعت القتلى — ظالماً له عندهم ولمن قد قتل وسفك دمه — أن يردها إليه . . ؟ ! إن هذا لهو اللعب بالدين والاختلاط » .

وقال الأزهر بن محمد بن جعفر : وأما أبو المؤثر فلست أدرى ما كان بينه وبين هؤلاء إلا أنى أعرف يقيناً أن أبا المؤثر كان كاتب أبا على وينكر منا كر كانت بصحار ، ثم قدم من صحار وقد قدم راشد ، وكان

يختلف إليه ، ويلتى والدى فى تلك الأسباب ، وقال لوالدى وأنا أسمعه قال فى أبى على أنه أراد أن يكون بفرق ولو شهرين ، حتى يتفق الأمر فى الصلت بن مالك ، فاعتزل برأيهم ، وقال أبو المؤثر وأنا أحفظ هذا عنه ، أن الصلت بن مالك قد خرج من الإمامة واعتزل ورد الخاتم ، ولكن راشد لم يقم بعقده إلا موسى وحده ، قال : فانظر كيف كان موسى جليلا عنده ، فقال له والدى ولنرسل إليه محمد بن المنذر ، فاستضعفه فقال له أسيد بن المنذر ، فقال نعم ، ورآه موضعاً للعقد ، فهذا الذى أحفظه وأستيقن عليه منه ، ثم كان من بعد ذلك مخالطاً لراشد ماشاء الله ، ثم وقع سبب لعله عتب فيه على أبى على ، وجرت الأعتاب بينهم .

وقال الفضل بن الحوارى : وأما شيخ نفسه فبلغنا أنه احتج أن تلك لم تكن عقدة صحيحة ، إذا غاب عنها هو وأمثاله حتى يقيموا إماماً ويحضروه البينات على عيوبه التى استحق بها العزل ، وأنه اعتزل ، وقد أخبرنا عنه بعض أصحابه الذين كانوا من خاصته أنه برئ من الصلت ، ثم تولاه ، ثم برئ منه ، ثم تولاه ، كذلك أهل التخليط فى أمورهم مع أنه يدعو إلى ذلك ليقدم إماماً يعوض عليه الذنب ، ويحضر البينات ، وليس هو موضعاً لذلك ولا ذلك على من قام بأمر الدين من المسلمين ، قال وقد بلغنا عن أحد هو أصدق منه عندنا أنه طلب إليه أن يكلف راشداً أن يتخذ ابنه كاتباً ، ومكنه ، قال الفضل : وأما الذين خرجوا على راشد بعد تقديمهم له وعقدهم الإمامة وإعطائهم عهدهم وبيعتهم غير مقهورين ولا مكرهين ، فأمرهم أمر بيّن واضح لايذهب على عقل ثم شبه ذلك بخرج طلحة والزبير ومن معهم على علىّ حذو النعل بالنعل ، قال

نخطأهم المسلمون وظلموهم ، قال : وهو لا يشك فيهم ما هذا اللعب بالدين وطلب الدنيا والغضب لها انتهى تلخيص ما أردنا ذكره من كتاب الفضل ابن الحوارى وغيره والله المستعان .

ذكر وقعة الروضة

وهو موضع بقرب تنوف من جهة الغرب ، بين نزوى والجبل الأخضر ، وذلك أن جماعة من اليحمد أرادوا عزل راشد بن النظر ، وكان من وجوههم فهم بن وارث الكلبى من كلب اليحمد ، ومصعب وأبو خالد ابنا سليمان الكلبيان ، وخالد بن سعوة الخروصى ، وسليمان بن اليمانى ، وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن برجمة ، وغيرهم من وجوه اليحمد فاجتمعوا بالرستاق وكاتبوا مسلماً وأحمد بن عيسى بن سلمة العوتبيين ، وسألوهما أن يبايعا لهما فى الباطنة من العتيك من بنى عمران ، ومن كان على رأيهم من ولد مالك بن فهم ، فكاتبا نصر بن المنهال العتكى الهجارى من ولد عمران ، واستجاشا سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى من ولد مالك بن فهم ، فسألوه المعونة وكان سليمان شيخاً مطاعاً فى قومه بالباطنة وكان يسكن مجز من الباطنة ، وله فيها مال ومساكن ، وكان نصر بن منهال رئيساً تقدمه العتيك فى الباطنة وتطيعه ، فاستحضر إليهما وبايعهما على نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد على عزل راشد بن النظر فأجابهما إلى ذلك ، وأنجز لهما ما استدعياه منهما من معونة ، وخرج نصر بن منهال فبايع العتيك فى الباطنة ، وخرج معه سليمان بن عبد الملك ابن بلال السليمى ، فبايع من بالباطنة من قومه من سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر ولد مالك بن فهم ، وساروا جميعاً بمن معهما إلى شاذان بن الصلت ،

والفهم بن وارث ، ووجوه اليحمد ، والرستاق ، فأكدوا البيعة لهم وخرجوا جميعاً إلى نزوى ، فأخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر ، وكان الخبر قد اتصل به ، فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدود الجوف وجه إليهم راشد بن النظر السرايا والجيوش خيلا ورجلا ، وكان من قواده على السرايا يومئذ عبد الله بن سعيد بن مالك الفجى[1] والحوارى ابن عبد الله الحدانى من أهل سلوت ، والحوارى بن محمد الداهنى فكبسهم ليلا ، وهم نزول بالروضة من تنوف وهم لا يشعرون ، فوقعت بينهم وقعة شديدة .

قال أبو المؤثر : كان راشد بنزوى فوجه إليهم قواداً ليس فيهم فقيه ولا أمين على حجة ولا بصير بسير المسلمين فى الحروب ، فلقوهم قبل وصولهم إلى الروضة ، ثم سايروهم حتى نزلوا جميعاً الروضة جند راشد ، وجند فهم وقد أمن بعضهم بعضا ، فلما نزلوا الروضة بات الفريقان آمنا بعضهم من بعض ، ثم إن راشداً بعث من عنده جنداً وعندهم قواد لا فقه لهم ولا فهم ، وفيهم عبدالله بن سعيد قائد الفتنة ورأس الفتنة والخطيئة فى عدد من أخلاط الناس ، منهم متمسك يحسب أن الطاعة قد لزمته فخرجوا بين مارق وفاسق (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فهجموا عليهم فى بعض الليل ، ففزع بعضهم من بعض ووقع بينهم مهايجة للقتال ، فقتل رجل فيما بلغنا فى الليل من جند راشد ، ثم تحاجز الفريقان إلا أنه بقى بقية من الرماة فيما بين العسكرين ، ودار أصحاب راشد بفهم وأصحابه شرقا وغربا وأعلا وأسفل ، فلما أصبحوا

---

(١) لعله الفجمى .

لقيهم رجل من صحار يقال له غيلان بن عمر وقد كان غزا فى سرية من قبل والى صحار فاتى القوم فصار حتى نزل معهم الروضة ، واتى منهم فهم بن وارث وغيره من أصحابه ، فجعل يكلمهم ويكلمونه ، ويدعوهم ويدعونه ، إلى السلم وهم يجيبون إلى ذلك والناس متفرقون إلى أن شبت الحرب فيما بينهم من ناحية العسكرين ، بعيد من موضع فهم وغيلان فتواقع الناس بالقتال .

قال فحدثنا غيلان وكان صدوقاً فيما علمناه أنه كان يكف الناس عن القتال ، ويحجزهم حتى تعب بدنه وصوته من شدة ما كان ينهى عن القتال ، فغلبه الناس على أصحاب فهم ، وتفرقوا عليه وقتل من قتل فى المعركة ، وفرقهم فأدركوه فأسروه وناسا من أصحابه ، وقتل نصر بن منهال شيخ ضعيف وكبير ضعيف عن القتال ، وقد ذكروا أنه قتل وهو نائم .

قال العتبي : وقعت بينهم وقعة شديدة ، وقتل مقتلة عظيمة ، ورجال كثيرة من أهل الورع ، والعفاف ، ووقعت الهزيمة على اليحمد والعتيك وبنى مالك بن فهم ومن معهم ، فأما اليحمد فإنهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا برءوس الجبال بعد أن قتل منهم جماعة وأسر منهم من أسر ، وأما العتيك وبنو مالك بن فهم فصبروا فى المعركة حتى قتل نصر بن منهال العتكى وولداه المنهال وغسان وأخوه صالح بن المنهال العتكى ، وقتل من بنى مالك بن فهم حاضر بن عبد الملك بن بلال السليمى وابن أخيه المختار ابن سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى فى نفر من قومهم ، وقتل من فراهيد خداش بن محمد الفرهودى وأخوه جابر بن محمد فى جماعة من

قومه ، وأسروا سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، وأسروا اليحمد الفهم بن وارث الكلبى ، وخالد بن سعدة الخروصى ، وغيرهم فحبسهم راشد بن النظر سنة أو أكثر ثم سئل فى شأنهم موسى بن موسى وجماعة من وجوه أهل عمان ونزوى فأطلقهم .

كل ذلك والصلت حى معتزل فى بيته ، وإنما مات بعد هذه الوقعة ووقعت الفتنة بين أهل عمان بسبب هذه الوقعة ، وتعصبت القبائل .

ولأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى فى هذه الوقعة قصائد عدة يرثي من قتل بها ، ويحرض قومه من الأزد ، على القيام بأمرهم ، والأخذ بثأرهم ، إلى أن جمعت اليحمد وبنو مالك ، والعتيك وسارت إلى دار الإمامة بنزوى فأسروا راشد بن النظر بعد أن هزموا أعوانه ، وفضوا عساكره ، وعزلوه من الإمامة ، ووقع اختيار الجميع على عزان ابن تميم الخروصى فبايعوا له ، وذكر العتبي فى الأنساب قصيدتين من قصائد ابن دريد فى هذه الوقعة ، حرفتهما النسخ فننقلهما كما وجدناهما ، فمن ذلك قوله :

نبه نابه وخطب جليـــــل	بل رزايا لهن عبء ثقيل
بل عرام مبـــاده بل	دهارس وقهن وبيل
إن بالبقاع من تنوف محلا	ليس للمكرمات عنه حويل
حال فيه الردى يجيل قداحا	أحرزت حصلها وفات الخليل
لم تدع للعلا أكف المنايا	من به يعتلى ولا يستطيل
يا بنى مالك بن فهم قتيلا	لا يباريه فى الأنام قتيـــــل
أى عز قـدموه لرمح	منكم ؛ يصد وهو دليل

أى طرف سما إليكم بكيد ... لم تردوه وهو عنكم كليل

أى جد كالختموه بجد ... منكم لم يدعه وهو قليل

كنتم والكثير فيكم قليل ... والعظيم الخطير فيكم ضئيل

كنتم الهامة التى لوزالت ... وجه الدهر لم تقل لا أزول

كنتم أهل سطوة إن تصدت ... مال وجه الحمام حين تميل

أقليل عزيزكم فتقولوا ... إننا فى الوغى نفير قليل

أم ضعاف عن ثاركم فتلذوا ... مشرب الذل والمضيف ذليل

أم نساء يبغى لهن بعول ... أم ستر المحصنات البعول

أم عبيد لراشد ولموسى ... أى هذى الأضياف أنتم فقولوا

ليس يسعى لها امرؤ وسدته ... معصميها الوهانة المطبول

لا ولا المحسن الظنون برب ... الدهر أن سوف ينسى ويدول

يا بنى مالك غقلتم لسانى ... كيف يمشى المقيد المعقول

أم سلكتم إلى المصاد سبيل ... وضحت لى إلى المقال سبيل

أو أوثباتكم شكلت عن الجرا ... وهل يبلغ المدى المشكول

أين عز هنــاة فروع ... العز بل أين كهفه المأمول

أين وهم إذا استحمش الباس ... ليوث تنجاب عنها الغيول

أين عن دعوى سليمة أطواد ... المعالى إلى فتيانها والكهول

وبنوا جهضم هم جبل العز ... الذى عز فرعه المستطيل

والجراميز حصننا الركن ومن ... وفى الوغى إليه نؤول

والعفاة الذين يستدفع البا ... س بهم وهو مقمطر مهيل

وحمام حماتها حين لا تعطف ... إلا للمظفر الخشليل

وفراهيد الذين على الروضة ... من خيلهم دماء تسيل
وحماة الزمان من آل دهنان ... إذا يبرز البرى والحجول
وعمادى من آل سيد إذا ما ... شمرت الحرب والمنايا نزول
وسليما الباسلون إذا ... ذو العدة والنجيدة والبسول
وشريك قتياننا حين لا ... ينفع إلا المهند المسلول
والمداريك لدخول بنى قشمل ... إن خفت أن يفوت الدخول
وبنو العم من حديد خصوصاً ... وعمادى فى كل خطب ثقيل
وبنو ظالم يدى ولسانى ... وحسامى المهند المصقول
يا بنى مالك بن فهم قتيلا ... بدهارس غرهن الليول
إن بالروضتين هاما تراقى ... لم يقل من يأوى بهن قتيل
أتضيع الدماء يا قوم فرعا ... لا بواء ولا دم محمول
وبطودى والسيف منكم ... عدد كابر وعز بجيل
لبنى سامة السمو على الخسف ... بما نالكم من الذل نيلوا
لاشمأزت قلوبها ولأضحى ... يا بنى الأهل ربها المأهول
أفترضون أن تساموا الذى ... ساماه عن سوم مثلها تنقيل
يا ابن حجام للعلا شمر الذيل ... فلا حين أن تجر الذيول
وصبوح مباكر وغبوق ... وشواء ودرمك ونشيل
ليس شأن المؤثر بن معاد ... وغناء ومزهر وشمول
إنما ثوبه إذا اعتكر الاظلام ... ثوب الدجنة المسدول
ومهاد لا تمزق فوق كفل ... عرشه عنهم النجاد مثول
وندعاه دائر الحد عضب ... وأمين الفصوص نهد ذليل

واكيلاه نهدة أم أجر   والطريد المشلق الهذول
ذلك الثائر الذى وهلته   نومة الصبح فهو رجف مذيل
يا سليمان جرد العزم قدماً   تدرك الوتر منجداً وهو نول
يا فراهيد أين نجم المساعى   أنتم العدة الحماة النصول
يا سليم بن مالك المثنى   قد هدنا السيد العميد القتيل
قد أوصى حلف له عينا   ليس منها لمقسم تحايل
أتغاضت عنه المنون لأضحى   يهتدى بالرعيل عنه الرعيل
ما تضيع الدماء ما طالبتها   فيهم شهمة وصبر جميل
أى يوم لبأس موسى بن موسى   ذاك يوم لو يعلمون طويل
يوم لا ينفع اتصال بقربى   يوم لا العذر عنده مقبول
فلحا الله مانع الروع منا   حيث يستصحب الضليل الضليل

وقال أيضا يرثى جماعة من قتل بتنوف من قومه وغيرهم من العتيك واليحمد :

إنما فازت قداح المنايا   يوم حازت خضلها بتنوفا
يوم قالت للردى استقض حقى   يوم يصطف آه آه الشريفا
واحد أفضل من ألف ألف   نخذ الواحد واسف الألوفا
وظن التالد مجدا وعزا   إن عزا ان يصون الطريفا
إنما نهضت هضاب المعالى   واكتست أقمارهن الكسوفا
يوم يبقى الدهر أرواح قومى   تحت ظل الخافقات الحتوفا
عجيبا من حرة الموت إذ لم   ينقمع عنهم مروعاً مخوفا
وبهم كان يريش ويبرى   وبهم كان يجيل الصفوفا
فقدهم هد من المجد ركنا   كان عمر الله صعبا منيفا

فقدهم غادروا أما روضته هضاب الجود اقميفا
فقدهم غادر ما سلته نفحات العرف حزنا حليفا
فقدهم غادر من بعد لين خفض عيش الناس فظا عنيفا
إن بالروضة عصوا دحرته قطعت فيه السيوف السيوفا
طفقت تجدع فيه رجال الأزد جهلا بالآنف الأنوفا
حكم الموت فضم إليه سادة المحض واللما اللفيفا
ياله من مستكنف حمام واجهت فيه الصفوف الصفوفا
سدل النقع عليهم سجوفا هتكت فيه الروايا السجوفا
فترى الأرواح تجتث شوتا وترى فيه المنايا وقوفا
صار من صوب الدماء ربيعا صار من كى الضراب مصيفا
ما انجلى حتى اكتست من دجا بهجة الأرض ظلاما كثيفا
ترك الدهر وشاع المعالى بعد شيخ الأزد نصر طو
يا سو ، بن سرات ترقب ضربة تجتث الصليفا
قد حسب كفاك للنجح يوما تترك الصاحى منه نزيفا
وابن منهال سعيد ستسقى بظباة البيض سما مدوفا
مثل ما امتدت يداه حلاسا لفتى الشيخين نصلا نحيفا
إن يك أسلاف قومى تولوا فلقد أنفوا أناسا خلوفا
سنجارى السفح الوتر بالسفح حتى يدع الضيف لديهم صنوفا
عكف الدمع على كل عين رأت الطير عليهم عكوفا
لهف ما أما عليهم لحرب تحذى بالزحوف الزحوفا
لهف ما أما عليهم لمان عضت الأركان منه الرضيفا

لهف ما أما عليهم إذا ما ‏ ‏ ألجأ الخوف المضاف اللهيفا
لهف ما أما عليهم لخطب ‏ ‏ تجف الأكباد منه وجيفا
عجبا للأرض كيف طوتهم ‏ ‏ فى الثرى الغامض طيا لطيفا
وهم الهضب الشوامخ عزا ‏ ‏ وهم الأبحر سيبا وريفا
أبلغا فهما وإن حسمته ‏ ‏ حلفات النكل مسببا سبيفا
رانه الباب المبير الأعادى ‏ ‏ بلدة ضغما وطوراً مريفا
وهو قطب الأزد أنى استدارت ‏ ‏ شاء أن يعدل أو أن يحيفا
يا أبا راشد اعلم أن اللبيب ‏ ‏ لا يقدم حتى يطيفا
وكذاك الصقر أما تعالى ‏ ‏ فهو لا ينحط حتى يحيفا
فوق السهم ولا ترم حتى ‏ ‏ تعرف البرع لكى لا تصيفا
إن يكن يوم تصدى بنحس ‏ ‏ فامل السعد يأتى رديفا
أويك ينفك لدغ زمان ‏ ‏ فعسى هو أن يزف زفيفا
لا تهللن قريب ريح ‏ ‏ قد قفا منها النسيم الهيوفا
ليس يوم الروضة جميما ‏ ‏ إن الأيام كرا عطوفا
جرد العزم وشمر ليوم ‏ ‏ يترك العار الثقيل خفيفا
أقعود والقلوب تلظى ‏ ‏ فانبذ المغفر والبس نصيفا
ليس يمحو الاشمار بكذب ‏ ‏ الضال إذ تدعو إليه العزيفا

ذكر عزل راشد بن النظر

وذلك بعد ما مضي له فى الإمامة أربع سنين وثمانية وخمسون يوما ، وسبب عزله تحرك القلوب عليه وكثرة الضغائن بقتلى من قتل بالروضة

من وجوه الأزد ، وتحريض ابن دريد عليه ، وموافقة موسى بن موسى لهم فى ذلك .

قال أبو قحطان : خرج موسى على راشد من بعد ما قدمه واختاره ، فخلعه وفسقه وبرىء منه ودعا إلى حربه من غير مخالفة لراشد منه ، لم يحدث حدثا يستحق به معه الخلع فى دينه لأنه كان يراه إماما ففعل به مثل ما فعل بالصلت بن مالك سواء بسواء ، ودعا إلى عزله وألب عليه .

قال : وقد كنا سمعنا أن راشداً خرج إليه إلى أزكى يسترضيه فلم يدرك رضاه ، وأخذ فى عزله من غير أن يظهر عليه حدثا يعرفه الناس إلا أنه يدعو إلى عزله كما كان يدعو إلى عزل الصلت بن مالك بل كان الصلت بن مالك معه على ما كان يظهر منه خيراً من راشد ، لأنه خرج على الصلت بن مالك ولا نعلم أنه خلعه ، وأما راشد فقد كان يفسقه على ما سمعنا فسار موسى ومن اتبعه حتى نزلوا فرق واجتمع شاذان ومن أجابه فى موضع معاضدين لموسى ، وكان الحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد ومن أجابه فى موضع يقال له سنداد — فى أعلى من الموضع الذى كان فيه شاذان ومن معه ناصرين لراشد — وكان راشد فى موضع الإمامة وموسى فى فرق ثائرا على راشد بعد أن كان والاه ، وافترق موسى وراشد والحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد من بعد الألفة والأخوة لأنهم كانوا تآلفوا على عزل الإمام الصلت بن مالك ، وبايعوا راشدا وصاروا حربا وعادوا أعداء ، فموسى يطلب عزل راشد والحوارى والوليد يطلبان نصرته فلو كان أمرهم رشيدا فى الأصل لكان الوليد والحوارى مصيبين فى نصرهما لإمامهما ، ولكان موسى مخطئا إذ نكث على إمامه ،

ولكن أمرهم فى الأصل كان لغير الله فلم يجمع الله شملهم ، ورد بعضهم على بعض ، واجتمع موسى وشاذان بعد العداوة ، نعوذ بالله من الفتن .

قال : فسار الحوارى والوليد ومن معهما يريدان نصر راشد وقتال شاذان وأصحابه ، والله يعلم ما أرادوا فالتقوا من قبل أن يصلوا راشدا فهزم الحوارى والوليد ومن معهما بعد أن قتل من قتل من أصحابهما ، وسار شاذان وأصحابه فأخذوا راشدا (من) موضعه بلا حرب وضربوه وحبسوه ، ووصل موسى ومن معه إلى العسكر ، وقد اجتمعوا من غير توبة وقدموا عزان بن تميم إماما ، والله أعلم بأمورهم .

وقال أبو المؤثر : أقاموا ما شاء الله على غلطهم وخطاياهم ، ثم رجعوا على إمامهم فلم يقيموا عليه حجة ولا سموا له بحدث مكفر فى دينهم ، فسقطت الدماء دون عزله ، ثم قدموا إماما كان مفارقا لهم ، مضللا لهم ، فبايعوه ودخلوا فى طاعته ، وخطبت له خطباؤهم وجعلوا ولاته ولاة لهذا الإمام ، كما كانوا ولاة الأول ولاة للأوسط المخطىء إلا أن هذا الثالث كان فيما ذكرلنا يستتيب الولاة فى السريرة ويثبتهم على أمكنتهم ، ولم يكن هذا من سيرة المسلمين فى الأئمة المحدثين ، بل كانوا يستتيبون الناس من ولايتهم علانية غير سريرة فرضى هذا الثالث بخلاف ما كان عليه السلف ، ثم رجعوا عليه ونقضوا .

وقال أبو الحسن البسيانى : فان كان بعزلهم صلتا محقين كما زعموا فقد كفروا لعزلهم راشدا ، فان قالوا إنه جائز لهم تقديم إمام على إمام متى شاءوا بحدث وغير حدث فهذا مما لا يحتمل فى الإسلام ولا تصح به الأحكام ولا يقول به أهل الأحلام ، ولو صح ذلك لكانت إمامة معاوية

صوابا على إمامة على ، فلما فارق المسلمون من قال بهذا القول علمنا أن من اقتدى بهم مبطل ، وإن كان عقدهم لراشد خطأ وضلالا ، فقد كفروا بتقديمهم إياه على إمامة الصلت ، لأنهم إن كانوا قدموا راشدا على الصلت (وذلك) كما زعموا جائز لهم فقد ضلوا بعزلهم إياه ، وتقديم آخر عليه من غير حجة فهذا مالا يصح (القول) به .

وذكر أبو المؤثر وأبو قحطان : أن راشد بن النظر نصب إماما مرة ثانية ثم عزل ، وظاهر كلامهما والأحوال تشهد له أن هذا النصب كان بعد ما قتل عزان بن تميم وبعد ما خرج ابن بور من عمان واستعمل عليها عماله ، وقال أبو المؤثر بعد أن ذكر ما ذكر : قدموا راشدا إماما ثانية على غلطه وخطئه ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم إماما ، وقال أبو قحطان رجعوا إلى راشد من بعد أن كان فى السجن خليعا مقيداً محبوساً أسيراً ، فعقدوا له الإمامة وقصروا الجمعة وجبوا الزكاة وباع راشد الصوافى[1] قال فهذا من العجب العجيب من أفعال أهل عمان ثم خذلوه وتركوه ثم خلعوا معه الإمامة وفرغها ، وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا كلما أرادوا صافقوا رجلا ببيعة ثم خذلوه انتهى المراد من كلامه والله المستعان وبيد الله التوفيق .

---

(١) الصوافى هى الأراضى والدور التى جلا عنها أهلها والأموال التى لا وارث لها والضياع التى عادت إلى السلطان باستخلاصه إياها وهذه حكمها أن تكون لبيت المال لفقدان المالك لها ، والله أعلم والأموال المجهولة الصاحب تعود إلى بيت مال المسلمين عند وجوده .

باب إمامة عزان بن تميم الخروصى

(رحمه الله)

وذلك أنه لما وصل موسى بن موسى ومن معه إلى نزوى وقد عزل راشد بن النظر أجمع رأيهم على إمامة عزان بن تميم الخروصى، فبايعوا له وذلك يوم الثلاث لثلاث خلون من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين، وبايعه موسى بن موسى بن على، وعمر بن محمد القاضى، ومحمد بن موسى ابن على، وعزان ابن الهزبر، وأزهر بن محمد بن سليمان، ومات عمر بن محمد القاضى بأزكى فى هذه السنة. وخرج عزان بن تميم من نزوى واستخلف عليها شاذان ابن الصلت بن مالك، ووصل إلى أزكى وصلى على عمر بن محمد القاضى، ثم رجع إلى نزوى، ومات عمر بن محمد بن القاسم بعده بأشهر، وعزل عزان بن تميم عامة ولاة راشد بن النظر، وأثبت موسى بن موسى على القضاء.

قال أبو قحطان: كان أبو المؤثر الصلت بن خميس يقول إن بيعة عزان كانت صحيحة ثم لم تحمد سيرته حتى قتل، قال وقولنا فيه قول المسلمين.

وقال أبو الحسن البسيانى: قد وجدنا التنازع بين أهل الدار فى إمامة عزان بن تميم، ولا نجد أحداً على ولايته ولا صحت إمامته بإجماع عليه، لكن وجدناهم مختلفين فيه وفى إمامته هل انعقدت بمن حضرها، ولم نجد أهل الدار مجتمعين على ولاية العاقدين له ولا صحت صفقته باعلام

المسلمين بالاتفاق عليه ، وكأن عقدته مشكلة ، قال ووجدنا الإجماع من أهل الدار أنه رجل من الرعية ، ثم دخل فى الأمر المشكل فهو معنا بالإجماع على الأمر المتقدم أنه ليس بإمام عدل حتى يقع الإجماع أنه إمام عدل وقدمه المسلمون لأن الإجماع حجة .

قال أبو الحوارى : يقال لهم ما الذى تنقمون على عزان بن تميم فإن قالوا لا نعرف كيف كانت إمامته ، ولا يعرف ممن قبلها ولا أخذنا ولايته عن أحد قيل لهم قد اجتمع على إمامته عمر بن محمد القاضى ، وموسى بن موسى ، ونبهان بن عثمان ، ونعمان بن عثمان ، وعنبسة بن كهلان ، والأزهر بن محمد بن سليمان البسياوى ومروان بن زياد ، وأبو المؤثر الصلت بن خميس ، وفى هؤلاء من أهل العلم والبصائر من تقوم به الإمامة ومن هو عالم بصلاحها وفسادها وثبوتها وبطلانها ومن يستحقها ، قال : وفى الأثر إن أهل كل طرف من الأرض يؤتمنون على دينهم ، قال أبو الحوارى : فإن قالوا قد اجتمع على إمامته من هؤلاء وهؤلاء قيل لهم ان من صحت إمامته إذا كان معه العلماء الأمناء على ذلك ، قال وقعد نبهان بن عثمان له معديا ، وخرج عزان بن الهزبر له واليا على الشذا[1] . وخرج الأزهر بن محمد ابن سليمان واليا له على صحار . قال : وقد كان راشد بن النظر قبل ذلك أمر عزان بن الهزبر بولاية الشذا فأبى ولم يفعل ، وأشار على من أشار من المسلمين فيها فنهاه عن ذلك ، قال : وكان نبهان بن عثمان خطيبا لعزان ابن تميم ، فان لم يكن نبهان حاضرا للخطبة كان من بعده عبد الله بن محمد

---

(١) الشذا ضرب من السفن والمراد أسطول البحر والوالى عليه أمير البحر المعروف اليوم بالاميرال عند الفرنجة على شبه الاختزال من الكلمة العربية .

ابن محبوب يخطب لعزان بن تميم ويدعو له بالإمامة ، وكان الفضل بن الحوارى غائباً فيما سمعنا فلما قدم ما سمعنا منه إنكاراً لذلك ولا تغييراً لذلك ولا كراهية .

قال أبو الحوارى : فان قال أهل الضعف والتمويه إن أبا المؤثر رحمه الله كان يبرأ من عزان بن تميم ، قيل لهم فإن أبا المؤثر كان يتولى عزان بن تميم قبل التقديم ، وكان يقول لقوم معه فى منزله إن اجتمع المسلمون على أمر مالو حلف الرجل بالطلاق إن هذا هو الحق لم يكن حانثا فكونوا معهم واجتمعوا بعد ذلك على عزان بن تميم وكان أبا المؤثر معهم على ذلك فى ذلك اليوم .

قال أبو الحوارى : وقد قال أبو المؤثر فى السنة التى مات فيها انه واقف عن عزان بن تميم فقال له قائل من قال انه يبرأ من عزان فقد أخطأ قال نعم قال أبو الحوارى فإن أبى أهل الضعف والعمى إلا ما ألقى إليهم من القول إن أبا المؤثر وأبا جعفر كانا يبرءان من عزان فقولنا فى ذلك إن براءتهما منه ليس فيها دلالة لزوال وجوب الولاية بلا بيان ولا حجة تحق بها البراءة منه بالحجة بلا برهان[1]

قال أبو الحوارى : وأما أبو المؤثر رحمه الله فقد كنا ممن يباطنه ومن خاصته ويراجعنا فى عزان ونراجعه وينازعنا فيه وننازعه فما أدركنا منه براءة من عزان ، ولا سمعنا منه ذلك حتى مات ، بل كان يقول إنه واقف عنه ويخطىء من يروى عنه أنه يبرأ منه ، قال فهذا الذى عرفنا من

---

(١) كذا بالنسخة الموجودة وخلل العبارة ظاهر ولعل الأصل والبراءة لا تثبت إلا بالحجة والبرهان فليتأمل .

أبى المؤثر وسمعنا منه فى آخر عمره ، قال فإن كان غيرنا علم منه البراءة فقد عرفنا منه الرجوع إلى الوقوف وبالله التوفيق ، قال وأما أبو جعفر فقد أخبرنا على بن محمد بن على أن رجلا من أهل بسيا قال إنه معه ثقة أخبره أن أبا جعفر كتب إليه أن أبا المؤثر وابنه قد أحدثا فى هذا الدين ماقد حل به دمهما ، أو قال ذمتهما فذكرنا ذلك لمحمد ابن أبى المؤثر فقال نعم ، قد كان ذلك ، وقال لنا محمد بن أبى المؤثر إنه كتب إلى أبى جعفر لو حل معى منك ماحل معك منا مابت على ذلك ليلة واحدة ، قال أبو الحوارى فان كان قول أبى جعفر مقبولا فى أبى المؤثر فلا تقبل براءة أبى المؤثر من عزان بن تميم ولا يُفتحي بها ، وإن كان قول أبى جعفر لايقبل فى أبى المؤثر فالإمام أعظم حرمة وأبعد من التهمة فلا تقبل براءة أبى جعفر من عزان بن تميم ، قال فكيف يحتجون برجلين مختلفين يحل أحدهما دم الآخر ، قال أبو الحوارى : فلما نظر أبو المؤثر قوة الحجة عليه فى الآثار أمسك عن المناظرة فى عزان بن تميم وكف عن المراجعة فيه ، وقال انه لايبرأ منه وانه واقف عنه ، قال وكان هذا منه فى شهر ربيع الآخر فى السنة التى مات فيها ومات في شهر شوال من آخر السنة رحمه الله .

ذكر واقعة أزكى

وسبب ذلك ما وقع بين عزان بن تميم وموسى من الوحشة والضغن قال أبو قحطان : فلبث موسى وعزان مالبثا وهما وليان فى الظاهر وأما السريرة فالله أعلم بها ثم حول عزان القضاء عن موسى لما خافه وجمع موسى فى أزكي فعاجله عزان خوفاً أن يفعل به مثل مافعل بمن كان

قبله فاخرج اللصوص من السجن وجيش جيشاً فقتلوا موسى ثم وضعوا على أهل القرية فقتلوا من قتلوا وسلبوا من سلبوا وأحرقوا أنفساً بالنار وهم أحياء وفعلوا مالم يفعله أحد على ماسمعنا من أهل التوحيد وكان ذلك بسبب ضغائن تقدمت ، قال فآوى عزان المحدثين من أصحابه واتخذهم أعواناً وأنصاراً وأجرى عليهم الإنفاق وطرح إنفاق من تأخر عن المسير إلى أزكى فعاقب من عصاه .

وقال غيره : قتل موسى بن موسى مع حصيات الردة التى عند مسجد الحجر من محلة الجنور ، وذلك فى يوم الأحد سنة ثمان وسبعين ومائتين وأرخ بعضهم الوقعة بأنها كانت يوم الأحد لليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين . ومن أجل هذه الأحداث قال أبو المؤثر وأبو قحطان فى عزان بن تميم ما قالا وتقدم الكلام عن أبى الحوارى ، فى آخر ما كان عليه أمر أبى المؤثر ، فى الوقوف عن عزان . وقال أبو قحطان : فمن برىء من عزان بن تميم ، توليناه على ذلك ، وقال أبو المؤثر : خاف عزان أن يفعلوا به مثل مافعلوا بمن كان قبله ، فأظهر ما كان له مستتراً من تضليلهم ، ثم جيش إليهم جيشاً ، وكان فيما بينهم مالم نحط به علماً ، إلا أن الشاهر الظاهر أنه لم يكن من الفريقين مناظرة ولا حجة ، إلا أنه فيما ذكر لنا أن أصحاب موسى تبراءوا لأصحاب هذا المجهز إليهم ، والله أعلم ، كان ذلك برمى أو قتال . قال : وقد ذكر لنا أنه لم يكن ذلك برأى موسى ، وإنما هى نوادر ندرت لم يذكر شيئاً ، فبادر إليهم أصحاب عزان كما قال الأول :

* هيجتنى وكنت كالمعيل *

قال فسفكت الدماء ، ثم أفضى إلى ما (لا) يدفع الانكار ، فأحرق

برجل فى داره ضعيفا مبتلى ، وامرأتين معه « ابنته وزوجته فدعا عزان إلى الانصاف ، فطلب إليه ذلك فلم يفعل . وقال المحتجون عنه لا تهمة فى الحرب ، فقلنا لهم ان الحرب لو كان فى أهل الحرب لم تقل فيه شيئا ، فان الحق عليهم أن ينكروا ويغيروا ما أخذه أصحابهم مما لم يأذن به الله ، وهذه لم تكن أرض حرب ، لأنهم لم يطردوا واليا ، ولم يمنعوا زكاة ، ولم يمتنعوا بحكم ، ولم يظاهروا عدوا على إمام ، وإنما كان ذلك الرجل مع جماعة فالله أعلم ما أراد بها فقصد ، إلى من لم يكن من أمره فى شىء فيما علمنا فعمل فيه الفحشاء ، فلما كلم عزان فى الانصاف من أصحابه أعرض وتولى وألجأ فى ذلك إلى بيت المال ، ويدعى أن رووا له عن محمد بن محبوب رحمه الله فى كتابه إلى أهل المغرب : « ان من أحدث حدثا فهو مأخوذ به ، إلا أن يكون الإمام أمر به ، وهو يرى أنه الحق فذلك فى بيت المال .

قال أبو المؤثر : والذى كان يلزم عزان أن يحبس المتهمين ، لأن الذين أصيبوا لم يكونوا من المحاربين ، قال : ومن لحقته التهمة ، استحلفوا بالأيمان الغليظة ما أمروا ولا فعلوا ولا حرضوا . قال : فلم يفعل عزان شيئا من ذلك . قال : ويقال للذين زعموا أن الحرب لا تهمة فيها ، أرأيتم لو أن قوما خرجوا على الإمام ، وبعث الإمام إليهم جيشا فقاتلوهم فلما هزموهم ، أقبلوا على من حولهم من غير أهل الحرب ولم يدخلوا فى محاربة المسلمين ، فخرقوا منازلهم ، وقتلوهم فى موضعهم ، لكان على الإمام أن يأخذ المتهمين منهم بأخذه غيرهم ، فان قالوا لا فقد جاروا فى قولهم ، وإن قالوا نعم فهو الحق ، وليس على أهل السلم اعتداء ، ولا يؤخذون بذنب غيرهم ، وقد قال المسلمون لا نأخذ بريئا بسقيم ولا نطالب إلى أهل

طاعتنا ذنب من عصانا . قال : وأصحاب عزان ، أخذوا البرىء بالسقيم ، واعتدوا على من لم يعصهم .

وقال أبو الحوارى : فان قال ان الذى ينقم على عزان بن تميم أحداثه التى كانت بأزكي من حرق المنازل . والناس ولم يعط الحق من عسكره ، ولم يوصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ، ولم يأخذ لهم سهمهم وقد طلبوا إليه ذلك ولم يفعل وأبى وكره ذلك ، قيل لهم ان تلك الاحداث التى بأزكي قد علمناها وهى باطل ، ونبرأ ممن فعلها وأتاها ، ورضى بها وأعان عليها وأمر بها إذا لم تعلم توبته مما يجب عليه فيها ، وقد كان عزان بن تميم يدعو إلى الانصاف وإقامة الحق على من فعل ذلك ، ويشير على المسلمين ويجمعهم ويعرف آراءهم ، وكان مما أشاروا عليه : أن الإمام إذا بعث سرية للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمنتهم محاربة ، وكان منهم خلاف الحق ، فلا حبس عليهم فى ذلك ولا تهمة للقوم فى هذا ، وانما هى دية الأنفس وغرم ما أتلفت النار فى بيت مال المسلمين . وقد قال قائل منهم إلا أن يصح على فاعل منهم بعينه أخذ منه ، وهو دية عليه خاصة ، وقال قائل منهم لا يكون فى بيت مال المسلمين وإن صح على فاعل بعينه أخذ منه وهو دية عليه خاصة .

قال أبو الحوارى : وقد جاء فى الآثار أن الفقهاء إذا اختلفوا ، فللامام أن يأخذ من ذلك ما رآه هو موافقا للحق والعدل ، وهذا مالاختلاف فيه إن شاء الله ، قال : ومن ترك ذلك فقد رد قول المسلمين .

قال أبو الحوارى : وجاء عن المسلمين أن أهل البغى إذا فاءوا من بغيهم ، وتابوا من ذلك هدرت الوقائع من الزحوف إلى الزحوف ، قال

ومن سيرة المسلمين أن أهل البغى يقاتلون قتالا لا قصاص فيه ، قال: وكان هذا مما يحتج به عزان بن تميم عليهم فيما بلغنا ، قال وتعلق عزان بهذه الحجج ودعا أهل أزكى بالبينة العادلة على من أحدث ، فقالوا له خذلنا بتهمتنا . فقال لهم : ان أحضرتم البينة العادلة على من أحدث أخذته بحدثه وان لم تصح ببينة عادلة كان غرم تلك الأحداث فى بيت مال المسلمين ، فلم يحضر القوم بينة عادلة ، وعرض عليهم الغرم فى بيت مال المسلمين، فلم يقبلوا فيما سمعنا .

قال أبو الحوارى : فإذا اختلف المسلمون فى الرأى ، فأخذ الإمام برأى من شاء ، ويرى أنه أقرب إلى الحق ، كان أوسع له ذلك ، قال : وبلغنا عن أبى عبد الله رحمه الله أنه قال : « إذا اختلف الناس فى الرأى ، رجعوا إلى رأى الإمام » .

قال فإن قالوا إن عزان بن تميم قد دعا إلى الإنصاف ولم يعلم أنه أنصف ، فيقال لهم ان الامام مأمون على أحكامه ، حتى يعلم أنه لم يعط حقاً صح معه ، وأنه اتبع هواه فى منع الحق قال : وقد بلغنا عن موسى بن على رحمه الله ، أن رجلا وصل إليه فى طلب حق ، وكتب له موسى بن على إلى الامام عبد الملك بن حميد رحمه الله ، فخرج الرجل إلى الامام ، ثم رجع إلى موسى ، فقال يا أبا على لم ينفذ كتابك ، أو كما قال له : فقال له موسى رحمه الله : هو المأمون علينا وعليكم .

قال : فإن قالوا كان عليه أن يجبر أهل الحقوق على أخذ حقوقهم حتى يأخذوا حقوقهم أو يبرءوا منها ، قيل لهم فى المأثور عن محمد بن محبوب رحمه الله : إن من كان له حق فدعى إلى أخذ حقه فأبى فلا حق له ، واحتج

أبو عبد الله بعبد الله بن رآيس ، لما أفسدت دابته حرث القوم ، أتى

عبد الله بن رآيس إلى أصحاب الحرث فعرض عليهم الغرم ، فأبوا ، فقال لهم إنا قد عرضنا عليكم الحق فلم تقبلوه ، وانصرف عنهم عبد الله بن رآيس وخلا عنهم . قال ونحن بأئمتنا نقتدى وبالله نهتدى .

وقال الأزهر بن محمد فى الحدث الذى وقع بأزكى : إن كان الامام الذى أرسلهم بعثهم إلى المحاربة ، فحارب القوم من بعد الحجة ، فما كان من الذين بعثهم مما لا يجوز لهم بالمحاربة حرق أوغيره من دم ، فما دونه فى بيت مال المسلمين . وقال فى موسى بن موسى : إن كان صح عليه بينة عادلة أنه كان مشهوراً أنه بايع على الإمامة ، فقد جاء عن الجلندى رحمه الله أنه قتل من قامت عليه بينة أنه بايع عليه ، وإن لم يكن صحت عليه بينة فى بيعته على الإمام وكان معه ، ثم برز هو ومن كان معه من أصحابه فى القتال ، فقاتلوا وانهزموا ، وهرب هو ودخل منزله أو غيره فقتل ، فالقاتل بمنزلة قاتل المولى ، وقد جاء فى الأثر فى قاتل المولى ما قد علمتم والله أعلم .

ذكر خروج الفضل بن الحوارى

ومن معه على عزان بن تميم

وذلك حين قتل موسى بن موسى بأزكى ومن معه من قومه فاستوحش الناس لذلك ، وخاصة النزارية ومن كان موالياً لهم من اليمانية ، فخرج من أجل ذلك الفضل بن الحوارى السامى إلى ناحية السر ، وخرج زياد بن مروان السامى أيضاً إلى السر ، وخرج أبو هدنة من الباطنة فلحق بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله السامى بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى بجبال الحدان ، وجمع بها ناساً كثيرا ، ثم خرج الفضل بن الحوارى إلى توام فاستعان

ببنى عوف بن عامر ، فأجابه منهم ناس كثير ، وكان معه ناس كثير من السر وبنى سامة ، وكان اجتماعهم بتوام ، ثم خرج الفضل بمن معه ، حتى صاروا بينقل من جبال الحدان ، فبايعوا الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وعزموا على محاربة عزان بن تميم ، فخرجوا بمن معهم يريدون صحار ، يوم سادس عشر من شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر ، وذلك يوم الجمعة ، وحضرت صلاة الجمعة فصلى بالناس زيد بن سليمان ، وخطب الناس ، ودعا للحوارى ابن عبد الله السلوتى على المنبر ، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسبت ، وخرجوا عشية الأحد لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائى ومن معه من أصحاب عزان بن تميم ، وذلك أن عزان بن تميم لما سمع بخروجهم وجه إليهم جندا مع الاهيف ابن حمحام الهنائى ، وفيهم سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى فى جماعة من ولد مالك بن فهم ، وفيهم الصلت بن النضر بن المنهال العتكى الهجارى على العتيك ، وشاذان بن الصلت على اليحمد ، وأمر الجيش كله مناط بالأهيف بن حمحام الهنائى فى جميع قومه من بنى هناة وسائر ولد مالك بن فهم ، فلما بلغ الحوارى بن عبد الله والفضل بن الحوارى مسير هذه الجموع إليهم ، وأنهم صاروا بالقرب من صحار . وكانوا قد نزلوا مَجَزّ خرجا بمن معهما من العساكر ، وكان عسكرا ضخما . فالتقوا بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى « القاع » ، فاقتتلوا قتالا شديدا وحملت اليحمد والعتيك فى الميمنة والقلب ، وحملت بنو هناة وسائر ولد مالك بن فهم على الميسرة ، فما كان يسمع إلا طنين السيوف على صفائح الدروق والبيض والحلق ، وارتفع بين الكتيبتين غبار عظيم ، حتى ستر الشمس ، وانجلى القتام عن

قتلى كثيرة ؛ وأبلى يومئذ سليمان بن عبد الله بن بلال بلاء حسنا فيمن معه من أهل بيته وحمل فشد على الريان بن محجن السامى ، وكان من فرسان بنى سامة ، فطعنه فى لبته فألقاه عن فرسه ميتا ، وانهزمت النزارية هزيمة لم ير أقبح منها ، وأسر منهم خلق كثير ، وقتل منهم فى المعركة ستمائة رجل ، وقتل من اليمانية من أصحابهم خمس وثمانون رجلا ، وقتل الفضل ابن الحوارى ، والحوارى بن عبد الله ، وورد بن أبى الدوانيق ، ويحيى بن عبد الرحمن السامى ، ومحمد بن الحسن السامى صاحب الرواية الكبيرة ، وكان فارس الكتيبة ، وناس كثير من بنى سامة من وجوههم ، وصمصمة ابن عوف العوفى ، وموسى بن عبد الله الواشحى فى خلق كثير من بنى عمه ، وسعيد بن المنهال الفججى فهؤلاء هم الوجوه وأما غيرهم فلا تأتى عليهم التسمية ، وقتل من أصحاب الأهيف بن حمحام محمد بن يزيد اليحمدى من أهل تنعم ، ورجل من العتيك يقال له منبه بن خالد ؛ وجماعة من الآخرين .

وقيل إن الفضل بن الحوارى لما تراءى بعسكر اليمانية من أصحاب عزان ؛ قال يالهفى على الدنيا ما تزودت منها ، ولقد جاشت نفسى ، وكان أول قتيل من الوجوه فى المعركة ، وانفلت محمد بن القاسم السامى ، فطار على بعير حتى نزل توام ، ثم لحقه بشير بن المنذر إلى توام ، وخرجا إلى البحرين إلى محمد بن بور ، فكان من أمرهما ما كان .

فهذه وقعة القاع من ظهر عوتب بالخيام ، وهى من الوقائع المشهورة المذكورة بعمان ، وكانت هذه الوقعة يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شوال من هذه السنة المذكورة ، وفى هذه الوقعة يقول أحمد بن جميل

أحد بنى حديد من بنى مالك بن فهم :

يا لك بالقاع من صباح قاع خيام إلى البطاح
أنعلت الخيل هام عوف[1] من بين طاها إلى وقاح
وخضنا من منبة دماء كزاجر اليم ذى الطماح
خيل ابن نصرفتى المعالى والقوم من مالك الصباح
واليحمد المانعى حماها ومدركى الوتر بالسفاح
لما أتانا بان عوفا تدعو بجهل إلى النطاح
سرنا إليهم بمقربات فى ظل غاب من الرماح
تقدمنا الأسد من هناة فى جحفل شاهرى السلاح
فكم كعاب هناك تدعو بالويل أباها رزاح

فى شعر طويل لم نجد منه إلا هذا . والله أعلم .

ذكر ما جاء من الكلام عن العلماء فى حكم الفضل
ابن الحوارى وإمامة الحوارى بن عبد الله ومن معهما

قال أبو المؤثر : خرج الفضل بن الحوارى ، فجمع حشواً من الناس والأعراب ، ومن لا خير فيه ، ثم قدم إماما ممن كان هو يضلله ويخطئه ، لأنه كان يقول « إن كان الصلت وأصحابه محقين ، فهؤلاء مبطلون ، وان كان الصلت وأصحابه مبطلين ، فهؤلاء محقون » فألزم راشد وأصحابه الباطل على كل حال فقال له قائل : إن كان الصلت مؤمنا فقد كفروا ببغيهم عليه ، وإن كان كافراً فقد كفروا بوطئهم أثره ، فقال نعم . ثم رجع فقدم إماما

(١) يريد عوف بن عامر من ساكنى الرمل وتوام وكان الفضل بن الحوارى قد استعان بهم فى خروجه على عزان بن تميم .

يكفره ويضله . قال: وقد علمتم يا أهل عمان، أن الحوارى بن عبد الله كان يقاتل فى سبيل راشد ، ثم سار الفريقان بعضهم إلى بعض ؛ فسفكوا الدماء فيما بينهم تعسفا ، بلا حجه ولا بينةٍ ، فلا الامام أقام الحجة على على الخارج ، ولا الخارج أقام حجة على الامام ، قال وليس هذا من سيرة المسلمين ، بل كان من سيرة المسلمين انهم لا يقاتلون أحدا من أهل البغى خرج عليهم أو أخرجوا عليه ، إلا من بعد الانذار ، وإقامة الحجة ، وتثبيت الحق ، والدعاء إليه ، فلم يفعلوا هؤلاء شيئا من ذلك ، قال: وقد كان فى الحق على عزان أن لا يجيش جيشا حتى يقدم الأعذار والدعوة البينة ، والحجة الواضحة المنيرة ، ويسألهم ماذا ينقمون عليه ، اغتصابا للامامة ؛ أو جورا في حكم ، واستئثارا بفىء ، قال : وكانت هذه الحجة على طلحة والزبير فيما ذكر لنا ، قال : فلم يفعل عزان شيئا من ذلك[1] وقال أبو قحطان : فلما قتل

(١) لست أدرى لعمرى كيف يقدم الإمام الأعذار والحجة إلى من خرج عليه والإمام على الحق . فكونه إماماً أصل ثابت شرعى لا يجوز نقضه إلا باجماع على ما يستوجب خلعه ، ومادام الأصل باقيا فالخروج عنه بغى وضلال ، يجب على الامام الدعوة إلى تركهما ، وإلا فالقتال أمر لا مندوحة عنه ، ويظهر أن الامام عزان لما رأى خروجهم لا يفيد فيه الإنذار وهم ماضون إلى تقويض دعائم الإمامة ، فنبذ إليهم على سواء ، ويدل على ذلك المبادرة إلى بيعة الحوارى بن عبد الله إذن فالحرب أمر لا محيص عنه ، ولا يجتمع إماما وكادت تكون هذه المسألة كمسألة المطالبة بدم عثمان إذا صح أن الفضل بن الحوارى خرج غضبا لقتل موسى بن موسى كما مر ويجىء ، ولا يقدر هؤلاء الذين ينقضون على الإمام لأدنى حادث جلال الدولة والعمل لصيانتها من الانهدام والانحلال . وبعملهم هذا أورثوا دولة المسلمين ضعفا ، وأطمعوا الأعداء فيها ، فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم ، وقد كان عملهم وخيانتهم جناية عظمى جلبت عدو الله بن بور ، ففعل مافعل فلو قدروا العواقب لسلم الوطن والدولة من الانحلال ، ولنأى العدو واندحر ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

موسى بن موسى ، غضب الفضل بن الحوارى والحوارى بن عبد الله ، وسارا على عزان خرج الحوارى بن عبد الله غضبا لقتل موسى بن موسى ، من بعد أن كان الحوارى وموسى كل منهما قد فارق صاحبه . لأن موسى يدعو إلى عزل راشد ؛ والحوارى يدعو إلى نصرته ، فأى فرقة أشد من هذا ؟ فعقد الفضل بن الحوارى للحوارى بن عبد الله إماما بصحار ؛ على فتنته وخطئه وعمائه من غير توبة ولا رجوع إلى الحق . فبعث إليهما عزان بن تميم الجيوش ، وكان أهيف بن حمحام من قواده وغيره فالتقوا بالقاع وسفكوا الدماء فيما بينهم على غير برهان ولا حجة ولا بيان ، فقتل الحوارى ابن عبد الله ، وقتل الفضل ، وقتل من قتل معهما وأسر من أسر ، فتفرق الباقون ، ولا نعلم رشد أحد الفريقين .

هذا كلامهما وفيه كما ترى تحامل على عزان وأصحابه وقد تقدم ما كان لهما فى عزان من كلام ولغيرهما تصويب عزان فى إمامته وقتال من قاتله .

قال أبو الحوارى : والسيرة فى عزان بن تميم والحوارى بن عبد الله ، والفضل بن الحوارى ؛ كمثل السيرة فى على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، قال : فان كان عزان بن تميم إمامته ثابتة وولايته واجبة ، فالذين نقموا عليه وقدموا اماما دونه فهم بغاة محدثون بنقضهم الميثاق واستحلالهم دماء المسلمين بغير الحق ، قال فمن شك فى ضلالتهم وارتاب فى أمرهم ، كمن شك فى معاوية بن أبى سفيان ومن معه ، ويكون الشاك فى عزان بن تميم كالشاك فى على بن أبى طالب من قبل الفتنة ؛ قال وان كان عزان بن تميم ليس له إمامة ثابتة ؛ ولا ولاية واجبة وهو خليع بحدثه ، فالذين نقموا عليه يكونون محقين على الحق والهدى ، قائمون

بطاعة الله وأمره ، قال فمن شك فى عدل ما قاموا به ، وارتاب فى الحق الذى اجتمعوا عليه ، يكون كالذى شك فى عبد الله بن وهب ومن معه من أصحاب النهروان ، وحوثرة بن وادع ومن معه من أصحاب النخيلة ، ويكون من شك فى عزان ابن تميم ، كالذى شك فى على بن أبى طالب من بعد افتتانه ، قال وقد ضلل المسلمون من شك فى على بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان ، وفارقهم المسلمون على شكهم وبرءوا منهم ، قال وكذلك عزان بن تميم ، والحوارى بن عبد الله ، والفضل بن الحوارى ، لا يسع الشك فيهم جميعاً ، ولا يسع الوقوف عنهم جميعاً ، لأنهم مستحلون لما قاموا به من الأمر ، ولا يكونون جميعاً محقين ، قال فمن شك فيهم جميعاً ووقف عنهم جميعاً ، فقدخرج عن قول المسلمين ودخل فى قول الشكاك الذين فارقهم المسلمون وضللوهم وبرءوا منهم ، فى كلام طويل أنصف فيه الفريقين ، وألزم فيه الشكاك فى أمرهم الحجة ، وقد تقدم كلامه فى إثبات إمامة عزان ، فمجموع كلاميه يستلزم البراءة من الخارجين عليه ، وتضليل من شك فى بغيهما عليه ، وهذا الحكم خاص بمن بلغه علم ذلك وعرف الحكم فيه ، وفيه قول إن من علم الحدث لا يسعه الشك فيه وإن جهل حكمه ، بل عليه أن يسأل عن حكم ذلك حتى يعرف حكم الله فيه ، فيحكم فيه بعلم وبصر . والله أعلم .

ذكر حروب محمد بن بور لعمان وقتل عزان بن تميم

وذلك أنه لما قتل من قتل من النزارية وغيرهم بالقاع ، اشتد الأمر على النزارية ومن معهم ، وخرج محمد بن القاسم ، وبشير بن المنذر الساميان من بنى سامة بن لؤى بن غالب ، وهم من عشيرة موسى بن موسى ، إلى البحرين وبها محمد بن بور عاملا عليها للمعتضد من ملوك بنى العباس ، فشكيا إليه ما أصابهما من الفرقة اليمانية ، وسألاه الخروج معهما إلى عمان ،

وأطمعاه فى أمور جليلة ، فأجابهما إلى ذلك ، وأشار عليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد ويذكرا له أمرهما ، وأنهما قدما يريدان نصرته ، فسار محمد ابن القاسم إلى بغداد ، وقعد بشير بن المنذر مع محمد بن بور ، فلما قدم محمد ابن القاسم المعتضد ، وذكر له الأمر ، واستخرج منه لمحمد بن بور عهداً على عمان[1] ورجع الى البحرين ، وأخذ محمد بن بور فى جمع العساكر من سائر القبائل وخاصة نزار ، وحصل معهم ناس من الشام من طيء ، فخرج يريد عمان فى خمسة وعشرين ألفاً ، ومعه من الفرسان ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ، عليهم الدروع والجواشن ، وعندهم الأمتعة وفى ذلك يقول كاتب محمد بن بور :

أمن مبلغ عنا عمان وأهلها مقالا تنقاه حكيم مجرب
بصير بأسباب التصرف نلبه يظن لك الظن الذى ليس يكذب
يرى فى وجوه القوم مافى قلوبهم ويعرف ما قالوا وهم عنه غيب

(١) ظهور الخيانة العظمى من هذين الرجلين ، بهذا الشكل الشنيع يدل على التغالى فى التسامح فى الكثير من الأئمة رحمهم الله والتغافل إلى حد لا يكاد يكون فرق بين الرئيس والمرءوس ، حتى استغل خونة الرؤساء وضعفة العلماء الذين لا يحسنون سياسة الملك ولا يقدرون أمره — هذه الديمقراطية لشهواتهم الذاتية ، وكان الحزم واليقظة الذين استعملهما الإمام المهنا رحمه الله هما الوسيلة الكفيله لصيانة الإمامة من عبث الخونة والضعفاء ، ولقد ظهر فى سياسة الشعوب عواصف هوجاء عصفت بالملوك والأئمة ، إذ استغل ارباب المكانة ديمقراطية الجالس على أريكة الملك للأغراض الخاصة ، وليس هذا الاستغلال خاصا بالرؤساء والزعماء بل كثيراً ما يكون العلماء وغير البصراء أداة لتقويض دعائم الملك بدعوى جور الإمام مثلا ووجوب البراءة منه ، ولقد مر عليك قريبا أن جهابذة بلغ بهم الأمر أن رأوا موجب البراءة من الإمام ولم يناصبوه صونا لكيان الأمة ، ووقاية الدولة من العواصف المدمرة ، بل اكتفوا بالحكم تنفيذا لحكم الله ، وبقوا على امداد الإمامة ، والعمل على صيانتها فرحمهم الله رحمة واسعة .

ألا فكلوا يا قوم من طيباتكم ... ومن أعذب الماء المبرد فاشربوا
واقضوا لبانات النفوس فانني ... أرى نعمة أسبابها تتقضب
كأنى بأهل الدين قد ندبوا لكم ... فوارس لا زالت لدى الرجل تطلب
فوارس من أبناء عدنان كلها ... لملك فتى العباس ترضى وتغضب

ثم اتصل الخبر بأهل عمان، فاضطربت عمان من كل جانب، ووقع الخلف والعصبية بين أهلها، فكانت النزارية ومن كان على رأيهم فى حزب، واليمانية فى حزب، وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم، وانتقضت الأمور عليه، فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنة، فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرموز وغير ذلك من البلدان. وخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى بولده وحرمه ومن خف معه من قومه، فركبوا البحر فى بعض السفن حتى قدموا إلى هرموز، فتحصل بها وأقام هناك إلى أن اتخذ بها دارا ومالا، وذلك حين بلغه ما وقع بعمان من جند ابن بور. وأقام بهرموز واتخذها وطنا إلى ان مات ثم ابنه المهدى بن سليمان وكان أميراً عليها إلى أن مات فبقية ولده بها، وبعضهم انتقل إلى عمان.

وقدم محمد بن بور بجنوده وافتتح جلفار، ووصل إلى توام يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر المحرم سنة ثمانين ومائتين، بعد حروب كانت بالرحا، واستولى على السر ونواحيها، وقصد نزوى، وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم، فخرج من نزوى إلى سمد الشان، ووصل محمد بن بور إلى نزوى وسلمت له نزوى، ثم مضى قاصداً إلى سمد الشان، فلحق عزان ابن تميم، فوقع بينهم الحرب والقتال، واشتد الطعن والنزال، وذلك يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من صفر من هذه السنة، وكانت الهزيمة على

أهل عمان ، وقتل عزان بن تميم ، وبعث محمد بن بور برأس عزان إلى المعتضد ببغداد ورجع محمد بن بور إلى نزوى وأقام بها .

ثم أن الاهيف بن حمحام الهنائى كاتب مشايخ عمان وقبائلهم من كل مكان يدعوهم إلى محاربة محمد بن بور وإخراجه من عمان ، ويحثهم على ذلك ، فأجابوه وأقبلوا إليه فسار بعسكر ضخم وخميس جرار يريد محمد ابن بور ، وخرج فيهم منير بن النير بمن تبعه من أهل جعلان ، وكان يومئذ ابن مائة وعشر سنين ، فبلغ ذلك محمد بن بور فدخل الرعب فى قلبه ، فخرج هاربا[1] فاتبعه الأهيف بعساكره ، وكان الرأى أن لا يلحقوه بل يسيروا خلفه رويدا رويدا حتى يخرج من عمان ، فيرجعوا عنه ، لكن لله إرادة ليقضى أمراً كان مفعولا ، فساروا مسرعين حتى لحقوه بدما ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح فى الفريقين ، وقد كادت تكون الهزيمة على محمد بن بور ، وقد ألجأوه على سيف البحر ، فبينما هم

---

(١) يدل هذا على أن دخول ابن بور اللعين عمان أول مرة ، كان بتفرق الكلمة وتخاذل أهل عمان ، وإلا فلا يمكن لابن بور أن يدخل تلك الإمامة العظيمة ، ولو جاء بضعف جنوده مرات ، وقد مر لك ذكر المصنف لافتراق أهل عمان إلى نزارية ويمانية ولما استعاد أهل عمان قوتهم بضم القوات وتوحدها ، رأى هذا العدو المجرم ما بهره ففر هاربا لا يلوى على شىء ، وكادت تكون عليه الدائرة لولا الامداد التى جاءته من الذين والوه من أهل عمان ، وهم السامية وغيرهم ، فنى مثل هذه الواقعة عبر بالغة لمن تدبرها ، فان عاقبة التخاذل الانحلال والفشل وقد قال الله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولما انتصر ابن بور أخيرا لم يرقب فى المؤمنين إلا ولا ذمة ، ولست ادرى كيف يطمن هؤلاء الناس على الازارقة والصفرية ، وهم يأتون أفعالهم حذو القذة بالقذة فى اقتالهم مع أهل القبلة ولكن الحق بعيد عن كليهما ولا جرم أن مدعى الشىء ليس كالكه نسأل الله أن يثبتنا على الصراط المستقيم .

كذلك إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمه وغيرهم من المضرية ، على كل جمل رجلان ، من قبل أبي عبيدة بن محمد السامى مدداً لمحمد بن بور ، فلما كانوا قريبا من العسكرين نزلوا عن رواحلهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وحملوا مع محمد بن بور على الأهيف وأصحابه عند إعياء الناس بعد ماكادت تكون الهزيمة على محمد بن بور فوقعت الهزيمة على أهل عمان وقتل الأهيف بن حمحام ، وخلق كثير من عشيرته ، وغيرهم ولم يسلم من أهل عمان إلا من تأخر أجله ، وقتل منير بن النير ، وهو أحد حملة العلم وهو من بنى ريام رضى الله عنه ، وكانت هذه الوقعة بقرب مسجد الجامع من دما من الباطنة وذلك يوم الأربعاء لست وعشرين خلت من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين ، وقال فى ذلك محمد بن دريد :

لا يفوت الموت منحدرا ... أبقاه الغاب والغيل
مقرع الاكناف ذو لبد ... مبرص الأوصال مجدول
ان دهرا فل حدهم ... حده لا بد مفلول
ما بكاهم ان هم قتلوا ... صبرهم للقتل تفضيل
انما أخبر الحرب بأن ... قد نالهم قوم أراذيل
نالهم من لا يحصله ... فى كرم القوم تحصيل
أعبد قن تصادرهم ... قوم أسود تبابيل
فروا للهرب طرده ... داما فيه تمهيل
بشيخ سالط ودم ... أخلصت منه السراويل
قيل والمقدار يحرسه ... فنجا والسرج مبلول

فلما انهزم أهل عمان رجع محمد بن بور على نزوى ، وجعل أعزة أهل عمان أذلة ، وقطع الأيدى والأرجل والآذان ، وسمل الأعين ،

وأحل على أهلها النكال والهوان ، ودفن الأنهار وأحرق الكتب (١)
وكان فلج الملكى من أزكى ، نهرا كبيرا يسقى حبوبا وله مائة وعشرون
ساعدا فخربته النزارية بعد أن ظهر محمد بن بور ، فكانوا يدفنونه وهو
يغلبهم ، فقالت لهم راعيته . عليكم بالصوف والشجر . فقال : خذوا
غنمها لما لم يقدروا على دفنه . والله أعلم .

---

(١) من أشنع الجرائم التى يرتكبها هؤلاء الظلمة ومن على طريقهم ، حرق كتب المسلمين ففعلهم كفعل الروم ، الذين كلما تغلبوا على قطر من اقطار الإسلام بادروا إلى حرق الكتب كما وقع فى الأندلس وغيره ، فكان هؤلاء شركاء اعداء الإسلام فى الجريمة ، فالتشنيع الذى يوجه إلى الاوربيين الذين احرقوا خزائن المسلمين يوجه إلى هؤلاء بالحرى ، وهكذا وقع لما تغلب الفاطميون على الإمامة الرستمية فإنهم احرقوا من خزائن الكتب ونفائس العلم ، ما لم يوجد نظيره ؛ وكفعل القرامطة لما تغلبوا على المسلمين ، فأنت ترى من هذه الحقائق التى سجلها التاريخ مبلغ الجرائم التى صدرت من أعداء العلم والدين فضيعوا كنوزهما الثمينة ، وفوتوا من ائمة التأليف كنوزاً لا تقدر بالثمن مهما بلغ وهذه سنة أعداء الحق كالمغوليين مع خزائن بغداد. ولله الحمد أن معين الإسلام لا ينضب فمهما سعى أعداؤه إلى قطعه تفجر من جديد ولا غرو فإن الينبوع الأصلى فى كفالة الله وحفظه .

باب أحوال عمان بعد حروب بن بور

وذلك أن محمد بن بور أراد الرجوع إلى البحرين ، فجعل على عمان عاملا رجلا يقال له أحمد بن هلال ، قال المسعودى : وهو ابن أخت الفتال وجعل أحمد عمالا على سائر أهل عمان ، وكانت إقامته ببهلى ، وجعل على نزوى عاملا يقال له بيحرة ويكنى أبا أحمد ، فقيل له ذات يوم أن أبا الحوارى ومن معه من الأصحاب يبرءون من موسى بن موسى ، فأرسل إلى أبى الحوارى جنديا فوجده الجندى وهو قاعد على محراب مسجد ابن سعيد المعروف بأبى القسام وهو مسجد الشجبى ، بعد صلاة الفجر ، يقرأ القرآن ، فقال ان أبا أحمد يقول لك سر إليه ، فقال أبو الحوارى ليس لى به حاجة . وأخذ فى القراءة ، فبقى الجندى متحيراً لايدرى كيف يفعل به ، حتى جاءه رسول بيحرة ، فقال له لاتحدث فى أبى الحوارى حدثا ، فرجع ولم يحدث فى أبى الحوارى حدثا ، وذلك ببركة القرآن العظيم ، وقيل أن الجندى قال إنما دعوته ليقوم لئلا يطاش دمه فى المحراب ، ولم يزل بيحرة عاملا على نزوى حتى قتلوه وسحبوه ، وقبره معروف عندهم ، أسفل من باب مؤثر قليلا ، فى لجية هنالك على الطريق الجائز التى تمر إلى فرق ، يطرحون عليه السماد والجذوع .

ووجدت أن الجبابرة تغلبوا على أهل عمان ، يسومونهم سوء العذاب أربعين سنة ، وذلك بعد حرب محمد بن بور ، ولعل هؤلاء الجبابرة كانوا من بنى سامة ، وهم عشيرة موسى بن موسى . ففى تاريخ ابن خلدون بعد ذكر عمان قال : وكانت بها فى الإسلام دولة لبنى

سامة بن لؤى بن غالب ، قال وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هذا النسب . أولهم بها محمد بن القاسم السامى ، بعثه المعتضد وأعانه ، ففتحها وطرد الخوارج إلى نزوى قاعدة الجبال ، وأراد بالخوارج المسلمين قال، وأقام الخطبة لبنى العباس ، وتوارث ذلك بنوه ، وأظهروا شعار السنة أى سنتهم ، قال ثم اختلفوا سنة خمس وثلاثمائة وتحاربوا ، ولحق بعضهم بالقرامطة ، وأقاموا فتنة ، إلى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطى ، سنة سبع عشرة ، عند اقتلاعه الحجر ، وخطب بها لعبيد الله المهدى ، وترددت ولاة القرامطة عليها ، من سنة سبع عشرة ، إلى سنة خمس وسبعين ، فترهب واليها منهم وزهده ، وملكها أهل نزوى ، وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض ، وبقيت فى أيديهم ، ورياستها للأزد منهم ، قال ثم سار بنو مكرم من وجوه عمان إلى بغداد ، واستخدموا لبنى بويه وأعانوهم بالمراكب من فارس ، فملكوا مدينة عمان وطردوا الخوارج - يعنى المسلمين - إلى جبالهم ، وخطبوا لبنى العباس ، ثم ضعفت دولة بنى بويه ببغداد ، فاستبد بنو مكرم بعمان ، وتوارثوا ملكها ، وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين ابن مكرم ، وكان ملكا جواداً ممدوحا قاله البيهقى ؛ ومدحه مهيار الديلمى وغيره ، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة فى الملك ، قال وفى سنة اثنتين وأربعين ، ضعف ملك بنى مكرم ، وتغلب عليهم النساء والعبيد فزحف إليها الخوارج (يعنى المسلمين) فملكوها وقتلوا بقيتهم ، قال وانقطع منها رسم الملك وصار فى حجار . والمراد بقوله وانقطع منها رسم الملك (يعنى قلهات) - أى انتقل رسم الملك من قلهات وصار الملك فى حجار - قال : وحجار فى شمالها إلى البحرين بينهما سبع مراحل ، قال : وهى فى جبال منيعة فلم تحتج إلى سور قال : وكان

ملكها سنة ثمان وأربعين زكريا بن عبد الملك الأزدى من ذرية رياسة قال : وكان الخوارج بنزوى مدينة الشراة يدينون لهم ويرون أنهم من ولد الجلندى اه كلامه والله أعلم بما ذكر .

وليس لبنى مكرم ذكر بعمان ، ولا نعرف من هم ، ولكن أهل عمان يذكرون فى كتبهم تغلب سلطان الجور عليهم بعد حروب ابن بور ، وهم مع ذلك ينصبون الأئمة ويدفعون العدو والأيام دول والحرب سجال .

فيوم علينا ويوم لنا ۞ ويوماً نساء ويوماً نسر

وفى بعض التواريخ أنهم عقدوا الامامة على محمد بن الحسن بنزوى بعد قتل بيحرة فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وذلك بعد حروب ابن بور بسنتين وبعض الأشهر ، ثم تتابعت الأئمة بعد ذلك ، والسلطان الجائر يحاربهم ويقاومونه ، ويغلبهم ويغلبونه حتى فرج الله ورجعت إلى المسلمين قوتهم ولله المنة وله الحمد كثيراً

وفى سيرة محمد بن روح رحمه الله أن القرامطة جاءوا إلى عمان فى إمامة عمر بن محمد بن مطراف الحدانى وأنه اعتزل من بيت الإمامة وأن القرامطة رجعوا إلى البحرين ، وفى الأثر مايقتضى أن ذهاب دولة القرامطة من عمان فى أيام أبى المؤثر ، وأنه أمر بحرق بيوتهم فقال له قائل إن كان القوم مسلمين فلا يجوز حرق بيوتهم وإن كانوا مشركين فبيوتهم فىء المسلمين ولايجوز حرقها بعد ذهابهم فأعرض عنه ، وقال : لابد للقوم من مخاصم أحرقوها لئلا يرجعوا إليها ، وهذا يقضى أن ذهاب القرامطة من عمان قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون فى تاريخه ، لأن أبا المؤثر كان قد أدرك إمامة المهنا ، وإمامة الصلت ، وعاصر راشداً وموسى من بعدهم وهو يومئذ ممن يؤخذ عنه العلم ، وكان رجلا قد أخذ فى السن ، وقد مات قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون فى ذهاب

القرامطة ، لأن المذكور فى إمامة أبى القاسم سعيد بن عبد الله أن من العاقدين عليه ولد ولد أبى المؤثر ، وقد استشهد الإمام سعيد فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وذلك قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون بكثير من الأعوام ، اللهم إلا أن يقال إن القرامطة رجعوا بعد تحريق بيوتهم فى أيام أبى المؤثر ، ثم ذهبوا بالكلية فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة والله أعلم بحقيقة الأمر .

والقرامطة قوم من الشيعة نسبوا إلى حمدانقرمط ويقال لهم الباطنية لأنهم زعموا أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وأن من وصل إلى معرفة باطن القرآن انحطت عنه التكاليف كلها ، وزعموا أنه لافرق بين هذا الواصل وبين من كان فى الجنة فابطلوا شرائع الإسلام ، وكان ذلك أعظم مطلبهم لأنهم كانوا من المجوس ، وذكروا ماكان لهم من دولة وعزة وأنها ذهبت بدولة الإسلام ، فحسدوا المسلمين وعملوا لهم المكائد وأضلوا ضعفاءهم ، وظهرت لهم دولة وصولة وقوتهم بالبحرين فى قرية يقال لها جنابة وغزوا العراق وعمان والحجاز واقتلعوا الحجر الأسود يريدون أن يجعلوه فى بيت لهم قرب القطيف فموضعه الآن يقال له الكعيبة يصرفون العرب إلى حجه كما صنع ذلك الحبشى صاحب الفيل باليمن إذ بنى كنيسة ليصرف الناس إلى حجها دون الكعبة فجاء رجل من كنانة فتغوط بها فغضب الحبشى وأجمع على هدم الكعبة فرد الله كيده فى نحره وكان مسيره وبالا عليه والله أعلم .

ثم ان قائمة من كلب اليحمد عقد له فى حياة الصلت بن القاسم ، ثم عقد فى حياة عزان بن الهزبر لعبد الله بن محمد الحدانى المعروف بأبى سعيد القرمطى ، وذلك من قبل أن يعلم منه رجوع عن دعوة المسلمين إلى بدعة القرامطة ، ثم عقد فى حياة أبى سعيد القرمطى قبل أن تعلم بدعته

للصلت بن القاسم ثانيـة ومات الصلت بن القاسم من غير اعتزال عن الإمامة ، ثم بويع من بعده للحسن بن سعيد السحتنى النازل نزوى أخى بنى ثعالة فلبث فى الإمامة أقل من شهر على ما سمعنا ثم مات على غير اعتزال عن الإمامة ، ثم عقد للحوارى بن مطرف الحدانى النازل نزوى وبويع على ما بلغنا على المدافعة ، وكان فى البلد آخذاً على أيدى الفساق من سفهاء أهل عمان أخذاً شديداً ، وكان إذا جاء السلطان إلى نزوى يجبى من أهلها اعتزل من بيت الإمامة إلى منزل نفسه من نزوى فإذا خرج السلطان من نزوى رجع هو إلى بيت الإمامة ووضع تاج الإمامة على رأسه وقال لمن حوله لا حكم إلا الله ولا طاعة لمن عصى الله ، وكان قائماً له بالأمر عند السلطان قوم من بنى سامة فيما أحسب فلم يزل الحوارى على ذلك إلى أن مات من غير اعتزال عن الإمامة وعذر المدافع عند المسلمين غير عذر الشارى ، ولا عذر عندنا لأحد إلا من عذره الله ، ثم عقد من بعده لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف وكان على نحو سبيل عمه إذا جاء السلطان اعتزل من بيت الإمامة ، ثم جاءت القرامطه بعد ذلك وعمر ابن محمد فى الحياة ورجعت القرامطة من عمان إلى البحرين وهو حى فلم يرجع إلى بيت الإمامة ، ثم كان من بعده فترة فى سنين عن عقد الإمامة ، ثم عقدوا لمحمد بن يزيد الكندى النازل سمد نزوى وبايعوه على ما بلغنا على الدفاع ، واعتل عليهم عند البيعة بأنه رجل عليه دين أهل الإحساء من أهل بيت ابن مقرب قاموا على القرامطة وحاربوهم سبع سنين حتى انتزعوا الدولة منهم وفى ذلك يقول بن مقرب من قصيدة له طويلة :

سل القرامط من شظى جماجمهم	فلقا وغادرهم بعـد العلى خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم	وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها	أرض العراق وتغشى تارة أدما

وحرقوا عبد قيس فى منازلهـا وصيروا العز من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
يوما بنوا مسجداً الله نعرفـه بل كلما أدركوه قائمـاً هدما
حتى حمينا على الإسلام وانتدبت منا فوارس تجلو الكرب والظلما
وطالبتنـا بنو الأعمـام عادتنا فلم تجـد بكماً فينـا ولا صمما
وقلدوا الأمر منا ما جدا نجدا يشفى ويكفى إذا ما حادث دهما
ماضى العزيمـة ميمون نقيبته أعلى نزار إلى غاياتهـا هممـا
وسـار تتبعـه غـر غطارفة لو زاحمت سد ذى القرنين لانهدما

باب الأئمة المنصوبين فى هذه الفترة

وهى وقت تغلب بنى سامة على عمان بواسطة سلطان الجور خليفة بغداد قال أبو عبد الله محمد بن روح بن عربى من تلك الأئمة محمد بن الحسن الخروصى النازل فشح من أودية الرستاق وهو من اليحمد ، قال بويع على الشراء فيما بلغنا وكان إماماً شارياً ثم انه اعتزل عن الإمامة ، وبايع أهل عمان من بعده لثمانية أئمة ، منهم من بويع على قطع الشرى فيما بلغنا ، ومنهم من بويع على الدفاع ، ومن تلك الأئمة الثمانية الذين بويعوا على الإمامة من بعد اعتزال محمد بن الحسن عنها الصلت بن القاسم الخروصى النازل نزوى ، ثم من بعده عزان بن الهزبر المالكى فلم يبايعهم على الشراء ثم إن السلطان تغلب على البلد وهرب محمد بن يزيد من محاصرته للسلطان بعسكرين عسكر بالسر وعسكر بالاعتاك ، ثم عقد من بعده فى حياته للحكم بن الملا البحرى النازل بسعال ، قال بن روح فلا نعلم أن إماماً كان من أهل القبلة مثله فى الضعفة والوهنة مسلما ولا مجرما ، قال ثم أن الحكم ابن الملا اعتزل عن الإمامة وأقام السلطان عسكراً بنزوى إلى هذه الغاية (يعنى الوقت الذى هو فيه) .

وقال أبو الحوارى : نحن نبرأ من أبى سعيد القرمطى ، ونبرأ ممن تولاه ، ونبرأ ممن وقف عنه ، ونبرأ ممن شك فيه بعد رجوعه من السوق إلى نزوى ، قال : وأما عقد إمامته فلا نقول فيها شيئاً وأما من بعد خروجه من نزوى ورجوعه إليها من بعد دخوله فى القرامطة فنحن نبرأ منه من بعد ذلك إلى هذا اليوم ، وممن تولاه وممن وقف عنه وممن شك فيه قال : ولا ينبغى لعاقل أن يناظر فى أبى سعيد ولا فى عقد إمامته ،

قال وإنما كان يشبه لعب الصبيان فمن تكلم فى ذلك فينبغى أن يعرض عنه ويمقت ولا يلتفت إليه . قال : وهذا من كلام السفاهة والحمق والضلالة .

وقال أبو سعيد هذا القول معناه خاص فيمن علم من أبى سعيد ما يستحق به العداوة وعلم ممن تولاه أنه تولاه على ما لا تسعه ولايته عليه ، وعلم ممن شك فيه أنه شك فيه بعد أن علم منه ما لا يسعه الشك فيه عليه .

وقال أبو الحوارى : إن عثمان بن محمد بن وائل ويزيد بن حماد السعالى بايعا محمد بن يزيد إماما ، وقد كان مع من خرج على الصلت بن مالك ، وكان من أصحاب راشد ، وكان واليا له على سمائل والعلفة يعرف ذلك الخاصة والعامة ، وقال يزيد بن حماد وأبو عبد الله بن النعمان ومحمد بن عبد الله أنهم اجتمعوا فى المسجد منهم عثمان بن محمد بن وائل وأبو عبد الله بن النعمان ويزيد بن حماد ومحمد بن عبد الله ومحمد بن خالد بن يزيد وكتبوا بإمامة محمد بن يزيد إلى الرستاق ، وخرج عثمان بن محمد بن وائل وعلى ابن محمد بن على إلى الأعتاك يدعوان إلى نصرة محمد بن يزيد فيما سمعنا ولابى المؤثر وأبى قحطان كلام فى هؤلاء الأئمة وفيمن بايعهم .

قال أبو المؤثر : قدموا راشداً يعنى ابن النظر إماماً ثانيا على غلطه وخطئه ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقام الصلت بن القاسم إماما ثم قدم عليه حمويه الفاسق ففر عنه فلم يذب عن الحريم ، فلما قضى حمويه غشمه وظلمه رجع الصلت إلى موضعه فأنفذ الأحكام وجبى الصدقات وولى الولاة وصلى الجمعة إلى أن رجع حمويه ثانية ففر الصلت بن القاسم لحاصره فدفع الله شر حمويه فانقلب صاغرا ولم يدخل الجوف ، وكان فعل الصلت بن القاسم فى هذا أحسن من فعله فى المرة الأولى فلما أحسن فى فعله رجعوا عليه فبرءوا منه وخلعوه وكتبوا إلى المسلمين كتاباً قال :

فالعجب من ذلك أنهم رضوا به إماماً فى أسوأ فعله إذ فر وخلعوه وهو محسن إذ دفع الله به شر حمويه عنهم فهذه عجيبة من العجائب ، قال ثم عادوا فقدموا الصلت ثانية فالعجب منهم ومن الصلت ، فإن يكونوا مخطئين فى عزله وفى خلعه فقدكان ينبغى أن لايتخذهم وزراءه ، ولا يؤمنهم على البيعة . ولا يقربهم فى مؤازرته إذ خلعوه ، وهو مصيب وهم مخطئون ، وإن يكن الصلت مخطئا فالعجب منهم إذ رجعوا إليه وردوه إماما على خطئه . وإن قالوا قد تبنا واستتبناه فقد اتخذوا دينهم لهواً ولعباً إذ يظهرون الخطيئة ويبطئون التوبة . وقد عظم خطؤهم على لبسهم الأمور بعضها ببعض ، ولبس الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون .

فاتقوا الله يا أهل عمان وارجعوا إلى ربكم يعدالله عليكم وادخلوا فى الباب الذى خرجتم منه وارجعوا إلى الأصل الذى تفرقتم عنه ولدين الله الذى لاعوج فيه وللحق الذى لا باطل معه وللعدل الذى لا يشوبه الجور وتعاونوا على البر والتقوى ، وكونوا بنى الاسلام والقوا عنكم الحمية والعصبية ، ولا تعازوا بالعشائر وليكن عزكم بالله وبدينه ، وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ودعوا عنكم اللجاج ، واخضعوا للحق ، وتواضعوا له ، وانزلوا المحدثين حيث أنزلوا أنفسهم ، واجتمعوا وتكاتبوا ، وتداعوا إلى وطء آثار أسلافكم ، قال فإذا اجتمعتم فبايعوا إماما من أحزمكم على الخير وأصبركم على الجهاد وأبعدكم عزما وأوفاكم على أمر الله عهدا ثم انصروه ، بأموالكم وأنفسكم ، فقد تعلمون أنه لم يبق من الجور شيء أمراء ظلمة وأجناد غشمة وقطاع الطريق قد صدوا الناس عن أسفارهم وقضاء حوائجهم ، وفساق القرى قد استطالوا على الناس يسفكون دماءهم ويغصبون أموالهم ، ويروعونهم فى منازلهم ، قال ثم داهية هى أعظم وأفحش كفراً قوم يدعون إلى تكذيب رسول الله صلى الله عليه

وسلم (يعنى القرامطة) يدعون إلى تحريف تأويل القرآن لم يمكنهم ابقاء التأويل والتنزيل معاً فجعلوا يبطلون التأويل ويحرفون الكلم عن مواضعه لأنهم متى حرفوا تأويله وسموه بما لم يسمه الله قصدوا إلى إبطال تنزيله، وفى الحق عليكم أن تدعوا لإبطال ذلك وتتفرغوا لدينكم وأحسابكم لأنهم يستحلون فيما بلغنا قتل الأطفال وسبى الحرم، ويضربون الأمثال فى ذلك ويقولون إذا قتلت العقرب فلك أن تقتل أولادها يتأولون دعوة نوح عليه السلام على قومه « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا » يقصدون إلى أهل الجفا، ومن يستحل أكل أموال الناس بغير دين فكيف إذا منوهم الخلود، ووعدوهم استباحة القرى فالله الله قبل أن تنزل بكم العقوبة فليجتمع منكم عشرون رجلا إلى هؤلاء القوم فيسألونهم عما يدعون إليه، فإن ناظروكم فناظروهم وإن طووا عنكم فادعوهم وأجيبوهم ولا تأمنوا أن يجمعوا عليكم الأعراب واللصوص وقطاع الطريق ثم يبيتوا على قرية من قراكم فيستبيحونكم، ويغلظ جمعهم بالفساق ثم يعسر عليكم دفعهم فأدركوا قبل أن يفوتكم الأمر وتندموا على مافاتكم، وقد أعذرنا إليكم ونصحنا كم والله شاهد على مانقول ويقولون

قال أبو قحطان: رجعوا إلى راشد يعنى ابن النظر بعد أن كان فى السجن خليعا مقيداً محبوساً أسيراً فعقدوا له إماما وقصروا الجمعة وجبوا الزكاة وباع راشد الصوافى ثم خذلوه وتركوه ثم خلعوا معه الإمامة وفرضها وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا كلما أرادوا صافقوا رجلا ببيعة ثم خذلوه حتى بايعوا ست عشرة بيعة أو أكثر، لم يفوا لله بواحدة ولا ساروا بحق الإمامة، ولا اتبعواهم ولا من قدموه فى بيعتهم سبيل

الأسلاف من المسلمين ، قال بايعوا راشد بن النظر بيعتين ، وبايعوا عزان ابن تميم ، وبايعوا الصلت بن القاسم بيعتين ، وبايعوا الحوارى بن عبد الله ، وبايعوا أبا سعيد القرمطى ، وبايعوا محمد بن الحسن ، وبايعوا الحسن بن سعيد ، وبايعوا الحوارى بن مطرف بيعتين ، وبايعوا عمر بن محمد بن مطرف ، وبايعوا محمد بن يزيد ، وبايعوا الحكم بن ملا بيعتين ، وبايعوا عزان بن الهزبر ، قال : ولم نكتب بيعتهم أولا فأولا وإنما سميناهم . قال وعزان بن الهزبر كانت بيعته قبل بيعة الحكم بن ملا وغيره ، قال فأما عزان بن الهزبر فلسنا ننقم عليه فى بيعته أكثر من أنه لما ولى الأمر لم يظهر دعوة المسلمين ولم يظهر دينه للناس ، وكان من أهل دينه وممن يخالفه فى عسكره مجتمعين على غير بيان ، والحق واحد والمسلمون لم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز [1] وقد كانت سيرته محمودة معهم إلا أن يظهر دين المسلمين ، ولم يقبلوا منه غير ذلك والآخر تبع للأول ، قال وإذا جاز لعزان الإمساك جاز لغيره قال : وقولنا فيه قول المسلمين ثم نعت الناصبين لهم ، بأنهم ممن غير أثر الاسلاف ، واتخذ رأيه وهواه دينا ويقدمون رجلا ويسمونه بالإمامة

---

(١) قوله لم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز الخ وذلك حين وفد عليه وفد أصحابنا رحمهم الله وفاوضوه فى أمر الأمة وما تركه خلفاء الأمويين من المظالم وبينوا له ما هم عليه من الحق وكلموه فى فتنة الصحابة التى هى الأصل فى تشعب الأمة فقبل منهم كل شىء ووافقهم على كل شىء إلا فى مسألة الصحابة فكان رأيه السكوت عنها فقالوا له يجب عليك إظهار الحق وإعلانه دفعة واحدة فقال لهم لكم على أن أحيي كل يوم سنة وأميت بدعة . أما اعلان الحق مرة واحدة فلالأنى أخشى أن تنتقض الأمة وكان الوفد شديدا عليه فى هذه المسألة والتى قبلها ولكنهم متفقون معه فيما سوى ذلك وعلى أثر محادثته للوفد أبطل شتم على على المنابر وجعل بدله قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية .

ويقصرون الصلاة خلفه ويجبون الجزية والزكاة حتى إذا خرج عليه ، وعليهم العدو خذلوه وأقام من أقام منهم مع من خرج عليه من الاجناد ، يحث فى إصلاح البلاد والقيام بالخراج وعدد الأموال حتى إذا خرج السلطان قدموه أو غيره إماماً وخطبوا له الخطب ودعوا له بالإمامة وقصروا الصلاة يعنى الجمعة وجبوا الزكاة قال فهم يخلفون الجائر على الرعية يجبونهم فالسلطان يجبى حيناً وهم يجبون حيناً فقد اجتمعت جبايتهم وجباية الأجناد فى أيام الحوارى بن مطرف ، قال وما نعرف هذا من آثار الأسلاف وفى آثار أسلافنا أنهم قالوا ولا نجبى جزية ولا صدقة حتى نكون على الناس حكاما ولا نبعث جباتنا يجبون أرضاً لم نحمها ، ولم يجر فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبينا من الظلم والعدوان ، قال بهذا ندين ومن خالف المسلمين برئنا منه انتهى تلخيص ما أردنا نقله من كلام أبى المؤثر ، وأبى قحطان ، وفيه من النقد ما فيه والله أعلم بحال أولئك الأئمة ، وبحال أولئك العاقدين ، وكلام أبى الحوارى ، ومحمد بن روح ، أهون حالاً من قولهما وما غاب عنا علمه فلا يلزمنا حكمه والله أعلم .

باب إمامة الإمام سعيد

هو سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل الجنة مستقرهم ومثواهم ، وهو من ولد محبوب بن الرحيل بن سيف ابن هبيرة القرشى ، قالوا وسيف بن هبيرة هذا فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بايعه المسلمون بعد تلك البلايا والمحن وجمع الله به الشمل ، وأراح به العباد ، وأحيا به البلاد ، ولم أجد فى شىء من السير تاريخاً لوقت بيعته غير أن ظاهر الحال يقضى بأن بيعته كانت فى السنة العشرين بعد الثلاثمائة وذلك أنى وجدت أن أهل عمان بَقُوا في هوان من الجبابرة أربعين سنة وذلك بعد وقعة بن بور ، وكانت الوقعة فى سنة مائتين وثمانين فتم الأربعون بدخول العشرين بعد الثلاثمائة ، وسعيد بن عبد الله ممن أجمع المسلمون على ولايته وإمامته فلم يطعن فيه طاعن ، ولم يقدح فى سيرته قادح ، وأول من عقد له الإمامة أبو محمد الحوارى بن عثمان ثم أبو محمد عبد الله ابن محمد بن أبى المؤثر ، ثم محمد بن زائدة السمائلى .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : ان بيعة الإمام أبى القاسم سعيد بن عبد الله جرت على الدفاع لاعلى الشراء ، وكان يثنى عليه فى العلم مالا يبلغ إلى صفة ذلك .

وقال محمد بن روح : كان الإمام سعيد بن عبد الله أعلم الجماعة الذين كانوا معه قال أبو سعيد وقد كان معه أبو محمد الحوارى بن عثمان ، وعبد الله بن محمد ، ومحمد بن الحسن ومحمد بن زائدة مع نفر لاينكر فى الدار فضلهم ، ولا يجهل عدلهم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر رحمه الله : لا نعلم فى أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله إلا أن يكون الجلندى بن مسعود .

قال أبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبى بكر ان الإمام سعيد بن عبد الله أفضل من الإمام الجلندى بن مسعود قال أبو سعيد وما أحقه بذلك فإنه كان إماماً عادلا صحيح الإمامة ، من أهل الاستقامة عالماً فى زمانه ، لعله يفوق فى العلم أهل زمانه أو كثيراً منهم ، ومع ذلك قتل شهيداً رحمه الله وغفر له ونحوه قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إلا أنه وقف فى تفضيله على الجلندى . قلت ولا أعدِلُ بالجلندى إماماً فى عمان فإنه قد جمع الصفات الثلاث : العلم والعدل والشهادة مع ماجمع الله له من الصفات التى لا تكاد توجد فى غيره ، فرحم الله تلك الأوصال ورضى الله عنه وعن أئمة المسلمين .

قال أبو سعيد : فتظاهرت الأمور معنا من أهل الدار ممن ينتحل نحلة الحق على الإجماع على ولاية الإمام سعيد بن عبد الله رحمه الله وهو ولينا وإمامنا إن شاء الله . وكان من عدله وضبطه للرعية رضى الله عنه ، مايحكى أنه ركض بقومه على حجرة بنزوى فاستفتحها وفقد أهلها بعد خروج القوم رُزَّة باب وشكوا إليه ، فطلبها حتى أتى بها بعينها وردها إليهم ، ويوجد أن حلقة حديد فى رزباب قلعت من معسكر أصحاب يوسف بن وجيه فاتهم رجل أنه قلعها فحبسه الإمام سعيد بن عبد الله وكان ذلك بنزوى ، ويوسف بن وجيه هو السلطان الذى حاربه الإمام ، حتى غلب عليه وظهر الحق على رغم الأعداء وسيأتى ذكره فى باب الجبابرة وللامام إليه كتاب يذكر فيه حسن سيرة المسلمين فى محاربته

وذكر له فيه أمر الحلقـة التى حبس المتهم بها ، ويأتى ذكر طرف من الـكتاب عند ذكر يوسف بن وجيه إن شاء الله تعالى ، وقيل ان أباسعيد رضى الله عنه كان خزّانه على المحبوسين منذ بلغ الحلم ، وكان لأبى سعيد يومئذ نخلة وخمرة وهى شجرة العنب قيل انه يأكل من تمر النخلة بلا خبز ولا حلاء ، وله ثلاث نسوة موسرات لا يأكل من ما لهن شيئاً ، وقد أخذنه لأجل علمه وأحسب أنه كان يقسم ثمرة النخلة على السنة ، والخمرة للـكسوة فيما قيل . هذا هو الزهد لمن عقله ، هذا خازن السجانين ، فما ظنك بأمراء الجنود وولاة القرى ، وقضاة الأحكام ، بل ما ظنك بالإمام :

رضوا من الدنيا بقوت الأكل ... وَفارقوا الغيد ذوات الكلل

لم تختلبهم بالعيون النجل ... ولا بفضفاض نعيم دغفـل

ولا سماع من غناء زجـل ... صم عن اللهو وقول الهزل

قد ألفوا كل علندى أفتل ... عالى التليل أرحبى عنسـل

يخشونه كل نجاد جرول ... وكل مطموس الصوى من الفل

فى طلب الفضل وفى التفضل ... وعز دين الله بالترحل

إلى أولى البسطة والتطول

ونحو هذا ما يحكى عن أبى الحوارى أنه كان فقيراً يأكل ثمر الأثب زهداً وتعففاً (والأثب شجر ينبت على الأودية وعلى جوانب الجبال وهو غير مملوك) وربما قبل صدقة بعض إخوانه فيبيعها ويشترى بها حلا للسراج ونحوه ما يوجد فى بعض آثار المسلمين ، أنه بخط يحى بن أبى زكريا قال أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عمرو بن أبى الأشهب أنه كان بقرية منح رجل عفيف له نخلة واحدة وكان يغدو إلى خارج البلد يصلى ما شاء

الله ، فإذا أراد أن يعود حمل قفيز سماد نجعله تحتها ، فإذا حملت فأدركت عد ثمرتها وقسمها على السنة ، وجعل لكل يوم شيئاً معلوماً ، يأكله بلا إدام ولا خبز ، وكان ذلك دأبه ولا يأكل غيرها ، وكان أبداً صائماً حتى مات ، قال وبلغنى أن النخلة بقيت إلى أيام الخليل بن شاذان وأن مركز أمتها بلغت الجزرة الأولى إثنى عشر جذعاً ، وقيل ان بعضهم كان يأكل ورق الأشجار زهداً وتعففاً ، ويوجد أن الإمام سعيد رضى الله عنه كان فى بعض أسفاره فأخر الظهر إلى العصر ، ونسى أن يجدد النية فى تأخيرها لقصد الجمع ، وأنه كفر عن ذلك التأخير . ومن المعلوم أن الناسى معذور فالتكفير منه رضى الله عنه زهد وورع ، وهو نظير ما يحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أخر المغرب يوماً إلى أن ظهرت ثلاث نجوم فأعتق ثلاثة أعبد ما أشبه الآخر بالأول وما أشبه الليلة بالبارحة ، ورأى رضى الله عنه قوماً كان قد عاقبهم فى شىء فرآهم فى الشمس وكان قد غفلهم أمين السجن فغضب ، وقال فى الشمس أمانتى أو نحو هـذا من كلامه ، واستشهد رضى الله عنه فى وقعة بمناقى فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ولم أجد ذكر هذه الوقعة فى شىء من الكتب ، وما ذكره فى كشف الغمة وغيره فى سببها فتلك قضية أخرى وقعت بالغشب من الرستاق فى إمامة راشد بن الوليد ، قتل فيها عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر ، وسنذكرها فى محلها إن شاء الله تعالى ، فإن صح ما تحريناه فى أول إمامة أبى القاسم أنها كانت فى سنة عشرين وثلاثمائة فإن إمامته رضى الله عنه تكون ثمان سنين وإن لم يصح ذلك فالله أعلم بذلك وبغيره ، وقيل لما قتل الإمام سعيد بن عبد الله رحمه الله ، لم يزل الباقون من شراته على ما هم عليه من قطع الشرى والله أعلم

باب إمامة راشد بن الوليد
رضى الله عنه

وكانت بعد إمامة سعيد بن عبد الله ، ولعدم التواريخ لم أقف مع شدة البحث على وقت العقد له ، ولا على وقت وفاته ، ولا على ذكر شىء من حروبه ، ولم أجد ذكر نسبه إلا ما وجدت فى بعض القراطيس غير الموثوق بها أنه كان كنديا وما كان معولهم على الأنساب بل على التقوى ، والفضل والعلم والورع ، وقد أطنب أبو سعيد رضى الله عنه فى وصف راشد بن الوليد فقال :

كان رحمه الله لرعيته هينا رفيقاً بآرائهم ، شفيقاً غضيضاً عن عوراتهم ، مقيلا لعثراتهم ، بعيد الغضب عن مسيئهم ، قريب الرضا عن محسنهم ، مساوياً فى الحق بين شريفهم ودنيئهم وفقيرهم وغنيهم ، وبعيدهم وعشيرهم ، منزلا لهم منازلهم ، متفقداً لأمورهم وأحوالهم ، مشاوراً منهم لمن هو دونه ، قابلا من مشاورتهم ما يأمرونه به يتجشم من رعيته الصبر على المكروب ، ومفارقة السرور والمحبوب ، ويصبر منهم على الشتم والأذى ، ويسمع منهم الخنا والقذى ، قال وكان ظاهر الإيمان عليه شواهد الفضل والإحسان ، ناهياً عن الشر والبهتان ، صادق الفعال واللسان ، ورعا عن المحارم ، مجتنباً عن المآثم ، عاملا بما علم ، سائلا عما نزل به ولزم ، متواضعاً لمن هو فوقه ، متعطفاً على من هو دونه ، كاظما للغيظ ، بعيد الغضب ، سريع الرضا ، محتملا للأمة ، حريصاً على إصلاح المسلمين ، رءوفا رحيما بالمؤمنين ، متوشحاً بكريم الأخلاق ، صبوراً عند مضائق الخناق ، مستقيما

على الحقيقة قاصدا قصد الطريقة فرحم الله تلك المهجة وتلك الأوصال وتفضل علينا وعليه بالمن منه والأفضال وجمعنا وإياه على جزيل ثوابه وكرامته، وفعل ذلك لكل مؤمن ومؤمنة إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم .

هذا كلام أبي سعيد فى نعته والترحم له وناهيك برجل يثنى عليه أبو سعيد هذا الثناء، ثم ذكر من سيرته ما سنذكره ، ولولا أن أبا سعيد ذكر هذا الطرف من سيرته لغاب عنا علمه كما غاب عنا علم غيره من الأئمة ، وذلك كله لإهمال التاريخ وقلة الاعتناء به وإن للتاريخ فضلا عظيما لا يقدر قدره ، قال أبو سعيد : كانت بيعة راشد بن الوليد رحمه الله على الدفاع . قال : وأول من بايع له أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر مع جماعة معهم فى زمانهم كأمثال المبايعين لسعيد بن عبد الله ، ثم ذكر منهم أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن أبي شيخة ، وأبا عثمان رمشقي بن راشد ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبا المنذر بن أبي ابن محمد بن روح ، قال : وقد كانوا عرفوا من بعضهم لبعض تعاتبا فى أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر ، فلما عزموا على عقد الإمامة لراشد ابن الوليد تداعوا إلى الاجتماع على سبب يعرفونه فى ذلك فاجتمعوا هم وغيرهم إلا أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد فإنه لم يحضر ذلك قبل العقدة ، فاجتمعوا فى بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد ، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر ، فاجتمعوا جميعا على أن الواقف عن موسى وراشد والمتبرى منهما جميعا فى الولاية ، وأنهما جميعا مؤتمنان على دينهما فى ذلك لم نعلم من أحد منهم أنه برىء بغير حق أو وقف بغير حق ثم بايعوا

الإمام راشد بن الوليد على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى الجهاد فى سبيل الله وعلى سبيل الدفاع ، وعلى اتباع سبيل أئمة العدل قبله قسطا وعدلا ، قال : وعلى هذا بايعه أبو محمد عبد الله بن محمد فى المنزل الذى كان ينزل فيه من نزوى ثم بايعه من بعده أبو مسعود على نحو ما بايعه أبو محمد ، وبايعت الجماعة على نحو من ذلك ، وقبل منهم البيعة وخرجوا على الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمان من نزوى ومن سائر أهل القرى من شرق عمان وغربها من أهل العفاف منهم والفضل والجاه والرياسة مستمعون لذلك مطيعون لا يظهر لأحد منهم كراهية ولا نكير ، ثم قام بأبو محمد عبد الله بن محمد بن شيخه خطيباً على رأسه بين الجماعة فخطب له خطبة الامامة وأخبر الناس بأن الجماعة قد بايعت له على الإمامة وأمر الناس بالبيعة له فبايعوا له شاهراً ظاهراً ، قال : وكان ممن يبايع له ذلك اليوم بحضرته عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر وعبد الله بن محمد بن شيخة يبايع ناحية ، قال : وأرجو أن أبا مسعود كان يبايع له ناحية وغيرهم من الناس ، قال : ودخل الناس فى بيعته أفواجا ووفد إليه على ذلك الوفود وأخذ عليهم المواثيق والعهود ، قال : وبعث العمال والولاة فى القرى والبلدان فلم يعترض عليهم أحد ، قال فصلى : بنزوى الجمعات وقبض هو وعماله الصدقات ، وجهز الجيوش وعقد الرايات ، وأنفذ الأحكام وجرت له فى ما شاء الله فى المصر الأقسام ، قال : ولم تبق بلد من بلاد عمان لم يغلبوا عليها السلطان إلا وجرت فيه أحكامه وثبتت عليهم أقسامه وأقر فى ظاهر الأمر أنه إمامه من غير أن يظهر منه فى شىء من سيرته ولا علانيته ولا سريرته شدة ولا غلظة يخاف بهاويتقى ، ولا هوادة

ولا ميل يطمع فيه بذلك ويرتجي ، فيصانع عن تقية أو يخدع لطمع ورجية ثم وصفه بما تقدم ، وذكر أن أبا محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر قتل في وقعة الغشب من الرستاق في سيرة الإمام راشد بن الوليد وفي طاعته ولم يذكر قصة الوقعة ، ولعلها هي التي ذكرها غيره وجعلها سببا لقتل الإمام سعيد بن عبد الله في مناقي ونذكرها هنا لأنها أنسب بالمقام وفي الظن أنها هي السبب في قتل عبد الله بن محمد وإنما اشتبهت القصتان على الناقل ، قيل أنه كانت امرأة من أهل الغشب من الرستاق مروحة حبا على الشمس فجاءت شاة فأكلت من الحب فرمتها بحجر فكسرت يدها ، فجاءت صاحبة الشاة فجعلت تضرب المرأة التي رمت الشاة ، فاستغاثت بجماعتها فجاء أحد من جماعتها ، وجاء أحد من جماعة الأخرى ، فكان كل فريق يثيب فريقه ووقعت بينهم صكة عظيمة فجاء الإمام ومعه أحد من عسكره على معنى الحاجزين بين الفريقين ، فقتل في تلك المعركة والله أعلم

وذكر في بيان الشرع كتابا عن الإمام راشد بن الوليد إلى عامله الحكم ابن كبيش . عنوان الكتاب : « من الإمام راشد بن الوليد إلى عامله الحكم بن كبيش ، ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم (من الإمام راشد بن الوليد إلى عامله الحكم بن كبيش ، سلام عليك ، أما بعد ، عافانا الله وإياك من النار برحمته ، قد علمت رحمك الله ما كان في يد محمد بن شريح من الصوافي أيضاً من أن حصادها قد آن ، فاذا جاء وقت ذلك فأحضروا حصى سلعن ما يصلن [1] ، ويكون الحب مع ابراهيم بن محمد ابن ابراهيم ، وتعرفني حتى آمرك في ذلك ما تعمل لحسبه ان شاء الله)

---

(١) كذا في الأصل

ومكتوب الجواب فى ظهر الرقعة : (بسم الله الرحمن الرحيم . الصافية التى فى يد ابن شريح سبعة وثلاثون جريا وجريان غير مكوك قمزة وخمسة وعشرون جريا وسبع مكائك) .

ذكر خروج سلطان الجور على الإمام راشد بن الوليد

ولعل هذا السلطان كان من عمال بنى العباس ، لما قدمنا من اعتنائهم بعمان بعد دخول بن بور فيها ، وذلك أن سلطان الجور قد خرج عليه حتى نزل السر ، وخرجت رعايا الإمام لمظاهرته ومعاونته ، ونبذوا عهودهم وراء ظهورهم ، فخرج الإمام فى طلبهم ليردهم ، فلحقهم ببهلى ، فأراد أن يردهم فأبوا ، وأراد أن يقهرهم على الرجوع فعصوا ، وأظهروا له العداوة والعصيان ، وخرجوا معاندين إلى السلطان ، فبقى الإمام فى الضعفاء من أصحابه ، بعد أن خذله الأكثر منهم ، وخرج من بهلى إلى كدم ورأى أنه قد أخذ فى ذلك بالحزم والاحتياط ، ثم جاء السلطان بمن معه حتى دخلوا الجوف ، فخاف الإمام ومن معه لقلتهم ، فانحاز بهم إلى وادى النخر ، استبقاء منه على من معه من ضعفاء المسلمين ، ودعا إلى حرب السلطان من أجابه ، واستنصر بمن قدر عليه ، فجيش أنصاره وأعوانه وأرسلهم إلى حرب السلطان ، وقعد هو ومن لاغنى له عنه ، بمشورة من أشار إليه بالتخلف من إخوانه رجاء منهم لبقاء رايتهم ما بقى إمامهم ، وكان موقفه يومئذ غير بعيد عن موضع القتال ، وكان السلطان بنزوى ، فالتقت سرية الإمام بجند السلطان فنشب بينهم القتال ، وانهزمت سرية الإمام ، وتفرقت جماعته ، وزالت رايته ، وكان ذلك ضحوة النهار ، فما كان العشى من ذلك اليوم ، حتى تفرق عنه جميع من كان معه ، فاستولى

السلطان الجائر على جميع عمان ، وبقى الإمام فى رءوس الجبال خائفا يترقب فطالع فى أمره واستشار ، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار « ان المدافع تسعه التقية إذا خذلته الرعية » . قال أبو سعيد . وذلك مما لا نعلم فيه اختلافا ، فألقى بيده إلى منزله ، فأرسل إليه السلطان رسولا يعطيه منه الميثاق بالأمان قال أبو سعيد فأعطاه ذلك بلسانه ، قال : ولم يبلغنا بحمد الله أنه عرضه ليمين ، ولا كان إلى باب السلطان من الوافدين ، وإنما السلطان وصل إليه واضطره إلى ذلك وجبره ، قال : فزالت معنا هنالك إمامته ، وثبتت للعذر الواضح ولايته . قال : فلبث بعد ذلك قليلا محموداً ، ومات عن قريب من ذلك مفقوداً ، قال : وكان فى عامة أموره غريباً معدوماً ، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة فى أموره ملوماً ولا مذموماً ، فجزاه الله عن الاسلام وأهله ، لما قد قام فيه من حقه وعدله ، وعنا وعن جميع من عرف صحيح فضله ، ماجزى إماماً عن رعيته ، وأخاً بصحيح إخوته .

وذكر المضيف على بيان الشرع ، أنه وجد أن دار عمان صارت دار كفر نفاق [1] لا كفر شرك لعشرين يوماً من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وهذا الوقت هو وقت غلبة سلطان الجور على عمان وخذلان أهل عمان لإمامهم راشد بن الوليد ، فيما يظهر من سياق التاريخ ، فإن كان عقد الإمامة عليه بعد سعيد بن عبد الله حالا ، فتكون إمامته فوق أربع عشرة سنة .

(١) كفر النفاق هو كفر النعمة وانما سمى كفر النفاق لأن صاحبه أقر بالعمل وخان فيه فكان كالمنافق أقر بالإسلام وأضمر الشرك وتسمية الخائن فى العمل منافقا واردة على لسان الشارع فى قوله صلى الله عليه وسلم (أربع من كن فيه فهو منافق ولو صلى وصام وزعم أنه مسلم) الحديث .

ثم صار الأمر من بعده لسلاطين الجور ، حتى أغاث الله عباده باجتماع الكلمة ، ونصب الخليل بن شاذان ، وسئل أبو سعيد عن سلاطين الجور الذين كانوا فى زمانه ، أيكونون مثل خردلة الجبار الذى أجاز أبو الشعثاء قتله غيلة ؟ فقال : هم أشد من خردلة والله أعلم .

وفى كامل ابن الأثير ، فى حوادث سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قال : ذكر ملك عضد الدولة عمان ، فى هذه السنة استولى الوزير أبو القاسم المطهر بن محمد وزير عضد الدولة على جبال عمان ومن بها من الشراة ، فى ربيع الأول ، قال وسبب ذلك ، أن معز الدولة لما توفى وبعمان أبو الفرج ابن العباس نائب معز الدولة ، فارقها ، فتولى أمرها عمر بن نبهان الطائى ، وأقام الدعوة لعضد الدولة ، ثم أن الزنج غلبت على البلد ، ومعهم طوائف من الجند ، وقتلوا ابن نبهان وأمروا عليهم إنساناً يعرف بابن حلاج ، فسير عضد الدولة جيشاً من كرمان ، واستعمل عليهم أبا حرب طغان ، فساروا فى البحر إلى عمان ؛ فخرج أبو حرب من المراكب إلى البر ، وسارت المراكب فى البحر من ذلك المكان ، فتوافوا على صحار قصبة عمان ، فخرج إليهم الجند والزنج ، واقتتلوا قتالا شديداً فى البر والبحر ، فظفر أبو حرب واستولى على صحار ، وانهزم أهلها . قال : وكان ذلك سنة اثنتين وستين ، ثم ان الزنج اجتمعوا إلى بريم ، وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان ، فسار إليهم أبو حرب ، فأوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلا وأسراً ، فاطمأنت البلاد ، قال : ثم ان جبال عمان اجتمع بها خلق كثير من الشراة ، وجعلوا لهم أميراً إسمه ورد بن زياد ، وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد ، فاشتدت شوكتهم ، فسير عضد الدولة ، المطهر بن عبد الله فى البحر

أيضا فبلغ إلى نواحى حرفان من أعمال عمان ، فأوقع بأهلها ، وأثخن فيهم وأسر ثم سار إلى دما — وهى على أربعة أيام من صحار — فقاتل من بها وأوقع بهم وقعة عظيمة ، قتل فيها وأسر كثير من رؤسائهم ، وانهزم أميرهم وردوا إمامهم حفص واتبعهم المطهر إلى نزوى ، وهى قصبة تلك الجبال ، فانهزموا منه ، فسير إليهم العساكر فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم ، وقتل ورد وانهزم حفص إلى اليمن ، فصار معلما وسار المطهر إلى مكان يعرف بالشرف ، به جمع كثير من العرب نحو عشرة آلاف فأوقع بهم ، قال واستقامت البلاد . ودانت بالطاعة ، قال ولم يبق فيها مخالف . هذا كلامه والله أعلم بصحته :

وحفص بن راشد ، إنما نصب إماماً ، بعد موت أبيه الامام راشد بن سعيد رضى الله عنه وذلك فى المحرم من سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، ولم يذكر أحد من مؤرخى أصحابنا خروج سلطان العراق على حفص بن راشد ، ولم يذكروا أنه عزل عن إمامته ، ولا أنه خرج من عمان ، وإنا لنشك فى رواية قومنا فيما شاهدوه فكيف نثق بهم فيما غاب عنهم مع أنهم إنما أخذوا أخبار ذلك من بعض أجناد الظلمة القادمين على حرب المسلمين ، فيحتمل أن يكون قد اختلط عليهم الأمر ، ويمكن أن يعتمدوا الزيادة والنقص[1] وبالجملة فانا نعلم من سياق التاريخ أن الظلمة قد عاثوا فى

---

(١) هذه الحادثة الملفقة ، تدلك على مبلغ عبث هؤلاء بحقائق التاريخ ، وانك لترى فى كتبهم قلب قضايا رأسا على عقب ، والقصد من هذا القلب ، اما هدم مجد كما هو الشأن فى هذه الحادثة ، أو تصوير الأمر بغير صورته ، تقليلا لأهميته ، وطمسا لمزيته كما ترى فى غير هذا الموضع ، ولعل الباعث على هذا لهؤلاء الكاتبين ، هو إظهار =

عمان ، وتولوا أمرها ، من بعد أن خذل الإمام راشد بن الوليد إلى أن نصب الخليل بن شاذان ، ومدة ذلك نحو خمس وستين سنة تقريبا . والله غالب على أمره

= من خالفهم فى مظهر لا يستحق الكرامة ، ولا يعتد بعظمته مهما بلغت ، وهدم المزايا وطمس الحق كاد يكون الظاهرة فيهم ، دون أن يجدوا مناصا منها لأنهم خدمة أغراض لا خدمة تاريخ ، فالناحية التى يأتون الوقائع منها هى ناحية طمس المعالم التى لا تسرهم جنوحا إلى هواهم السياسى أو المذهبى ، وهكذا ترى صفحاتنا التاريخية بيد هؤلاء المرضى مشوهة أو ممزقة أو معدومة ، والعجب انك ترى تاريخا كتب لناحية واحدى حلقاته مفقودة . وما فقدانها إلا من عبث هؤلاء . ولا يخشون فضيحة . ولا يتقون الله فى أمانة العلم . والحق أنه لا يؤخذ ما يكتبه مؤرخو قومنا على أصحابنا على الاطلاق . فإن طمس الحقائق ديدنهم . ولهم هوى فى ذلك . إذ يزعمون أنه يجوز لهم ذلك فى حق مخالفيهم اللهم إلا النادر . فإن انصافهم لا ينكر كابن الصغير المالكى ومن الغريب . حتى كتاب العصر الذين ينتحلون تحرير التاريخ والاعتراف بالحقيقة لذاتها قد وقعوا فى سقطات دون ان يتحروا الصدق ، وقد يكون ذلك عن مبلغهم من العلم . وقد يكون عن هوى . كما تبادر لى من محادثة بعضهم . والله أعلم

باب ذكر الجبابرة الذين تولوا عمان

بعد الأئمة فى الزمان الأول

وقد تقدم الكلام فى الجبابرة الذين كانوا قبل الأئمة ، وذكر ابن خلدون فى تاريخه ، أن عمان كانت بها فى الإسلام دولة لبنى سامة بن لؤى ، قال وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هذا النسب ، أولهم بها محمد ابن القاسم السامى ، بعثه المعتضد وأعانه ففتحها ، وطرد الشراة إلى نزوى قاعدة الجبال . قال : وأقام الخطبة لبنى العباس ، وتوارث ذلك بنوه ، وأظهروا شعار السنة (يعنى سنة القوم) قال ثم اختلفوا سنة خمس وثلاثمائة ، وتحاربوا ، ولحق بعضهم بالقرامطة ، وأقاموا فى فتنة ، إلى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطى سنة سبع عشرة ، عند اقتلاعه الحجر ، وخطب بها لعبيد الله المهدى ، قال وترددت عليها ولاة القرامطة والروافض ، وبقيت فى أيديهم ، ورياستها للأزد منهم . قال ثم سار بنو مكرم من وجوه عمان إلى بغداد ، واستخدموا لبنى بويه ، وأعانوهم بالمراكب من فارس ، فملكوا مدينة عمان ، وطردوا الشراة إلى جبالهم ، وخطبوا لبنى العباس . ثم ضعفت دولة بنى بويه ، فاستبد بنو مكرم بعمان ، وتوارثوا ملكها قال وكان معهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم ، وكان ملكا جواداً ممدوحاً ، قاله البيهقى ومدحه مهيار الديلمى وغيره ، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، بعد مدة طويلة فى الملك ، وفى سنة اثنتين وأربعين ضعف ملك بنى مكرم ، وتغلب

عليهم النساء والعبيد ، فزحف إليها الشراة وملكوها وقتلوا بقيتهم .

قلت وبنو سامة ، هم رهط موسي بن موسى ، ومحمد بن القاسم هو الذى ركب إلى محمد بن بور بالبحرين يستنصره ، ثم منه إلى المعتضد ببغداد وجاء بالعساكر إلى عمان على حسب ما قدمنا ذكره ، فقويت بذلك شوكة الجبابرة ، وانحل نظام الخلافة وصار الأمر دولة بين أهل الجور .

ومن جملة سلاطين عمان ، يوسف بن وجيه ، وكان قد ملك ناحية من عمان ، وكان معاصرا الامام سعيد بن عبد الله رضى الله عنه ، وكان للامام معه حروب ، وقد انخمد أمره أيام الإمام سعيد بن عبد الله وظهر الحق عليه ، وإنما ظهر بعد قتل الإمام . وللامام كتاب إلى يوسف بن وجيه ، يذكر له فيه حسن سيرة المسلمين فى حربه ، وأنهم تبعوا فى ذلك سيرة أسلافهم ، ومن ذلك الكتاب قوله :

« من الامام سعيد بن عبد الله ومن قبله من المسلمين ، إلى يوسف بن وجيه ، وان فى شأننا وشأنك ، لعجب لحلقة حديد فى رز باب ، اتهم بهذا رجل من الرعية عندنا أنه قلعها من معسكر أصحابك بنزوى ، فحبسنا الذى اتهم بها لأنا نستحل حبس أهل التهم على قدر استحقاقهم فى حكم المسلمين وقلنا للناس جهرا على رءوس الملأ ان أموال أهل القبلة علينا حرام ، كحرمة أموالنا على بعضنا بعض ، وحجرنا على الناس التعرض لأشيائكم مادق منها وجل ، حتى قال : من لا علم له بأصول دين المسلمين ، انكم الآن حفظة للجند على أموالهم ، ومن ذلك ان الحبوب التى جمعت من الأمصار التى استولينا عليها وجرى عليها حكمنا ، لما علم الناس منا انا لا نستحل شيئا ، ولا نقار أحدا على معصية الله كائنا ما كان من الناس منعهم ذلك من

التعرض لأشيائكم كلها التى كانت فى جوارنا من بلداننا ، ولولا خوف العقوبة منا لانتهب ذلك بأيسر مؤنة ، ولم يكن ذلك تقربا إليك ، ولا ابتغاء وسيلة منا إليك ، ولكنا اتبعنا فى ذلك كتاب الله ، وآثار أسلافنا رحمهم الله » .

ومن هذا الكتاب قال : « وحاربناك محاربة المسلمين لأهل البغى ، حتى تفيء إلى أمر الله لا نهاية لذلك عندنا ، أو تفنى أرواحنا أو روحك على إحياء الحق ، وإماتة الباطل ان شاء الله ، ولا نستحل منك مالا ، ولا نسبي لك عيالا ، ولا ننسف لك دارا ، ولا نعقر لك نخلا ، ولا نعضد لك شجرا ، ولا نستحل منك حراما ، ولا نجهز على جريح ، ولا نقتل موالياً تائبا ، ولا نقتل مستأمنا إلينا ، ولا نغنم ماله ، ولا ندع أحدا يتعدى عليه بنفس ولا مال ، فان فعل ذلك أحد بأحد أخذنا له الحق إذا صح معنا ، ومن كان فى يده مال فهو أولى بما فى يده ، لأنا لا نزيل مالا إلا بحجة .

ثم قوى أمر يوسف بن وجيه ، بعد الامام سعيد بن عبد الله ، واستفحل أمره وقويت شوكته ، وحارب البصرة ، فى آخر سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قال ابن الأثير : فى هذه السنة ، فى ذى الحجة سار يوسف ابن وجيه صاحب عمان فى مراكب كثيرة يريد البصرة ، وحارب البريدى فملك الأبلة وقوى قوة عظيمة ، وقارب أن يملك البصرة ، فأشرف البريدى واخوته على الهلاك ، وكان له ملاح يعرف بالرنادى ، فضمن للبريدى هزيمة يوسف فوعده ، الاحسان العظيم . وأخذ الملاح زورقين فملأهما سعفا يابسا ، ولم يعلم به أحد ، وحدرهما فى الليل حتى قارب الأبلة ، وكانت مراكب ابن وجيه تشد بعضها إلى بعض فتصير كالجسر ، فلما انتصف

الليل أشعل ذلك الملاح النار فى السعف الذى فى الزورقين ، وأرسلهما مع الجزر والنار فيهما ، فأقبل أسرع من الريح ، فوقعا فى تلك السفن والمراكب فاشتعلت واحترقت قلوسها واحترق من فيها ، ونهب الناس منها مالا عظيما ، ومضى يوسف بن وجيه هاربا فى المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . قال واحسن البريدى إلى ذلك الملاح .

وقد تقدم عن ابن خلدون أن بنى مكرم وهم من وجوه أهل عمان ، ملكوا عمان بنصرة من بنى بويه [1] عمال بنى العباس ، وأنه لما ضعف أمر بنى بويه استبد بنو مكرم بملك عمان ، وان منهم أبا القاسم على ابن الحسين ابن مكرم ، ممدوح مهيار الديلمى ، وانه عاش فى الملك زمانا ، وتوفى سنة ثمان وعشرين واربعمائة .

وذكر ابن الأثير خبر ولده من بعده ، قال فى كامله : لما توفى أبو القاسم ابن مكرم ، خلف أربعة بنين : أبو الجيش ، والمهذب ، وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش ؛ وأقر على ابن هطال المنوجانى صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه ، وبالغ فى احترامه ، فكان إذا جاء إليه قام له ، فأنكر هذا الحال عليه أخوه المهذب ، فطعن على ابن هطال ، وبلغه ذلك ،

---

(١) بنو بويه هم من الأمراء الذين اتصل بهم ابن دريد . وكانت له مكانة لديهم عظيمة . وكانوا له عونا على نشر العلم . وهو ما كان يقصده من اتصاله برجال الملك . وبهذا التقرب الذى يكرهه اصحابنا . ويرونه منافيا لما ينبغى للعالم من الدين والورع . وقد قال عليه السلام « إذا رأيتم العالم يميل إلى الدنيا فاتهموه على دينكم » أو كما قال . كان ابن دريد غير مرضى لديهم ولا سيما انه لم يظهر مذهبه . قلت لعله من الذين يرون ان السعى فى اظهار العلم ونشره مع كتمان ما عليه العالم من الحق من المسوغات الشرعية وقد جرى على هذا بعض الأئمة من الأوائل رحمهم الله والله أعلم

فأضمر له سوءاً ، واستأذن أبا الجيش فى أن يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له ، فأذن له فى ذلك ، فلما حضر أخوه المهذب عنده خدمه وبالغ فى خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه ، قال له ابن هطال ان أخاك أبا الجيش فيه ضعف وعجز عن الأمر ، والرأى أننا نقوم معك ، وتصير أنت الأمير وخدعه ، فمال إلى هذا الحديث ، فأخذ ابن هطال خطه بما يفوض إليه وبما يعطيه من الأعمال إذا عمل معه هذا الأمر ، فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبى الجيش ، وقال له ان أخاك كان قد أفسد كثيراً من أصحابك عليك ، وتحدث معى واستمالنى فلم أوافقه ، فلهذا كان يذمنى ويقع فى ، وهذا خطه بما استقر هذه الليلة ، فلما رأى خطه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته إلى منخفض من الأرض ، وأظهر أنه سقط فمات ، ثم توفى أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطال أن يأخذ أخاه أبا محمد ، فيوليه عمان ثم يقتله ، فلم تخرجه إليه والدته ؛ وقالت له أنت تتولى الأمور وهذا صغير لا يصلح لها ، ففعل ذلك وأساء السيرة ، وصادر التجارة ، وأخذ الأموال ، وبلغ ما كان منه مع بنى مكرم إلى الملك أبى كاليجار ، والعادل أبى منصور بن مافنة فأعظما الأمر واستكبراه ، وشذ العادل فى الأمر ، وكاتبا نائباً كان لأبى القاسم ابن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى ، وأمراه بقصد ابن هطال ، وجهز العساكر من البصرة لتسير إلى مساعدة المرتضى ، فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا إليه ، وخرجوا عن طاعة ابن هطال ، وضعف أمره واستولى المرتضى على أكثر البلاد ، ثم وضعوا خادما كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له ، فلما سمع العادل بقتله

سير إلى عمان من أخرج أبا محمد بن مكرم ورتبه في الامارة ، وكان قد استقر الأمر لأبي محمد في هذه السنة ، يعني سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

وذكر في حوادث سنة اثنتين وأربعين واربعمائة ، أن صاحب عمان الأمير أبا المظفر بن الملك أبي كاليجار ، وكان مقيما بها ، ومعه خادم له قد استولى على الأمور ، وحكم على البلاد وأساء السيرة في أهلها ، فأخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه ، قال وعرف إنسان من الشراة يقال له ابن راشد فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج إليه الأمير أبي المظفر في عساكره فالتقوا واقتتلوا ، فانهزمت الشراة ورجعوا إلى مواضعهم ، واقام بن راشد مدة يجمع ويحتشد ، ثم سار ثانيا وقاتله الديلم ، فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم ، فانهزم الديلم وملك بن راشد البلد ، وقتل الخادم وكثيراً من الديلم وقبض على الأمير أبي المظفر وسيره إلى جباله مستظهراً عليه ، وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال وخرب دار الإمارة ، وقال هذه أحق دار بالخراب ، وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على ربع عشر ما يرده إليهم وخطب لنفسه ، وتلقب بالراشد بالله[1] ولبس الصوف ، وبنى موضعا على شكل مسجد ، قال وقد كان هذا الرجل تحرك أيضاً أيام أبي القاسم بن مكرم فسير إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه هذا كلامه وهو يدل بمفهومه على أن انقطاع

---

(١) لم يكن الأئمة بعمان يلقبون بهذه الألقاب في وقت من الأوقات وإنما هذا من أغاليط الذين يتلقفون الأمور حسب شهواتهم ولهذا قلنا لا يجوز الأخذ عنهم لما يناقض ما كتبه أصحابنا والحق أبلج .

ملك الجبابرة كان بهذا الحال . وفى تاريخ هـذه الحوادث اضطراب لا ينبغى أن يعول عليه ، وفيه مناقضة لما أرخ أصحابنا وهم أعرف بحال بلادهم وإنما أهملوا ذكر الجبابرة ، لأنهم عندهم أحقر من ذلك وأهون عليهم من أن يعتنوا بذكرهم فى الـكتب ، وأثبتنا طرفا من ذلك لما رأينا من تشوق الأواخر إلى الاطلاع على أخبار الأوائل ، ومن الله العون والتوفيق .

باب إمامة الخليل بن شاذان بن الصلت

ابن مالك الخروصى

بويع له بالإمامة بعد راشد بن الوليد بزمان طويل ، تجبر فيه السلطان على أهل عمان ، وسامهم سوء العذاب ، بما بدلوا من نعمة الله ، وامدم وفائهم بعهد الله حين خذلوا الإمام راشد بن الوليد وظاهروا عليه عدوه ، ومن أعان ظالماً سلطه الله عليه ، وبقى أهل عمان يكابدون النكال تحت قهر الجبابرة من بنى سامة وغيرهم ، حتى عقدوا الإمامة على الخليل ابن شاذان ، فى سنة سبع وأربعمائة ، وفى بعض الكتب فى سنة بضع وأربعمائة ، فسار بهم سيرة جميلة ، ودفع عنهم الجبابرة ، وأمنت بعدله البلاد ، واستراحت فى ظله العباد ، ودانت له الممالك ، ووفدت إليه الوفود لظهور العدل ، وانتشار الفضل .

وممن وفد إليه فى ذلك ، أبو إسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمى ، جاءه مستنصرا مستنجداً على حضرموت واليمن ، فقال فى مسيره :

لقد جاءنى من بعد أرضى وأوطانى ... رجاء لنصر الدين من نحو اخوانى

وذكر إمام شاع فى الناس ذكره ... وطاب الثنا فيه الخليل بن شاذان

فقطعت غيطانا وجاوزت أبحرا ... إليهم أجر المجد من آل قحطان

وكم بلد خلفت فيها مشايخا ... غطارفة غرا يرجون إتيانى

وما أن أرانى فى الذى رمت عائداً ... ولا سامياً إلا إلى مطاب عانى

وكم كانت الأشياخ أشياخنا الأُ لَى ... إذا طلبوا نصراً أمدوا بأعوان

وكم من إمام فى الأُلَى حل مكة ... وأعوانه فى الصين أو فى خراسان
وتالله لولا الدين أصبح مدحراً ... لما كان بذل الوجه فى الناس من شانى
ولكن بذلت الوجه فى الناس أرتجى ... من الأخوة الغر النهى نشر سلطان
برأي أصيل منهم وعصابة ... مكرمة من أهل دين وعرفان
فلا تدفعانى يا هدار بجفوة ... ويا حسن انى أخ منكما دان
ولست أرى حقى يغيب عليكما ... إذا غاب عن عى من الناس حيران
فكيف إذا تخفى على الطب سيرتى ... ويطلب من مثلى علامات برهان
على اننى أدعو لأمر يحبه ... ويعرفه الإنسان من ألف إنسان
أجيبا دعا داع مقيم هديتما ... يناديكما يدعو إلى الحق ولهان
أزيحا الأسى عنى أزيحا فإننى ... أبيت أقاسى حر وجد وأحزان
كذا طالب الحاجات ما لم يفز بها ... فليس له عيش ولا مشرب هان
صلانى برأى وانحلانى نصيحة ... فرأيكما عندى كرجل وفرسان
وشدا حزام الرأى فيما أشرتما ... على فإنى لست بالابلد الوانى
ولو لم أعد منها بغير اراكما ... ونصحكما قوى اعتزابى وأركانى
فحسبكما أن الإمام له البقا ... يود كما أن تحضرا نهج جذلان
بهذا وصلى الله ربى على الذى ... به أظهر الإسلام فى كل أحيان

وقال فى ذلك أيضاً من قصيدة أخرى :

يا أحمد يامعبد سيرا فقد ... سار الرضى عبد الإله خليلى
وارموا بنا نحو الإمام المرتضى ... المفزع المأوى لكل دخيل
ذاك الذى جلى عمانا بعدما ... واراهم غيم الطفا بذيول
ذاك الذى يخطو خطى من صار فى ... وادى القرى أو آسك ونخيل

ذاك الذى أبدى لنا ماقد مضي ... من راشدو الصلت وابن رحيل[1]

ذاك الذى لما يزل مستلئما ... لله فى المستلئمين عدول

ياخير خل فى الإله أجب أجب ... ناداك إخوان بوجه قبول

ياخير خل خربت أوطاننا ... واستعبد السفهاء كل نبيل

ياخير خل لم نطق دفع الأذى ... من أخذ مكنون وجذ نخيل

ياخير خل لو ترى من نحونا ... من شقشقات البغى بعد صهيل

ياخير خل هل لنا من راحة ... مما لدينا من دناة غفول

ياخير خل من بقى من بعدنا ... أضحى لدى المحراب ضرب طبول

ياخير خل غالنا ما غالكم ... فيما مضى من ديلم وعقيل

ياخير خل أصبحت أسواقنا ... أسواق سحت واعتداء محول

ياخير خل حسبنا أن الفتى ... يجزى الفتى كيلا بصاع مكيل

ياخير خل قد غلبنا فانتصر ... وانظر لنا بالرأى عزم أصيل

وله فى ذلك قصائد مذكورة فى ديوانه فأمده الإمام بالمال والرجال وسار بهم إلى حضرموت وفى مسيره يقول :

دعينى فعندى للنهوض عزائم ... ولما يكن لى عند ذاك قوادم

فكيف وقد أضحى الجناح متمما ... عليه من التأييد ريش مراكم

وقد أبصرت عينى الإمام وفعله ... وسيرته فى الحق والحق قائم

وكنت أرجى أن أصادف عصبة ... تنوط بها للحسنيين العزائم

تطلق دنياها وتنشر وصلها ... أبايعها بيع الشرى وأقاسم

---

(١) راشد هو ابن الوليد والصلت هو ابن مالك وابن رحيل هو سعيد بن عبدالله ابن محمد بن محبوب بن الرحيل رضى الله عنهم .

مصادقتها لكن عمان تماسكت بها عاملا هذا لتطفى الأعاجم
فلما عدمت الراغبين ولم أجد سوى من تدنيه إلى الدراهم
صرفت عنان الذكر عنهم مجنبا ووجه إمام العدل عن ذاك سالم
فجدت له بالعذر بسطا وجاد لى بما فيه نصر لاعدته المكارم
فها أنا ذا بالمال والبيض والقنا على حضرموت بالسلامة قادم
سلا تخبرا عنى إذا صرت نحوها وناديت فى الاخوان أين اللهاذم

فى قصيدة طويلة ، يذكر فيها حالة قدومه على حضرموت ، والعصبة التى كان يحاولها ، فلم تتأت له عصبة تبايعه على الموت فى سبيل الله ، فلم يجد إلا النصر من الإمام بما ذكر ، فسار إلى حضرموت وأقام بها الحرب ، ودانت له بعد حروب ، وأرسل وفداً إلى الإمام ، وكتب له معهم بقصيدة طويلة منها قوله :

سل الوفد عنى ياإمام ألم أكن تسربلت يوم الروع ثوب العزائم
وهل كان همى غير ما كنت ذا كرا وهل نمت عن طرف الجواد وصارمى
حرام حرام ان طعمت بمنزلى إلى اليوم طعم النوم بين الكرائم
ولكننى لما نزلت بعقوتى نشرت لوائى فى الكرام القماقم
وساروا بحمد الله حولى كأنهم بدور ولكن فى الوغى كالضراغم
فما كان إلا جمعة بعد جمعة وأدت إلى العشر أهل الخضارم
سل الخطبا لما دعوا لك جهرة على رغم أهل الجور بعد التصادم
وسل عرب البيداء هلا أذقتهم عشية خانوا العهد سم الأراقم
وأما نواحى حضرموت فانها بحول إلهى طوع أمرى كخاتم
سوى نفر كانوا عصاة فأصبحوا من الخوف فى رءوس القرى كالحمائم

ولم يبق لى إلا الصليحى قائماً وها هو أيضاً سعده غير قائم
وقد نزعت عنه القبائل قصدنا لما نظرت من رغمها فى الملاحم
ونحن إليه واردون بجيشنا فما هو أدهى من ملوك الديالم

وخرجت الترك على عمان أيام الخليل بن شاذان، ولعل هؤلاء الترك كانوا جند بنى العباس، فانهم قد استخدموا الترك وغلبوا على أمرهم، حتى صارت الدولة إليهم، وصار بنو العباس آلة فى أيديهم، فخرجوا على عمان، وأسروا الخليل، ونصب أهل عمان من بعد أسره محمد بن على إماما، ثم إن الترك ردوا الخليل، ومال الناس إليه بحبهم فيه، ورغبتهم فى عدله، فيقال إن الإمام محمد بن على اعتزل الأمر بنفسه، ورد الأمر إلى المسلمين، فردوا الإمامة إلى الخليل، بعد خلاف وقع فى المسألة، أيهما الإمام، فقال بعضهم: إن عقد الأول سابق وإنه هو الإمام، وقال آخرون إن الأول زالت إمامته حين صار فى يد العدو، وإن عقد الثانى هو الثابت، قال الأولون بل الإمام الأول يكون فى حكم المفقود الذى حكم بفقده، وتمت أيام مدته، واعتدت امرأته وتزوجت، فإنه إن رجع بعد ذلك خير بين امرأته وبين أقل الصداقين فأيهما اختار كان ذلك له، فلولا أن تزويجه سابق ثابت ما كان له التخيير، فالإمام إذا أسر ثم رجع يكون مثل ذلك، والذى أقوله إن الإمامة قد تزول بالعجز عن القيام بها، لأنها أحوال منوطة بقدرة القائم، فإذا زالت القدرة فللمسلمين أن يقدموا غيره، فإذا قدموا غيره كان هو الإمام، وليس لهم أن يتركوا عقده لرجوع الأول إليهم بعد أن عقدوا له بوجه صحيح، فأما لو انتظروا رجوعه كان ذلك جائزاً لهم، وحين اعتزل الإمام الثانى اختياراً وقبل المسلمون منه ذلك،

ارتفعت المؤنة ، وانتفى الخلاف ، لأن للامام أن يعتزل عن مشورة المسلمين إذا قبلوا منه ذلك ورجوا أن غيره أعز وأقوى للدولة ، وقد قيل أن الجلندى رحمه الله تعالى اعتزل مرتين فما كاد أن يرجع .

وفى يوم الثلاثاء ، ضحوة النهار ، لعشر ليال خلون من شهر رمضان ، سنة تسع وأربعمائة ، مات محمد بن عبد الله بن المفدى الكندى ، وفى بيان الشرع كتاب من موسى بن أحمد ، وأحمد بن محمد ، والحسن بن أحمد ، وعمر بن محمد ، وراشد بن محمد واخوانهم ، إلى أبى عبد الله محمد بن صلهام ، وهو وزير الإمام الخليل ، قالوا فيه بعد كلام طويل : « وبعد هذا فنحب أن يقف الأخ على طرف من الأمور التى تجرى فى بلادنا من القائمين بها ، المتولين لأمورها ، من تركهم اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار المسلمين ، وسيرهم فى الرعية بغير الحق ، حتى كثرت المناكر ، ومات الحق وأهله ، وارتفع الباطل وحزبه ، وصار أهل الحق لا يقدرون على الأمر بالمعروف ولا النهى عن المنكر ، لأن المنكر ابتلى به من تسمى بالحق بلسانه ، ويخالف ذلك بأفعاله ، وقد خشينا من ذلك زوال النعم ، وتغيير الحال ، وقد كتبنا إلى الإمام نصره الله عام أول ، كتاباً مترجماً له فيه ما كنا نتوقعه من هذه الأشياء ، ولم نرد بذلك إلا نصيحة له ، وخروجاً مما يجب علينا مما تعبدنا الله به ، فرجع الجواب إلينا على غير ما كنا نرجوه ، وأنزلنا فى ذلك بمنزلة التهمة ، فلما رأينا ذلك توسعنا بالسكت ، لأنه يوجد عن بعضهم أنه قال : إذا كان الذى ينكر المنكر لا يقبل منه ويستخف به لم يكن عليه أن يعرض نفسه للاستخفاف . أو نحو هذا من اللفظ ، وهنا أقوام ممن قد عرفوا بكثير المناكر ، صاروا

يكاتبون الإمام نصره الله رقعة بعد أخرى ، ويزينون فعل من قد ساعدهم على مناكرهم ، ويقولون غير الحق ، ويشهدون بالباطل « ستكتب شهادتهم ويسألون » كل هذا خشية أن يولى عليهم من يشد عليهم ويمنعهم من المناكر التى قد شهروا بها ، ويصيروا هم وغيرهم من الرعية فى الحق سواء ، فإنما هم يرجمون على الإمام في كتبهم بغير الحق ، وقد أمنوا أن لا يبحث عن أفعالهم ، ولا يسأل عن صحة قولهم

ولو كان الامام (نصره الله) ينظر فى هذه الأمور وصحتها ، ويسأل عن حقها و باطلها وصحيحها وسقيمها ، فضر أهل الباطل باطلهم عنده ونفع أهل الحق حقهم معه لما اجترأ أحد أن يكتب إليه الكذب ويتقول على لسان الرعية مالم يكن ولكان هذا الباب قد انغلق ولم يتجاسر أحد أن يكتب إليه إلا بالحق ولما ضاقت أنفسنا من هذه الأمور التى شرحناها ووصفناها رأينا اطلاع الأخ العزيز أدام الله أنسنا به على ما عندنا وشرح ما نحن فيه لعلمنا أنه ممن يغضب للحق ولا يرضى بالباطل فان رأى أن يطلع الامام نصره الله على ما ذكرنا وشرحنا فانا لم نذكر له ما عندنا إلا اختصارا ولو ذهبنا نصف كل ما نراه ونعاينه من هذه الأمور لم نبلغ كل ذلك إلا أنا نكل أمورنا إلى الله ورأى الأخ فيما كتبنا إليه ورد جوابنا مما نستدل به منه على وصول رقعتنا إليه ومايقتضيه رأيه فى ذلك إن شاء الله والسلام عليه من جماعتنا ويسلم منا على الشيخ أبى الحسن على بن راشد متعنا الله ببقائه والحمد لله وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

ولم نظفر بجواب هذا الكتاب غير أنى وجدت جوابا من أبي على

الحسن بن أحمد النزوانى وهو فيما أحسب قاضى الامام الخليل رحمهما الله كتبه أبو على جوابا فى مثل هذه القضية قال رحمه الله : فهمت ما كتب به الشيخان فى مال المشايخ وتعدى من تعدى فيه وترك المنع من الامام نصره الله قال الامام ماولى عليها محمد بن حمزة ولا أمره بقبض الصدقة منها وإنما سأله بعض أهلها أن يكون معهم للأنس و إنكار ما قدر عليه والمعروف من آثار المسلمين أن الإمام إذا كان فى حال المحاربة ولم يستول على المصر انه مخير فى الأحكام ان شاء حكم و إن شاء ترك الحكم حتى يفرغ من محاربة عدوه وقول ليس له ذلك ، وقول له وليس عليه ولا يضيق على الامام ما وسع له المسلمون إلا أن الذى نختاره له ونحبه أن لا يدع شيئا من الأحكام ولا من الانكار مع القدرة عليه وهما قد عرفا ما جرى فى مال بنى زياد بسمد نزوى من الخراب وأخذ الدواب واتلافها واتلاف الثمار فى أيام الامام فما عاب أحد على الامام حتى سهل الله وتبين للوالى النظر الحق فى ذلك ومنع ثم لم يزل يجرى فيه الخراب مرة بعد أخرى إلى أن كان أيام دهمان ومنع عنه وكان جرى فى المال الذى تركه علىّ فى السر ما جرى ومنع الوارث وهو يصيح ويستغيث فما عيب على الإمام ذلك وليس أريد بهذا احتجاجا من الظلمة إلا أنى أذكرهما ما يعرفانه لئلا يتوهما فى الإمام غير ما هو عليه وهؤلاء المشايخ حرسهم الله لو وصلوا إلى مالهم وقاموا فيه لكان كل من قدر على معونتهم بالحق من إمام أو غيره أعانهم ، وقال أبو اسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمى فى قصيدة له طويلة :

من شاء يعلم ما كانت أوائلنا فيه فسيرتنا تكفيه برهانا

هذا الخليل إمام المسلمين حكت　　أنوار سيرته فى العدل نيرانا
يا أيها العلم العدل الذى كملت　　له الخصال مروءات وايمانا
انى أحبك والرحمن يعلمه　　حب احتساب إلى ذى الطول قربانا
إذ صرت مشتهراً بالفضل أنت ولى　　قلب يحب بدين الله مزدانا
حتى عبرت إليك البحر منتصرا　　أيام عدت بما أوليت جذلانا
سل عن أخيك أذاق النوم مغتمضاً　　اذ ذاك أحزنه أم شد أم لانا
أم خان عند عتو المبطلين بها　　عن نصر خالقه إذ كان مجانا
كلا لقد زهرت بالعدل عقوته　　بالله جل فلا لله كفرانا
وانصر أخاك فان الحرب قائمة　　الحق يطلب من أهليه أركانا
واعلم بأنك قد أثرت مأثرة　　فارفع لها شرفاً فالأمر قد هانا
ان الذى عمرت صنعاء دولته　　بالفسق أصبح من مولاى فزعانا
أضحت مخالفة أرض اليمان له　　لما رأتك لها حصنا ومعوانا
فاحفدهم فهم يدعون ربهم　　جهراً لتملكهم سرا واعلانا

ثم توفى الإمام الخليلى رضى الله عنه وكان فى إمامته مشكورا وصار سجل الثناء عليه من بعده منشورا ولم أجد تاريخا لوفاته غير أنى أحسب انى وقفت على تاريخ لمدة امامة راشد بن سعيد وهو بعد الخليل ان إمامته كانت عشرين سنة وموت راشد كان فى أول سنة خمس وأربعين وأربعمائة فيكون موت الخليلى على هذا فى أول سنة خمس وعشرين فتكون مدة إمامته سبع عشرة سنة وبعض سنة تقريبا والله اعلم .

باب إمامة راشد بن سعيد

وهو من اليحمد عقد له بعد موت الخليل بن شاذان ولم أجد لبيعته تاريخا وان صح ما تحريته في وفاة الخليل تكون بيعته في أول سنة خمس وعشرين واربعمائة وكان إماما شاريا وكان لفظ الشرى الذى يشارى عليه هذا الامام : أنت قد شاريت الإمام راشد بن سعيد على طاعة الله وطاعة رسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى الجهاد في سبيل الله وعلى أن عليك ما على الشراة الصادقين وقد سير أبو إسحاق الحضرمى فى الثناء عليه أشعارا منها قوله فى قصيدة ميمية :

ألاحى منها ما حوى العلم والتقى ... إلى همة تعلو السها والمرازما

ومن سل سيف الحق للحق داعياً ... إليه مجدا قد أزاح الاشاءما

اماما بنزوى قاءما قام فى الورى ... بعدل فاضحى الحق اذقام قائما

أديبا لبيبا يحمديا غضنفرا ... من الأزد ليثا فى حمى الحرب غاثما

وهل يقدم الأنام إلا مهذب ... كمىء جرىءالقلب يعصى العزائما

أيا راشد انا لعمرك نزدهى ... بذا كركم فى حضرموت تعاظما

إذا ما عمانى ألم بارضنا ... أحطنا به نسأله عنكم تزاحما

هنيئا لكم أهلا لما قد حباكم ... به الله من فضل له الحمد دائما

وله أيضا من قصيدة دالية :

وبيض بأيدينا خفاف صوارم ... ثقال الظبى مشحوذة بالمبارد

معودة هتك الجماجم أظهرت ... سبيل امامينا الخليل وراشد

وكان نهد وعقيل قد خالفوا الامام وناصروا عليه عدوه وسار إليهم

فى جيش فرق به جموعهم واستأصل به بغيهم وكانت لهم قوة وافرة وصولة قاهرة وكان منزلهم بعيداً عن نزوى ووجدت فى كتاب الانساب أن عقيلا كانوا ينزلون بالاحساء وفى ذلك يقول الإمام فى شعر له بنفسه :

لمن منزل قفر تعفت جوانبه … وغيره من سافح القطر ساكبه
كأن لم يكن فيه من البيض شادن … تضاحكه أطرابه وتداعبه
فأضحى أسى من بعد أن كان سلوة … تجر به أذيال خز كواعبه
كأن من الليل اللبوس ذوائبه … ومن بدر تم وجهه وترائبه
من الجهل أن تعنى بأمر كفيته … وتترك ما كلفته لاتطالبه
إذا المرء لم يجمل مذاهب سعيه … لدى سعيه غالته يوما مذاهبه
ومن لم يفكر فى عواقب أمره … مدى دهره صارت عقاباً عواقبه
وما هارب إلا إلى الموت آيب … ولا سالب إلا وذا الدهر سالبه
مدى الدهر لاينجو من السخط والرضا … فاسخاطه قوماً لقوم مواهبه
وما عاقل فى الناس من راح واعتدى … يغالب فى دنياه ماهو غالبه
وأجهل أهل الجهل من كان جاهلا … ولم يدر أن الجهل مع والى صاحبه
وأجهل منه جاهل ظن أنه … بصير وقد عابته جهلا عوائبه
ولا خير فى خير ترى الشر بعده … ولا فى أخ دبت إليك عقاربه
ولا العيش إلا أسمر اللون عاسل … وأشقر فى يوم عبوس تلاعبه
وقرن تعاطيه الحمام وفارس … تعاطيه حيناً ثم حيناً تضاربه
ذرينى وخلقى يا ابنة القوم اننى … رأيت الأذى حرباً لمن لايحاربه
على أننى اما إمرؤ ضمه الثرى … واما فتى جلت بقوم كتائبه
واما فتى أبكى عيون عِداتِهِ … واما فتى تبكى عليه أقاربه

واما فتى يقضى عليه حمامه ... واما فتى تقضى الحمام قواضبه
وفتيان صدق من رجال حضارم ... أوائلهم أعيت على من تغالبه
لهم همم تعلو العلى وعزائم ... تصدقها فعل كرام مناقبه
وأما إذا اشتد البلى بنفوسهم ... وبالمال ما (أن) ضن بالمال واهبه
وا كرم بقوم قولهم هو فعلهم ... ولا فعل إلا ما كرام مناسبه
وكم قائل فى قوله غير فاعل ... ألا إن شر القول ما أنت كاذبه
ولست امرءاً يرضى سلامة نفسه ... وإن تلف الدين الذى هو طالبه
سلى هل قطمنا سبسبا بعد سبسب ... تعاوى به سيدانه وثعالبه
سلى النسر هل زرنا فلم تقض حقه ... وقد نشبت فى لحم قوم مخالبه
فما زال يخفى الليل مافى سواده ... إلى أن بدت عند الصباح عجائبه
متى يكسب المعروف من كان همه ... غداء يغدى أو فتاة تراقبه
إذا هم صدته زواجر خوفه ... وعاقته من دون الرحيل حبائبه

وإنما ذكرنا القصيدة بأسرها لسهولة موردها وعذوبة مشربها وهى مع ذلك دالة على سمو همة الإمام وبعد مراميه وغزارة فهمه وحسن اقتداره

ولأبى إسحاق الحضرمى قصيدة يذكر فيها قصة نهد وعقيل أرسلها إليه من حضرموت وكناه فيها بأبى غسان، قال فيها :

إلا أبلغوا عنى السلام تحية ... إمام عمان راشدا أيها الوفد
وصحبته طرًّا ومن قد تضمنت ... جوانحه وداً لهم ولهم عضد
جميعاً وخصوا بالتحية ذا النهى ... سليل سعيد صانه الصمد الفرد
لقد قمت فى الإسلام بالحق مصعداً ... إلى الرتبة العلياء يسمو بك السعد
ورمت مقاماً قط مارام وانتهى ... إلى مثله إلا امرىء صابر جلد

حليم حكيم خاضع متواضع ... عفيف لطيف حازم حجر صلد

إلى أن قال :

وقد كان من اخواننا الغُرّفتيةُ ... بناحية الإشغا شهام لهم عقد
وفيهم فتى أكرم به نسل خالد ... له همة كبرى ونحو السما تعدو
وقصوا لنا ما كان من أمركم وما ... لديكم فيا لله در الذى يهدوا
وما كان من أبناء نهد وأختها ... عقيل أولى البغى الذى أهلك الحقد
لقد رال عن آرى عقيل لنصرهم ... لنسل الفتى شاذان والديلم الرشد
كذلك نهد قد أدلت رقابها ... لنصرهم الأعدا لقد عجزت نهد
لقد جمع الأقوام طرا وخالفوا ... جيوش أبى غسان فاستوثق الحشد
وزنوا للقيام بجيش عرمرم ... ولم يثبتوا عند اللقاء ولا اشتدوا
فلما تراءى العسكران تدابروا ... كمثل نعام شارد خلفه الأسد
فقتل منهم فى التعارك عصبة ... على حتف خاضت دماءهم الفهد
فَتَبًّا لشبل المرعِ شاذان الردي ... ولله إذ أوهى عساكره الحمد
فإن عدلوا عن بغيهم وتراجعوا ... إلى عسكر الإسلام والحق وارتدوا
فأهلا وسهلا بالعشيرة انهم ... إليكم باخلاص لرب السما أدوا
وإن هم أبوا فاستصرخونا فإننا ... قريب وما للقوم من صَحبهم بد
وما بين وادى حضرموت وبينكم ... إذا سركم إتياننا نحوكم بعد
متى يأتِنا منكم صريخ نؤمكم ... بعسكر جرار يضيق به النجد
كهولا وشبانا صباحاً مساعرا ... ورادًا إلى الهيجا إذا استصعب الورد
بكل ردينىّ أصم ومرهف ... كمثل شعاع الشمس تحملنا الجرد
فنتركهم وغرا ونضرب هامهم ... ونقصرهم حتى يجودوا بما أدوا

وفى الأثر مما كان يبتلى به الإمام راشد بن سعيد رحمه الله وسئل عنه ما تقول فى الإمام إذا غزا قوماً من أهل البغى ممن هو معروف مشهور بسفك دماء الناس وأخذ أموالهم مثل عقيل ونحوهم فوقع على بعض أصحابهم وأغار عسكره عليهم وقتل من قتل منهم وأخذوا لهم جمالا وجواليق ولم يمنعهم الامام ذلك الوقت من أخذ الجمال لأنه كان يحفظ الأثر أنه جائز أن يستعان على البغاة بخفهم وكراعهم وهى الخيل والإبل فسكت عن الانكار لهذا ثم نظروا إذا بعض عسكره قد جعل ما أخذه من تلك الجمال غنيمة لنفسه ورآهم قد حملوا عليها حباً وركبوها ولم ينكر عليهم ذلك ما يلزم الامام على هذه الصفة يلزمه توبة وضمان أم توبة بغير ضمان أم لا يلزمه شىء من ذلك قال : أما الضمان فلا يلزمه فى هذه الجمال على ما وصفت ولكن عليه أن يعلم من أخذ هذه الجمال أن غنيمتها لا تجوز لهم ويأمرهم بالتخلص منها إلى أصحابها وإن لم يعرفهم أو لم يعرف أحداً منهم دان لله بالانكار عليهم إذا عرفهم وللامام راشد بن سعيد سيرة إلى أبى العباس بن مريح والمهند بن سدهى وأبى عبد الله بن محمد ابن بروزان من أهل منصورة من أرض السند بين فيها معالم الاسلام وأظهر فيها دعوة المسلمين ونقض فيها اعتقاد المخالفين وهى سيرة بديعة ورسالة غريبة تدل على غزارة علمه وفرط ذكائه وفهمه وهى موجودة فى مجموع سير المسلمين ووجد بخط الامام راشد بن سعيد إلى أبى محمد عبد الله بن سعيد : سلام عليك فانى أحمد الله إليك وآمرك بطاعة الله وأوصيك وأنهاك عن معصية الله القادر عليك وبعد هذا فإنى أعلمك نصر الله الحق بك أن الأطماع قد اتسعت فى أموال الناس وجعل كل من ادعى

فى مال رجل دعوى طرح يده فيه والوجه أن تنادى فى البلدان كل من يطرح يده فى مال فى يد غيره يحوزه ويمنعه ويدعيه ملكا له فإنه يعاقب على ذلك ولا يحصل على شىء غير العقوبة ولا تطلب عليه البينة العادلة بل يرجع فى ذلك إلى قول أهل البلد فاعرف ذلك واعمل به ولا تقصر فيه حتى تنحسم مادة الطمع ويزول الظلم وينغلق هذا الباب ولا تؤخر ذلك إن شاء الله ، قال القاضى أبو زكريا : وجدت هذا بخط الامام راشد بن سعيد كتبه إلى والى منح وذكر فى أوله : من الإمام راشد بن سعيد إلى أبى محمد عبد الله بن سعيد ثم ذكر الكتاب إلى آخره ، قلت وهى سياسة من الامام ونظر منه فى قطع مادة الفساد جزاه الله خيراً ، وهذا كتاب كتبه الامام راشد بن سعيد لأبى المعالى محمد بن قحطان بن محمد بن القاسم حجة له وعليه وعهداً عهده إليه ليعلم شرائط العدل فيه ويتوخى مسالك الحق لديه ويتق الله باريه فإنه هو المالك لأمره والعالم بسره وجهره ، قال فليتقه فى جميع أموره التى جعلت له السبيل إليها وأوجدته المدخل فيها على شروط يشتمل كتابى هذا عليها فأول ما ابتدأنا به بعد حمد الله تعالى فيه وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإنى أوصيك يا أبا المعالى قحطان بن محمد بن أبى القاسم بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء عما حرم الله عليك فى زواجره والعمل بما أمرك الله به من أوامره فيما ساءك أو سرك أو نفعك أو ضرك وأن تأمر بالمعروف وتعمل به وتنهى عن المنكر وتقف عن فعله ولتحذر من خدائع الشيطان ومن يؤازره على ذلك من الأعوان احذرهم ونفسك وهواك وشهوتك ودنياك فقد قال الله تعالى « إن النفس لأمارة بالسوء

إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم » وقال « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون» «ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » واذكر حق الله عليك واشكر نعمته لديك ولا تذهب بك حمية ولا تمنعك تقية أن تساوى فى الحق بين وضيع الناس وشريفهم وقويهم وضعيفهم وبغيضهم وحبيبهم وبعيدهم وقريبهم وقد جعلت حماية صحار وما يتصل بها من العفة إلى صلان إليك وعولت فيها عليك فقم فيما وليتك من ذلك حق القيام واستفرغ الطاقة منك بالجهد التام وشمر فيه عن ساق الجد واحسر معه عن ذراع الشد من غير أن تتعدى فى ذلك محظوراً أو تركب فيه منكوراً أو تقترف فيه ظلماً أو تكسب فيه حوباً وإثماً إلا ما تعتمده من منع ظالم فى حال عدوانه من غير أن تعاقبه بشىء على عصيانه بل ترفعه إلى القاضى بصحار حتى يحكم عليه بما يلزمه من فعله ويعاقبه بما يستحقه على فعله ، واعلم أنى لم أجعل لك شيئاً من الحكومات ولا أمرتك بشىء من العقوبات بل جعلتك لحماية البلاد وأمرتك بالمنع عن الفساد والدفع لأهل الباطل عن ظلم العباد ، فلا تتعاطى ما لم يؤذن لك به ولا تقصر عما أمرت بفعله وكن للقاضى أبى سليمان مناصراً ومعاوناً ومؤازراً فقد أوجبت له ذلك عليك ما دام فى حكمه عادلا وبطاعة ربه عاملا وأوجبت لك عليه وقبله أن يعينك

على ما أهلتك له وأوجبت على الشراة ما أوجبت لك عليه إلا أن تستعين بهم فيما لا يجوز لك ولا لهم المعونة فيه ، وحجرت عليك وعليهم خذلان بعضكم لبعض فيما يجب عليكم من المماضدة والمعاونة والمساعدة وفيما يعود بطاعة رب العالمين ، وباعزاز دولة المسلمين وكسر شوكة المعتدين ، فافهم ما ذكرته لك وتدبر فيه ولا تجاوز حده ومعانيه ، وقد أوجبت على الشراة أن يطيعوا الشراة وغيرهم ممن تجب عليه طاعته فى طاعة الله ربهم أن يطيعوا أمرك ويقووا على الحق يدك ما كنت فى طاعة الله داعياً وعن معصية الله لاهياً وحجرت عليهم عصيانى فى خذلانك إذا استنصرت بهم على محاربة أهل الظلم ومن يعتمد للمسلمين بالجور والغشم عل أن لا تستحل فى ظعنك وإقامتك وحربك ومسالمتك للمسلمين غير ما أحل الله لك ولدولتك ولا تحرم غير ما حرم لله عليهم وعليك فإن فعلت ما رسمته لك فذلك رجائى فيك وحاجتى إليك ، وإن خالفته بعمل الباطل والجور وركونا إلى الفعل المحرم المحجور فإنى برىء من فعلك وأنت مأخوذ بما يجب فيه فى نفسك ومالك فاتق الله فى قولك وأعمالك ، واستعذبه من الورطة فى المهالك واستمنه على ما يتقرب به إليه ، واعتصم به على ما تحذره وتتقيه وتوكل فى جميع الأمور عليه « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » ، « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ووجدت فى بعض الكتب نقلا من المصنف مكتوبا أثر هذا العهد ما نصه : ووجدت هذا الشرط مكتوباً لموسى بن نجاد فى حماية منح وادم

وسنى والقاضى الخضر بن سليمان انتهى ويوجد فى بعض الكتب نقلا من كتاب الإمام راشد بن سعيد لبعض سراياه قال : فان كان أحد من أهل هذه السرية قد ركب جورا وفعل فعلا منكوراً فانا برىء منه ومن فعله معاقب له بعد الصحة على جهله منصف بما يجب فى الحق عليه غير راض بجهله وتعديه وما بعثت هذه السرية حتى نهيتهم عن ظلم العباد وأمرتهم بطاعة رجل من أهل الصلاح والرشاد ، فان كانوا تجاوزوا فى ذلك إلى مالا يجوز لهم فعليهم وزرمافعلوه وضمان ما أتلفوه على الناس وأحدثوه ، ولست بداخل معهم فى عصيان ولا مشارك لهم فى ضمان فان يكن أحد يدعى على أحد من أصحاب السرية حقا فليصل إلىّ حتى أوصله إلى ما يجب فى الحق له وليس على علم ما غاب عنى ولا انصاف من لم يطلب الانصاف منى ، ولن تقوم الحجة على العسكر بالخط والقرطاس وكلام من لا يلتفت إلى كلامه من الناس ، وللمسلمين بحمد الله مداخل فى العدل ومخارج من الجهل ينكرها من لا بصر له ولا تمييز معه ويعرفها من هداه الله لمعرفتها ونفعه ومن نطق بقول لا يعرف حرامه من حله وقصد من لا يعرف جوره من عدله لم يسلم من ذلك ولو أصاب فى قوله وفعله

وهذا كتاب منه آخر كتبه فى أمر جمع الناس عليه فى أمر موسى وراشد :

بسم الله الرحمن الرحيم قد اجتمعت بحمد الله ومنه كلمة أهل عمان على أمر واحد ودين قيم وهو دين الله الذى أرسل به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فمنهم من تولى الصلت بن مالك رحمه الله وبرىء من موسى ابن موسى وراشد بن النظر ، ومنهم من تولى الصلت بن مالك وتولى من برىء من موسى بن موسى وراشد بن النظر ، ومنهم من تولى المسلمين على

ولايتهم الصلت بن مالك رحمه الله وبراءتهم من موسى بن موسى وراشد ابن النظر واجتمع رأيهم على الدينونة بالسؤال فيما يجب عليهم السؤال فيه عند أهل الحق الذين يرون السؤال واجبا واجتمع رأيهم على أن من دان بالشك فهو هالك ، وكذلك اتفقوا على أن من علم من محدث حدثا وجهل الحكم فى حدثه أن عليه السؤال فيه وأن علم الحدث والحكم كان عليه البراءة منه إذا كان حدثه ذلك مما يجب به البراءة من فاعله والحمد لله حق حمده وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبى وآله وسلم وكتب هذا الامام راشد بن سعيد بخط يده وكان بحضر أبى على الحسن بن سعيد ابن قريش القاضى ، وأبى عبد الله محمد بن خالد ، وأبى حمزة المختار بن عيسى القاضى وأبى عبد الله محمد بن تمام ، وأبى النظر راشد بن القاسم الوالى ، وحضر أيضاً هذا الكتاب أبو على موسى بن أحمد بن محمد بن على ، وأبو الحسن علىّ بن عمر ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أبى بكر ، وعرض هذا الكتاب على جميعهم واتفقوا عليه ولم يختلفوا فى شىء فيه والسلام وكان ذلك يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقين من شهر شوال سنة ثلاث وأربعين واربعمائة وكان ذلك بقرية سونى فى المنزل الذى ينزل فيه الامام راشد بن سعيد نصره الله بالحق ونصر الحق به والحمد لله وصلى الله على رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم تسليما ولأجل هذا الكتاب غضبت الغلاة فى أمر موسى وراشد على الإمام راشد بن سعيد غضب الخيل على اللجم فاضمروا في أنفسهم ما أضمروا ولم يستطيعوا كيداً للامام ولا إظهار عداوة بل انقادوا فى الظاهر وأخفوا بدعتهم فى انفسهم كما سترى بعض

كلامهم فى إمامة حفص بن راشد وتوفى رحمه الله تعالى فى المحرم سنة خمس وأربعين وأربعمائة وقبره بنزوى وقد كان الامام راشد بن سعيد يشارى قوما ثم مات فكان أبو على الحسن بن سعيد يفتى أن الشراة على ما كانوا عليه من الشرى وكان محمد بن خالد يفتى أن الشرى قد سقط عنهم .

باب إمامة حفص بن راشد

ذكر في بعض السير أنه نصب من بعد راشد بن سعيد ولده حفص ابن راشد ولم يذكروا تاريخا لبيعته ولا لمدة امامته، وظاهر كلام بعضهم أنه مات في الامامة فانه قال مات ولم يعزله المسلمون، وكلام أبي الحسن البسياني وهو من الغلاة في أمر موسى وراشد أن بيعته عنده غير صحيحة ولعل ذلك لسلوكه طريقة والده في أمر موسى وراشد فان أبا الحسن سئل عما نصه: ما تقول أيها الشيخ في حفص بن راشد إن تاب ورجع وجددت امامته يرجع امام المسلمين أم لا؟ فان عقد له من متعلمي أصحابنا وثقاتهم خمسة انفس تنعقد له الامامة وأن بلينا به وطلب منا النصرة والخدمة ما نعمل وما يكون قولنا له؟ قال: أما العقد الأول فانه لم يصح وعلى ما ذكر بعض من دخل فيه رأيته عقدا غير ثابت وأمرا مشكلا وقد جرى بعد العقد الذي هو غير ثابت أحكام غير جائزة ومشهور فسادها ودخل فيها من لم يكن يجوز أن يتقدم بأمرها ومع ذلك أيضا حدث قتل من قد علمتم فتكا بغير صحة ولا حجة علمناها وأوحشنا ذلك وقد طلب منه تصحيح ذلك الحال أصحابنا فلم يبينه وقولنا في ذلك قول المسلمين ونحن نتوب إلى الله من كل خطأ وأما ان اجتمع أمر المسلمين والمشورة على شيء ووقع التراضي على امامته فبعد التوبة واظهار ذلك والانصاف أو حجة جائز أن يعقد له إن تاب وسأله آخر فقال: أفتنا في حفص بن راشد أكانت إمامته صحيحة أم لا وقد بايعنا له محمد بن الحسن الليانى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والجهاد فى سبيل الله فبايعناه وخرجنا عندهم فلم نر من ذلك شيئا وسلمنا إلى الثقاة من أهل دعوتنا شيئا من الزكاة فقبضها وأنفق منها شيئا فوقع الخوف فهرب وانتهبت فضمنها ذلك الإنسان الذى قبضها ألنا من هذا براءة عند الخالق أم لا وذلك انا كنا دائنين بطاعته مسلمين جاهلين بالحدث عن الإمامة وكذلك ابتليت أنا لهم بقبض شىء من الناس بأمر أصحابه أعلى فيه ضمان اما قبض بيدى فلا ولكن كنت أحضر ذلك وآمر فيه ما يلزمنى فى ذلك بين لى ذلك رحمك الله قال : هذا شيء مستور وأمره كان مقبوراً فلا أحب فيه ظهورا وأما أنا فقد بلغت فى الغاية وأفصحت الأمور مع الريب الذى فيه وطلبت بصحيح ذلك فوجدت الأمر فيه غير ثابت فى العقدة والعمل غير مستقيم ولم أكن دائنا لله بطاعتهم وكنت غرمت ما قبضوا منى وأبدلت صلاتى يوم صليت الجمعة عندهم وأما أنت على ما سألت فان المستحل الدائن لله بالطاعة إذا أخطأ ثم علم بخطئه فأكثر القول أنه لا ضمان عليه وعليه التوبة والرجوع عن ذلك وأما الشيخ لعله يعنى أبا محمد فرأيت يوجب الضمان على من دخل مستحلا بغلط وقد كان ألزمنى ضمان ما كان أيام راشد بن الوليد لعلل أرادوا من الذى دفعت وقبضت سوى الذى فى الاستحلال والدينونة والذي أحبه لك ان قدرت على الخلاص من ذلك أن تبدل مكان زكاتك وتستحل من أخذت منه شيئا إلا أن يكون رسولا لصاحب الزكاة إلى الوالى فلا ضمان وأما الأحكام عند الخالق فذلك إليه وانما تعبدنا بالحكم ما يعلم فى الظاهر فعلمناه السلام . هذا كلام أبى الحسن البسيانى وفيه ما فيه على حفص وما أراه من قبيل مخالفتهم فى الغلو فى أمر موسى وراشد بن النظر

حيث أن الامامين لم يكونا على بدعتهم وكتبت بعد كلامه مسائل تشبه الرد عليه من كاتبها منها ما نصه :

قال بعض المسلمين إن الإمام لا يحتاج إلى العقدة إذا وقع الرضى عليه والتسليم ثبتت إمامته ومن ذلك إمامة عمر رضى الله عنه إنما قدمه على الإمامة للناس أبو بكر وحده رضى الله عنه فلما وقع التسليم والرضى بإمامته ثبتت له من غير عقدة ومنها ما معناه : أن الإمام مصدق فيما يكون فيه مؤتمنا فلا يطالب بالبينة على يد سارق قطعها ولا على حد أقامه ولا على حكم أنفذه وإنما يكون محجوجا فى الأشياء التى هو والرعية فيها سواء مثل الحقوق التى للعباد فيها تعلق وتخرج منه ومن غيره مخرج الأحداث . وهذه مسألة أظنها وقعت فى أمر حفص بن راشد سئل عنها أحمد بن عمر ابن أبى جابر المنحى وهو من الغلاة فى أمر موسى وراشد قيل له في إمام غير ثابت الإمامة ألزم رجل من المسلمين المدخل عنده فى أسباب وكان يأمره أن يكتب اطلاقات الجبايات إن كان إطلاق هذا الرجل لهذا المال على سبيل الاحتساب أنه يطلقه للفقراء وابن السبيل وكان اعتماد هذا الرجل على هذه النية لا ليمضى أمر هذا الإمام ولا يعمل برأيه وإنما هو على قدر ما يرى من يستحق هذا المال لفقره لا غير ذلك هل يسعه ذلك قال يسعه ذلك على هذه الصفة قيل له فإن أمره أن يحلف له رجلا ممن يخشى منه كما يفعل الأئمة قال يحلفه المسلمين لا له قيل له فإن أمره أن يبايع له أحداً من الناس هل له ذلك قال يبايعه على الحق لا له قيل فإن أنفذه لغزو عدو للمسلمين أو لنمع ملصة قال يكون احتسابه ذلك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن امتنع عليه من أمره بالمعروف ونهاه عن

المنكر وكان منكره الذى ارتكبه عياناً كان له محاربته إن حاربه بعد أمره له بترك منكره الذى ارتكبه وإن كان على وجه التهمة له مثل قطعه الطرق والتعرض لمظالم الناس والتعدى عليهم ولحقه هذا القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يحاربه إلا بعد الاحتجاج عليه بأن المسلمين قد رأوا الإمساك فى الحبس على الأشياء التى قد نسبت إليك وشهرت عليك من المناكر وقصدك إلى المظالم فإن أجاب لم يكن إلا ما رآه المسلمون وان امتنع عن ذلك عملوا عَلى الاستيثاق منه فإن شهر السلاح وحارب عَلَى ذلك ولم يرجع إلى الحق كان قصدهم فى مجاهدتهم هذه على أنهم يسكونه عن الأشياء التى قد نسبت إليه من المظالم والقصد لها والمناكر والعمل لها فان تامت نفسه فى ذلك لم تكن فيه تبعة على هذه الصفة ، قيل فان أراد هذا الإمام الخروج إلى بعض النواحى لغزو قوم ظلمة متعدين وطلب صحبة هذا الرجل هل يصحبه قال إن شرط عليه أن لا يفعل ولا يقدم على شىء إلا برأيه وعرف صدقه فى ذلك أنه يقبل منه ولا يغصبه فى شىء جاز له الخروج معه على هذه الصفة والله أعلم .

هذا آخر ما أردنا نقله من جوابات أحمد بن عمر بن أبى جابر المنحى وتقدم فى آخر إمامة راشد بن الوليد كلام ذكره ابن الأثير فى كامله فى إمامة حفص بن راشد وأنها عنده فى حوادث سنة ثلاث وستين وثلثمائة وذكر هنالك حروب سلطان العراق لحفص بن راشد وكان فيما ذكره أنه اجتمع بجبال عمان خلق كثير من الشراة وجعلوا لهم أميراً اسمه ورد بن زياد وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد فاشتدت شوكتهم قال فسير عضد الدولة المطهر بن عبد الله فى البحر أيضاً فبلغ

إلى نواحى حرفان من أعمال عمان فأوقع بأهلها وأثخن فيهم وأسر ثم سار إلى دبا وهى على أربعة أيام من صحار فقاتل من بها وأوقع بهم وقعة عظيمة قتل فيها وأسر كثيراً من رؤسائهم وانهزم أميرهم وردوا إمامهم حفص واتبعهم المطهر إلى نزوى وهى قصبة تلك الجبال فانهزموا منه فسير إليهم العساكر فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم وقتل ورد وانهزم حفص إلى اليمن فصار معلماً وقد تقدم عن بعضهم مايقتضي أن حفص بن راشد مات فى إمامته ، فما ذكره ابن الأثير تخليط فى الرواية ☼ وفى كامل ابن الأثير فى حوادث اثنتين وأربعين وأربعمائة قال : فى هذه السنة استولى الخوارج — يعنى المسلمين — المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية قال : وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر ابن الملك أبى كاليجار كان مقيماً بها ومعه خادم له قد استولى على الأمور وحكم على البلاد وأساء السيرة فى أهلها فأخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج إليه الأمير أبو المظفر فى عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانياً وقاتله الديلم فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم وقبض على الأمير أبى المظفر وسيره إلى جباله مستظهراً عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال وخرب دار الإمارة وقال هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على ربع عشر مايرد إليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعاً على شكل

مسجد[1] قال وقد كان هذا الرجل تحرك أيضاً أيام أبى القاسم بن مكرم فسير إليه أبى القاسم من منعه وحصره وأزل طمعه هذا كلامه والله أعلم بصحته ، وفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة مات القاضى أبو على الحسن ابن سعيد بن قريش .

---

(١) قوله تلقب بالراشد بالله الخ هذا اللقب وأمثاله لم تكن الائمة من أصحابنا تلقب به فى قطر من أقطار الامامة فى المشرق أو فى المغرب وهذا من تخليط مؤرخى قومنا ـ وانظر إلى قوله وبنى موضعا على شكل مسجد فانه تعبير سخيف فيه شىء من التهكم لتستدل على مقصد هذا وامثاله فى حق من يخالفهم ولتكون على بينة من أنهم حتى فى الحقائق الواضحة المشتركة لا يعبرون عنها تعبيرا صحيحا إذا شاء لهم الهوى وإلا وأى غضاضة لو قال بنى مسجدا وكأن هذا يرى أن الامام ثائر على خليفته فى زعمه وقد لفق كلامه هذا ليبنى عليه زعمه ولكن تعبيره الأخير كشف مراميه وأبدى عواره والامام قائم بأمر الله تعالى تبعا لسلفه من الائمة وهم منتخبون أماما بعد امام إذا مات منهم سيد قام سيد والحقائق لا ينكرها إلا عديم البصيرة وإذا أنت اضفت إلى هذا قول ابن الاثير قبل : وانهزم حفص إلى اليمن فصار معلما وهو أسطورة ومؤرخو عمان أثبتوا أن الامام حفص مات فى امامته دون خلاف ـ كمل لديك اليقين فى الحكم على هذا التشويه التاريخى وعلى أهله .

باب إمامة راشد بن على

ولم أجد تاريخاً لوقت بيعته ولا عرفت نسبه غير أن الأحوال تقتضى أنه بويع بعد حفص بن راشد وعلى ذلك ترتيب السير ، ووجدت تاريخاً لتوبته الآتى ذكرها قريباً أنها كانت فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وذلك بعد إمامته كما ستقف عليه إن شاء الله وفى هذه السنة قتل القاضى أبو زكريا يحيى بن سعيد رحمه الله تعالى وفى يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وفى نسخة اثنتين وخمسمائة مات القاضى أبو على الحسن بن أحمد بن نصر بن محمد الهجارى ، وكان قبله بسنة مات القاضي محمد بن عيسى فى صفر ، وخرجت عليه — يعنى الإمام — الفرقة الرستاقية يريدون عزله ورؤساؤهم يومئذ القاضى نجاد بن موسى والقاضى أبو بكر وهو أحمد بن عمر بن أبى جابر المنحى خرجوا إلى الرستاق فى ذى القعدة سنة ست وتسعين وأربعمائة فلم نجد ذكراً لما كان بينهم غير أنى وجدت تاريخاً قال فيه خرج القاضى نجاد بن موسى مغلوباً مطروداً ليلة الإثنين من سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وقتل يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قتله الإمام راشد بن على . وخرج الإمام بعد قتله من نزوى فى تلك السنة ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شهر شوال ، وتوفى الإمام راشد بن على بعد ذلك بيسير فى هذه السنة وهى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، قال سعيد بن خميس الحدانى عاش القاضى نجاد بن موسى بن إبراهيم اثنتين وستين سنة وعاش ولده موسى ابن نجاد ستة وخمسين ومات ، وما مات حتى قتل ممن قتل والده ثمانية عشر

رجلا ممن يدعى السيادة ، قال وعاش ولده كهلان بن موسى خمسا وخمسين سنة وعاش ولده معمر بن كهلان ثمانية وثلاثين سنة . وهذه شروط شرطها القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى السرى رحمه الله على راشد بن على وأصحابه : أما بعد فإذا طلبتم منى الاجتماع والألفة وبذلتم من أنفسكم قبول النصيحة فإنى راغب فى مقاربتكم وموافقتكم وكاره لمباعدتكم ومفارقتكم غير أنه لا يصلح اجتماع إلا على طاعة الله وطاعة رسوله فإنما جعل فى طاعته المحبة والاجتماع والألفة وجعل فى معصيته العداوة والبغضاء والفرقة فإن أردتم منى اجتماعا فى الظاهر فإنى لا يمكننى من ذلك غير ما أنا فاعل وإن أردتم اتفاقا فى الظاهر والباطن فحتى أرى منكم غير ما أنتم عليه والله لا يستحى من الحق ولا دهان فى الدين ونحن غداً مسئول بعضنا عن بعض وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » وقد أنزل الله كتابه وأرسل رسوله وأوضح دينه ولا جهل ولا تجاهل فى الإسلام ، وقد تقدم من المسلمين خلفاء وقضاة وأئمة وولاة أخبارهم شاهرة وسيرهم معروفة ظاهرة فمن اتبع سبيلهم اهتدى ومن خالفهم ضل وغوى وقد قيل : اتبعوا ولا تبتدعوا[1] ، وقيل شر الأمور محدثاتها ، وقيل كل شىء إذا ذهب منه شىء بقى منه شيء إلا الدين فإنه إذا ذهب منه شىء ذهب كله والمسىء

(١) هذه الحكمة من مأثور بعض الأئمة الأوائل رحمهم الله وأما « شر الأمور محدثاتها » فمن الحديث الصحيح وقوله بعد : كل شىء إذا ذهب إلى آخره فمن أثر العلماء .

مخذول والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، فأول ما أشترطه عليكم أن تنصحونى وتعرفونى عيوبى وأن تقبلوا نصائح المسلمين ولا تردوا الحق على من جاءكم به بعيداً كان أو قريباً ، بغيضاً كان أو حبيباً ، وأن تتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم وتتقوه عز وجل فى سركم وجهركم من العمل بطاعته وأداء جميع فرائضه واجتناب جميع محارمه والاقتداء بالسلف الصالح من المسلمين مع الورع الصادق والوقوف عن كل شبهة وأن لا تعملوا عملا إلا بحجة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والانتهاء عنه والموالاة فى الله والمعاداة فيه ومشورة المسلمين أهل العلم والورع فيما يعرض عليكم من الأمور وقد قال الله تعالى « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » ولا تقتدوا برأيكم ولا تعجلوا فى أموركم ثم حسن الرأفة بالرعية عامة وبأهل الصلاح خاصة والرفق بهم والعدل فيهم وأن يتفقد الإمام أمر رعيته وقضاته وعماله وإن اطلع على جور من عامل له أوغيره أنكر عليه وقام فى ذلك بما يلزمه ولا تطلبوا العلو والرفعة فى الدنيا ولا تستنكفوا ولا ترفعوا أنفسكم عن أدنى منازل الدين ولا يكون القاضى اما أن يعطى الأمر كله وإلا غضب وجذب يده ووقف عما يلزمه فان من كانت هذه صفته لم يجز تفويض أمور المسلمين اليه إذ ليس ذلك من صفات المسلمين فان ولى الإمام والياً على بلد بمشورة غيره من المسلمين لا يغضب وان كان للقاضى وال على بلد فعزله الإمام بغير رأيه لم يغضب ولم يقف عما يلزمه ولم يترك مايجب عليه وكذلك غير هذا من جميع الأمور وأن تقتدوا بمن سبقكم من أئمة المسلمين وقضاتهم وولاتهم وأن تتبعوا سبيلهم وأن تهتدوا بهداهم وقد قال الله تعالى «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم

وساءت مصيرا » وأن لا يحلف القاضي الناس لنفسه بما يحلف به الإمام فان هذا لا نعلم أن أحدا سبق اليه من ولاة المسلمين وقضاتهم، وأن تردوا الخيل التي أخذت من الرعية ومع ردها عليهم لا يجبرهم القاضي على الخروج معه لغزو ولا غيره، إلا أن يتفق للامام الخروج بنفسه فى أمر يجب عليهم الخروج معه ولا يكون لهم عذر فى ذلك وأن تنصفوا الناس فى معاملاتكم ومداينا تكم فان كان لأحد عليكم حق فلا تمطلوه ليرضى بدون حقه تقية أو ضرورة أو تلجئوه إلى أخذ شيء من العروض حتى يأخذها بأكثر من قيمتها فى البلد ولا تبيعوا ولا تشتروا لأنفسكم إلا أن توكلوا فى ذلك غيركم من الرعية ممن هو غير داخل معكم فى حرمة وأمر ولا يعلم البائع أن المشترى لكم ولا تقبلوا من الرعية الهدايا والعطايا وأن تمنعوا خدمكم وأصحابكم من ذلك ولا تقبلوا من الناس أموالهم على وجه المعونة ولا ترسلوا اليهم فى ذلك إلا أن يتبرعوا هم من تلقاء أنفسهم أو يشير بعضهم على بعض من غير رسالة منكم ولا تتحملوا الديون إلا من ضرورة فى نفقة أو كسوة أو تقووا أمر المسلمين ولا تبذروا أموالكم ولا أموال المسلمين حتى تحتاجوا إلى أموال الرعية وتأخذوا منهم على وجه القرض أو المداينة أو المعونة وتحتجوا أنكم فعلتم ذلك ضرورة أو حاجة فليس هذا مما يوجد لكم عذرا فى أخذ أموال الرعية وأن ترفعوا الطمع فيما لا يجب لكم على الرعية وأن تسووا فى الحق بين القريب والبعيد والحبيب والبغيض ولا تصفحوا عن أحد وتأمنوه ثم تأخذوه وتعاقبوه بعد الصفح والأمان ولا تخرجوا إلى النواحي والبلدان بعسكر لا تضبطونه ولا تشدونه عن الظلم والفساد ولا تلزموا الناس ما لا يلزمهم من الخروج بل تعذروا من له عذر من مرض أو غيره ولا تفوضوا أمر تحرج الناس إلى العرفاء والجهال

فيبعدوا وتأخذوا الرُشَا منهم ، ولا تجبروا الناس على الخروج بلا زاد إتكالا
على الضيافة من عند الناس ، ولا تجبروهم على الرباط بلا نفقة ولا تستفتحوا بلدا
من بلدان أهل القبلة وأنتم لا تقدرون أن تولوا عليها وتحموها وتأخذوها
من ظالم وتسلموها إلى ظالم ، وأن تبذلوا الإنصاف لأهل السر والسنينة من
حرق منازلهم وخراب أموالهم وتعرفونهم ذلك وكذلك جميع النواحى التى
تجرى فيها الأحداث من عساكركم وصحابكم وتظهروا اليهم الإنصاف
حتى تعلموا أن الحق عندكم مبذول لمن طلبه والباطل مردود على من فعله ولا
تخرجوا اليهم بعسكر تفعلوا عنده مثل مافعل عسكركم الأول وإذا شكت
الرعية عاملا من عمالكم وطلبت عزله عنهم أن تعزلوه عنهم ولا تكلفوهم
عليه البينة وأن تردوا مكاتباتكم إلى ما كان عليه مكاتبات من سبقكم من
المسلمين وأن تفوا بعهدكم ووعدكم وقد قال الله تعالى « وأوفوا بالعهد إن
العهد كان مسئولا » ولا تكتبوا لأحد رقاعا خالية فارغة فان ذلك يخرج
مخرج السخرية والهزل وقد قال الله تعالى « لا يسخر قوم من قوم » ولا تفوضوا
إلى أحد الحكم بين الناس ولو كان لكم وليا حتى يكون ممن يبصر وجه
الحكم ، ولا تولوا واليا على بلد ولا على حرب ولو كان لكم وليا حتى
يكون عالما بعدل ما تولونه عليه ، ولا تأخذوا الزكاة من الناس بالقيد
والحبس على التهم ، ولا تقولوا لمن تتهمونه بكتمان الزكاة إنا لا نقبل منك
إلا بكذا وكذا وهذا كأنه حكم ولا يجوز مع المسلمين الحكم بالتهمة ،
وأن لا تبعثوا فى طلب الزكاة من الناس غير الثقاة لتوكلوهم فى تسليمها
إليكم فإنه قد قيل ان هذا لا يجوز وأن لا تزيدوا على خدمكم فيما تعطونهم
من أجرة خدمتهم خلاف سعر البلد ، ولا تأخذوا عطياتكم بغير حساب

فإن هذا لا يفعله صاحب دين ولا دنياً إلا ما شاء الله ، وأن لا تكتبوا إلى ولاتكم وأمنائكم رقاعا لا يجوز لهم أن يعملوا بها ، وأن لا تنفوا المسلمين ولا تعاقبوهم بالتهم والظنون فإن العدول لا تهمة عليهم ، وان عاقبتم أحداً من المسلمين فعرفوه خطأه الذى أوجب عقوبته عندكم ، وان بلغكم عن أحد من أهل الصلاح ما تكرهونه فلا تعجلوا فى عقوبته حتى يظهروا الحجة عليه عند المسلمين وأن لا تعرضوا لأحد فى فعل منكر تأويلا منكم أنكم لم تأمروا تصريحا لم يلزمكم فى التعريض ، بل قد قيل ان التعريض يقوم مقام الأمر الصريح ، وأن لا تعملوا بالآحاد من الأخبار التى لا عمل عليها عند المسلمين وأن تقربوا أهل الصلاح وتدنوهم من أنفسكم وتبعدوا أهل الجهل والسفل وتنزلوا كلا منهم حيث أنزل نفسه ، وأن تعتذروا إلى من لحقه منكم جفاء من المسلمين ، وأن ترجعوا فى العبدة التى أشتريت من عند أبى الفرج والبيت الذى اشترى من عند موسى الفرقانى إلى قول المسلمين وما يوجب الحق فى ذلك ، وأن ترجعوا فى حكم المال الذى يمنح إلى قول المسلمين ، ولا يستبد القاضى فيه برأيه دون المسلمين وأن لا تعرضوا من عند أبى العرب ابن أبى جابر شيئاً من ماله بقرض ولا معونة ولا عارية ، ولا تمنعوا ورثة ابراهيم بن عبد الله من مالهم بغير حجة ولا حكم فإنا لا نعلم أن فى ذلك جوازا فإذا سألكم أحد حاجة فاما نعم منجزة وإما لا مريحة فإن المماطلة عند العطاء تنغيص وتنكيد ، والمماطلة مع الحرمان سخرية وهزل وكلا الحالين مذمومان عند ذوى الدين ، وإنما يفعل ذلك من هانت عليه نفسه ودينه وعرضه ، وإن قلتم إن ذلك من خدمكم وأصحابكم فلو علموا منكم الكراهية لم يتجرءوا

على ما تكرهونه إلا ما شاء الله ، فأما إذا كانوا ليتقربوا بذلك إليكم فإن عاره وإثمه راجعان عليكم ، ولا تحرموا الفقراء والمساكين هذا المال فإن لهم فيه سهماً ولا تقفوا فى شىء يلزمكم وتزيلوا عن أنفسكم اسم العذر فى التخلف فى العهد والوعد والتهمة بذلك وأن تؤمنوا من خوفتم من المسلمين وتردوهم إلى منازلهم ، فإن قلتم أنكم قد بذلتم لهم الأمان فلم يثقوا بأمانكم فلا أرى هذا يسقط به حجة عنكم ولا يوجب عند المسلمين عذركم إذا كانوا قد عرفوا منكم الرجوع فى وعدكم والتخويف بعد بذل الإمام خطة لهم بالامان وخافوه أن يفعلوا منهم من بعد كما فعلتم من قبل ، وأن تبذلوا الانصاف لأهل السر فى تلك الأحداث الشاهرة وتفعلوا كما يوجد عن محمد بن محجوب رحمه الله أنه كتب به إلى بعض الأئمة ، وعليك إظهار الإنكار فى ذلك والطلب لمن فعله حتى يعلم الناس ومن فعل ذلك أن الحق معروف وإنك مؤثره على ماسواه وتظهر الدعاء إلى الانصاف حتى تبسط لطالب الحق بلسانه وأنا أشير عليكم بذلك فى الأحداث التى جرت فى السر وغيرها من النواحى والبلدان ، وجميع الأحداث التى تجرى من عساكركم وأصحابكم ورعيتكم حتى يظهر عند الناس انكم أنكرتم الباطل ولم ترضوا به ولم تواطؤا عليه ولم تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتزيلوا عن أنفسكم الأوهام الفاسدة . فأما إذا كنتم تنادون بتخويفهم وتظهرون الغضب على من تتهمون أنه أراد أن يكتب إلى الإمام ويعلمه بما جرى من الأحداث فكيف يتجاسر الضعيف والمظلوم أن يرفعوا إليكم ويشكوا وينتصفوا ممن ظلمهم ، وإياكم والتقحم على الأمور بغير حجة ولا برهان وإياكم وسوء التأويل فإنه يروى عن النبى

صلى الله عليه وسلم أنه قال « أخوف ما أخافه على أمتى ثلاث : زلة العلماء وميل الحكماء وسوء التأويل » فانظروا لأنفسكم وسلوا المسلمين عما يجب عليكم ويلزمكم واتبعوا كتاب ربكم وسنة نبيكم وآثار الصالحين قبلكم ، ولا تميلوا بالناس يمينا وشمالا واحذروا يوما حذركم الله إياه فقال فى محكم كتابه « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » وأنا أستغفر الله مما خالفت فيه الحق والصواب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ، والإمام أراه ضعيف المعرفة قليل العلم والبصيرة ولا أرى له أن يولى واليا ولا ينصب قاضيا ولا ينفق من مال المسلمين شيئا ولا يعاقب أحداً ولا ينفذ حكما ولا يفوض شيئا من أمور المسلمين إلى أحد من الناس ولا يفعل شيئا من هذه الأمور إلا بمشورة المسلمين أهل العلم والورع ممن يكون حجة له فى ذلك ، وليس كل المسلمين يكون حجة فى هذا وإنما الحجة هو الفقيه وهو الذى يجتمع له حالان العلم والورع ، فإن فعل شيئا من هذه الأمور ببصر نفسه أو بمشورة من لايكون حجة له فى ذلك فانى أخاف أن لايجوز له ولا يسعه ولا يجوز لمن دخل معه فى ذلك ولا يسعه ، وإن كان الإمام ضعيف المعرفة قليل العلم والبصيرة لايعرف المشورة ولا يعقلها ولا يهتدى فأخاف أن لايجوز للمسلمين أن يجعلوه إماما ولو كان لهم وليا وأخاف أن لايثبت له عقد إمامته وسلوا المسلمين عن ذلك ومن كان لايعرف المشورة ولا يعقلها ولا يهتدى لها فالله أعلم تجوز إمامته أم لا وسلوا المسلمين عن جميع ذلك ولا تأخذوا منه إلا ماوافق الحق والصواب

وأنا أستغفر الله من كل خطأ كان منى فى هذا الـكتاب وغيره ، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم تسليما .

بسم الله الرحمن الرحيم توبة الإمام راشد بن على عمل القاضى أبى على الحسن بن احمد بن نصر المجارى ، أنا أستغفر الله وتائب من جميع ذنوبى كلها قليلها وكثيرها صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها ما علمت منها وما لم أعلم كان ذلك منى على العلم أوالجهل أو الخطأ أو النسيان أو التدين أوالاستحلال أو التحريم كنت متأولا فيه أو دائنا به ومما ارتكبته وأمرت به مما عملته جوارحى أو تـكلمت به بلسانى أواعتقدته بقلبى ، وتائب إلى الله تعالى من السيرة التى سرتها بغير العدل مخالفة للحق ومن كل خطأ منى فى إلزام أهل النواحى الخروج منها ومن ترك النـكير على نجاد بن موسى بعد علمى بالسيرة التى ســارها مخالفة للحق والعدل ومن ولايتى له على ذلك .وتوليتى إياه بعد علمى بأحداثه وفعله ومن الجبايات التى أمرت بها وجبيت بغير حق وأنفقت فى غير أهلها ومستحقيها ومن العقوبات التى عاقبت بها بغير الحق وتعديت فيها غير الواجب أو أمرت بذلك من فعله ومن إخلافى لـكل وعد وعدته ولم أوف به ورجعت عنه ومن كل عهد عاهدته ثم نقضته ومن تقصيرى عن القيام بما يلزمنى من الحق والعدل ودائن لله تعالى بما لزمنى فى الأحداث التى أحدثت فى القرى على أهل القبلة من الخراب والحرق وأخذ الأموال وعقر الدواب والأحداث فى تخريبها وماجرى من العساكر التى أخرجتها ومن كل حرب حاربتها وسفـكت الدماء فيها بأمرى وملزم نفسى بذلك وما لزمنى من حق وضمان ودية وأرش وغير ذلك فأنا دائن لله بالخروج منه

والخلاص إلى أهله ومستحقه وقابل قول المسلمين وراجع إلى قولهم وقابل نصيحتهم نادم على ماسلف منى فى نفى أحد من المسلمين أو عقوبته بغير مايلزمه ومعتقد أنى لاأرجع إلى ذنب أبداً وان علمت بذنب بعد هذه التوبة ولم أتب منه فهو داخل فى هذه التوبة وهذه التوبة لازمة لى إلى الممات ومن كل تولية والٍ وليته ولم يكن لى أن أوليه شهد الله وكفى به شهيدا ومن حضر من المسلمين ، وكانت هذه التوبة من الإمام راشد بن على بحضرة القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى ، والقاضى أبى على الحسن بن أحمد بن نصر الهجارى والشيخ أبى بكر أحمد بن عمر بن أبى جابر ، وأخيه أبى جابر محمد بن عمر ابن أبى جابر ، وعلى بن داود ، وعبد الله بن إسحاق المنقالى وغيرهم من المسلمين وكانت هذه الشهادة يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

بسم الله الرحمن الرحيم جواب من القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى رحمه الله إلى الإمام راشد بن على فيما سأله عنه من هذه التوبة وما رد عليه فيها ، سألت عن التوبة التى دعاك الجماعة اليها وإلى الكتاب الذى كتبوه لك فيها فاعلم أنى نظرت فى ذلك على قدر ضعفى وقلة بصيرتى فرأيت الكتاب يشتمل على معان كثيرة يطول شرحها غير أنى أذكر لك من ذلك مايسر الله والله أسأله التوفيق لذلك . أما توبتك من السيرة التى سرتها بغير العدل مخالفة للحق فان كان ذلك قد جرى منك على الاستحلال والتصويب لنفسك فلا أرى هذه التوبة تكفيك ولا تصح لك ولا يقبلها المسلمون منك حتى تفسر ذلك تفسيرا غير هذا وتتوب منه بعينه على التفسير ، وإن كان منك ذلك على التحريم والتعمد لمخالفة الحق عند فملك فما كان فيها من تلف نفس

أو مال فعليك الضمان والخلاص من حقوق العباد فى الأموال والأنفس مع التوبة ، وان كان ذلك منك جهلا بحرمته وظنا منك أنه واسع لك من غير تعمد للحرام ولا قصد منك لمخالفة الحق والاستحلال لذلك بديانة وتأويل فقد يوجد فى مثل هذا أنه يخرج مخرج التحريم وقد تقدم القول فى المحرم وما يلزمه من الضمان فى الأموال والأنفس والخلاص من ذلك ، وأما توبتك من الجبايات التى أمرت بها وجبيت بغير الحق وأنفقت على غير أهلها ومستحقها فالأمر فيه على نحو ما تقدم من الكلام فى المحرم والمستحل فان كان ذلك على وجه الاستحلال لما حرم الله فلا أراك تكتفى بهذه التوبة ولا يصح ذلك حتى تفسر تفسيرا غير هذا وتتوب منه بعينه على التفسير وإن كان منك على وجه التحريم فقد تقدم الكلام فى المحرم وعليك الخلاص من جميع ما أتلفته من الأموال والأنفس وإن كان ذلك على وجه العمى والظن أنه واسع لك فقد تقدم القول فى ذلك أنه يخرج مخرج التحريم ، وأما توبتك من العقوبات التى عاقبت بها بغير الحق فانها تجرى مجرى ما تقدم من القول به والجواب واحد ، وأما توبتك من كل حرب حاربتها وسفكت الدماء فيها بأمرك فان كنت حاربت حربا بعد حرب منها ماهو بالحق ومنها ماهو بالباطل فتبت من جميع ذلك فلا يجوز لك أن تتوب من الحق وعليك التوبة من توبتك من الحق وعليك التوبة أيضاً من الحرب التى حاربتها بالباطل وإن كان على الاستحلال فقد تقدم الكلام فى المستحل وإن كان على التحريم فقد تقدم أيضاً الكلام فى المحرم وما يلزم فى ذلك من الضمان فى الأموال والأنفس ، وإن كنت مخطئاً فى جميع محاربتك من أول إلى آخر فقد أصبت فى التوبة منها ، وأما الضمان فهو على ما تقدم به من الكلام فى المستحل

والمحرم ، وأما توبتك من ولايتك لصاحبك فإن كنت علمت منه حالا تحرم به ولايته عليك أوتوليته على أول وجه لايجوز لك أن تتولاه عليه فقد أصبت فى توبتك من ولايته وان كنت توليته من أول وجه تجوز لك ولايته عليه ولم تعلم منه حدثا مكفراً فقد أخطأت فى توبتك من ولايته بغير حجة وعليك أن تتوب من توبتك من ولايته ، وان كان قد صح عندك عليه حدث مكفر بشهرة لادافع لها أو بشهادة عدلين مع تفسير الحدث أو شهادة عالمين بالحدث بتفسير أو بغير تفسير أو شاهدت أنت منه حدثا مكفراً أو أقر عندك بذلك وتوليته من بعد فقد أصبت فى توبتك من ولايته على هذا الوجه ولكن استتبه من ذلك فإن تاب وكان مستحلا فقد قيل أنه يرجع إلى حالته الأولى من الولاية ولانعلم فى ذلك اختلافا ، وإن كان محرما ففى أكثر القول أن يرجع إلى ولايته ، وقيل فيه قول آخر ولاأرى لك أن تهمل أمره ولاأن تترك استتابته ولا الإنكار عليه إذا قدرت على ذلك فان لم تفعل ولم تستتبه فأخاف أن تكون أتيت خلاف ماعليه أهل الحق والعدل من المسلمين ، وأما توبتك من توليتك إياه بعد علمك فى احداثه وفعله فان كنت علمت منه حدثا مكفراً ووليته على ذلك الرعية فجار عليهم فى أنفسهم وأموالهم وأنت محرم لذلك فأخاف عليك ضمان ذلك فى أحداثه ان أتلف شيئاً من أموال الناس وأنفسهم ، وان كنت مستحلا لذلك فقد تقدم من الكلام فى المستحل والمحرم والجاهل مافيه كفاية إن شاء الله : تعالى وأما قولك وملزم نفسك ما لزم للعباد من حق وضمان ودية وارش وانك دائن بالخلاص منه فهذا هو الصواب إذا صدقته بفعل وقيام فى خلاص نفسك من حقوق الله وحقوق العباد ،

وأما القول وحده بلا فعل ولا قيام ولا اجتهاد فى خلاص فما النفع فى ذلك وقد قيل لاينفع التكلم بالحق إلا بانفاذه وقد قال الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » وإن كنت محقا فى هذه الفصول كلها والمعانى التى دعاك الجماعة إلى التوبة منها ولم يكن منك خطأ فى ذلك فى الظاهر ولا فى الباطن فتبت من الحق ليرضوا عنك فلم يكن لهم أن يدعوك إلى التوبة من الحق ولا لك أن تجيبهم إلى أن تتوب من الحق فاذا فعلتم ذلك جميعاً كان عليك وعليهم التوبة ، ولو أن الجماعة عند استتابتهم لك سلكوا بك مسلكا غير هذا المسلك الذى حملوك وحملوا أنفسهم عليه ربما كان أسلم لك ولهم وأخف وأسهل عليك وعليهم ولولا مخافتى أن لايسعنى السكوت ولا التغافل عن جوابك فيما سألتنى عنه لم أذكر لك شيئاً من هذا ولكنك سألتنى عما يلزمك فى تلك التوبة فاستصعبت الامساك عن رد جوابك ، وقد ذكرت لك ماقد ذكرته على قدر ضعفى وقلة بصيرتى فان كان حقاً فهو من الله تعالى فخذ به وإن كان فيه مخالفة للحق فلا تأخذ به وأنا أستغفر الله من كل ما خالفت فيه الحق والصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد النبى وآله وسلم تسليما انتهى كلام القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى السرى رحمه الله تعالى ولم نجد جوابا لكلامه وما ندرى ماذا كان بعد هذه النصائح البليغة الصادرة عن صدق الإخلاص . غير أنى وجدت أنه قتل رحمه الله فى نزوى فى موضع على طريق مساجد العباد غربى المقبرة الكبيرة التى تمر على حظيرة غلا فقة ولم يسم قاتله ولم يؤرخ وقت ذلك . وفى سنة أربع وخمسمائة لثمان ليال بقين من المحرم

مات أبو بكر أحمد بن محمد بن المفضل . وفى سنة ثمان وخمسمائة ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان مات القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن سليمان بن المفدى السمدى الكندى .

ذكر تاريخ وفيات الشيخ محمد بن صالح وذراريه

وإنما نذكرهم فى موضع واحد لحسن سلسلتهم فان بعضهم يعقب بعضا وبعضهم من بعض ، وكلهم فقهاء أجلاء وأولهم جدهم الأكبر أبو عبد الله محمد بن صالح وقد توفى ليلة السبت لليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وفى نسخة سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، توفى ولده أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح ليلة الاثنين فى النصف الأول من الليل لليلة خلت من صفر سنة ست وأربعين وخمسمائة رحمه الله ورحم أباه والمسلمين ، هذا الشيخ هو شيخ احمد بن عبد الله صاحب المصنَّف وتوفى ولده أبو القاسم سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح رحمه الله وغفر له ضحوة يوم الأحد لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وقيل وهو الأكثر أنه توفى لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وكان موته بعد وقعة أبوه بأربعة أيام وتوفى ولده عبد السلام بن سعيد بن احمد بن محمد بن صالح ليلة الجمعة لسبع ليال بقين من ذى الحجة الحرام سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وتوفى ابن عمه سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن صالح سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وهو الذى كان فى زمن الفقيه عثمان بن أبى عبد الله الأصم رحمهما الله . وتوفى أبو الحسن ابن أحمد بن أبى الحسن بن سعيد بن أحمد يوم

الثلاثاء ضحوة النهار لخمس ليال خلون من شهر ذى القعدة سنة خمس عشرة وفى نسخة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وتوفى الفقيه أبو الحسن بن سعيد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن صالح صبح يوم السبت لسبع ليال خلون من صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفى أحمد بن أبى الحسن بن سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن صالح يوم السبت ضحوة النهار لليلتين خلتا وفى نسخة بقيتا من المحرم وفى نسخة من صفر سنة احدى وثمانين وستمائة ، وتوفى أبو القاسم ابن أبى الحسن بن أحمد بن أبى الحسن بن سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن صالح عشية الجمعة سنة سبعمائة وأربعين ، وتوفى الفقيه أبو سعيد بن أحمد بن أبى الحسن بن أحمد بن أبى الحسن بن سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن صالح يوم الثلاثاء لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وسبعمائة.

فانظر إلى هذه الذرية المباركة الطيبة « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وهذه السلسلة فى تتابعها تشبه سلسلة آل الرحيل من محبوب بن الرحيل إلى سعيد بن عبد الله كلهم فقهاء أجلاء أهل فضل وورع وفقه واسع وعلم نافع ليس فيهم من يطعن فيه ولا من يشك فى فضله والله أعلم بالفقهاء الذين كانوا من ذراريهم بعد من ذكرنا فقد غابت عنا تواريخهم وتشابه السلستين سلسلة نجاد بن إبراهيم وذراريه ، وفى المتأخرين سلسلة آل مداد وهم قوم من النعب والنعب من قضاعة ، ويقرب من ذلك سلسلة الصلت بن مالك فان كثيرا من الأئمة والعلماء كانوا من ذريته والحمد لله رب العالمين . وبالجملة فان الخير يتبع بعضه بعضاً وكذلك الشر وكثير من البيوتات لم يفارق أهلها العلم وكثير منها لم يفارقهم الشرف والدين شرف الدارين وربما ينقطع فى بعض الأحيان ثم يرجع والناس معادن ، وسلسلة أئمة الرستميين

فى المغرب لذلك شاهد ومثل هذا كثير وإنما نستغرب منها حصول التتابع على نسق واحد حيث لا يكون فى السلسلة من يطعن عليه فى دين أو شرف أو علم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

﴿ تنبيه ﴾ ذكر بعض المتأخرين ثلاثة أئمة لم نعرفهم إلا من سيرته ومن حفظ حجة على من يحفظ : أحدهم عامر بن راشد بن الوليد الخروصى قال عقدت له الإمامة سنة ست وسبعين وأربعمائة ، قال وكان رجلا عالماً زاهداً ذا ذكاء وفطنة محسناً فى الرعية ، قال وكان إماماً شارياً ، قال وهو آخر الأئمة الشراة من بنى خروص ، قال فاستقام على الحق حتى توفاه الله رحمة الله عليه وأنت تدرى إن هذا الوقت الذى ذكر فيه بيعته وهو وقت إمامة راشد بن على بعينه فان صح ما ذكر فكأنه إنما بويع فى وقت إمامة راشد لأن الناس قد اختلفوا على راشد على حسب ما تقدم ، والإمام الثانى محمد بن غسان بن عبد الله الخروصى ، قال وكان إمام دفاع فأرادوه أن يكون شارياً فخاف أن لا يطيق حمل الشراة خوفاً من خلفاء بغداد ، قال : وكان رجلا عالماً بليغاً زاهداً ذا حلم ورأفة للرعية غيوراً على الممالك ، قال وكان أكثر حربه الحسا وأرض نجد ، قال وكان فى إمامته عادلا لم يعب عليه أحد فى زمانه ولا طعن عليه أحد فى شىء من أحكامه حتى توفى رحمة الله عليه ، قال وكانت إمامته تسع سنين إلا خمسة أشهر ، قال : ومن خصاله الحميدة وأفعاله الغريبة أن كل أحد أراده بسوء وعزم على حربه ومخاصمته ووصل هذا الإمام فى ساحته يسلم المخاصم له الأمر من غير قتال، والإمام الثالث الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان،

قال عقدت له الإمامة بنزوى وقاتل فيها النباهنة[1] واستولى عليها وقهر الرستاق ونخل وجميع أقطار الباطنة ؛ قال ثم ان النباهنة استنجدوا بنى هلال والجبور ، قال ولم يزل يقاتلهم فى كل أرض ولم يعب عليه فى إمامته أحد حتى توفى رحمة الله عليه مستقيما على طريق الحق .

---

(١) آل نبهان ملوك عمان الذين ملكوا فى فترة من الإمامة من حدود منتصف القرن السادس إلى القرن العاشر وهم الملوك الذين ورد ابن بطوطة على عمان فى عهدهم وكانوا على شىء من بذخ الملك والجبروت وأبهة السلطان وكثير من ينزع منهم إلى الشهوات ولهم شعراء فحول مدحوهم بطوال القصائد ومتعها وشعر من أرق طبقاته يؤخذ من ثناياه أن ملك بنى نبهان كان على جانب من القسوة والسطوة والمدنية الآخذة بقسط من الابتكار والإنشاء والعمران ولم يكونوا نزاعين إلى شهوات فقط ومن شعرائهم من هو على قوة العلم والدين لا كبقية شعراء الملوك مجردين من الدين والله أعلم . ومن هؤلاء الشعراء الأمجاد أبو بكر الستالى وديوانه موجود من أجود شعراء بنى نبهان وأذكاهم ، وفيهم يقول :

وأنتم بنى نبهان أما نجاركم فزاك وأما فعلكم فجميل
أضاءت لكم فى كل شرق ومغرب مصابيح فضل ما لهن أفول

باب إمامة محمد بن أبى غسان

وهو فيما أظن من أئمة الطائفة الرستاقية وهم الغلاة فى أمر موسى وراشد ولم أجده مصرحاً به كذلك غير أنى عرفته من أحوالهم فان أبا بكر أحمد بن عبد الله بن موسى كان يحتج له ويناظر عنه فى سيرة سماها سيرة البررة ولم أجد لمحمد بن أبى غسان ذكراً فى نسبه غير أنى وجدت تاريخاً لموت القاضى أبى بكر أحمد بن عمر بن أبى جابر المنحى إنه مات يوم الأربعاء ضحوة وقد بقى من رمضان اثنا عشر يوما سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة قال وصلى عليه محمد بن أبى غسان الخروصى .فان كان هذا المصلى هو الإمام المذكور فهو خروصى وإن كان غيره فالله أعلم به غير أن هذا الوقت هو فيما أحسب وقت إمامة محمد بن أبى غسان ، ثم وجدت أن إمامة ابن أبى المعالى كانت فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة وظهر بذلك أن المصلى غير الامام أو أنه كان إمام فعزل . ويمكن أن يكون محمد هذا هو ابن الإمام راشد بن سعيد لما تقدم أن أبا اسحاق كنى راشدا فى شعره بأبى غسان ولمدح أهل الباطنة له . انه من أبناء الخلفاء والله أعلم بحقيقة الأمر . وكانت الطائفة الرستاقية تحاول الغلبة على الدولة حتى ظهروا ومن محاولتهم ماتقدم ذكره فى إمامة راشد بن على والظاهر أن أمامة محمد بن أبى غسان كانت عند الرستاقية على امامة راشد بن على لأن نجاد بن موسى كان فيما يظهر قاضيا له وفى بعض التواريخ قال : خرج القاضى نجاد بن موسى مغلوباً مطروداً ليلة الإثنين من سنة إثنتى عشرة وخمسائة .ودخلها أبو سعيد ابن الحسن بن زياد فى دولة محمد بن خنبش ومحمد بن أبى غسان وكتب

محمد بن أبي غسان إلى أهل الباطنة كتابافأجابوه بجواب طويل بليغ يرشح بالسرور و يرفل بالحبور وذكروا فيه أشعارا أعرضنا عن النثر اختصارا ونقتصر منه على الشعر اختيارا ، قالوا فيه .

وقلنا له إذ بدا طالعا ألا مرحبا مرحبا مرحبا
وكان لنا خير من قد أتى وكنا له خير من رحَّبا
حباب المسرة مسطورة بما قد أفاد وما قد حبا
ذهبنا بما ساق من حكمه إلى نيل آمالنا مذهبا
كسانا بموشى ألفاظه من الرشد برد الهدى مذهبا

ثم ذكروا بعده ألفاظا منثورة كالدرر المسطورة ثم قالوا بعده :

يعلو سماوات الجلالة فاخرا بأب شريف ماجد أو خال
وله مناقب حازها من قومه تاريخها من عهد عصر خالى
وخلا من الأدناس طيب نجاره وعلاه فهو من النقصية خال
إن شِيمَ خُلَّبُ بارقٍ من غيره شمنا لجود يديه بارق خالى
وله جلال قد كساه جمالها موشى برد خلائف وجلال

ثم قالوا بعده : الذى خلص عند النقد والتميز خلوص الذهب الإبريز استخرجه الله من عنصر الأكارم الأطايب كما استخرج نبيه صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب ، وقد أعاد الله بسلامته ووجوده لهذه الدعوة ما كان رفاتا ، وجمع من شملهم شتاتا . واختارهم وأحياهم بعد أن كانوا أمواتا . وهو ما اشتمل به من ملابس الورع والديانة والنزاهة والصيانة . أهل لما تقلده من هذه الأمانة والجماعة به راضون وعن سواه معرضون فالله تعالى يحرس علينا شريف بقائه ويزيد فى رفعته وارتقائه ويديم عليه

ما اتسع من نعمائه وينعم علينا عاجلا بكريم لقائه خافقا بأرضنا فى عذبات لوائه مؤيداً بالنصر والفتح فى مذاهبه وأنحائه ، مسددا فى رأيه منقذا من الهلكة معاشر آله إلى أن قالوا : وعضده بالهزبر الضرغام والسيد القمقام والبطل المقدام القاضى الأجل السيد سيف الاسلام وعين العلماء والحكماء ذى البصيرة والرشاد والصلاح والسداد المبارز يوم الجلاد أبى المعالى نجاد بن موسى بن نجاد إلى آخر ما ذكروه وكتابهم موجود فى مجموع سير للسلمين . وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فى شوال ليوم بقى منه مات القاضى أبو محمد الخضر بن سليمان وذلك يوم الخميس وهو جد ابن النظر وفى سنة ست وثلاثين من ربيع الآخر ليلة الجمعة مات عثمان بن موسى وخالفه أهل العقر من نزوى ولم يدخلوا فى طاعته وذلك لأجل قدحهم فى إمامته ولعله حيث كان من الطائفة الرستاقية فحاربهم طويلا وقطع النخيل وكسر الأنهار ووقعت فى الحرب أحداث لا تكاد تخلو منها معرة الجيش ولا يقدح ذلك فى إمامة المحقق غير أن أهل العقر لما لم تكن إمامته ثابتة عندهم ردوا عليه بسيرة ذكروا فيها الاحداث الواقعة وجعلوها من المناكر وحملوها على القائم بالأمر . وهذه السيرة التى فيها الرد تنسب لأبى بكر أحمد ابن محمد بن صالح وهو شيخ أبى بكر أحمد بن عبد الله بن موسى صاحب المصنَّف . ورد هذا التلميذ على شيخه رداً بليغاً مسلماً لو سلم صحة أصل الإمامة غير أن شيخه يقدح فى أصل إمامتهم . وقال الراد قد علم الخاص والعام إلا من شاء الله من أئمتنا وأخذنا رأى الجماعة من أهل نحلتنا ولم يقف من وقف عن شك في الأصل بل خوفا من معارضة أهل البغى والجهل وكراهتهم لهذا الفعل ووقوف هؤلاء غير قادح فى أمر المسلمين ولا ناقص

لأهل الدين وقد قال على بن أبى طالب : ولعمرى إن كانت الإمارة لا تجوز حتى يحضرها جميع الناس فما إلى ذلك من سبيل ولكن أهلها يحكمون فيها على من غاب ثم ليس للحاضر أن يرجع ولا للغائب أن يختار ، ألا وانى مقاتل رجلين : رجل ادعى ما ليس له ، ورجل منع ما قبله . قال : وهكذا وجدنا عن غيره فانظر فى ذلك وبالله التوفيق .

باب إمامة موسى بن أبى المعالى بن موسى بن نجاد

بويع له سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو فيما أحسب من أئمة الطائفة الرستاقية ، وكان يومئذ الملك [1] بعمان محمد بن مالك ولم أجد ذكر نسبه ، فخرج عليه أهل عمان وكان يومئذ إمامهم موسى بن أبى المعالى بن موسى ابن نجاد فى عسكر لا يحصى ولا يعد ، وخرج الملك فى جملة اليحمد إلا الأقل منهم وخرجت معه عامر ربيعة ، وكان أيضا مع أهل عمان عامر ربيعة فخرجوا حتى توافوا بقرية الطو وكانوا قد استضعفوا أنفسهم عن الصولة وأجمع رأيهم على الرجوع وطمعوا فى السلامة وأعطوا ثقلهم العقبة وتأخروا ليكونوا حامية لساقتهم فلما صارت المطايا على العقبة وصلت إليهم البدو فى زحف من اليحمد فانهزمت أهل عمان ولم يعقب أحد عند ساداتها فقتل الرئيس وأخوه أعنى أبا عبد الله بن أبى المعالى وقتل من الناس خلق كثير وأخذ من الناس مالا يحصى وكذلك الموت بالعطش ولم ينج إلا ذو عمر طويل وأتت اليحمد والبدو على جميع التجافيف والدروع والسلاح وكان ممن أخذته البدو الرئيس أبا المعالى بن عبد الله وعبد الله بن خنبش بن أزهر وأحمد بن محمد الصايحى وجماعة من أهل سمد ومن سائر الناس عدد لا يحصى وكانت هذه الوقعة فى يوم الأربعاء فى يوم تسعة وعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة فمدة إمامته عشرين سنة ، وسيأتى كلام يقتضى أنهم

---

(١) الملك غير الامام فالمراد به من ملك بالقهر كما أن الامام من نصب بالاختيار والشورى .

نصبوا فى عصره إماما ، وفى أيامه مات القاضى أبو على الحسن بن أحمد بن محمد ابن عثمان رحمه الله ، عشية الجمعة لست ليال خلون من ذى القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان الملك قد أرسل إليهم قبل خروجهم عليه بثلاث سنين نصيحة قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا لا تبعثوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

يتصدر لسيدنا الأجل الأمجد والمشايخ الاجلاء الفضلاء الأتقياء حرس الله أيامهم وأسبغ إنعامهم وأجزل فى الخير أقسامهم أنى قد كتبت قبل كتابى هذا كتابا أطلب فيه إيضاح الحق وإظهار برهان الصدق ولم يرجعوا لى جوابا يقطع ولا أتوا بايضاح ينفع والحاجة والإشفاق من شقاق يدعو إلى المعاودة وان كان كلامى لا يسمع وتنصلى بالنصيحة لا ينفع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » والحق كلما كشف تبلج والباطل كلما كشف تلجلج والذى شرحته أولا أشرحه آخرا غيرة على حضرتهم الشريفة ان الحق واضح لا يخفى والباطل لا يخفى فانهما طائفتان لا تشبه إحداهما الأخرى لأن الحق نور والباطل ظلمة فشتان بين النور والظلمة ، وقال شعرا :

لقد أسمعت من تدعو لحق ولكن ما بحق من أنادى
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

ولكن قد قيل فى المثل : إذا أقبلت الفتن نزع من كل ذى لب لبه وعندى أنهم يعرفون ما أقول حقاً ولكن قد قال الله تعالى (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا

إيمانهم بظلم) وقد جعلت بيني وبينكم حكما وقد أشهدت الله وملائكته عليكم وأسألكم به وبكتبه وملائكته ورسله أن تقبلوا الحق وتؤمنوا ضعفاء المسلمين من كل ناحية وتعطوهم المواثيق بالايمان على أنفسكم وقبول الحق ويجتمعوا ونجتمع والحق مقبول ونكون جميعا عند الحق وان كان يدعوكم إلى هذا المدخل وحمل هذه الأمور الخوف فليس هذا من سيرة المتقين فمن تمسك بحبل الله لا يخاف لومة لائم وان تطرحوا أيديكم في يدى وتقبلوا ما أقوله فأنا لكم الكفيل لما تحاذرونه من أمر العجم وأنا لكم مقاسم ومساهم فيما يأتيكم ان لزمتم الكفاف وتمسكتم بالتقوى والعفاف وأعطيكم بمآثر تطيب قلوبكم وربما اذا اجتمعنا كان للمسلمين راحة وللضعفاء قال الله تعالى : (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وأنا قد استيقنت فيما مضى كثيرا من أيام ذلك والده إلى يومى هذا ولو كنت محبا لقطيعة ومعتمدا لفرقة لكان من أسرته بالأمس بقرية كدم ما سلم لكن سلمهم الله تعالى ثم من اقتضى فيه رجاء أن يعرف ما أنا عليه وأن يجمع الله بنا شمل المسلمين وأن ينفع بنا الضعفاء والمساكين الا انى ليشهد أن يكون قد استحل المرعى الوخيم والمسلك الذميم وقد صرت كما قال الشاعر :

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يارجل

وأنا مع ما قد حدثت أعلل نفسى فيكم بليت ولعل وعسى وأقول مكابرا لعقلى عسى أن تنتبهوا من غفلتكم وترجعوا عن مدخلكم وينسد الحال وتنصلح الأحوال لأن هذا المدخل مدخل طمع ملك وطلب عرض وثأر وقد قال الله تعالى « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » وقال تعالى :

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقال تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » ولا يثبت الله أمراً ظاهره عدل وباطنه جور وظلم والله لا يخفى عليه شيء وان لبّستم على ضعفاء المسلمين وطغام الظاهرة فلا يخفى على الله ، وقد قال الله « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول » فسألتي من حضرتكم قبول النصيحة وترك العجب ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » وأنا مع كل هذا أحذر من انفتاق الحال بيني وبينكم ووقوع الفرقة والقطيعة وانفتاح الشر وأنا فيكم كما قال الأول :

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم   وتمتبون فنأتيكم فنعتذر
أفي الكتاب وجدتم ذا فنعذركم   بيني وبينكم الانجيل والزُّبر

وأنا المبتدأ بالقطيعة وَالمتظاهر عليّ بالحرب والشنيعة وأنا مع ذلك أداريكم وأعالجكم وأبذل لكم مني النصيحة محبة فيكم وإشفاقاً عليكم وأبقى على سدة الحال بيني وبينكم فان تقبلوا ما قد بذلت لكم من النصيحة والمودة وتقبلوا الحق وتسلموا له فأنا لكم أخ وناصح وصديق مساهم ومقاسم وان غلبتكم الأهواء واستحال بكم حب الدنيا واستحوذ عليكم الشيطان وقد قال الله تعالى (أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنا) الآية قال تعالى : (بل زين للذين كفروا مكرهم وصدُّوا عن السبيل ومن يضلل اللهُ فما له من هاد) ، (من يهدِ الله فهو المهتدِ) وقال : « ومن يهد الله فما له من مضل » وقد قيل « من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ » وإذا لم ينفع ما شرحناه رجعنا إلى قول الأول :

فلما رأيت الود ليس بنافع　　عمدت إلى الأمر الذى كان أحزما

(غيره)

وفى الشر نجاة حـ　　ـين لا ينجيك إحسان

وبعض الحلم عنـد الجـ　　ـهل للـزلة إذعان

حينئذ طابت نفسى عن صحبتكم وحققت شدة طلبكم ومفارقتكم مقاتلا على نفسى بما أقدر عليه لا صداً لسبيل الله ولا عاد على مغلوب قوم إذا غاب ولا حجة على الطالب إذا طلب وقد قال الله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقد قيل فى المثل : (دون الحريم يقتل الكريم) . فكنت مستعداً للجهاد على نفسى دافعاً للظلم وراداً للغشم وخوفاً من طلب الثأر والحرب مشتقة معنى من الحرب وليس كتابى هذا خوفا ولا فرقا من القتال إذا وقع النزال وإن كان الخادم أقل فلا آمن ذلك إلا أن حذرى من القطيعة والفرقة أشد مما تظنون ومتى عاد جوابكم بالأمس بذلت جهدى وشمرت لغاية طاقتى وقابلت بعون الله وأرجو تذكروا نصيحتى وترجعوا إلى قولى بعد فوت أشياء كثيرة ما كنت أود أن تكون لكن الأمر لله الواحد القهار اطئوا على أرجلكم ان شئتم الباطل والله شاهد عليكم إذ قد اجتهدت وبالغت فى طلب السلامة بالألفة بيننا وترك الشقاق ولم العصى فأبيتم إلا ما قد سوّلت لكم أنفسكم ، وقال شعراً :

فما بال من أسعى لأجبر كسره　　حفاظا وينوى من عداوته كسرى

وإنى وإياكم كمن نبه القطا　　ولو لم ينبهه لبات ولم يسر

أناة وحلما وانتظارا بكم غدا　　فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

كفكف غربك واستوقف سربك وأودع العصا بلحاها والدلو برشاها

فان من روتها ورأيها ان امتحنا أروينا وان قدحنا أورينا وان « نكينا أدمينا بحول الله وقوته لا بحول منى ولا قوة وأنا متوكل على الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره » وأنا كاره للفتنة ومبغض للفرقة ومجاهد على الصحبة أرجو من الله إذا لم تقبلوا نصيحتى وتركنوا إلى قولى أن يرجع بغيكم عليكم لقوله تعالى « ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم » وإذا عدم القتال وفرغ من اليحمد فقد فرغ إلا أن الشىء من معادنه وإن لم يوجد فى معادنه فهو فى غير معادنه أعدم ، وقال شعراً :

نصحنا لهم نصحا فجاءوا ببغيهم   وكنا لهم سلما فصاروا لنا حربا
فقلنا عسى أن ينتهوا عن فعالهم   فيستوجبوا منا بأن نغفر الذنبا
فلما أبوا إلا اعتماداً لشرهم   وبغيا جزيناهم إلى شرهم حربا
وقلنا لهم ذوقوا وبال أموركم   ومن يسق مر الماء لم يطعم العذبا

فواعجبا أكل هذا عمى أم تعام لكنه تعام وطمع فى غير مطمع ، وقال شعراً :

ليوث عرين كالخت عن عرينها   ويلقون جهلا أسدها بالثعالب
كأنى أراكم قد بعثتم عظيمة   سمام الأفاعى دونها للعقارب
فخلوا كتافيها وشدوا وثاقها   فان لها كفا مدر وحالب

فانا لا نحسر على مفارقتكم ولا نلهف على مقاطعتكم حفظا للاصر أو تحفظا للود السالف ورجاء لمستأنف وكأنى أقرع حجراً أصم أو أكلم أخرس أو أصم فانا لله وانا إليه راجعون إذ تقاطعون من لا يشتهى مقاطعتكم وتفارقون من لا يشتهى مفارقتكم ولكن قد قال الله تعالى :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) وقال الشاعر :

ولست بباغى الشر والشر تاركى ... ولكن متى أحمل على الشر أركب

(وقال آخر)

معاوى هل أبصرت فى الدهر تلمة ... بغاثا من الأطيار من يوعد الصقرا

هذا وان طمن علىّ طاعن فيما أنا عليه فانا مقر بالتقصير معترف بالخطأ ودائن لله تعالى بأداء الواجبات والتخلص من التبعات ، وان وجدت قوما لله كنت منهم ولهم ولله أمر هو بالغه وحكم هو نافذه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ خدمت حضراتهم الشريفة بالسلام الجزيل والدعاء الصالح الجميل ، وأسأل من حضراتهم رد الجواب بما يقتضيه رأيهم الرشيد الصائب ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم . تمت السيرة بعون الله وحمده ، قال ناقلها : وكانت هذه السيرة الفيصل كان كتبها إليهم آخر كتبه ، وقبل خروجهم عليه بعقبة بوه بثلاث سنين ، قيل وأن جماعة أهل عمان كانوا يقولون كانت هذه السيرة لمن كتبت إليه ملحمة أى مقتلة والله أعلم .

باب إمامة خنبش بن محمد بن هشام

﴿ وولده محمد بن خنبش ﴾

وأظنهما من أئمة الطائفة الرستاقية وهو ظن لا يحقق غير أن العاقد لمحمد بن خنبش صاحب المصنف وهو من الطائفة الرستاقية وكأن إمامتهما كانت فى وقت إمامة من ذكرنا قبل فكأن أهل عمان قد افترقوا طائفتين وأعوذ بالله من الفرقة وكانت كل طائفة تنصب إماما حتى جمع الله شملهم بعد الفرقة ، فأما خنبش بن محمد فلم أجد لسيرته ذكراً فى شيء من الكتب إلا ما قالوه فى تاريخ موته أنه توفى يوم السبت لعشر من جمادى الأولى فى سنة عشر وخمسمائة قالوا وجرى على الناس بموته مصيبة عظيمة قالوا وكان رجل من أهل الصلاح ينشد عند قبره شعراً :

وليس من الرزية فقد تيس ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية موت نفس يموت لموتها خلق كثير

وأما محمد بن خنبش فقد اختلفت النقول فى وقت إمامته ففى كشف الغمة وغيره من السير أنه عقد عليه يوم مات أبوه وأن العاقد له نجاد بن موسى وكان نجاد قاضيه وخطب أبو بكر أحمد بن محمد المعلم وكان ذلك سنة عشر وخمسمائة وهذا الكلام يقتضي أن إمامة محمد بن خنبش فى آخر وقت إمامة راشد بن على وقد تقدم أن نجاد بن موسى كان قاضيا لابن أبى غسان فان كان محمد بن خنبش هو محمد بن أبى غسان فظاهر وان كان غيره ففى هذا النقل نظر ، قالوا : ومات محمد بن خنبش سنة سبع وخمسين وخمسمائة وفى تاريخ آخر يقتضى عكس هذا وذلك أنهم أرخوا موت أبى بكر

أحمد بن عبد الله بن موسى بن سليمان الـكندى مؤلف المصنف أنه مات عشية الاثنين لخمس عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، قالوا ذلك بعد أن عقد للامام محمد بن خنبش بسونى هو ومن حضر عنده من جماعة المسلمين وأقام عنده بسونى ستة أشهر وعرض له المرض الذى مات فيه فانحدر إلى أهله بنزوى فلبث عندهم عشرة أيام ثم توفى وقبر بالمض من سمد نزوى فهذا يقتضى أن إمامة محمد بن خنبش كانت فى شهر رمضان من سنة ست وخمسين وخمسمائة والتاريخ الأول يقتضى أن بيعته كانت فى سنة عشر وخمسمائة وموته فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة وعلى هذا فتكون إمامته سبعا وأربعين سنة والله أعلم أى التاريخين أصح وتقدم ذكر إمامة محمد بن أبى غسان وإمامة موسى بن أبى المعالى وأن التاريخ فيهما وفى إمامة خنبش وولده متقارب أو متداخل والله أعلم بسبب ذلك ، وقبر الإمام خنبش بن محمد وولده محمد بن خنبش فى نزوى في الموضع الذى يكون لغشى الطريق الجائز الذى ينفذ من عند فلج الغنتق عند مساجد العباد عند الجبل الأسود الصغير يقال لذلك الجبل ذو جيود إذ كان له جروف بائنة من الصخور من اعراضه لا من أعاليه وهنالك أيضاً قبر القاضى أبى بكر أحمد بن عمر وولده أبى جابر وهناك أيضاً قبر القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى وهؤلاء المذكورون فيما أظن من الطائفة الرستاقية إلا محمد بن عيسى فالله أعلم به ، قال وكان رجل معروف بالفسق وشراب المسكر أوصى أن يقبر عندهم فقبر هنالك فاشتد ذلك على المسلمين فقيل لبعض الصالحين أينفعه ذلك وقد كان كذا وكذا قيل له ينبغى أن يتقرب من الصالحين فى الحياة وبعد الممات لنزول الرحمة فقبر الرجل هناك .

قيل : وأصيب أهل عمان بموت محمد بن خنبش ما لم يصابوا بأحد قبله ولعل ذلك كان لعدله وحسن سيرته مع طول مدته والله أعلم ، وفى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة يوم الاثنين لاحدى عشر ليلة خلت من رمضان مات أبو القاسم سعيد بن محمد بن عبد الله الشجبى ، وفى سنة ست وسبعين وخمسمائة يوم الأربعاء لتسع خلون من جمادى الأولى مات الفضل بن أحمد وفى هذه السنة وهذا الشهر لليلتين بقيتا منه مات أبو عبد الله محمد بن أبى غسان الساكن بفلافقة نزوى ، وكان ذلك يوم الجمعة عند صلاة الظهر ، وفى هذه السنة أيضا لاثنى عشر يوما خلت من جمادى الأخرى مات محمد ابن اسماعيل بن أبى الحسن اللجونى ، وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة يوم الاثنين لست ليال بقين من محرم مات أبو عبد الله محمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن عصر بن النصر الأفلوجى ، وفى سنة احدى وتسعين يوم الخميس لثمانى بقين من ذى الحجة مات أبو حفص عمر بن زائدة بمكة ، وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة فى ربيع الأول مات القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد ابن ابراهيم بن عمر السمائلى ، وفى سنة خمس عشرة فى شوال بعد الستمائة توفى القاضى أبو الميكال موسى بن كهلان بن موسى بن نجاد بن موسى ابن نجاد بن ابراهيم وفى جمادى الأخرى لثلاث عشرة ليلة بقيت منه سنة احدى وثلاثين وستمائة مات القاضى أبو عبد الله عثمان بن أبى عبد الله ابن أحمد المعروف بالاصم صاحب التاج والبصيرة وكتاب النور ولم يكن بأصم وانما لقب بذلك لأنه تصامم عن امرأة أحدثت فى حضرته فخجلت وقد جاءته تشكو واستماد شكواها يوهمها أنه لم يسمع مقالها لصمم فيه فسرى عن المرأة ما تجد من الحياء ظنًّا منها أنه أصم فلقب من يومئذ بالأصم

باب انتقال الدولة إلى بنى نبهان

وهم قوم من العتيك صار الملك إليهم بعد الأئمة السابقين وذلك لما أراد الله تعالى من إنفاذ أمره فى أهل عمان فانهم لما افترقوا فرقتين وصاروا طائفتين نزع الله دولتهم من أيديهم وسلط عليهم قوما من أنفسهم يسومونهم سوء العذاب ، قال فى كشف الغمة : ولعل ملكهم كان يزيد على خمسمائة سنة قال إلا أنه كان فيما بعد هذه السنين يعقدون للأئمة والنباهنة ملوك فى شيء من البلدان والأئمة فى بلدان أخر والله أعلم . وإذا استقريت التواريخ أخبرك الحال أن بنى نبهان ملكوا مرتين فملوكهم الأوائل هم الذين كان يمدحهم أبو بكر أحمد بن سعيد الستالى فى ديوانه . ومن كلامه فيهم قوله :

حلى الملوك وتيجانها وبيت المعالى وايوانها وبأس الكماة وأبدانها
وحلم الكفاة واحسانها توارثها الأزد حتى انتهت إلى أن حوى الإرث نبهانها
أمير العتيك تسامى به كهول العتيك وشبانها أنبهان أنك من عصبة
نماها إلى المجد قحطانها هم العين فى يعرب كلها وأنت من للعين انسانها
إذا طالبت مكرمات العلا بدا فى جبينك عنوانها وأنت إذا صعبت حاجة

أتى من يمينك امكانها

(وحيث) كانت دولة هؤلاء مبنية على الاستبداد بالأمر وقهر الناس بالجبرية لم نجد لدولتهم تاريخا ولا لملوكهم ذكرا إلا من ذكره الستالى منهم فى ديوانه وهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان وأخوه أبو الحسين أحمد وأخوه أبو محمد نبهان وأبو عمر معمر وأبو القاسم على بن عمر بن محمد بن

عمر بن نبهان وأبو الحسن ذهل بن عمر وأبو العرب يعرب وأبو اسحاق
ابراهيم بن أبى المعمر عمر بن محمد بن عمر بن نبهان وذكر من أولادهم
أبا عبد الله محمد بن عمر وأبا المعالى كهلان بن محمد وأبا عبد الله محمد بن
أحمد بن عمر وأبا محمد نبهان بن ذهل وأهل عمان لا يعتنون بالتاريخ فلذلك
غابت عنا أكثر أخبار الأئمة فكيف بأخبار غيرهم . وانما نذكر بعض
أخبار ملوكهم المتأخرين وسيأتى ذكرهم فى أخبار القرن العاشر (وفى
دولة) أبى المعالى كهلان بن نبهان وأخيه عمر بن نبهان فى سنة ستين
وستمائة خرج أمير من أمراء هرموز يسمى محمود بن أحمد الكوستى
فوصل إلى قرية قلهات وطلب وصول أبى المعالى إليه فلما حضره طلب
منه المنافع من أهل عمان وخراج أهلها فاعتذر أبو المعالى إليه وقال انى لا
أملك من عمان إلا بلدة واحدة فقال محمود خذ من عسكرى ما شئت
واقصد به من خالفك من أهل عمان فقال أبو المعالى إن أهل عمان ضعفاء
لا يقدرون على تسليم الخراج ، كل ذلك حمية منه على أهل عمان فحقد عليه
محمود وأضمر له المكيدة واستدعى أمراء البدو من أهل عمان فكساهم
وأعطاهم فوعدوه بالنصر على أهل عمان والخروج معه . ثم أنه ارتحل إلى
ظفار وركب البحر فلما وصلها قتل من أهلها خلقاً كثيراً وسلب مالا جزيلا
ورجع قاصدا عمان وأخذ طريق البر وحمل ثقله فى المراكب فى البحر فلما
صار فى طريق البر نقص عليهم الزاد فأصابهم جوع حتى بلغ عندهم الرطل
من اللحم بدينار وأصابهم عطش كثير لقلة الماء فى الطريق فقيل انه مات
من عسكره خمسة آلاف رجل وقيل أكثر وفى سنة أربع وسبعين
وستمائة فى دولة عمر بن نبهان خرج أهل شيراز على عمان ورئيسهم

فخر الدين أحمد بن الداية وشهاب الدين وهم خمسمائة وأربعة آلاف فارس وجرى على الناس منهم أذى كثير لاغاية له وأخرجوا أهل العقر من نزوى من بيوتهم وأقاموا على ذلك أربعة أشهر فى عمان وحاصروا بهلا ولم يقدروا عليها ومات ابن الداية وكسر الله شوكتهم وأصاب الناس غلاء كثير . وفى سنة خمس وسبعين وستمائة فى دولة كهلان بن عمر بن نبهان خرجت أولاد الريس على عمان وكان خروجهم فى شوال من السنة المذكورة فخرج إليهم كهلان بن عمر بن نبهان ليلقاهم بالصحراء وخرج معه جملة أهل العقر كافة فسبقت أولاد الريس على العقر فدخلوها وأحرقوا سوقها وأخذوا جميع ما فيها وسبوا نسائها وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به وأحرقوا الكتب وكان ذلك كله فى نصف يوم ثم رجع كهلان بعسا كره أول يوم من ذى القعدة واجتمعوا بالسراة فزحفت عليهم أولاد الريس ومن معهم من الحدان وكانوا مقدار سبعة آلاف وقتل فى هذه الوقعة ثلاثمائة رجل وانكسر أولاد الريس ومن معهم من الحدان

ذكر خردلة الجبار الذى كان على سمائل

وهو خردلة بن سماعة بن محسن ويقال أنه من النباهنة وكان يأخذ أموال رعيته ظلما فكان يأخذ من السبع النخلات نخلة ويسقى أمواله بماء العباد ويأكل أموال المساجد والمدارس والمقابر ويأخذ نصف مهر المرأة من العاجل إذا تزوجت وإذا طلقت خاصم فى الآجل وكان يأخذ نصف الحب والتمر والقطن ويكلف الناس حمل متاع بيت المال إلى الحصن بعنف ويكلف أهل قيقا وبدبد يحملون تمرهم وما يقتضيه منهم على دوابهم وظهورهم إليه ولا يبالى ويأخذ نصف حق المدعى وكان لا يحلف المنكر

بل ينوع له العذاب حتى يقر عنده وكان قاضيه الضرير سلمة بن مانع الذى هو من بنى ضبة وإذا أراد أن يجلس للقضاء أرسل إليه وتارة يهجره شهرا ويقول سلمة أنساه الشيطان ذكرى فابتلى به عباد الله لتغييرهم فى الله وعمان بها العلماء والأفاضل ولكن كل فى بلده وشكت امرأة إلى خردلة اسمها عادية بنت محرز من بنى تميم وكانت أحسن أهل زمانها فادعت على زوجها أنه جامعها وهى حائض ، فأرسل خردلة إلى زوجها واسمه عباد بن عبيد من بنى جهضم فسأله عن قولها فأنكر ذلك فأمر به أن يصلب على مدفع من حديد[1] وكان فى وقت قيظ شديد الحر فصاح بالويل والثبور . فأرسل إليه جنديا يقول له : هلا صدقت المرأة فأقر بذلك خوف هلاك نفسه فأطلقه وأخذ منه صداقها وبعث به إليها فتزوجها . وقال لعباد قد حرمت عليك وحلت لى ولم تزل معه إلى أن قتل خردلة . وخردلة هذا هو الذى قتل الشيخ بن النظر . وسبب ذلك أن ابنة أخت للشيخ يقال لها

---

(١) يستفاد من هذه العبارة أن ولاة عمان كانوا على اهتمام عظيم بكل أسلوب من القوة ، والعمل فى سبيل التفوق فى القوة الحربية ، وكذا النظم والانشاء العمرانى كما قد مر لك ما كان عليه الأئمة السابقون من تقوية الأساطيل والجند النظامى . وبعض ملوك النباهنة من العظمة والعمران . ثم ما أفادنا به المؤلف من وجود المدفع وهو فى ذلك العهد من غرائب الابتكار . ويعد حديث العهد فالدولة التى تقتنيه لا شك أن لها شأنا وأى شأن فى الميدان العسكرى . وإذا كان المؤرخون العمانيون لم يكشفوا لنا عن هذه الناحية فإنه فى خلال العبارة يتراءى لنا ما يكشف غموضها ولو جزئيا ومنه ندرك تلك العظمة والتفوق ولعلنا فى مستقبل الأيام بحول الله وقوته نجد متسعا للبحث فى تاريخ عمان المدنى فى مؤلفات الأوربيين فقد بلغنى ما يثلج الفؤاد من المطلوب فيها وهم أبرع فى هذا الجانب ولدينا بعضه اليوم .

عائشة بنت محمد بن راشد من بنى النظر تزوجت برجل من بنى النظر أيضاً على خمسين محمدية فضة . فأرسل خردلة جنديا لأخذ نصفها من الشيخ أحمد فمنعه الشيخ ذلك ، فأرسل جندا كثيرا يدعونه إلى حضرته ، فلما مثل بين يديه طالبه بالدراهم وتهدده وأغلظ عليه . ومن بعض قوله : كنا أردنا منك الخمسين فقط والآن لا يكفينا إلا دمك ، قال الشيخ الأمر لمن خلقك لا لك فقال أتهزأ بى فأشار إلى بعض الجند أن ألقوه من هذه الكوة فكتفوه وألقوه وكانت كوة قصره شديدة العلو فوقع إلى الأرض ميتا رحمه الله . ثم أمر أن تدخل داره ويؤخذ ما فيها فأخذت كتبه ومصنفاته فأحرقت وكانت له جملة مصنفات . منها كتاب (سلك الجمان فى سيرة أهل عمان) مجلدان لم يجدوا منها شيئا إلا تسعة كراريس محروقة ومنها (الوصيد فى التقليد) مجلدان ومنها (قرى البصر فى جمع المختلف من الأثر) أربع مجلدات . وجدت قطعة منه بقيقا وهى من بعض تساويده

واسم ابن النظر أحمد بن سليمان بن عبد الله بن أحمد بن العالم الكبير الخضر ابن سليمان الذى هو من بنى النظر فبنو النظر قبيلته وإليها نسب لشهرتها وكان يسكن سمائل وبيته بالجابية الفوقية شرقى الجامع . وكان جده الشيخ عبدالله بن أحمد قاضى القضاة بدما وهو مؤلف كتاب « الانابة فى الصكوك والكتابة » أربع مجلدات وكتاب « الرقاع فى أحكام الرضاع » مجلدين أجل ماصنف من الأثر عندأهل العلم والنظر ، وكان أحمد بن سليمان من أجود الناس حفظاً وكان يتعلم عند الشيخ مبارك بن سليمان بن ذهل ومنه تعلم الشعر وله فى الحفظ ما فاق به أهل زمانه ، وكان عالما بأشعار العرب وسيرهم وتواريخهم ومحاوراتهم ، وناهيك بعلم اللغة فانه أخذها بحذافيرها

وغاية ما حفظ من أشعار العرب أربعين ألف بيت ، ما كان من الثلاثة إلى الواحد ، وأما القصائد الكبار فلا تحصى وكان ينظم القصيدة فى ليلة ، وله ديوان أكثره تغزل ، فلما تبقر[1] فى العلم مزقه ثم صرف قريضه فى نظم الشريعة ، وتفرقت قصائده فى البلدان ؛ وذهب أكثرها ، فمن الذاهب قصيدة فى الولاية والبراءة غير اللامية المشهورة . وقصائد فى الصلاة والأحكام تزيد على أربع قصائد . وقصيدة فى الضاد والظاء نحو مائتى بيت . وقيل أنه تبقر فى العلم وشاعت تصانيفه فى الآفاق وهو ابن أربع عشرة سنة . والدعائم من آخر ما نظم . وقال ابن زكريا فى حقه : انه أشعر العلماء وأعلم الشعراء ونقل عن ابن النظر أنه قال : أنا أحفظ وقد نومتنى أمى فى المهد وقد علقت حول رأسى شمراخ بسر أبيض فانطاقت عنز فلاكته فصحت فطردتها جارية عنى ثم رجعت فلاكت الخرقة التى علىّ فصادفت إبهام رجلى فصحت فطردتها الجارية أيضا وأخذتنى أمى والدم يسيل من رجلى فنظرت فاذا أنا ابن عشرين يوما ، ويشبه من هذا المعنى ما ذكر أنه سئل أبو عبد الله محمد بن محبوب : متى أثبت عقلك ؟ أى حفظك ، قال : أعقل وقد انطلق الثور وأنا فى المهد فجرت الصينة على المهد فكفته فنظر ذلك اليوم فاذا أنا ابن ستة أشهر . وصينة الثور حبله الذى يربط به . وقوله فكفته أى فكبته على وجهه ، ووقع الصبى فى الأرض ووثب إليه أهله وهو يصيح تحت المهد فحفظ ذلك اليوم . وقيل لأبى على موسى بن على : متى

---

(١) تبقر : توسع فى دقائق العلم وتبحر فى فنونه وبقر بواطنها وبه سمى محمد بن على الباقر لتوسعه فى دقائق العلوم وبقره بواطنها وتبقر الرجل فى المال وغيره اتسع فيه ، وتبقر فى سفره إذا شق أرضا إلى أرض فتوسع فى سيره . قال الشاعر .

ألا هل أتاها والحوادث جمة ... بأن أمرأ القيس بن حجر تبقرا

أثبت عقلك ؟ قال : قد كانت والدتى تطحن وقد جعلتنى على الرحا ، قال فبلت حتى اختلط البول بالرحا والدقيق فضربتنى فنظر ذلك ، فاذا هو ابن سنة وأربعة أشهر ، وقيل لمحمد بن الأزهر رحمه الله : متى أثبت عقلك ؟ قال : ذكروا وأنا أسمع يقولون فى البيت اذبحوا البقرة فنظر ذلك فاذا هو يوم مولده وذكر أن ابن عبد الباقى محمد بن على بن عبد الباقى رحمه الله لما ترعرع وانتشأ تكلم عنده أهله : أنك خرجت من بطن أمك بمشيمتك فشققنا عنك بحرف من ذهب[1] ولم نعرف أين وضعناه إلى وقتنا هذا فقال : رأيت كأنكم حين شققتم عنى كأنكم وضعتم شيئا فى موضع كذا وهو سرب فى الجدار فالتمسوه فاذا هو هناك والله أعلم ، قلت وقد وقع لى نظير ما وقع لهم فتحريت ذلك اليوم فاذا أنا فيما عندى أقل من أربعة أشهر والله أعلم .

ذكر قدوم ابن بطوطة على عمان

وهو رجل سنى من أهل المغرب من طنجة يقال له أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة كان طوافا فى الامصار والاقطار وجمع من رحلته كتابا يقال له (تحفة النظار فى

---

(١) هذه الحادثة حادثة الشق بالذهب غريبة جدا وهل يا ترى كان شقهم بالذهب اعتباطا أو لقصد طبى وهو أن الذهب لا يصدأ ولا يحمل خبثا وجراثيم ولهذا اختار الطب اليوم أسنان الذهب حتى لا تحمل جراثيم الأمراض فإن كان هذا دلنا على أن دقائق الطب وعلم الجراثيم موجود عند العرب وهو أمر لا يزال علماء أوروبا تنسب اكتشافها إليها دون سواها ويبعد أن يعمدوا إلى استعمال الذهب فى مثل هذا العمل الذى له علاقة بالجنين لمجرد المفاخرة والله أعلم .

غرائب الامصار وعجائب الاسفار) وكان قدومه على عمان فى أيام بنى نبهان فذكر عنهم غير الجميل ، وليته دخلها أيام الأئمة العادلين حتى يرى غير ما رأى ، وينظر السيرة النيرة والحق الواضح ومكارم الأخلاق ، ومعالى الصفات ومقامات الـكمال وعواطف الاحسان والافضال :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

قال ابن بطوطة : كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر الله رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، قال وسنى يومئذ اثنتان وعشرون سنة ، ثم ذكر أنه جاء إلى عمان من طريق البحر وأنه ركب إليها من ظفار فى مركب لرجل من أهل مصيرة ، قال فوصلنا جزيرة مصيرة التى منها صاحب المركب الذى كنا فيه وهى على لفظ مصير وزيادة تاء التأنيث جزيرة كبيرة لا عيش لأهلها إلا من السمك . قال ولم ننزل إليها لبعد مرساها عن الساحل ، قال وكنت قد كرهتهم لما رأيتهم يأكلون الطير من غير ذكاة ، وأقمنا بها يوماً وتوجه صاحب المركب فيه إلى داره وعاد إلينا ثم سرنا يوما وليلة فوصلنا إلى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور ، ورأينا منها مدينة قلهات فى سفح جبل فخيل لنا أنها قريبة وكان وصولنا إلى المرسى وقت الزوال أو قبله ، فلما ظهرت لنا المدينة أحببت المشى إليها والمبيت بها وكنت قد كرهت صحبة أهل المركب فسألت عن طريقها فأخبرت أنى أصل إليها عند العصر فاكتريت أحد البحريين ليدلنى على طريقها وصحبنى خضر الهندى الذى تقدم ذكره وتركت أصحابى مع ما كان لى بالمركب ليلحقوا بى فى غد ذلك

اليوم وأخذت أثوابا كانت لى فدفعتها لذلك الدليل ليكفينى مؤونة حملها وحملت فى يدى رمحا فاذا ذلك الدليل يحب أن يستولى على أثوابى فأتى بنا إلى خليج يخرج من البحر منه المد والجزر . قلت : وهذا الخليج نسميه نحن خوراً ولعله أراد خور صاغ . قال فأراد عبوره بالثياب فقلت له إنما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا ، فإن قدرنا على الجواز جزنا وإلا صعدنا نطلب المجاز فرجع ثم رأينا رجالا جازوه عوما فتحققنا أنه كان قصده أن يغرقنا ويذهب بالثياب ، فحينئذ أظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشددت وسطى وكنت أهز الرمح فهابنى ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ، ثم أخرجنا الى صحراء لاماء بها وعطشنا واشتد بنا الأمر فبعث الله لنا فارسا فى جماعة من أصحابه وبيد أحدهم ركوة ماء فسقانى وسقى صاحبى وذهبنا نحسب المدينة قريبة منا وبيننا وبينها خنادق نمشى فيها الاميال الكثيرة فلما كان العشى أراد الدليل أن يميل بنا الى ناحية البحر وهو لا طريق له لان ساحله حجارة ، فأراد أن نبيت فيها ويذهب بالثياب ، فقلت له انما نمشى على هذه الطريق التى نحن عليها وبينها وبين البحر نحو ميل ، فلما أظلم الليل قال لنا ان المدينة قريبة منا فتعالوا نمشى حتى نبيت بخارجها إلى الصباح فخفت أن يتعرض لنا أحد فى طريقنا ، ولم أحقق مقدار ما بقى إليها فقلت له إنما الحق أن نخرج عن الطريق فننام فاذا أصبحنا أتينا المدينة إن شاء الله ، وكنت قد رأيت جملة من الرجال سفح جبل هنالك فخفت أن يكونوا لصوصاً ، وقلت التستر أولى وغلب العطش على صاحبى فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من شجر أم غيلان وقد أعييت وأدركنى الجهد لكنى أظهرت قوة وتجلدا خوف الدليل ، قال وأما

صاحبى فريض لا قوة له قال فجعلت الدليل بينى وبين صاحبى وجعلت الثياب بين ثوبى وجسدى وأمسكت الرمح بيدى ، ورقد الدليل وبقيت ساهراً فكلما تحرك الدليل كلمته وأريته أنى مستيقظ . ولم نزل كذلك حتى أصبح فخرجنا إلى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين بالمرافق إلى المدينة فبعثت الدليل ليأتينا بماء وأخذ صاحبى الثياب وكان بيننا وبين المدينة مهاو وخنادق فأتانا بالماء فشربنا وذلك أوان الحر ، ثم وصلنا إلى مدينة قلهات (وضبط اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخره تاء مثناة) فأتيناها ونحن فى جهد عظيم وكنت قد ضاقت نعلى على رجلى حتى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها ، فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة أن قال لنا الموكل بالباب لابد لك أن تذهب معى إلى أمير المدينة ليعرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه إليه فرأيته فاضلا حسن الأخلاق وسألنى عن حالى وأنزلنى وأقمت عنده ستة أيام لا قدرة لى فيها على النهوض على قدمى لما لحقها من الآلام . قال ومدينة قلهات على الساحل وهى حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشانى وهو شبيه الزليج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى قال وهو من عمارة الصالحة بيبى مريم ، قال ومعنى بيبى عندهم الحرة قلت بل هى كلمة ليست بعربية وانما جلبت إلى بعض ساحل عمان من أرض الزنج ، قال وأكلت بهذه المدينة سمكا لم آكل مثله فى إقليم من الأقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه ، وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الأرز ويأكلونه ، قال والأرز يجلب إليهم من أرض الهند ، وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتى إليهم فى البحر الهندى ، وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشد الفرح ،

قال وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا فيقولون مثلا تأكل لا تمشى لا تفعل كذا لا . قلت: نسب إليهم غير الفصيح لأنه لم يعرف قواعد عربيتهم وهم عرب صراح ولم يصلوا لا بكل كلمة من كلامهم وانما يحملون ذلك فى آخر بعض الكلمات فى بعض المواضع كهيئة التنبيه والحث على الفعل ويزيدونها هاء السكت فيقولون لاه وذلك إذا أرادوا التنبيه على المطلوب . قال وأكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرون على إظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تَهَمْتَن ملك هرموز . قال وهو من أهل السنة . قلت : أراد بقوله وهم خوارج أى أباضية ولم نعلم أنه أتى على الأباضية فى عمان وقت لا يقدرون على إظهار مذهبهم فيها وأن تسلط على بعض النواحى ملك من ملوك الآفاق وقليل ذلك فمذهبهم فى تلك الناحية شاهر ظاهر والملك الأجنبي يداريهم وانما ملك قلهات غيرهم فى هذا الوقت لاختلال الدولة بجور النباهنة . قال : وبعقربة من قلهات قرية طيبى واسمها على نحو اسم الطيب اذا اضافه المتكلم لنفسه . قلت : بل الصواب طوى بطاء مهملة مكسورة ثم واو مكسورة ثم ياء مثناة كياء النفس . قال : وهى من أجمل القرى وأبدعها حسنا ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه إلى قلهات وبها الموز المعروف بالمروارى بالفارسية والمروارى هو الجوهرى : المروار الجوهر وهو كثير بها ويجلب منها إلى هرموز وسواها وبها أيضاً التنبول لكن ورقته صغيرة والتمر يجلب إلى هذه الجهات من عمان يعنى البلاد العالية المرتفعة عن الساحل وإلا فالكل عمان . قال : ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام فى صحراء . قلت : انما كان مسيرهم فى صحراء لكون طريقهم

كان كذلك وإلا فبلدان عمان متقاربة لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بمسافة يسيرة . قال : ثم وصلنا بلاد عمان فى اليوم السابع وهى خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهى مدينة نزوى وضبط اسمها بنون مفتوح وزاء مسكن وواو مفتوح مدينة فى سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد منظمة نقية . قال : وعادة أهلها أنهم يأكلون فى صحون المساجد يعنى بالصحون الصروح . قال : يأتى كل انسان بما عنده ويجتمعون للأكل فى صحن المسجد أى صرحه ويأكل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبدا . قلت : وذلك لجور الملوك فى وقت وفوده إليها . قال : وهم أباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهراً أربعا فإذا فرغوا منها قرأ الإمام آيات من القرآن ونثر كلاما شبه الخطبة يرضى فيه عن أبى بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلى . قلت : وانما كانوا يصلون الجمعة ظهراً لأنه لا إمام لهم يومئذ . ومن شرط صحة الجمعة عندهم وجود المصر والامام فان اختل أحد الشرطين فقد اختلفوا فى صحة الجمعة وهى بدل من الظهر فالظهر واجبة بيقين والبدل مختلف فيه إلا مع كمال الشروط فلهذا اختاروا المجتمع عليه المختلف فيه لأنه خروج من العهدة بيقين والجمعة قائمة عندهم بصحار وهى قصبة عمان ولا تتكرر الجمعة عندهم فى المصر الواحد ولعل ما ذكره من فعل الإمام بعد الصلاة تذكير وتخويف وموعظة وهو شأن المرشدين فى المجامع والمحافل وليس هو بخطبة الجمعة وسكوتهم عن عثمان وعلى دليل على نزاهتهم ونظافة مذهبهم فانهم لا يعدون الشتم دينا كما هو شأن الشيعة قال : وهم إذا أرادوا ذكر على كنوا عنه بالرجل فقالوا

ذكر عن الرجل أو قال الرجل . قلت : هذا الاصطلاح الذى ذكره عنهم ماسمعناه عن أحد من عامتهم ولا خاصتهم بل يذكرون عليا باسمه الصريح كذكرهم غيره من الصحابة ولا يهجرون الاسم لأجل ماصدر من المسمى وليس صنيعهم من ذلك كصنيع الشيعة ولكن للعرب تفنن فى مخاطباتهم فلعله سمع من يقول ذلك على جهة الإبهام أو التعظيم فانهم يقولون ذلك فى مقام الإبهام والتعظيم . قال : ويرضون عن الشقى اللعين بن ملجم ويقولون فيه العبد الصالح قامع الفتنة . قلت : أما رضاهم عن ابن ملجم فالله أعلم به ، وهو قاتل على ومن صح معه خبره واستحق معه الولاية فهو حقيق بالرضا ، ومن لم يبلغه خبره ولا شهر عنه بما يستحق به الولاية فمذهبهم الوقوف على المجهول ، وعلى قتل أهل النهروان فقيل ان ابن ملجم قتله ببعض من قتل ، ويوجد فى آثارنا عن مشايخنا أنه لم يقتله إلا بعد أن أقام عليه الحجة وأنهى له خطأه فى قتلهم وطلبه الرجوع فلم يرجع ، وابن ملجم انما قتل نفساً واحدة وعلى قد قتل بمن معه أربعة آلاف نفس مؤمنة فى موقف واحد إلا قليلا ممن نجا منهم فلا شك أن جرمه أعظم من جرم ابن ملجم ، فعلامَ يلام الأقل جرماً ويترك الأكثر جرماً ، ليس هذا من الانصاف فى شيء ، وأما تسميتهم له قامع الفتنة فلم نسمعها إلا من كلام ابن بطوطة هذا . قال : ونساؤهم يكثرن الفساد ولا غيرة عندهم ولا إنكار لذلك وسنذكر حكاية أثر هذا مما يشهد بذلك[1] . قلت : أما هذا فكذب صريح وكنت

---

(١) ابن بطوطة يفترى عن عمد فى هذه الأحوال التى أوردها عن عمان ، ولعله يقصد بذلك تشويه السمعة لأهل عمان لأنهم يخالفونه مذهباً إذ يزعم أن الاباضية يترضون على ابن ملجم ويسمونه بقامع الفتنة ولو صح مازعمه لو جدناه فى كتب =

قبل هذا أوجه كلامه على أحسن وجوهه والتمس له العذر وأطبق قوله على وجه الصدق ما أمكننى حتى سمعت منه هذا الكذب ، وإذا لم تكن الغيرة عند أهل عمان فعند من توجد ، وإذا لم تكن العفة فى نسائهم فعند من تكون ، وأما الحكاية التى أشار إليها فان كانت حقا فهى نادرة وقعت من امرأة فاجرة بتسليط سلطان الجور لها ، ولا يحكم بالفرد على الجملة ولا يقاس العفيف بغير العفيف ، ثم انه ذكر أن صاحبة الفساد تتعلق بجوار السلطان الجائر فلا يقدر أهلها على منعها عن فسادها وان قتلوها قتلوا بها فكيف مع هذا ينسب إليهم عدم الغيرة ، قال : وسلطانها عربى من قبيلة الأزد بن الغوث ويعرف بأبى محمد بن نبهان ، قال : وأبو محمد عندهم سمة لكل سلطان يلى عمان[1] كما هى أتابك عند ملوك اللور . قلت : ما سمعنا بهذا الاصطلاح

= أصحابنا وهم لا يخشون أحداً إلا الله ، ولو رأوا هذا الذى زعمه لما قال المؤلف لم نسمعها إلا من كلام ابن بطوطة هذا بل يبين له وجهه كما ارتأوه واعتقدوه ، ويدلك على تعمده الافتراء الحكاية الآتية فى فساد النساء وزعمه أنهم لا غيرة لهم على أنه هو نفسه قال عن السلطان الذى أدركه : لا يقدر أهلها أن يغيروا عليها ولو قتلوها قتلوا بها فمن كان يخاف سلطان الجور ويجبن أن يغير منكرا مما ذكر كيف يحكم عليه بأنه لا غيرة له . والحق أن كلامه شاهد على كذبه تعمداً وما احتمله المصنف له ليس بشىء ، إذ لم يذكر أحد المؤرخين من أهل عمان عن بنى نبهان شيئا مما ذكره هذا المفترى على ما ذكروا فى حق الأئمة العدول وما اسندوا لبعضهم من موجبات البراءة والخلع دون أن يخافوا لومة لائم ولو صح لأحرى أن يذكروه وهو فعل لمن يبغضونه من الجورة . ولكن الباطل مهما اصطنعه المصطنع فإنه يتلجلج .

(١) هذا من فهمه وهو سقيم لم يعتمد فيه إلا على ظنه وتخيله على أن هذه الكنية خاصة بالملك الذى ادركه وربما كانت هى اسمه ولم يذكر ماذكره هذا الرحالة أحد من مؤرخى عمان .

فى شىء من الأزمان بل هى كنية عندنا لـكل من كنى بها كان ملـكا أو من السوقة ، وانما الاصطلاح الخاص بملوك عمان الجلندى وكان ذلك فى الزمان الأول فكل ملك عندهم يسمى الجلندى ، كما أن قيصر اسم لـكل ملك على الروم ، وكسرى لـكل ملك على الفرس ، والنجاشى لـكل ملك على الحبشة ، وتبع لـكل ملك على اليمن وحضرموت ، ثم تغير هذا الإصطلاح الخاص وصار الجلندى اسما لـكل من سمى به من ملك أو غيره وبقى العرف محفوظاً عند الأجانب . قال وعادته أن يجلس خارج باب داره فى مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحد من الدخول إليه من غريب أو غيره ، ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله أخلاق حسنة . قال : ويؤكل على مائدته لحم الحمار الانسى ويباع بالسوق لأنهم قائلون بتحليله ولـكنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهرونه بحضره[1] . قلت : ماسمعنا أن هذا وقع فى

---

(١) اعطف هذه الأكذوبة على مامضى لك من كلام هذا الرحالة لـكى تتيقن ما نقوله من تعمده وأمثاله للاختلاق قصدا للتشويه وسوء السمعة فتأمل الافتراء ينطق من عبارته إذ يقول : قائلون بتحليله ولـكنهم يخفون ذلك عن الوارد الخ وليت شعرى كيف يخفونه وهم يرون تحليله فيما يزعم . والقول بتحليل الحمر الأهلية هو عند بعض أصحاب المذاهب الأربعة . أما الاباضية فلم يكن عندهم هذا القول معمولا به قط ولا قال به أحد المحققين من فقهائنا وإنما يحكونه على أنه قول لبعض علماء الأمة وهو قول لبعض فقهاء قومنا وأصحابنا يحكون بكراهة التحريم على الحمر الاهلية كما يحكون بتحريم ذوات الناب من السباع وذوات المخلب من الطير كما ثبت فى الحديث الصحيح « كل ذى مخلب من الطير لحرام أكله » الحديث وأما ماذكره المصنف من الأثر المحلل لما عدا ماذكرته الآية «قل لا أجد فيما أوحى إلى » الخ ، فهو قول مالك وأهل المدينة وان قال به بعض أصحابنا فهو من متروك العلم عندنا والله أعلم .

شىء من الزمان بعمان وأهل المذهب أجل من ذلك فانه وان كان يوجد قول فى الأثر بتحليل ماعدا المحرم فى قوله تعالى «قل لاأجد فيما أوحى الىّ محرماً على طاعم يطعمه » الآية ، فان هذا القول لم يختص بذكره أهل المذهب بل هو موجود عندهم وعند غيرهم من المخالفين وأكثر القول بتحريم لحوم الحمر الانسية وهو المعمول به ، وفيه عندنا أثر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل المذهب أورع من أن يستحلوا ما صح فيه عندهم نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم هم يتقذرون من مثل هذا ولو كان حلالا فكيف يجعلونه على موائدهم ويباع فى أسواقهم ، ولا شك أن زماننا دون زمانهم والتنزه عن المستقذرات نراه موجودا عند خاصتهم وعامتهم فلا نقبل ما حكاه ابن بطوطة عنهم . قال : ومن مدن عمان مدينة أزكى لم أدخلها وهى على ما ذكر لى مدينة عظيمة ومنها القريات وشبا ، وكلبا ، وخورفكان ، وصحار ، قال : وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل وأكثر هذه البلاد فى عمالة هرمز . قلت : ذكر من بلدان عمان قليلا من كثير ثم انه ذكر البلدان الصغار وترك المدائن الكبار ولا لوم على غريب فربما ذكر له ذلك دليله الذى جاءه من بعض هذه البلدان فأين هو عن سمائل وسمد الشأن . وأبرا ، وبهلا وجعلان والباطنة وبلدانَ السر وبلدان الجوف والرستاق ونواحيها ونخل ونواحيها ، إلى غير ذلك ، ومعنى قوله وأكثر هذه البلاد فى عمالة هرمز أراد أنها تابعة لهرمز وأراد بهرمز هرموز ولعل بعض ساحل عمان كان فى أيام قدوم ابن بطوطة تحت يد سلطان هرموز لأن ملوكها يومئذ النباهنة وهم جبابرة عمان والظلم لم تبن عليه دار فلا عجب ان تفرقت عنهم الممالك ووصف

هرموز عند قدومه عليها بالعمارة التامة وهى اليوم خربة وآثار العمارة موجودة فيها والأيام دول . قال : حكاية كنت يوماً عند هذا السلطان أبى محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه ، وقالت يا أبا محمد طغى الشيطان فى رأسى فقال لها اذهبى واطردى الشيطان فقالت له لا أستطيع وأنا فى جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبى فافعلى ما شئت ، قال فذكر لى لما انصرفت عنه ان هذه ومن فعل مثل فعلها تكون فى جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذو قرابتها أن يغيروا عليها وان قتلوها قتلوا بها لأنها فى جوار السلطان . قلت : الله أعلم بصحة هذه الحكاية ، ولئن صحت فليست بغريبة من ملوك بنى نبهان فقد أظهروا الفساد فى البلاد وقهروا العباد بالعناد وجروا على ما تشتهى أنفسهم وحكموا بخلاف ما أنزل الله وقتلوا من أنكر عليهم من العلماء فليس ماحكاه عنهم بغريب ان صح . قال : ثم سافرت إلى بلاد هرمز يعنى هرموز ، قال وهرموز مدينة على ساحل البحر وتسمى أيضاً موغ أستان وتقابلها فى البحر هرمز الجديدة وبينهما فى البحر ثلاثة فراسخ ثم ذكر وصوله إليها وما رأى فيها من العمارة والعجائب وليس ذكر ذلك من غرضنا والله أعلم . وفى سنة تسعين وسبعمائة ليلة الجمعة فى جمادى الأخرى مات الفقيه سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح الضيبانى وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة فى شهر رجب مات عبدالرحمن بنزوى ؟ ، وفى هذه السنة أيضاً يوم الخميس منتصف ذى القعدة مات أبو القاسم بن أبى شائك بأزكى ، وفى هذه السنة أيضاً فى ثانى عيد الحج قتل سلطان بن على بن معمر فى طراد الخيل قتله ابن عمه حسام .

باب إمامة الحوارى بن مالك

وفى بعض الأثر مالك بن الحوارى فلا أدرى أهما إمامان بعضهما بعد بعض أو انقلبت العبارة سهواً على بعضهم وكذلك وقع الخلاف فى تاريخ موتهما فأرخ موت الحوارى بن مالك فقالوا مات سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ، وقال مات مالك بن الحوارى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ولعل الثانى منهما ولد الأول ، فأما الحوارى بن مالك فعقدت له الإمامة سنة تسع وثمانمائة وتوفى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة فتكون إمامته على هذا ثلاث وعشرين سنة ، وأما مالك بن حوارى فعقدت له الإمامة بنزوى وملك جبل بنى ريام وجاء بعسكره إلى الرستاق ، وقتل منهم ناس وشهد سليمان بن راشد بن صقر أن الإمام مالك بن حوارى أمر عبد الله الملقب بالهول أن يغزو الرستاق ، وروى أنه أمر بحرق سور القلمة ، قالوا وعاش فى الإمامة إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وفى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة أيضاً آخر شهر ذى الحجة مات الفقيه سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوى رحمه الله .

باب إمامة أبى الحسن بن خميس بن عامر

عقدت له الإمامة يوم الخميس فى شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وخاصمه بنو صلت وحاربوه ، وروى عن الشيخ عبد السلام أن أباه الإمام أبا الحسن بن خميس بن عامر أمر بخشى[1] نخل بنى ربيع خدم بنى صلت وهو يومئذ إمام عمان رحمه الله لأن بنى ربيع خاصموه عند بنى صلت والله أعلم * وشهد سليمان بن راشد بن صقر العدوى ودهمان بن راشد أن الشيخ العالم ورد بن أحمد بن مفرج أمر الإمام أبا الحسن بن خميس بن عامر بخشى أموال المحاربين له وخشى عليهم بأمارته وفتواه ، وعاش أبو الحسن فى الإمامة إلى أن توفى يوم السبت فى احدى وعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة فمدة إمامته سبع سنين وشهران ، وفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة يوم الأربعاء عند زوال الشمس لثلاث ليال بقين من ذى الحجة مات الشيخ ورد بن أحمد بن مفرج البهلوى ، وفى سنة خمس وسبعين وثمانمائة يوم الخميس عند غروب الشمس لخمس مضين من المحرم نصب محمد بن سليمان بن أحمد للحكم بين الناس ، وفى هذه السنة يوم الثلاثاء لثلاث مضين من جمادى الأخرى مات صالح بن وضاح بن محمد المنحي ، وفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة بايعوا عمر بن الخطاب وسنفرد له بابا .

---

(١) بافساده ولعله استباح افساده لاعتصامهم به أثناء محاربتهم له وهو إمام وهم بغاة فللإمام أن يفسد ما اعتصم به الباغى من بيت وغيره ولو كان مال الغير فتنبه .

باب إمامة عمر بن الخطاب بن محمد
ابن أحمد بن شاذان بن صلت بن مالك الخروصى

بويع له فى سنة خمس وثمانين وثمانمائة فأقام سنة وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهانى فتواقعوا بحممت من وادى سمائل فانهزم الإمام وعسكره فجددوا له البيعة مرة ثانية فصال على النباهنة صولة الأسد الصائل فمكنه الله تعالى منهم وأورثه أرضهم وديارهم وقضى على أموالهم بالتفريق عشية الأربعاء لسبع خلون من جمادى الأخرى سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وفى هذه السنة وقت الضحى لعشر بقين من رمضان نصب سعيد بن زياد بن أحمد بن راشد البهلوى للحكم ، وهذه صفة الحكم فى أموال بنى نبهان : بسم الله الرحمن الرحيم وقع الحكم والقضاء للمسلمين المظلومين بأموال أولاد نبهان فى عشى الأربعاء لسبع ليال خلون من شهر جمادى الأخرى من سنة سبع وثلاثين وثمانمائة هجرية نبوية محمدية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام أقام الشيخ القاضى المجاهد سيف الاسلام وقطب عمان أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج بن محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلا لمن ظلم من المسلمين من أهل عمان الذين ظلمهم السادة الملوك من آل نبهان من لدن السلطان المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان إلى آخر من ظلم من نسله وولد ولده الملكين سليمان بن سليمان وحسام بن سليمان وكذلك أقام أحمد بن عمر بن مفرج وكيلا للملوك المقدم ذكرهم فقد صح عندنا ذلك فقضى أحمد بن صالح بن محمد بن عمر بجميع مال آل نبهان من أموال وأرضين ونخيل وبيوت وأسلحة وآنية وغلال وتمر وسكر وجميع

مالهم كائناما كان من ماء و بيوت ودور وأطوى وأثاث وأمتعة قضاء واجباً تاما وقبل محمد بن عمر بن محمد بن أحمد هذا القضاء للمظلومين من أهل عمان من غاب منهم أوحضر وكبر وصغر الذكور منهم والاناث فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين والمظلومون قد جهلت معرفتهم فصاركل مال مجهول ربه جاز للامام قبضه ويصرفه فى إعزاز دولة المسلمين وكل من أصح حقه وأثبته فهو له من أموالهم ويحاسب بالتجزية لما يصح له بقسطه إن ادرك ذلك وان لم يدرك التجزية ولم يحط بها فذلك نصيب غير معلوم وهو مجهول للفقراء وللامام أن يقبض الأموال المغيبة وأموال الفقراء ومن لارب له ويجعله فى عز دولة المسلمين فقد صح هذا الحكم والقضاء فيه « فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم » كتبه الفقير لله تعالى على بن محمد بن على بن عبد الباقى وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم ، شهد بجميع ذلك أحمد بن صالح بن عمر ابن أحمد بن مفرج وكتبه بيده ووجد مكتوبا بخط الشيخ الفقيه عبد الله ابن مداد رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم قد صح عندى وثبت لدى أن جميع الأموال والأملاك التى خلفها السيد المظفر بن سليمان بن نبهان على ولده سليمان وشركائه ثم خلفها سليمان كلها قد استهلكت بضمانات الديون التى جناها من مظالم الناس المجهول منهم والمعلوم لأنها قد استغرقها الدين وصار حكم ذلك للامام وكل من أصح بينة على دينه فله قسط بما أوجبه الحق له فى حكم الله وحكم المسلمين كتبه الفقير لله عبد الله بن مداد بن محمد بيده يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر صفر من شهور سنة سبع وثمانين وثمانمائة لهجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . نقل من خط

الشيخ الفقيه محمد بن عبد الله بن مداد : صح عندى وثبت لدى أن جميع الأموال والأملاك التى خلفها السيد سليمان بن المظفر قد استهلكتها الديون التى على سليمان والضمانات وقد صارت جميع هذه الأملاك والأموال للامام دون أولاد سليمان ينفذها فى عز الدولة وكذلك الزروع الحاضرة وغيرها صارت للامام . كتبه الفقير لله محمد بن عبدالله بن مداد بيده، ووقع سؤال عن هذا الحكم فى أيام الامام محمد بن اسماعيل الآتى ذكره فكتب له علماء عصره بما يقتضى تثبيت هذا الحكم والمسلمون يد واحدة وحكمهم واحد وسيرتهم واحدة ويجمعهم الحق ونذكر ما كتب للامام محمد بن اسماعيل فى هذا الموضع لمناسبته بالمقام فمن ذلك ما نقل من خط الشيخ أحمد بن صالح : بسم الله الرحمن الرحيم ليعلم الواقف على كتابى هذا من المسلمين أنه قد سألنى الإمام المعظم الهمام المكرم إمام المسلمين محمد ابن اسماعيل عن أموال بنى نبهان وحوز المسلمين ممن تقدمه من الأئمة مثل عمر بن الخطاب بن محمد وكيف سبب حوزهم لها وهل عندك حفظ ممن تقدم من المسلمين والأئمة الماضين أنهم بماذا أحلوها لهم وبأى وجه دخلوا فيها فأجبته بما حفظته ووجدته ونظرته فى ورقة فيها خطوط المسلمين وفى تلك الأيام علماء أحبار وفقهاء أخيار نظروا فى بنى نبهان أنهم أخذوا أموال المسلمين وسفكوا دماءهم وصار جميع ما اقترفوه من الأموال والدماء فى أموالهم ونظروا أموالهم فلم تكف جميع ما أصابوه من الأموال والدماء والقتل وصاروا لم يعرفوا لكل ذى حق حقه ليعطوهم إياها ولم يعرفوا لها أهلا وقد قال المسلمون : إن كل شىء لم يعرف له أهل فهو راجع إلى الفقراء والإمام أولى بكل شىء مرجعه إلى الفقراء من صدقات ووصايا وغيرها

فهو أولى بذلك ويجعله فى عز دولة المسلمين وبهذه الحجة أجازوها وأحلوها للامام عمر بن الخطاب فجعلت تنتقل من إمام إلى إمام إلى يومنا هذا ولم يعب أحد ذلك وكان فى ذلك الأوان جمة من العلماء الأتقياء البلغاء الفصحاء فهذا حفظى عنهم ونظرت خطوطهم فى الورقة المتقدم ذكرها وَالحق أحق أن يتبع وماذا بعد الحق إلا الضلال ولا توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كتبه العبد الفقير لله تعالى أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج بيده ، وصلى الله على رسوله محمد النبى وآله وسلم ، وقد أجزت للامام المقدم ذكره أعزه الله حوز هذه الأموال المقدم ذكرها اقتفاء لما تقدم من الأحكام من العلماء الأبرار الأتقياء الأخيار ولاحجة لمحتج على الإمام فى حوزه لها ومنعه إياها إذ هو مقتف أثر غيره من الأئمة الماضين وحكم العلماء المتقدمين ولا عليه مطعن لطاعن ولا حجة لمحتج والسلام على من اتبع الهدى . كتبه أحمد بن صالح بن عمر ابن أحمد بيده وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما كثيراً . ومن الرقعة المذكورة بخط الفقيه أبى القاسم بن شائق بن عمر ما أفتى به الشيخ العالم أحمد بن صالح وأتى به وسطره فى هذا الكتاب فهو الحق والصواب كتبه العبد الفقير لله تعالى أبو القاسم بن شائق بن عمر بيده ومن الرقعة المذكورة بخط الفقيه سالم بن راشد بن خاتم : صحيح عندى وثابت لدى ما سطره الشيخ الفقيه العالم العلامة الذى هو للفتوى هامة أحمد بن صالح فى هذا وما تلقفه من علماء المسلمين فهو الثقة الأمين المأمون وهو الحق والصواب كتبه العبد الفقير لله سالم بن راشد بن خاتم بيده . ومن الرقعة المذكورة بخط الشيخ الفقيه العالم أبى القاسم بن محمد

ثابت ما أفتى به الفقيه أحمد بن صالح في هذه الورقة ، كتبه سليمان بن أبى القاسم بن محمد بيده . ومن الرقعة المذكورة بخط الفقيه خالد بن سعيد صحيح ثابت ما أفتى به الشيخ العالم أحمد بن صالح فى هذه الورقة ، كتبه العبد الفقير لله تعالى خالد بن سعيد بن عمر بن اسماعيل وقال غيره شهد عندى الثقتان عمر بن موسى وراشد بن غسان شهادة مؤتلفة غير مختلفة أن الإمام المرحوم عمر بن الخطاب حاز أموال بنى نبهان وأطلقها لمن عنده من الشراة وأمر فيها بأوامره وكان ذا يد فيها وذلك بعد أن حكم بها المسلمون أنها أموال صارت إلى الفقراء باجماع من المسلمين وحكم بها للفقراء وأن الإمام أولى بها من الفقراء وشهدا أن قاضيه العالم محمد بن سليمان يحوزها للامام عمر بن الخطاب ويأمر فيها ويطلقها للشراة ويأكل منها هو ومن عنده من المسلمين وأن حوزهما لهذه الأملاك والأموال كان بحكم واجتماع من المسلمين على ما تقدم فهذا سمعته منهما من تأدية هذه الشهادة كتبه كما سمعه بعد أن قرأ عليهما هذا الكتاب كله وأقرا بفهمه ومعرفته ، تاريخ تأدية الشهادة يوم الجمعة فى سنة سبع عشرة وتسمائة هجرية نبوية ، كتبه كما سمعه العبد الفقير لله تعالى خلف بن محمد بن عمر بيده . شهد بجميع ما فى هذه الورقة راشد بن غسان بن سعيد بن محمد وكتب خطه بيده ، شهد بجميع ما صح فى هذا الكتاب عمر بن موسى بن أحمد بن عيسى وكتب خطه بيده . كتبه خلف بن محمد بن عمر بن محمد بيده . ما صح عند الشيخ التقى عمر بن خلف بن محمد بن عمر فى هذا الكتاب من شهادة الشاهدين فهو عندى صحيح ثابت كتبه العبد الفقير لله تعالى أحمد ابن صالح بن عمر بن أحمد بيده . ثم مات عمر بن الخطاب وقبره بنزوى

ولم أجد تاريخاً لموته إلا ما قالوه فى ذكر الإمام الذى بعده فان كانت بيعة هذا بعد موت هذا حالا فان إمامة عمر تكون تسع سنين تقريباً والله أعلم وفى سنة أربع وتسعين وثمانمائة بايعوا لمحمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضى البهلوى وكأنه عزل أو اعتزل ثم بايعوا لعمر الشريف فأقام سنة ثم خرج إلى بهلا فبايع أهل نزوى محمد بن سليمان ثانية ثم بايعوا من بعده لأحمد بن عمر بن محمد الربخى البهلوى ثم مات وقبره بنزوى ثم بايعوا لأبى الحسن بن عبد السلام النزوى وأقام دون السنة وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهانى وهو صاحب الديوان الغزلى الحماسى أنبأ فيه عن فصاحته ، وأبان فيه عن بلاغته ، ومن ذلك قوله :

أنا الذى استخضع الأملاك فانخضعت	واستخدم المرهف البتار والقلما
أنا أجل ملوك الأرض مرتبة	نعم وأكثر أملاك الورى همما
مناقبى كنجوم الأفق فى عدد	ونائلى لوفودى يفضح الديما
كالليث بأساإذا الليث الهموس سطا	والبحر جوداً إذا البحر الخضم طما
كفى يفيض عطاء لا انقطاع له	على العفاة وصمصام يفيض دما
مر العقاب لمن يبغى معاقبة	حلو الشمائل مفضالا إذا رحما
أنا ابن نبهان غطريف الملوك فهل	مفاخر لهمام للسماء سما
قدت الجيوش وهجنت الملوك واء	طيت الخيول وسدت العرب والعجما
سل عامرا وبنى عمرو وكعب وسل	شبانة وعزيزاً من لها صدما
وجابراً ويزيداً والعباد وسل	قضاعة ليس ذو جهل كمن علما
يخبرك من شئت منهم أننى ملك	أعطى الجزيل وأجلوا ظلم من ظلما
لو صور الموت لى قرناً وبادرنى	إذاً لجندلته مُلقاً أو انهزما

أعدمت بالسيف موجود الطغاة كما ... أوجدت بالجود والإحسان من عدما
إذا نطقت بفضلى قال حاسده ... أصدق به ولسان الحمد لا جرما

وأكثر ديوانه على هذا النحو وله رائية ذكر فيها مفاخر أجداده تزاحم المعلقات السبع بلاغة وتزيد عليها عذوبة ورشاقة ، قال فى أولها :

أللدار من أكناف قو فعرعر ... نخبت النقا بطن الصفا فالمشقر
كأن سطوراً معجمات رسومها ... إذا لحن أو هلهال برد محبر
تساقط من عينيك دمعك واكفاً ... كما امتن منبت الجمان المشذر
نعم عرصات غير الدهر حسنها ... وصرف زمان مولع بالتغيير
أربت بها الأرواح ينسجن فوقها ... ملاءات موار من المور أكدر

ثم لم يزل يسير فى بلاغته هذا السير إلى أن قال بعد التخلص :

أعاذل ان الجود لا يهلك الفتى ... ولا يخلد الإمساك غير معمر
أعاذل من لم يفن بالسيف لم يمت ... لدى الذل إلا موت فقع بقرقر
ألم تسألى كي تخبرى عن مناقبي ... وفضلى ومن يسأل عن المرء يخبر
أعاذل ان المجد فينا إراثة ... يورثه منا كبير لأكبر
مراتب عز مشمخر بناؤها ... ومورد فخر نيط منه بمصدر

ثم ذكر مفاخر ملوك اليمن من سباء ومن بعده ، إلى أن قال :

أولئك آبائى الذين هم هم ... لباب لباب الجوهر المتخير
مطاعين فى الهيجا مطاعم للقرى ... مكاشف هم الطارق المتنور
لباسهم من نسج داود أذرع ... سوابغ تلوى بالحسام المذكر
ملكنا رقاب الناس بالبأس والندى ... فدان لنا مخضوضعاً كل معشر

ولولا خشية الإكثار لذكرنا القصيدة بطولها وبقى سليمان بن سليمان أياماً ملكا بالقهر والجبرية متغلباً على من تحته بالسلطة والقهر ينسب إليه من الافعال ما ليس بالجميل ولم تطل أيامه حتى بايع المسلمون محمد بن اسماعيل فظهر أمر المسلمين وأذل الله الجبابرة المعاندين .

باب إمامة محمد بن اسماعيل

ابن عبد الله ابن محمد بن اسماعيل الحاضري

وهو رجل من قضاعة ووجدت في بعض الكتب ذكر نسبه متصلا فأحببت ذكره كما وجدته فهو محمد بن اسماعيل بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل ابن علي بن إسماعيل بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحرير بن مسر بن مدلج بن حمير بن بيدر بن وعاث بن العادي بن الهداى بن حمير ابن الأرمى بن عميرة بن حيدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام ولا أعرف وجه نسبته إلى الحاضري وانما وجدتها في كلام للامام بنفسه ولعلها نسبة إلى موضع يسكنه وكان يسكن بنزوى في الحارة الغربية في سكة باب مرار وسبب اختيار المسلمين له أن سليمان بن سليمان هجم على امرأة تغتسل بفلج الغنتق فخرجت من الفلج هاربة عنه عريانة فجعل يعدو في أثرها حتى وصل حارة الوادي فرآها محمد بن اسماعيل فخرج إليه وأمسكه عنها وصرعه على الأرض حتى مضت المرأة ودخلت العقر فخلى سبيله فعند ذلك فرح به المسلمون لما رأوا من قوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنصبوه إماما وذلك في سنة ست وتسعمائة ومات سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وقبره بنزوى وكانت إمامته ستا وثلاثين سنة وكان قد حكم في أموال بني رواحة الداخلين في الفتنة يوم قادوا سليمان بن سليمان ويوم قادوا مظفر بن سليمان فحكم بأن الذي اجترحه سليمان وولده صار ضمانة على من قادهم وذلك الحكم في يوم الأحد لثلاث ليال خلون من شهر شعبان سنة تسع وتسعمائة فأثبت العلماء حكمه وفي حضرته عبد الباقي محمد بن علي

ومحمد بن سليمان بن محمد بن عمر ، وأبو القاسم بن شائق بن عمر ، وأبو القاسم محمد بن سليمان ، وسعيد بن زياد ، ومداد بن عبد الله بن مداد ، وغسان بن ورد ، ومحمد بن عبد الله بن مداد ، وعباد بن محمد ، وخالد بن سعيد بن عمر ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن ، وأحمد ابن خليل بن أحمد وكان قد نهى عن بيع الخيار وكتب فى ذلك كتابا سجلت فيه علماء عصره وذلك أنه لما كثرت معهم هذه المعاملات من الربا والفساد والحيل فصاروا يظهرون أنهم يتبايعون بيع الخيار ويجعلونه تغطية على ما أسسوه وأرادوه ليكون لهم حلالا فى الحكم الظاهر وباطنهم الزيادة للدراهم وأخذ الثمرة على قدر ما يسلمونه من الدراهم إذا قلت الدراهم أخذوا له قليلا وإذا كثرت أخذوا له كثيراً ولوكان غلة المباع لم تبلغ ذلك الحال وليست عقدتهم على شراء الأصل بعينه وربما يحجر المتبايعان ويتعاقدان على الزيادة قبل الشراء أوعند الشراء ومنهم من يسلم الثمرة فهذا ومثله يدل على الربا والحرام لأنه قد جاء فى الأثر أن البيوع على ما عقدت فى الأحكام وعلى ما أسست فى الحلال والحرام ، فلما رأى المسلمون أهل هذا الزمان همجاً رعاعا لا يتقون الحرام مع ما يحتاجون إليه من المكاتبة والاشهاد خافوا أن يحاط بهم وأن يقعوا جميعاً فى المعصية ان لم ينهوهم عن ذلك ويكونوا كما قال الله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » فاجتمع المشايخ العلماء الأتقياء : القدوة مداد ابن عبد الله بن مداد العقرى النزوى ، والفقيه عبد الله بن محمد بن سليمان ابن عمر النزوى ، والقاضى أبو غسان بن ورد بن أبى غسان البهلوى ، وعمر بن زياد بن أحمد البهلوى ، ومحمد بن أبى الحسن بن صالح بن وضاح

المنحى وجماعة ممن حضر من أهل العلم والبصر عند الامام العادل العامل الـكامل العاقل محمد بن اسماعيل نصره الله بقرية نزوى وطالعوا الآثار المنسوبة عن العلماء الأخيار المسنودة عن سيد المرسلين الذى نزل به الروح الأمين بالوحى عن رب العالمين فوجدوا أن غلة بيع الخيار حرام لحكم الإمام ومن ذكرت من المسلمين بتحريمها وبفساد بيع الخيار لأنه أقرب للتقوى وأقصد فى الفتوى وأسلم من البلوى ، لقوله عليه السلام « من أجبا فقد أربا » وسأذكر لك ما نقلوه من الآثار فى هذه السيرة ليتبين لك الهدى وتتجنب الردى ولا حجة لمعاند ولا فاسد ولا مبطل ولا معطل والحق أحق أن يتبع وما بعد الحق إلا الضلال . فمن انتحل بنحلة أو اعتل بعلة فحجته عاطلة باطلة ومن حكم بخلاف ذلك فقد خالف الحق المبين وترك سنة خاتم النبيين ومن لم يرض بالقضاء فليس لدائه من دواء والله المستعان على ما تصفون . وهذا نص ما كتب الإمام فى ذلك قال : « بسم الله الرحمن الرحيم : لما كان فى نهار يوم الأربعاء لست ليال بقين من جمادى شهر الآخر أحد شهور سنة ثمان وعشرين وتسعمائة قد صح الحكم الصحيح الثابت الصريح من الإمام العادل إمام المسلمين محمد بن اسماعيل ومن حضره من المسلمين وما أجمعوا عليه بان غلة بيع الخيار لاتجوز وأنها ربا حرام وأن المراد بها الثمرة ووافق ما نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم « من أجبا فقد أربا » وقد جاء الأثر عن عمرو بن على فى قول المسلمين فى بيع الخيار أنه غير ثابت وهذا قول من لا يراه ثابتا ، الأصل فيه عنده أن هذا بيع وقع على الثمرة لا على الأصل وكانت هذه حيلة على تحليلها وكذلك قال الذين احتجوا بتحريمه قالوا لما صح عندنا أن بيع الخيار والمراد به الثمرة

حينئذ قلنا بفساد ذلك البيع وكان هذا موافقا لما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام « من أجبا فقد أربا » والدليل على هذا ما صح عندنا من قوله : انهم جعلوا هذا البيع طريقا يتوصلون بها إلى تحليل الثمرة على الجملة من قولهم وأظهروا هذا البيع على تغطية مالا يجوز فكان قولهم هذا موافقا للرجل الذى تزوج امرأة فى السريرة تحليلا لمطلقها ، أو كالرجل الذى كان فى نيته فى بيع باعه مكوكا بمكوكين أو تمراً بحب أو حبا بتمر ثم أظهر ذلك عند عقدة البيع أنه بدراهم ، أو كالذى خطب امرأة فى السريرة فأظهر أنه قد عقد عليها نكاحا وأنه قد تزوجها وما يجىء بحق هذا وهذا كله حرام فقد قيل النيات هن المهلكات وهن المنجيات وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » وقال « نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله » لما صح عندنا أن المراد بالبيع الخيار الثمرة وانما جعلوا هذا طريقاً فيما عزموا للتغطية على تحريمها والدليل على فساد هذا أن كل هذا البيع وقع لنخلة فكانت الثمرة لربها وان كان البيع المراد به الثمرة فقد وافق هذا البيع قول النبى صلى الله عليه وسلم « من أجبا فقد أربا » فهذا أحد وجوه الفساد فى ذلك ، والوجه الثانى مثله كمثل رجل تزوج امرأة ثم طلقها ثلاثا فتزوجها لاستحلالها لزوجها الأول فهذا مما قال بفساده المسلمون على الزوج الأول والثانى ، والوجه الثالث رجل وافق رجلا على شراء حب أو تمر من عنده المكوك بمكوكين أو تمراً بحب أو حبا بتمر ثم أشهد على نفسه بدراهم فهذا أيضاً بيع فى السريرة حرام قال فهذا قولنا فى بيع الخيار والله أعلم هكذا جاء فى الأثر كتبته كما وجدته منها ، نعم ما كتب على نهر من املائى

والحق أحق أن يتبع وما بعد الحق إلا الضلال وكتبه الفقير لله سبحانه الإمام محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضرى بيده حامداً لله وحده ومصلياً مسلماً مستغفراً ، صحيح ثابت ما حكم به الإمام من تحريم غلة الخيار فهو الحق والصواب موافقا لآثار السلف وبذلك جاء الأثر وعليه العمل كتبه العبد الفقير مداد بن عبد الله بن مداد بن محمد بيده ، صحيح ثابت ما حكم به الإمام العدل محمد بن اسماعيل فى تحريم ثمرة بيع الخيار فهو الحق والصواب لا شك فيه ولا ارتياب وبه جاء الأثر وبه نعمل ، كتبه العبد الذليل لله تعالى محمد بن أبى الحسن بن صالح بن وضاح بيده صحيح ثابت ما حكم به الإمام العدل محمد بن اسماعيل فى تحريم ثمرة بيع الخيار فهو الحق والصواب لا شك فيه كتبه الفقير لله تعالى عبد الله بن محمد بن سليمان بيده * صحيح ثابت ما حكم به الإمام العدل محمد بن اسماعيل فى تحريم ثمرة بيع الخيار فهو الحق والصواب ، لاشك فيه ولا ارتياب ، هكذا جاء الأثر عن أولى البصر ، وعمل به أشياخنا وسطره أفقر خلق الله تعالى أبو غسان بن غسان بن أبى غسان بيده حامداً له وحده مصلياً مسلماً صحيح ثابت ما حكم به الإمام العدل محمد بن اسماعيل فى تحريم ثمرة بيع الخيار فهو الحق والصواب ، وعليه العمل لاشك فيه ولا ارتياب هكذا جاء الأثر عن أولى العلم والبصر . وعن أشياخنا ، كتبه العبد الأقل عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بيده . نقل السيرة المذكورة الفقير لله تعالى أحمد بن مداد بن عبد الله بن مداد بيده . نقله من السيرة المذكورة من خط الشيخ الفقيه العالم أحمد بن مداد العبد الأقل الراجى رحمة ربه الأجل المنتقل من ذنوبه الراجى المستغفر ربه عبد الله بن محمد

القرنى بيده. وفى سنة سبع عشرة وتسعمائة ليلة الجمعة من جمادى الأخرى مات محمد بن عبد الله بن مداد النزوى بفرق وقبر بمساجد العباد وكان الفقيه أحمد بن مداد يذكر لمحمد بن اسماعيل أحداثا استوجب بها البراءة عنده ، وكان غيره من بعض معاصريهم يعتذر لمحمد بن اسماعيل فى ذلك ويحتج له بحجج لا يسلمها الفقيه أحمد بن مداد ويرى أنها لا تجوز بوجه من الوجوه وأنها ليست بموضع رأى ولا اجتهاد ، فان صح ما ذكره الفقيه أحمد بن مداد فى سيرته أن محمد بن اسماعيل قد فمله فأرى الفقيه قد أصاب فى البراءة منه اذا كان قد استتابه من ذلك فأصر وليس لغيره أن يقلده فى البراءة من محمد بن اسماعيل وانما ذلك شىء خاص بمن صح عنده علم الحدث وتوب الإمام منه فلم يتم قال أحمد بن مداد جبى محمد بن اسماعيل الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم وغير منع من الجور والظلم قال وجبر رعيته على شراء الزكاة من ثمرة النخل بما تقومه عماله من الدنانير وأخذ تلك القيمة بالجبر منه لهم قال وجبى المعاشير غير الزكاة دنانير بقيمة ثمرة النخل من أموال رعيته بما تقومه أعوانه وعماله من الدنانير بالجبر من رعيته اليتامى والبالغين والأرامل وغيرهم لنفسه وعماله وأعوانه وخطّاره واضيافه وعياله هدراً وقرضاً بالنية قال وجبى الخراج وأخذ الكسرة وهى المغرم المقدر للجبابرة من أموال رعيته بالجبر على الخوف وخشية الظلمة على دولته ونفسه ورعيته وأموال رعيته هذا كلامه . وقد أطال فى الاستدلال على إبطال هذه الأشياء بأمور مسلمة عند الفريقين ولا أدرى ما يقول المنتصر له فى بعض هذه الأمور . فانها لا تخرج على شىء من أقوال المسلمين ولعلهم ينكرون وقوع ذلك منه ، ويحتجون للبواقى بالترخص

ببعض الرأى المأثور عن المسلمين لأجل الضرورة إليه ، أما الجباية والخراج فلا يجتمعان أصلا ليس للامام أن يجبى أرضا يأخذ الجبار خراجها إلا إذا حماها ومنع الجبار من خراجها ورفع اليد عن مظالمها وأنصف بعضها من بعض ، فها هنا تطيب له الجباية بالقهر لأنه قد حماها وأقام فيها العدل وكذلك أخذ العشور من الأموال التى لا زكاة فيها فان ذلك لا يجوز ولا يقبل الرأى ، فان صح هذا أن أحداً قد فعله واستتيب فلم يتب فانه يكون خليعاً عند المسلمين لكن ذلك لا يكون بالدعوى وخصوصاً على الأئمة فانهم أعظم حرمة ، وأما القرض فقد احتج له من احتج ورخص له من رخص لأجل الخوف على الدولة ، ولا يرى ذلك الفقيه أحمد بن مداد بل كان يبرأ من العامل والمرخص وأما الخرص للثمار فانه وان كان الأصحاب على غيره فلا يخرج عن دائرة الرأى لكن جبر الرعية على تسليم الدنانير عن الزكاة المخروصة فى رءوس النخل شيء لا يجوز والله أعلم بما كان عندهم من الأمر وقد غاب عنا أمرهم وما غاب عنا علمه فلا يلزمنا حكمه والله أعلم .

يومئذ صحار مع محمد بن مهنا الهديفى وكان محمد بن مهنا أراد ليدخل بهم على ابن عمهم نبهان بن فلاح في مقنيات ليصلح بينهم وكان مخزوم فى حصن نيقل فلم يقع بينهم صلح فطلع بعد ذلك سلطان بن حمير وعلى بن ذهل بمن عندهم من العسكر فجاء الخبر إلى عمير بن حمير وهو فى سمائل أن سلطان بن حمير سار بقومه من الظاهرة ليدخل بهم بهلى فطلع هو وقومه من سمائل إلى بهلى ينتظر الأمر ودخل سلطان بن حمير النبهانى حارة بنى صلت فجاء الأمير عمير بن حمير بقومه وعلى أثره سيف بن محمد فوقع بينهم القتال وبنو عليهم بنيانا حول الحارة من أولها إلى آخرها وأرسل عمير بن حمير إلى أصحابه من جميع القرى فطلع إليه الشيخ ماجد بن ربيعة ابن أحمد بن سليمان الكندى وعمر بن سليمان العفيف والشيخ سعيد بن أحمد بن أبى سعيد الناعبى مع سادات أهل نزوى ومنح وأقام سلطان بن حمير هو وقومه محصورين مدة لم يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد فطلب عند ذلك سلطان بن حمير من الأمير عمير بن حمير التسيار والخروج فسيره ومن معه بما عندهم من الزانة إلى الظاهرة وأقام سلطان بن حمير وكهلان بن حمير وعلى بن ذهل ومهنا بن محمد بن حافظ فى مقنيات مدة أيام فأوجس نبهان منهم خيفة أن يخرجوه من مقنيات فأخرجهم منها فخرجوا منها ومضوا إلى صحار عند الهديفى محمد بن مهنا وأقاموا معه سنة زمانا والله أعلم ثم ان سلطان بن حمير أشار على محمد بن مهنا أن يغزو دير عمير بن حمير وهو فى باطنة السيب وكان فى الدير الأمير سنان بن سلطان والأميران على بن حمير وسعيد بن حمير فركب محمد بن مهنا وسلطان بن حمير وقومهما من صحار فجاء الخبر إلى الأمراء سنان بن سلطان

محمد القرن وبنصب الأئمة فى وقت واحد تشتت الكلمة[1] وتفرقت الجماعات وضعفت دولة المسلمين ووهت قوتهم وطمع فيهم من كان لا يطمع فصار الملك متفرقا فى أيدى الرؤساء . من النباهنة . وآل عمير وآل هلال وهم رهط الجبور وصارت الشدة على أهل عمان ولم تبق دولة المسلمين إلا فى مكان دون مكان فأخذ السلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان نزوى فى سنة أربع وستين وتسعمائة ، وأخذ محمد بن جيفر حصن بهلى فى سنة خمس وتسعمائة ، كثر التنازع والاختلاف ليقضى الله أمراً كان مفعولا ومات بركات بن محمد وصار الملك بعده لبنى نبهان ورؤساء القبائل .

---

(١) إن فى هذه الواقعة لذكرى وعبرة ، وان فيها لآية للمؤمنين ، تتضارب آراء رجال العلم وأصحاب الرأى فى الإمام حتى يؤول الأمر بهم إلى مبايعة ثلاثة من الأئمة فى آن واحد ، والقاعدة أن امامين لا يجتمعان فى سيرة واحدة . إذ ليس يخلو الأمر من شهوة ودسيسة داخلة فى أمر الإمامة من قبل ضعفاء العلم بأحكام الإمامة وفنون سياسة الملك كمن سبق من جهابذة الدين . ولا تنس أن هذا تقدم لك فى أثناء الكتاب وترصد الفرصة للدسائس شائع ذائع وعمان لم يخلو فى أطواره منه وإلا فليس بمعقول أن ينحط الأمر إلى هذا المستوى الذى ذكره المصنف رحمه الله مع وجود الرجال . القادرين على تسيير دفة السياسة وحمل أعبائها مع الإمام الكفؤ . ولقد مر لك فى غضون هذا التاريخ من هؤلاء ما يقضى بالعجب العجاب . وسباق أمثالهم من الأئمة اليعربيين وغيرهم رحمهم الله وعفا عمن اجترم ما أضعف أمر المسلمين . الحمد لله أن تدارك المسلمين بلطفه ولم يذهب ملكهم بهذا الانقسام إلى ملوك الطوائف كما ذهب غيره بل لا يزال فيه الخير إلى يومنا هذا . وكان هذه الحال التى أوردها المصنف تشعر برأى القائلين أن الفقهاء لا علم لهم بسياسة الملك وهم أبعد الناس عنها وان كان هذا القول على اطلاقه لا يصح عند عرضه على ميزان الحقيقة التى لا تلبث أن تزيفه والأمر لله العلى الكبير .

باب ملوك بنى نبهان المتأخرين

وأولهم سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان ملك نزوى فى أيام بركات فى سنة أربع وستين وتسعمائة ، ومات ليلة الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وترك ثلاثة أولادهم طهماس ابن سلطان ، وسلطان بن سلطان ومظفر بن سلطان وكان مظفر هو المتقدم عليهم فى الملك إلى أن مات وترك ولده سليمان صغيرا لا يقوم برياسة الملك وكان عم أبيه فلاح بن محسن مالكا فى حصن مقنيات فلما علم بموت مظفر جاء إلى بهلى وأقام مكانه ويقال أنه عدل فى ملكه ،ملك سبع سنين ثم مات وملك من بعده سليمان بن مظفر وهو ابن اثنتى عشرة سنة واستولى على الأمر فى عمان ونواحيها وأخذ خراج أهلها من الطائع والعاصي والدانى والقاصى وحاربه أهل نزوى وكان معهم جبرى يقال له محمد بن جيفر وعنده جيش عظيم فطلع إليه سليمان بن مظفر وعزار بن فلاح وعندهما ناصر بن قطن ومن معهم من العساكر فلما التقواهم ومحمد ابن جيفر استقام بينهم القتال فقتل محمد بن جيفر وانكسر قومه وكان قطن ابن قطن منتظرا للامر بينهم فنادى بالكف بين القوم عن القتال وكان محمد بن جيفر له ولد صغير السن واسمه محمد بن محمد وأمه بنت عمير بن عامر فتزوجها سليمان بن مظفر بعدما قتل زوجها فركن إليها بالبادية فكان بالشتاء ببادية الشمال ويترك ابن عمه عرار بن فلاح ببهلى وإذا جاء الصيف رجع إلى بهلى وكان مهنا بن محمد الهديفى مالكا بلد

صحار فعلم أن العجم متأهبون إليه فأرسل إلى سليمان بن مظفر يستنصره على العجم فلبى دعوته وأطاع كلمته فخرج إليه بمن عنده من العسكر وتكاملت القوم بصحار ووصلت إليهم العجم من البحر فاستقام بينهم القتال وعظم النزال وارتفع العجاج وأظلم الفجاج فانكسر العجم وقتل منهم من شاء الله ورجع سليمان بن مظفر إلى داره بهلى وعنده بنو عمه وهم عشرة عرار ونبهان ومخزوم وأولاد فلاح بن محسن وكان المقدم عليهم عرار . وأما أخوه نبهان فلا يملك رأيا دون رأى أخيه وكان لعرار فلاح ملك الظاهرة وأعطى سليمان بن مظفر مخزوما ملك نيقل فبقى عنده تسعة أحدهم حمير بن حافظ وعنده أربعة أولاد حافظ بن حمير وسلطان بن حمير وكهلان بن حمير وهود ابن حمير فمات حافظ بن حمير بعد رجوعهم إلى بهلى بسنة زمانا وبقى معه من بنى عمه اثنان من العشرة مهنا بن محمد بن حافظ وعلى بن ذهل بن محمد ابن حافظ وهم على يدى سليمان بن مظفر وكان لسليمان وزراء فى القرية وفى النزار من قرية أزكى وفى سمد الشان وكانت سمد الشان للجهاضم ، وكان سليمان جائراً عليهم ففروا منها من شدة جوره وبطشه وتفرقوا فى البلدان مدة ثلاثين سنة يحتالون فى دخولها والتوصل إليها وكان بنو هناة من أقرب الناس إلى سليمان بن مظفر وكانوا أكثرهم عدداً وعدة وبأساً وشدة وكان فيهما رجلان يليان أمرها [1] وهما خلف بن أبى سعيد وسيف بن محمد بن أبى سعيد وكانا عنده قدوة أهل زمانهم فافترقوا وكان سبب الفرقة بينهم أن قبيلتين من أهل سيفم إحداهما بنو معن والأخرى بنو النير

---

(١) لعل الضمير يعود إلى القبيلتين : الجهاضم و بنى هناة وإلا فضمير التثنية لامحل له هنا والعبارة ينبغى أن تكون : وكان فيهم رجلان يليان أمرهم إلى آخره فليتأمل .

« اقتتلتا » وكانتا عصبة لبنى هناة وخصمهم واحد ، ثم وقعت الفرقة بين بنى معن وبنى النير وسبب ذلك أن امرأة من بنى معن دخلت زرعا لبنى النير تحش منه فمرت عليها أمة رجل من بنى النير فقالت لها اخرجى من زرع سيدى فأبت فوقع بينهما الجدال فضربت الأمة المرأة ففقأت عينها وخرج ذلك اليوم حمار لبنى النير ودخل زرعاً لبنى معن فقطعت أذنه فوقعت الفتنة بينهما وكان « هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين » وأصل الفتنة كالنار اليسيرة تحرق الأشياء الكثيرة فافترق عند ذلك القوم فرقتين فأما بنو معن وبنو شكيل فهم مع سليمان بن مظفر وبنو النير مع بنى هناة فعند ذلك سار خلف بن أبى سعيد إلى داره دارسيت هو وبنو عمه وكان سليمان بن مظفر يومئذ بالبادية فعلم بذلك فأرسل إلى وزيره محمد بن خنجر أن قل لخلف يترك شأن القوم فأرسل إليه بالكف عن ذلك فغلب عن ذلك وأظهر أنه يريد الاصلاح بين بنى معن وبنى النير فأرسل الوزير إلى مولاه سليمان أن خلفا غلب عن الكف فندب سليمان ابن مظفر إلى الوزير أن افعل فى أموال بنى هناة من الغزية من كدم فأمر الوزير باخراب أموال بنى هناة من كدم ، وكانت تلك الأموال للشيخ خلف بن أبى سعيد فوقعت العداوة والبغضاء بينهما فأمر عند ذلك الشيخ خلف بنى عمه أن أغزوا بهلى فغزوها فقتلوا من قتلوا منها فكتب الوزير محمد بن خنجر إلى سليمان بن مظفر بما جرى فى بهلى فلما علم سليمان ذلك انتقل من الشمال إلى بهلى وأراد الصلح بينهم وبين بنى هناة فلم يقع صلح وهيأ كل واحد منهما الحرب لصاحبه فجمع السلطان سليمان بن مظفر ما عنده من العسكر ليقاتل بنى هناة فعلم بذلك الشيخ خلف فأرسل إلى

الأمير عمير بن حمير ملك سمائل ينتصر به على سليمان بن مظفر فصار بعسكره إلى غبرة بهلى فالتقى سليمان والأمير عمير بن حمير فاستقام الحرب بينهما ساعة من النهار ثم رجع سليمان إلى بهلى ورجع الأمير عمير إلى سمائل وترك بعض قومه فى دار سيت وكان الأمير عمير ذا خلق حسن واسع فلما وصل إلى سمائل أرسل إلى بنى جهضم وهم متفرقون فى قرى شتى فأقبلوا إليه فوقعت بينهم الألفة واثبات الصحبة ثم أرسل إلى سلطان الرستاق وهو مالك بن أبى العرب وهو جد الإمام ناصر بن مرشد ليصله إلى سمائل فسار مالك بن أبى العرب وصحبه أبو الحسن على بن قطن فلما وصل إلى سمائل ساروا مع بنى جهضم إلى سمد الشأن وبنوا لهم بنيانا حول دارهم وترك عندهم الأمير البعض من قومه وترك لهم ما يحتاجون من الطعام والشراب وآلة الحرب ورجع إلى سمائل ، وأما بنو هنباة وسليمان بن مظفر فانهم لم تنقطع بينهم الغزوات ثم ان الأمير عمير بن حمير والسلطان مالك بن أبى العرب سارا إلى نزوى وهما ينتظران الأمر وكان لمالك بن أبى العرب وزير فى عينى من الرستاق فدخل عليه أهل الدار وأخرجوه منها وجاء رجل من أهل عينى إلى سليمان بن مظفر يطلب منه النصر على الخصم فأعانه ببعض قومه وأرسل مع عرار بن فلاح فجاء الخبر إلى السلطان مالك ابن أبى العرب بما جرى فى داره فأراد المسير إلى داره فقال له الأمير عمير قف معنا ولا تخف فهذا من علامات السرور فقال كيف ذلك والعدو فى دارى فقال الأمير عمير ذلك عندى وأنا ان شاء الله من الغالبين قال الله تعالى : « فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا » وقال الشاعر :

إذا الحادثات بلغن المدى وكادت تذوب لهن المهج

وحل البـــــلاء وقل العزى ✡ فعند التناهى يكون الفرج

ثم إن بنى هناة أرسلوا إلى عمير بن حمير أن أقبل إلينا بما عندك من القوة لندخل بهم بهلى فسار هو ومن معه إلى نصف الطريق فنظر إلى قومه فاستقل عددهم فرجع إلى نزوى وكان بنو هناة ينتظرونه فى ليلة كانت بينهم للدخول فلم يصل إليهم فسار إليه الشيخ سيف بن محمد من دار سيت إلى نزوى وجرى بينهما جدال كثير من باب العتاب ، فقال الأمير عمير ابن حمير خذ من القوم ما شئت فأخذ عنده قوماً كثيراً لا يعلم عددهم إلا الله وسار بهم إلى دار سيت والأمير ينتظر الأمر بنزوى فجاء الخبر إلى سليمان بن مظفر أن القوم طلعوا من نزوى إلى دار سيت فمنهم من يقول انهم قاصدون القرية ومنهم من يقول سيفم ومنهم من يقول بهلى فقسم سليمان قومه فجعل بعضاً منهم فى القرية وبعضاً فى سيفم وبنى بنيانا فى رأس فلج الجزيين مخافة أن يضره القوم وترك فيه قوما وقسم بقية القوم وترك فى الخضراء جماعة من قومه وكذلك فى حارة الغاف وترك فى الجامع من البلاد حمير بن حافظ ومن عنده من القوم وقسم بقية قومه في العقر وكان ابن عمه عرار بن فلاح ومن معه من القوم فى عينى من الرستاق فسار سيف بن محمد من دار سيت إلى بهلى فدخلها وكان أول دخوله من جانب الغرب فتسوروا السور ودخلوا البلاد وكان ذلك منهم ضربة لازب ولم يشعر بهم أحد فقسم سيف قومه ثلاث فرق فرقة باليمين وفرقة بالشمال وفرقة بالوجه وهى التى تلى الجامع من البلاد وأحكم أمره فى الأماكن المختارة عنده للقتال لمسجد الجامع ومسجد بنى عمر وجميع أبواب العقر فما بقى لسليمان بن مظفر شىء غير الحصن والخضرا بعدما قتل من قتل من سادات

قومه وفرسانه تلك الليلة ونادى سيف بن محمد بالأمان فى البلاد وكان بعض أهل البلد معه ، وجاء الخبر إلى الأمير عمير ابن حمير وهو فى نزوى ان قومك دخلوا بهلى فركب عند ذلك هو والأمير سلطان بن محمد والسلطان مالك بن أبى العرب وعلى بن قطن وأهل نزوى وركب خلف ابن أبى سعيد الهنائى من دارسيت بمن عنده من القوم لينصروا أصحابهم وكان دخولهم ليلا ونزل الأمير عمير بحارة الغاف ، وكانت الخضراء فى ملك السلطان سليمان بن مظفر ، وفيها على بن ذهل وعنده قوم كثير فأرسل إليهم الأمير عمير ليخرجوا بما عندهم من الزانة فأقبل على بن ذهل على قومه يحرضهم على القتال فلم يجبه أحد منهم وعزموا على الخروج ووصل الخبر إلى عرار بن فلاح وهو فى عينى من الرستاق أن القوم دخلوا بهلى فنهض من عينى بمن معه ودخل القرية وكانت القرية فى ملكهم ، وكان عمير بن حمير وسيف بن محمد لم يشاركهما أحد فى البلاد إلا الحصن وهم محدقون به وضعوا فى شجرة الصبار التى فى السوق برجا من خشب فى أعلى رأسها بالليل وقعد فيه رجل من الجهاضم يقال له جمعة بن محمد المرهوب فضرب رجلا من الحصن كان خارجا من القصبة إلى بيت الوزير ومات وعمل قوم الأمير عمير برجا فى الجامع فضرب صاحب البرج رجلا من الحصن من مبرز الغرفة من عسكر سليمان ثم ان القوم قشعوا سور الحصن بالليل فلما انهدم بعض الجدار علم بهم عسكر سليمان فمنعوهم من الدخول ، ثم ان العسكر طلبوا من سليمان الخروج من الحصن مخافة القتل فأقاموا ثلاث عشرة ليلة فأذن لهم فطلبوا من الأمير عمير أن يسيرهم فسيرهم بما عندهم من الزانة وسير معهم وزيره، ثم طلع سليمان بن مظفر هو وبنو عمه وعسكره مسيرين من بهلى

إلى القرية فخرج هو وعرار بن فلاح من القرية إلى الظاهرة فأمر بعد
ذلك الأمير عمير بن حمير بقشم الحصن فقشع ولم يبق منه عمار ولا جدار
فهذه عبرة لأولى الألباب والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ،
وجعل عمير خلف بن أبي سعيد مأمونه فى بهلى ورجع إلى سمائل فأقام
خلف بن أبي سعيد فى بهلى أربعة أشهر ثم خرج عليه سليمان بن مظفر
وابن عمه عرار بن فلاح فدخلوا عليه الخضراء وهو فى العقر ، وكانت هذه
الدخلة ليلة رابع ربيع الأول سنة تسع عشرة بعد الألف وكان سيف بن
محمد هو وبعض قومه فى السر فأرسل سليمان بن مظفر لخلف بن أبى سعيد
ليسيره بما عنده من الزانة فخرج خلف مسيرا وأخذ الأمان على أهل البلد
فمنهم من أقام بمكانه ومنهم من خرج خوف السلطان ، فلما علم سيف بن
محمد هذا الخبر جاء من السر وعلم به الأمير عمير بن حمير فأقبل من سمائل
إلى نزوى ومضى إلى القرية فأخذها ووهبها لسيف بن محمد فكان مأمونه
ثم رجع إلى نزوى ينتظر الأمر عدة أيام فمات سليمان بن مظفر ، وكان
له ولد صغير السن فملك من بعده عرار بن فلاح ، ثم طلع سيف بن محمد
إلى نزوى ، وأخذ من الأمير عمير قوما كثيراً فسار بهم إلى القرية فلبثوا
بها سبعة أيام ثم سار بهم ودخل بهم حارة من بهلى اسمها حارة أبى مان
فأحدق بهم عرار بن فلاح مدة أيام ثم انه سيرهم بما عنده من الزانة وثبت
له حصن القرية وتجديد الخدمة مدة سنة ، وكانت هذه الدخلة ليلة السادس
من صفر سنة أربع وعشرين بعد الألف

ثم مات بعد ذلك عرار بن فلاح وكان موته لعشر ليال خلت من شهر
الحج من هذه السنة وملك من بعده مظفر بن سليمان وأقام فى ملكه

مدة شهرين ثم مات ، وملك من بعده مخزوم بن فلاح مدة شهري زمان
فخرج عليه نبهان وسيف بن محمد ليخرجاه من الحصن فطلب التسيار فسيروه
بلا زانة ولا سلاح ، وكان خروجه إلى نيقل من الظاهرة فتولى الأمر
على أصحابها مدة من الزمان وأقام ببهلى نبهان بن فلاح وجعل ابن عمه على
ابن ذهل مأمونه في بهلى وجعل من بعده سيف بن محمد فسار نبهان بن
فلاح إلى داره مقنيات وأخرج ابن عمه سلطان بن حمير من بهلى خوفاً منه
أن يحاول الاستيلاء على الملك فسار سلطان بن حمير من بهلى إلى صحار فتولى
مكانه سيف بن محمد سنة والله أعلم ✡ ثم طلع بعد ذلك الأمير عمير بن حمير
بمن عنده من القوم إلى بهلى فمنعه سيف بن محمد من الدخول فرجع هو
وقومه إلى نزوى منتظراً الأمر ثم بعد أيام رجع عمير وقومه إلى بهلى
ودخل العقر وكان سيف بن محمد فى دار سيت فعلم بذلك فنهض من دار
سيت بمن عنده من القوم ودخل الحصن بقومه فلم يمنعه أحد ثم أرسل
إلى نبهان بن فلاح أن القوم دخلوا الدار فأقبل بمن عندك من العسكر
فأقام مدة أيام يجمع عساكره ، وكان الأمير عمير بن حمير قد أحكم مقابض
البلد من أولها إلى آخرها وأقام سيف بن محمد بالحصن مدة أيام ينتظر
نبهان وقومه فلم يصل إليه طالب السيف التسيار من الأمير عمير بن حمير
فسيره بما عنده من الزانة وقصد القرية وأقام عمير بن حمير فى بهلى مدة
أيام ثم انه أرسل إلى سيف بن محمد فوقعت بينهما يمين على الصحبة فأقام
سيف فى ولايته على الرعية . ويقال انه عدل فيما كان متولى الأمر على
بنى عمه وهم له ناصحون ولما استحكم الأمر لسيف بن محمد وكان سلطان بن
حمير ومهنا بن محمد بن حافظ وعلى بن ذهل بن محمد بن حافظ ومسكنهم

يومئذ صحار مع محمد بن مهنا الهديفى وكان محمد بن مهنا أراد ليدخل بهم على ابن عمهم نبهان بن فلاح في مقنيات ليصلح بينهم وكان مخزوم فى حصن نيقل فلم يقع بينهم صلح فطلع بعد ذلك سلطان بن حمير وعلى بن ذهل بمن عندهم من العسكر فجاء الخبر إلى عمير بن حمير وهو فى سمائل أن سلطان بن حمير سار بقومه من الظاهرة ليدخل بهم بهلى فطلع هو وقومه من سمائل إلى بهلى ينتظر الأمر ودخل سلطان بن حمير النبهانى حارة بنى صلت فجاء الأمير عمير بن حمير بقومه وعلى أثره سيف بن محمد فوقع بينهم القتال وبنو عليهم بنيانا حول الحارة من أولها إلى آخرها وأرسل عمير بن حمير إلى أصحابه من جميع القرى فطلع إليه الشيخ ماجد بن ربيعة ابن أحمد بن سليمان الكندى وعمر بن سليمان العفيف والشيخ سعيد بن أحمد بن أبى سعيد الناعبى مع سادات أهل نزوى ومنح وأقام سلطان بن حمير هو وقومه محصورين مدة لم يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد فطلب عند ذلك سلطان بن حمير من الأمير عمير بن حمير التسيار والخروج فسيره ومن معه بما عندهم من الزانة إلى الظاهرة وأقام سلطان بن حمير وكهلان بن حمير وعلى بن ذهل ومهنا بن محمد بن حافظ فى مقنيات مدة أيام فأوجس نبهان منهم خيفة أن يخرجوه من مقنيات فأخرجهم منها فخرجوا منها ومضوا إلى صحار عند الهديفى محمد بن مهنا وأقاموا معه سنة زمانا والله أعلم ثم ان سلطان بن حمير أشار على محمد بن مهنا أن يغزو دير عمير بن حمير وهو فى باطنة السيب وكان فى الدير الأمير سنان بن سلطان والأميران على بن حمير وسعيد بن حمير فركب محمد بن مهنا وسلطان بن حمير وقومهما من صحار فجاء الخبر إلى الأمراء سنان بن سلطان

وعلى بن حمير وسعيد بن حمير أن القوم طلعوا من صحار فما كان إلا قدر ما يخلع الرجل نعليه أو يغسل رجليه حتى أقبلت العساكر وسلت البواتر فوقع القتال وعظم النزال حتى بلغت القلوب الحناجر وقتل عند ذلك الأمير على بن حمير وانفصل القتال ورجع محمد بن مهنا فعلم بعد ذلك عمير بما جرى على اخوته وبنى عمه وهو فى بهلى فاعتقد عقيدة الحزم وتسربل بسربال الجزم أن لا يرجع عن صحار حتى يحصدهم بالسيف ويحرقهم بالنار ويبدد شملهم فى كل دار فأخذ فى جمع العساكر من البر والبحر فاجتمع معه قوم لا يحصى عددهم وأرسل إلى ملك هرموز لينتصر به فنصره بعدة من المراكب مملوءة من المال والرجال وآلة الحرب وكان قد وصل مركب من الهند بعسكر كثير وفيه آلة الحرب فردته الريح إلى مسكد فأخذه الأمير عمير بن حمير وسار هو ومن معه من النصارى[1] وغيرهم وأقام الأمير عمير بقومه فى باطنة السيب سبع ليال فعلم بذلك محمد بن جيفر فتوجه بقومه لينصر محمد بن مهنا فدخل محمد بن جيفر وقومه صحار ففرح به محمد بن مهنا فأدخله الحصن فكان بينهما بعض المقاصد ساعة من النهار فأمر محمد بن جيفر عبده ليقبض على محمد بن مهنا فرمى نفسه من سور الحصن وندب قومه وكان بعض قومه فى برج داخل الحصن فوقع القتال بينهم ساعة من النهار وطلع محمد بن جيفر بقومه من صحار فبلغ

---

(١) المراد بالنصارى هنا البرتغاليون، وهم يومئذ المستعمرون للهند ولعل بداية عهدهم باستعمار الخليج الفارسى ومسقط هو هذا العهد فليتأمل كيف يستنجد المسلم بالعدو على أخيه المسلم ولما تمكنوا من نصرة أحد الطرفين وطدوا أقدامهم فاصبحوا أصحاب الأمر على كليهما وهكذا يفعلون .

هذا الخبر إلى الأمير عمير بن حمير فتوجه إلى صحار بمن معه من بر وبحر ودخل إلى صحار نهار تسعة عشر من ربيع الآخر فاستقام بينهم القتال من أول النهار إلى الليل ثم انفصل بعضهم عن بعض ثم بعد ذلك بيوم أو يومين هبطت النصارى من المراكب بما عندهم من آلة الحرب وكانوا يجرون قطع القطن قدامهم ليتقوا بها ضرب البنادق وكان عندهم مدافع تسير على أعجال خشب فى البر وعليها سور من الخشب وكان فى جانب الدار برج لمحمد بن مهنا فيه عسكر كثير فجرت عليه النصارى قطع القطن وضربوه بمدفع حتى انهدم البعض منه وخرج القوم منه فدخلته النصارى فعلم محمد بن مهنا بذلك فندب قومه فوقع بينهم القتال على البرج بالليل فقتل عند ذلك على بن ذهل وقتل محمد بن مهنا الهديفى وأقام بعد ذلك سلطان بن حمير بن محمد بن حافظ النبهانى وأخوه كهلان ابن حمير وابن عمه مهنا بن محمد بن حافظ وعسكرهم فى الحصن بعدما قتل محمد بن مهنا الهديفى فلما علم الأمير عمير بن حمير أن سيد القوم قتل ندب قومه بالقتال فكان القتال بينهم فى النحل ثم طلع عمير بن حمير بمن معه من تلقاء جامع البلد فلم يمنعه أحد فقتل عند ذلك سلطان بن حمير فانكسر القوم وصاروا شتاتا متفرقين فمنهم من قتل ومنهم من أحرق ومنهم من أسر ومنهم من جرح ومنهم من خرج ذاهباً على وجهه لا يدرى أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وعلى هذا جميع أهل البلد وأحرقت البلد بأجمعها من أولها إلى آخرها وأقام النصارى فى حصن حصار ورجع الأمير عمير إلى بلدة سمائل جذلا مسروراً وكان مخزوم بن فلاح متولياً حصن نيقل فقبض منهم على رجلين فأمر عبده ليقتل واحداً منهما فسل عليه السيف ليضربه فاستجار به فلم يجره وضربه ضربة ثانية فاستجار به فلم يجره فلما

أراد ليضربه ضربة ثالثة استجار بالله فأهوى إليه ليمسك فمه والعبد قد أهوى إليه بالسيف فضرب يد مخزوم وأقام سبعة أيام بجراحه ومات منها وأما الرجل فانه سحبه العبد يظنه ميتاً وبه رمق من الحياة فمر به رجل من أهل البلد فقال من يعينني على مواراة هذا الرجل فنطق الجريح فقال انى حى فحمله على كتفه وأدخله البلد فعوفى من جراحه وعاش بعد ذلك زمانا والله على كل شئ قدير وكان هذا بعد دخلة صحار بثلاثة أشهر . فلما علم نبهان بموت أخيه ركب من مقنيات إلى نيقل وترك بعض عسكره فى حصن مقنيات وكانوا قد ملوه من كثرة جوره وبغيه فعزموا على إخراجه من مقنيات فتوجه رجل إلى الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد لينتصر بهما فسار الأمير عمير وسيف بن محمد بمن معهما من القوم ودخلوا حصن مقنيات بلا منع ولا قتال وأقاموا مدة أيام ثم ركبا ببعض قومهما إلى نيقل فعلم بذلك نبهان فخاف منهما نبهان على نفسه فركب هو وأربعة من عسكره بلا زانة وقصدا إلى دار أخواله الرياسية وذلك لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة ست وعشرين بعد الألف وأقام الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد فى نيقل أياما ثم ان عمير بن حمير وهب البلاد لأهلها يأكلونها هنيئاً مريئاً ورجع إلى مقنيات ثم أرسل إلى أهل البلد فسألهم عما كان يأخذ عليهم نبهان فقيل له انه كان يأخذ نصف غلة النخل وربع الزرع فاكتفى الأمير عمير منهم بعشر الزرع وأما أموال السلطان فهى لمن أقام بالحصن وجعل فى الحصن عمر بن أبى سعيد ورجع الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد إلى بهلى ثم ان نبهان بن فلاح أخذ جنوداً من أخواله آل الريس ووصل بهم إلى الظاهرة ودخل فدى وأقام فيها مدة أيام ثم جاء

أحد ممن كان له صاحبا من أهل نيقل فقال له نحن ندخلك البلد و نثبت قدمك ونشد عضدك و ننصرك على القوم و نستفتح لك الحصن فسار بقومه ودخل نيقل ليلة النصف من ربيع الآخر سنة ست وعشرين بعد الألف وحكم مقابض البلاد من أولها إلى آخرها إلا الحصن وكان فيه قبيلة من بنى على فتحصنوا وأحدق بهم نبهان واستقام بينهم القتال فخرج رجل من أهل الحصن ومضى إلى آل قطن بن قطن وكان الأمير يومئذ ناصر ابن ناصر فركب معه محمد بن محمد بن محمد بن جيفر وعلى بن قطن بن قطن بن قطن بن على بن هلال و ناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بن عندهم من القوم وكان مسكنهم بيادية الشمال فصاروا حتى دخلوا نيقل فاستقام بينهم و بين نبهان بن فلاح القتال واشتد الطعن والنزال وارتفع العجاج وارتجت الفجاج فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح فمنهم من قتل ومنهم من طلب التسيار فسير ومنهم من مضى على وجهه و بلغ الخبر إلى سيف ابن محمد الهنائى أن نبهان بن فلاح دخل نيقل فخرج بعسكره ليقاتل نبهان فلما كان ببعض الطريق بلغه ما وقع على السلطان نبهان بن فلاح من الأمر الكائن والقدرة الغالبة فرجع بعسكره إلى بهلى وأما الأمير عمير بن حمير فانه كان يومئذ يجمع الجموع لينصر بهم السلطان مالك بن أبى العرب اليعربى على بنى لمك فامده بعساكر جمة فكانت الدائرة على بنى لمك ، ولبث سيف بن محمد الهنائى فى بهلى وآل عمير فى سمائل ومالك ابن أبى العرب اليعربى فى الرستاق والجبور فى الظاهرة والنصارى فى مسكد وصحار وجلفار وصور وقريات ، وخربت عمان بعد العدل والأمان وعاثت فيها الجبابرة وقل فيها العلم والخير ، وانضمت العلماء فى بيوتها

ولازمت سربها حتى قيل ان أمير وبل من الرستاق وهو من اليعاربة احتاج إلى قاض فلم يجد قاضيا من أهل الوفاق فاتخذ قاضيا من أهل الخلاف فهم أن يضل الناس ويزلهم عن بصيرتهم فسمع به أهل عمان فأرسلوا إلى ذلك الملك فعزله ، وأرسلوا له قاضياً من أهل الدعوة فأخذ عنه ناس من أهل الرستاق العلم وكان سبباً لحياتهم . ويوجد أنهم استطولوا ليلة من الليالى فظنوا ذلك بدء الساعة كلما قاموا وصلوا ماشاء الله ورقدوا ما شاء الله وقاموا وصلوا ماشاء الله وجدوا الليل على حاله فقال لهم الشيخ صالح بن سعيد الزاملى انظروا إلى البهائم ان كانت تجتر فليست هذه ليلة الساعة وان كانت لا تجتر فانها ليلة الساعة وبقيت عمان كذلك حتى أظهر الله الامام الأرشد والهمام الأمجد إمام المسلمين ناصر ابن مرشد رحمه الله فاستفتح جميع عمان ودانت له جميع البلدان وطهرها من البغي والعدوان والكفر والطغيان وأظهر فيها العدل والأمان وسار فى أهلها بالحق والاحسان إلى أن توفاه الله إلى دار الرضوان ومنّ عليه وعلينا بالمغفرة والرضوان إنه كريم منان وشرح ظهوره فى الباب الآتى والله المستعان « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئا »

* * *

هذا آخر الجزء الأول من تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى وأوله إمامة ناصر بن مرشد ، والحمدلله المنفرد بالبقاء والدوام الذى لا انقطاع لملكه ولا انصرام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وتابعيهم وتابعى تابعيهم المرضيين إلى يوم الفصل والقيام . وكان تمام طبعه فى سنة خمسين وثلثمائة بعد الألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

خاتمة الجزء الأول

للمعلق على الطبعة الثانية من الكتـــاب

نحمدك يامن جعل التاريخ عبرة وعظة ، وقص علينا فى كتابه الكريم من أحوال الماضين مافيه ذكرى وبينة ، والصلاة والسلام على خير مبعوث هدى وبشرى ، سيدنا محمد وآله وصحبه الذين بلغوا عنه ضروب السعادة والهداية إلى الدرجات العلى .

وبعد فقد تم بعون الله وتوفيقه طبع الجزء الأول من « تحفة الأعيان ، فى تاريخ عمان » تأليف نور الدين أبى محمد عبد الله بن حميد السالمى رحمه الله وهو تاريخ يجمع بين دفتيه ثروة من أطوار عمان ودوله وأئمته وملوكه ما يشتاق إليه كل مولع بأحوال المسلمين ومحب الوقوف على دقائقها ومكنوناتها . فجازى الله مؤلفه بخير جزاء على جهده فى جمع هذا الكتاب وتنسيق أطواره . فهو وإن كان غير جامع لأحوال عمان ولا مستوف لما ينبغى استيفاؤه فإنه كشف عن نواح لذلك القطر العامر الذى له فضل عظيم فى تكوين المدنية الاسلامية ، وإحياء الامامة الشرعية العظمى على منهج الخلفاء الراشدين . ونرجو الله التأييد فى إنجاز مختصر لتاريخ أصحابنا وأئمتنا حافلا شاملا ، فهو المرجو أولا وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

أبو اسحاق

ابراهيم اطفيش المیزابی

{ وجد فى الطبعة الأولى }

وكان تمام نسخه فى آخر اليوم السادس والعشرين من شهر الله محرم الحرام سنة ١٣٣١ هـ كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه عبده سعود بن حميد بيده عرض على أصله حسب الطاقة والإمكان بحضرة مؤلفه

فهرس الجزء الأول من كتاب
تحفة الأعيان . فى سيرة أهل عمان

الموضوع	صفحة
باب امامة عبد الملك بن حميد رحمه الله	١٢٤
ذكر نصائح العلماء للامام عبد الملك	١٤٠
باب امامة المهنا بن جيفر	١٥٠
ذكر ماوقع من الكلام فى المهنا بعد موته	١٥٨
باب امامة الصلت بن مالك الخروصى رحمه الله	١٦٢
ذكر الحكم فى رجل من اهل بسيا	١٩٣
ذكر الاسباب التى اقتضت عزل الصلت بن مالك عن الامامة	١٩٦
باب امامة راشد بن النظر	٢١٦
ذكر وقعة الروضة	٢٣١
ذكر عزل راشد بن النظر	٢٣٩
باب امامة عزان بن تميم الخروصى رحمه الله	٢٤٣
ذكر وقعة ازكى	٢٤٦
ذكر خروج الفضل بن الحوارى ومن معه على عزان بن تميم	٢٥١
ذكر ماجاء من الكلام عن العلماء فى حكم الفضل بن الخوارى وامامة الحوارى ابن عبد الله ومن معهما	٢٥٤
باب أحوال عمان بعد حروب بن بور	٢٦٣
باب الائمه المنصوبين فى هذه الفترة	٢٦٩
باب أمامة الامام سعيد	٢٧٥
باب امامة راشد بن الوليد	٢٧٩
باب ذكر الجبابرة الذين تولوا عمان بعد الائمة فى الزمان الاول	٢٨٨
باب امامة الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصى	٢٩٥
باب امامة راشد بن سعيد	٣٠٤
باب إمامة حفص بن راشد	٣١٥
باب مامة راشد بن على	٣٢١
باب امامة محمد بن ابى غسان	٣٣٨
باب امامة موسى بن أبى المعالى بن موسى بن نجاد	٣٤٢
باب امامة خنبش بن محمد بن هشام وولده محمد بن خنبش	
باب انتقال الدولة الى بنى نبهان	
ذكر خردلة الجبار الذى كان على سمائل	٣٥٤
ذكر قدوم ابن بطوطة على عمان	٣٥٨
باب امامة الحوارى بن مالك	٣٦٩
باب أمامة ابى الحسن بن خميس بن عامر	٣٧٠
باب امامة عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان ابن الصلت ابن مالك الخروصى	٣٧١
باب امامة محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضرى	٣٧٩
باب امامة بركات بن محمد بن أسماعيل	٣٨٦
باب ملوك بنى نبهان المتأخرين	٣٨٨
خاتمة الجزء الاول	٤٠٢

تحفة الأعيان

بسيرة أهل عمان

للعلامة المحقق الشيخ

نــور الدين

عبـدالله بن حميـد السـالمي

المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ .

الجزء الثاني

مكتبـة الأسـتقامـة

بسم الله الرحمن الرحيم

باب إمامة الإمام

المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب ، من ولد نصر ابن زهران ، وهو أول إمام فى اليماربة وأول من قامت به دولتهم . وكانوا قبل ذلك كغيرهم من العرب رؤساء فى الرستاق وما يليها بعد ما تقسمت الممالك فى أيدى الرؤساء على حسب ما قدمنا ذكره فى الباب السابق وسبب اجتماع المسلمين بعد فرقتهم ما وقع عليهم من أمراء الظلم وملوك الغشم من تراكم الفتن وشدة المحن واختلفت آراء أهل الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق وسلطانهم يومئذ مالك بن أبى العرب المقدم ذكره فى الباب الأول وهو جد الإمام ناصر بن مرشد . ثم مات مالك وبقيت الرستاق فى يد بنى بنيه وهم أولاد عم الإمام فتراسل المسلمون وتشاوروا أن ينصبوا لهم إماماً يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وقدوة العلماء يومئذ خميس بن سعيد الشقصى الرستاقى صاحب « منهج الطالبين » قيل وفيهم مسعود بن رمضان النبهانى السمدى النزوى وصالح بن سعيد الزاملى العقرى النزوى بل قيل إن عدة العلماء يومئذ كانوا أربعين عالماً أو يزيدون ولعلهم لم يحضروا البيعة كلهم بل حضر بعضهم ورضى الباقون وكانت بينهم المراسلات والتشاور فوقعت خيرتهم على ناصر بن مرشد وكان فيما قيل ربيباً للقاضى خميس بن سعيد وكان قد عرفه قبل ذلك فدلهم عليه فرضى به الجميع فعقدوا عليه الإمامة بالرستاق فى عام أربع وعشرين بعد الألف ، وكان الإمام يسكن قصرى

من بلد الرستاق وكانت الممالك فى يد الرؤساء فعضده رجال اليحمد بأنفسهم وأمدوه بأموالهم وذخائرهم وأجمع رأيهم أن يهجموا على القلعة ليلا وكان فيها بنو عمه بعد موت جده مالك فاستفتحها الإمام ثم توجه إلى قرية نخل وكان فيها عمه سلطان بن أبى العرب فحاصره أياماً ثم افتتحها وكانت فرقة من أهلها غير تابعة للامام فظاهرت عليه الأعداء فحصروه فى الحصن ثم أتاه رجال اليحمد فنصروه وبدد الله شمل أعدائه وقيل إنه فى هذه الغزوة أظهر الله له كرامة فأشبع جراب تمر أربعمائة رجل وكذلك مورة أرز وهى فى التقدير عن نصف جونية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وأقام بنخل والياً ثم رجع إلى الرستاق ثم قدمت إليه رسل من نزوى يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك وسار فى قومه من رجال اليحمد وأناخوا بشرجة صفد من سمد نزوى وأقام بها ليلة فلم يصدقوه فيما وعدوه فرجع إلى الرستاق وأقام بها مدة. ثم جاءه أحمد ابن سليمان الرواحى ورجال من بنى رواحة وقوم من عصبة مانع بن سنان العميرى ملك سمائل يومئذ فأقاموا معه يدعونه إلى ملك سمائل ووادى بنى رواحة فأجابهم وسار فى رجال اليحمد حتى جاوز حدش ونزل وادى بنى رواحة وترك بعض قومه عند الأمير مانع بن سنان بعد أن دخل فى طاعة الإمام واتفق رأى الإمام والأمير مانع أن يتوجها بالجيش إلى نزوى وسار معهم القاضى خميس بن سعيد وناصرت الإمام عصبة من أهل أزكى بالمال والرجال فملك أزكى وقصد نزوى فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة ونزل منها بالعقر وأقام فيها العدل والانصاف وكانت فرقة من أهل العقر يقال لهم بنو أمبو سعيد وهم

رؤساء أهل العقر وقيل إن أصلهم من بنى نافع وهم رهط الشيخ بشير بن المنذر تسفهت أحلامهم وشابههم قوم من أهل سوق نزوى واجتمعوا أن يدخلوا على الامام بجيشهم يوم الجمعة عند السعى إلى الصلاة فأخبر الامام بذلك وتحقق أمرهم عنده فأمر بإخراجهم من مكانهم ونهى عن قتلهم بل أمر أن ينفوا من أماكن الإمام فخرجوا صاغرين والتجأ جمهورهم إلى مانع بن سنان فى بلد سمائل وكان مانع قد أعطى الامام العهود والمواثيق على الطاعة فخان ونكث والتجأت فرقة منهم إلى سيف بن محمد الهنائى ببهلى وآزرته على حرب الامام فاستقام الحرب بين الامام والهنائى وأمر الإمام ببناء حصن فى عقر نزوى وكان قديما قد بناه الصلت بن مالك فأتم الامام بنيانه ، وجاء إليه أهل منح يدعونه إلى إقامة العدل فيهم فتوجه إلى منح وافتتحها وأظهر العدل فيها وظاهره أهلها بأموالهم وأنفسهم ثم رجع إلى نزوى ، ثم أتاه أهل سمد الشان وكان المالك لها على بن قطن الهلالى فوجه الامام لها جيشاً يقدمهم الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان فافتتحها ، ثم أتاه أهل أبرا وكان المالك لها محمد بن جفير بن جبر فجيش عليها الامام وافتتحها ودانت له سائر الشبرقية ما خلا صور وقريات فانهما كانا فى يد النصارى ، ثم إن الامام جهز جيشاً وسار على الهنائى ببهلى فوصل إلى قاع المرخ فخان بعض جيشه فرأى الرجوع أصلح فرجع إلى نزوى وجعل يجمع الجيوش والعساكر فاجتمع له خلق كثير فسار بهم إلى الظاهرة وافتتح وادى فدى وأمر ببناء حصنها ونصره أهل الملاية من ضنك وكان مقدمهم الشيخ العالم خميس بن رويشد ورجال الفياليين واستقام أمره بها على رغم القالين .

ثم خرج الإمام يطوف بممالكه حتى وصل سمد الشان ومعه بنو ريام ورجع إلى الرستاق ، ثم خرج على الإمام محمد بن جفير فدخل قرية نخل واحتوى عليها ماخلا الحصن فنهض إليهم الإمام بجيش عرمرم ونصره رجال المعاول فما لبث القوم فيها غير ليلة أو ليلتين حتى ولوا الادبار ثم رجع الإمام إلى الرستاق ، ثم تحركت الظاهرة فأقبل الشيخ خميس بن رويشد يستنصر الإمام عليها فجهز الإمام جيشاً وسار مع الجيش بنفسه حتى نزل بالصخبرى ونصره أهل السر ورجال الضحاحكة بالمال والرجال ومضى قاصداً حصن الغبي وفيه جمهور آل هلال ومعهم البدو والحضر فاستقام بينهم الحرب وكانت وقعة عظيمة قتل فيها أخو الإمام جاعد بن مرشد ثم توجه الإمام إلى عبرى فافتتحها وأقام بها ليلتين ورجع إلى الصخبرى. وحصر حصن الغبي حتى فتحه الله له فولى فيه خميس بن رويشد وجعل بقرية بات والياً من أهل الرستاق وجعل معه محمد بن سيف الحوقانى وأمرهما بفتح ما بقى من قرى الظاهرة ورجع الإمام إلى نزوى ثم خرج عليه آل هلال وكانوا بناحية ضنك فى موضع يقال له الافلاج فغزوا الظاهرة فالتقاهم ولاة الإمام بموضع يقال له الدير ففضوا جمعهم وأخذوا إبل قطن ابن قطن ليستعينوا بها عليهم وحاصروا حصن قطن بن قطن وركب قطن إلى الإمام ففدى إبله بتسليم حصنه فأنعم له الإمام برد الابل وسلم قطن الحصن فأقام به الإمام والياً ثم توجه الولاة إلى حصن مقنيات فحاصروه وكان به وزير من قبل الجبور فجيش الجبور بنى هلال من بدو وحضر وأولاد الريس ونهضوا إلى مقنيات فظنوا أن لاطاقة لهم بها فقصدوا إلى بات فخاف الولاة عليه لقلة الماء به ولأنه عليه المعتمد فسار المسلمون من مقنيات

إلى بات ولم يشعر بهم الجبور فوقع بينهم القتال من صلاة الفجر إلى نصف النهار فشق ذلك على المسلمين وكثر القتل فى البغاة حتى قيل أنهم عجزوا عن دفنهم فكانوا يحملون السبعة والثمانية فى خبة وثبت الله المسلمين ، فلما بلغ الخبر إلى الامام جيش جيشاً وأم به المنائى ببهلى وكان دخوله ببهلى ليلة عيد الحج فحاصرها شهرين إلا ثلاثة أيام ثم أقبلت الجبور لنصرة المنائى فالتقتهم جحافل الامام فاقتتلوا قتالا شديداً وقتل من جيش الجبور قاسم بن مذكور الدهمشي وناس كثير فرجعت الجبور وبقى المنائى ومن معه محصورين حتى سلم الحصن وخرج منه بجميع رجاله وآلة حربه وماله وبقى الحصن خالياً فأقام الامام فيه والياً ورجع إلى نزوى .

ثم توجه الامام إلى سمائل لمحاربة مانع بن سنان العميرى لنكثه العهد ونقضه الميثاق فلم يمتنع مانع من الامام وصالحه على أن لايخرجه من حصنه بل يكون تابعاً للحق فتركه الامام ، ثم عزم الامام على بناء حصن سمائل القديم فبناه وشيد أركانه وجعل فيه والياً ورجع إلى نزوى .
ثم جهز جيشاً إلى مقنيات وسار إليها فلما وصلها وقعت بينهم الحروب فنصره الله عليهم فما لبثوا فى حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر وافتتح الامام الحصن وجعل فيه محمد بن على بن محمد والياً ، ثم أن سعيدا الخيالى ومن معه أسرّوا العداوة للامام وكاتبوا عليه الجبور وأدخلوهم قرية الصخبرى وقتلوا رجلا من الضحاحكة وناساً من شراة الامام فدافعهم من حضر ووقعت بينهم وقائع فى مواضع : منها وقعة بالعجيفة وهى وقعة شديدة ، ومنها وقعة بالغابة ، ومنها وقعة بالمطهرة ، ومنها وقعة بالزيادة وهى وقائع شديدة كاد أن يتزعزع منها ركن الاسلام وقد أدبر عن الوالى كثير

من قومه وما بقى عنده إلا القليل فبقى محصوراً فى حصن الغبىّ فجيش والى مقنيات وهو محمد بن على وجاء ناصراً للوالى محمد بن سيف المحصور فى حصن الغبىّ فدخل البلد من غير علم من العدوّ ففرق شملهم فى سائر البلاد فمنهم من دخل الصخبرى ومنهم من قصد ينقل ومنهم من هرب فى الفيافى وكانت ينقل فى ملك ناصر بن قطن بن جبر ونصر الله المسلمين .

ثم إن مانع بن سنان صاحب سمائل كاتب سيف بن محمد الهنائى الذى كان ببهلى كاتبه سراً وجمعا الجموع ودخلا نزوى ولم يخل أمرهما من خديعة وعصيان وظاهرهم بعض القبائل فدخلوا نزوى واحتووا على العقر وما بقى للامام سوى الحصن وداروا به أشد ما يكون وكادوا لكثرتهم أن يهدموا عليه السور حتى جاءته النصرة من أزكى وبهلى ومعهم بنى ريام فدخلوا على الامام فسر بقدومهم فتفرقت عنه جيوش أعدائه بعد أن قتل من قتل منهم فأشار من أشار إلى الامام بهدم حصن مانع بن سنان الكائن بسمائل فجهز له جيشاً وعلم به مانع فخرج من حصنه إلى فنجا وجاء الجيش فهدم الحصن وخرج مانع من فنجا إلى مسكد ، ثم خرج منها إلى لوى عند محمد بن جفير .

ثم وجه الامام الجيش إلى دار سيت لأن سيف بن محمد بعد خروجه من بهلى بنى بدار سيت حصناً جعله للبغى مأوى ، فجهز الإمام الجيش لهدمه وأمر عليهم الشيخ عبد الله بن محمد بن غسان مؤلف « خزانة الأخيار فى بيع الخيار » فلما نزل الجيش بدار سيت خاف الهنائى على نفسه فخرج من حصنه هارباً فأمر القائد بهدم الحصن فهدم ، ثم أتى الهنائى إلى الإمام يطلب منه العفو والصفح فعفا عنه ، ثم جهز الإمام جيشاً عظيماً

سار فيه بنفسه وقاضيه خميس وقصد به ينقل وفيها يومئذ ناصر بن قطن فحاصرها أياماً وافتتحها وجعل فيها والياً ورجع إلى الرستاق ، ثم جهز جيشاً آخر أمر عليه عبد الله بن محمد بن غسان النزوى وأمره أن يقصد الجو فسار إليها وصحبه من الأعيان خميس بن رويشد الضنكى وحافظ ابن جمعه الهنوى ومحمد بن على الرستاقى ومحمد بن سيف الحوقانى فأتى الجو واستفتحها وولى عليها محمد بن سيف ، ثم قصد القائد بالجيش إلى لوى وكانت فيها الجبور فاختلفوا فيما بينهم وقتل محمد بن جفير ووقعت بينهما العداوة فنزل عبد الله منها بالجامع ودارت عساكره بالحصن وكان مالكه سيف بن محمد بن جفير وعنده مانع بن سنان العميرى . وأما إخوة سيف وأعيان قومه فانهم التجأوا إلى النصارى بصحار وم. ا. يوا يمدون إخوانهم المحصورين بالطعام وآلة الحرب ويغزون جيش الامام ليلا ، ثم جهز القائد سرية وولى عليها محمد بن على وأمرهم أن يهجموا بالليل على من بصحار منهم فكبسوهم قبل الصباح فى الموضع المسمى منفل مقرن وهو مما يلى الجنوب من الحصن على ساحل البحر فدارت بينهم رحى الحرب واشتد الطعن والضرب ثم رجع منصوراً ولم يزالوا محاصرين لحصن لوى حتى أرسل إليهم سيف بن محمد بن جفير يريد الأمان فخرج خفية ثم خرج من معه ودخل القائد الحصن وكان الحصار فى ستة أشهر وكان ناصر بن ناصر بن قطن ورجال العُمور قد ظاهروا القائد على حصار الحصن لما تقدم من الخلاف بين الجبور فجعل القائد والياً فى الحصن من جانب ناصر بن ناصر وجعل معه بعض الرجال الموفين الموثوق بهم فى الأمانة والعلم ثم رجع القائد إلى الامام منصوراً ، ثم جهز الامام جيشاً

أمر عليه مسعود بن رمضان وأمره أن يسير إلى مسكد وكان فيها يومئذ النصارى فسار مسعود بمن معه حتى نزل طوى الرولة فى مطرح فخرج إليهم النصارى فتعاطوا كؤوس الحمام وعظم بينهم الالتحام فنصر الله المسلمين وهزم المشركين وقتل منهم خلق كثير لايحصون عدداً فتمنعوا بالكيتان وبعالى البنيان وهدم المسلمون من مسكد بروجاً شامخة وأبنية منيعة ، ثم ان النصارى طلبوا الصلح فصالحهم القائد على فك مافى أيديهم من أموال العمور وأموال الشيعة من صحار فأذعنوا لذلك وأخذ منهم العهود وأعطاهم الأمان ورجع إلى الامام منصوراً .

ذكر قتل مانع بن سنان العميرى

وذلك أن مانعاً لم يزل مضمراً للعداوة قادحاً فى الدولة يعطى العهد وينقضه ويذعن للطاعة وينكث ويطلب للامام الغوائل ويلتمس للدولة الخلل ، فاستأذن مداد بن هلوان الامام فى قتل مانع بالاحتيال فأذن له فكاتبه مداد ليدخله حصن لوى وأطمعه فيه بلطف وكان الوالى فيها يومئذ حافظ بن سيف فلم يزل مداد يكاتب مانعا ويتلطف وكان مانع فى دبا فركن إلى قول مداد وفرح به وطمع فى الحصن فركب من دبا إلى صحار فأقام بها أياما ينتظر أمر مداد فجدد له مداد الوعد وضمن له بدخول الحصن وواعده على ليلة معلومة : فلما كانت تلك الليلة فرق الوالى العسكر يدورون في البلاد كأنهم يسيرون وتعاهدوا أن يلتقوا على مانع من اليمين والشمال فلم يدر مانع إلا وقد أحاطت به الرجال فأخذ قهراً وقتل صبراً وتفرقت جنوده وقتل من بقى معه .

ذكر فتح الصير

وهى جلفار وكان فيها العجم وبعض النصارى فجهز الامام إليهم جيشاً وأمر عليه على بن أحمد وعضده ببنى عمه من آل يعرب فسار بالجيش إلى جلفار ومالكها يومئذ ناصر الدين العجمى فأحاط بهم جيش الامام وكان بحصن الصير برج معتزل له جدار متصل بالحصن وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار وكانت النصارى فى البحر تدفع بمدافعها المسلمين عن الحصن فعزم المسلمون على الهجوم على البرج فهجموا عليه ليلاً وأخذوه قهراً ومالوا على الحصن فافتتحوه وجعل فيه قائد الجيش والياً وكان فيها حصن على الساحل للافرنج فسار إليه بعض الجيش وفيهم رجال الدهامش وخميس بن محزم فدخلوا الموضع نهاراً واحتووا على مافيه فامتنع النصارى بالحصن فحاصرهم المسلمون وبنوا حولهم حصناً فذل المشركون وطلبوا الصلح على أن يهبطوا من الحصن فصالحهم القائد فهبطوا وجعل القائد فيه والياً ورجع علىّ بن أحمد بمن معه إلى نزوى فاستبشر الامام بالفتح واستبشر المسلمون بقدومه وبفتح الصير .

ثم ان الامام أمر حافظ بن سيف واليه على لوى وكان معه رجال العمور شراة أن يسير إلى صحار ويبنى بها حصناً وكان بها يومئذ النصارى فأرسل الوالى إلى من بقربه من القرى من بنى خالد وبنى لام والعمور واجتمع معه عسكر كثير وكان رجال من صحار يدعونه إلى ملكها فمضى إليها بجيشه وبات بقرية عمق وعميت الأخبار على أهل صحار حتى

صبحها ضحوة النهار فى آخر يوم من محرم الحرام فى سنة ثلاث وأربعين بعد الألف فنزل بموضع يقال له البدعة فزحف المسلمون على المشركين حتى وصلوا إلى حصن ابن الأحمر واشتد بينهم الطعن والضرب وكانت النصارى تدفع بمدافعها من الحصن وكان الظفر فيها للمسلمين ثم انتقل الوالى من البدعة إلى مكان هو أقرب إلى العدو فجاءت ضربة مدفع فاخترقت القوم حتى وصلت مجلس الوالى فأصابت راشد بن عباد فمات شهيداً رحمه الله ، ثم أخذ الوالى فى بناء حصن فأسس فى الحال وتم بنيانه ونزل به الوالى ولم تزل الحرب قائمة بالليل والنهار ، ثم ان القاضى خميس ابن سعيد سار بمن معه من رجال اليحمد وغيرهم حتى نزلوا قرية بوشر فأرسلت النصارى إليه تطلب الصلح فأجابهم إلى ذلك وأرسل عيونه إلى مسكد ثم ركب بمن معه حتى نزل بمطرح فواجهته وجوه النصارى وصالحته ورفع عنهم الحصار وفك عنهم المقابض ورخص للناس فى السفر إليهم وكفت الأيدى عن القتال ، ثم ان الإمام جهز جيشاً إلى صور فحاصرها الجيش حتى فتحوها وسار بعض الجيش إلى قريات وكان بها حصن النصارى فبنى المسلمون فيها حصناً وفتحوا حصن النصارى ، واحتوى الإمام على جميع عمان إلا صحار ومسكد ففيهما النصارى على الصلح السابق تحت الطاعة ، ثم ان ناصر بن قطن بعد خروجه من ينقل هرب إلى الأحساء وبقى بمن معه يغزو بادية عمان ويأخذ المواشى وينهب من لقى ويفعل ذلك كل سنة ويرجع إلى الاحساء فكتب الإمام إلى الوالى محمد بن سيف أن يتجسس عن قدوم ناصر فإذا علم به التقاه بالجيش دون عمان فجمع الوالى العسكر من البدو والحضر فلما علم بقدوم ناصر تلقاه فلما علم ناصر بجيش الإمام قصد

الظفرة ودخل حصنها وتعصب له بنو إياس ووجه ناصر رسله إلى الوالى يطلب الصلح وكان قد قل على الوالى الزاد وبعدت عليهم الدار فصالحه على رد مانهبوا وغرم ما أتلفوه مما اكتسبوه ورجع الوالى بمن معه ، وأما ناصر فإنه جمع البدو من الظفرة فعزم على الهجوم على حصن الجو وكان فيه أحمد بن خلف والياً وتابع ناصراً كافة أهل الجو وأعانوه على الوالى وداروا بالحصن فعلم به الولاة من الباطنة والظاهرة فأتوه ناصرين فخرجت جيوش الأعداء منهزمين ، ثم أتى القائد الأكبر عبد الله بن محمد من نزوى بجيشه فأمر بهدم حصون الجو كافة ماخلا حصن الإمام وتفرقت الأعداء وقصد عمير بن محمد صحار مع النصارى وقصد الباقون العقبة من جلفار فكانوا يقطعون الطرق و يغزون البلدان فسارت عليهم الولاة فقتل من قتل وانهزمت الأعداء وأخذ الوالى إبلهم ورجع إلى عمان ولعل أخذ الإبل كان للاستعانة عليهم مادامت الحرب قائمة ومضى ناصر ابن قطن ومن معه إلى الباطنة فهجم بمن معه على إبل بنى خالد و بنى لام فأخذوها وسلبوا ماعلى النساء من الحلى والكسوة ورجعوا بذلك إلى الإحساء .

ثم إن ناصر بن قطن أتى إلى عمان مرة أخرى وقصد الباطنة للنهب والسلب فجهز له الإمام جيشاً وأمر عليه على بن أحمد وعضده بمحمد بن صلت الريامى وعلى بن محمد العبرى وأحمد بن بلحسن البوشرى فمضوا إلى لوى فأقبل ناصر بن قطن بقومه فوقع بينهم الحرب ثم ركب ناصر بمن معه إلى قرية مجيس فاتبعه الوالى بمن معه ثم ركب ناصر قاصداً أرض الشمال فركب الوالى فى طلبه وكان أول من لحقه أحمد بن بلحسن البوشرى

ومراد وراشد بن حسام وبعض الشراة بموضع يقال له الحروس فوقع القتل فى المسلمين قبل أن يتكامل جيشهم فقتل المتقدمون أجمع ولله الدوام فلما وصل الجيش رأوا أصحابهم صرعى ولم يروا أحداً من قوم ناصر ، ثم ان ابن حميد محمد بن عثمان الخالدى وكان من أصحاب ناصر بن قطن غزا بلاد السر وكان فيها محمد بن سيف الحوقانى والياً وفيها أيضاً سعيد بن خلفان أحد أنصار الإمام وأناخ ابن حميد بقرب الغبى من الظاهرة فطلب سعيد ابن خلفان من ابن حميد المواجهة المشافهة فأجابه إلى ذلك من غير أن يأخذ لنفسه أمانا فتواجهوا فى مسجد الشريعة من الغبى فجرى بينهما الكلام في التجرؤ على أموال الناس وقتلهم ونهب أنعامهم فقال سعيد ابن خلفان لابن حميد : أما ترد ما أخذت ونهبت من أموال العباد ؟ فأعرض عنه بوجهه وتولى ، وقال : حاش وكلا . وأظهر عتواً وعناداً فأمر سعيد بأسره فأسر وأمر به فأدخل الحصن ، ثم أمر به فقيد ثم ركبوا به إلى الرستاق فأرسل سعيد إلى الإمام بخبره فأجابه بأن يجعله فى قلعة الرستاق فحبس بها خمسة أشهر . وفى بعض النسخ سبعة أشهر ثم مات فى حبسه ليلة السابع من الشهر .

ثم إن الإمام جهز جيشاً من الباطنة وعمان وأمر عليهم سعيد بن خلفان وعضده بجفير بن محمد بن جفير وأمره أن يسير إلى الشمال فيأخذ إبل ناصر بن قطن وهى قوته التى يستعين بها على بغيه فسار القائد بمن معه فالتقاه بنو إياس دون الإبل فى موضع يقال له الشعيبة وهو قرب الظفرة فاقتتلوا واشتد بينهم الضرب والطعن وقتل أمير بنى إياس صقر بن عيسى وجماعة من رجاله ثم غضب محمد بن عيسى لقتل أخيه ورأى الموت خيراً

له من الحياة بعده فحمل على جيش المسلمين فالتقوه فقتلوه فطلب بنو إياس العفو فعفا عنهم ورجع ، ثم جهز الإمام جيشاً آخر من الباطنة وغيرها وأمر عليهم أيضاً سعيد بن خلفان وعضده بعمير بن محمد بن جفير الجبرى وأمرهم أن يسيروا إلى ماء يقال له دعفس عليه إبل ناصر ابن قطن وهو فى ناحية الشمال فوجدوا الإبل هنالك وأخذوها ورجعوا منتصرين آمنين فجعلوا الإبل أمانة عند عمير بن محمد بن جفير وكان لعمير راع يقال له على فأشار إليه بعض الخدم بأخذ الإبل والتقرب بها إلى ناصر بن قطن فسار بها إليه ثم ان ناصر بن قطن وعلى بن محمد مازالا يغزوان بمن معهم أطراف عمان ويقطعون الطرق حتى خافت منهم البادية والتجأوا إلى البلدان فجهز الإمام جيشاً أخرج فيه بنى عمه سيف بن مالك وسيف بن أبى العرب وحزاما وأخرج معهم رؤوس القبائل فساروا قاصدين ناصر بن قطن ومن معه فنزلت أول زمرة من جيش الإمام وفيها شرارة الجيش فبادرهم العدو قبل أن يتكاملوا فقتلوا عن آخرهم وخرج ناصر بن قطن إلى الاحساء ورجع الجيش وقد أصيبوا بإخوانهم ، ثم إنه لم يكن لناصر بن قطن بعد هذا ذكر فلعله مات أو ضعفت قوته وظهر أمر الإمام وانتشر عدله فى الخاص والعام واستولى على جميع عمان إلا مسكدا فقد كان فيها النصارى وقد تقدم أنهم صالحوا مرتين ونكثوا وما زالوا ينكثون ثم نصب لهم الامام الحرب حتى وهنوا وضعفوا ووهى سلطانهم وتفرق أعوانهم وكاد الموت والقتل يأتى على أكثرهم .

ثم توفى رضى الله عنه والمسلمون عنه راضون وله مؤازرون

ومناصرون وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر ليال خلون من ربيع الآخر سنة خمسين وألف ، وكانت إمامته ستاً وعشرين سنة ودفن بنزوى مع مساجد العباد ، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة إن صح ماقيل أنه نصب وهو ابن عشرين سنة ومات ولم يعقب إلا إبنة واحدة فعدوا ذلك من كراماته إذ اتفق له فى هذا الحال ما اتفق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه مات ولم يعقب إلا إبنة واحدة وهى فاطمة الزهراء وماتت بعده بستة أشهر والله أعلم .

ذكر كراماته رضى الله عنه

فمن ذلك ماقيل أن ليلة مولده رؤيت النجوم كأنها تتهاوى بعضها على بعض فارتاع الناس لذلك ، وقيل إن الامام كان ذات ليلة راقداً على سطح بيته فرأت أمته كأن ناساً عليهم لباس فاخر يصلون عليه فارتاعت لذلك ، وقيل أن رجلا كان نائماً فى مسجد قصرى من الرستاق فرأى كأن فى إحدى زوايا المسجد سراجاً مضيئاً فلما انتبه رأى فى تلك الزاوية الامام مضطجعاً وذلك قبل أن يعقد له ، وقيل إن أمه كان لها زوج بعد أبيه وكان الامام رحمه الله يأمرها أن تصنع له طعاماً قبل طعامهم لئلا تبقى بقية من طعام زوجها فتدخل فى طعامه فخالفت أمره يوماً فعجنت طحين زوجها ثم خبزته ولم تغسل الوعاء فصبت طحين الامام فى ذلك الوعاء فقيل إن يدها لصقت بالطوبج ولم تقدر على نزعها حتى رضى عنها الامام ، وقيل ان ناساً من السفهاء اجتمعوا فى بيت رجل منهم يسبون

الامام بعد بيعته فنهتهم زوجة صاحب البيت فلم ينتهوا فخرجت عنهم فخرّ عليهم سقف البيت فماتوا جميعاً . وقيل ان امرءا شتم الامام فورمت رجله بالحال فمات ، واستهزأ مملوك بثياب الامام بعد موته فمسها بظهره فمات من يبس ظهره . وقيل ان مطية أكلت من طعام بيت المال فتجرشت ولم تزل كذلك حتى رأت الامام فأتت إليه فوضعت رأسها على عاتقه فلم تزل كذلك حتى جاء ربها فسأله الامام عن حالها فأخبره أنها أكلت من طعام بيت المال فتحرشت فرضى له الامام وأحله ومسح بيده الكريمة على رأسها فبرئت مما بها وزاد فى بعض الكتب فقال : وكثير من الدواب إذا أكلت من مال المسلمين دون رأيه تألمت بالفور . والله أعلم ، وقيل ان جراب تمر أشبع أربعمائة من قومه وكذلك مورة أرز أشبعت أربعمائة من قومه وذلك فى غزوة نخل ، وقيل فى ليلة من الليالى التى قامت فيها البغاة على الامام بعقر نزوى سمع ناس صلصلة وقعقعة فرأى رجل فى المنام كأنه يسأل عن ذلك فقيل له ان بعض الجن أعان الامام على أعدائه وكذلك قيل ان أعداءه سمعوا تلك الليلة زلازل ورجفة وكأنهم يختطفون من على السيران حتى انهزموا وقيل انه كان الامام ذات ليلة نائماً فوق سطح فى أيام الحر إذ أتى إليه رجل يريد قتله فوقف على رأس الامام وفى يده خنجر مشحوذة والامام نائم فلم يقدر أن يضرب الامام وأمسك الله على يده حتى انتبه الامام فرآه واقفاً على رأسه وبيده خنجر مشحوذة فسأله ما تريد ؟ فقال : ما يسعنى غير عفوك ، فعفا عنه ولم يعاقبه ، وقيل ان بدوياً ضلت له ناقة فمضى فى طلبها فبينما هو يمشى إذ رأى أثر قدم إنسان فاستعظمها فجعل يقصها حتى انتهت به إلى غابات

شجر فسمع صوتاً من داخل الشجر أن مطيتك فى مكان كذا من موضع كذا فامض إليها وقل للامام ناصر يلزم هذه السيرة فإنها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم . فمضى البدوى مرعوباً وقصد الموضع الذى وصف له فرأى مطيته فى المكان الموصوف ثم مضى إلى الإمام ، ورأى الإمام فى نومه أن بدوياً أتاه يبشره أنه على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليه البدوى رآه فى يقظته كما رآه فى نومه ، فحدثه بما جرى عليه وبما سمع ، فحمد الله الإمام على ذلك وأمر للبدوى بنصف جراب تمر ونصف جرى حب وثوب ، فمضى البدوى شاكراً وافضل الإمام ذاكراً .

وفى بعض الكتب أن البدوى كان من بنى قتب وانه كان رجلا صالحاً فى دينه وأن أثر القدم التى رآها كان طولها ذراعاً أو أكثر فسار فى طلبه فوجد رجلا فى ظل شجرة فكز جنبه منه لما رأى من عظم صورته وشعره والأنوار ساطعة لائحة فى وجهه . فقال له السلام عليك ياعبد الله . فقال له : وعليك السلام ياعبد الله . فقال له : أنت من الجن أم من الإنس ؟ فقال له : من الانس . فقال له : من أين أقبلت ؟ فقال : من البرية . فقال له : من أنت ؟ فقال له : أنا الخضر هل من حاجة ؟ فقال له لا . ثم قال له القتبى : هل من حاجة لك ؟ فقال له : نعم أقريء منى السلام الإمام ناصر بن مرشد ثم وقع بياض فى الأصل وذكر فى آخر كلامه أن الإمام جعل للبدوى فريضة له ولأولاده لأجل البشارة ، وفى كتاب للقاضى ابن عبيدان ذكر فيه من حضره من علماء أصحابنا العمانيين قال : أخبرنى محمد بن طالوت عن نجدة النخلى أن الخضر عليه السلام كان من أهل السر من قرية عمان ، ومن ورعه وتعففه رضى الله عنه أنه كان يعطى نفقة له ولعياله من بيت المال ولم تكن لهم قدر يطبخون فيها طعامهم فكانت زوجته تنقص من النفقة يسيرا يسيراً حتى باعته

واشترت به صفرية ، فلما رآها الإمام سألها من أين لك هذه الصفرية ؟
فأخبرته بما صنعت . فقال لها : أتستعملينها وهى لبيت المال !. وأمر وكيل
الغالة ينقص من نفقتهم قدر ما كانت هى تنقصه ، وقيل إن القاضى محمد بن
عمر دخل يوماً على الإمام فرآه متغير الوجه فسأله عن حاله فلم يخبره
فألح عليه فأخبره أنه لم يكن له ماينفقه على عياله لسنة العيد فذكر الشيخ
محمد للوالى أن يدفع للامام شيئاً من الدراهم من بيت المال فقيل انه دفع
له عشر محمديات ، وفى بعض الكتب أن الإمام كتب إلى القاضى
محمد بن عمر بن مداد رحمه الله ليجتمع هو واخوانه ليدفعوا له شيئاً
من بيت مال المسلمين من الأرز لبعض الأعياد مع عدمه من الدراهم ،
فبكى الشيخ محمد بن عمر وقال اللهم إن هذا هو العدل ، ودكر ذو الغبرا
خميس بن راشد العبرى عن أبى نبهان وكان ممن أخذ عنه أن الشيخ أحمد
ابن جمعة فرض له الإمام ناصر بن مرشد فريضة قليلة لإمارته على جمع
زكاة أزكى وما حولها من القرى وطلب العلماء من الإمام زيادة فريضة
للشيخ أحمد بن جمعة فأسعفهم الإمام وقال لأحمد أريد أن أزيدك فريضة
فوق الفريضة الأولى فقبض أحمد كم قميصه فانحدرت منه الحروف
تترادف مثل الحبال وقال الذى معه مثل هذا يحتاج إلى زيادة فريضة
قال وأنا أريد أن أعطيك هذه الأمانة فامتنع الإمام من قبولها هذا خوفاً
أن لايحملها قال ذو الغبرا قال أبو نبهان يروى عن الشيخ محمد بن راشد
الريامى قال . نظرت الشيخ أحمد بن جمعة يقتطف الدنانير بيده من الهواء
ويعطيها الفقراء .

وذكر لى بعض الثقات من أهل العلم أن الإمام ذات سنة من السنين
أمر أن يدفع إلى القاضى محمد بن عمر شيئاً من تمر الزكاة ، فلما وصلت
الحمير بالتمر إلى بيت القاضى قال القاضى ردوها ، فلما رجعوا بها إلى الإمام

خاف الإمام أن يكون القاضى أنكر عليه شيئاً فى سيرته فجاء إليه فسأله عن السبب فسكت عنه وأحضر طعاماً ثم أتوا بماء فغسلوا فيه أيديهم من أثر الطعام ثم قال القاضى للامام اشرب من هذا الماء ، قال : لا أقبله . قال القاضى : فكيف تأمرنى أن آكل اوساخ الناس وأنت لاتقبل أن تشرب من وسخ الطعام الذى أكلته ثم ان القاضى أراد أن يرى الإمام استغناءه بالحلال الطيب عن أوساخ الناس ليطيب عنه نفسا فكتب إسماً فى قرطاسة صغيرة فجاءت الدبيان تحمل الدنانير كل دبية تحمل ديناراً فوضعته قدام القاضى حتى صارت كدساً كبيراً والإمام ينظر فقال القاضى للإمام خذ هذا . فقال لا أريده . فقال : خذه لتقوية الدولة . فقال : الدولة مستغنية عنه . فقال القاضى : إنه حلال إنه من كنز جاهلى بشيراز فلم يقبله الإمام لنفسه ولا لدولته وأمر القاضى الدبيان فحملته وقال للإمام اعلمك هذا السر ؟ فقال الإمام : سأنظر . فخرج من عنده ولم يعاوده فعاوده القاضى ليعلمه السر فأبى وقال : أنا اليوم قد ملكت نفسى وأخشى إن عرفت ذلك أن تملكنى نفسى . فهذا هو الورع لمن عقله وهو الخوف لمن عرفه ، وقيل ان رجلا نام عند قبر الإمام سلطان بن سيف ولعله وضع رأسه عند قبر الإمام سلطان بن سيف ورجليه عند قبر الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله ونام على هذه الصفة ، فلما أخذه النوم حس كأن أحدا أداره عن قبر الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله تعالى فانتبه خائفاً مرعوباً وقال فى نفسه : لعل هذه أضغاث أحلام وكاذب نفسه فى ذلك ثم نام ثانية ليستيقن ذلك لكى تزول الشبهة عن قلبه فلما أخذه النوم حس ثانية كان أحداً أدار رجليه وانتبه مرعوبا وفر من حينه خائفا والله أعلم . وإنما كتبنا من سيرة هذا الإمام مالم نكتبه فى سيرة من قبله لأن بعض أصحابه قد

أرخوا بعض سيرته ولم يؤرخ من مضى إلا ما وجدناه من القضايا التى يحتاج إلى البحث عنها فى الأحكام وحيث أن المتأخرين اشتاقوا إلى الاطلاع على سيرة من قبلهم فلم يدركوا منها إلا اليسير دعاهم ذلك إلى كتابة بعض ما كان فى زمانهم ليطلعوا عليه من يجىء من بعدهم فجزاهم الله عما أثروا خير جزاء ولا شك أن الآخر دون الأول فما كتب هاهنا يدل على وجود أضعافه فيما سبق .

وفى سيرة ابن قيصر الصحارى وهو ممن عاصر الإمام وجمع من سيرته وذكر فيها وفاة الشيخين خميس بن رويشد المجرفى ومسعود بن رمضان ورثاهما بقصيدتين ، والظاهر من سياقه أنهما ماتا رحمهما الله تعالى فى أيام الإمام . قال : وسبب موت الشيخ مسعود أنه تزوج امرأة صغيرة فسقته سما فى شربة ماء فشربه وقضى نحبه رحمة الله عليه .

ذكر ثناء العلماء على الإمام ناصر بن مرشد

وهم شهود الله فى أرضه وقد أثنى عليه علماء عصره بما يطول ذكره فقالوا فى سيرة اجتمعوا عليها وكتبوها إلى إخوانهم أهل المغرب مانصه « فلما أراد الله إظهار المسلمين ونصرة المؤمنين أظهر الله هذا النور الساطع والحسام القاطع ذا الفضائل المشهورة والمآثر المشكورة والسيرة الطاهرة المبرورة إمامنا أعز الله نصره ورفع ذكره وأعلا قدره وأدام دولته ونصر صولته وأيد سيادته وخلد سعادته وحمى به الدين ونصر به الضعفاء والمساكين آمين يارب العالمين ، فاجتمع رجال ممن يسر الله أن يجتمعوا من المسلمين وبايعوه على السمع والطاعة وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر الحق فى القوى والضعيف والدنىء والشريف فصدقوا له ووفوا وانتصروا من بعد ماظلموا وهم قليل

فى كثير ورمتهم العرب عن قوس واحدة وأرادوا أن يطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والفاسقون والمنافقون، ففتحت لهم القلاع والحصون ودانت لهم القبائل وانقادت لهم الملوك طائعين وكارهين وسكنت الحركات وردت المظالم وانتصر المظلوم وظهرت الدعوة وقامت الحجة وأحييت السنن وعظمت المنن والحمد لله على ذلك كثيراً » وقالوا فيها أيضا « من إمام المسلمين ونظام المؤمنين وبقية من تمسك بالدين سراج الزاهدين وعلم المجاهدين وقدرة المجتهدين ولى الله المأمون وعبده الميمون الهمام الأبى والأروع الزكى الرضى المرضى ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب بن سلطان بن أبى العرب اليعربى المسلم الوهبى ».

وقال الشيخ الفقيه سعيد بن محمد بن عبد الله النزوى رحمه الله فى سيرته أيضاً إلى أهل المغرب ذكر فيها سيرة السلف الصالح ثم قال بعد ذلك « فهذه سيرة أئمتنا الأولين وسيرة إمامنا ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب بن سلطان اليعربى الرستاقى ثم النزوى رحمة الله عليه وروحه وريحانه ومغفرته ورضوانه عظيم شأنه كريم مكانه قوى سلطانه عزيز وجوده متواترة سعوده بالمؤمنين رءوف رحيم ليس بفظ ولا غليظ كثير الذكر قليل اللغو لا يستنكف أن يمشى مع العبد والمسكين وهو ملك فى زى مسكين رءوف القلب كثير الحياء واسع الصدر طويل الحزن عظيم الرجاء قليل المن كريم الوفاء أمين الله كاتم السر وكاظم الغيظ جايل العطاء لين الجانب قليل الأذى سراج الهدى عظيم الرجاء تراه حليما ودودا مصافياً كريماً قائماً بأمر الله موفياً بعهد الله ملتمسا رضوانه قاطعاً للشهوات غافرا للعثرات كاتما للمصيبات خاشعاً منيبا شريف الهمة حبيب الفقراء غريبا بين أهله جميل الفطنة تقى الأتقياء يعظم الكبير

لوقاره ويقرب الصغير لشدة افتقاره ويشكر اليسير لقلة اغتراره ويرحم الفقير لرؤية اضطراره سهلا عند المصاحبة طلق الوجه عظيم الخطر هيوب المنظر كثير التبسم سخي النفس بطيء الغيظ رزين العقل طيب الكلام واسع الخلق قليل الملام ليس بذى سب ولا نميمة ولا غيبة ولا حسود ولا كذوب ولا حقود وكاد أن يكون نبياً رسولا رحمه الله وغفر له ، سيرته شاهرة وسريرته أنبأت عنها علانيته الظاهرة ، يدرس الآثار ويسأل العلماء الأخيار ، مشيره أبو عبد الله محمد بن عمر بن أحمد ابن مداد ومسعود بن رمضان مفتى أهل عمان وبقايا المسلمين من إخوانه الذين اصطفى وارتضى وهم بحمد الله موجودون غير معدومين فالله تعالى مؤيده ، وهذا كلامه إلا ماحذفت منه للاختصار وكفى بهذا الثناء الجميل من هذا الفقيه الجليل ومن إخوانه أهل الفضل الجزيل غفر الله لنا ولهم ورضى عنا وعنهم وعن إخواننا المؤمنين ، ووصفه صاحب فواكه العلوم فقال : « كان رءوفاً بالمؤمنين رحيما بالفقراء والمساكين ، قوى الجأش ، كثير التفحص عن الناس ، لابطراً ولا متكبراً ولا متجبراً ولا مهملا ولا غافلا ولا معنفاً ولا بخيلا ولا نماماً ولا حسوداً ولا حقوداً ، يرغب الغريب لغربته ويصرف عنه شدة كربته ، وينسيه هوى وطنه ، ويزيل عنه أحوال حزنه ، بل كان حنيفاً مسلماً قانتا مخلصا شاكراً ، إن نطق نطق بتسبيح ، وان صمت صمت عن محاسبة نفس وتفكر فى أمر الآخرة وكاد يكون نبيا قد قسم زمانه مدة عمره للصلاة ودراسة القرآن وآثار الأئمة الصالحين والأحكام بين الرعايا والصدقة على الفقراء والمساكين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا له همة فى الدنيا أبدا حتى توفاه الله والمسلمون عنه راضون إجماعاً وله مؤازرون سمعاً وطاعة » .

ووجدت عن أبي نبهان وهو ممن لم يدرك عصر الإمام ناصر أنه قال: « فضل هذا الإمام يزاحم فضل الإمامين : الجلندى بن مسعود وسعيد بن عبد الله إلا أنه يفوق لأن العدل كثر فى زمانه وطال مكثه عمر وكثر فى زمانه العلم وكثر الدين والورع فى زمانه حتى أن من يبيع اللحم ويبيع البصل فيهم من يصلح أن يكون قاضياً أو والياً أو خازناً أو وكيلا لكثرة أماناتهم وعلمهم وقال ناصر بن أبي نبهان : العلماء الأقدمون أقوى علماً من العلماء الذين عاصروا إمام المسلمين ناصر بن مرشد لأنهم يدركون درجة الصحابة أو يزيدون علماً ، وقال غيره : وأما الإمام ناصر بن مرشد فإنه يلحق أئمة الأقدمين ، وقال ناصر بن أبي نبهان : ولعله يفوق عنهم قال لأنه يفوق عبادة المنصوبين ويفوق قناعة القانعين والفقراء والمساكين قال وهو أجوع الناس فى زمانه وأقلهم مأكلة وهو أعراهم فى اللباس وفضائله لاتحصى وقد سعدت عمان به وكثرت البركات وتتابعت النعم إلى أن توفاه الله إلى رحمته ورضوانه . وقد رثاه بعض أهل الفطنة والفضل بمراث طنانة غابت عنى وقت التأليف والحمد لله على كل حال .

ذكر عهود الإمام إلى عماله فى القرى

فمن ذلك عهده إلى ابن عمه وخليفته على الأمر من بعده سلطان ابن سيف بن مالك اليعربى حين أراد أن يستعمله على بعض الأمور فطلب العذر فكتب إليه الإمام ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله إمام المسلمين ناصر بن مرشد ابن مالك إلى حضرة شيخنا الوالى الولد سلطان بن سيف بن مالك أمد الله عمره . أما بعد : فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو

وأوصيك ونفسى وجميع المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته فاسمع له وأطع واقتد بإخوانك السالفين واتبع . وأما ما ذكرته من أمورك فاسأل فيها أهل الفضل والورع والهداية والشرع الذين جعلهم الله ورثة أنبيائه ونوراً ساطعاً يقتدى به جميع أوليائه يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وأما ما ذكرته فى العاذرة من الأمر الذى جعلته عليك فكيف أنت اليوم ولدى جناحى الذى أتوصل به إلى إعزاز الدين الحنيفى وخليفتى الذى أخلفه ركننا لهذا المذهب فوسع صدرك وشاور العلماء فى أمرك ولا تقطع عمرك وتضيق الصدر والحزن وهون على نفسك من جميع ذلك وانظر ما أمامك من العوائق والمهالك فإن السالم من وفقه الله ونجاه وارتضاه من خليقته واصطفاه حتى حاذر من جميع معاصيه وخسه إلا من ضيق على نفسه وحزن فى يومه أكثر من أمسه وقطع نفسه بالندم والهموم والكرب والغموم ، سلم الأمور ولدى لخالق الأرض والسماء ومافيهن وماتحت الثرى واصبر وما صبرك إلا بالله وتوكل عليه وفوض أمرك إليه واتقه حق تقاته ليجعل لك من جميع أمورك المخارج لقوله عز وجل « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » فالله الله ولدى فى سياسة الملوك لا تكن غافلا ولا مهملا لأمورك فإنك ركبت الخطر العظيم والهول الفظيع الجسيم فلا تلتفت ولدى إلى الدنيا ونعيمها وغضارتها فانها لعب ولهو وزينة وتفاخر لاتوازن عند الله جناح بعوضة فاجتهد فى ذلك واقتد بإخوانك الماضين حيث تركوا الدنيا لأهلها وبذلوها لطلابها وتوكلوا على الله حق التوكل ولم يقصروا جهدهم فى الله وإعزاز دينه وإظهار

كلمته وإخماد نار البدع وإماتة الباطل وقتال الباغي العاطل فلم تخدعهم الدنيا بغرورها ولم يعدلوا إلى لذتها وسرورها حتى تركوها وراء ظهورهم وقذفوا حبها من صدورهم هم الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأنفقوا مما رزقهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، فكن ولدى حيث ظني بك وامتثل أمرك وراع فقراءك حق الرعاية وألف بين إخوانك واصفيائك وخلانك وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، فاطرح ولدى حب الدنيا ومطامعها من قلبك واجتهد في طاعة ربك وخذ حذرك وقو عزمك وصبرك وكن مثل الأسد في ذلك الغار ولا يكن نظرك في راحتك اليوم فإنك اليوم لدينا مكين أمين . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الأمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

وهذا عهده إلى أبي الحسن على بن أحمد بن عثمان بن عمر النزوى رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا رب الحمد لله الذى أظهر كلمة الحق وأعلاها ودرس كلمة الباطل وأرداها وأنار أنوار الإسلام وأضاءها وأطفأ نيران الآثام وأذواها ، أحمده على ما تفضل علينا من جزيل النعم وعلم الإنسان مالم يعلم ، وأشكره شكر من اناب إليه وتوكل حق التوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم الفزع الأكبر والهول الفظيع الأبهر ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالبراهين المنيرة والدلائل المستنيرة صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء الأتقياء الأرضياء الأولياء ما طار طائر في الهواء وحدا حاد بسباسب البهماء .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه ناصر بن مرشد

ابن مالك بن أبي العرب إلى الشيخ الوالى أبي الحسن على بن أحمد بن عمر ابن عثمان رحمه الله فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأوصيك ونفسى وجميع المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته فأقول ياأبا الحسن انى قد وليتك على قرية لوى من الباطنة وما حولها وما يشتمل عليها من بلدان الباطنة وحتى وديار الحدان والجو وناجوان وتاحزان[١] ودما وما يشتمل على هذه القرى والبلدان وما فيهن وما بينهن من المزارع والأطوى وجميع الأماكن أن تأمر فى هذه القرى والبلدان : باديهم وحاضرهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم بالعدل والمعروف وتنهاهم عن المنكر المخوف ، وأن تعمل فيهم بكتاب الله المستبين وتحى فيهم سُنة النبى الأمين وآثار الأئمة المهتدين وسيرة القادة المخاصين الذين جعلهم الله منار الهدى وقادة الناس إلى التقوى وأورثهم الكتاب والسُّنة يدعون إلى طريق الجنة ، وأن توالى فى الله وتعادى فيه ولا تأخذك فى ذلك رأفة ولا رحمة ولا تخف فى الله لومة لائم ولا عذل بجرم آثم ، وأن تخالط الشدة باللين ، وأن تخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وأن تعرف لكل إمرىء حقه وتوفيه إياه كاملا ، وتؤتى ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون . فالله الله يا أبا الحسن فى اقتراف الحسنات وإنكار المنكرات بغير تجاوز منك إلى غير واجب أوجبه الله فى الجد والتشمير وترك التهاون والتقصير وأن تجتهد كل الجهد فى إصلاح أهل ولايتك واصلاح أفلاجهم وعمارة مساجدهم والصفح عن مسيئهم والتجاوز عن سيئاتهم ما وسعك من ذلك ، وأن تقبض زكواتهم من أغنيائهم بحقها وتجعلها فى أهلها من فقرائهم وضعفائهم بعدلها طيبة نفس

---

(١) كذا فى الأصل وهو غير ظاهر .

معطيها إلا من وجب جبره ولا يخفى عليك إن شاء الله ، فالله الله يا أبا الحسن فى التفحص عن فقيرهم وضعيفهم من جميع أماكن ولايتك لتساويهم من مال الله ما وسعك من ذلك ولا تدعهم يتعسفون إليك من السغب والعرى واجعل لهم أعواناً من إخوانك ليتفحصوا عنهم فإن كثيراً من الفقراء يقصر عن المجىء إليك من حياء أو ضعف فيقف عنك وهو فى ضرر عظيم من شدة فقره وفاقته ، وقد جعلت لك يا أبا الحسن أن تعامل على صوافى ولايتك بمزارعة أو قعادة وقبض غوالها ووضعها فى موضعها ما وسعك من ذلك وقد جعلت لك أن تنفق على الشراة ومن وضع نفسه معك من أهل القرى من مال المسلمين على قدر ماتراه عدلا . وقد جعلت لك حبس من يجب حبسه من أهل الأحداث والحقوق على ماتراه عدلا مما حفظته من آثار المسلمين من غير حيف ولا ميل لأحد . وقد جعلت لك إطعام الضيف النازل على قدر ما تراه عدلا من آثار المسلمين ولا تأتمن على ما ائتمنتك عليه من أماناتى التى التى أنا أمين لله فيها إلا من هو حقيق بذلك فى دين المسلمين وقد جعلت لك حماية البلاد والذب عنها عن الحريم والعباد وألزمت جميع أهل القرى طاعتك وحجرت عليهم معصيتك ما أطعت الله ورسوله فيهم وقمت بما شرطته عليك فى عهدى هذا إليك فإن خالفت إلى غير ما أمرتك به فأنا ومال المسلمين بريئان منك وأنت المأخوذ به فى نفسك ومالك . واعلم أنه لا أثرة عندى لظالم ولا حيف عندى لمسلم بل إرادتى إعزاز دين الله عز وجل وإحياء سنن النبى المرسل وإظهار دعوة المسلمين والاخذ على أيدى الظالمين وإخماد كلمة المعتدين وكسر شوكتهم وإطفاء بدعتهم وتفريق جماعتهم التى يجتمعون فيها على الحرام والخوض فى الآثام وانتهاك عظيمات الامور ما استطعت إلى ذلك . فالله الله يا أبا الحسن

اتق الله حق تقاته وخفه حق الخوف ما استطعت إلى ذلك » واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما . وكان الكتاب عشية الأحد لخمس ليال بقين من شهر ذى الحجة من سنة خمسين وألف من الهجرة النبوية . كتبه الإمام ناصر ابن مرشد بيده .

وهذا عهده رضى الله عنه إلى الوالى صالح بن سعيد المعمرى السعالى رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى أوضح شهاب الحق بالبراهين المنيرة والدلائل المستنيرة ودمر دعوة المظالم بالآيات الواضحة والحجج الباهرة اللائحة وأعز دولة نبيه بالأنوار الساطعة والأسنة القاطعة ، أحمده على ما أضاء نور ديننا بأفق كتابه وبين لنا غرائب مشتبهاته من معانى كلامه وخطابه وأشكره شكر من أناب وخضع وسجد وركع ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ثابتة بالجنان مكررة باللسان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى كافة الثقلين وطهره من الدرن والشين « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » صلى الله عليه وعلى آله الأبرار الأتقياء الأخيار ماغرد عندليب على غصون الأشجار وأناب منيب بغياهب الأسحار .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين ناصر ابن مرشد بن مالك إلى الشيخ الوالى أبى سعيد صالح بن سعيد المعمرى رحمه الله : فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأوصيك ونفسى وجميع المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته . فأقول لك يا أبا سعيد إنى قد وليتك على بلدة صور وأبرا وما اشتمل عليهما من الأماكن والقرى على أن تظهر دين الله عز وجل فى هذه البلدان والقرى وتحيي سُنة نبيه محمد صلى

الله عليه وسلم حتى تأخذ من الظالم للمظلوم حقه وتوفى من مال الله لكل فقير نصيبه ورزقه وتأمر من بهذه القرى والبلدان حضرهم وبدوهم بالمعروف والإحسان وتنهاهم عن الفجور والبهتان وتعلمهم أن من ظلم أحداً مثقال ذرة أو أقل منها أو أكثر فاقتد فى عقابه بآثار الأئمة الفضلاء الذين جعلهم الله ورثة الأنبياء يقودون الناس إلى الخيرات وأفضل منازل الدرجات «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وأن توالى فى الله وتعادى فى الله ولا تأخذك بهما رأفة فى دين الله ولا تخف لومة لائم «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وعلى أن تجتهد فى إصلاح أهل ولايتك وإصلاح دينهم وعمارة مساجدهم والرأفة بهم والتجاوز عن مسيئهم وحسن السياسة لأمورهم والصبر فى نفسك على أذاهم ما وسعك من ذلك. وإياك أبا سعيد والعجلة فى أمورك وكن حذراً وقوراً صابراً شاكراً على العطاء ساتراً عيوب من أخطأ غافرا زلة من عثر رءوفاً بمن أناب واستغفر قابلا لمن رجع إليك واعتذر مدمدماً على من أصر واستكبر آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر هيناً ليناً لمن آخيته من جميع الشراة لا بفظ ولا غليظ واصبر وما صبرك إلا بالله وتوكل على الله حق التوكل واجتهد فى ذلك ولا تكن من الغافلين وأوصيك يا أبا سعيد أن تختص من خيار إخوانك أن يسيروا فى البلاد ويردوا الظلم عن العباد ويصرفوا عنهم المناكر والفساد ويسوسوهم إلى الصلاح والرشاد ويقبضوا الزكاة من أغنيائهم ويعطوها فقراءهم فيواسونهم من مال الله بما يسد جوعهم ويستر عورتهم ولا تدعهم يتكففون إليك حزنين باكين وابعث إلى كل بلدة وقرية ثقة أمينا ورعا يتجسس عن المكثر والمقل ليأخذ من المكثر زكاة الله ويواسى منها المقل لأن كثيراً من الأغنياء لم ينصف من نفسه فى أداء الزكاة وكثيراً

من الفقراء لم تحمله نفسه ليجيء إليك . فاجتهد يا أبا سعيد فى الأخذ من هذا العطاء لهذا فإن لهم علينا حقا واجبا أوجبه الله عز وجل فى كتابه لقوله « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » فاذا أردت المسير إلى بلدة صور من قرية أبرا فاترك فى قرية أبرا من يحفظ أمانتك ويخاف الله حق الخوف من ذات نفسه وأنت لا تجاوز بلدة ولا غبرة ولا مزرعا ولا عجوزاً فى عنة ولا بدويا بغار إلا وأخذت من الظالم للمظلوم وواسيتهم من مال الله ما وسعك من ذلك فإن مات أحد جوعا أو مظلوما فهو فى رقبتك دون رقبتى وأنت المأخوذ به دونى فانى أعزنى الله بالإسلام ونيتى أننى لو قدرت أن أملأ الأرض عدلا وصلاحا وإرادتى أن أدمر كل ظالم وأشتت كل جماعة اجتمعوا على المناكر والفجور والخوض فى أخش الأمور فإنه لا أثرة عندى لظالم ولا حيف لمسلم وقد جعلت لك أن تتصرف فى جميع امور المسلمين ما يجوز لى أن اتصرف فيه فإن خالفت إلى غير ذلك فأنا ومال المسلمين بريئان منك وانت الرهين به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته والحمد لله حق حمده والصلاة على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وهذا عهده رحمه الله إلى الوالى الموالى سليمان بن راشد الكندى السمدى النزوى رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى أيد هذا الدين بالحجج الإسلامية والدلائل الفرقانية والبراهين المحمدية والملل الحنيفية والسيرة الصديقية والحكمة العمرية والمذاهب الرضوانية . أحمده حمد من اخلص لله فى السر والعلانية واعوذ به من الفتن الكفرية والمحن الأذية . واشهد

ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة المعتقد المخلص المطهر قلبه من كل دنس . واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بأفصح الكلم وابلغ الحكم فرحم الله به الأمم وكشف به جميع النقم واسبغ عليهم بطاعته جزيل النعم فدعا إلى الله وبشر وانذرهم رواجف الراجفة وحذر صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء واصحابه النجباء ماهمهم رعد بالسحائب ووخدت عيس بالسباسب .

أما بعد : فهذا مايقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين ناصر ابن مرشد بن مالك بن ابى العرب إلى الشيخ الوالى ابى عبد الله سليمان ابن راشد بن عبد الله الكندى السمدى رحمه الله فإنى احمد إليك الله الذى لا إله إلا هو واوصيك ونفسى وجميع المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته فاسمع له واطع واقتد فى ذلك واتبع فأقول لك : يا ابا عبدالله إنى قد وليتك على بلد الصير وما حولها وما يشتمل عليها من البلدان والمنازل والأوطان ومافيهن من المزارع والأطوى وجميع الأماكن من تلك البلدان على ان تأمر فى هذه القرى والبلدان باديهم وحاضرهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم بالمعروف والهدى وتنهاهم عن المناكر والأهواء وتحيي فيهم دين الله العزيز الحكيم وسنة النبى القويم وطريقة الفضلاء الراشدين والأئمة القانتين الذين جعلهم الله حجة للأنام ومصباحا للظلام يقودون الناس إلى طاعة الإسلام ويدعون إلى دين الله ذى الجلال والاكرام وإن توالى فى الله وتعادى فى الله ولا تأخذك فى الله عذلة عاذل ولومة لئيم مائل وان تخلط اللين بالصلابة وتخفض جناحك لمن اتبعك من الاخوان والأصحاب والقرابة ومن كل الخليقة وتستقيم فى جميع امورك على الحقيقة وان تعرف قدر كل امرىء وتؤتيه حقه وترفيه نصيبه ورزقه كما قال عز وجل « وآت ذا القربى حقه والمسكين

وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون »
فالله الله ياأبا عبد الله في دفع السيئات بالحسنات و إنكار المناكر فى جميع
البلدان والفلوات لغير تجاوز منك إلى غير واجب أوجبه الله فى التشمير
وجد فى جميع أمورك بالتدبير الرضوانى وترك التهاون والتقصير عن
صرف الأمر البهتانى . بيد أنك قائم فى تلك المنازل والبلدان مقامى وسالك
طريقتى واعلامى فاجتهد قرة عينى فى إصلاح ولايتك والعدل بين رعيتك
وعمارة مساجدهم والصفح عن مسيئهم والألفة والتقرب لمحسنهم
والتجاوز عن سيئاتهم ماوسعك من ذلك وأن تقبض زكواتهم من غنيهم
وتجعلها فى فقيرهم وضعيفهم بعدلها طيبة نفس من أعطاكها إلا من
وجب جبره عليها ماوسعك من ذلك ولا تهمل أمورك وفقراءك فتجسس
عنهم من جميع بلدانك ومنازلك لتواسيهم من مال الله ماوسعك من
ذلك ولا تدعهم يتكففون إليك باكين حزنين سدمين من شدة
الضرورات من الجوع والسغب فإن جمة منهم لم تقدر أن تلقى إليك من
حياء أو ألم فلا تهمل ذلك ولا تكن من الغافلين « واصبر وما صبرك
إلا بالله » وتوكل عليه وما ربك بظلام للعبيد . فالله الله ياأبا عبد الله فى
السيرة الحسنة والطريقة المستحسنة ، وكن وقوراً حذراً صامتاً بمجالسك
متبعاً سُنة نبيك مستقيما فى دينك متورعاً رفيقاً بالمؤمنين مطيقاً على
المصرين وقد جعلت لك ياأبا عبد الله أن تكرم الضيف النازل من غير
تقصير ولا حيف فإذا أردت المسير من الصير إلى نزوى أو غيرها فاترك
على أمانتك من يخاف الله من ذات نفسه وأنت لا تمر على منزل إلا
أصلحته ، ولا مظلوم إلا أنصفته ، ولا فقير إلا واسيته ، ولا مكان

إلا وأمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر فإن ظهرت بدع أو فتن أو مات أحد مظلوماً أو جوعاً وأنت تعلم به ولم تستقم فيه وخالفت ماأمرتك به فأنا ومال المسلمين بريئان منك وهو فى رقبتك دون رقبتى وأنت الرهين به يوم المناقشة والأخذ بالظلامة فإنى امرؤ أعزنى الله بدينه وأرشدنى بطريقة نبيه وأمينه ولا أثرة عندى لظالم ولا شدة عندى لمسلم راحم وقد ألزمت من فى هذه البلدان والفيافى والقفار طاعتك وحجرت عليه معصيتك ما استقمت حق الاستقامة فى جميع أمورك فشمر لذلك عن ساق واجتهد فى تحفظ الحجج يوم التلاق واقفُ فى ذلك آثار الذين هاجروا وآووا ونصروا دين المهيمن الخلاق واجتهدوا فى كسر شوكة الكفر والنفاق وحسم كرة الذين اجتمعوا على الفواحش والشقاق وقوموا لله آناء الليل وأطراف النهار وابكوا فرقين من إصلاح دار البوار متقين الله فى العلانية والإسرار واذكروا الله كثيراً . وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليما واستعن بالله بكرة وأصيلا ولا تكن من الغافلين « إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون» والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، بلغ سلامنا جملة الإخوان .

ومن كلام له رضى الله عنه إلى بعض عماله . أما بعد : فقد وليتك على بلد كذا وكذا على أن تظهر دين الله عز وجل وتحيى سنة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقبض الزكوات من الأغنياء المثرين وتواسى بها الفقراء والمساكين فانظر إليهم نظر

الأب الشفيق فإن لهم علينا حقا ورجاؤنا بإكرامهم دفع البلايا والرزايا وأنت جنة لى يوم القيامة فإن خالفت إلى غير ذلك فالله الحكم بينى وبينك وأنت المأخوذ به دونى والسلام . قال فى فواكه العلوم ، وهو لصاحب مختصر المصنف : وأخبرنا من لاأتهمه بكذب أنه رأى من بعض ولاته مالا يجوز فبكى من ذلك فقال : اللهم دينى قد تمسكت به واعتصمت بحبلك الوثيق ، إلهى أعوذ بك من لهو وغفلة تميل بى إلى اتباع الأهواء والركون إلى العماية والردى . وعزل ذلك الوالى بالفور . والله أعلم .

ومن كلام له رضى الله عنه : واعلموا إخوانى أن لهذه الراحة والنعمة مناقشة ليوم الفزع الأكبر لقوله عز وجل «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» فأجيلوا إخوانى أفكاركم فى بحور الأحداث ووحشة نزول الأجداث واعلموا أنا وإياكم على شفا جرف هار فإن لم نستقم على العدل وإلا سقطنا بهوة فظيعة تحار بزلازلها عقول ذوى الألباب ، فالله الله إخوانى فى رعاياكم ومواساة فقرائكم فإنكم غداً مسئولون ومحاسبون ، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون .

ومن كلام له رضى الله عنه إلى بعض ولاته حين سار بدراهمه للتجارة : واعلم أنك بمقام حكم وعدل محظور بأرجائه الركون إلى الدنيا وتجارتها فاردع نفسك عن ذلك واكتب بصفحة فكرك معنى الآية التى قال الله عز وجل : «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور»

ومن كلام له رضى الله عنه معاتباً لنفسه : ويك يا نفس لست من

أهل هذه الدرجة والمرتبة فلما أن البسك الله هذا اللباس على الرغم منك مع علم الله بك أنك قادرة عليه فالبسى أثواب الشكر لله عز وجل وتوكلى عليه حق التوكل وكونى مع الله يكن معك .

ومن كلام له رضي الله عنه إلى بعض ولاته . أما بعد : فإنى أنكر عليك أن تداين الناس لما ورد فى الخبر المنقول عن السلف الصالح : أن الأمير التاجر ملعون وهو متقوّ بسلطان المسلمين ، فالله الله فى تدبير دولتك ورعاية رعيتك استقم على حكم كتاب الله عز وجل وسُنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآثار أئمة الهدى فإنك عن قليل منقول من القصور إلى القبور .

ومن كلام له رضى الله عنه معاتباً لإخوانه : إياكم اخوانى والإسراف ومطاولة الاشراف والتلذذ بنعيم العاجلة ، والاهمال لطريق الآجلة ، واحذروا التفاخر والاعجاب والمباهاة للاخوان والاصحاب ، والحذر الحذر من البطنة والبطر والتطاول لبعضكم بعضاً فإن كلا سيبلغ حظه ويوفى رزقه « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

وهذه خطبة الجمعة فى عصر الإمام المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك اليعربى أعزه الله ونصره على البغاة .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى هدم بالموت مشيد الاعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ، وجعلهم أعراضاً لسهام الأقدار ، وكل بهم أمراضاً تزعجهم عن القرار ، وتجرى منهم مجرى الدماء فى الابشار ، لا يعتصم منهم معتصم بالحذار ، ولا يختص بها الفقراء دون ذوى اليسار . بل هى آيات عدل عدل الله بها فى البادين والحضار . أحمده على نعمه المسبلة الغزار وأعوذ به من العتوّ والاستكبار وأستغفره للذنوب والأوزار ، من الكبائر

والاصرار وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من عذاب النار ، مبوئة من شهد بهادار القرار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار أرسله بأيمن شعار وأبين نخار ، وأنور منار ، وأطهر اعلان وإسرار ، وأظهر برهان وانذار ، من صميم العرب فى النضار ، وأكرمها فى الفخار ، مؤيداً بالمهاجرين والأنصار ، ومنصوراً بالملائكة الإبرار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار ، آناء الليل وأطراف النهار ، أيها الناس إن قوارع الايام خاطبة فهل أذن لعظتها واعية ، وان فجائع الاحكام صائبة فهل نفس لعجائبها مراعية ، وأن مطامع الآمال كاذبة فهل همة إلى التنزه عنها داعية ، وأن طوالع الآجال واجبة فهل قدم إلى التزود من الدنيا ساعية ، ألا فاسرحوا رحمكم الله ثواقب الاسماع والابصار فى جميع الجهات والأقطار ، هل ترون فى جموعكم إلا الشتات ، أو تسمعون فى ربوعكم إلا فلان قدمات ، أين الآباء الاكابر ، أين الأبناء الاصاغر ، أين المعين المظاهر ، أين النصير المظافر ، قد عثرت بهم والله الجدود العواثر ، وبترت أعمارهم الحادثات البواتر ، وأبادتهم الدهور الغوابر ، فذوت من شبابهم الاغصان النواضر ، وخلت من شيوخهم المشاهد والمحاضر ، وعدمت من أجسامهم تلك الجواهر ، وطفئت من وجوههم الأنوار الزواهر ، وابتلعتهم الحفر والمقابر ، إلى يوم تبلى السرائر ، فلو كشفت عنهم أغطية الاجداث بعد يومين أو ثلاثة ، لرأيتم الاحداق على العيون سائلة ، والألوان من ضيق اللحود حائلة ، والأبدان الغضة من البلاء قاحلة ، والرءوس الموسدة على الايمان زائلة ، وهوام الأرض فى نواعم الاجسام جائلة ، ينكرها من كان لها عارفاً ، وينفر عنها من لم يزل لها آلفاً . رقوداً فى مضاجع هم بها داخرون . همودا فى مصارع يفضى

اليها الأولون والآخرون ، وأنتم عباد الله الخلف للسلف ، والهدف للتلف ، والفروع التى قطع الموت أصولها والجموع التى انتزع الدهر تحويلها ، وقد تسممون داعية العويل فى كل منزل وسبيل ، حقا ليس بالكذب ، جدا ليس باللعب ، حتى كان منادى الحشر قد أمر فيكم بالنداء ومنع أن يقبل منكم عوضاً أو فداء ، فسمعاً يابنى الأموات لداعى آبائكم الأموات سمعاً وقمعاً بذكر هاذم اللذات قمعا وقطعا لرجاء بقائكم فى دار الفناء قطعاً أسوة بمن كان قبلكم ممن هو أشـــد قوة وأكثر جمعاً . جعلنا الله وإياكم ممن أمات بذكر الموت أمله ، وأحيا بإحياء الباقيات الصالحات عمله ، وأنفق ساعاته فى العمل الذى خلق له ، أن أغض ما بقى على الأبد وأحض المواعظ على اتباع الرشد كلام رافع السماء بلا عمد « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر من قوم لايؤمنون » ثم إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثلث بالمؤمنين من أهل طاعته تعميما فقال آمراً ومخبراً لكم تكريما « إن الله وملائكته يصلون على النبىّ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ما ذر شارق وأومض بارق وفاه ناطق ، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد بعدد أنفاس الخلائق ، وبعدد ما فى السموات السبع الطرائق ، وبعدد ما خلقت وما أنت له خالق ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فى الليل إذا يغشى وفى النهار إذا تجلى وفى الآخرة والأولى ، وارض اللهم عن صاحب نبيك فى الغار ورفيقه فى الأسفار معدن الجود والفخار ، وسيد المهاجرين والأنصار ، ومقدم العلماء الأحبار ، الذى قاتل أهل الردة حين راموا الرجوع إلى الشرك ، وجاهد أهل البغى

والإفك وجاهد فى الله حق جهاده ، ودوخ بالسيف أهل عناده ، الخليفة بالتحقيق ، المكنى بعتيق ، أول ساع إلى شرف التصديق ، أبى بكر الصديق ، مظهر الحق بعد الكتمان ، عبد الله بن عثمان ، وارض اللهم عن الإمام الأكبر والعلم الأنور ربانى الأمة وكاشف الغمة الذى نشر العدل فى الآفاق ، وأباد أهل الكفر والنفاق ، وافتتح القرى والأمصار ، ودون الدواوين فى المهاجرين والأنصار ، خير الأصحاب ومقدمهم فى الخطاب ، أبى حفص عمر بن الخطاب ، اللهم وارض عن جميع المؤمنين من الأولين والآخرين ، وعن تابعيهم وتابعى تابعيهم إلى يوم الدين و « اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » اللهم وارض عمن أظهرت به الدين ، وأحييت به سنة المسلمين المهتدين ، وجعلته من الخلفاء الراشدين ، ومزقت به عصب المفسدين وأنقذت به الرعية ، وحققت به الرجية ، عبدك القائم بأمرك ونهيك ، المتمسك بسيرة نبيك ، الإمام الأبىّ الهمام اليعربى ناصر بن مرشد ابن مالك بن أبى العرب اليعربى ، اللهم أصلح به خليقتك ، وأنعش بعدله بريتك ، وأخمد بطلعته نار الفتن ، واصرف باستقامته من قلوب الرعية جميع الاحن ، واجعل أنصاره ومن والاه فى الأمن راتعا ، وجميع من عاداه بالذل والصغار خاشعا ، ولجميع الفضل والخيرات جامعا ، إنك سميع الدعاء ، فعال لما تشاء ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » تمت الخطبة المباركة .

وهذا سؤال وجواب : السؤال من والى الإمام والجواب من قاضيه

كتب والى الإمام على قرية الصير وهو خلف بن أحمد الأحمتى إلى الفقيه القاضى خميس بن سعيد بن على الرستاقى رحمه الله تعالى وذكر له أن ناساً من متفقهى الشيعة أتوا إليه يسألونه على معنى الاستعجاز له عن الجواب والطعن فى مذهب المسلمين فقالوا له : كيف أنتم تورثون الأخ والأخت مع الابنة وابنة الابن يعنون الأخوة للأب والأم أو للأب والله تعالى يقول « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد » فكيف تورثون الأخوة والأخوات مع وجود بنات الصلب ولم تجعلوا للزوج النصف مع الابنة ولا الزوجات الربع مع وجود البنات أو بنات الابن والله تعالى يقول « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد » إلى قوله « ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد» وقد (ثبت) أن الابنة تحجب الزوج عن النصف والزوجة أو الزوجات عن الربع إلى الربع والثمن فالجواب معنا لهم فى ذلك أن علينا أن نتبع من كان قبلنا من المسلمين وفقهاء الدين المتمسكين بكتاب رب العالمين وسُنة نبينا محمد خاتم النبيين وإجماع المؤمنين المحققين ولا لنا أن نبتدع ولكننا نسلم الأمر لهم وهم العلماء بكتاب الله وفهمه واستنباط معانيه وحكمه ، والذى عندى أن من الحجة له من كتاب الله تعالى قوله « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد » فيخرج فى المعنى أنه يرثها أى يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد . وقد ذكر الله فى آية ميراث الأولاد « وإن كانت واحدة فلها النصف » وكانت الآية التى فى آخر السورة مفسرة لبعض الآيات

المتقدمة فى أول السورة وليس فيها معنى يدل على إسقاط ميراث الأخ أو الأخت عند وجود البنات ويمكن أن يكون أراد بالولد ها هنا الولد الذكر لأن الخطاب فى الآية للأخت خاصة وقد يعترض الخاص على العام ولا يعترض العام على الخاص وقد قال الله تعالى فى حكاية مريم عليها السلام « قالت رب أنَّىٰ يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » وهى تريد بالولد الابن لأن الله قد بشرها بابن ذكر بقوله تعالى « إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة » فلما علمت ذلك قالت «أنَّىٰ يكون لى ولد » ولا تنازع فى هذا لأن الخطاب خاص لمريم وكما قال الله تعالى حاكيًا عن امرأة فرعون حين التقط آل فرعون موسى « عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» وهو موسى عليه السلام وفى قصة يوسف « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً» ففى هذا كله أراد بالولد الذكر دون الانثى وأما إذا ورد الخطاب عاما اشترك فيه التذكير والتأنيث والواحد والتثنية والجمع كما قال الله تعالى « يوصيكم الله فى أولادكم » فهذا هو اللفظ العام الجامع لما ذكرنا فإن احتج محتج بقوله تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنَّ ولد » وقال إن فى إجماع المسلمين على أن الابن والابنة وابن الابن أو ابنة الابن وان سفلوا يحجبون الزوج عن النصف والزوجة والزوجات عن الربع قلنا هذا صحيح موافق لأن الخطاب ورد للجمع لا للواحد بقوله لكم ولهن وفى الأخت على الواحد لها خاصة كما خص الخطاب لمريم وامرأة فرعون وامرأة الذى اشترى يوسف ، فثبت فى الخطاب العام جواز دخول الواحد والجمع والتثنية والتذكير والتأنيث وقام الواحد مقام الجمع والذكر والأنثى سواء

فى الأحكام وفي نبأ نوح عليه السلام « واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا » فجاء بذكر الولد ومعناه الجمع لأن الخطاب على ما يعقله المخاطب به والولد خطاب للواحد والجمع والذكر والأنثى وفى كل موضع يحمل على معناه فيه وعلى ما يستدل به عليه ، ألا ترى فى قوله تعالى فى الاخوة « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » فاستدلوا بهذا على معنى الاخوة للام دون غيرهم من الاخوة ثم قال فى الآية الاخيرة « قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين » فاستدلوا بهذه الآية على معنى الاخوة للأبوين أو للأب والخطاب كله فى ذكر الاخوة فليس بمنكر أن يكون أراد بالآية التى ذكر فيها الزوج والزوجة بذكر الولد من ذكر أو أنثى وأراد بذكر الولد فى الآية التى ذكر فيها الولد فى آخر السورة الولد الذكر دون الأنثى كما أجمل ذكر الاخوة أجمل ذكر الولد وفسره النبى صلى الله عليه وسلم وفقهاء الأمة من بعده وبينوا للناس ولم تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلال . وحجة أخرى أن الابنة لاترث معها الأخت أو الأخ باشتراك فريضة وإنما يرثان بالتعصيب بعد استكمال البنت فرضها الذى فرضه الله لها فإن اجتمع أخ أو أخت أو أكثر فللذكر مثل حظ الانثيين وان انفرد أخ أو أخت قام كل واحد مقامهما . وأما الذى تناهى الينا من الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قضى فى بنت وبنت ابن وأخت فأعطى للابنة (النصف) ولابنة الابن

السدس وما بقى للأخت . وروى ابراهيم عن معاذبن جبل رحمه الله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قضى) فى امرأة تركت ابنتها وأختها فأعطى الابنة النصف والنصف الباقى للأخت فهذا ماحضرنا من الكتاب والسنّة والاجماع من فقهاء الأمة ولا نعلم أحداً شذ عليهم بقول غير هذا إلا ما بلغنا عن الزبير أنه كان لا يعطى الأخت مع الابنة شيئاً ثم رجع عن قوله فيما بلغنا والله أعلم . كتبت هذا رداً على من تعنت المسلمين وكشفاً لما ألقوه من الشبهة على المؤمنين وتأييداً وتصحيحاً لما عمل به فقهاء الدين والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله تعالى من جميع ما خالفت فيه الحق من قول وعمل ونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم وصلى الله على رسوله محمد النبىّ وآله وسلم .

تنبيه — شهر بين الخاص والعام أنه يشاهد نور ساطع صاعد لنحو السماء على المقبرة التى فيها قبر الإمام ناصر بن مرشد وغيره من الأئمة وذلك أمر مشاهد . أما أهل نزوى فلا يستغربونه لأنهم قد ألفوا رؤيته وإنما يستغربه الوافد إليهم لشدة مايرى من الأنوار فإن النور فى غير هذه المقبرة وإن كان يرى كثيراً لا تبلغ شدته هذا المبلغ وعلى كثير من قبور الصالحين منا أنوار تشاهد عيانا ولله الحمد لا تكاد تقف على مقبرة من مقابر أصحابنا إلا وترى على بعضها نوراً إلا ماشاء الله . ونقل من خط الفقيه محمد بن على بن عبد الباقى روى لى من روى من الثقات أنه سأل عن النور فقال له رجل ثقة من المسلمين : النور على قبر خارج من البلد التى هى نخل والراوى منها فيحدث بذلك ورأى فى المنام ليلا أن رجلين جاءاه فقالا له يا فلان نسألك الستر ولا تظهر علينا فيكثر علينا الدائس مثل قبر الشاغه وقبر أبى عمر

فقال لهما الرائى من أنتما فقالا نحن أصحاب القبرين اللذين عند جبيلات الظمن الذى علينا النور ونحن أخوان قتلنا ظلماً والله أعلم ثم إن هذا الرائى قال حدثت بهذه الرؤيا الشيخ الولى ثانى بن خلف بن ثانى بن جحدر الرستاقى فقال له ثانى بن خلف انه حدثه العبد الصالح خميس بن مرشوداً نه رأى رجلا متكئاً بسقف قبر فى قصر وفى فمه نور متصل بالسماء له عمود طويل فقال له خميس من أنت فقال أنا صاحب هذا البيت يعنى القبر وأنا صاحبه والطريق غير هذا وسيظهر لك عن يومين سقف هو سقفى الأسفل أو الأعلى ، فسأله خميس عن النور الطالع منه ، فقال له هذا من ركعتين فى جوف الليل وأنا أشكرهما لك ياخميس ، وكان خميس بن مرشود قواماً لليل فظهر عن يومين سقف الأسفل كما قال وأحالوا عنه الطريق وظهور سقفه من مطر مجحف جاءهم . فهذا ما سمعته والله أعلم . قلت : وقد أوقفونى على هذا القبر وهو بالرستاق على جانب الطريق الآتى من مسجد الحرث إلى قصرى والأنوار كثيرة لكنها لم تكتب ولو ذهبنا نذكر جميع ماسمعنا من الموثوق بهم لطال الكتاب :

باب إمامة سلطان بن سيف بن مالك

ابن عم الإمام ناصر بن مرشد

بويع له فى اليوم الذى مات فيه الإمام ناصر وهو يوم الجمعة لعشر ليال خلون من ربيع الآخر سنة خمسين وألف سنة فقام بالعدل وشمر وجاهد فى ذات الله وما قصر ونصب الحرب لمن بقى من النصارى عسكد وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها بإذن الله وقام يجاهدهم أين مايجدهم فى بر وبحر فاستفتح كثيرًا من بلدانهم وخرب كثيرًا من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم فقيل إنما بنى القلعة التى بنزوى من غنيمة الديو من أرض الهند وقد لبث فى بنائها اثنتى عشرة سنة وأحدث فلج البركة الذى بين أزكى ونزوى وهو إلى أزكى أقرب وليتهم أرخوا وقائعه بالنصارى وفتوحاته أرض الهند لكن الطبع غلب عليهم فقد جرت العادة عندهم بإهمال التاريخ اشتغالا بالأهم وكثرت الفقهاء واعتمرت عمان فى دولته واستراحت الرعية وزهرت البلاد بحسن السيرة ورخصت الأسعار وصلحت الأثمار وكان متواضعاً لرعيته ولم يكن محتجباً عنهم وكان يخرج فى الطرق بغير عسكر ويجلس مع الناس ويحدثهم ويسلم على الكبير والصغير والحر والعبد ولم يزل قائما مشمراً رحمه الله وغفرله .

ووصفه صاحب فواكه العلوم فقال : أضحى رحمه الله قوى الجنان باسط البنان بنياناً مرصوصاً فى الهيجاء سحابة فى العطاء مرتديا برداء العفاف والورع ولا يهوله من عدوه فزع ولا تأخذه فى دينه محاباة ولا طمع

عامراً للديار وحافراً للأنهار وغارساً للأشجار ليعيشوا فيها ضعفاء المسلمين الأتقياء الأبرار ابتغاء مرضاة الملك الجبار متأسياً بالرواية السالفة عن السلف الصالح اعمل ماشئت كأنك تموت غداً واعمر ماشئت كأنك لم تمت أبداً وهذا من قوته وحذاقته حوى على كلتا الحالتين سخياً سمحاً بنوال المسألتين سيداً وسنداً ووليا من الصالحين قال وكثير من فضائله وطروسه لم أحص عدّها والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

وتوفى ضحوة الجمعة فى يوم سادس عشر ذى القعدة سنة تسع وخمسين وألف كذا قيل وعندى أن هذا غلط من قائله أومن كاتبه لأنهم قالوا إنه لبث فى بناء قلعة نزوى اثنتى عشرة سنة وذكر لى بعض الأصحاب أن تاريخاً يوجد منقوشاً بالباب الذى كان بحصن سناو فأمرته أن ينقله لى فأرسل لى هذه الأبيات :

لقد صنع الباب الحكيم محمد فتى حمد نسل الندى والمكارم
وقد كان بالاثنين رقمى لصنعه من الحج ياذا فاستمع قول ناظم
وألف وست مع ثمانين حجة توافى تماماً فى المدى المتقادم
وقيمه الوالى على بن راشد وقاه إله العرش شر المظالم
بدولة سلطان بن سيف بن مالك إمام الهدى الزاكى سليل الأكارم

فعلى هذا تكون إمامة سلطان بن سيف زمانا طويلا تقارب أربعين عاماً أو دونها بقليل والله أعلم . ثم وجدت فى أول كتاب التبيان أن مؤلف التبيان وهو الشيخ درويش بن جمعة كان والياً للامام سلطان ابن سيف بن مالك اليعربى قال وتوفى قبل الإمام .

قال وكان وفاة الإمام بعده ليلة ست عشرة من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وألف سنة والمسلمون عنه راضون وعلى هـذا وهو الصحيح فيما عندى تكون مدة إمامته إحدى وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة أيام ونصب بعده إماماً ولده بلعرب وكان قبل موته رضى الله عنه بأيام يسيرة طلع نجم أول شهر القعدة سنة واحد وتسعين وألف سنة له ذؤابة بقدر الرمح من المشرق إلى أن انتهى إلى أقل من نصف السماء فى رأى العين وذؤابته مما يلى المغرب ثم غاب وطلع أيضاً بعد موته خط أبيض له نور وعرضه أكثر من ذراع إلى قدر ربع السماء فى رأى العين من أول شهر الحج سنة إحدى وتسعين وألف سنة من المغرب فلا يزال يظهر كل ليلة قليلا قليلا فظهر النجم فى آخر الخط من المغرب فلا يزال النجم والخط يرتفعان قليلا قليلا وينقص من عرض الخط إلى أن صار الخط بقدر الرمح إلى أن انتهى إلى نصف السماء أو أقل ثم غاب النجم والخط وكان قبل إظهاره فى عمان جدب شديد وقحط حتى يبست الأنهار وماتت النخيل والأشجار وكثر الغلاء إلى أن صار منّ التمر من الفرض بشاخة فى عمان ثم من بعد ظهرت هذه العلامة كثرت الأمطار ورخصت الأسعار كثيراً والحمد لله رب العالمين . وعطب البر كثيراً . ودفن بنزوى عند قبر الإمام ناصر بن مرشد .

وهذا عهد منه إلى جميع عماله . كتبه إليهم ليعملوا بما فيه ، قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العزيز عز أن تعوم بحور صفاته جواري الفكر ، وأن تروم تنظر كواكب تكييفه بصائر أولى البصر ، أو أن يشاهده بخارق العيان والنظر ، العالم بدبيب النملة والذر فى الليالى

المدلهمات عمن أبصروا سقوط أوراق الشجر الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا فى ظلمات البحر والبر ، الجليل قدره عن مشاكلة صفات البشر ، أو أن يدرك الأشياء بالسماع والخبر ، أو أن تجرى عليه أحداث القضاء والقدر . أحمده على ما صبب برياض قلوبنا سلسال العبر وحسم عنا أوصاب الكدر ، وأشكره على ما خولنا من يانع نعمه وقدر ، وسقانا من عصير كرم كرمه وقدر وعز وتكبر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها جنة ليوم المحشر يوم لا ملجأ لنا من الله ولا وزر حتى شددت بها عضد الإحسان لمن آمن بالله واستغفر وجلبت بها ربارب البراهين لمن طمس حجج الله وستر ، وفصلت بها رفاق الرأفة لمن حمد الله وشكر ، وأودعت نار الأشجان الفرق بقلب من أعرض وكفر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله وأنذر وقاد الناس إلى الخيرات وبشر ، ونصب أنموذج الهداية لمن خاف الله من ذات نفسه وفكر ، وصدر مدافع الذب عن دين العزيز الأكبر حتى تسلسل سلسال سروره بسراير أسرته وتهلل سنا نبراسه بضمائر ذويه وعترته ، وهدم أركان شرائع شنآنه وعسرته ، ودمدم على من مد راحته لمحاربة محبيه وخيرته صلى الله عليه وسلم وعلى آله النقباء الكرام الأجلاء العظام ما سحبت سحائب ذيول الودق على رءوس الأكام وجرت أنهار تحت صوافح النخل ذات الأكمام .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين سلطان ابن سيف بن مالك إلى من نصب خيم همته فى ميادين الإمارة وربط عرى شغله لسبب العمارة من جميع الولاة والحكام والصدور الأعلام فإنى أحمد

إليكم الله الذى لا إله إلا هو وأوصيكم وإياى وجميع المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته فاتقوا الله وأطيعوه واسمعوا كلامى هذا وعوه فأقول لكم أيها الولاة والحكام انى قد وليتكم هذه القرى والبلدان والمنازل والأوطان على أن تأمروا من فى هذه القرى والبلدان حضرهم وبدوهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم وقويهم وضعيفهم بالمعروف والإحسان وتنهوا عن المناكر والبهتان وتحيوا فيهم كتاب الله العزيز المنان وسنة النبى الذى هو من آل عدنان وآثار القادة الخلان الأصفياء الأئمة القائدين الناس إلى طريق الجنان الذين جعلهم الله حجة للأنام ومصابيح الظلام الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون إلى الخيرات أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعلى أن تجتهدوا فى إصلاح ذات بينهم وعمارة مساجدهم (وأمن) طرقهم والصفح عن مسيئهم والتجاوز عن مخطئهم والإحسان لمحسنهم ما وسعكم من ذلك وعلى أن تقبضوا زكاة من أموال مثريهم من مواضعها طيبة بها أنفسهم إلا من وجب جبره عليها حكم الشرع فقد جعلت لكم ذلك وعلى أن تضعوا هذه الصدقات فى محلها من شد عضد الإسلام وتقويم قناة الدين والأحكام ومحق أهل الكفر والظلام ومواساة الفقراء ذوى الإعدام من كل فقير أو ضعيف كسير أو أعمى أو يتيم عاجز عن المكسبة غريق فى أودية المتربة أو قريب أو ابن سبيل أو عامل عليها ممن ترجون نفعه فى إقامة دين المسلمين ولا تبسطوا أيديكم كل البسط وأقيموا فى ذلك العدل والقسط ولا تجعلوا أيديكم مغلولة فى أعناقكم ولا تبذروا تبذيراً « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » لكن خير الأمور أوسطها ، يكون فى ذلك بالاقتصاد والانصاف

لابالإسراف والاتراف وما قلت ذلك حرصاً على الدراهم التالفة إلا ابتغاء إقامة دين الله عز وجل وإحياء سنن النبي المرسل لأن الله أمرنا بذلك فى كتابه العزيز الذى « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى آيات جمة لم أحص عدها وآثار السلف الصالح ولايخفى عليكم ذلك وقد عرفتكم اخوانى أحوال هذا الزمان قد أشربت قلوبهم من موارد الطمع والتطاول والتناول لجمة المال وأنى لهم التناول لا تجرى الينا منهم جوارى الخدمة والطاعة إلا أن نطلق لهم رياح النيل والطماعة بيد أنهم لم يعدموا من الوجل والخوف فى قلوبهم مما رأوا بأسنا سالفا وآنفا ضحى وبياتا لمن نبذ كتاب الله وراء ظهره وركب محارمه ومحجورات أمره ولا يكون ذلك إلا بالرجال والرجال لم يستقيموا إلا بالعطاء الجزيل من المال ، فلعمرى لو قصرت عن امرىء منهم مثقال حبة من خردل مما عودته نيلا وعطاء لأصبح هائماً متفكراً فى أمره متواريا بوجهه وذكره مقصراً فى خدمته ناقضاً لعهده وذمته لايذكر اليد السالفة منا ولا الرحمة الخالفة من لدنا حتى صارت مكاسب الحمد عنده مذمة والسرور منه غمة لايرى ذلك من الله ليس منا حتى يرضى بما قسم الله له ورزقه وقدر له نصيبه مذ خلقه لأن من يرى الكل من الله لايغضب على مخلوق ولا يفرح بما أوتى ولا يحزن على مافات مفوض أمره إليه لا يألو جهده فى خدمتنا ومعونتنا ما أطعنا الله ورسوله والقادة الصالحين بل يرى ذلك أفضل القرب وأرفع التنفل والكسب ، يشكر النقير والفتيل ويرضى بالكثير والقليل تأسياً بما مضى عليه السلف الصالح من فريضة الشارى سبعة

دراهم لكل شهر أو أقل من ذلك هم « الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » قال الله عز وجل : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون » وأدهى وأمر من هذا إذا صعقت علينا صواعق الجبابرة ونعقت فينا نواعق الملوك والأكاسرة ابتغاء سلب دين الله من أهليه وقتل حزبه وذويه و إحياء بدعة الشياطين وتملك دعوة السلاطين فإن لم ينزل كل امرىء منزلته من النبل والرفعة والقربة والمنعة وإلا صرنا غرضاً فى السن الشامتين نصباً لطوارق أحداث المماندين الباهتين وأصبح دين الله خفياً دارساً ووجهه قاطباً عابساً والله يكلؤنا و إياكم أيها المسلمون من ذلك و ينقذنا من مهاوى الذلة والمهالك فشدوا بى أيها المسلمون ظهوركم وقوى عزمكم وصبركم وخذوا حزمكم وحذركم وأعدوا له من آلة الحرب ماترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وارحموا صغاركم ووقروا كباركم وعظموا أشرافكم وعظماءكم لكثرة المودة منهم لكم لأن المداراة نصف العبادة وحسن التودد إلى الناس نصف العقل ، واعلموا أن العبد يبلغ بحسن أخلاقه مالا يبلغه الصائم القائم وأحسنوا إلى ضعفائكم وفقرائكم لينفعوكم بدعوتهم وتضرعهم إلى الله لكم واصبروا على ماأصابكم من حوادث الدهر ونابكم واشكروا الله على ما فضلكم وشرفكم ، واحتملوا على ما بلاكم الله بأمور عافى منها غيركم وأعينوا بجاهكم من لاجاه له للخبر الصحيح عنه عليه السلام « إن أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لاجاه له » وازهدوا فى الدنيا عن جميع المعاصى واخشوا يوم الأخذ بالنواصى لأن من زهد فيما

عند الله — قوله : فيما عند الله الخ نص الحديث « ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » فكأن الإمام رضى الله عنه أراد بقوله فيما عند الله الدنيا التى يعطيها الله عباده من غير يد أحد من الناس والله أعلم — أحبه الله ومن زهد فيما فى أيدى الناس أحبه الناس ولن تملكوا الأشراف والسادات إلا بالزهد والعدل وحسن السياسة للرعايا لأن الملك يبقى مع الكفر والعدل ولا يبقى مع الإسلام والجور ، واعملوا ماشئتم فكل ميسر لما خلق له لأنه فى الخبر الصحيح « اعمل ماشئت كأنك تموت غداً واعمل ماشئت كأنك لم تمت أبداً » وداوموا على ذلك مع حسن النية والصلاح لأن « أحب الأعمال إلى الله أدومها و إن قل » واحذروا التغافل والمغاضاة من إظهار الفعل المنكر المحجور من فاعله لأن الله عز وجل قد عير أقواما قد رضوا بفعل المناكر لقوله عز وجل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وفى الصحيح المنقول « الراضى بالمنكر كفاعله » وشمروا عن ساعدكم بالحزم والحذاقة فى جميع أموركم ولاتتركوا ذلك فتصبحوا على مافعلتم نادمين ، كما قال الشاعر :

لاتترك الحزم فى شىء تحـــاذره فإن سلمت فما بالحزم من باس
العجز ذل ومابالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

وأبلغ فى ذلك حجة وبيانا قول الله عز وجل محرضاً للحزم قوله : « و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم

يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » وكثير من الآيات لم أحص عدها ولا يخفى عليكم ذلك واستعينوا إخوانى على نجاح حوائجكم بالإخفاء لها والكتمان لأن كثيراً من الناس ماهمته إلا بث السرائر واستخراج مافى الضمائر و إياكم والعجلة فى جميع أموركم وشاوروا فيها أهل الفضل والورع والعلماء بالله واليوم الآخر ولا تتركوا مشورتهم فى جميع أموركم لئلا يقع بكم الخطأ لأن عقل المرء لايغنى عن المشورة ولو كان كذلك لما أمر الله نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بالمشورة وهو أرجح الناس عقلا بقوله « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » وفى المنقول « لاصواب لمن ترك المشورة ولا خطأ مع المشورة » وكذلك قال الشاعر :

عقل الفتى ليس يغنى عن مشاورة　　كعفة الخود لا تغنى عن الرجل

وكثير مثل هذا لايخفى عليكم ذلك واحذروا الطمع المذموم المفضى بصاحبه إلى الهلاك والنظر إلى الدنيا وزخارفها لأن أقدام العلماء تزل مع الركون إلى الدنيا والطمع فى نعيمها كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الصفاة الزلاء التى لا يثبت عليها أقدام العلماء الطمع » وقال عليه الصلاة والسلام : «أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع» . وكذلك قال الشاعر :

دع الطمع المرذول عنك فربما　　يقطع أعناق الرجال المطامع

فاتقوا الله إخوانى « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما » وكثير من الآيات والأمثال العربية لاتخفى عليكم وكونوا بمجالسكم سامتين مسرورين مستبشرين لأوليائكم عابسين آنفين عن أعدائكم متفقدين حق الرعاية لرعاياكم تلقونهم بصدر أوسع من الدهناء واحتمال يزرى بالغبراء ورحمة أمد من البيضاء وسخاء يميل على الوطفاء وتلطف كتلطف أبى غزوان وختل لعدوكم كختل أبى جعدة و إسراع إلى الخيرات كإسراع النجم و بكور إليها كبكور أبى زاجر وصبر كصبر النبى أيوب وكونوا فى أحكام الله أثبت من النقر على الصفا ومن الشوامخ بالبيداء . وأنجر فى التجارة الأخروية من عقرب، وأتبع فى النكد لمن عصى الله من تولب، وأنجز فى مواعدكم من أسد، وأشفق لأوليائكم من الوالد على الولد، ومن المرء على السعد وكونوا كالليث فى غاره مايرى عدواً إلا ظبته بأظفاره وجدوا واجتهدوا وأنفقوا وصِلوا وصلُّوا بلا تعب ولا سأم ولا سرف ولا ملل ولا جهل ولا توانٍ وكونوا أشد على الأعداء من الصخر، وأخف على الأولياء من اليسر بعد العسر، وصافوا المودة لمن يصافيكم مهذبين لوذعيين فكهين طيبين غشمشمين غير بطرين ولا مستكبرين وأحسنوا الظن بعضكم بعضاً ولا تقدموا على أمر بغير تدبر ولا تفكر و « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » ولا تنزلوا المنزلة التى يحتمل فيها الحق والباطل منزلة الباطل لأن من فعل ذلك فهو المبطل، فالله الله في إحسان الظن ولاتسيئوا الظن بإخوانكم لأن سوء الظن بالمسلمين من كبائر الذنوب ولاتهتكوا ستر إخوانكم ولاتذكروا

بسوء خصال خلانكم « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وفى الصحيح المنقول عن السلف الصالح إذا كان بينك وبين أخيك كنسج العنكبوت فلا تهتك ستره فإن من هتك ستر أخيه هتك الله ستره ومن احتجب عن حاجة أخيه المسلم حجب الله حاجته - أى منعها - ومن فرج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه سبعين كربة ، ومن أحبه الله جعل الله حوائج إخوانه على يديه ، ومن أحب أن يكون مؤمناً حقاً فليحسن الظن بإخوانه ويحب لهم ما يحب لنفسه ويبغض لهم ما يبغض لها من الهداية والإيمان والكفر والعصيان » وفى الصحيح « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » إن رأيته ظالماً بمعصية فانصره بالهداية والنصيحة وإن رأيته مظلوماً فانصره بالإعانة على نصرته وعزه ، فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم على الحق والصراط المستقيم فى الدنيا والآخرة وقد جعلت لكم حبس من يجوز حبسه وإطلاق من يجب إطلاقه وعفو من يجوز عفوه وضيف من يجب ضيفه وإصلاح ما يجب إصلاحه من أموال بيت مال المسلمين وصوافيهم وإصلاح صياصيهم وافلاجهم وطرقهم وقطع مضارهم على ماترونه عدلا فى كتاب الله وآثار الأئمة الصالحين وقد جعلت لكم حماية البلاد وأهلها والذب عن حريمها وصغارها وكبارها وتقريب صلاحها وحسم ألفة فسادها وأنذالها ولا تأمنوا فى أماناتكم التى أمنتكم فيها إلا من هو حقيق بذلك فى دين المسلمين وقد ألزمت جميع من فى هذه القرى والبلدان والمنازل والأوطان طاعتكم وحجرت عليهم معصيتكم ما أطعتم الله ورسوله فيهم وقمتم بما شرطته عليكم فى عهدى هذا فإن

خالفتم ذلك وأبيتم فإنا ومال المسلمين بريئان منكم وأنتم المأخوذون به في أنفسكم وأموالكم لأنني أعزني الله بالإسلام والدين وشد عضدي بسنة النبي الأمين ومذهب القادة المتقين لا أثرة عندي للظالمين ولا حيف عندي للأولياء الراشدين ونيتي أن أملأ الأرض قسطاً وعدلا وحكما وفصلا وكسر شوكة المعتدين والأخذ على أيديهم وهدم أركانهم وتخريب أوطانهم وإطفاء بدعهم وتفريق زمرهم وجمعهم الذي يجتمعون فيه على الباطل والمناكر والفجور والخوض في الفواحش والمحجور وانهاك عظيمات الأمور ما استطعت إلى ذلك سبيلا فاصبروا إخواني وماصبركم إلا بالله «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»..«اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» وما توفيقنا و إياكم إلا بالله وعليه فتوكلوا واليه أنيبوا وعلى نبيه محمد فصلوا عليه وسلموا تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن كتاب له إلى بعض عماله : بسم الله الرحمن الرحيم : من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك إلى الوالي فلان بن فلان الفلاني جنّبه الله الموبقات والمهالك

أما بعد : يافلان إني لك من المنذرين وعليك من الحذرين أن لا تأخذ شيئاً من مال المسلمين الذي هو قوام كل فقير ومسكين وبه تدفع قارعة الغاشمين والمعتدين بتدليس شراء هو أقل قيمة وأبخس ثمناً من قيمته المعروفة في البلاد وسنّته الجارية بين العباد فإنه وإن خفي علينا وعدم علمه بين يدينا فلن يخفى على من يعلم دبيب الذرة العجماء على الصفاة الملساء في الليلة الظلماء ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو المطلع

على كل مختف ومستور وإن كنت قد فارقت شيئاً من ذلك وجعلته بذلك السبب الخفى إلى مالك فاثن إلى ساحة قراره زمام عنسه واغتنم برد قمره قبل أن ينفعك حر شمسه فما الأمر إن علقت بهين وما قولى لو وعيت بمين . هذا وقد بلغنى أن لك شقشقة تهدر بهذيان كان لايليق بمثالك ولا يجمل لو دريت بحالك فلا تكن ممن سيماه سيما العلماء ونطقه نطق السفهاء واسمع إلى ماقال ربك المجيد «مايلفظ من قول إلالديه رقيب عتيد» وانظر وتوفك غداً فى موقف يخرس فيه الفصيح ويندم الطير الذى يصيح ، فاصغ لك الخير إلى قول الفصيح واجنح إلى اغتنام المتجر الربيح ، وإلا ندمت حين لاتنفعك الندامة وتهوَّرت حيث لاترجى لك السلامة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذا كتاب منه إلى ملك صنعاء اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربى العربى العمانى إلى عالى ذروة الجناب المعظم الهمام المكرم اسماعيل بن القاسم القرشى العربى .

أما بعد . فإنا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه ، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه ، إنه بيده مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير وإن سألت أيها المحب عنا ورمت كيفية الحال منا فإنا بحمد الله فى حال يسر به الودود ويساء به الحسود . ثم لتعلم أيها الملك أنه قد وصل إلينا فى مدة أيام قد تصرمت ، وشهور قد تخرمت ، رجل من جنا بكم بزعم أنكم أرسلتم بيده طروسا بها

درر من رائق لفظكم وخطابكم غير أنه يقول ان المركب الذى أقبل فيه عابه الا نكسار فغرق فى اليم فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف ثم بيد أنه قد أفاه إلينا من نتائج لسانه واتضح لنا من واضح نطقه و بيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا فى العام الماضى مراكب رقاب المشركين على بابكم وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ولعمرى إنا لندرى أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء وزائد محض المودة الصادقة والوفاء ، غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم فإنا نحن لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلا ، ولا نجد لك على إلزام فعل ذلك دليلا ، إذ كنا لم نجهز مراكبنا و نتخذ مخالبنا ليسارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، وأعددنا اللهاذم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان ، وأعداء الملك الديان ، تعرضاً منا لرضاء رب العالمين ، وإحياء لسنَّة نبيه الأمين، ورغبة فى إدراك أجر الصابرين المجاهدين ، وحاشا لمثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام وأعداء الله والإسلام ، ألست من سلالة على بن أبى طالب الساقى للمشركين وبى المشارب ، أنت تدرى بما جرى بيننا وإياهم من قبل فى سواحل عمان وفى سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيال وتناهب الأملاك والأموال وإنا لنأخذهم فى كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنبج وجيرون بندرى الشاه ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيراً و إن كنت في شك من ذلك فاسئل به خبيراً أولا نذكرك أيها الملك ، والذكرى تنفع المؤمنين، وأنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين ، إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار وهى عنا نازحة الفيافى والقفار

لم نر فى ملكها صلاحاً لشىء أوجبه منا النظر وحاكته الأذهان والفكر ، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة ولا كلمة علينا ظاهرة ولا يد غالبة ولا كف سالبة ، وحينما خرج عنها عاملنا خلَّف بها شيئاً من مدافع المسلمين لغفلة جرت عن حملها فى ذلك الحين ، ولما ملكتم أنتم زمام عيسها واجتليتم ضوء بدرها وشمسها لم تدفعوا لنا تلك المدافع كأن لم يكن وراءها ذائد ولا دافع ، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور والليث هصور والحر على غير الإهانة صبور ، ومن أنذر فقد أعذر وما غدر من حذر ، على أنا فى إصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون وفى استبقاء صحبتك راغبون ولإطفاء الفتن وإخماد المحن بيننا وإياك مؤثرون ، فإن كنت راغباً فى الذى فيه رغبنا وطالبا لما له طلبنا فادفع لنا إياها ولا تحتس بسرعة الاعتداء حمياها ، وإن أبيت إلا الميل إلى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها ففى الاستعانة بالله على من اعتدى سعة ، ومن كان مع الله كان الله معه وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذا جواب ملك صنعاء اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم ، من شمس سماء الخلافة العلية ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية إلى قاصية أرض الملك المالك سلطان بن سيف بن مالك اليعربى العربى العمانى أراه الله نهج الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية .

أما بعد : حمد الله والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وعلى وصيه الأنزع البطين ، الحاصد سيفه رءوس المارقين ، وقد وصل كتابك الذى شحنته بالابراق والارعاد ، وعدلت به من تحسين العتاب إلى تخشين

الخطاب ظنا منك أن هذيان وعيدك ، وطنين ذباب تهديدك ، يزعزع من بأسنا صخرة صماء ، أو يحرك من وقارنا جبلا أشما فكيف يكون ذلك .

وأسيافنا فى كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول

أين ذهب حجاؤك حتى طلبت منا المدافع بهذه الأراجيف والبقاقع

وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

أما علمت أن الليث إذا هيج على فريسة كان أشد إقداما وأعظم جرأة واعتزاما ، لاجرم أنها لما نأت بنا وبك الديار وحالت دوننا ودونك الأمصار ، فاسترسلت لفظك فجاوزت فى سوء المقدار حدك ، وانفردت بأرضك ، فطلبت الطعن والنزال وحدك

ياسالكا بين الصوارم والقنا إنى أشم عليك رائحة الدم

فاقطع عرى آمالك عن هذه المدافع فهى أول غنيمة إن شاء الله من قطرك الشاسع وقد دعوتنا على النزول على حكم الظباء[1] والأسل

فالبث قليلا يلحق الهيجا حمل

ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف وأنتم أتباع من سقى فما بدأ به أوائلنا فى سلفكم ختمنا به من بقى والسلام انتهى جوابه ، وبكل أسف إنا لم نقف على جواب الإمام لهذا الكلام وما أظنه إلا كما قال الشاعر :

وهل تغنى الرسائل فى عدو إذا مالم يكن ظبا رقاقا

(١) فى نسخة الضباء ، ولعل الصواب الظباة

وأعتنا بحمد الله تعالى ممن ذكرهم الله فى كتابه بقوله « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » إلى قوله تعالى — والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » فهم الأئمة الفعّالة وغيرهم الأئمة القوالة ، وكان هذا الرجل زيدى المذهب وكأنه يثبت الوصايا لعلى وما افتخاره بقتل أهل النهروان إلا كافتخار اليهود بقتل عيسى « وما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم » وكذلك من قتل فى سبيل الله «ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولـكن لاتشعرون » ودلائل الحال تقتضى أن بينهما وقوع وقائع ولـكن لم نطلع على ذكر شىء من ذلك . وتمكن هذا الإمام من اليمن والهند وغيرهما يقتضى أن الأمر صار على خلاف مازعمه ملك صنعاء وكذلك تمـكن الأئمة من بعده فإنهم قد ذكروا لهم من القوة والسلطان والتمـكن من البلدان النائية والأقطار القاصية ما سيأتى ذكر بعضه وذلك يقتضى أن الإمام ومن بعده قد تمكنوا من اليمن وغيرها ماخلا صنعاء فإنا لم نجد تاريخاً فى التمـكن منها بنفسها وأما آثارهم فظاهرة فى أطراف اليمن والله أعلم بما وقع بعد تلك المخاطبة والأمر لله وحده مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والحمد لله رب العالمين . وللشيخ خلف بن سنان الغافرى قصيدة ذكر فيها فتوحات هذا الإمام ، قال فيها :

وقد قدَّ الأعداء عضبك لما … قدمتهم لحربك الأقـــدام

كلما كلمت [1] كلا دينتا أو … آلمتها مـــن العدا آلام

---

(١) هكذا بالاصل ولم يفهم له معنى .

مرهمتهـــا بعزم البرء بتر | لك من ضوئها يضيء الظلام
عم حــياة ياأروعا من عقابيـ | ـل سطاه يوم الميادين عــام
قل لمن ظن أن ذا العرش لن يـ | ـصره وهو ناصر عــلام
مدّ حبـلا إلى السماء ثمت اقطع | وارنُ هل غاض مايغض المرام
أو ما عاينت أفاعـيله عيـ | ـناك أم عاث فيهما الإظلام
أفما فى ديار عبد غـدا مسـ | ـتعبداً مَن معبودُه الأصنام
و يسامى القــوى وقادهم كر | هاً كما قيـد للذباح السوام
فأتوه بهــم أفا كل رعب | مثلما ريع بالهزبر البهــام
وفـدوا مسقطاً بعـدة بلدا | ن عليها دمع القسوس سجام
ثم أورى لمسقط سقط عزم | أسقط الظالمين منه ضرام
وهى دار يكاد يذهل منها | هيبة حين تذكر الأحــلام
لم يكن دافعاً لمـــا أبرم البر | عليهـا مدافــــع وبرام
لا ولما ينهنه القـــدر الكا | ئن عنهـا الـكيتان والآطام
ولدى « كنج » كان منه لهم ما | كاد منـه تدكدك الآكام
فغدت من عمان كف بنى الأصـ | ـفر صفراً قد هزها الانهزام
ماد عن أرضها كـفيتا ومور | بعـد شهد له المرار طعام
وتجـلى عنهـا جــلال فلله | علينـا الإجـلال والإعظـام
أبهم العقــل عنهم فأتاهم | عنوة ما اصفرت به الابهـام
هممت فيهمُ رعود حتوف | مرن همام فى ملكه مهام
أى هذا الراوى المشيع بأن الـ | ـري قد بل من صداه الاوام

ليس يشفى من حرقة الديوان أحرقت منا بالاشراق خيام
هـذه من كلا الفلى وهـذى إرَم تلـكـم التى لا ترام
أمَّهـا حجـة الإله بجيش لم يبح جاش جنده الأحجام
قاده نجل راشـد بن على ذو له الرشـد والمعالى مرام
صارم سـله الإله فمـا كا ن له فى سوى الأعادى اندغام
ليث غاب وغيث محل به تشـ قى وتسقى العـداة والأيتام
فاستصيدت قرى بياس الصدى الصـ
يد عنـــه مهما بدا الاصـطدام
وسبام ألنى أسير كان قد مازج الدمع منهم العـلام
واقتنى منهم كنوزاً غدا يه ر منها قارون بل بهرام
وعمبا ســـة أذاقهم بأساً بئيسا سيئت به الأصنام
ولقـــد فى مفازة فاز منهم بعفـــاز زلت به الأزلام
وغزا كلـــوة بـكل كمى لم يثنى منـــه الغرار انثلام
ولدى زنجبار زجـــر فيهم رعد زجر لم ينج منه اعتصام
وءمبى نابهم منـــه ناب لم ينبه عن المضى انهتـــام
وكذا فى مخا قد امتخ منهم أعظما قبـل ضيمه لا تضـام
وانثنى منهم بعـدة أفـــلا ك تراءى كأنها أعـــلام
ولدى باب منـــدم كم دم طـ ل ومال أماله الصمصـــام
كل شار أفاد عـــدة آلا ف عداه من بعدها الاعدام
ثم أزجى جوارى الفلك ينحو لمسيّج ساجها العـــوّام

فاستباح الحريم منها ولم يحـ صن سوى حصنها عليه مقام
همم هامها منـوط إلى هام إلهـام حرن دونهـا الأوهام

انتهى ما أردنا نقله من القصيدة . ولهذه الغزوات أخبار لم تدون فى الدفاتر . وذكر ابن رزيق وهو شاعر متأخر أدركنا بعض من أدرك زمانه أن مسقط عمرها بعض عرب عمان وهم يمن الأنساب فغرسوا فيها نخيلا وأشجاراً تسقيها آبار قال وآثار هذه الآبار باقية إلى هذه الغاية وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وألف . قال : ثم اشتراها النصارى البرتكيسية منهم فسوّرتها من حد جبل المكلا إلى جبل السمالى وأحدثت فيها حصنين كبيرين شرقياً وغربياً فلما اصطلحتها العرب منهم سموا حصنها الشرقى الجلالى ، وسموا حصنها الغربى الميرانى . قلت : وإنما سموهما بذلك باسم رجلين من النصارى ذكرهما الشيخ خلف فى قوله :

مار عن أرضها كفيتا ومور بعد شهد له المـــرار طعام
وتجلى عنهـا جـــلال فللـ ـه علينا الإجلال والإعظام

قال وأحدثت النصارى فيها صيرتين على وجه البحر الذى يقابله الحصنان المذكوران وأحدثت فيها بروجاً على السور وأبنية على رءوس جبالها وخمس عقبات : الأولى من أول المطرح إلى أول ريام ، والثانية من آخر ريام إلى أول مسقط ، والثالثة من آخر كلبوه إلى أول مسقط ، والرابعة من آخر سداب إلى أول مسقط ، من جانب سهيل ، والخامسة من آخر جبال مسقط إلى أول الوادى الذى يفضى إلى دار سيت . قال : وأخبرنى غير واحد من المشايخ المسنة منهم الشيخ معروف بن سالم الصائغى

والشيخ خاطر بن حميد البداعي وغيرهما عما سمعوه من آبائهم المسنة فاختلفت رواياتهم لفظاً واتفقت معنى قالوا : لما مات الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله نصب المسلمون سلطان بن سيف الإمام في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد قالوا: وكان سلطان بن سيف أيام دولة الإمام ناصر ابن مرشد للامام ناصر بن مرشد سيفاً وكفاً يبيد به الأعداء ولما مات الإمام ناصر بن مرشد نكثت النصارى العهد وقطعت الجزية ومنعت المسلمين عن الوصول إلى مسقط وعتوا عتواً كبيراً ، قالوا ونصب الإمام سلطان لهم الحرب وسار إليهم بنفسه بجمع كثير فأقام بطوى الرولة من المطرح وبلغ معسكره إلى سيح الحرمل فجعل عسكره تارة يغزون مسقط وتارة يضربون من رءوس جبال النصارى القابضين حصن المطرح وجعلت النصارى على رأس كل جبل بمسقط أشد رجالهم أهل التفق فلم يقدر المسلمون على دخول مسقط من كثرة جنود المشركين ورميهم المسلمين بالمدافع والبنادق وقد مدوا سلسلة حديد في رأس الجبل المشرف على ميابين وعلى الوادي الذي يمر على برزنجي إلى الجبل الذي به الآن البرج المربع وهو الجبل المشرف على حلة الأوغان وجعلوا على هذه السلسلة سوراً من حديد وأكنوا فيها رجالا من قومهم ليصدوا المسلمين عن الوثبة على السور وقد ملأوا الخندق بماء البحر الصغير الذي هو شرقي الباب الصغير وجعلوا على السور عساكر جمة وكان للنصارى وكيلان من البانيان أحدهما يسمى سكبيلة والثاني يسمى نروتم فخطب أمير النصارى القابض في الكوت الشرقي بنتاً من بنات سكبيلة وكانت ذات جمال فائق وبذل له من المهر مالا كثيراً من الذهب والفضة وسائر الجواهر فكان

جوابه لستم فى القديم ولا فى الحديث أنتم تزوجون ببناتنا ولا نحن نتزوج منكم وهذا شيء لا يكون ، فلما أغاظ النصرانى عليه الـكلام وعلم أنه إن لم يطاوعه يأخذ ابنته منه كرهاً قال أمهلنى إلى كذا من المدة حتى أصوغ للابنة حلياً يصاغ لـكل عرس من بناتنا الأبكار خاصة فاذا تم الصوغ ووصلنى دفعت إليك الابنة ، فأمهله النصرانى ورفع منزلته فـكان لا يحدث شأناً إلا يشاوره فيه ولما رأى سكبيلة التمـكن من النصرانى قال له إن الماء الذى فى الحصنين قديم فيه دود وأخشى أن يطول الحصار علينا من المسلمين فالرأى تجديد الماء وكذا البارود فانه قد فسد والرأى تجديده بالدق ثانية فأجابه إلى ذلك فأخلى الماء وأنزل البارود وكتب للامام وأخبره عما جرى له من كبير النصارى ودله على الوثبة على السور وبين له وقت الوثبة وذلك يوم الأحد عند طلوع الشمس فى اليوم العاشر من شهر رجب سنة تسع وخمسين بعد الألف وكان ذلك اليوم عيد النصارى يشربون فيه الخمور ويضعون فيه السلاح ويشتغلون بطربهم وملاهيهم فوثب عليهم الإمام ومن معه من المسلمين فدخلوا السور ووثبوا على الحصنين فأخذوهما فى ساعة واحدة وقتلوا من فيهما من النصارى . قال ابن رزيق : أخبرنى غير واحد أن الإمام ضرب واحداً من النصارى حذاء الجزيرة وهو قد لاذ بعصفور مدفع حديد فقطع السيف عصفور المدفع وفخذى النصرانى فجعل النصرانى يقول لمن يمر به من المسلمين ما هى إلا ضربة واحدة قطعت العصفور والفخذين منى ولم يفتر عن ذلك حتى مات ، ولم يبق للامام محارب من النصارى إلا كبرتيه وهو شجاع من شجعانهم وكان قابضاً فى البرج المسمى باسمه إلى الآن « كبرتيه »

فجعل كبرتيه يحارب المسلمين كل يوم حتى قتلوه فى سوق البز هو ومن معه كافة وما بقى للامام محارب من النصارى غير القابضين فى حصن المطرح وأهل مركبين من مراكبهم ثم وثب عليهم المسلمون فى خشاب صغار فنصرهم الله عليهم فقتلوا من المشركين كثيراً وما نجا من النصارى إلا قليل ، ثم سلم القابضون منهم حصن المطرح للامام فعبرهم ومن بقى منهم إلى جوه ورفع الإمام الجزية عن سكبيلة ونروتم وعيالهما لمناصحتهما له وللمسلمين . قال ولم يزل الإمام يجالد النصارى براً وبحراً واستفتح من أماكنهم الديو وغيرها وملك كثيراً من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم ، قال وكان الإمام سلطان يقال له صاحب الكاف فقيل انه سمى بذلك لمعرفته بالكيميا لما كثر معه المال . وقيل انه سمى بذلك لأجل سمة ركابه فانها سمتها كاف .

وهذه نصيحة من الشيخ سعيد بن أحمد بن محمد الخراسينى لأحد الإمامين ناصر بن مرشد أو سلطان بن سيف لم يعرف الناقل لأيهما كانت ، قال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم :الحمد لله الذى أيد هذه الأمة برحمته ونصره ، ومنّ عليها بمن ارتضاه من أبناء دهره وعصره وملكه الشطر من ملكه وقهره وأطاع له من خلقه بما يقوى به على نهيه وأمره ، وجعل له خليفة بعد آخر يذب بها عنها كل شيطان امتلأ عتواً وكبراً ، وملأ نحره ظلماً ووزراً ، وتجبر فى الأرض علواً وفخراً وملكهم بالجبر إذلالا وقهراً ، رحمة منه ونعمة بعد أخرى ، فنيالها نعمة عظمت علوا وقدراً ، ومنّة منه عليها ثقلت تأدية وشكراً ابتلاء من الله ونظراً وخُبراً . وصلى الله على خير خلقه محمد وأئمة الهدى الموفية بالعهد نهياً وأمراً . المؤمنة بقضائه حلواً ومراً .

أما بعد : إمام المسلمين أنا وإياك ركاب سفينة تجرى بنا فى بحر لجى عميق تلعب بها الرياح فتضطرب بها مرة وتسكن أخرى ، فاعتصم بالله وتوكل عليه واسأله السلامة لك ومن معك فيها بدعاء وتضرع وخوف ووجل ونية صادقة خالصة من دنس المعائب ودرن الذنوب ، فانا وإياك ناجون فيها أو غرقى بمن فيها ، فانا فى أمر عظيم على خطر عظيم ، ولكنها قلوب غافلة وأفئدة موعاة غير واعية وانا وإياك عما قليل أموات لأنا أبناء أموات ، وما أخذنا هذا الأمر والسلطان إلا بوراثة ممن كان قبلنا فأرجى مايرجى به من دوام الملك وبقاء النعمة وتعاقب الرحمة وزوال النقمة فى الرأفة والعدل والرحمة وصلاح النية والعفو ما وسع ذلك ، ولن تملك سادات الرجال وأهل الشرف إلا بلين الجانب ولطف المقال وحسن الصحبة وجميل الفعال لقوله تعالى «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» . فالله الله أيها الإمام فى إخوانك الذين بذلوا فى نصحك مجهودهم وشرعوا لك فيه موردهم فى منطق لايعاب ونصيحة صدرت لك من أتقياء أنقياء ألباب ، مؤمنين غير متهومين فى فعل ولا مقال ، فهم لك عيون ناظرة وآذان سامعة وأفئدة ذكية طاهرة ، خلصت عندك من حب الدنيا يعرفهم العارف والجاهل ذوو ورع فى دينهم إذا رأيتهم خلتهم وحسبتهم بهائم راتعة ، وإذا اختبرتهم وجدتهم ملوكا أشداء فى دينهم لا يخافون فى الله لومة لائم ، خلصت وطهرت قلوبهم من الدنيا الدنية لا يطلبون بنصحهم إياك من أجر إن أجرهم الا على رب العالمين، فتدبر أيها الإمام ما كتبته إليك إن الناصح إذا جاء ناصحاً لله تعالى راغباً فيما عنده زاهداً فيما لديك لا يطلب فى نصحه لك أجرا ولا يريد به فخراً وذكراً

ورفعة فاعلم يقيناً انه من نصحائك فى الله وأحبائك الذين يؤثرون على أنفسهم ويحبون بقاء عز الدولة بإنفاذ كلمة الحق لله وفى الله فى رجاء ثواب الله وفى استبقاء ما عنده فهو خير وأبقى والملك لله يهبه من يشاء من عباده والأرض له يهبها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فإذا وردت لك هدية رحمك الله من نصائح أحد من إخوانك فاعرضها على عقلك فانه حكم عدل فان قبل ذلك من الناصح مع موافقة آثار المسلمين فاقبله فانه من الله على لسان أخيك ومن جاءك به ، واقبل الحكمة ممن جاءك بها من الناس فان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها من حبيب أو بغيض من عالم أو ضعيف ، فانك أصبحت فى أمر عظيم على خطر عظيم . فالله الله إمام المسلمين لا تهمل العيون واجعل على العيون عيونا فان لم تفعل فاعلم أنك مغبون ، ولا يكون العيون إلا الثقات الأمناء من الناس المأمونين على ما ائتمنوا عليه ، فابحث من كل بلد ملكت أمرها أمناءها وفضلاءها واجعلها عيونا راعية فى رعيتك ، حافظة فى ولايتك ، فان اتهمت العيون وارتاب قلبك فى قولها فليكن همك فى طلب البحث لتعرف حق ذلك من باطله وجده من هزله ، ولا تهمل الأمر إهمالا ولا تغفل من أهل البلد وجوهها وأهل الشرف منها ، وأظهر إليهم الجميل من مقالك كأنك مقصر فى حالهم وإن كنت محسناً — تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل إنه فقد رجلا فسأل عنه ثم قال اذهبوا بنا إليه لعله واجد علينا ولا عتاب عليه لأحد من الناس صلى الله عليه وسلم لأنه كان براً رحيما ولكن ذلك من تمام أخلاقه فى قومه ورعيته صلى الله عليه وسلم فلين الجانب إلى الناس يجلب لك المودة وهو خير من النفقة فى بعض الأحايين رحمك الله : وأما

تقربك لأشراف الناس يزيدك منهم مودة ونصرة ونصيحة ولطفك للمسكين ورحمتك له ينفعك بدعائه لك واستغفار لما يجد من عفوك وإحسانك إليه فلابد من دعاء يسمع لك ويستجاب [أولا] يسمع ودعوة تدع الديار بلقعا فلا تكاد ترجع ، والكلمة الشديدة تنفر منها قلوب ذوى الألباب فان الناس أجناس متباينة فأنزل كلا منهم منزلته فان الناس لهم منازل يتفاضلون بها : فنهم إخوانك وهم نظراؤك وأمثالك فأحب لهم ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فانهم يحبون منك مثل ما تحبه منهم فانك تحتاج إليهم أكثر مما يحتاجون إليك ، فألن لهم الجانب وكن لهم روحا وريحانا يكونوا لك إخوانا وأعوانا وملجأ وردءاً وأنصاراً ، فانك سلطان بجيرانك وإخوانك لا بالمؤلفة من حسادك وعدوانك فان النصيحة من العدو محال والمحال زوال ونصائح إخوانك وأهل الشرف من جيرانك لا تستخرج إلا بصحة القريحة منك وبالمودة منك لهم تكون نصائح الرجال ، ولا تصلح المودة الغريزية إلا باصلاح النية، فاذا صلحت النيات من باطن القلوب فى رضى الله علام الغيوب فهنالك أمن الراعى واستراحت الرعايا ولو جربت ذلك لوجدت مقالى صوابا إن شاء الله وما أنت كبير إلا باخوانك وأهل الشرف من بلدانك ، واقبل من إخوانك كلا منهم على قدر ضعفه وقوته وعظم همته وتراخيها فإن أحوال الناس مختلفة لا متفقة ومؤتلفة ، واقبل معذرتهم وأقل عثرتهم واغفر زلتهم فإنك لا تجد الناجى من العيوب المبرأ من الذنوب ، فإن طلبت صحبة من لا عيب فيه فاتك الدهر من غير صاحب وأنت أحوج الناس إلى الأصحاب ولكن لكل هؤلاء مرتبة ومنزلة

فأنزل كل واحد منزلته إلا السفلة السعير[1] فاعطه الشدة صراحا وإن استغنيت عن أحد فلا تبعده كل الإبعاد وتفقد حاله واسأل عنه فانك لا بد أن تحتاج له يوماً ما يكون لك حبيباً غائباً حاضراً أخا شفيقاً لا يرضى فيك المعائب وإن كان عنك غائباً وحاشاك من ذلك ، وإن استغنيت عن أحد أو اعتذر إليك أخوك إن طلبته فى أمر ترى أنه من أهله فاعتذر إليك فاقبل معذرته ولا تبعده فانه أعلم بنفسه منك والله أعلم به منك ومن نفسه ، وكل أمره إلى الله ولا تترك له من يؤذيه بعقاله ويكثر عليه من كلامه ووباله ، فان الكلام الشديد إذا صدر من ذويك ومن تقوى بسلطانك فذلك منك لا منه والكلمة الشديدة تنفر منها القلوب وتتبدد منها الأجساد ، فقد وصى الله نبيه عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح للمؤمنين فقال: « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » وقال « وأمرهم شورى بينهم » وأمره بالمشورة وحثه عليها في غير موضع وهو أكثر الناس عقلا وأرجحهم رأيا وأعلاهم درجة وأدبا صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك من لين الجانب وحسن التواضع للناس ، فلا ذل ولا صغر من تواضع لله ، ولا ساد وارتفع من تكبر على الخلق ، وحاشاك حاشا كل مؤمن تقى من ذلك ، وأحق الناس وأولاهم بالصبر واحتمال الأذى الملوك لأنهم على أمورهم قادرون، ولرقاب الرعية قاهرون ، قد ملكهم الله العباد لا ملجأ لهم من الله إلا إليه ، وعندى لاشك أنك عالم بالذى كتبت به إليك

(١) لعل صوابه السعير بشد العين وهو الشرير ،وفى الحديث لايؤمن سعاره، أى شره والله أعلم .

لأنك ملك من أبناء الملوك تسوسون الرعايا وتمارسون الأمور ، لأن الملوك ممتحنون بذلك فلابد لهم ولا مخرج من ذلك : لأن الملوك أحوج الناس إلى سياسة الملك فى رعاياهم وأنهم أكبر الناس عقولا ورأيا وسيرة وسياسة وأدبا من سائر الرعايا وهم أمناء الله فى أرضه على خلقه ، ولكن المكاتبات بين المسلمين واجبة والنصائح لازمة تذكرة وتنبيها للملوك لما هى فيه من كثرة الأشغال من معاناة أمور الرعية ومقاساة ما تجده من كثرة المعاندات والمخاصمات وخاصة فى أهل هذا الزمان ، والله المستعان وهو حسبنا وكفى به حسيبا .

واعلم أيها الإمام أن الله سبحانه أحلك محلا عاليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا ، وملكك طائفة من ملكه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أنت أن يكون أحد أولى منك بالشكر له ، وأن الله سبحانه قد ألزم الورى طاعتك فلا يكن أحد أطوع لله منك ، وليس الشكر باللسان ولكن بالفعل والإحسان قال الله تعالى « اعملوا آل داود شكرا » واعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك لم تبق له ولم يبق لك ولو أنه بقى لمن قبلك لم يصل إليك إنما صار إليك بموت من كان قبلك فاجتهد رحمك الله فى طلب راحة رعيتك بتعب نفسك وإغناء مسكينك بخمصة بطنك لكى تتبع الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، واصبر على مرارة الصبر واحتمل زلة رعيتك ووقر كبيرها وارحم صغيرها وتفقد أمورها واسأل الله تعالى يمن عليك بتوفيقه لمرضاته والصبر على ما ابتلاك من أمور عافى غيرك منها يوصلك به ملكا دائما ونعيما لا يزول فى دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عن أهلها فيها النصب

والذنوب و يجعلنا و إياك رفقاء إخوانا على سرر متقابلين . فيالها عن نعمة ما أجلها ، وغبطة ما أعظمها جلت وعظمت عند من رزقها ونالها ، وصغرت وهانت على من وهبها ويالها كرامة من معطيها لمن أعطاها وما ذلك على الله بعزيز « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» نخذ إمامى وإمام المسلمين عابان لك عدله واترك عنك ماالتبس عليك أو ظهر لك خطأه وهزله، فربما اختلس الشيطان منى الصواب وألقى على لسانى الزلل والارتياب وأنا أستغفر الله تعالى من كل قول وفعل وعمل قد خالفت فيه الحق ، ومن كل شيء كتبته فى كتابى هذا وغيره أو أوردت فيه شيئاً مخالفاً فيه المسلمين فأنا أستغفر الله من جميع ذلك ولاأردت بكتابى هذا وغيره العز لأحد أو عداوة وانتصاراً منى وافتخاراً أو علواً وتقربا من السلطان أو استكباراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم وصحبه وتابعيه ورضى الله عن أئمة الهدى من لدن أكرم (الخلق) صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين. والسلام.

قد تمت سيرة الإمام سلطان بن سيف اليعربى رحمه الله وهذه قصيدة قالها واليه الشيخ محمد بن مسعود الصارمى صاحب عين السواد من أمطى قالها فى مسيره إلى بتة وذكر فتوحها :

كشفن عن تلك الوجوه الصباح	إذ زمت العيس ليـــــوم المراح
وجئن يختلن يمـــــاتبننى	يبسمن عن دركلون الأقاح
خامرهن الشك فى عزمتى	فقلن جـدٌ منك أم ذا مزاح
أسبلن دمعاً هاملا هاطـــــلا	إذا صرت فى عزم النوى باتضاح

فشبهت اللؤلؤ والدر من ... فيهن والنظم وعقد الوشاح
حتى إذا ما قربت ناقتي ... نحو رحيلي واحتملت السلاح
أقبلن كئيبات يودعنني ... مددن إلى الأكف السماح
صافحنني بكا بلا منطق ... مني ومنهن وكنا فصاح
من عبرة حلت بنا لم تزل ... ما بيننا تذرى الدموع السفاح
كأنما النطق حرام على ... ألسننا والدمع منا مباح
قد شحت الألسن بالنطق إذ ... جاد عيون بالدموع القراح[1]
حتى إذا ما صرت في مركبي ... وحث بي حادى المطايا وصاح
أدبرن عني خائبات الرجا ... وقلن ودّعن القلوب القراح
لا تجزعي يوم النوى خاتي ... لكل ليل مدلهم صباح
ولذة العيش وطيب الكرى ... إذ غبت عنا والجسوم صحاح
قلت يروح الجسم مني ولن ... يروح فؤادى ، إليكن راح
وكل حي غائب آيب ... لو طول الغيبة والانتزاح
فصرت مسلوب الحشى ذا أسى ... من أجل هجر كل خود[2] رداح
يزيد ما بي واشتياقي إذا ... ما بدا برق نحو سيما ولاح
أو شمته لاح لدى العين أو ... فوق الأفانين إذا الورق صاح
أو (إن) تذكرت دياراً زهت ... من سمد الشأن وتلك البطاح
أو ساق لي يوماً نسيم الصبا ... من روضها نشر الخزاما وفاح

(١) الأصل في النسخة المطبوع منها : «جادت بالدموع العيون القراح» وهي على ما يرى من اختلال الوزن والمعنى فليتأمل .

(٢) وفي الأصل : رود .

أطوى الفلا واليمّ فى فيلق ... يطفى ءضوء الشمس والجو صاح

حتى أتينا بتـــــة بالضحى ... ثم نزلنـــــاها بأرض براح

فقلت لأصحابى لا تحزنوا ... من عنــده الله فــلا يستباح

اصطنعوا الصبر ولا تجبنوا ... عند الوغى فالجبن لؤم صراح

ثم اعلموا لا بد للمرء من ... موت وبالهندى فيه الفلاح

فامتثلوا الأمر ولا قصروا ... وجردوا أسيـافهم والرماح

فاقتحموا السور كاسد الفلا ... واشتدت الحرب وضرب الصفاح

كأنمـــــا القتلى بأرجائهـــا ... من فئة الإفرنج صرعى طراح

كأنهم أعجاز نخـــــل بهـا ... منقعر من عاصفات الرياح

فانهزم الإفرنج من بتة ... بالذل والخزى وبالافتضـاح

بعداً لهم بعـداً وسحقاً لهم ... من قوم سوء ووجوه قباح

بعزم سلطان بن سيف الذى ... أباد أهل الـكفر يوم الـكفاح

وكفه من حمـل صمصـامه ... اضرب أعناق العدى ما استراح

يفر منـه الجحفـل المجر: من ... خوف عليه فى الوغى من جناح[1]

ملك ملوك الأرض إن قبلوا ... أقدامه فخر لهم وامتـداح

وا كف كفيــــــه اسؤاله ... قد نجلت منه الا كف السماح

يعطى بلا منٍّ يكدّر ما ... أعطاه أهل الفقر بل بارتياح

هو الإمام العـدل فى دينه ... وملكه لا يسعَ غير الصلاح

أدامه الله وشـــــبليه ما ... دام مدى الدهر المسا والصباح

باب امامة الامام بلعرب بن سلطان

ابن سيف بن مالك

بويع له فى اليوم الذى مات فيه أبوه سلطان بن سيف وهو يوم الجمعة فى ستة عشر من شهر ذى القعدة سنة احدى وتسعين والف فقام بالحق وسار بالعدل ولم تزل الرعية له شاكرة ولفضله ذاكرة وكان جواداً كريماً وعمر جبرين وبنى بها حصناً وانتقل من نزوى اليها وفى أيامه جاء رجل من أهل الخلاف إلى الصير فامتحن الضعفاء بألغاز تغابى وكتب الامام فى شأنه إلى قاضى المسلمين فى زمانه مانصه : من الفقير إلى الله امام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف إلى شيخنا الرضى الفقيه وولينا فى الله محمد بن جمعة بن عبد الله بن عبيدان — رحمه الله — وبعد الخير والسلامة وصلت الينا كتب من عمالنا من الصير يذكرون فيها أن رجلا من مخالفينا جاء إلى الصير من البحرين وصار له عند مخالفينا شأن عظيم وصار له مجلس يجتمع فيه مائة رجل فصاعداً من قومنا وصار متطاولا تيهاً بذيله على ديننا وفخراً ويفتى فى الأثر نظما ونثراً ويمتحن أصحابنا بمسائل وأرسلوا لنا مسألة فى بعض امتحانه لهم وطالب جوابها والمسألة هى هذه شعرا :

وذى رجل كالزوج ديناً ومذهبا ... ومات ولم تلحق صداقاً ولا ارثا

وليست بذى قتل ولاذى جراحة ... فانعم لنا بالكشف عن هذه الانثى

فان أنت لم تستطع ارد جوابنا ... فعلمك أضحى فى الورى ثوبه رثا

فارسل بها زوى وما شئت من قرى

فان تظفروا بالـكشف عنها أ كن ارثا

فتفضل شيخنا برسم مايرضى الله وبسر المسلمين ومرادنا نفى هذا الرجل من أرض عمان إلى آخر ماذكر ، فأجابه الشيخ بمانصه : الجواب أن مثل هذه المسئلة يبطل صداق المرأة وميراثها من الزوج الميت من وجوه شتى مثال ذلك اذا تزوجت بزوج آخر عمداً ومعها زوج ولم يطلقها ولم يمت عنها ثم مات الزوج الثانى والزوج الاول فان هذه تحرم على الاول والثانى ولا يكون لها ميراث من الزوج الثانى ولا الاول لانها تصير بمنزلة الزانية لانه لا يحل فرج امرأة لزوجين وكذلك لا يكون لها صداق على الاول ولا الثانى وكذلك اذا زنت امرأة وهى مع زوج ثم مات عنها زوجها فقال بعض المسلمين ان ليس لها ميراث ولا صداق من الزوج وفيه قولان لها الصداق والميراث وأمثال هذه كثيرة .

قلت ولغز المخالف المذكور يدل على شدة جهله وسوء طويته من وجوه : أحدها ان اللغز والتغابى ليس من أمر الصالحين وانما هى حالة المتعنتين والمتعنت يحرم جوابه لسوء قصده وخبث طويته ، وثانيها ان عدم فهم الملغزة لا يدل على قلة العلم فكم من عالم فى كثير من الفنون سليم الصدر قليل الغوائل غافل عما يضمره المتعنتون فى سرائرهم ساه عما يقصده علماء السوء من المقاصد الخبيثة وسهوه عن الحالين من أحسن أحواله التى يرجى له بها من الله الزلفى ، وثالثها تبجحه بلغزته وتعاظمه بتغبيته قبل ان ... اعتذر غيره فى بيانها أو العجز عن كشفها ، ورابعها جهله بوضع

العربية فانه قد وضع الالفاظ فى نظمه هذا على غير ما وضعت له فألحن فى ذلك وجعل خطاب المذكر للمؤنث وذلك فى قوله وذى رجل وقوله وليست بذى قتل فان ذى فى البيتين بمعنى صاحب وهى بهذا اللفظ لاتطلق الا على المذكر يقال ذو مال وذو ابل لصاحب ذلك فان أرادوا المؤنث قالوا ذات مال وذات ابل فكان على هذا المتعنت ان يقول وذات رجل وليست بذات قتل ، ثم ان قوله فى آخر أبياته أكن ارثا لا معنى له فان أرثى بمن أرشد رثاء والرثاء ان تذكر الميت بأحسن أفعاله و أنت تدرى انه لامعنى لهذا فى هذ الموضع ولعله أراد أكن أشد رثاثة فى العلم منكم ان حللتم لغزى وهذا المعنى هو الظاهر من سياقه وعليه فقد لحق لان هذا المعنى يقال فيه ارثّ بتشديد المثلثة لا ارثا بتخفيفها ، خامسها جهله باحكام الشريعة وذلك فى قوله ولا ذى جراحة فان الجراحة لا تبطل الصداق ولا الميراث وفيه من اللحن فى اطلاق ذى على المؤنث مافى الذى قبله فظهر جهله وقبح حالته ، وجواب القاضى رحمه الله شامل للغزته ولغيرها فكأن حاله تقول ان ياجاهل قد عرفت فى هذا وجهاً واحداً فانا نعرف فى ذلك وجوهاً كثيرة فذكر الوجوه المتقدمة ثم قال بعد ذلك فى جوابه للامام وأنا ان شاء الله تعالى أكتب شيئاً من التغابى فى مثل هذا وأنا أكتب المسئلة وجوابها وأنتم اكتبوا المسئلة بلاجواب وها كم المسئلة : ماتقول فى رجل نظر إلى امرأة وقت الغداة وهى عليه حرام ونظر اليها وقت الظهر وهى له حلال ونظر اليها وقت العصر وهى عليه حرام ونظر اليها وقت العشاء وهى له حلال ونظر اليها وقت الضحى وهى عليه حرام ولما كان وقت الظهر نظر اليها وهى له حلال ثم نظر اليها وقت العشاء وهى عليه

حرام ، وجوابها هذا رجل نظر إلى أمة قوم وقت الغداة وهى عليه حرام لأنها ليست بملكه ، ثم لما كان وقت الظهر اشتراها ونظر اليها وهى له حلال ، ثم لما كان وقت العصر أعتقها فحرمت عليه لأنها ليست له ، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له ، فلما كان العشاء ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان الصبح أعتق عنها رقبة فحلت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الإسلام فحرمت عليه ، فلما كان العشاء أسلم فتاب فحلت له . أخرى فى رجل أدخل بيته ضيفاً فخرج رب البيت ليطلب لضيفه طعاماً وفى وقت خروجه كان قد جامع زوجته حلالا وخرج حين فرغ من جماعه إياها فلما رجع إلى منزله بالطعام وقبل أن يغتسل من جنابته ليطعم ضيفه فمنعه ضيفه الدخول وقال لقد تزوجت بزوجتك حلالا بكتاب الله وسنة رسوله وقد حرمت عليك. وجوابها أن رجلا له امرأة وهى حامل فقال لها إن ولدت أنثى فأنت طالق فلما ذهب الزوج ليطلب طعاماً لضيفه ولدت الزوجة جارية فانطلقت ثم ولدت بعد ذلك غلاما فحينئذ ملكت نفسها وانقضت عدتها فخطبها الضيف إلى وليها فزوجه إياها وملكها بعقدة النكاح بلا وطء وأتى الزوج وقد فاته وتزوجت بالتزويج الحلال . أخرى: وكذلك رجل حلف بطلاق زوجته إن دخلت عليها أمها وزوجته حامل قد قرب ميلادها فخرج ليشترى لها شيئاً من السوق فدخلت عليها أمها قبل أن تلد بساعة فطلقت منه ثم ولدت وانقضت عدتها وحلت للازواج فتزوجت بعد ما وضعت حملها فجاء زوجها فوجد عندها زوجا ومنعه من الدخول عليها لأنها قد حرمت عليه . أخرى: رجل يدعى على امرأة أنها زوجته وأنكرته الزوجة بين يدى الحاكم وأقام الرجل بشاهدى عدل فشهدا أنها زوجته فلما أراد الحاكم أن

يقضي عليها جاء رجل آخر فقال هى زوجتى أنا وأقام شاهدى عدل فأنكرت المرأة التزويج وأقامت شاهدى عدل على أن الرجلين المدعين لها التزويج أنهما عبدان لها مايفعل الحاكم ؟ . جوابها أن رجلا كانت له ابنة وله عبد زوج ابنته بعبده ثم ان العبد غاب فاشترته زوجته من أبيها فانفسخ النكاح إذ صار الزوج عبدها لما انقضت عدتها زوجها أبوها بعبد له آخر ثم مات الأب فورثت هى زوجها فصار مملوكا لها وانفسخ النكاح بالملك فصحت بينة وحكم الحاكم عليهما بالرق فكان القول قولها.

أخرى رجل : خرج فى سفره وهو صحيح سالم وحضر صلاة الظهر وهو فى السفر وطلب الماء فلم يجد الماء تيمم وصلى ثم نظر قدامه ففسدت عليه صلاته ونظر عن يمينه فحرمت عليه امرأته ثم نظر يساره فوجبت عليه الزكاة ثم نظر فوقه فوجب عليه الصيام ثلاثين يوماً ووجب عليه الدين ثم نظر خلفه فوجب عليه القتل وجوابها . أما تيممه فانه تيمم وقدامه الماء[1] ثم نظر قدامه فنظر الماء وهو قريب منه وقد فسد تيممه وصلاته ووجب عليه الطهور بالماء والصلاة ، وأما نظره عن يمينه فانه كان قد تزوج امرأة مفقود فنظر عن يمينه فاذا بالمفقود قد جاء ، وأما نظره عن يساره فانه لما نظر رأى مالا له ورثه من سنين ولم يكن أخرج زكاته فوجبت عليه الزكاة وأما نظره إلى خلفه فانه كان قد قتل رجلا والمقتول له ولد صغير فبلغ الصبى

---

(١) لعل الصواب وهو فاقد للماء أو تيمم وقدامه الماء وهو لا يعلم ، وقوله فإذا بالمفقود قد جاء أى بعد تمام أجل الفقد وتطليق زوجته وتزوجها أى فاختار زوجته إذ لو اختار أول الصداقين لبقيت الزوجة بعصمة الثانى . والله أعلم . أبو اسحاق .

فنظر إليه الرجل وهو يريد قتله بأبيه لأنه قد وجب عليه القتل ، وأما نظره إلى فوقه فانه نظر إلى الهلال فلما رآه حل عليه الدين ، ووجب عليه الصيام لأنه شهر رمضان ، ثلاثون يوما .

أخرى :خمسة نفر زنوا بامرأة واحدة فوجب على واحد منهم القتل ووجب على الثانى منهم الرجم ووجب على الثالث الحد ووجب على الرابع نصف الحد ولم يجب على الخامس شيء ، وجوابها أما الذى وجب عليه القتل فكانت امرأة ذات محرم منه ، وأما الذى وجب عليه الرجم فهو محصن ، وأما الذى وجب عليه الحد فهو غير محصن وهو بكر ، وأما الذى وجب عليه نصف الحد فهو مملوك وأما الذى لم يجب عليه شيء فهو صبي غير بالغ . أخرى رجل : هو وامرأته كانا راكبين على جمل فنزلت المرأة فحرمت على زوجها ثم نزل الزوج فحلت له ، وجوابها أنهما كانا يهوديين فحين نزلت المرأة أسلمت وشهدت شهادة الحق فحرمت على اليهودى ثم نزل هو بالحال ولما رآها أسلمت فأسلم فحلت له والله أعلم .

وفى زمانه رضى الله عنه قدم من المغرب إلى عمان رجل من أهل جربة يقال له الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربى الأباضى المغربى فسر بما رأى من أحوال عمان وظهور العدل فيها واحياء السنن وإماتة البدع ولكنه رأى مجالس العلم فيها قليلة فكتب للامام نصيحة يحثه فيها أن يحث الرعية على طلب العلم وتقويم المجالس وعمارة المدارس قال فيها : مولانا أصلح الله أحوالك وسدد أقوالك وتقبل منك أفعالك وجعل إلى السعادة مرجعك ومآلك فأقول وأنا العبد الفقير انى لما من الله تعالى على بالوصول إلى هذه البقعة المباركة رأيت بحمد الله فى مسكد وفى سمائل وفى نزوى وفى هذا المقام الشريف من الأحكام الشرعية والسير الأباضية والسنن المحمدية ما انشرح به الصدر وامتلأ

بمشاهدته سروراً ولله الحمد على توفيقه فتأملت أحوال عمان فوجدتها عجيبة الشأن حسنة الشكل كاملة الأوصاف سوى أن مجالس الذكر ومدارس العلم فيها قليلة والعلم سيدى كما لايخفى عليك يزداد بالاستعمال وينقص بالاهمال ونقصان العلم ضرر فى الدين عظيم وما كان على النقصان يوشك زواله وأخبرك يانعم السيد ببعض أحوال أهل جربة من أهل هذه الدعوة فى زماننا هذا مع ضعفهم وقلتهم وسوء حالهم ومعهم من مدارس العلم مايزيد على العشرين كل يعلم على قدر علمه ، منهم من اقتصر على النحو واللغة وعلم الديانات ومنهم من تبحر فى النحو واللغة والصرف والمعانى والبيان والمنطق والتوحيد وأصول الدين والفقه والحساب والفروض الشرعية والعروض الشعرية أعنى الاوزان وما يتعلق بها من الزحاف وغيره وهم من عادتهم يجتمعون فى كل يوم الأحد ويوم الثلاثاء على شيخ المشايخ وهو أبو زيد بن أحمد بن أبى ستة فيقرأون عليه ويلقون فى المجلس المشكلات السؤالات فيتحرى فيها الصواب ويزيل عنها الالتباس وهم فى هذه الحالة يتأسفون غاية التأسف على اندراس العلم ونقصانه لعلمهم أن المذهب الحقيقى الحنيفى الرستمى يزداد بازدياد العلم وينقص بنقصانه ويذهب بذهابه وقد كان هذا المذهب بأرض المغرب فى زمان الأئمة الرستمية رحمهم الله مسيرة ثلاثة أشهر وأزيد كلها عمارة محشوة بالزهاد والعباد والعلماء لايحصى عددهم ولا يطاق عتادهم فلما زالت عنهم الإمامة لأمر أراد الله ابرامه ذهبت الأخيار وبقيت الأشرار وتهاونوا فى العلم والتعليم ومالوا إلى الدنيا فركبهم الجهل فطبع على قلوبهم بسبب ذنوبهم وأتتهم العلماء المخالفون بالحجج الباطلة فتخيلوا السراب ماء لطموس البصيرة وتمكنت من أزمة قلوبهم فسلكوا بهم طريقهم الضالة كما سلك الذود بين قائد

وسائق فارتدوا على أدبارهم والعياذ بالله فى أزمنة متقاربة حتى لم يبق منهم إلا من ساقه التوفيق واعتصم بالله واستتر بالعلم وهم أهل البقاع الثلاثة : بعض أهل نفوسة وبعض أهل جربة وبنو مصعب ليس إلا سنة الله التى قد خلت من قبل سلكوا بها وتمسكوا ، وإذا كان الأمر هكذا فينبغى لإمام المسلمين أيده الله بالتوفيق وأنار له معالم التحقيق أن يجعل فى كل حصن من حصون مملكته المجلل عدله المزيد فضله معلماً يعلم الناس أمر دينهم ويزهدهم فى الدنيا الفانية الخسيسة ويرغبهم فى الآخرة الباقية النفيسة ويتيسر هذا إن شاء الله تعالى بالنظر فى أحوال من له نظر ومعرفة ولو أدنى معرفة وذوق فى العلم إن ظهرت منه أسباب الخير بالنصيحة لنفسه أولا ولعباد الله والشفقة عليهم والرغبة فى الدين ، فحينئذ يتوجه الأمر المطاع من إمام المسلمين بأن يتصدى للتعليم بالغداة والعشى ولا يحقر مامعه من العلم وان قل إن كانت نيته خالصة بأن ينمو ويزيد ويفيد ويستفيد ببركة العلم وفضله حيث كان خالصاً لله عز وجل لعل غافلا ينتبه أو نائماً يتيقظ أو ناسياً يتذكر أو جاهلا يتبصر ، وتكون سنة حسنة فى الاسلام ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وهو إمام المسلمين وأعوانه فى الدين لا يغير ولا ينقص من أجور المتعلمين شىء الله الله ثم الله الله وحاشا لمثلك أن يتغافل ويتهاون فى مثل هذا وأنت بتوفيق الله وفضله خليفته فى أرضه ، والعلم أصول دين الله وفروعه ولوازم العدل المأمور به المفروض أمثاله وشروعه ، ولكن لكل شىء سبب ولكل أجل كتاب وإذا أراد الله إظهار أمر يرضيه فى الدين أجراه على يد أحد من خلقه ممن يختصه لمزيد فضله « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » كظهور العدل وعلو كلمة الحق وذهاب ذوى الشقاق وانطماس

معالم الشرك والنفاق على يد المرحوم الشيخ خميس بن سعيد الشقصى الرستاقى والامامين الرضيين رحمة الله عليهم أجمعين، وانت الرضى الثالث بحمد الله وقد ترى ما ابتلى الناس به من الميل إلى الدنيا والزهد فى الآخرة مع شدة افتقارهم إليها . سيدى ومولاى انظر بعين البصيرة والعقل الراجح الثاقب فى وصل ما أمر الله به ان يوصل بينه وبين عباده الذين استخلفك عليهم رأفة ورحمة بهم ورجاء لرضوان الله تعالى، ولا تخلو أرض الله تعالى من قائم فيها بحق وعلم فى خلقه فى كل وقت من الأوقات وهو الحجة على خلقه كما قال الله « ولكل قوم هاد » يانعم السيد ويا جهد المكارم إذا نظرت وتأملت فى هذا الأمر العجيب الشأن واطمأنت نفسك إليه وهممت ببذل المجهود فى تجديد معاهده وتشييد قواعده حباً لله ورجاء لثوابه، فثوابه أجل وأعظم للمسبب والمتسبب فيه من ثواب المجاهدين والمرابطين والمصلين والصائمين والحاجين والمعتمرين ما خلا الفرائض من ذلك كله، وكان كل ذلك فضلا ونفلا فأرانى منك علامة تسرنى كقول إمام المسلمين : نعم ابتغيت رضوان الله تعالى فان إحياء هذه الطريقة أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وغربت وأحب إلى الله ورسوله وإلى من ناصح نفسه من المسلمين، إذ جميع حطام الدنيا الفانية لايعتبر فى جانب السعادة الأبدية ولا تزن ذرة منه، وكتبته بيدى والله على ما أظهر أوأضمر شهيد وهذا سر من العبد الغريب إلى المولى الحبيب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه يتسلسل تسلسل انفاس اهل الجنة، واما اهل جربة وإن كانوا متمسكين بالعلم جهدهم فتدبيرهم مختل وعقدهم منحل وأمرهم مشكل لفقدهم الإمام العدل وقرناءه أهل الفضل . انتهى كلام عمر الجربى وهو كلام ناصح ماهر، وقد قيل إن النصيحة إذا خرجت من الجنان وقعت

فى الجنان وإن خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ، فأثرت نصيحته الأثر الجميل وتلقاها الإمام بالقبول والتبجيل فقام وشمر وحث الرعية على طلب العلم وأمر بالتعليم فى ممالكه وجمع جملة من المتعلمين فى الحصن الذى جدد بناءه وهو « جبرين » فقيل إنه كان يخدمهم هنالك بنفسه وكان يعطرهم بنفسه وكان يتحرى لهم الأطعمة المقوية للافهام والذكاء ، فيقال إنه خرج من هذه المدرسة التى فى حصن جبرين خمسون عالماً كلهم أهل اجتهاد وأهل إفتاء بالرأى[1] . وقد أكثر الناس فى الثناء على هذا الإمام ورأيت فى مدحه ديواناً حافلا محتوياً على قصائد طنانة بلغت من فنون البلاغة مبلغا عظيما وعلى هوامشها تنبيهات على أنواع البديع فى الأبيات ، وقد غاب عنى هذا الديوان فلم أره منذ زمان وإنما رأيته أيام الصغر وأحفظ من أوائل بعض قصائده أبياتاً يسيرة قال بعضهم فى أول قصيدة لامية :

لمى بوادى الدوح دور وأطلال ... سقتها غواد من ملث وآصال

وهمهم فى أرجائها الرعد برهة ... إذا ما انقضى وبل تعرض هطال

وقال آخر فى أول قصيدة لامية أيضاً :

زم المطى فعقد الدمع محلول

وقال آخر :

الله أكبر جاء الفتح والظفر ... وأشرقت فى الدياجى الأنجم الزهر

وأصبحت سبل الإسلام واضحة ... أعلامها واستقام السمع والبصر

وغير ما أشرت إليه كثير وكلها مدائح فى الإمام ، والخلق شهود الله فى أرضه فمن أثنوا عليه خيراً كان أهلا للخير ومن أثنوا عليه شراً كان

---

(١) قوله الرأى أراد القياس وهذه عبارة الأوائل رحمهم الله .

أهلا للشر والله يؤتى فضله من يشاء. وحيث كان شاعر ذلك الزمان راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسى النزوى العمانى من جملة من تعلم فى ظل هذا الإمام وصار من جملة من مدحه وأثنى عليه أحببنا أن نذكر ترجمته هاهنا للاطلاع عليها وإن فاتنا جل تراجم المعاصرين.

ذكر ترجمة الحبسى الشاعر

وهو راشد بن خميس وكان قد ولد بالقرية المساة «عين بنى صارخ» من قرى الظاهرة من عمان فى السنة التاسعة والثمانين بعد الألف من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فرمد وعمى وهو ابن ستة أشهر ثم انتقل منها وهو ابن سبع سنين وقد مات أبواه فنزل بقرية يبرين[1] مسكن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك ابن بلعرب اليعربى العمانى فرباه بها وأحسن إليه غاية الإحسان فتعلم فى ظله القرآن والنحو والصرف واللغة وما شاء الله من العلوم المفيدة وخرج شاعراً مجيداً أريباً حاذقاً أديباً فلما مات هذا الإمام انتقل منها إلى أرض الحزم من ناحية الرستاق من عمان مسكن أخيه السيد الإمام سيف بن سلطان المالك بعده فأقام بها معه فى أجمل حال إلى أن مات، فلما مات ارتحل إلى نزوى عمان واتخذها وطناً دون الأوطان. وقد أثبت له فى هذه المقدمة الشريفة هذه القصيدة الظريفة المخبرة عن أنسابه وملاحب آدابه، ولعله أراد بها استشهاداً عما روى عنه للامجاد عن نسبه وموطنه من البلاد فإنه قد نبه بها عن نباهته وراقم بها عن وجه درايته بقوله:

وقائلا قال من أنت قلت له سلنى أخبرك عن أصلى وعن حالى

---

(١) اعلم أن يبرين هو نفس جبرين فيما يتبادر من كلام المؤلف رحمه الله وغيره ولا يشكل تسمية الحصن بالقرية والله أعلم مصححه

فغافر خال أمى وابن عم أبى حبس الرضى وبنو جساس أخوالى
وصارم إن سألتم جد عم أبى فهـذه معرفات العم والخـال
والعين مسقط رأسى وهى دارهم فيها محلى وفيها قدرى العالى
وقد رحلت إلى يبرين من بلدى حتى بلغت إراداتى وآمالى

وقال أيضاً :

يا جاهلا هاك خبرى إننى رجل أصون عرضى ولم أبخل بموجودى
وإننى من صناديد جحاجحة تفوق فضلا على جمع الصناديد
أبى من الأزد والأم الكريمة من بكر بن وائل خير السادة الصيد

قال كاتب الترجمة وهو سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبد الله ابن بلعرب بن عبد الله بن بلعرب الذى هو من بنى محمد بن سليمان العقرى النزوى العمانى قد بدأ لى التفات إلى قوله :

أبى من الأزد والأم الكريمة من بكر بن وائل خير السادة الصيد

فانما بين الأزد وحبس القبيلة فى النسب بون بعيد ، فإن بنى حبس وبنى المسيب تتصل سلسلة نسبهم إلى شهاب بن النويرة التغلبى الشيبانى على صحة عمود النسب وهو جدهم وشهاب بن النويرة المذكور هو الذى شمر عن ساق الحرب يوم أورى كسرى لبنى تغلب نار الطعن والضرب بإجارتهم للخرقاء وامتناعها بهم عنه فكانت عن الاقتراب هى أبعد عنه من العنقاء ، ثم إن الأزد هم أنف اليمن وعينها والتغلبيون هم روح جسم بنى نزار فلم أدر بسبب علة الغلط الذى وقع له هنا بقوله هذا وعسى (أنه) غلب عليه نسب الأم إلى حبس فقيل له الحبسى بسببها أو حبس اسم رجل من أجداده لا يتصل تسلسله إلى حبس القبيلة وهذا والأول يبعد الاعتذار به على ما ذكر فى قصيدته والله أعلم بالصواب .

قال وأما أنا مما علمته أنه هو بالنسبة بحبس إلى شهاب بن النويرة

التغلبي الشيباني ونسبة بني المسيب كذلك تتصل إليه ، قال وقد أثبت ترجمته في كتابي الذي سميته « المؤتمن في ذكر مناقب نزار واليمن » ونسبته إلى شهاب بن النويرة على ما اشتهر عندي . ومن المعلوم أن بني حبس لم تك ميلولتهم إلى اليمن إلا بالحلف وقد بقيت إخوتهم بنو المسيب على حالهم لم يميلوا إلى زماننا هذا إلى اليمن بحلف بل هم نزاريون مع الخاصة والعامة بلا خلف ومن المحال أن يحيل أصل أصلا بالتافيق فيكون هو دو وماهو هو على التحقيق ، فإن المحالفة لا تكون إلا بمشاركة الدم بالدم في الطلب والإغاثة وقد ترث بعلل ولا تدخل على الأصل علة الرثاثة . قلت : كونه من غير حبس القبيلة المشهورة بعيد لأنه قد ذكرهم في بعض القصائد وذكر مساكنهم من الروضة والمضيبي وذكر أنهم قومه ولعل الرجل لم يعرف أصل نسبه ورأى عمان قد غلب عليها قبائل الأزد فظن قومه منهم لاختفاء الأصل عنده كما يقع لكثير من الناس عند جهلهم بأصولهم والله اعلم بالواقع . وللحبسي هذا مدائح في الإمام بلعرب وله فيه رثاء ولا نذكرهما اختصاراً ، وكذلك له مدائح في غيره من أئمة اليعاربة من بعد هذا الإمام ، وله مدائح في محمد بن ناصر الغافري وفي بعض قضاة الأئمة وولاتهم وله مدائح نبوية على عدد حروف المعجم صدر بها ديوانه وقد تكفل ديوانه بذكر جميع ما ذكرنا وفيه من فنون الشعر شيء كثير ومن كلامه في مدح الإمام بلعرب قوله في قصيدة نونية :

وقائل من ملوك الأرض خائفة	منه وتحمده في السر والعلن
ومن إذا سار في جيش تضيق به	وسع البلاد ووسع السهل والقنن
جيش يبيد العدى في البر يعقبه	جيش يبيد اهيل الشرك في السفن
ومن إذا قال قولا قال أحسنه	أو جاد أخجل جود العارض الهتن

ومن إذا ثار فى الهيجاء يفعل فى أعدائه فعلة الجزار فى البدن
ومن إذا فاخر الاشراف فى ملأ شاعت مفاخره فى الشام واليمن
هذا الكريم الذى تشفيك رؤيته من كل داء ومن هم ومن حزن
بلعرب نجل سلطان الذى حسنت أخلاقه وهو رب المنظر الحسن

(لطيفة) ذكرها شارح ديوان الحبسى قال جن بقرية السر من عمان رجل يسمى راجحاً بامرأة عشقها تسمى بشارة بنت سنان ، فبهت راجح بجمالها وكان صحيح العقل فبقى حائراً متلدداً من شدة حبها وحسنها فلم يدركها ، فتعلق قلبه بحبها وهام بها حتى لم يذكر سواها فخرج بسبب ذلك مجنونا تضرب به الأمثال وتكثر فى أخباره الأقوال ، ومن صفة بعض ذلك أنه صار لا يرى امرأة غريبة فى البلد إلا وتبعها وجعل يحوم دونها كالكلب الجائع دون الفريسة لظنه أنها هى ، وصار يهذى بها ويزعم أن الملك برا وبحرا لها ، وصار يسأله عنها كل متهكم ومازح ويقول له هل من خبر عن بشارة يا راجح ؟ فيقول لهم نعم ، قد فتحت البلد الفلانى والحصن الفلانى وقد غارت على العجم والإفرنج وغيرهم وسلبتهم ملكهم فيقولون له هذا الملك لك أم لها ؟ فيقول هو لى لا لها وإنما هى تأخذه لى بجيوشها العظام وأنا مستريح ، فيقولون له مع ذلك وكيف حال إمام المسلمين وعسكره مع هذه الحال ؟ فيقول هو وزير من وزرائها وأنا الذى عقدت عليه الوزارة لها ، وعسكره هم عسكرها وكان كثير الضحك ولا يطيش كسائر المجانين ولا يؤذى أحداً بل إنه مشتغل بما هو به من هذه الحادثة ويدور فى سكك البلاد ليلا ونهاراً ، وكان لا يمر على الشاعر الحبسى إلا ويعاتبه ويسأله الوصول إليه وجمع الشمل بينه وبينها فيجيبه بما يطيب نفسه من الكلام الحسن اللطيف إلى أن أشار عليه بعض المتهكمين عليه المستهزئين به أن يسأل هذا الشاعر

نظم أبيات فيها فسأله ذلك فأجابه فنظم فيها هذه الأبيات وقرأها عليه بأحسن الاسجاع ففرح من ذلك فرحاً عظيما حتى كاد أن يطير من شدة الفرح بها فتعلمها منه وحفظها وصار ينشدها فى سكك البلد وأسواقها ليلا ونهارا ويصفق بيديه ويرقص برجليه والأبيات هى هذه من البحر الخفيف :

سمحت لى الدنيا ببنت سنان ... ذات قد يميس كالخيزران
ذات فرع وذات وجه منير ... وخدود محمرة الأوجان
لم نجد فى زماننا من يباهى ... هذه الخود فى نواحى عمان
سلبت راجحاً بطرف كحيل ... فهو منه مغير العقل ضان
تركته متيم العقل لكن ... صيرت عقله إلى النقصان

ذكر حصن جبرين الذى بناه هذا الإمام

وكان من أعاجيب الزمان وقد بناه من صلب ماله على ما قيل لأن الأموال قد كثرت فى أيامه وأيام والده قبله حتى كادت أن تفيض البيضاء والصفراء من أيدى الناس ، وذلك لبركة العدل وفضل الجهاد ولذلك أقبلت الأئمة إلى تشييد الحصون والمعاقل وإجراء الأنهار وغرس الأشجار وإحياء المواتات ليعيش فيها الناس بأرغد عيش واتم نعمة ، فبنى والده قلعة نزوى وهى الشهباء وبنى هو حصن يبرين وبنى ابن أخيه حصن الحزم والثلاثة من أعاجيب الزمان حتى قيل إن حصن جبرين لا يستطيع أحد أن يصفه بجميع ما فيه ولو فكر فيه شهراً كاملا بأمعان النظر التام ، وهو قصر عال يجرى فى بطنه نهر جار وله حيطان شاهقة ومن أعاجيبه أنه لو دخله داخل من غير أهله لم يقدر أن يبلغ أعلاه إلا بدليل من أهله . وكان الشيخ على بن ناصر الريامى رآه من ظاهره وباطنه وقال إن نظرت إلى سقفه قلت إنها خير من صنعة جدره

وإن رأيت جدره قلت ها هنا الصنائع العجيبة ، قال وفيه من النقوشات والتصاوير مالا يحصى ولا يوصف .

قلت ولعله أراد بالتصاوير تصاوير الأشجار والجبال والرمال والبلدان والبحور ومالا روح فيه فإن تصوير ذى الروح حرام لا يأمر به الإمام ولا يرضاه . قال وفيه الأشعار مكتوبة على جدره وعلى الدرج والعرش والغرف والحيطان . قال ومكتوب فيه آيات من القرآن . قلت لا ينبغى أن تكتب آيات القرآن فى الجدر بل يجب أن ينزه القرآن ويعظم ، ولعلهم إنما صنعوا ذلك لقصد التبرك بآيات القرآن ، ولا يعجبنى ان يكتب القرآن فى الجدر ولا فى السقوف قال ويرى فى بطن مشاكيه وفى بطن الجدر سفتج أى نفق يدور فى الجدار ما دار الحصن . وقال فيه الشيخ المذكور شعراً :

الله أكبر من قصر علا وسما ... وحصن عز بيبرين العلا رسما

أكرم به انه الصرح الذى ثبتت ... أصوله وله فرع سما لسما

هو العماد على ذات العماد علا ... مجداً وفخراً وما أبغى به إرما

تصاغرت عظمة الشهبا لعظمته ... فما لهـا بعد رؤياه ترى عظما

لو كانت الجنة الفردوس يشبهها ... شىء لقلنا هو الشبه الذى عظما

لم يخش ساكنه فى طول مدته ... غير الإله ولا عُرْباً ولا عجما

لو سالم الموت ذا عز ومرتبة ... لـكان ساكنه منـه اقد سلما

وقد بناه الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف وقد قيل إن بنيانه قام بثلاثة وعشرين كرا ، وقيل إنه خزن فيه مثلهن ثلاثة وعشرين كرا وبقرب الخزين هذه الأبيات :

أتعبت نفسى فى عمارة منزلى ... زخرفته وجعلته لى مسكنا

حتى وقفت على القبور فقال لى ... عقلى ستنقل من هناك إلى هنا

وسألت عن البيتين فقيل لى أنهما كتبا على القبر وعلى غير موضع من القصر . وكان الإمام قد قبر فى قصره هذا قرب النهر ولعلهم أكثروا من كتابة البيتين لقصد إخفاء الخزين . ونظر بعض المتأخرين فى صحة هذا الخبر بأنه لا يصح للمؤمن أن يخفى ماله على وارثه ، قلت وأيضا ففى خزنه تضييع لزكاته لأن الزكاة فى النقدين الذهب والفضة واجبة كل كل عام إذا بلغا النصاب ويمكن أن يجاب عن النظر الأول بأنه خزنه عدة للحوادث وأنه أخبر به الوارث فامتنعوا عنه من وقت إلى وقت وطالت به الأيام فاختفى على من جاء بعدهم من غير قصد للاخفاء ، وعن الثانى بانه يمكن الخزين من الجواهر التى ليس فيها زكاة فإن الزكاة فى المعادن خاصة بالنقدين .

وذكر الكتاب حلى البحر ولم يقل فيه زكاة تجرى

ثم أحاط بالإمام فى قصره هذا أخوه سيف بن سلطان ومات الإمام فى سنة أربع ومائة وألف فصار حصن يبرين عبرة للمعتبرين وقال المحروقى :

كفى عظة للعارفين وعبرة بما فعلت أيدى الليالى بيبرينا

ثم رجع إليه ولده يعرب وأصلح الحصن والفلج بعد الحرب والتخريب ووقف عليه اصلاحه بأربعين الفاً ، وقد خلت تلك الأمم وافترق آل يعرب واستنصر بعضهم بخلف بن مبارك بالقصير وبعضهم بمحمد بن ناصر الغافرى وأخذ محمد حصن يبرين بالعقد فى كل شهر بثلاثمائة محمدية ليكون له مأوى وحصناً عن عدوه ، وقتل محمد بن ناصر فى حلة صحار ودفن فيها وقبض ولده ناصر بن محمد يبرين ثم استأسر آل يعرب ناصر بن محمد عند باب بادى فى بلد بهلا فخلص لهم حصن يبرين ثم أخذه بجاد بن سالم الغافرى وقبضه ناصر بن محمد . ثم

أن بلعرب بن حمير بن سلطان وهو ابن أخى الإمام الباغى استأسر بجاد بن سالم وسجنه وقتله فى حصن نزوى وكان الحصن لآل يعرب حتى أخذ منهم سنة ست وثلاثين ومائة والف بعد الهجرة ، ثم رجع إليهم سنة سبع وخمسين ومائتين وألف ، وخان لهم عبد لراشد بن حميد الغافرى وبقى الخادم عند آل يعرب ستة أشهر وخدع العسكر وأغلق الباب بنفسه وضربهم بالبندوق ضرباً فاجتمعوا عليه وحصروه وقتل منهم سبعة رجال ثم أحرقوا الباب وحملوا عليه فلما أحس بالهلاك رمى بنار فى فيول الباروت فاشتعل القصر كله ناراً فاحترق من احترق فعاد الحصن لآل يعرب وقال بعضهم شعراً :

مما يدبر ربنا من أمره سبحانه فى أرضه وسمائه
رد الملوك إلى محل قرارهم مستبشرين بفضله وعطائه

ثم حرب راشد بن حميد الغافرى محمد بن سليمان اليعربى وحاصره فيه ثلاثة أسابيع فخرج محمد من الحصن يوم السابع من شهر شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين وألف ، ثم حرب راشد بهلا وفيها آل يعرب فأخرجهم منها وبقيت بهلا وجبرين فى أيدى أولاد راشد إلى أن أخذ الإمام عزان بن قيس بهلا وولى عليها الشيخ ماجد بن خميس العبرى ثم أحاط به الغافرية وفيهم برغش بن حميد بن راشد الغافرى حين نكث أهل عمان على الإمام وأخذوه منه بعد قتل الإمام وبقيت هى ويبرين فى أيدى أولاد راشد بن حميد بن ناصر بن محمد بن ناصر الغافرى إلى هذه الغاية وهى آخر سنة ثلاثين وثلاث مائة والف . هذا ما كان من خبر يبرين وتقلب الأحوال عليه ولله الملك الدائم .

قال ذو الغبراء وهو الشيخ خميس بن راشد العبرى فى حصن يبرين : انه يحتاج إلى حكم من أهل العلم لأن أربابه تفرقوا وقد خلت

أمة بعد أمة ، قال وأما أموال يبرين فقد سمعت عن كثير من الناس انهم لم يأكلوا منها وقالوا انها حرام . قال وينبغى لمن حرم شيئاً أن يأتى فيه بحجة صحيحة وكل آية لها تفسير وكل مسألة لها جواب . وقال فى كلام قبل هذا : قلت لصاحبى هل عندك صحة فى يبرين وما قالوا فيه ؟ فقال أما الماء والأموال فالاكثر منه اشتراه الشيخ ناصر بن محمد الغافرى وشىء منها آل إليه بالإرث ، قال وسمعت هذا من محمد بن عدى بن محمد العبرى وسعيد بن سليمان الزرعى ، قال وقد رفعا عن الذين يثقون بهم فى زمانهم الذين أكبر منهم سناً وأرجح عقلا ، وقالوا إن الشيخ ناصر بن محمد أشهدهم وأمرهم بالكتابة بكثير من الأموال فى وصيته وطلق نساءه بحضرتهم وأشهدهم بذلك وأمرهم أن يكتبوا الماء والمال الذى آل إليه بالإرث والشراء من آل يعرب من يبرين لبيت المال ، ولما مات الشيخ ناصر بن محمد شهد هؤلاء بذلك وقالوا « فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه » قال والمال الذى خلفه ناصر لم يقسم على ورثته ؛ قال وأما حصن يبرين فلم يصح فيه بيع ولا هبة من آل يعرب إلى يومنا هذا . اه كلام ذى الغبراء والله أعلم . ومما يذكر من النظم للامام بلعرب بن سلطان قوله :

إذا مادعتك النفس يوماً لريبة فعاص على حال هواها وخالف
ولا نتبعها مدة العمر انما اتباع هواها قائد للتالف
وجنب هواها ما استطعت فانما مجانبة الأهواء حرفة عارف
وخف من إله العرش شدة بطشه لعلك تنجو يوم نشر المصاحف

وقال أيضاً :

ولما بلوت الناس لم ار صاحباً أخا ثقة فى النائبات العظائم
وابصرت فيهم فى رخاء وشدة فلم ار منهم غير كسب الدراهم

فان كنت ذا يسر فخولك اهم مماليك او عسر كاضغاث حالم
وثقت بمن احيا العظام رميمة وانشأها خلقاً لطيف المناسم

وذكر ابن رزيق الشاعر فى وجود الامام بلعرب اخباراً هائلة اعرضنا عن ذكرها للشك فى صحتها والله اعلم .

ذكر خروج سيف بن سلطان

على اخيه الإمام وحصاره له بيبرين

قال حميد بن محمد بن رزيق الشاعر المتأخر : لم يزل الإمام بلعرب تضرب به الأمثال فى العدل والجود حتى وقعت بينه وبين اخيه سيف فتن كثيرة ، قال واصاب كثيراً من فقهاء عمان واكابرها وأهل الورع والزهد عقوبات من سيف ، وشد سيف على أخيه بلعرب الحرب فخرج بلعرب من نزوى وقصد ناحية الشمال ثم رجع إلى نزوى فمنعه أهلها دخولها فصار إلى يبرين فحصره أخوه سيف فى حصن يبرين قال فلما عجز بلعرب عن ملاحمته اجتمع اكابر عمان فعقدوا الإمامة لأخيه سيف وكثير من أهل عمان دخل فى البيعة تقية لأن سيفا عاقبهم على عدم الرضا بامامته ، وخرج فأخذ حصون عمان كافة إلا يبرين فانه حصره فيها وجعل يضرب الحصن بالمدافع وكان عند بلعرب رجال مشهورون بالشجاعة فكلما دنى جيش سيف من الحصن خرجوا له وكشفوه فقتل فى تلك الحرب من قوم سيف كثير قال ثم ان أكابر هؤلاء وهؤلاء اتفقوا على الكفاف عن الحرب وقالوا الرأى أن نغمد السيف عن بعضنا بعض فاذا اقتتل سيف وأخوه بلعرب وقتل أحدهما صاحبه صرنا رعيةً للباقى منهما وتبعاً ، فإن أبيا المبارزة مكث كل واحد منا فى العسكر فإذا طالت على ذلك المدة رجع كل واحد منا إلى وطنه .

قال فلما بلغ بلعرب خبر القوم توضأ وصلى لله ركعتين وسأل الله عز وجل أن يميته فما فرغ من دعاء، إلا وقد خر على البساط الذى صلى فيه ميتاً ، قال فعند ذلك خرج بعض خدامه من الحصن فأخبروا أخاه سيفا بوفاته فاتهمهم وقال أفقتلتموه ؟ قاتلكم الله لحلفوا له أنه قد مات حتف أنفه ثم خرج أصحابه من الحصن كافة ومضوا إلى أخيه سيف فأخبروه عن أخيه بلعرب كما اخبرته عبيده عن خبر وفاته قال فمضى سيف إلى الحصن وغسل أخاه وكفنه وصلى عليه ودفنه قريباً من الحصن كذا قال . والمعروف عند أهل يبرين أن قبره داخل الحصن قرب النهر مكتوب عليه البيتان المتقدمان : قال وخلصت عمان لسيف ولم ينازعه فيها منازع ، قال وكان كثير من أهل عمان المشهورين بالعلم متمسكين بامامة بلعرب ويرون أن أخاه سيفاً باغ عليه وقد تقدم أن بلعرب مات فى سنة أربع ومائة والف فتكون مدته فى الإمامة ثلاثة عشرة سنة . ولله الملك الدائم .

باب إمامة سيف بن سلطان قيد الأرض

وسبب ذلك أنه وقعت بين الإمام بلعرب وبين أخيه سيف بن سلطان ضغائن وانتشت بينهما فتن أثارها سيف على أخيه وافتتن بها كثير من الناس فخرج الإمام من نزوى وقصد ناحية الشمال ثم رجع إلى نزوى فمنعه أهل نزوى دخولها فسار إلى يبرين واجتمع أكثر أهل عمان وعقدوا الإمامة لأخيه سيف بن سلطان . قال بعضهم وأحسب أن الأكثر دخلوا فى الأمر تقية وأحسب أن بعضاً عوقب بتركه الدخول فى العقد ، وخرج سيف على أخيه وأخذ كافة حصون عمان ولم يبق إلا حصن يبرين فسار إليه وحاصره فوقع بينهم الحرب حتى مات بلعرب فى الحصار فطلب اصحابه الأمان ليخرجوا من الحصن فأمنهم سيف فخرجوا من الحصن ، قال وأحسب أن بعضاً من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات ، ويرون أن سيف بن سلطان باغ على أخيه واستولى على عمان وضبط الممالك وأحسن السيرة وأنصف الرعية وهابته القبائل وتسمى بالإمامة ولقب بقيد الأرض لضبطه الممالك وتقييده البلاد بعدله ، ولم يعب عليه من سيرته شيء إلا ما كان منه فى أول أمره من خروجه على أخيه الإمام العادل وسمعت شيخنا محمد بن مسعود يذكر أنه وجد أن العلماء جلسوا يوماً فى مجلس يتذاكرون إمامة قيد الأرض فقاموا على أنه صحيح الإمامة ، ولعل ذلك كان بعد توبته من خروجه وتجديد العقد عليه بعد موت أخيه وإلا فالعقد الأول غير صحيح

والخروج غير جائز وباب التوبة مفتوح ولم يزل على حسن السيرة وسياسة المملكة وحارب النصارى فى جميع الأقطار وعمل لهم مراكب عظيمة فى البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه حتى قيل إنه اجتمع له فى الجيش الذى دخل به الهندستة وتسعون ألف عنان . هذه الفرسان ، فما ظنك بغيرهم . وذكر الحسبي فى ديوانه جملة ماملك هذا الإمام من الخيل فى قصيدة سماها الخيلية وهى من أجود شعره قال فيها :

ان تسألنى عن الخيل التى ملكت يداه سـلنى فإنى عارف فهم
تسعون ألف حصان من كرائمها غير الرماك فما فى قولنـا وهم
فالكمت منهن والشقر الكرام ومنها الشهب والباق والغر بيبة الدهم
كريمة عودت أمر الحروب فما يخفى عليهن إلا النطق والكلم
سنذكر البعض منها فى قصيدتنا يا قوم فاستمعوا للقول تغتنموا
فنى (غزبلان) و(الصناب) مبتدؤ لنا و (بالكاملين) المدح يختتم
(وفتح خير) (صباح الخير)(جوهرها)
(الميمون) و (الفهد) و(المنصور) جيشهم
و (النجم) و (الباز) و (العفريت) إن لحقت
: (لاحق الخـير) وافاها سرورهم
وفى (دهام) وفى (صبحان) فائدة لاعسرة عندها تخشى ولا عدم
و (الحاجز) الجيد المعروف عند (مسا الخـير) الكريم فتلكم للعدى نقم
ومن (هدبان) أنوار لنا وهدى وعن (عيبان) أصحاب الضلال عموا

وعند (زائد خير) فى تجارتنا ربح وأهل (أبى الغارات) قد غنموا
أكرم بها حصنا لو أنها صدمت رضوى لاضحى هشيما وهو منهدم
تمدو فتكبو الرياح الهوج من خجل
منها فيسكنها الإعياء والسأم
فلو قطعت بها البيداء معتسفاً جرت ولم يعيها سهل ولا علم
ولو أردت بها صيدا لأصبح من قنيصك الايلات [1] الغاب والعصم
ولو أردت تصيد الطائرات بها لكان من صيدك العقبان لا الرخم
ولو تسلطها يوماً على اسد الا شرى لما أحصنتها الغيل والاجم
كادت تكون مع العنقاء طائرة لو لم تكن بيدى فرسانها اللجم
فكيف تقوى العدى يوماً على شهب بها الشياطين فى يوم الوغى رجموا
لم ينج منهزم منهن ملتجئ لو أنه برؤوس النيق [2] معتصم
تستغرق البر والأمطار سا كبة وتقطع البحر والأمواج تلتطم
ومن طمرّاتها ألف مـــــعودة للحرب ياشقوة الأعداء لو علموا
منها الغزالة تقفوها الهلالة تتلو ها الجرادة حين القوم تصطدم
وام رزين لا تهوى العصى ومع النعاشية الخير لالوم ولا ندم [3]
وعد أولادها ألف مبينة من الاناث ومثلاها مهورهم
فهذه الشزبّ الجرد السلاهب فى يوم الحروب بها الاعداء تخترم

---

(١) الايلات : الأوعال .

(٢) أى رءوس الجبال العالية .

(٣) هذ البيت لم يظهر له معنى فتركناه على اضطرابه فليتامل .

كادت تعز على من شاء يملكها لو لم يسخرها لنا الواحد الحكم
حمداً وشكراً وتعظيما لنا ولها كما تهنى بهن السادة البهم

وأخذ من النصارى ممباسة والجزيرة الخضرا وكلوة وبت وغيرهن من البلدان التى بالزنج ومن البلاد التى بالهند كذا قيل ، والصحيح أن ممباسة وكلوة أخذها والده الامام سلطان بن سيف وغزا العجم بأرض فارس وله فيهم وقائع مشهورة وأخبار مذكورة وطالت أيامه وعاشت الرعية فى ظل عدله فى أرغد عيش وأنعم بال وعمر عمان كثيرا وأجرى فيها الانهار وغرس فيها النخل والأشجار وجمع مالا جما وملك إماء وعبيدا وقويت عمان به وصارت خير دار . قيل : وكان شديد الحرص على جمع المال وذكروا أن الافلاج التى حفرها بعمان سبعة عشر فلجاً أفلاج المسفاة من الرستاق ، وفلج الحزم، وفلج الصائغى وفلج الهوب ، وأفلاج جعلان التى عند البدو وغيرهن كثير ، وغرس فى عمان وفى ناحية بركا من الباطنة من المبسلى ثلاثين الف نخلة ، ومن النارجيل ستة آلاف وله غير ذلك أموال فى المصنعة من الباطنة لاتحصى وملك من الاماء والعبيد الفا وسبعمائة وغرس أشجارا مجلوبة من البحر مثل الورس والزعفران وذباب النحل وملك من السفن أربعة وعشرين مركبا وقيل ثمانية وعشرين فالكيا . وأسماؤها : الملك ، والفلك ، وكعب راس ، والناصرى ، والواقى ، وآخر لم نعرف اسمه فهذه كانت مراكب كباراً فالملك فيه ثمانون مدفعا وبعض المدافع أتته من الولاية طول الواحد ثلاثمائه شبر وعرضه ثلاثة أذرع وعلو المركب سبع قامات دون الدقاله ، وأوصافه لاتحصى وتلك المراكب الفلك أعرض منها

وأما طوله فربما يكون مثل المذكور الا أنه أخف وأوجز من ذلك بقليل وعنده من النقد شيء عظيم ، والله يؤتي فضله من يشاء وتوفي بالرستاق ليلة الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد الألف ودفن بها فوق القرن غربي القلعة ومدة ملكه تسع عشرة سنة ورثاه محمد بن صالح المنتفقي البصري ساكن الصير بقصيدة لم نظفر بجميعها وإنما وجدنا منها قطعة لا تخلو من تحريف وهي هذه :

الرب باق والخلائق فانيه ... كرهت نفوسهم الفنا أو راضيه
الله عز وجل يفعل ما يشا ... منه القضايا نافذات ماضيه
سبحانه لا جور في أحكامه ... بل كلها بالعدل فينا جاريه
ان المقدر كائن والصبر من ... شأن الموفق ان دهته داهيه
وصروف هذا الدهر شتى والفتى ... خوف الشماتة ما يفوه بخافيه
جربت أيامي التي قد عشتها ... ورأيت كيف فعالها اياميه
وسمعت من أمم وما فعلت بهم ... دنياهم أهل العصور الخاليه
كم شتتت كم ثبتت كم فتتت ... كم بددت جمعا بأبعد ناحيه
كم غيبت من أمة كم شيبت ... من لمة غاراتها المتماديه
نزلت مصائبها على فشيبت ... قلبي ورأسي ما كفاها راسيه
كثرت على فكلما قلت انجلت ... جلت مصائبها وزادت ما بيه
هذا اصفرار اللون مني شاهد ... مثل احمرار دموع عيني الباكيه
أمسى لها متجاهلا وأنا عليم انها أم العقوق الجافيه
ما أضحكتني بعض يوم غلطة ... الا وابكتني بقية عاميه

ما ضرها لو سالمتنى دائما خرجت منها لا علىَّ ولا ليه
ان أثبتت خلدى عزائم همتى فهموم قلبى المسرة نافيه
لـكن مرد أمورنا لإلهنا ان لانت الأيام أو هى قاسيه
لولا الرضا بقضاء مولانا لما نهضت قوائمنا وسارت ماشيه
ولما طعمنا غمض جفن ليلة ولما أسغنا لقمة فى عافيه
بعد انهدام الركن ركن الدين قرن المسلمين مهنى من هو طاغيه
من أكمد الحساد لما ساد وانسد الفساد وقاد روساً عاتيه
نور الرعية سورها سمسورها وسرورها وأبو الجنود الناميه
مخدومنا سيف بن سلطان الامام اليعربى بن الجدود الساميه
ذاك المصور الشهم فراس العدى ذاك الجسور على الامور العاليه
فتحت على يده فتوح لانسل قد عظمها[1] قد اعجزت الحسابيه
فسل النصارى مارأوا فى برهم والبحر من تلك الجيوش الغاسيه
كم أحرقوا كم أغرقوا من مرة كم ذوقوا ضربا يهد الناصيه
كم مزقوا بدداً فشبههم على ضأن غشت فيها سباع ضاريه
مابالكم أولاد الاصفر صفرت جر الوطيس وجوهكم ياصابيه
ثم انقلبتم خاسئين ومسكم نفخ الوبا فبطونكم كالخابيه
وانشد مراكبه التى صدمت مراكبهم واهدتها بنادق حاميه
الملك ثم الفلك ثم الناصرى مع كعب رأس كالجبال الراسيه

---

(١) قوله قد عظمها أى قدر عظمها لغة لبعض العرب من عمان

كم خرقت كم غرقت كم حرقت　　من برشة حربية أو باغيه
كم غادرت جثث الكلاب مخافة　　أو جيفة فى البحر تذهب طافيه
الفرس سلهم حين فروا بعدما　　نظروا فوارسهم اتتهم عانيه
فزعوا من الأبطال والأهوال فان　　قلبت وجوههم السمينة ذاويه
لم لا تلاقـــوا يا محاقة اللحى　　يارفضة الرفض الخسيس الخاسيه
أين التبختر كالعروس ومشيكم　　مشى المطيطا فى بلاد خاليه
لو لم يفر الفرس كانوا فرسوا　　لكنهم بصروه ناراً واريه
آها عليها سطوة آها عليـ　　ـها قوة تركت قوائم واهيه
آها على تلك الرياسة والسيا　　سة والفراسة والخصال الزاكيه
حزنى عليه مؤلم وملازم　　بل مسقم ومهدم اركانيه
ومجنب عينى المنام ومتعب　　قلبى المحب وملهب احشائيه
والمسلمون كبيرهم وصغيرهم　　فى ذى المصيبة كلهم شركائيه
فلهم ولى حسن العزا فى فقده　　ولولده وأخيه ثم الحاشيه
الله يجزيهم ويعظم أجرهم　　وينيلهم صبر القلوب الراضيه
المطمئنة تحت أحكام القضا　　المستجنة بالتقى النورانيه
فى الليلة الغرا وثالث شهرنا　　رمضان غابت شمسه المتلألئيه
ومن السنين ثلاث مع عشرين من　　بعد انقضاء الألف يتلوها مائه
من هجرة نبوية اسلامية　　طوت الامام يد الحمام فأرخوا
لكنه مامات من ترك الورى　　أفواههم تثنى عليه فاغيه
يطرون منه سيرة محمودة　　بالخير سارت والمنافع وافيه
ومفاخرا ومآثرا مشهورة　　ومنابرا تثنى عليه علانيه

لولم يخلف قط من بركاته ... الا ابنه شمس الزمان الصاحيه
الشيخ سلطان الإمام بن الإما ... م بن الإمام أئمـــة متواليه
يكفى وسد مسده وأتى بما ... فيه المزيد من الأمور الماضيه
فاقرأ كلام الله ماننسخ وزد ... من آية أو ننسها ياقارئه
يظهر لك المرجو من بركرنا ... م ان عرفت سباقه ومعانيه
والله يرزق من يشاء بلاحسا ... ب والحسود بغيظه فى شاويه
أما النجابة والمهابة فهى فى ... ذاك الجبين تبين لامتواريه
والسعد والتأييد أمر ظاهر ... والجود إن تسأل بحور طاميه
ملك يفوق جلاله وكماله ... وصف المقال فمـــا يبيد لسانيه
ورث السياسة كابراً عن كابر ... حقاً بحكم الأصل لا كالعاريه
واذا مدحت فيعملن بمدحه ... فى كل رائحة تروح وغاديه

هذا آخر ما وقفت عليه من هذه القصيدة الجيدة المبانى البليغة المعانى وبما وجدناه منها كفاية لأن الغرض حاصل به وزيادة ولله البقاء . وكان فى زمانه فى سنة تسع ومائة وألف وقعت بنزوى قضية غريبة عجيبة اعتنى بتاريخها بعض أهل ذلك العصر فنظم فيهاقصيدة بائية أحببنا إيرادها كما هى لأنها وافية بالمقصود وهى هذه كما ترى :

لقد ظهرت أعجوبة فى زماننا ... بقرية نزوى وهى أم العجائب
ألا فكروا فى أمرها فهى عبرة ... لمن كان يرجو ربه فى العواقب
فتاة أناس بنت ست توفيت ... وقد قبروها فى قبور الأصاحب
وقال حليم منهم قبل دفنها ... حياة بها ماصدقوا قول كاتب[1]

(١) أى قريب .

ولو صدقوا هذا فكيف احتيالهم ... وما قولهم فى حادثات النوائب
وأنى لهم من حيلة غير دفنها ... ولو طلبوا فى ردها ألف صاحب
وقد جهزوها فى ثياب كثيرة ... من الخز والابريسم المتناسب
ولكنهم من بعد ظنوا بأنها ... أصيبت بسحر قول أهل التجارب
فساروا لحفر القبر من بعد دفنها ... فما وجدوها فيه ياذا المآرب
فبعد سنين قد مضت وتكاملت ... حساب تولى عده غير كاذب
رآها فتى ترعى شياها وعندها ... فتاة من الأعراب عنها بجانب
تعرف منها حين لاحت بأنها ... سلالة أشياخ كرام المناصب
تقرب منها ثم أمعن طرفه ... فما شك أن الشخص عين المطالب
فقال لها من أنت قالت فلانه ... فتاة فلان من كرام أطائب
فأيقن حقا أنها بنت ماجد ... سليل سلمان حليف المواهب
وجد أبيه ماجد بن ربيعة ... فتى أحمد أهل الندى والرغائب
وذاك بنزوى وهى من آل كندة ... وقد صح هذا الأمر مع كل كاتب
وجاءوا بها طوع القياد وأحسنوا ... إليها وحلت فى أجل المراتب
وما عرفوها من أبيها وأمها ... وقد جملوها بين ستر وحاجب
وقد أجلسوا أما لها بين نسوة ... حسان كرام نيرات كواعب
ليختبروا عرفانها باختبارهم ... ودار بجنبيها جميع الأقارب
وقالوا لها سيرى إلى امك التى ... تربيت فى حجر لها لاتجانبى
فسارت إليها ثم ألقت جرانها ... على حجرها والرأس فوق الترائب
ومالت وقالت أنت أمى وسلوتى ... وذاك أبى دون الرجال بجانب
فقالوا لأم البنت هاتى علامة ... تبين بيانا شافيا غير كاذب

فقالت لهم فى ظهر بنتى علامة ... فجاءت بأمر لازم غير عازب
وقد صح هذا الأمر مع كل حاكم ... لديه لم منهم حاضر كل غائب
وجاءتهم من آوت البنت خيفة ... من الحبس أو ترمى بشر المعاطب
وجاءت باد تدعى أنها ابنتى ... من البدو حمقى وهى أم الكواذب
وقد وقعت منها وصهم خصومة ... بقلعة نزوى جادها كل ساكب
فقيل لها هاتى أباها تحيرت ... وباءت بخسران بصفقة خائب
فهذا ونجم الجاهلية غارب ... ونجم المعالى طالع غير غارب
فهذا اختصار من عجائب جمة ... ولست بمحص عد تلك العجائب
وقد سألوها كيف حالك عندما ... وضعت بقبر تحت لحد مجانب
فقالت لهم ماراعنى قط رائع ... وما خلت مكروها بتلك المصائب
ولكن أتانى واحد ثم سلنى ... من القبر واستل الثياب جوانبى
وغادرنى عريانة وسط بلقع ... وحيدة شخص بين تلك السباسب
وعاينته حقا يمص أصابعى ... وكف يدى اليسرى فويق ترائبى
وسار وخلانى وبت وحيدة ... بقلب حزين واجب أى واجب
إلى أن بدا ضوء النهار فر بى ... قبيل من الأعراب غير أقاربى
لبثت سنينا عندهم فى ربوعهم ... وقد حجبونى عن قريب وصاحب
وقد جعلونى بعد راعية لهم ... أنا وفتاة منهم غير كاعب
فرحنا بأغنام أنا وفتاتهم ... إلى جابة الوادى لرعى الجوانب
فأشرفت من ضوت[1] إلى أم والدى ... وناديتها يا أم رقى لآيب
فما سمعت صوتى ولا مال قلبها ... لصوت حزين غائب غير غائب

---

(١) ضوت نهر نزوى .

فهذا وكم أبدى لكم من عجائب ... تخر لأدناها رءوس الشناخب
واذ نحن فى بعض النهار بخادم ... رآنا بعيداً وهو غير مقارب
فلما دنى منى رمانى بطرفه ... وناشدنى أخبرته بالمذاهب
فسار إلى أهلى فأخبرهم بما ... رأى من أمور معجبات غرائب
فجاءوا فزفونى إلى خير منزل ... وأعلى محل من محل الثواقب
وفى سمد وسط السويق محلنا ... بتزوى محل الصافنات السلاهب
وقد وصفت هذى أباها وأمها ... وجاءت بايضاح العلى والمناسب
وقد حققت أوصاف بيت ومسكن ... وأوصاف أجداد لهم وأقارب
وعاشت زماناً فى السويق بنعمة ... ولذة عيش فى أجل الرغائب
فهذا عجاب ماجرى مثلها وما ... سمعنا به فى شرقها والمغارب
وعندى هو الحق المبين بأنه ... هو السحر حقاً لاتشكوا أصاحبي
وقد صح عندى يركبون خوامعاً ... ويخرج كل منهم فى السباسب
لهم زجل في سعيهم وغماغم ... ويرمون من عاداهم بالمصائب
وحدثنى منهم فتى غير كاذب ... ببهلى صديق لايزال مصاحبى
وقال الخبير السحر سحران عندنا ... فسحر لذى ظلم وسحر الملاعب
ذووا الظلم منهم يذبحون قريبهم ... ويأكل كل لحمه لا تعاقب
فهذا خذوا عنى وعن كل عالم ... خبير بأسباب الورى ذى غرائب
وذلك فى عصر الإمام ولينا ... هو العدل (سيف) ذوالعلا والمواهب
سلالة سلطان بن سيف بن مالك ... إمام الهدى مفنى العدى بالقواضب
لتسع وألف بعدها مائة خلت ... حساباً تولى رقمه كل كاتب

وصل إلهى مابدا بارق على شفيع البرايا خيرماش وراكب(١)

وهذا كتاب من النصارى للامام سيف بن سلطان اليعربى : الحمد لله فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لانرق لشاكي ولانرحم عبرة باكي قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لايمتثل لأمرنا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا فى الأرض الفساد فان أعجبكم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن أنتم أبيتم وعلى بغيكم تماديتم فالحصون منا لاتمنع والعساكر لدينا لاترد ولا تدفع لأنكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالذل والجزع ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون فإن أعجبكم كلامنا إننا كفرة وقد صار عندنا أنكم فجرة قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ، كثيركم عندنا قليل وعزيزكم عندنا ذليل قد ملكنا الأرض شرقاً وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا قد أرسلنا إليكم هذا الكتاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ولم تبق لكم باقية وينادى عليكم بالفناء هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقد أنصفناكم وأرسلنا عليكم جواهر الكلام والسلام .

هذا جواب الإمام لهم «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » قد حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة لقولكم قد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا من أقبح عيوبكم وأشد وأشنع وبغيتم وذكرتم أنكم كافرون

(١) وفى نسخة وصل على خير الأنام محمد إله البرايا خير ماش وراكب

ألا لعنة الله على الكافرين ، من تعلق بالأصول فلا يبالى بالفروع ونحن المؤمنون حقاً لا يصدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب والقرآن علينا قد نزل فهو رحيم بنا لا يزل ، وخيولنا برية وبحرية وهممنا سامية علية إن قتلنا كم فنعم البضاعة وإن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » وقولكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال : الجزار لا يبالى بكثرة الغنم الكثيرة وإن الله مع الصابرين فنحن بالمنع عالية أمنية إن عشنا عشنا سعداء وان متنا متنا شهداء « ألا إن حزب الله هم الغالبون ، « لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » فقل لصاحبك إذا رصع وشيد مقالته حصل الوقوف على هذا الكتاب كصرير باب وطنين ذباب : « سنكتب ما قالوا ونمد لهم من العذاب مدا » ، وما عندنا بعد ذلك إلا الخيل تمطر بالويل والنار مظهرة العار ، والسيوف مسقية بالحتوف والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى واختار الآخرة على الأولى والصلاة والسلام على خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

باب إمامة سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف
ابن مالك بن أبى العرب اليعربى

بويع له بعد موت أبيه وذلك فى شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وكتب العلامة الصبحى لبعض اخوانه أن سيف ابن سلطان صح معنا موته ثم صح معنا تقديم المسلمين ابنه سلطان إماماً لكافة المسلمين تلقفت صحة ذلك من الفقيه ناصر بن خميس وخلف بن سنان رحمهما الله، وأيضا من الشيخ ناصر بن سليمان ابن مداد وسليمان بن محمد ابن ربيعة المربوعى وقد ولاه على أهل نزوى وقد أرسل الينا وجميع الإخوان الفقيه عدى بن سليمان كتاباً فيه ذكر العقدة ومن حضرها وكان المتولى للعقد عدى هذا وخلف بن محمد بن خميس وسليمان المذكور وكلهم ثقات فقهاء فى هذا الزمان فيما قيل والوالى سعيد بن على وأناس من أهل الغشب مسمون وغير مسمين وكذا أهل الرستاق مع كثير من المشايخ اليعاربة قال : وبلغنى أنهم استتابوه . قال : وفى هذا الكتاب الذى ارسل الينا أن المسلمين رضوا به وأذعنوا له بالسمع والطاعة على شروط شرطوها وعهود أخذوها منه أن لا يقدم على أمر قليل ولا جليل الا برأى المسلمين مع أشياء يطول بها هذا الكتاب . وقال العبد الفقير سعيد بن بشير الصبحى قد ألزمت نفسي ولاية هذا الإمام وطاعته مع ما صح معى وصحت عقدته على يد المسلمين وهو سلطان بن سيف بن سلطان قال وعندى والله أعلم أن امامته فى ظاهر الامر أوجب من امامة أبيه لأن المسلمين دخلوها وحكم التقية

زال عنهم فيما بلغنى قال وعندى أن طاعته لازمة جميع الرعية وولايته لازمة جميع من صح معه صحة امامته كان من رعيته أومن غيرها ، وقد قيل لى فى حصن المسلمين بنزوى بحضرة المشايخ منهم ناصر بن خميس و ناصر بن سليمان وسليمان بن محمد ودرويش وغيرهم من المسلمين ما تقول فى هذا الأمر ؟ فكان جوابى انى قد الزمت نفسى ولايته وطاعته ودعوت اليهما من أجابنى وقد افترقنا على أمر واضح نهار سابع وعشية تاسع وبكرة اثنى عشر من شهر رمضان يعنى انه حصل لهم النظر فى هذا الأمر ثلاثة مجالس فى الثلاثة الأوقات * قال وقد افترقنا على أمر صحيح فى هذه المجالس وقد اتفقنا على امامته بلا كراهية ولا تقية من الجميع . قال وهذا يقتضى جواز الدخول وتنفيذ الأحكام مع الأخذ والعطاء ، وجميع أمور المسلمين بعد التحديد منه وقبله فيه اختلاف لمن جاز له الدخول قبل وكتب هذا سالم ابن عبد الله من املاء الشيخ سعيد بن بشير الصبحى

ثم ان الامام سلطان قام واستقام وجاهد الأعداء فى البر والبحر وحارب العجم فى مواضع شتى وأخرجهم من بلدانهم ودمرهم فى أوطانهم وأخذ البحرين والقسم ولاك وهرموز وبنى حصن الحزم بالجص والحجر وانتقل من الرستاق اليه وانفق فى بنائه مما ورثه من المال من أبيه واقترض كثيراً من أموال المساجد والوقوفات الوفا ولكوكا ووجدت أن جملة مااقترض من أموال الأوقاف خمسمائة فراسلة فضة ودانت له الأمور وسالمته الممالك واطاعته الرعية ولم تتحرك عليه حركة من عمان ولا غيرها وعمر البلاد وذكر الحبسى فى قصيدة من قصائده وقائعه بالعجم وفتح البحرين ورثا من قتل فيها من أمراء الاجناد وهى هذه .

الا فانظروا كيف الأعاجم صاروا غـــدو شجرات مالهن قرار
طغوا وبغوا فى الأرض حتى أصابهم عقـاب اليم مهلك وتبار
فحلت بهم من مالك الأمر نقمة وسـوء عـذاب دائم ودمـار
وقد ضربت أعناقهم بمناصل كما خربت دور لهم وديار
فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم سماجيج وحش عاقهن عثار
وقد شربوا كأساً من الحتف والردى فخروا على الأذقان وهى بدار
وجروا على أذقانهم بعدما جروا بخيل وقد جروا الذيول وجاروا
وقد حملتهم بعد ما عاينوا الظُبا مطايا المنـــايا للبـوار فباروا
ليعلم ملك العجم أن جيوشه الى الموت قد يسرى بهم ويساروا
فدوخهم بالمشرفية فيلق عظيم لديه المعظمات صغـــار
وقد أعـوا من بعد ذلك نسوة عراهن مع سوء الحيـاة صغـار
تباكى عليهم بالنهـــار وبالدجى وادمعها عنـــد البكاء غزار
كأنهم لم يعلمـــوا أن باعنـــا طويل وأعمار العـــداة قصار
دماؤهم هـدرا ولـكن ضربنا لاعنـاقهم يوم النزال جبار
وما ذاك الامن خساسة طبعهم يقولون أضغان الرجال قمار
وليلة سعد مزق الليث ثوبها كأن دجاهـــا بالسيوف نهـار
تزاحمت الأبطـال فيهـا كأنما بها القوم سفن والدماء بحار
ويوم أثار النقع فيـه سحائباً من الحرب حمراً حشوهن غبار
كأن يحاميم العجاجة عارض تلامع فيـه كالبروق شفـار
فما زالت الهيجاء حتى تفرقوا ولـــكن عرتهم ذلة وفرار
وقد صارت البحرين فى ملك سيد كريم زكا فرع له ونجار

سلالة (سيف) نجل سلطانٍ الذى | لنا أمنت سوح به وقفار
هنيئاً امام المسلمين ببلدة | بكم طاب فيها مفخر ونخار
لقد كان فيها للأعاجم غبطة | فزموا مطايا البين منها وساروا
نعم وسقوا من منهل الحتف شربة | بها من عقار الموبقات عقار
فولوكم أدبارهم وتبلدوا | وقد وقفوا دون المحيص وحاروا
وكانوا بها أسدا فلما غزوتهم | غدوا بقرا عونا لهن خوار
رأوا منكم مالا يرى بخت نصر | وما لا يراه مصدع وقدار
فلم يبق فيها للاعاجم ملجأ | ولم يبق فيها لليهود حمار
ولم يبق الا من تراه مجدّلا | قتيلا ومن بين الرجال يجار
فلم تحمهم من أسيف الأسد قلعة | ولما يصنهم معقل وجدار
وما ضرنا من غير موت كرامنا | لانهم عدل بها وخيار
كحميرٍ الزاكى ابن سيف بن ماجد | فتى بعده النوم اللذيذ مطار
ونجل عزيز راشد ومبارك | سليل غريب هم هديت ذمار
ولم أنس ذاك الحضرمى محمدا | فموته للمسلمين خسار
شجاع كفاح لم يقاومه ضيغم | وعضب وغى لم ينب منه غرار
ولكن صبرا فالسنون حوامل | وفيها الليالى وُلَّدٌ وعِشار
وللفلك الدوار عظم عجائب | وفى دهرنا للدائرات مدار
ودم يا امام المسلمين مظفرا | طوال الليالى لانبت بك دار

وهم أن يجعل عمان كجنتى مأرب لحال الحمام بينه وبين مايؤمل والآجال تقطع الآمال ولكل امرىء ما نوى .

وتوفي بحصن الحزم الذى بناه للعزة والمنعة فكان من قدر الله أن صار موضعاً لوفاته ومحلا لجثته بعد مماته فدفن به فى البرج الغربى النعشى وهذا الحصن غاية فى التشييد وهو من عجائب الدنيا ذكر لى بعض الأصحاب أنه الف فى وصفه وفى بنائه كتاب نظماً ونثراً ، فالنظم قصيدة الميمية والنثر شرحها ولم أقف على هذا الكتاب وكانت وفاة الامام يوم الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وكانت إمامته سبع سنين وتسعة أشهر وبموته انتقض الشر فى عمان وجرت فيهم العصبية والحمية وأرادت الرؤساء أن تجعل الدولة ميراثا خالفت أمر أهل العلم والفضل ونسوا الحال الذى منّ الله عليهم بسببه وهو رد الامر إلى أهله فمشت العصبية فى القلوب على حسب ما يأتى ذكره فى الباب الآتى ولله الملك الدائم

باب إمامة مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك

ابن بلعب اليعربى

وهو الذى تزوج بنت الإمام سيف أخت الإمام سلطان ، بايعوه بعد موت الإمام سلطان فى ذلك الشهر بعينه ، رأوه أهلا للامامة لكونه ذاقوة عليها ولم يكن كثير علم لكنه يتعلم ويسأل ولم يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء، وسبب بيعته أنه لما مات الإمام سلطان أرادت اليماربة ورءوس القبائل أن يكون الإمام ولده سيف بن سلطان وكان صبيا لم يراهق وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سلطان لأهليته وقال أهل العلم للناس إن إمامة الصبى لاتجوز على حال ومن لايجوز أن يكون إماما فى الصلاة فكيف يجوز أن يكون إماما على المسلمين يتولى أحكامهم ويلى الأمور والدماء والفروج ولايجوز ان يقبض ماله فكيف يجوز أن يقبض مال الله ومال الايتام والأغياب ومن لا يملك أمره فكيف يملك أمر غيره ، فأبت العامة إلا امامة الصبى وأعاروا العلماء أذنا صماء وتجمعوا واجتمعوا بالسلاح وربما أشهروا سلاحا ووقع بعض الجراح فخاف العلماء وقوع الفتنة وانتشار الشر فقال القاضى عدى بن سليمان الذهلى أمامكم سيف بن سلطان ـ بفتح الهمزة ـ أى قدامكم وأراد بذلك تفريق جمعهم واطفاء الفتنة فعند ذلك نادت العامة بالإمامة وضربت المدافع اظهاراً للامر واشهاراً للامامة وانتشر الخبر الكاذب فى البلدان أن الإمام سيف بن سلطان فلما سكنت الحركات وهدأت الناس أدخلوا الشيخ مهنا الحصن خفية وعقدوا له الإمامة فقام بالأمر واستراحت الرعية فى زمنه وحط عنهم

القعودات(١) من مسكد ولم يجعل بها وكيلا وربحت الرعية فى متجرها ورخصت الاسعار وبورك فى الثمار ولم ينكر عليه أحد من العلماء فى شيء من سيرته فلبث على ذلك سنة ثم خرج عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان ولد الامام المحصور بجبرين وسبب ذلك أن اليعاربة وأهل الرستاق أضمروا العداوة للامام مهنا والقاضي عدى بن سليمان ومن معهما من المسلمين بسبب ماوقع عند بيعة مهنا فلم يزالوا يكاتبون يعرب بن بلعرب ويحرضونه على القيام بأمر سيف والخروج على مهنا حتى خرج على الامام فسار مختفيا إلى مسكد فدخل السكوت الشرقى ووالى مسكد يومئذ الشيخ مسعود ابن محمد الصارمى الريامى فلم يشعر الا ويعرب قد دخل السكوت واهل أهلها لم يخلوا من خيانة وكان الامام خارجا إلى فلج البزيلى من أرض الجوّ فبلغه الخبر فرجع إلى الرستاق وقام وشمر وجاهد وما قصر وطلب من أهل عمان النصرة فخذلوه ونصب له أهل الرستاق الحرب وسأل مهنا النزول من القلعة وأعطوه الامان على نفسه وماله ومن معه ففكر فى أمره فرأى أنه مخذول وليس له ناصر من أهل عمان فتبين له منهم الخذلان فأجابهم إلى ما أعطوه من الامان فنزل من القلعة فزالت بذلك إمامته فأخذوه وحبسوه هو وخشبوه هو وواحد من عمومته وبعض أصحابه بعد ما أمنوهم ثم جاء بعض خدامهم فذبحوهم ظلما وهم فى قيد وخشبة واستقام الامر ليعرب بن بلعرب بن سلطان ولم يكن يدعى الامامة لنفسه وانما يدعيها لسيف بن سلطان الصغير ويعرب قائم بامره وشاد لأزره وسلمت لهما جميع حصون عمان وقبائلها وكان هذا فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف فلبثا على ذلك حولا ثم نصب يعرب اماما

(١) هكذا فى النسخة التى بيدنا ولعله مصحفا عن العقودات فليتأمل .

باب إمامة يعرب بن بلعرب بن سلطان
ابن سيف بن مالك

وكان قد خرج باغيا على الامام مهنا على حسب ماتقدم فتاب من بغيه وردالأمر إلى القاضى عدى بن سليمان الذهلى فاستتابه من جميع أفعاله ومن بغيه على المسلمين وتعديه على مهنا بن سلطان واغتصابه لدولة المسلمين قالوا وكان يعرب مستحلا فى خروجه هذا لانه يظن ان الامامة لسيف وانها قد غصبت منه فلم ير الشيخ عدى عليه ضمان ماتلف لشبهة الاستحلال والمستحل لايلزمه غرم ماتلف فقبلوا توبته من غير غرم وبايعوه سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الالف فاستقام له الامر وسلمت له حصون عمان ولبث فى الرستاق أياماً يسيرة ثم سار إلى نزوى فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة فلم يرض أهل الرستاق ان يكون يعرب اماما فتعصبوا لسيف بن سلطان الصغير فكاتبوا يعرب بن ناصر اليعربى وهو خال سيف بن سلطان وكان بنزوى وكان سيف معه فما زالوا به حتى خرج من نزوى لست مضت من شوال من هذه السنة وقصد بلاد سيت فخالف بنى هناءة على القيام معه على أن يطلق لهم ماحجر عليهم الامام ناصر بن مرشد من البناء وحمل السلاح وغير ذلك وأعطاهم عطايا جزيلة فصاحبوه الى الرستاق فاستقام الحرب فى الرستاق وأخرجوا الوالى منها وذلك أنهم أحرقوا باب الحصن فاحترق وجه الحصن جميعاً واحترق ناس كثير من بنى هناءة رؤساؤهم ورؤساء بنى عدى وقيل ان جملة المحترقين مائة وخمسون رجلا واحترقت كتب كثيره مثل بيان الشرع والمصنف

وكتاب الاستقامة ومجلبات الطلسمات قدر أربعين مجلبا واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير بعمان وظهر من هذا الحرق مال عظيم مخزون فى والج الجدار فلما بلغ الامام ماصنع أهل الرستاق مع الخارجين عليه جهز سرية أمر عليها صالح بن محمد بن خلف السليمى وامره بالمسير الى الرستاق فسار حتى وصل العوابى فلم تكن لهم قدرة على الحرب فرجعوا .

ثم ان يعرب بن ناصر كتب إلى والى مسكد أن يخلصها لهم وكان الوالى بها يومئذ حمير بن منير بن سليمان الريامى الازكوى من أهل حارة الرحاء فخلصها لهم وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب ثم اخرجوا سرية وعليها مالك بن سيف بن ماجد اليعربى فوصل إلى سمائل وافتتحها بغير حرب وصحبه بنو رواحة وجاء إلى أزكى فأخذها بغير حرب فخرج الوالى منها فى شهر القعدة من هذه السنة ثم أن الامام يعرب خرج بمن معه من أهل نزوى وبنى ريام والقاضى عدى بن سليمان الذهلى ووصل إلى ازكى وخرج إليه مشايخ ازكى بالضيافة والطعام وقالوا له نحن معك فمكث يومين يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن فلم يخرج فنصب يعرب له الحرب فضربه ضربتين بمدفع ثم وصل عساكر بنى هناءة يقدمهم على ابن محمد العنبورى الرستاقى فتفرقت عساكر يعرب وقتل منهم كثير ودخلت رصاصة مدفع عند الحرب فى فم مدفع يعرب وكان ذلك من سوء الحظ وتفرقت عنه جماعته ورجع إلى نزوى وأما القاضى عدى بن سليمان فانه سار إلى نحو الرستاق فأخذه قوم يعرب بن ناصر هو وسليمان بن خلفان وغيرهما وصلبوهم وجاء رجل من أعوان يعرب بن ناصر فقتل سليمان بن خلفان والقاضى عدى بن سليمان قتلهما مصلوبين وسحبهما أهل الرستاق

وذلك يوم الحج الاكبر من هذه السنة ثم مضى العنبورى إلى نزوى
وجعل يكاتب الامام وهو فى قلعة نزوى ودخل عليه اناس من أهل نزوى
فسألوه الخروج منها لحقن الدماء فلم يزالوا به حتى أعطاهم ذلك على أن
يتركوه فى حصن جبرين ولا يتعرضوا له بسوء فأعطوه العهد على ذلك
وخرج من نزوى فزالت امامته بذلك ومضى إلى جبرين ودخل العنبورى
قلعة نزوى وضرب جميع مدافعها ونادى بالامامة لسيف بن سلطان فخلصت
لهم جميع حصون عمان وسلمت لهم كافة القبائل والبلدان

باب الأحوال الواقعة بعد تغلب يعرب

ابن ناصر ومن معه على الدولة

وذلك أن يعرب بن ناصر قام بأمر الدولة في منزلة النائب لسيف ابن سلطان الصغير واستقام له الأمر شهرين إلا ثلاثة أيام ووفدت إليه القبائل ورؤساء البلدان يهنونه بذلك ثم وقع من يعرب بن ناصر تهدد على بعض القبائل وخاصة بنى غافر وأهل بهلى فقيل انه لما قدم محمد بن ناصر الغافرى فى جماعة من قومه وقع عليهم تهدد من يعرب بن ناصر فرجع محمد بن ناصر بمن معه مغضبا وجعل يكاتب يعرب بن بلعرب وهو المخذول آنفا ويكاتب أهل بهلى ليقوموا بالحرب وركب هو قاصداً إلى البدو من الظفرة وبنى نعيم وبنى قتب وغيرهم .

وأما يعرب بن ناصر فإنه أرسل إلى رؤساء نزوى أن يصلوا إليه فرأوا منه محلا وكرامة وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان ثم انه سرى سرية وأمر عليها أخاه سليمان بن ناصر وأمره بالمسير من جانب وادى سمائل إلى يعرب بن بلعرب ليأتيه به إلى الرستاق وأمر أهل نزوى أن يصحبو تلك السرية فلم يزالوا يتشفعون برؤساء الرستاق ليعذرهم من ذلك فعذرهم ومضت السرية حتى وصلت فرقا وباتت فيها فبعث لهم أهل نزوى بطعام وعشاء فبينما هم كذلك إذ سمعوا ضرب المدافع فى قلعة نزوى فسألوا ما الخبر فقيل لهم أن يعرب بن بلعرب دخل القلعة فعند ذلك رجعوا إلى أزكى فأشار من أشار على سليمان بن ناصر بقبض حصن أزكى ففعل

ذلك ومكث فى أزكى وكان يعرب بن ناصر قد سرى سرية أخرى إلى يعرب وبعثهم من جانب الظاهرة فلما وصلوا بهلى قبضهم أهل بهلى وقيدوهم بها وبعث سرية أخرى إلى وادى بنى غافر فانكسرت ورجعت إلى الرستاق وأما يعرب فانه بعث سرية إلى أزكى تسحب مدفعين فلما وصلوا أزكى ركضوا على الحصن وانكسروا وقتل منهم ناس ورجعوا إلى نزوى ثم سرى سرية ثانية إلى أزكى فأقاموا بالجنى الغربيات يومهم وأصبحوا راجعين من الليل ولم يكن بينهم حرب ثم سرى سرية ثالثة ووصلوا إلى أزكي ومكثوا بالجنى الغربيات يضربون الحصن بمدفع فمكثوا على ذلك قدر خمسة عشرة أيام ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى أزكى فخرج هو وأهل الحصن إلى قوم يعرب فانكسر مالك بمن معه فأغارت البدو من قوم يعرب على سدى وحارة الرحاء من أزكى فنهبوا من طرفيهما وأحرقوا مقام حمير بن منير وكان خارجا من حارة الرحاء ثم ركض ولاة سرية يعرب على أهل اليمن من أزكى فانكسروا وقتل والى السرية محمد بن سعيد بن زياد البهلوى وقيل لمالك بن ناصر أن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب حتى ركضوا على اليمن فأرسل إلى مشايخ النزار وقيدهم بالجامع من أزكى ثم أنه أرسل إلى أهل الشرقية فجاءت منها عساكر كثيرة وجاء بنو هناءة بخلق كثير واجتمع العساكر بازكى فركضوا على سرية يعرب واخرجوا الطبول واناسا قليلا من جانب المنزلية وخرجت العساكر من جانب العتب يوم الجمعة عند زوال الشمس فكانت بينهم وقعة عظيمة تسمع فيها ضرب التفق كالرعد القاصف وبريق السيف

كالبرق المتراسل فانكسرت سرية يعرب ووقع فيهم قتل كثير وقتل من الفريقين قدر ثلاثمائة والله أعلم .

ثم أن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من العساكر وقصد قرية منح وأغارت شرذمة من قومه على فليج وادي الحجر فقتلوا منه ناسا ونهبوا ما فيه واحرقوا من زكيت بيوتاً وكذلك من المحيول حتى وصلوا منح فنهبوا حجرة معمد وأحرقوا بيوتها وقتلوا من قتلوا وتفرق أهلها ثم ساروا إلى نزوى ووصلوا إلى مسجد المخاض من فرق فضربوا هنالك معسكرهم وأقاموا محاصرين نزوى وافسدوا الزرع واحرقوا سكاكر كثيرة من الحيلي والخضراء واحرقوا مقامات من فرق وعاثوا فى البلاد ثم خرج إليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب فوقع بينهم الحرب ثم رجع كل فريق منهم إلى مكانه وقتل من قتل من الفريقين وكان الحرب والقتل بينهم كل يوم إلى ماشاء الله واشتد على أهل نزوى البلاء ثم وقعت بينهم وقعة عظيمة لم نسمع بمثلها إلا ماشاء الله وكادت تكون الهزيمة على قوم مالك إلا أنهم لم يجدوا سبيلا للهزيمة والهرب إذ قد أحاطت بهم الرجال كحلقة الخاتم بعد ما انهزم منهم أكثر من النصف وبقى من بقى فظنوا أن لاملجأ من القتل فعزموا عزماً قوياً وجدوا فى القتال وأما أهل نزوى فظنوا أنهم غالبون لامحالة فاشتغل أكثرهم بالنهب والسلب واتكل بعضهم على بعض فعطف عليهم القوم بعزم ثابت وجد واجتهاد فولوا منهزمين فكثر فيهم القتل والجرح واتبعهم القوم يقتلون ويسلبون إلى الموضع المعروف بجنور الخوصة قريبا من جناة العقر فقتل كثير من أهل نزوى فى ذلك اليوم ورجع قوم مالك إلى معسكرهم ولم تزل الحرب

بينهم قائمة كل يوم ثم أن مالكا خرج بكافة أصحابه إلا قليلا تركهم في المعسكر حتى وصل قريباً من جناة العقر فأراد أن يحاصرهم فى بستان مويخ وينقب جدرها لمرامى التفق فخرج إليهم أهل نزوى فدارت رحى الحرب بينهم ساعة من النهار ثم قتل مالك بن ناصر فانكسر قومه ورجعوا إلى معسكرهم وأقاموا هنالك إلا أن قوتهم ضعفت بموت مالك ولم تزل الحرب قائمة بينهم وبين أهل نزوى حتى وصل محمد بن ناصر الغافرى بجيش من الغربية بعد حروب كثيرة وكانت بها وقعات عظيمة منها بوادى الصقل ومنها بالجو ومنها بضنك ومنها بالغبى فلما وصل محمد بن ناصر أمر بالركضة عليهم فركضوا عليهم وأحاطوا بهم ووقع بينهم الحرب والرمى بالتفق من الصبح إلى الليل فلما أجنهم الليل أمر محمد بن ناصر أن يفسحوا لهم من الجانب الأسفل من الوادى مما يلى فرق ففسحوا لهم فأصبحوا مهزمين وأصبح منزلهم من الليل خالياً ليس فيه أحد وتفرقوا ورجع محمد بن ناصر إلى نزوى وكان يعرب بن بلعرب مريضاً فأقام محمد بن ناصر بنزوى أياماً قلائل وكان الحصار لنزوى قدر شهرين إلا ستة أيام ثم أن محمد بن ناصر أمر بالمسير إلى الرستاق فسار إليها بجيش فدخلها ونزل بفلج الشراة وأراد أصحابه أن يركضوا على البومة التى فيها على بن محمد العنبورى فنهاهم عن الركضة إلى أن ركض العنبورى وأصحابه فأمر محمد بن ناصر قومه فركضوا ووقع بينهم حرب عظيم فقتل العنبورى وقتل من قتل من قومه وانكسر الباقون ورجع محمد بن ناصر إلى فلج الشراة ودخل فى اليوم الثانى إلى فلج المدرى فالتقاه يعرب بن ناصر مذعنا فصالحه على تسليم قلعة الرستاق فأراد يعرب

أن يخدع محمد بن ناصر وكان محمد فطنا حذرا فأبى أن يدخل إلا أن يدخل جميع القوم فلما دخل كافة قومه دخل هو ووقع من القوم فى البلد السلب والنهب والسبى فى الذرارى حتى أنها بيعت وحملت إلى غير عمان وذلك بما كسبت أيديهم جزاء بما كانوا يعملون وبما فعلوا فى قاضى المسلمين عدى بن سليمان وبما فعلوا بإمامهم مهنا وبأفاضل المسلمين والله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومات يعرب بن بلعرب بنزوى ومحمد بن ناصر بالرستاق لثلاث عشرة خلت من جمادى الاخرى من سنة خمس وثلاثين ومائة والف وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم العدو نحوا من خمسين يوماً

ثم أن محمد بن ناصر أمر بتقييد يعرب بن ناصر بعد ما أمر يعرب بتخليص الحصون التى بيده ولم تبق الا مسكد وبركا فى أيدى بنى هناءة وفى كوت مسكد جاعد بن مرشد بن عدى اليعربى واحتالوه حتى أخذوه منه وأوصلوه بلد نخل وأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأشهر أن الامام سيف بن سلطان وهو مع ذلك كله غير بالغ الحلم وتفرق أهل الرستاق فى الجبال والأودية فقيل أنه وجد بكهف من جانب حلاة المهاليل مائة نفس من صبيان ونساء ميتين من العطش خافوا أن يرجعوا إلى الرستاق فيحملهم البدر فيبعونهم وجاءت كتيبة لمحمد بن ناصر بعد أخذ الرستاق بثلاثة أيام قدر الف ونصف من بنى قليب وبنى كعب أصحاب تفاق ورماح ووصل رحمة بن مطر بن رحمة الهولى بقدر خمسة آلاف من بدو وحضر وفيهم من لا يعرف العربية و لا يعرف صديقاً من عدو فكان منهم ماسيأتى ذكره .

باب افتراق اهل عمان بالتعصب الباطل

الى غافرى وهناوى

وسبب ذلك هذه الفتن المذكورة فيما مضى وفيما سيأتى ، فان المتعصبين فيها المحمد بن ناصر الغافرى سموا بالغافرية ..والمتعصبين لخلف بن مبارك الهنائى سموا بالهناوية ، وكان خلف بن مبارك المعروف بالقصير من أهل الغشب لم يكن بالرستاق فى وقت الحرب فقهر حصن بركا ومسكد فى يده ومعه بنو هناءة فأرسل محمد بن ناصر على بن محمد الخروصى واليا لحصن بركا فقتل ورجع أصحابه الى الرستاق مع محمد بن ناصر ، فأمر محمد ابن ناصر الجيش بالمسير الى بركا فسار رحمة بن مطر بقومه وحمزة بن حماد القليبى بقومه وأحمد بن على الغافرى بالعسكر الذى خرج من عند محمد ابن ناصر ومحمد بن عدى بن سليمان الذهلى بالقوم الذين جاء بهم من الصير ومحمد بن ناصر الحراصى بقومه فسار هؤلاء كل وال على قومه حتى نزلوا مصنعة ، ثم ورد كتاب من قرع الدرمكى من بنى هناءة لرحمة بن مطر : انك لا تصل الينا فنحن واصلون اليك على معنى التهديد فلما قرأه وعرف معناه أمر بالمسير الى بركا وقدم عيونا من أصحابه فوجدوا قرعا وأصحابه مقبلين اليه فالتقاهم رحمه بمكان يسمى القاسم فوثب عليهم قضيب المولى على فرس والقوم على أثره فقتل منهم عشرة رجال وانكسر أصحاب قرع وجرح قضيب جرحا هينا وسار رحمة مشرقا بالقوم حتى نزلوا بالحفرى

التى هى للجبور حتى يستريحوا ويأكلوا ، ثم انه بعث عيوناً فوجدوا خلف ابن مبارك قد طلع بقومه براً وبحراً بجيش لا يعلم عـــدده الا الله ، وكان عدد القوم الذين هم أصحاب محمد بن ناصر خمسة عشر الفا من بدو وحضر من سائر القبائل فالتقوا غربى بركا فوقعت بينهم صكة عظيمة وكانت عند أصحاب رحمة مدافع فضربوا الخشب التى فى البحر فأغرزت الخشب بحراً وانــكسر خلف بن مبارك وأصحابه وركب ناقته واتبعهم أصحاب محمد بنى ناصر يقتلون ويأسرون فلم يجدوا ملجأ من القتل وكانوا يدخلون البحر ليتخلصوا فى المراكب فأغرزت بحراً فلم ينالوها والقوم تضربهم بالتفق فهلـكوا جميعاً وأخذوا سلبهم من سلاح وغيره من جميع ما معهم فلفظهم البحر فوجد جميع القتلى الفاً واثنى عشر رجلا ولم يزالوا يتبعونهم حتى دخلوا حصن بركا ، ثم نزل أصحاب محمد بن ناصر الغافرى بجانب الجبل من بركا فحاصروا الحصن فأقاموا أربعة أيام، ثم أن أهل الحصن تخلصوا فى المراكب ومضوا إلى مسكد ولم يبق به الا القليل وليس فى البلد أحد ، ثم أن أصحاب محمد بن ناصر رجعوا الى الرستاق ورحمة بن مطر رجع الى بلده فأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأصابه جدرى شديد حتى خيف عليه منه ثم عوفى، ثم أنه أمر بالمسير الى ينقل وجعل فى الرستاق محمد بن ناصر الحراصى واليا بالرستاق وعنده أصحاب بهلى وسنان بن محمد بن سنان المحذور الغافرى قائماً بقلعة الرستاق ، وسار محمد بن ناصر وسيف بن سلطان وحمل معه كافة اليعاربة ويعرب بن ناصر مقيداً حتى نزل مقنيات وكانت اقامته بالرستاق قدر شهرين ، فلما نزل بمقنيات أرسل الى قبائل الظاهرة وعمان يستمدهم

وبنى ياس فجاء اليه القوم والتقوا عنده عساكر كثيرة قدر اثنى عشر الفاً وكان نزوله بفلج المناذرة من طرف ينقل وأرسل الى أهل البلد أن يسلموا له الحصن فأبوا ولم يردوا له جوابا وارتفع وقت الصبح يريد الانتقال منها الى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحيدث من البطحاء فالتقاه بنو على بمن معهم من أهل ينقل فوقعت بينهم صكة عظيمة وقتل من بنى على قوم كثير والمعروف منهم ابن شيخهم سليمان بن سالم ومن أصحاب محمد بن ناصر سالم بن زيادة الغافرى وسيف بن ناصر الشكيلى واحد من الجرحى ، ثم أنه نزل شريعة المحيدث من الجانب الأعلى وأقام يحاصرهم ويضربهم بالتفق والمدفع ووقعت بينهم صكة عظيمة فقتل خلق كثير وقتل من أصحاب محمد بن ناصر الوالى محمد بن خلف القيوضى وأحد من بنى عمه ثم انهم كسروا الماء عن البلد فلم يبق معهم ماء فعند ذلك صالحوا على تسليم الحصن ووصل الخبر الى محمد بن ناصر أن سعيد بن جويد دخل السليف مع الصواوفة من بنى هناءة بقومه فأمر القوم بالمسير الى السليف فلما وصلها ارسل الى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدوا الطاعة فأبوا ووصل اليه الصواوفة من أهل تنعم مؤدين الطاعة، ثم أنه أمر بالركضة على حصن المراشيد من السليف فركضوا عليه وهدموه على من فيه من نساء ورجال وأولاد ، ثم ان سعيد بن جويد طلب التسيار الى بلده هو واصحابه فسيره محمد بن ناصر وزوده ، وبقى بالسليف حصن الصواوفة وحصن المناذرة : فاما المناذرة فانهم لما رأوا ما أصاب المراشيد صالحوا وأدوا الطاعة لمحمد بن ناصر فسلموا ولم يصبهم بأس وأقرهم مكانهم ، وأما الصواوفة فلم

يؤدوا الطاعة فأقام يقطع نخيلهم والقتل فيهم كل يوم وفسح للبدو من أصحابه الا بنى ياس وقبائل الحضر وكان الحصار فوق شهرين ، ثم أنهم صالحوا على هدم حصنهم بأيديهم فهدموه وكان خلف بن مبارك بالقصيّر لما رأى محمد بن ناصر مشتغلا بحرب السليف حاصر الرستاق وقتل واليها الغافرى المقيم بالقلعة فخرج محمد بن ناصر الحراصى من حصن الرستاق فدخله خلف وخلصت له الرستاق وكان سباع العنبورى قد أخذ حصن صحار فلم ير محمد بن ناصر الرجوع عن السليف فيمضى الى الرستاق صحارى فيقوى عليه العدو ؛ ثم ان خلف بالقصير سار على حصن الحزم وكان الوالى فيه عمر بن صالح بن محمد الغافرى فحاصروه ورد الفلج عنه وأرسل اليه خلف أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان فأبى وكتب الى محمد ابن ناصر يخبره الخبر وأنهم لم يبق معهم ماء الا بركة قليلة فسار محمد بن ناصر إلى الحزم بعد ما صالح أهل السليف وهدم حصنهم بجيش عظيم لا يعلم عدده إلا الله فلما وصل الحزم ركض على أصحاب خلف فقتل من قتل منهم وولوا هاربين وتركو آلة حربهم من دوى ورصاص وطعام ورجع محمد بن ناصر من الحزم إلى الظاهرة ولم يمر على الرستاق لأنه كان قصده بلاد سيت وحشر من البدو والحضر واجتمع عنده عسكر كثير وسار من الظاهرة إلى بلاد سيت فأرسل اليهم ليؤدوا له الطاعة فأبوا فحاصرهم وأمر القوم بالهجوم عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ركضوا على العارض وهى لبنى عدى فأخذوها وأخذوا «غمر» وخلصت له بلدان بنى هناءة من العلو ولم يبق فيها أحد منهم فالذى قُتل قُتل والذى طلب التسيار سيره بأمان ؛ وقتل من أصحاب محمد بن ناصر عند الركضة على باب بلاد سيت قدر

عشرة رجال وجرح أناس ثم انه أمر بالمسير إلى نزوى فسار اليها وأقام بها
قدر ستة أشهر بعض الشتاء إلى أن جاء القيض وأرسل إلى أهل البلاد من
أهل منح أن يؤدوا الطاعة فأبوا فجهز لهم جيشاً لحاصرهم الجيش وقطعوا نخيلهم
من أهل (الفيقين) و (جرعالى) حتى أدوا الطاعة من بعد ماذهبت أموالهم ،
وأمر بالمسير إلى الظاهرة ونزل بالغبي وأخذ فى جميع القوم حتى اجتمع عنده
خلق كثير من البدو والحضر وأمر على أهل الظاهرة أن يسيروا التمر إلى
الحزم وصحبهم أهل وادى بنى غافر ومن ذويهم وسار هو وجميع من عنده يريد
بلد العوامر من الشرقية فالتقوا هم والعوامر وآل وهيبة من بدو وبنى هناءة
فوقع بينهم حرب عظيم حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن
ناصر ثم انهم ثابوا وثبتوا فوقعت الهزيمة على بنى هناءة وقتل منهم خلق
كثير واتبعوهم حتى دخلوا حجرة العاقل فرجع محمد بن ناصر ومن معه
غالباً مظفراً وكان فى صحبته سيف بن سلطان إلى يبرين ثم أنه وصل إلى
الظاهرة ليجمع قوماً فاجتمع عنده خلق كثير فوصل بهم إلى نزوى وجمع
أهل نزوى وبهلى وأزكى وبنى ريام وسار بهم إلى سيفم وأرسل إلى سعيد
ابن جويد الهناوى ومن معه من أهل العقير والغافات فأبوا فحاصروهم ، ثم
خرج سعيد بن جويد ومر على الظاهرة ووصل إلى صحار فجمع قوما من
صحار وينقل لان ينقل نكثت الصلح فاجتمع معه خلق كثير وجاء إلى
(عملى) و (ضم) وجمع جملة بنى هناءة ومن ذويهم من وادى العلا وجميع
بلدانهم فلما وصل فلج العيشى وأراد أن يركض على محمد بن ناصر وأصحابه
وكان مدة غيبة سعيد بن جويد سبعة أيام ومحمد بن ناصر قد فرق العيون
فى الاماكن خيفة أن يهجم عليه على غفلة فأخبرته العيون أن سعيد بن

جويد أقبل فى جمع كثير فأمر أن يلتقوهم دون البلاد فالتقوا (فى) صدر الغافات فوقع بينهم حرب عظيم وقتل سعيد بن جويد الهناوى وقتل من اصحابه غصن العلوى صاحب ينقل وجملة من أصحابه وانكسر الباقون وأمر محمد بن ناصر بالغزوة فى كل بلد ملكها بهلى ونزوى وبلدان الظاهرة لاظهار الناموس وسحب أصحاب محمد بن ناصر سعيد بن جويد بعد أن قتل إلى حصن الغافات وفيه عياله وأولاده وقومه لينظروه ليؤدوا الطاعة فأبوا لخاصرهم قدر شهرين وفرغ ما عندهم من الطعام حتى أكلوا ما عندهم من الانعام والقائد لأصحاب محمد بن ناصر مبارك بن سعيد بن بدر لأن محمد بن ناصر رجع من بعد الصكة إلى يبرين ثم انهم صالحوا بعد ما فرغ ماعندهم وقتل من قتل منهم وذهبت أموالهم وكان الصلح على هدم الحصن فهدموه بأيديهم ووصلوهم بأمان ، وبقى حصن المقير محاربا لم يؤدوا الطاعة وفسح محمد بن ناصر لمبارك بن سعيد بن بدر وجعل مكانه راشد بن سعيد بن راشد الغافرى وأقام محاصراً حصن المقير ومعه أهل بهلى ونزوى وأزكى والظاهرة وبنو غافر وبنو ريام وداروا به فلا يخرج منه أحد ولا يدخل حتى فرغ ماعندهم وطلبوا الصلح. فصالحهم على هدم الحصن فهدموه بعد ماتلفت أموالهم ولم تبق نخلة ولا فلج وقد أكلوا جميع أنعامهم ومواشيهم فعند ذلك صالحوا فأعطوهم الأمان ووصلوهم ورجع القوم كل الى بلده .

وأما خلف بن مبارك (ه) جمع قوماً ونزل وادى المعاول وانتقل بهم الى نخل لخاصرها وكان فيها مرشد بن عدى فمكث أربعة أيام ثم خرج مرشد من الحصن فأحرقوه وهدموا منه ماقدروا عليه ومع ذلك صالحه

أهل حجرة الجميمى ثم عقب عليهم من عقب ودخلوا البلد وهرب أهلها الى سمائل وبعضهم التجأ في حجرة الجناة مع بنى مهلل ثم أن الذين بقوا عند بنى مهلل أرسلوا إلى أهل نخل أن يجيئوا من جانب الحمام فجاءوا بقوم من حيث لايدرون بهم آ ل مهلل فدخلوا عليهم عـلى حين غفلة منهم وقتلوا منهم من قتلوا فخرجوا إلى وادى المعـاول حتى أن المعاول نصروهم وذمروا لهم الحرب إلى حجرة الجناة فمكثوا يحاربونهم ثلاثة عشر يوما لا يهدأ ضرب التفق حتى أنهم انهزموا من الحجرة وكثر فيهم القتل وتخيبوا ، ثم ان المعاول قالوا لا نبغى حجرة فى الجناة فهدموها ومكث نخل مدة من الزمان لم يوجد فيها من الانس إلا الكلاب والسباع على القتلى ومن بعد قسموها على بنى هناءة ومكثوا فيها إلى أن ملك سيف بن سلطان بعد ما بلغ الحلم وأقيم إماما فعنـد ذلك سلموها لأهلها وذلك أوان تخليج النخل فصاروا يتوسلون بالقاضى ناصر بن سليمان المدادى فى نزوى فجاءوا بخط الى المعاول فسلموها لهم .

وأما محمد بن ناصر فجهز جيشا من البدو والحضر فقصد به بلدان الحبوس من الشرقية من المضيبى والروضة والتقى بجيش خلف بن مبارك بالقصير والحبوس وغيرهم من بنى هناءة بالمضيبى فوقع بينهم حرب عظيم وانكسر خلف بن مبارك وتحصل فى حجرة المضيبى فحاصرهم محمد بن ناصر وقطع أموالهم فطلبوا الصلح والأمان فأمنهم وأدوا الطاعة ولم يعلم محمد بن ناصر أن خلف بن مبارك معهم فى الحجرة فجاءه من جاءه وأخبره أن خلفاً معهم بالحجرة فلم يستحسن أن ينكث عهده وصلحه ثم خرج خلف من المضيبى هاربا فاتبعه محمد بن ناصر بجيشه حتى وصلا ابرى ودخل خلف

ابرى ولم يظن أن محمد بن ناصر يتبعه الى ابرى فأقام مع الحارث فأرسل اليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا الطاعة ويخرجوا خلفاً من عندهم فأبوا فأقام على حربهم كل يوم يقطع نخلهم ويدمر أنهارهم فظنوا أن ليس لهم قوة على حرب محمد بن ناصر فأخرجوا خلفاً من عندهم خفية وكان خلف رئيس بنى هناءة كافة ومضى إلى مسكد ، ثم أنهم صالحوا من بعد خروج خلف وأعطاهم محمد بن ناصر الامان ورجع عنهم وأقام بيبرين وكان أكثر إقامته بها ثم انه سار إلى الظاهرة وجمع منها خلقاً كثيراً وغرب بهم ولم يعلم به من قومه أحد أين يريد فمر ببلدان بنى نعيم وجمع بنى ياس وبنى نعيم وغيرهم وسار بهم ومر على نجد الجرى ومر على بلدان بنى قليب فصحبه من صحبه منهم ومضى على خط الباطنة حتى خاف منه أهل صحار فلم يغشهم ثم شرق فخاف أهل فلج الحواسنة ان يدمر واديهم وأصحابه يأخذون كلما وجدوا من إبل وغنم وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو وعلم به خلف بن مبارك بالقصير فالتقاه عند إفلاج عرعر فوقعت بينهم صكة عظيمة فولى اصحاب خلف هاربين ودخل خلف فى بيت واتبعه محمد ابن ناصر بقومه ولم يعلم انه فى ذلك البيت وظن خلف أن محمداً تركه بعد القدرة فدخل محمد بن ناصر الرستاق وجعل يدمر من انهارها ويكاتبهم أن يؤدوا الطاعة فأبوا ودمر فلج الميسر وفلج بو ثعلب والحمام وقطع شيئاً من النخل ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه حتى أنهم هموا ان يؤدوا له الطاعة فجاء الى محمد بن ناصر خبر أن راشد بن سعيد الغافرى أخذ حصن مقنيات والوالى فيه مبارك بن سعيد بن بدر وكان ذلك حسداً منه لمبارك لتقدمه مع محمد بن ناصر فأمر بالنهوض من الرستاق

وتركها بعد مادمر أنهارها ثم ان على بن ناصر بن حمد الكلبانى مضى الى راشد بن سعيد وناصحه وخلص له الحصن وضمن له أن لا تصيبه عقوبة من محمد بن ناصر فقبض على بن ناصر الحصن الى أن وصله محمد بن ناصر فترك فيه مباركا واليا وترك معه الحواتم وسار قاصداً الى يبرين فمكث بها ماشاء الله ثم وصل بمن معه الى نزوى وبويع له فيها بالامامة على حسب ما سيأتى :

باب إمامة محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة
ابن خميس الغافرى

نسبة إلى غافر جد له ووجدت أنه من سامة بن لوى بن غالب وذلك أن محمد بن ناصر لما كان منه ماذكرنا من الحروب ووصل إلى نزوى بمن معه أرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عمان وشرقها فاجتمعت إليه جموع كثيرة فطلب إليهم أن يبرأ من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين وأن يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان واعتذر إليهم فلم يعذره القاضى ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد ووالى نزوى عبد الله بن محمد بن بشير بن مداد ومن حضر من المشايخ من رؤساء القبائل ولم يزالوا فى معالجة هذا الأمر وغلقت أبواب حصن نزوى والعقر فلا يدخل فيها أحد ولا يخرج يومهم ذلك وليلتهم حتى قرب الفجر فعقدوا له الإمامة وضربت مدافع قلعة نزوى ونادى المنادى له بالإمامة والعز والأمان لكل قبيلة تريد المواجهة من يمن ونزار من بدو وحضر وكان هذا ليلة السبت لسبع ليال خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وألف وانظر فى مبايعتهم له بعد تلك الأحداث المنكرة والأحوال المهولة وفى كشف الغمة أنهم بايعوه تقية .

قلت ولا يسوغ ذلك لقضاة المسلمين وعلمائهم غيرأن الأمر يحتمل أحد شيئين اما أن يكون محمد بن ناصر محقاً عندهم فى حروبه السابقة لأن يعرب بن ناصر وأشياعه كانوا بغاة على المسلمين وعلى هذا الاحتمال فيقال ان تلك الأحداث إنما كانت من معرة الجيش ومن أحداث بعض السفهاء كما وقع بعض الأحداث فى جيوش أهل العدل وهم لم يرضوا بذلك ولا صوبوا فاعله والاحتمال الثانى أن يقال أن تلك البيعة كانت

على سبيل الدفاع حتى تضع الحرب أوزارها وللمسلمين أن يقدموا
فى الدفاع إذا غشاهم العدو من لا ولاية له عندهم إذا رأوا صلاحيته
لذلك وأن غيره لا يقوم مقامه فثبتت إمامته عليهم على الشرط الذى
شرطوه عليه وتجب عليهم طاعته إذا دعاهم لدفع عدوهم على حسب
ما بايعوه وإنما جازت الإمامة هاهنا لمن لا ولاية له لأن الدفع واجب
على الكل فهم إنما قلدوه واجباً عليه رجوا أن يقوم به وأن يكون لهم
به الظفر ولا تزيده هذه الإمامة ان لم يصلح منزلة فوق منزلته إلا وجوب
الطاعة فى الدفاع وذلك إن لم يصلح حاله فإن صلح فلكل درجات
مما عملوا ورب إمام بويع أولا على الدفاع ثم ترقى أمره حتى صار
فى منزلة الظهور وأكثر الأئمة من بعد مهنا بن سلطان إنما بويعوا على
الدفاع فيما يظهر من حالهم إذا نظرت إلى فعل المسلمين فى أول ظهور
أمرهم بعمان وفى تقديمهم لمحمد بن أبى عفان على ماقيل فيه سهل عليك
الأمر واتضح السبيل وبرح الخفا وعلمت أن الدين سهل يسر ثم ان محمد
ابن ناصر مكث بنزوى حتى صلى الجمعة وارتفع بمن معه إلى يبرين وفسح
للقوم وأقام بها قليلا وبلغه أن مانع بن خميس العزيزى هجم على الغبى وقهر
حصنها ونهب سوقها وأفسد فيها واغار مهنا بن عدى اليعربى وعامر بن
سليمان بن بلعرب الريامى وسليمان بن حمير بن على اليعربى على غالة البركة
وأخذوها فعلم الإمام محمد بن ناصر بهم فقصد إليهم وأرسل إلى القاضى
ناصر بن سليمان والوالى عبد الله بن محمد ليلحقوه بالقوم من نزوى إلى
البركة ولم يغش هو نزوى ولم يكن عنده إلا قليل من عسكره وخدامه فهجم
عليهم وقت الضحى ولم يرد قتالهم وناصحهم على الرجوع ورد ما اخذوا
من الغالة فأبوا إلا حربه وقتاله فصنعوا له بومة فى مسجد الشريعة الأعلى
من البركة وقبضوا الجبل الشرقى وكسروا فلج البركة وصنع الإمام محمد بن

ناصر بومة فى المسجد الأسفل من شريعة البركة والجبل الأسفل فكان بينهما ضرب التفق وقتل رجل من عزابة الركاب من أصحاب محمد بن ناصر وجرح رجل ثم أنه أمر أصحابه بالركضة عليهم فولوا منهزمين وأسر منهم ناصر بن بلعرب الريامى وعلى بن صالح صاحب كمه. وكان هذا قبل أن يصله أحد من المدد وأمر بالتمر أن يحمل إلى يبرين ورجع هو إلى نزوى وأقام بمساجد العنتق منها وكان إرادته حرب أهل تنوف وخرابها ثم أصلح الله شأنهم وواجهوه وأخذ منهم عهودا لايخونوه فطابت نفسه عليهم وسار إلى الغبى فغدف عليهم الحصن ومعه ستة رجال فلم يشعروا به إلا وهو فى أعلا الحصن فخرج مانع العزيزى ومن معه من الحصن هاربين خوفا منه وقتل خادم لمانع بن خميس وأخذ الحصن وجعل فيه والياً ورجع إلى يبرين ثم أنه أمر بالحشد على جميع من بطاعته من أهل عمان فاجتمعت إليه جموع كثيرة فسار بهم من نزوى يريد ضنك ليرجع الوحاشا إلى بلدهم ويبنى لهم حصنهم الذى بضنك الذى دمره عليهم حين كانوا فى طاعة خلف بن مبارك فلم يرضوا آل عزيز برجوعهم إلى حصنهم وببنائه فجمعوا أحداً من البدو ممن يشتمل عليهم وأرادوا حربه ومن معه من الوحاشا فالتقوا بضنك وأوقع الحرب بينهم ثم انكسروا وتبدد شملهم فعلموا أن ليس لهم قوة على حربه وقصد مانع بن خميس إلى السنينة مع النعيم فمضى فى طلبه فى ناس قليلة من أصحاب الخيل والركاب السيارة فلم يشعروا به إلا وهو معهم فاسر مانع بن خميس ورجع إلى ضنك فلما رجع يريد الغبى مر على أفلاج بدو آل عزيز الذين نهبوا سوق الغبى فدمرهن ورجع إلى الغبى وأقام بها ماشاء الله حتى حشد من قبائل الظاهرة من شاء من القوم وقصد يبرين وأقام بها أياماً قلائل وجاء إلى نزوى فنزل بيت المزرع حتى يجمع قوما منها ثم مضى إلى أزكى وأخذ منها قوما ومن جميع الشرقية فخافت منه بنو

رواحة ثم إنه قصد إلى سمائل فلم يزل يناصح البكريين وأهل الحيلي وقوم عكاشة فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة فصالحوه وأدوا الطاعة فأرسلهم إلى البكريين ليناصحوهم فلم يقدروا عليهم فأمر بالركضة عليهم فى ليلة شاتية مظلمة مطيرة ذات رعد وبرق فلم يشعروا به إلا وهو فى أعلى السور مع الحارس يقول عمن تحرس فقال مخافة أن يهجم علينا محمد ابن ناصر فقال له : هذا محمد بن ناصر عندك ، فخذل اهل الحجرة وخرج الأكثر منهم بأمان منه ولم يبق إلا برج وشيء من الغرف فيه بكر وأولاده وبنو عمه فكانوا يضربون بالتفق حتى قتلوا عن آخرهم وقتل من اصحاب الإمام محمد بن ناصر أربعة أحدهم بخيت النوبى مملوك له كان قدمه على سائر العبيد ضرب بتفق وهدمت الحجرة عن آخرها وسلمت له سمائل زكاة ثلاث سنين وكان قبل أفسد فيها آل عمير وحازوا جميع أموال الأغياب فرد كل مال إلى أهله وقيد أولاد سعيد امبوا على وهدم من حجرتهم ثم إنه أمر بالمسير إلى الجبل من الباطنة ليقطع لخلف بن مبارك القصير حين نهوضه من مسكد إلى الرستاق فكان محمد يصل هو ومملوك له إلى الغبرة ثم علم خلف بن مبارك أن محمد بن ناصر قاطع له فلم يخرج من مسكد وجعل الحرس على الطرق والأسوار ولم تكن له قدرة على ملاقاة محمد بن ناصر وأقام محمد بالحيل قدر نصف شهر وصالحه المعاول ثم نكثوا ورجع هو إلى سمائل وذلك أن المعاول وقعت بينهم وبين خلف بن مبارك شرهة وعتاب وأخذوا عليه حصن بركا وأرسلوا إلى محمد بن ناصر فهبط والتقوه المعاول وعاهدوه على أن يخربوا مسقط ثم أن محمد ارتفع مغرباً فظنوا أنه يريد حصن بركا فساروا ونزلوا الحرادى وكان نزول المعاول وسط قوم محمد بن ناصر فجعلوا خادماً لهم يعمل طعاماً وفرشوا فرشهم وسار كل اثنين منهم إلى نحو الخور ليصلوا المغرب أو العصر حتى خرجوا كلهم متسللين لواذا فدخلوا حصن بركا ليمنعوه من محمد بن ناصر وأما

ركابهم فإنهم جعلوا عليها طنافا وقالوا له سر كأنك تسير نحو الفلاة فما لبث حتى دخل بهن وادى المعاول وأما محمد بن ناصر فإنه أرسل إلى المعاول ما خلفوا من متاعهم فى عسكره وارتفع هو إلى سمائل وحمل أهله ثم سار يريد البدو من عامر بن ربيعة وآل سعلى ومن اشتمل عليهم من سكان الباطنة فعقر عليهم إبلا كثيرة وكان راكباً على فرس وبيده كتارة ورمح يضرب يمينا وشمالا يقطع أعناقها ويعرقب أرجلها ولم يرض لأحد أن يأخذ منها ووصل إلى فريق من فرقانهم فقتل رجالهم فصاحت نساؤهم بالأمان يا خلف بن مبارك أنا فى طاعتك يظنونه خلفاً فأكثر فى قتلهم وهو أمام القوم لم يلحقه إلا أصحاب الخيل والإبل السيارة وسيف ابن سلطان معه لا يفارقه فى جميع حروبه وغزواته ثم رجع إلى الحزم فأقام بها أياماً قليلة ورجع إلى سنى من وادى بنى غافر فأقام بها أياماً وفسح لجميع القوم إلا العسكر والعبيد ثم قصد الغبى وأقام بها أياماً ثم رجع إلى يبرين وكان أكثر إقامته بها وكانت البدو من عمان قد أفسدوا جميع الطرق ينهبون ويقتلون فلا يقدر أحد يسافر إلى مكان إلا فى جماعة كثيرة وخاصة آل وهيبة ولهم رئيس يسمونه بوخرق فحشدهم بجميع أهلهم وإبلهم وغنمهم وأمرهم بالنزول حوالى يبرين وذلك قهر منه لهم حتى ماتت إبلهم وغنمهم وضعف حالهم ولم يقدروا على مخالفته فلما كانت ليلة أحد عشر من شهر الحج خرج بمن معه من القوم قاصداً آل وهيبة فدمر بلدهم السديرة وقتل من فيها منهم فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان وخرابها من كل موضع ليس فيه ماء يظنون أنه لا يتوصل إليهم لقلة اهتداء الحضر لتلك الأماكن وقلة دلالتهم بمواردها فمضى إليهم فقتل ستة وثلاثين رجلا من أكابرهم وأسر خمسة وتسعين رجلا وقتل إبلهم وأغنامهم وحمل الأسارى إلى يبرين مربوطين فى الحبال وأما بوخرق فإنه قصد مسكد ودخل مع بنى هناءة وقيد محمد بن ناصر الأسارى بيبرين

شهراً وأرسل بوخرق إلى الإمام أنه لا يضر أحداً ولا يفسد وأمنت الطرق ثم إن محمد بن ناصر أمر بالحشد على جميع من أطاعه من عمان من شرقها وغربها فاجتمعت إليه فى يبرين جموع عظيمة لا يعلم عددهم إلا الله وأرسل إلى بنى هناءة من بلدان وادى العلى والحيل وضم وعملى فأطاعته جميع بنى هناءة ولم يعصه أحد وسار قاصداً إلى ينقل ونزل فى أعلا البلد وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن فأبوا وشدوا الحرب فخرج ذات ليلة رجل من أهل ينقل يقال له عصام فصالح الإمام محمد بن ناصر إلا أن البلد ليست فى يده فقال له ناصح جماعتك لأجل حقن الدماء فلم يتبعوه وأقاموا بالحرب وكان بيت عصام على السور وله باب صغير فأدخل محمد بن ناصر ومن معه البلد فقتل من أهل البلد رجلين ثم طلبوا الأمان فأمنهم وقيد أشياخهم وحملوا إلى يبرين وترك فيها واليا وأدت له الطاعة ومضى قاصدا بمن معه إلى صحار وقدم ربيعة بن حمد الوحشى ليناصح بنى عمه حتى يهبطوا من حصن صحار فلما وصلهم قال لهم شدوا الحرب فلما دخل محمد بن ناصر صحار التقته بنو هناءة فوقع بينهم الحرب وقتل من قتل منهم وجرح ربيعة بن حمد وأخذ أسيرا وانكسرت بنو هناءة ورجعوا إلى الحصن ونزل القوم بالجامع ومحمد بن ناصر فى بيت ابن محمود وشاور محمد بن ناصر ربيعة بن حمد فقال له إن أردت أن تقيم معنا فعليك الأمان وإن أردت تسير إلى أصحابك بالحصن سيرناك بأمان فأراد المسير إلى الحصن فسيره وكان مع محمد بن ناصر اثنتا عشرة فرسا وكان يجعلها عيونا تطالع المشرق لأنه بلغه أن خلف بن مبارك جمع بنى هناءة من الرستاق ومسكد وأنه نزل بحصن صحم وكان محمد قد خلصت له جميع صحار ورعاياها وآمن أهل البلد من جميع الطوائف فلم يؤخذ على أحد منهم شىء وكانت عنده البدو من بنى ياس والنعيم ومن اشتمل عليهم والحضر فأصبحت ليلة من الليالى قد خرب زرع دخن

من طوى البلد فجاء صاحبها إلى الإمام شاكيا فسأله من خرب زرعك فقال بنو ياس والنعيم والبدو الذين عندك فقال كم غرامة زرعك فقال خذ مائتي محمدية فأبى فقال خذ أربع مائة محمدية فأبى فقال خذ خمسمائة محمدية فقال لا أرضى إلا أن تنصف لى منهم فأرسل إلى مشائخهم فحضروا عنده فأمر بهم فصلبوا وما كانت نصفته إلا الجلد فجلدوهم جميعا وهم يستغيثون به فلم يغثهم إلى أن انقضت النصفة فأطلقهم من الحبال وكانت هذه حيلة من بنى هناءة لينفروا البدو وكان هذا من محمد بن ناصر عن جهل بالأحكام فإن أمر التعزير والعقوبات راجع إلى نظر الإمام لا إلى صاحب الحق ولا إلى سائر الرعية وإنما لصاحب الزرع غرم زرعه فقط فإن عرض عليه حقه فلم يقبله فلا حق له ، وقيل يجبر على قبول حقه وليس له أن يتحكم على الإمام فى عقوبة الجانى ثم أن البدو خرجوا من عند محمد بن ناصر إلى بلدانهم راجعين فعلم خلف بن مبارك بخروجهم فزحف عليهم بمن معه من القوم وهجموا عليهم بعد طلوع الشمس قليلا فجاء من جاء إلى محمد بن ناصر أن خلفاً وصل بمن معه من بني هناءة فقيل انه قال : هذه ساعة ليست لنا ولا لهم إلا ما شاء الله ثم ركب فرسه وركب أصحاب الخيل معه والتقوا خلفاً ومن معه على باب حصن صحار فوقع بينهم القتل وقتل خلف بن مبارك وهو يتبعهم حتى وصل جدار الحصن فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن ضربة تفق وأخذه اصحابه ومات وقتل من اصحابه قدر خمسة عشر رجلا ودفن خلف داخل الحصن ودفن محمد بن ناصر فى بيت غربى الحصن عند حجرة الشيعة ومكث بعد مادفن ثلاثة ايام لم يعلم بموته إلا الخاصة وكاد اصحاب الحصن ان يسلموه ، وقيل والله اعلم ان احدا بعث محمد بن ناصر من قبره ورمى به خارج البلد وذلك بعد ان رجع كل إلى بلاده فإن صح هذا فلا ابرىء الشيعة منه والله اعلم .

باب إمامة سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان

ابن سيف بن مالك

وهو الصبى الذى مات عنه والده صغيراً ومالت إلى تقديمه غوغاء الناس أهل الشقاق من أكابر الرستاق فكان ذلك سبباً للفتنة العظيمة والبلاء الطويل « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » فكان بسبب اختلافهم ما قصصناه عليك وما سنقصه إن شاء الله والملك لله الواحد القهار . وكان سيف ابن سلطان هذا لم يفارق محمد بن ناصر لأن محمداً كان يحمله معه فى جميع حروبه ومواقفه سياسة منه وطمعاً فى انقياد الناس بسببه فلما قتل محمد بن ناصر بصحار رجع بنو غافر ومن معهم بسيف بن سلطان إلى نزوى وذلك حين ما بلغ الحلم فأقامه القاضى ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد إماماً للمسلمين يوم الجمعة بعد الزوال فى العشر الأوائل من شعبان سنة أربعين ومائة وألف وإنما قدموه إماماً لتقدم ولايته بسبب ولاية أبيه فإن أباه كان إمام المسلمين وكانت ولايته على رعيته واجبة وأطفاله تبع له فى ذلك حتى يبلغوا ويحدثوا حدثا يخرجهم من الولاية عند المسلمين ، وقيل أن البالغ منهم يكون فى الوقوف حتى يعلم منه حال يوالى عليه اويعادى عليه فتمسك القاضى بأول القولين نظراً منه للامة وطلبا للسداد ومحاولة لجمع الشمل ولا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه فإن سيف ابن سلطان لبث ما شاء الله ثم أحدث أحداثا لا يرضاها المسلمون فعزلوه و « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وكان سيف قبل عزله طلب

من الشيخ سعيد بن بشير الصبحى أن يزيده فى الفريضة على ما جعل لآبائه وذلك ان المسلمين قد جعلوا للائمة فريضة معينة فى بيت مال المسلمين حتى نصب محمد بن ناصر فزادوه عليها ولما قتل ونصب سيف ابن سلطان طلب من المشايخ أن يجعلوا له مثل ما جعلوا لمحمد بن ناصر وكان الوالى سالم بن راشد البهلوى قد ألح على الشيخ الصبحى فى ذلك فقال الصبحى : لا بل فريضة آبائه لأن العاقدين الامامة لجده الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله لم يألوا جهداً ولم يتركوا اجتهاداً ولو جاز لهم ووسعهم فوق الألف الذى جعلوه لما بخلوا عليه من الزيادة ولو لكل يوم ألف ولو جاز لهم ذلك لجاز للامام قبوله منهم إذ لا غرم عليهم فى أموالهم ولا دخل على الإمام فى قبوله منهم إذ صار العطاء المفروض فى بيت مال الله ولو جاز لهم ما اختاروه لجاز للإمام ما فرضوه وأرجو أنه أخذوا ما فعلوا تأويلا من قول الله عز وجل « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » والقوام العدل بين الأمرين فخذها سيدنا فريضة هنية وهبة برية لاوبية خارجة على حكم التقية ولا أعلم أن جدك الإمام سلطان بن سيف ولا جدك سيف ولا عمك بلعرب ولا أباك سلطان طلبوا ولا أخذ (أحد) منهم زيادة على ما مضى عليه إمامهم ناصر بن مرشد وتلك فريضة كافية ومات عليها الأسلاف ولا أريد لك خلاف ما عليه السلف فهذا اختيارى والجهدة منى ولا خفت فى أمرك لومة لائم بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك من الأئمة واختار المسلمون لهم ذلك نظراً ومعونة وموافقة لكتاب ربهم . قال سالم بن راشد كيف جعلت فريضة الشيخ محمد بن ناصر أكثر من هذا قال الصبحى أخاف أن يكوز وقوعها من باب التقية والحلال أولى فى حكم الله وحكم البرية وكان هذا نهار ٢١ شعبان

سنة ١١٣٣ ثم عير السيرة بعد ذلك وعزلوه وسار إلى نخل وكان الوالى بها جساس بن عمر بن راشد الحراصى فادخلوا بلعرب بن حمير إلى الحصن وسيف بن سلطان بالبطحاء فلم يدروا بدخوله ومنعوا الحصن من سيف ونهض سيف بن سلطان إلى بطحاء (فى) من وادى المعاول وأرسل خاله سيف بن ناصر (إلى) مسقط فقبضها وأما بلعرب بن حمير فأقاموه بنزوى إماما .

باب إمامة بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف

ابن مالك بن بلعرب اليعربى

بويع له بنزوى بعد عزل سيف بن سلطان فى سنة خمس وأربعين ومائة وألف وتبعته فرقة من عمان وخلصت له [illegible] ، أزكى وبهلى ونزوى ونخل والشرقية وحصون الظاهرة وأما حصون الباطنة ومسكد والرستاق فإنها فى يد سيف بن سلطان ثم جهز الإمام بلعرب جيشاً إلى وادى بنى رواحة وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان ومن معه من القوم نصرة لبنى رواحة فوقع بينهم الحرب وانكسر بلعرب بن سلطان وقومه وانهزم أكثرهم وبقيتهم تحصنوا فى حجرة وبال فحاصرهم الإمام أياماً يقطع نخيلهم إلى أن أدوا له الطاعة وفسح للقوم وأمنهم وارتفع عنهم بعد ما هدم بروجهم . ثم سار إلى بلاد سيت فحاصرها أياما وافتتحها وهدم بنيانها وقطع نخيلها ودمر أنهارها . ثم سار إلى حصن يبرين وكان به بنو هناءة تركهم فيه سيف بن سلطان فحاصرهم إلى أن أدوا له الطاعة فسيرهم بأمان هم وعيالهم ومتاعهم وأوصلهم إلى بلدانهم وأما سيف بن سلطان فإنه بعث إلى أهل مكران فجاءه قوم من البلوش أصحاب النفاق وحشد من معه من رعيته من الرجال وسار بهم إلى الجو فالتقاهم بلعرب بن حمير بقومه فاقتتلو قتالا شديداً حتى كادت أن تقع الهزيمة على أصحاب بلعرب فصبروا فوقعت الهزيمة على أصحاب سيف والبلوش وانكسروا ووقع فيهم القتل والنهب فى الطرق ومنهم من مات من العطش ثم أن سيف ابن سلطان جعل يكاتب الأعداء من العجم لينصروه فى ظنه وهم يريدون

ملك عمان وخرابها فأجابوه فنزل جيش العجم بخور فكان آخر ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذى الحجة سنة تسع وأربعين ومائة وألف وقصدوا الصير فخرج سيف بن سلطان من مسكد إليهم وحشد بلعرب بن حمير ومضى ليتلقاهم وخرج من نزوى أول شهر المحرم سنة خمسين ومائة وألف والتقى الجيشان بالسمينى : سيف وعجمه والإمام بلعرب ومن معه وذلك فى غرة شهر صفر سنة خمسين ومائة وألف ووقع بينهم حرب قليل آخر النهار وانكسر بلعرب وقومه واعتصموا بالجبل وقتل ناس قليل وبعضهم ضل الطريق وقتل بعضهم فى الطريق ولم يرجع أحد منهم بدابة ولا سلاح ولا بشىء من حوائجهم إلا قليل منهم ونهبوهم فى الطريق واستولى سيف بن سلطان على الجو وضنك والغبى وأدت جميع قبائل الظاهرة خراجا عظيما للعجم ودخلت حجرة عبرى ووقع فيهم قتل عظيم وسلب جميع ما لهم وحملت نساءهم وقتلت الأطفال واصابهم ذل وهوان ونيعت نساؤهم وحملت إلى شيراز ورجعت العجم إلى الصير وأما سيف بن سلطان بن سيف فإنه مر إلى بهلى ووقع الحرب بينهم وبينه ثم تصالحوا وولى عليهم واليا وهو سالم بن خميس العبرى ومضى فبات بطيمسا فقيل أن أكثر العسكر من نزوى هربوا من الحصن وكاد بلعرب بن حمير أن يخرج هارباً من نزوى إلا أن سيفاً لم يقصد نزوى ومضى إلى منح ومر على ازكى وقصد إلى سمائل وأناخ بفلج العد وكاتب قبائل وادى سمائل ليصل إليه مشائخهم فلم يلبث أن واجهوه فسار مجاوزاً إلى مسكد ولم يتعرض للحصون ثم بعد ذلك وقع الحرب بين والى الغبى من قبل سيف بن سلطان وبين بنى غافر واستولت بنو غافر على الغبى ووقعت المخادعة من أهل بهلى وأدخلوا بلعرب بن حمير الحصن واستولى على بهلى .

ثم إن سيف بن سلطان زاد قوما من العجم من شيراز و ضمهم مع أصحابهم فى الصير و توجهوا إلى عمان وذلك فى اليوم التاسع عشر من شوال سنة خمسين ومائة وألف وصالحتهم قبائل الظاهرة ووصلوا إلى بهلى فوقع بينهم الحرب وقتل من العجم كثير وكذلك من أهل بهلى ودخلت العجم بهلى فى ثالث عشر من ذى القعدة واستولوا عليها فهرب من هرب من أهل البلد وقتل من قتل من الرجال والنساء والأطفال واستولوا على جميع مافيها وتركوا فى الحصن رابطة ومضوا إلى نزوى أول شهر الحج وهرب بلعرب بن حمير من نزوى إلى وادى بنى غافر وثبتت بنو حراص فى قلعة نزوى وصالح اهل نزوى العجم فلما تمكنت العجم فى نزوى وضعوا عليهم الخراج وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا الرجال والنساء الكبار والأطفال الصغار وحملوا من النساء من ارادوه وفعلوا فى نزوى افعالا قبيحة وأذاقوهم أليم العذاب حتى قيل أنهم قتلوا من أهل نزوى مقدار عشرة آلاف من النساء والأطفال ولم يسلم من اهل زوى إلا من قدر على الهرب وهم قليل والله المستعان ولسيف بن سلطان من ذلك النصيب الأوفر من الوزر حيث قاد إليهم الأعداء ونسى ما وقع فيهم من آبائه وظن انهم ينصحون له وهم أعداؤه وما ينتج رأى السفيه إلا مثل هذه الأفعال القبيحة .

لا تأمن فتى أسكنت مهجته غيظاً وتحسب أن الغيظ قد زالا
إن الأفاعى وإن لانت ملامسها تبدى عطافاً وتخفى السم قتالا

ولم تقدر العجم على القلعة والحصن من نزوى وخرجوا منها فى سادس عشر من الحج ومروا على أزكى فصالحوهم وأدوا لهم الخراج وأقاموا يوماً وليلة ومضوا قاصدين إلى الباطنة ودخلو مسكد فى أربعة وعشرين من ذى الحجة واحتووا على البلد وما فيها ولم يبق سوى

الكيتان وأقاموا محاصرين الكيتان إلى يوم خامس من صفر سنة إحدى وخمسين ومائة وألف وانكسروا ومضوا إلى بركا وصحار فرد شر سيف عليه جاء ليقهر بهم صديقه الذى يزعم أنه عدوه فطلبوا قهره بنفسه وحاصروا حصونه وهرب هو عنهم فى مراكب فى البحر حتى نزل ببركا وخرج الطو وتلقوه أهلها بغزوة وصحبوه إلى نخل وسار إلى الظاهرة والتقى هو وبلعرب بن حمير بوادى بنى غافر ودار نظر من مشائخ حضر من مشائخ بنى غافر وغيرهم أن يستعفوا بلعرب بن حمير عن الإمامة ويرجعوها لسيف ابن سلطان رضاء له ودفعاً اشره وقطعاً للمفسدة العظمى وانما كان هذا من رؤساء القبائل وشيوخ البلدان دون أهل العلم والفضل فما بلى أهل عمان هذا البلاء إلا بمخالفة أهل العلم وأهل الفضل فالله يحفظ لنا ديننا ودنيانا وبقية بلادنا .

باب تغلب سيف بن سلطان على الأمر

وذلك أن بلعرب بن حمير استعفى من الإمامة حين رأى ما رأى وطلب منه ذلك من طلب فتسمى بها سيف بن سلطان واجتمعوا حين رأوا المكروه من العجم وصاروا يداً واحدة وانقطع العجم الذين خرجوا إلى حصار مسكد عن أصحابهم الذين ببهلى وذلك أنهم ساروا من مسكد بعد أن أيسوا منها إلى بركا وصحار فلما استبطأهم أصحابهم الذين ببهلى وانقطعت عنهم أخبارهم بعثوا منهم نحو مائة فارس ليأتوا إليهم بخبر أصحابهم من مسكد فمروا على سمائل اول النهار يوم ثامن من شهر صفر فتلقاهم اهل وادى سمائل وحمير بن منير بقومه فقتلوا أكثرهم ثم سار حمير بن منير بمن معه من العسكر وأهل ازكى وبنو ريام إلى بهلى يوم تاسع عشر صفر ودخلوها يوم أحد وعشرين واستولوا عليها واحتصن العجم فى الحصن فحاصروهم ثم خرج منهم قوم فقتل أكثرهم وبقى من بقى من العجم لم يخرجوا من الحصن خوف القتل إلى أن جاءهم سيف بن سلطان ومن معه فأخرجوهم بسلاحهم ومتاعهم ودوابهم وأوصلهم بأمان وأصحبهم مبارك بن مسعود الغافرى إلى صحار وكان أحمد بن سعيد البوسعيدى واليا على صحار من قبل سيف بن سلطان فقيل أن العجم لما وصلوا صحار حبسهم أحمد بن سعيد بصحار حتى مات أكثرهم. وإن ذلك من أول الأمور التى ظهر بها أحمد بن سعيد وأما العجم الذين انكسروا من مسكد فإنهم ساروا إلى الصير وفيها إخوانهم وركب منهم أناس إلى بلدانهم وبقيت منهم بقية بالصير ما شاء الله من الزمان وسار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البر وسير

إليهم المراكب من البحر فلما وصل بلدخت قرب الصير جاءه الخبر ان مركب الملك قد احترق وغرق بمن فيه فعزم على الرجوع فرجع عنهم إلى عمان وبقوا هم بالصير ودانت له جميع حصون عمان وادت له الرعية الطاعة فلبث على ذلك ثم ظهرت منه أحداث لم يرضها المسلمون ولا رضوا مبدأ أمره ولا منتهاه ووضع الخراج على الرعية واتفقوا على غيره فنصبوا سلطان بن مرشد على حسب ما يأتى إن شاء الله تعالى .

باب إمامة سلطان بن مرشد بن عدى اليعربى

وهو آخر أئمة اليعاربة فيما انتهى إلينا علمه بويع له بعد أن استغاثت الرعية من أحوال سيف بن سلطان فاجتمع من شاء الله من مشائخ العلم من بهلى ونزوى وازكى ورؤساء القبائل من بنى غافر وغيرهم من أهل الظاهرة ووادى سمائل ومشايخ المعاول فعقدوا له الإمامة بجامع نخل ليلة الحج أى ليلة عرفة سنة أربع وخمسين ومائة وألف فاستقام بحمد الله على الحق والعدل وخلصت له الحصون من سمائل ونخل وأزكى ونزوى وبهلى والشرقية وسالمته القبائل من الفريقين والحمد لله كثيراً ثم جهز الإمام جيشاً إلى الرستاق وسار فيه بنفسه وكان سيف بن سلطان قد جمع قوماً كثيراً من أهل الرستاق وغيرهم خارجاً عن البلد نحو ثقاب فلج الميسر يريد لقاء الإمام فلما أحس أن لا طاقة له بحرب الإمام انهزم ليلا عن أصحابه وترك بعض المؤنة من تمر وغيره فلما وصل الإمام صباح الجمعة آخر شهر شعبان لم يجد سيفا ودخل الإمام الرستاق فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة لما رأوه أهلا للامامة وآزره أهلها واحتوى على جميع رعاياها ولم يبق إلا الحصن فلبث فى حصاره سبعين ليلة وافتتحه وقد كان سيف ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله ثم سار سيف بن سلطان إلى مسكد وجمع قوما من المطرح ومسكد ، والسيب ، وبركا ، ولبث ببركا فبعث إليه الإمام بعض قومه وأمر عليهم أخاه سيف بن مهنا إلى بركا فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه فاقتتلوا فقتل من قوم الإمام قليل وقتل من أصحاب سيف بن سلطان كثير ولم ينج منهم إلا من انهزم أو ألقى بيده وأذعن بالطاعة للامام .

واما سيف بن سلطان فانه انهزم إلى مسكد ورجع سيف بن مهنا إلى الرستاق منصوراً من الخلاق ثم جاءت لسيف بن سلطان ثبية[1] من بدو الظاهرة مقدار خمسمائة رجل فيما قيل فلما وصلوا الحزم طلع هو من مسكد وأقام يجمع قوماً من الباطنة فجاءته عساكر كثيرة من عامر ربيعة مرادهم نصرته وكان من قضاء الله وقدره السابق فى علمه أن البدو الذين معه اقتتلوا وقتل من عامر ربيعة كثير وانهزم الباقون منهم وبقى البدو الذين من الظاهرة مع سيف بالحزم يزعمون دخول الرستاق ثم انهم لم يجدوا قدرة على ذلك فرجعوا إلى بلدانهم وأما سيف فانه لما أيس من الناصرين سار إلى مسكد وترك عياله وعبيده محصورين وذلك قبل فتح حصن الرستاق للإمام فلما أيس من فى الحصن من نصرة سيف لهم أرسلوا يطلبون الصلح من الإمام والأمان ليخرجوا بما عندهم من المتاع فأمنهم الإمام وخرجوا من الحصن بمالهم ودخل الإمام الحصن فى اثنى عشر من ذى القعدة من هذه السنة وجعل فى الحصن واليا ومعه عسكر من جنابه وجعل معهم أخاه سيف بن مهنا ثم ارتفع منها بعد خمسة أيام ببقية قومه وحشد قوما من الرستاق ومر إلى نخل وحشد منها ومن رعاياها قوما ثم وصل إلى بدبد وحشد من وادى سمائل ومن أزكى ورعاياها وسار متوجها إلى مسكد يوم الخميس ثانى ذى الحجة من هذه السنة وقد اجتمع عنده قوم كثير فلما وصل إلى روى ليلة رابع من هذا الشهر ترك المعقل فى روى فسار بأكثر قومه ليلا إلى مسكد وركض عليهم بقومه على الجبال

---

(١) تكرر هذا اللفظ وقد سبق أن صححناه بكثيبة وهو المراد وكنا نظن أنه تصحيف من الناسخ فاذا هى لغة عمانية فليتنبه : مصححه .

فأحدروهم من الجبال وجميع المقابض وهزمهم الله وافتتح الإمام مسكد بجميع مقابضها ومعاقلها وقت الضحى من يومه سوى الكيتان فانهما بقيا محاربين وأما كوت المطرح فبعث له الإمام بعض القوم فى تلك الليلة فأخذوه قهراً وحباه الله من لدنه نصراً وركب سيف بن سلطان البحر وبعث له الإمام مراكب فى طلبه فيهن بجاد بن سالم وعسكر من قوم الإمام فجاءتهم ريح وفرقت المراكب دون خورفكان ورجع نجاد بمن معه ثم أن سيفاً انكسرت من مراكبه بعض دقالته وأجرى أخشاباً توصله إلى خور فكان ونزل بها ومعه قدر ثمانية أنفس على خيل قاصدين العجم فقيل أنه لما علمت العجم بوصوله أتاه قوم منهم على خيل وأخذوه وساروا به إلى الصير وبقى المركب فى خور فكان فأخذه أحمد ابن سعيد وكاتب سيف بن سلطان أهل شيراز ليأتوه بقوم فجاءوا إلى عمان ونزلوا بصحار وهم مقدار عشرين ألفا فيما قيل والله أعلم فعلم بذلك أحمد بن سعيد وهو يومئذ فى بلد العوابى ونزلت العجم حول حصن صحار وحاصروه حصاراً شديداً حتى كاد الحصن أن يتهدم من شدة ضربهم اياه بالمدافع حتى قيل ان رصاصة المدفع وزن ثلاثة أمنان فحاصروه وبنوا فيها بنياناً قوياً وكان الإمام محاصر الكيتان وفيهن عبيد سيف بن سلطان فأرسل الإمام أخاه سيف بن مهنا إلى واد سمائل والظاهرة فأخذ منهم قدر خمسمائة رجل أو أكثر فوق من معه وساروا إلى صحار ووقع الحرب بينهم ليلا ونهاراً وقيل أن فى يوم واحد ضربت العجم ألفا واثنتى عشرة ضربة مدفع فعلم الإمام بذلك فسار هو وأخوه سيف بن مهنا إلى الظاهرة فحشدوا منها من بدوى وحضر وها هنا انقطعت السيرة التى نأخذ عنها

هذه القصة ولم نجد تمامها الا من كلام الشاعر ابن رزيق قال ابن رزيق فى شرحه لبائيته التى فى السير : كان عدد العجم المحيطين بصحار ستين ألفا وقيل خمسين ألفا وعدد مراكبهم خمسمائة سفينة وقيل بل أكثر من ذلك قال ومضت سرية من العجم عراة إلى وادى المعاول فبلغوا دون مسلمات فكسرهم المعاول ومضت منهم سرية إلى قربات فقتلوا منها خلقاً كثيراً وأسروا نساء وصبيانا فبعثوا بهم إلى شيراز فبيعوا بيع العبيد ومضت منهم سرية كثيرة العدد إلى مسقط فوافاهم سيف بن مهنا اليعربى فى سيح الحرمل وكان سيف بن مهنا يومئذ هو القابض لمسقط والمطرح من قبل الإمام سلطان بن مرشد فوقعت بينهم ملحمة عظيمة فانكسرت العجم إلى روى ثم أتوا فى اليوم الثانى فقاتلهم سيف بمن بقى من العرب فقتل هو وقتل معه من اليعاربة ثلاثون رجلا ومن سائر قومه خلق فكان عدد قتلى العرب ثمانين رجلا وقتل من العجم خلق كثير ومضت العجم إلى مسقط فوثبوا على الكوتين فنصبوا عليهما السلالم فانكسروا ثم أتتهم زيادة من أصحابهم المحيطين بصحار فوثبوا عليهما فأخذوهما وعسكروا بمسقط قال : ولما وصل الإمام سلطان بن مرشد الخابورة وكان قد جمع قوماً كثيراً من الظاهرة والرستاق بلغه أن العجم بعثوا شرذمة منهم إلى القصير وصحم وأن أهل البلدين قد خرجوا إليهم وهم مشتغلون بالسلب والنهب فوضعوا فيهم السيف فكشفوهم وقتلوا أكثرهم فلم يرجع منهم إلى صحار إلا القليل قال وأمر خان العجم أشجع فرسانه بالغارة على صحم والقصير فصادفهم الإمام سلطان ومن معه من القوم دونهما فكشفوهم وقتلوا من فرسان العجم رجالا كثيرة ثم صار الإمام بمن معه إلى مناجزة

العجم الذين بصحار وكانوا قد تهيئوا لهم وعبئوا صفوفهم فالتحم القتال بين الصفين وكانت وقعة عظيمة وكان جيش العرب عند جيش العجم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود وقتل أمير من العجم يقال له كلب على وقتل من خواصهم خلق كثير وقتل من العرب مهنا بن سلطان وثلاثون رجلا من اليعاربة وكثير من سائر القوم حتى إنه لم يبق منهم إلا القليل كذا قال ومهنا بن سلطان لم يسبق له ذكر فى القصة وإنما سبق ذكر لأخى الإمام من أمه سيف بن مهنا وهو الذى سار معه للحشد من الظاهرة قال وأصابت الإمام سلطان بن مرشد جراحات من سيوف العجم ورماحهم فلما أثخنته الجراحات دخل الحصن عند أحمد بن سعيد السعيدى فلبث فى الحصن ثلاثة أيام وقيل يوماً واحداً ثم توفى غفر الله له وللمسلمين المجاهدين معه فى الدين قال وكان سيف بن سلطان يومئذ بالحزم وقد استرسل عليه البطن فلما بلغه قتل الإمام سلطان بن مرشد حزن عليه حزناً شديداً قال ولم يلبث أياماً قلائل إلى أن مات قال ولم تزل الحرب قائمة على ساقها بين أحمد بن سعيد والعجم فلما رأت العجم شدة ذلك ضعفت عزيمتهم وكاعت نفوسهم وطلبوا السلامة والنجاة فصالح أميرهم أحمد بن سعيد على الارتحال بما معهم فأجابهم إلى ذلك وأدخل أميرهم الحصن ومعه عشرة رجال من خاصته للكرامة فقدم لهم الطعام فلما أكلوا وشربوا قال أميرهم لأحمد بن سعيد وسع لأصحابنا الذين بمسقط يحملوا ما بقى معهم من آلة الحرب وغيرها كما وسعت لنا وعبرهم فى خشب إلى بندر عباس فقال أحمد بن سعيد إن شاء الله ولم يزد على ذلك كلمة وخرج أمير العجم ولم يمكث فى صحار إلا يومين فركبوا سفائنهم

ومضوا إلى بندر العباس وبعد ما رحل العجم من صحار سار أحمد بن سعيد إلى بركا ومعه من القوم ألفان فلما وصلها استخلص حصنها بغير حرب وكان حصنها يومئذ بيد المعاول وأهل حبرى ثم رجع إلى صحار فكتب إلى وليه الذى تركه فى بركا وهو خلفان بن محمد السعيدى المعروف بالمحل أن ينصب قبابين فى بركا لوزن الأمتعة التى تجلب من الهند وعمان وتباع بالوزن كما كان ذلك فى أيام دولة سيف بن سلطان بمسقط ففعل خلفان بن محمد ذلك فاستقامت سوق شريفة فى بركا وسارت إليها الخشاب والركاب كما كانت تسير إلى مسقط والمطرح وكثرت فيها التجار وانتهى إليها وفود عمان والظاهرة للبيع والشراء وحملوا ما يحتاجون إليه منها فانقطعت المادة عن العجم القابضين بمسقط والمطرح وضجروا بمقامهم وانقطاع المواد عنهم وارتحال أصحابهم من صحار وزاد عليهم الخوف لما بلغهم عن سيف بن سلطان أنه مات فبعثوا رسولا منهم إلى الحزم أن يجىء إليهم رجل من اليعاربة وهو أقربهم نسباً إلى سيف بن سلطان فلما بلغ أهل الحزم رسول العجم بعثوا رجلا من أرحام سيف بن سلطان يسمى ماجد بن سلطان فلما بلغهم أمروه بالمسير إلى شيراز وكتبوا كتاباً إلى الشاه يخبرونه فيه بموت سيف بن سلطان وأن لواصل إليه هو أقرب رحماً إليه وإنهم بقوا فى مسقط والمطرح فى أضيق حصار وقد قطعت عنهم العرب المادة وقالوا لماجد اظهر الطاعة للشاه وجدد العهد بينك وبينه فإنه إن كتب لنا بتخليص ما بأيدينا من معاقل مسقط والمطرح لخلصناهن لك فأجابهم ماجد إلى ذلك فمضى على سفينة صغيرة إلى بندر عباس ثم ارتفع إلى شيراز فلما واجه الشاه وأعطاه الكتاب الذى

أعطته أصحابه القابضون معاقل مسقط والمطرح وقرأه وأقامه فى دار الضيافة ثلاثة أيام ثم كتب له لأصحابه بتخليص ما بأيديهم من المعاقل إليه فلما رجع أصحاب السفينة التى ركبها الطوفان فقذفها إلى صحار فمضى إلى أحمد بن سعيد فى حصن صحار وأخذ منه خط الشاه إلى أصحابه بتخليص معاقل مسقط والمطرح وأمر خميس بن سالم البوسعيدى أن يمضى بكتاب الشاه إلى مسقط ويقبض معاقل مسقط فمضى خميس ابن سالم ومعه أربعمائة رجل من قوم أحمد بن سعيد فلما وصلهم وألقى إليهم الكتاب ظنوا أنه رجل من جماعة ماجد بن سلطان وقد بعثه ماجد إليهم فسلموا له المعاقل كلها فترك فيها خميس بن سالم أصحاب أحمد بن سعيد الذين أتى بهم من صحار قال فكان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة أربع وخمسين ومائة وألف وقيل سنة ست وخمسين ومائة وألف قال وكتب خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد بقبض معاقل مسقط والمطرح من العجم فلما قرأ الكتاب مضي إلى بركا وكتب إلى خميس ابن سالم أن يأتيه بالعجم إلى بركا وبعث إليه بألفى رجل من رعية صحار وبركا ليتركهم فى معاقل مسقط والمطرح ففعل خميس ماأمره به ولما وصل إلى بركا ومعه العجم ضربوا خيامهم بالقرحة وبعث إليهم أحمد بن سعيد الضيافة ولخيلهم بالطعام قال أخبرنى أبى محمد بن رزيق عن أبيه جدى رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان والشيخ معروف بن سالم الصايغى والشيخ خاطر بن حميد البداعى والشيخ محسن العجمى القصاب وقد دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا لما رجع العجم من مسقط إلى بركا فى صحبة خميس بن سالم السعيدى وفيها يومئذ أحمد بن سعيد ضربوا

خيامهم فى القرحة فما يمر أحد على حلة من حلل بركا إلا رأى فيها قدوراً تفور بالطعام ضيافة للعجم من أحمد بن سعيد ولا يمر أحد بحلاو فى سوق بركا إلا يصنع بأمر أحمد بن سعيد حلوى للعجم ولا يمر أحد على زراع إلا يجز زرعه بأمر أحمد بن سعيد لخيول العجم وما بات أحد يدعى أن له فلساً على احمد بن سعيد فضلا عن الدراهم قالوا وكلام الناس على حدة أن العجم لا يستحقون هذا وإنما يستحقون أن تضرب أعناقهم بالسيف قالوا وبعد ماخيم العجم ببركا لثلاثة أيام خرجت موائد كثيرة للعجم في صوانى رحبة ودخل أكابرهم الحصن مع رسول أحمد بن سعيد وعدد من دخل الحصن من أكابرهم خمسون رجلا فما كان بعد دخولهم الحصن إلا ساعة من النهار حتى ضرب طبل فى الحصن ومعه مناد ينادى ألا من له وتر فى العجم فليأخذه منهم قال فما استتم كلامه إلا والصائح على العجم يصيح من كل مكان فخرج الصغير عليهم خلف الكبير من أهل بركا ومن انضاف إليهم من سائر البلدان فوضعوا فيهم السيف ففشا القتل فيهم وما بقى منهم إلا قدر مائتى رجل يصيحون الأمان الأمان يا أحمد فلما بلغ أحمد كلامهم نادى المنادى من الحصن ارفعوا عنهم السيف فرفع عنهم السيف قالوا وأما أكابرهم الذين دخلوا الحصن فإنهم قتلوا جميعاً . قلت ولعل إكرامهم الأول سياسة يحاول بها القبض على الخمسين المذكورين ليتمكن من قتلهم ولا يقال إنه قتلهم فى أمان فإنه لم يذكر فى سياق القصة كلمة تدل على التأمين والحرب خدعة قالوا ثم إن أحمد بن سعيد أمر بتعبير من بقى من العجم فى سفن أهل بركا إلى بندر عباس فلما بلغوا بهم حذا جبل السوادى خرقوا بهم السفن وسبح أهل بركا إلى البر وهلك العجم

كافة بالغرق قالوا ثم إن أحمد بن سعيد أمر على خميس بن سالم السعيدى
رجوعه إلى مسقط وأمر أن يصحبه كل من كان يسكن مسقط ومطرح
وكانوا جميعاً قد هربوا خوفاً من العجم فلما وصل خميس ومن معه لم
يعرف أهل مسقط حدود بيوت حللها الخارجة من السور لخرابها بمرابط
خيل العجم وروثها فاقتتلوا فكان عدد قتلاهم ستين رجلا ثم قسم بينهم
خميس بن سالم تلك الأمكنة بالتحرى وبارآ بينهم فى الدماء فصارت مسقط
والمطرح فى عمار بعد الخراب ثم مضى أحمد بن سعيد إلى الرستاق ففتحها
ومضى إلى سمائل فاستخلصها بغير حرب ومضى إلى أزكي فأذعنت له
فقبض حصنها بغير نزاع ثم مضى إلى نزوى فسلمت له ثم مضى إلى بُهلى
فأطاعته وقبض حصنها وأتاه سليمان بن محمد بن عدى اليعربى من سمد
الشأن وكان سليمان بن محمد والياً للامام سلطان بن مرشد أيام حياته فسلم
محمد له الحصن فقبضه أحمد بن سعيد وأنعم عليه بحصن نخل وتعاهدوا
أن لا يخون أحدهما صاحبه قال ابن رزيق فهذا سبب انتقال ملك اليعاربة
إلى أحمد بن سعيد قال وما بقى لأحمد بن سعيد منازع من اليعاربة إلا بعد
مدة طويلة قام عليه بلعرب بن حمير اليعربى وقتل فى وقعة فرق وهى
وقعة شديدة كانت بينه و بين أحمد بن سعيد فكان النصر لأحمد بن
سعيد وقتل بلعرب وقتل من قومه خلق كثير قال وكان بين هذه الوقعة
والوقعة التى بالطيب من الظاهرة من المدة اثنتا عشرة سنة ، قال وهى
حرب جرت بين أحمد بن سعيد وبين ناصر بن محمد بن ناصر الغافرى
وكان النصر فيها لناصر بن محمد ، قال وقتل من قوم أحمد بن سعيد اثنا
عشر ألفاً ، هذا من كلام ابن رزيق إلا ما كان من إصلاح فى لفظه

وحذف لبعضه لأجل إصلاح التركيب ولم نجده مأثوراً عن غيره فالله أعلم بصحته ، ولا يرضون الكذب وإنما نخاف التساهل فى النقل فقد رأينا بعض الناس يأخذ الأخبار من لسان العامة ثقة بهم ولسنا ممن يثق بالعامة فإن غالبهم ليس ضابطا أو أكثرهم لا يحسن النقل . والله أعلم بحقيقة الأمر .

مرة أخرى على معنى مايقتضيه كلام بعض المؤرخين فان سياق التواريخ يقتضي أنه بويع له مرتين : مرة قبل سلطان بن مرشد وذلك فى سنة خمس وأربعين ثم استعفى عن هذه الامامة وترك الامر لسيف بن سلطان حين خافوا على عمان من العجم بافتراق سيف و بلعرب على حسب مامر ، والمرة الثانية بعد ذلك ولم أقف لها على تاريخ غير أن فى كلام بعضهم مايدل على أنه كان ذلك فى آخر عمر سيف بن سلطان قبل موته وفى كلام حبيب بن سالم مايقتضى أنه بويع له على الدفاع ، وحكم هو ومن معه من المشايخ بتغريق أموال سيف بن سلطان لاستغراقها في الجنايات والمظالم . قال ذو الغبراء — خميس بن راشد — وقد ذكر الشيخ حبيب ابن سالم قال وهو الذى حضر مع الامام بلعرب بن حمير وكثير من العلماء بحضرتهما فحكموا باستهلاك مال سيف بن سلطان باتيانه العجم بعمان فسفكوا فيها الدماء وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، قال وأما الشيخ سعيد ابن بشير الصبحى فقد مات قبل دخول العجم بعمان ، وذكر فى التغريق كتبا تاريخ بعضها ثامن ذى القعدة سنة سبع وخمسين ومائة وألف ، وبعضها فى أول المحرم من سنة ستين ومائة والف منها كتاب فيه نصيحة من مشايخ بنى خروص للامام ومن معه من العلماء قالوا فيه بعد البسملة والثناء : طرقت الينامن جنابكم الشريف العالى المنيف اشارات لائحة و براهين واضحة تشير إلى الحكومة باملاك السيد سيف بن سلطان بن سيف اليعربى يسلك بها سبيل أموال بنى نبهان فذلك قول من أقوال المسلمين ورأى

موافق مبين ولا مطعن فيه إلى من طعن ولكن هل لكم ياساداتنا ومشايخنا أن تأخذوا بالقول الآخر وتتأخروا عن هذا المال جهداً وتعرضوا عنه كرماً وزهداً والله أولى بسيف وماله وهو المناقش عن أخذه ومآله وحسبكم الله فى الظالمين فان لله سطوات ونقمات ، وقد قال الله فى كتابه العزيز « ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون » وليس هذا منا اعتراضا على المشايخ العلماء والسادة الحكماء الذين لهم فى العلم والزهد الدرجة العليا والشرف الأسنى ، ولكننا لما نجد لكم فى قلوبنا من المودة وجميل الصحبة فاعذروا وسامحوا واغسلوا درن غيظكم بفيض منكم وفضلكم والاصل كل الامر لله وما كان وما يكون فبقضاء سابق من الله الإله الحكم وإليه ترجعون ، وعليكم وكافة ذويكم منا السلام جزيلا يتجدد بكرة وأصيلا ، وذلكم من أفقر عبيد الله وأحوجهم إلى رحمة الله أصفيائكم المحبين للحق وأهله : محمد بن خميس ابن مبارك ومن شاء الله من رجال بنى خروص، وكاتب الأحرف الواثق بالله عبده سعيد بن محمد بن راشد بن محمد ومهما سنح لكم من أرب فالمحبون مستقيمون لما يبدو . تاريخ الكتاب يوم السبت لتسع خلون من شهر المحرم سنة ستين ومائة والف هجرية إسلامية .

فأجابهم الإمام بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربى إلى المشائخ المحبين محمد بن خميس وسعيد بن محمد بنى خروص سلمهما الله تعالى ، وكتابكم الشريف وصل وسرنا حال سلامتكم وذكرتم فى التغاضى والإغفال والاعراض عما خلفه سيف بن سلطان بن سيف اليعربى مالم تقم الحجة وتنزل البلية فنحن قد

تغافلنا وأعرضنا وتغاضينا وقد مات سيف هذا من سنين حتى قامت الحجة ونزلت البلية بأن احتسب من المسلمين للمظلومين فى مالهم حقوقا وتبعات ومظالم من دماء وفروج وعقور وسبي ذرارى وتملك أحرار ، وقامت البينة العادلة التى لاشك ولا ريب بعدالتها وثقتها على صحة هذه المظالم ومع ذلك تؤيدها الشهرة القاضية التى لاشك فيها ولاارتياب لما فعله سيف هذا وقادة من الجيوش الضالة المضلة وبما كان منه من الدلالة على عباد الله بالظلم والطغيان والجور حتى أن المجانين والصبيان يتكلمون بصحة ذلك ، فما ظنكم بذى عقل ؟ وما حكمنا الا بعد هذه الحجة وان أموال سيف هذا لا تنقسط على أهل الحقوق إذ لا نعرف كم هى وان ماله لايفى بها فرأينا إذ قامت علينا الحجة إذ لا يسعنا الا القيام بذلك وإنفاذ حجة الله على القريب والبعيد والقوى والضعيف والدنئ والشريف وهذا قول الله ناطق « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون[1] » وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلاتتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تُعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً[2] » فعلمنا أن لامحيد لنا الا القيام بالحق والتكلم بالصدق ، وقد قال الله تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم[3] » ، ومن لم يحكم بما أنزل الله

(١) سورة المائدة آية ٨ (٢) سورة النساء آية ١٣٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٩

فأولئك هم الكافرون[١] » والظالمون والفاسقون ، ثلاث آيات يعرفهن من هداه الله البيان وسلك به طريق الرضوان ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما[٢] » والله الله أحباءنا عن التكلم بعداوة ذلك ، محجور فى دين الله علينا وعليكم . والتكلم بالحق أولى ، واحذر من رضا المخلوقين ورضا الناس غاية لاتدرك ، ونحن قد دخلنا فى ذلك بنظر المسلمين ولم ندخل فيه بهوى ولا ارتدينا فيه برداء العمى فأعجب المسلمين ذلك وسجلوا على صحته وحكمنا به وحكموا به والله قد أمضى ذلك وحكم به ، ونحن بالله معتصمون وعليه متوكلون وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، ولم نخف فى الله فى هذا ولا غيره لومة لائم ولا سطوة مخلوق . والله يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا : وليس على الله بعزيز أن يوفقنا وإياكم على سلوك مرضاته التى سلكها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم « فمن بدله بعد ما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » وماذا بعد الحق الا الضلال ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبه الإمام بيده حامد الله وحده ومصلياً على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم . بتاريخ عاشر المحرم سنة ستين ومائة وألف هجرية نبوية إسلامية .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ (٢) سورة النساء آية ١٠٥

ذكر الأحداث التى ذكرها حبيب بن سالم
فى سيرته للامام بلعرب بن حمير وخلعه بها من الإمامة.

من تلك الأحداث قتل بجاد بن سالم قال له قتلته محقاً قد فعل الحق وقال الصدق بخلعه اياك جوعاً وعطشاً وطمرته فى طمورة مقيداً مقطوراً مدفوناً عليه. وفعلت به فعل الجبارين كما قال الله تعالى «، إذا بطشتم بطشتم جبارين» قال وأنت لو رجعت إلى نفسك وعقلك لعرفت أنه على الحق وأنك على الباطل ، وتعلم أن قتلك له رضى لمن أمسك من الجبارين لينصروك ويعصبوك قال فهذا أمر أقبح الفعال ولا نصرة منهم لك حاشا لله أن ينصرك بأعداء الله ياعدو الله قال وأنكرت عليه أفعاله الحسنة إذ أنه حرب للبداة قطاعة الطريق المفسدين فى الأرض وأنت لهم سلم تعطيهم مال الله وتظلم لهم العباد وتعطيهم إياه . ومنها سجن صالح بن ربيعة قال سجنته ظلماً وعدواناً بعلم منى يقين أنه أنكر عليك الباطل فحبسته على إنكاره الباطل عليك ، قال وقد أنكرت عليك أنا بنفسى الذى أنكره باستعمالك الخونة فى واديهم لقبض زكواتهم قال وما حبسك إلا حبس طغاة متجبرين أدخلته ضيق السجن مقيداً مقطوراً ، قال وكذلك سجنك للشيخ محمد بن سالم الندابى سجنته ظلماً بعد أن أعطيته الأمان قال وما سجنته إلا بإنكاره عليك العامل الذى ببلدهم وليس لسجنك طائل تتعاطى فيه علم الغيب ولم تقبل منهم صدقاً ولا عدلا ولا من المتوسلين لهم إليك . قال فهذا فعل الجبارين فالله يحكم بيننا وبينك « يأيها الناس أتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئاً[1] » قال وكم مسجون فى سجنك مظلوم سجنتهم على

(١) سورة لقمان آية ٣٣

ما تهوى نفسك ورضا لمن تحب . ومنها قتل عامر بن سليمان بن بلعرب الريامى قال قتلته فى مطمرك فيما بلغنا عنك جوعاً وعطشاً قال وبلغنا من أفعالك القبيحة فيه أنكم تجوعونه وتعطشونه أياماً ثم تأتون إليه بالماء وهو على شدة العطش فيشربه عطشاناً جائعاً فيسرع إليه الموت قال ماسمعنا بهذا فعل جبار قبلك فياويلك من حر عطش النار وجوعها قال وقد صح معنا أنك حبست الشيخ خميس بن محمد بن مبارك البوسعيدى وقيدته إذ أن الشيخ أحمد بن سعيد حبس محبك سعيد بن ناصر البحرى وضيقت على الشيخ خميس هذا فى سجنه وقيده ضيقاً عظيما معاقبة بحبس سعيد بن ناصر وأن المعاقبة فى القبيلة لاتجوز فيما عرفنا ولا نعلم فى ذلك خلافاً بين أهل العلم ، وقد أجازها من أجازها من أهل العلم فى المال دون النفوس ، وقد منعتهم المباح فى سجنك ومنعتنى الطعام والشراب فى سجنك وعذبتنى ضرباً وأخذت مالى غصباً فياويلك من عذاب الله «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[1]» فمن أين يحل لك أخذ مالى وأنت قد صح عندك خلع المسلمين لك تنادى فى الاشهاد بلسانك انك قد خلعت وقبل ذلك قد أبلغك ثقات المسلمين ، وقد عذبتنى على ذلك عذبك الله بناره وأنت تعلم هجرة خلع المسلمين إنها قبل تصرفك فى بيعك فى مال الله ويومئذ لا تصرف لك ، خلع المسلمين لك جائز صحيح بقلة الحماية منك لهم وعن حريمهم ويضعفك الذب عنهم وأنت تعلم أنك امام دفاع ، وجائز امام الدفاع للمسلمين أن يخلعوا امام الدفاع بذلك ، فكيف وأحداثك شاهرة ظاهرة ما فعلت بمن كان

(١) سورة الرعد آية ١١

فى سجنك وبتوليتك المفسدين على عباد الله فى بلاده ، ومنها تزكي عباد الله بلا حماية وتولى على قبضها الخونة المفسدين وتأخذ الخراج على غير الحقيقة وتسلكه على غير الطريقة وتضيعه ومال الله فى البغاة قطاعة الطريق المفسدين فى الأرض سفاكي دماء المسلمين ، قال وقد صح عندنا أن جباتك يأخذونها من حيث لا تجب وعلى من لا تجب عليه وقد نصحناك فأبيت إلا ما تهوى نفسك وهذا ظلم، وقد قال الله عز وجل «ولا ينال عهدى الظالمين» قال وانك حللت دماءنا بخلعنا لك ونحن قد فعلنا الحق وقلنا الصدق وامام الدفاع يخلعه الواحد من المسلمين فى بعض الأقوال فكيف وقد خلعتك جماعة المسلمين فأين عنك ذكر الوقوف بين يدى الله عز وجل وأين عنك ذكر مناقشة الله فى دمائهم وأموالهم . فاتق الله يا بلعرب بن حمير ولا تتسم بالإمامة ولا تقل انك على الاستقامة فتكذب على الله قال : ومن أحداثك أنك متعود الكذب وتنقض العهود ولا تعاهد فتفى ولا عهد لك ولا وفاء فمن أين لك الامامة ولا تحصى احداثك ولا تكن قائداً للبغاة ولا تسعى فى الأرض بالفساد ولا تعاضد المفسدين فى دماء المسلمين واتق الله ولا تماد عاصياً واحذر أن تكون قائداً للبغاة ، قال : ويكفيك ما احتطبته على عنقك أن تعذب به وانك غير امام يعرفك الخاص والعام قال فاعلم علما يقينا إنى أنا خالعك والشيخ سالم بن راشد البهلوى والشيخ راشد بن سعيد الجهضمى والشيخ محمد بن ناصر الحراصى والشيخ محمد بن عامر والشيخ محمد بن خلف والشيخ غانم بن عامر والشيخ بجاد بن سالم ومن بقلبه إيمان الله ولم يتمسك بإمامته إلا الجاهل مثلك ، والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ونهى النفس عن الهوى ، من خادم العلم وأهله

حبيب بن سالم بن سعيد بن محمد بن خلف بن محمد أمبو سعيدى العقرى النزوى وكتبه بأمره عبد الله بن ناصر بن سليمان بيده وتاريخها يوم سبع وعشرين والجمعة من شهر شعبان من شهور سنة إحدى وستين ومائة وألف من الهجرة وقال ذو الغبراء قد عمل بلعرب بن حمير برأيه فى طمره للمسلمين وقتله لبجاد بن سالم الغافرى والشيخ عامر بن سليمان الريامى فضعف أمره واجتمع عليه بنو غافر ولزموه بالحيل وأخرجوه من ملكه وأقام بفلج البزيلى .

ذكر مقتل بلعرب بن حمير

وكان قتله بعد أن خلع من الامامة بسنيات ، خرج عليه أحمد بن سعيد البوسعيدى وذلك بعد أن استولى على حصون الباطنة وما حولها وخرج إلى نزوى وذكر بعضهم أن أحمد التقى ببلعرب بن حمير وأنه قال له أنت إمام فوق إمام كيف هذا فقال بلعرب ان سيفاً غير السيرة وخالف الجماعة وسد باب الطاعة واختار المسلمون إماماً غيره فلذلك عزلوه ثم اختارونى وعقدوا لى الإمامة قال فقاتله أحمد بن سعيد برؤوس القبائل فقتل بلعرب بن حمير بفرق وخاصت نزوى لأحمد بن سعيد وذلك فى سنة سبع وستين ومائة وألف ، كذا ذكر بعضهم وهو مخالف كلام بن رزيق المتقدم ، والله أعلم .

باب انتقال الدولة من أيدى اليعاربة
إلى أيدى آل بوسعيد

وهم ملوك العصر والله يؤتى الملك من يشاء والأيام دول ولا تبقى الدنيا على حال ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلما غيرت اليعاربة سيرة السلف الصالح وظنوا بغباوتهم أن الدولة ميراث وتكالبوا على الملك أذهب الله ذلك من أيديهم وجعله إلى غيرهم . وأول هذه الدولة أحمد بن سعيد بن أحمد محمد البوسعيدى وهو أبو ملوك العصر ، قيل أنه كان صبيا صغيرا فى (أدم) فلقيه الشيخ خلف بن سنان وكان من أهل الكشف فوضع يده على رأسه وقال له اتق الله فى الرعية فنشأ الغلام وشب ولما بلغ أشده استعمله سيف بن سلطان فوجد منه الكفاية ثم ولاه على صحار فوجد منه كفاية لم يجدها من غيره فجعله سيف دولته وموضع شوكته وصولته وفوض إليه الأمور كلها ، وكان أهل نزوى قد عقدوا الامامة بعد سلطان بن مرشد على بلعرب بن حمير بن سلطان فلبث بعد هذه البيعة أشهرا وبعث سيف بن سلطان عامله أحمد بن سعيد ليخلص له حصون عمان ويقاوم بلعرب بن حمير فخلص الحصون وانتهى إلى نزوى وفيها بلعرب فقال له أحمد أنت إمام فوق امام كيف هذا ؟ فقال له بلعرب لأن سيفا غير السيرة وخالف الجماعة وسد باب الطاعة واختار المسلمون إماما غيره فلذلك عزلوه ثم اختارونى وعقدوا لى الامامة ، فقاتله أحمد بن سعيد برؤوس القبائل فقتل بلعرب بن حمير بفرق وخلصت نزوى وعقدوا الامامة عند ذلك لأحمد بن سعيد البوسعيدى . كذا وجدته فى سيرة متقطعة من أولها

ولا تخلوا من تخليط ، والصحيح الذى يشهد له ظاهر الحال وما ذكره ابن رزيق أن سيف بن سلطان كان قد مات قبل قتل بلعرب وأن أحمد بن سعيد قد تغلب على حصون الباطنة وما حولها بعد موت سيف ، وأن سيفا كان قد جعله فى صحار وتغلب على صحار فى حياة سيف وأنه كان قد انضم إلى طاعة سلطان بن مرشد فلهذا أحاطت العجم بصحار وفيها أحمد بن سعيد وذلك فى حياة سيف واستولى عليها وأخذ مركب سيف فى حياته ، وخرج سلطان بن مرشد لكشف العجم من صحار ودخل بعد الجراح فى الحصن عند أحمد بن سعيد ومات عنده ثم مات سيف بن سلطان بعد ذلك بيسير واستقل أحمد بحرب العجم ونصره الله عليهم فى مواطن تقدم ذكرها فى كلام ابن رزيق وخلصت له حصون الباطنة واستقل بها ، وسار إلى بلعرب وهو امام على نزوى وما حولها وكان قد خذله أصحابه وخلعوه فقاتله فنصر عليه وقتل بلعرب وعقدت الامامة على أحمد بن سعيد والعاقد له حبيب بن سالم الأمبوسعيدى المقرى النزوى وابن عريق وذلك فى سنة سبع وستين ومائة وألف ولم ير أبو نبهان وولده ناصر وغيرهما من الأفاضل صحة امامته لأن بيعته كانت على غير مشورة من المسلمين ولأنه كان عقداً مشكلا لأنه كان بعد التغلب على ملكهم ولأن حبيبا وابن عريق ليسا ممن يلزم المسلمين عقده لا سيما وقد كان عقداً بعد فتنة وتغلب على الأمر ، وخاطبه الشيخ سعيد بن احمد الكندى بالامامة واطلقها عليه عامة الناس . قال أبو نبهان: الخطاب بالإمامة يحتمل وجوها ، وقال ناصر بن أبى نبهان : ان السلطان الذى يسمونه الإمام أحمد بن سعيد

جيش ثلاثين ألفاً إلى الظاهرة قال وخرج لهم مقدار سبعين رجلا وكسروا الجيش كله قال ومات كثير منهم بالجوع والعطش بعد أن ولوا الأدبار قال وكثير منهم لم يتمكن فى الهزيمة أن يستريح مقدار ربع ساعة ولذلك ماتوا. قال وحكى لى الشيخ محمد بن عامر الكندى أن الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندى والشيخ العالم[1] العدوى مرا على امرأة متورعة قد بلغت فى السن وصارت قليلة الصحة فقالت للشيخين أسار الجيش ؟ قالا لها نعم قالت كم من سائر فيه وهو فى الحكم غير سائر معهم ، وكم من واقف فى بيته وفى الحكم هو سائر معهم . قال ناصر أرادت كم من مجبور غير راض بذلك ولا يدخل فى الباطل معهم فليس هو معهم ولا منهم فى الحكم لا يشاركهم فى الاثم ،وكم من راض مسرور ويهوى الغلبة للجيش ويرضى بفعلهم بغير مالا يسعهم وهو فى بلده وفى الحكم هو منهم ومعهم بمشاركته لهم فى الإثم. هذا كلام هؤلاء الأفاضل فى إمامة هذا الإمام ،غير أن اسم الإمامة ثبت له عند الخاص والعام اسماً دون حكم فأولاده يقال لهم أولاد الامام والوقعة التى أشار إليها الشيخ ناصر أظنها الوقعة التى ذكرها ابن رزيق وغيره وهى حرب جرت بين أحمد بن سعيد وناصر بن محمد بن ناصر الغافرى وكان النصر فيها لناصر بن محمد وقتل من قوم أحمد بن سعيد إثنى عشر ألفاً . قال ابن رزيق وكان بين هذه الوقعة وبين وقعة فرق التى قتل فيها بلعرب اثنا عشر سنة . وقال ذو الغبراء: لما ملك أحمد بن سعيد وساد ودانت له الخلائق واستقام ملكه وخذل عدوه، دلته نفسه بقتل أكابر بنى غافر فلما قتلهم مشى على ديارهم بجيش عظيم فالتقوا بالأثيلة فصح عليه الكسير وهم فئة قليلة

---

(١) بياض بالأصل .

فثارت بينهم العداوة والبغضاء إلى أن ظهر فى الملك سعيد بن سلطان وحمود بن عزان فعملا فى الرعية بميزان البصيرة وإصلاح الفريقين فدانوا لهما اهـ كلامه وللشيخ سعيد بن أحمد الكندى رد أحداث على أحمد بن سعيد فى سيرة كتبها جوابا له حين سأله عن أمور دخل فيها قال رحمه الله: فيامعاشر المسلمين وياحملة القرآن العظيم ويا أهل هذا المذهب القويم من أين جاز لامام المسلمين أن يأمر على شيخ قبيلة من رعاياه بكذا كذا رجلا ليخرجوا من ديارهم للمحاربة والقتال بالجبر والقسر ومن لا يأتى منهم يحبس ويقيد ويضرب ولايسمع له عذر ولامقال ،ورؤساء البلد لايؤمنون ولا تقبل شهادتهم بقيراط لرجل ولى مسلم على يهودى فاسق مخالف لدين رب العالمين ولا يكونون حجة ولا مأمونين فى شىء من أحكام دين الله تعالى إلا فى هذا الحرف المخصوص فإن قولهم على ضعفائهم مقبول ان فلانا عليه من الغرامة لعز الدولة كذا وكذا ، وان فلانا مأمور عليه وواجب عليه الجهاد إلى قتال عدوه ومن يأبى عن ذلك فيحبس فى العذاب المهين بقول ذلك الرجل الفاسق اللعين ، أيا معاشر المسلمين من أين جاز هذا وثبت من قول الرؤساء على الناس يجب ويلزم على من ألزموه منهم وينحط عمن لم يجعلوا عليه شيئاً من قراباتهم وأرحامهم ولو كانوا أصحاب أموال ان هذا لهو الزور المفترى والكذب على الله ورسوله والمسلمين فإن قتل ذلك الرجل المجبور بقول ذلك الرئيس على ماوصفناه فهلا يلزم على من جبره دية أو يقاد به أولا يلزمه شىء ومن جبره على تسليم شىء من الغرامة على ماوصفنا فهلا يلزم فيه ضمان أو استحلال فالله الله رحمكم الله فى أمر الدين ورضا الحى القيوم، إلى أن قال: وقد ذكرت تسأل وتناظر أن تستعين بأناس

من قبائل أهل الخلاف من غير أهل عمان فلا يعجبنا ذلك ولا تفتح لهم بابا على أهل عمان وتدعوهم إلى نصرتك ومعونتك فانهم لاتؤمن غوائلهم ومكرهم وخدائعهم ولا ترجى منهم النصرة لهذا الدين وهم أعداؤه وحربه وقد كمنت العداوة فى قلوبهم لأهل هذا الدين ، أترجى منهم أن يتخطوا الفيافى والقفار ويحتملوا المشاق والمضار ويسافروا البر والبحار ريجهزوا الأموال والأبشار ويفارقوا الأهل والأصهار لنصرة من عاداهم فى الدين وإن كان مجيئهم واجابتهم لدعوتك من قبل الاطماع وما تبذله لهم من المال فعندنا أن ما تبذله لهم من المال لا يقوم بما يغرمونه من أموالهم ولا يبيعون به أنفسهم للقتال وإن لم تجد من أهل عمان على غير الجبر فكيف تجد من غيرهم إلا على طمع فى سلطانك وملكك فتفكر فى ذلك وتدبر تدبر من أشفق على نفسه طالبا رضا الله وانظر فى أمر سيف بن سلطان وأتباعه العجم وماتولد من أمورهم وصنيع حيلهم فإن لمن تدبر فى ذلك وتفكر عظة عن غيره ، ومن لم ينفعه قليل الحكمة ضره كثيرها انتهى ما أردنا نقله من كلامه وكان أحمد بن سعيد صاحب همة عالية ومطلب سام وجرأة وإقدام فصار ملك عمان كله اليه إلا ماشاء الله ، ودانت له القبائل وسكن الحركات وأطفأ كثيراً من الفتن وأمر ونهى وقام بأمر الدولة وأعطى المملكة حقها ودافع العجم واستراحت الرعية وتجدد الملك .

وتوفى أحمد الامام سنة ست وتسعين ومائة وألف فكانت أيامه أيام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن وكانت مدة ملكه بعد العقد تسعا وعشرين سنة وخلف أولاداً منهم سعيد بن أحمد وسلطان بن أحمد وقيس بن أحمد ومحمد بن أحمد وطالب بن أحمد وهؤلاء كلهم يقال لهم

أولاد الامام . فأما سلطان فهو أبو ملوك مسكد وزنجبار ، وأما قيس فهو أبو ملوك الرستاق وكانوا قبل ذلك على صحار وما يليها ، وأما محمد وطالب فإنهما وليا من قبل إخوتهما : فولى طالب الرستاق وولى محمد السويق من الباطنة ، وأما سعيد فهو الذى ملك بعد أبيه بالحال وتسمى بالامامة وخاطبه بها أبو نبهان وذكر ذلك لأجل معنى يريد به دفع مظلمة عن بعض الناس قال إن الخطاب بالامامة يحتمل وجوهاً واشتهر بهذا الاسم من بين إخوته فأولاده يقال لهم أيضاً أولاد الامام ابن الامام ولم يعدل فى ملكه ولم يرض المسلمون عليه ، وكان أديباً لبيباً معدوداً من أدباء عصره ومما ينسب إليه من الشعر قوله متغزلا :

يا من هواه أعزه وأذلنى	كيف السبيل إلى وصالك دلنى
وتركتنى حيران صبًّا هائما	أرعى النجوم وأنت فى نوم هنى
عاهدتنى أن لا تميل عن الهوى	وحلفت لى يا غصن أن لا تنثنى
هب النسيم ومال غصن مثله	أين الزمان وأين ماعاهدتنى
جاد الزمان وأنت ما واصلتنى	ياباخلا بالوصل أنت قتلتنى
واصلتنى حتى ملكت حشاشتى	ورجعت من بعد الوصال هجرتنى
لما ملكت قياد سرى بالهوى	وعلمت أنى عاشق لك خنتنى
ولأقعدن على الطريق فاشتكى	فى زى مظلوم وأنت ظلمتنى
ولأشكينك عند سلطان الهوى	ليعذبنك مثل ما عذبتنى
ولأدعين عليك فى جنح الدجى	فعساك تبلى مثل ما أبليتنى

وكتب إلى أخيه سلطان بقوله :

إذا شحت الخضراء بالوبل فالتمس   تجد جود سلطان على الناس كالمطر
فإن عز مطلوبى فليس شماتة   وان حصل المطلوب فالفوز بالظفر

ولعل هذه الكتابة كانت منه لأخيه بعد خروجه عليه وأخذه لغالب ممالكه على حسب ماسيأتى إن شاء الله ، ونذكر الأحوال الواقعة فى ملك سعيد بن الامام ونفرد لها بابا .

باب الأحوال الواقعة فى أيام سعيد بن الإمام

ذكر ناصر بن أبى نبهان أن السلطان سعيداً مال إلى شف الهناوية وتنكرت عليه الغافرية . وذكر أبو نبهان بعض ماوقع بينه وبين السلطان وبين بعض الغافرية فى رده على السيرة الثلبية ، ومن جملة من خالفه العبريون ورئيسهم يومئذ سالم بن مسعود ، قال أبو نبهان فكم مرة سار إلى بلدهم الحمراء بجيوش كثيرة وعدد كثير ولم يقدروا أن يشربوا منها شربة ماء . قال : ويخرجون إلى قتالهم أناس قلة ، وفى مرات لم يعلم الجميع بهم أوعلموا فيبادرهم أناس قليلون من الخمسة عشر رجلا أو يزيدون قليلا أو أقل وفيهم كبيرهم هذا فيقتلون فيهم ويولون الأدبار والقتل فيهم وأهل البلد فى هيئة البراز لهم وذلك إذا كان مجيء واليهم على غفلة منهم قال فلما لم يقدر عليهم صالحهم وأعطاهم العهود والمواثيق بالأمان عليهم جميعاً وقرب كثيراً أخا الشيخ سالم بن مسعود خدعة وعرفهم أنه يصلهم زائراً لتمام الألفة وجاء بقوم كثير وجيش كبير وتركهم وراء الحورة ودخل هو فى وسط الأموال باناس قلة ونزل هنالك فذبحوا له للضيافة وعظموا الكرامة وقعد آمناً منهم وهم آمنون منه ولما حضر أكابر البلد وفى نيته أنه يحيط بالأكابر ويهلكهم فما كان غير قليل إلا وأحاطت القوم بهم وظن الأكابر أن وصولهم من غير رأيه معهم بل كما جرت العادة أن السلطان تتبعه الناس حيث يسير يسيرون فى طلبه فلم ينظروا إلا والسيوف قد علت وأحاطت بهم فقتلوا أخا الشيخ سالم بن مسعود وتشمر الشيخ ومن حضره من الأصحاب لقتالهم وكانوا يفرقون منهم لشهرتهم فى شدة البأس وقلة مبالاتهم فى القتال فى الحرب فانهزم القوم مولين الأدبار منهزمين والقتل فيهم ممن حضر الشيخ لاغير ولم يعلم بهم.

من في البلد إلا والقوم بعدوا عنهم ، قال فهذا الذى قد كان منهم فيهم
وذكر أبو نبهان وولده ناصر أن أخا السلطان سعيد كاتب عليه المسلمين
ووعدهم بالاعانة وواثقهم للقيام عليه وأن يمدهم بالمعونة فى حربه على
شرط أن يكون الأمر راجعاً إلى المسلمين يولون من يرون أنه أصلح
للامة وأقطع لمادة الفساد وأقوى فى أمر الدين ولم يسموا هذا المكاتب
أى اخوة السلطان كان وأظن أنه سلطان بن الإمام لأنه هو الذى اشتهر
بالخروج على أخيه فوافق قيام المسلمين وفيهم الشيخ أبو نبهان ووقوع
فتنة بين أهل نزوى فخرجوا فى الظاهرة لاطفائها وهم يضمرون غير
ذلك بل كان مرادهم التمكن من السلطان بالحيلة وسيأتى إن شاء الله تعالى
تمام خبرهم مستوفى ، وكان لسعيد بن الإمام ولد يقال له حمد بن سعيد
حدثنى من أثق به من أولاد الإمام أن هذا الولد كان قد طلع طلعة حسنة
وثار ثورة مباركة فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى أيام
والده وكان أبوه بالرستاق وكان هو ببركا وكان يطوف بقومه على عمان
باطنة وظاهرة ثم يأتى على الجوف والشرقية يصنع ذلك فى السنة مرتين
يتفقد الممالك والرعايا وحصلت له فى القلوب هيبة ومحبة ، قال فدخل
على أبيه يوماً وكان قد جاء من سفر وأبوه بالرستاق وكان بارزاً فى غرفة
الصلاة وكان قد تحزم بديولى وهو رداء يعمل من الابريسم والزرى
فقام له أبوه ليحييه فلما رأى حمد لباس أبيه لم يتمالك أن تناول الديولى
من حزام أبيه فجذبه انكاراً لما رأى فدار أبوه بذلك دورين أو ثلاثة ،
قال : وكان عمه سلطان بن الإمام عند آل وهيبة ساكنا فى سيوحهم
الحدرية وكان همه وعزمه هم الملوك وعزمهم فأخذ يوما سبعين راكباً
وقصد بركا ليقتل ابن أخيه حمداً خوفا على الملك أن يستولى عليه دونه
فلما وصل بركا وافق حمداً خارجا فى البلاد على فرس ومعه فارسان أو قال

ثلاثة فتلقى حمد عمه بالترحيب ونزل عن فرسه وحياه ثم ركب فرسه وقال أنا قدامكم ومضى إلى الحصن مسرعاً فقال أصحاب سلطان كيف أفلت الرجل وقد عزمت على قتله ولا تجد له فرصة مثل هذه فقال إنى هبته ، وما كان بسلطان من وهن فى باب الرجال غير أن الأقران تعترف للاقران ثم أناخ على الكرامة وترخص ومضى فمالبث حمد بن سعيد بعد ذلك إلا قليلا من الزمان ثم توفى ورثاه أبوه بأبيات قال فيها :

وافا حمامك ياحبيبى بالعجل	نار تلهب فى ضميرى تشتعل
يامن له شرف وفضل فى الورى	أمسى وحيداً مفرداً دون الأهل
الله أكبر من مصاب عمنا	هماً وغماً لايبيد ولا يفل
حمد حوى المجد الشريف تغيرت	أيامه قد كان يضرب بالمثل
صبراً لأولاد الإمام ومن لهم	من اخوة وأقارب فيما نزل
لاغرو هذا قد أتى خير الورى	لم تمنع الأموال عنه ولا الدول

وقال أيضاً :

لهفى على عيش مضى	ماذقت أحلى منه شى
لما ذكرت عهوده	جرت الدموع وقلت أى

وفى يوم الخميس لثمان مضين من شوال من سنة ثمان وتسعين بعد مائة وألف خرج رجال من حارة الوادى من نزوى وهم فى حال الريبة والتهمة بالفساد لاختلاط النساء بالرجال ونزلوا على جبال سمد نزوى فى الجانب الغربى عند جبل الحلاة على حذا مسجد الجبل وقيل معهم بعض النساء المسترابات فلما كان وقت الظهر خرج عليهم ملأ من سمد نزوى فهجموا عليهم بالبنادق والسيوف فقتلوا منهم أربعة رجال وجرحوا آخرين وقتل من الخارجين واحد وجرح اثنان فكتب الشيخ سعيد بن أحمد الكندى إلى السلطان كتابا فيه : أما بعد ، فإن السوقة طغوا وبغوا

ونهيناهم مراراً فلم ينتهوا فالآن قد قتل منهم أربعة رجال ولا يجوز أو لا يعجبنا أن تعاقب أحداً منهم فى نزوى وأرسل به رسولا ، قال أبو نبهان . فلم يرد السلطان إليه جوابا قال وقوله ولا يعجبنا أن تعاقب الفاعلين بنزوى ليس فيه مايدل على أنه يعجبه فى غيرها أولا إذ قد خصها ولم يذكر ماعداها بشىء جزماً فهو مما يحتمل لأن يكون المشتمل على المندوحة فى القول الواسع وكأنه مما يدل على محاولة السلامة فى الأمرين الدنيا والدين فما أبلغه فى نظر العارفين خلافاً لمن عابه من الجاهلين ، ثم خرج بعض أكابر العقر وأتوا عبد الله بن محمد الكندى وهو يومئذ كبير أهل سمد وطلبوا إليه أن يخرج إليهم القاتلين فواعدهم بالغد فاستشار الشيخ سعيد بن أحمد الكندى وهو يومئذ عالم أهل نزوى فقيل إنه أفتاه وقال له لا تخلص القاتلين إلى أحد لأن الناس فى هذا الزمان لا يؤمنون عن التعدى فى العقوبة وأخذ الحقوق وعبد الله بن محمد هذا هو الذى بنى بيت سليط بسمد نزوى فى أرض له يقال لها سليط فاضيف البيت إليها ثم إن أكابر العقر كتبوا للسلطان بصفة الحال وهو يومئذ بالرستاق فجاء إليهم فى رجال وعبيد وجمع غير كثير فلما وصل نزوى طلب منه ماقد طلبه أكابر العقر سابقاً فاعتذر الرئيس واعتل بان الفاعلين قد اختفوا فلم أجدهم فطلب منه السلطان سبعة رجال من أهل القاتلين ضمانة يكونون فى السجن حتى يأتى بالقاتلين فأجابه إلى ذلك ودفع إليه الرجال وأحدهم ولده وألزمه أبو نبهان التوبة من تسليمهم وحاول عبد الله اخراجهم من يد السلطان فلم يقدر وكان يشاور فى أمره الشيخ سعيد بن أحمد الكندى ثم إن السلطان طلب من عبد الله ابن محمد بيت سليط ليجعل فيه رجالا من طرفه فأبى وخرج إلى من حوله من القرى والمسافى والجبال واتى بالجيوش والحشود واشتد الأمر

وقبض السلطان عليهم المقابض وقطع عليهم السبل فصار أهل سمد ومن معهم فى بيت سليط ، وفى جامع سمد والسلطان ومن معه فى الحصن وأهل السفالة فى حوائرهم وبقيت الأمور كذلك من تاسع شوال إلى خامس عشر من ذى القعدة من السنة المتقدمة قال أبو نبهان أقاموا بسمد نزوى كأنه لمعى الدفع عنه ولم نسمع أنها كانت لهم غزوة على أحد وإنما أغير عليهم من السفالة يوماً لكن على مجازة النساء فأتوها من علا الحورة فثار الناس إليهم وتراموا بالبنادق حتى هزموهم بعد أن أصابوا رجلا جامودیابرمية فمات منها وغداً يكون الحساب ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، قال ناصر بن أبى نبهان . فلما عجز الشيخ سعيد بن أحمد والشيخ عبد الله بن محمد عن إخراج المقبوضين من يد السلطان استعانا بالشيخ الوالد العالم أبى نبهان بالوصول إليهما ليتناظروا فى هذه النازلة ويعملوا فيها على موجب الشرع ، ويحتالوا على إخراج المقبوضين بغير الحق خوفا منهم أن يهلكهم أو يعمل فيهم مالا يجوز له من الضر فوصل الشيخ وعملوا الحيلة أنه إذا سلم لهم المقبوضين يسلموا له المطلوبين ، قال فأخرج لهم المقبوضين ولم يبذلوا له المطلوبين لأنهم لا يأمنونه أن يتعدى فيهم الحق ، وقال غيره وصل الشيخ جاعد بن خميس الخروصى يوم خامس عشر من ذى القعدة من السنة المتقدمة ونزل بالحذفة من سمد نزوى وكأنه فى ظاهر الأمر يريد سد باب الفتنة وفرح كثير من الناس بوصوله وكتبا للسلطان كتاباً ساعة نزل قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إلى إمام المسلمين سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدى أما بعد ، فإنى جئت فى سد هذه الفتنة وإنى نزلت فى الحذفة مع نفسى لا مع عبرى ولا ريامى ولا كندى ولا مع غيرهم بل مع الحق والحق مع من اتبع الهدى وله أردت وقد بلغنى أنك قبضت رجالا بغير جنية فهذا

لا يجوز فى دين الله وفك عقالهم الساعة قبل اليوم ولا تتأخر ساعة واحدة وعليك من ذلك التوبة . ولجلالة الشيخ وشدة محبته فى القلوب تداول هذا الكتاب الخاص والعام وقرىء فى المساجد والجامع فأجابه السلطان بالسمع والطاعة وارسل له هدية قبلها الشيخ وقال السلطان أنا ما أريد إلا الفاعلين القاتلين بأنفسهم فوعدوه بهم على أن يأتوه بهم وطلبوا منه أن تكون عقوبتهم بالرستاق لافى نزوى ، ولعل ذلك كان خوفا عليهم من أهل المقتولين فأجابهم إلى ذلك وأطلق المقبوضين ونادى مناديه بالأمان وربما فسح لشىء من جيوشه وهم بالمسير بالصباح وأرسل السلطان ناساً من أكابر أهل الرستاق فيهم القاضى ناصر بن سليمان الشقصى ليأخذوا المطلوبين فلما وصلوا كلم القاضى رؤساء سمد فى أمر السلطان وطلب منهم أن يكلموه فيه والمعنى أن القاضى كان ميله إلى السلطان وكأنه يصوبه فى صنيعه ويطلب من المشايخ الجواب البين فى خطائه قال أبو نبهان ورجعوا إليه بالجواب قال فكأنه احتار على ما غصب قال ولقد أشار على القاضى من يكلمه أن يحضر الخصمين من هؤلاء الفريقين ليقضى بينهما بالعدل ونحن معه من حولهم فى جملة الحاضرين لمنع من أراد التعدى منهما على الآخر قال فلم يفعل وأعجبه ماعليه الجبارمن أخذهم للجزاء ولم يذكر الآخرين بشىء والقتل والجراح فى الفريقين فقال له من يكلمه عسى أن تكون لهم حجة فلم يمل إلى شىء من قوله لا عن تكبر يظنه به ولا تجبر لأنه أدنى إلى أن يكون هو الذى أداه إليه رأيه من الاختيار لأجل سداد الحال برضى الجبار والذى هم به العظيمة وليس عليه أن يكون موفقا عليها ثم وقع بعد هذا الكلام سقط فى كلام الشيخ أبى نبهان ، وحاصل ما نفهمه من سياقه أن أهل سمد ولوا أمرهم رئيس العبريين وهو يومئذ سالم بن مسعود وقد تقدم ما جرى

بينه وبين السلطان من الحروب وأن السلطان كان قد خادعهم واحتال على قبضهم وقتل أخ الرئيس المذكور وأن سالم بن مسعود أبى من دفع المطلوبين فقال يسلمهم إلى ثقات المسلمين لا غير وذكر السلطان فأغلظ فيه القول لما قدعرفه من قتل أخيه على أمان قال أبو نبهان واحتج فى أمره بما لم يقدروا على دفعه وأشار إلى القاضى بهم فلم يقو على أن يتولى أمرهم فى حبس الجبار فيكون هو المسئول عنهم قال وربما عرض بالشيخ محمد ابن خلف بن محمد الشقصى فى بذلهم إليه ولا أدرى انه من معاريض الكلام أو أنه على ظاهر ما ابداه او انه على وجه الاختبار إلا ان القاضى ذكر عن السلطان انه لم يعرض بذلك قال ولما رأينا ما بينهم خلوه بعد فأمره بغير ما هو عليه من الشدة لأن بلوغ المراد من إخراج من أودع السجن جورا أو غيرة لا سبيل إليه كمثله ، فرجع إليهم بما يرضى السلطان من بذلهم إليه قولا ليس من ورائه عمل فراجعوا بالأمر فأخرجهم وبقى حكم الموعد له بهم . هذا آخر ما انتهى إليه الأمر فى هذه القضية وسنذكر لك بيان ما طلبه الشيخ أبو نبهان وقصده .

ذكر خروج أبى نبهان

على السلطان سعيد بن أحمد

لطلب إقامة العدل وإظهار الحق وذلك فرض الله على الناس إذا قدروا عليه وأمكنهم فعله وذلك أن أبا نبهان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف واتخذه الناس قدوة فى مراشد دينهم ومصالح دنياهم وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه وكاتبه أخ السلطان وغيره فى الخروج على السلطان ووعدهم أخ السلطان بالمعونة على أخيه قال ناصر بن أبى نبهان وذلك منه لأجل الملك حين صار فى يد أخيه بعد

أبيه فقبل منه المسلمون ذلك على شرط أن يكون مرجع الأمر إلى أفاضل المسلمين يولون من يرونه أقوى للامر وأصلح للامة فدخلوا العقر على حسب ماسيأتى وسار أخ السلطان إليهم بالمعونة وفاء بما وعد فلما وصل وادى بنى رواحة منعوه الطريق لأن شفهم كان عند السلطان بالزعم الباطل أنهم هناوية ولم يكن عند أخ السلطان ولا عند أفاضل المسلمين هذا الشف فكان منع بنى رواحة لأخ السلطان من أقوى الأسباب التى ظهر بها السلطان على أفاضل المسلمين ابتلاء من الله لعباده وأما أبو نبهان فإنه لما نزل الحذفة من سمد نزوى ورأى القبائل متجمعة على السلطان أحس فى نفسه القوة على ما كان يحاول فأخبر عن نفسه أنه لما نزل الحذفة ليكون غير والج معهم وفى معزل عن غيرهم لمعنى أراده عن رجائه ثم ارسل إلى السلطان تعريفاً يخبره بنزوله بها وان أمره له لا لغيره ممن لا يقدر فى الشىء على فرق ما بين شره وخيره إذ لا يرضى من نفسه أن ترضى فى الحال أن يقوده من لا يبصر ما يأتى أو يذر وإنما أراد أن يكونوا أولئك تحت أمره ونهيه خوفا من مخالفة الحق فى شىء ويدعوه فيه إلى فك من قد سلم إليه من الناس فأودعهم السجن بدلا من المنهزمين لا لمفارقة شىء من الخطايا التى بها يستحقون العقوبة فى قول المسلمين وأن لا يؤخرهم طرفة عين لأنهم بدل وليس فى مثل هذا فى أهل القرى بدل ولا تأخير ، لأنه من الباطل الذى لا يجوز له أن يقيم عليه طرفة عين على معنى الإصرار فيه ويخبره فيه أنه ما جاء ليخاصم خصماً أخصم ولا لأن يدفع حجة حق ولا ليعطل حداً ولا يبطل حقاً وجب فى الحكم ولكن لمعنى الصلح بما جاز فيه من العدل وما أشبهه فى المعنى وأراد منه أن يرسل إليه من عقر نزوى رجالا من ذوى الحجى لشىء أراده حال المناظرة لهم فى هذا الأمر الواقع وغيره مما قد خرج إليه اولا بالتلويح وثانياً بالتصريح ان شم منهم رائحة

الرغبة فيه وإلا فالكف عن إذاعة ما يخشى على ظهوره، كون الأذى لغير فائدة ترجى هو الأولى لظنه لهم السلامة من الدخول فى هذه البلية ولم يدر أنهم قد حشدوا النادى لإعانة الجبار مع أهل حوائر الوادى فى تلك الواقعة حتى بلغ إليه ذلك من بعد والله أعلم أنه كان ذلك أولا، غير أنهم لم يصل إليه أحد منهم وأنزلهم إلى العذر لأنهم أعلم بما هم عليه وعسى أن يكون لمنع السلطان لهم أو لمعنى آخر ثم أرسل إلى بعضهم أنه يريد أن يدخل معه سراً أو يخرج إليه هو فى موضع يلقاه فيه فرجع إليه الرسول بالعذر منهما فعذره لأنه أعلم بأمره وأدرى بما عليه من سلطانه ولم يحملهم على سوء الظن بان ذلك منهم لجفاء وليس له مراد إلا أن يتعرف ما عندهم فى هؤلاء القائمين بالأمر، أهم فى رضى عنهم على ما هم به من الفساد والبغى فى العباد أو فى كراهية لهم؟ لقبح حالهم وكثرة ضلالهم وهل من حبهم التعاون على زوالهم، لراحة الناس من شرهم وجورهم وضرهم اولا يقدرون على شىء من هذا، لأن مراده القطع لمادة الفساد فى الأرض بقهر هذا العدو المارق لا لقتله ولكن لعزله إياسا من عدله إن أمكنه الوصول إلى ما نواه فيه حين الخروج إليه وقال فى موضع آخر فأنا والله ما قمنا عليه لما نقمناه منه بعد الإياس من رجوعه إلا لإقامة دين الله وإحيائه ولم نزل نؤمل هذا ونعتقده فى نفوسنا إنا متى قدرنا أو طمعنا بالقدرة لنسعى فيه حد الإجتهاد من إقامة دين الله رب العباد وتوهين أهل الظلم والفساد ومحو الباطل والعناد حتى طمعت النفس بالقدرة على وصوله بكرة فيكون سبب ضياع ما نحاوله بمخافته منه بأخذ الحذر وعلى المرء فيما عليه لازم ولو فيما هو جائز أن يسعى فى طلب القرب من الله تعالى بأى وجه ولا سيما من جهة الفضائل ذلك لوجود المعين من اخيه ابن أبيه إلا انه لم يكن فى الحال عندنا وأراد منا أن ندخل

فى الأمر قبل وصوله . وقال فى موضع آخر كلا والذى يعلم السر وأخفى إنى لم أقصد إلى معين من الناس فأضعه على العناد فوق العباد إنما القصد كله مع الظفر بمعقل المسلمين أن يكون الأمر إلى أهل الحلم من أهل العلم من المؤمنين لمن يختاروه من حبشى أو يمنى او قرشى لأنى لهم أتبع ولقولهم أسمع ولا أرضى أن أكون المستبد برأى عنهم فضلا أن أخرج منهم وعلى هذا اعتمدنا فيما له قصدنا والله يعلم انى لا أفرق بين أهل الطاعة من الفريقين جميعا إلا من حيث المنازل فإن لكل منزلة هى التى بها أنزل نفسه لاغير إذ لا يجوز أن يعدى بها إلى غيرها وجميع الخلق عندى فى الحق بالسوى وأرجو من ربى أن يوفقنى أن لا أميل بهوى فى شىء أخالف فيه سبيل أهل التقوى فكيف أدس نفسى بالصياصى حتى أجبر الناس على طاعة من يعمل بالمعاصى لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين إن كان هذا منى فى حين ولكنه لم يكن وأرجو من الله أن لا يكون . هذا كلام الشيخ أبى نبهان فى بيان مقصده ومطلبه الذى طلبه وقد ذكر فى موضع آخر أنه أهمل أمر تلك الفتنة الواقعة بين الغوغاء وضرب عنها صفحا وأخذ فى خدمة ما إليه قصد وإياه طلب وجعل الوصول للصلح بينهم من أعظم السبب فعند ذلك أمكنته الفرصة وقام لاقتناصها ودخل العقر .

ذكر دخول أبى نبهان ومن معه العقر لأجل إظهار الأمر حين أمكنته الفرصة

قال ناصر بن أبى نبهان : ولم يكن فى نفس الشيخ أن يقوم بالعدل فى ذلك الوقت قال : وقد قال للشيخ سالم بن مسعود وأصحابه إن كنتم تريدون بالعلم السر فاتركونى فى المسجد الذى أنا قائم فيه واذهبوا أنتم إلى المعقل وإن كنتم تريدون بغير العلم السر فالنظر إليكم قالوا أنت بما عندك من العلم النافع لهذا دعه الآن واخرج معنا قال وفى أنفسهم قوة على ما أرادوه لايحتاج إلى التيسر بعلم الأسرار فلما تسوروا البلد كانت عند الشيخ حيلة بأن يحملوا الحجارة ويجعلونها بين الرز والباب حين معالجة فتحه فما يهم الشيخ إلا وقد تقدموه على الباب يعنى باب الحصن وتقاوموا عليهم والداخل فى المعقل هذا يفتحه وأولئك يسدونه فوقف فى الوسط ولم يرموا حجارة بين ما ذكرناه فغلب أهل الدخل لكثرتهم وقلة الذين يفتحونه وسدوه وضاع ما كانوا أملوه قال ولو أنهم تركوا الأمر على اختيار الوالد وتركوه فى الخلوة وساروا هم إلى المطلوب لتوفق ، ولكن لم يكن ذلك لأمر يريده الله تعالى فى عباده ماداموا مستحقين الغضب ولو أنهم أحسنوا أحسن الله إليهم ، قال أبو نبهان : وقد تقدمنا على الداخلين من قبل أن لايتعرضوا إليها لأخذ مال ولا لأحد بالقتال وأن يقولوا لمن عارض بالمنع إنكم غير مطلوبين إنما المراد فلان يعنى بذلك السلطان فكفوا فعليكم الأمان ومن أبى من بعد أن يستكفى فيدفع بأقل بما به يمتنع إلا أن يقاتل فلابد من ضربه حتى يرجع أو يقتل ثم يترك على حاله فلا يؤخذ له

شيء من ماله فامتثلوا الأمر بعد أن سمعوا الزجر ولم يصح أنهم خالفوا
إلى شيء مما نهوا عنه وسلم أهل العقر من كل ضر وأما نحن فلم نسلم منهم
كل السلامة لأنهم أصابوا منا رجلا برمية فى وجهه ولعلها أن تكون بلبنة
من طين أو ما أشبهها فأضر به وآخر أصابته فى رجله جراحة ولعلها بشيء
من البنادق فالله أعلم ، غير أنا أخذنا فى الوضوء لصلاة الصبح فلم نشعر إلا
والحرب بين القوم وأهل البغى ممن فى الحصن قائمة وبحثنا عن المبتدى
فقيل وصح معنا أنهم أهل الحصن ولا خلاف بين المسلمين فى جواز حربهم
فى الحال على ذلك ، ذكر غيره أنهم تسوروا سور العقر بالجذوع جذوع
النخل فى الثلث الأخير من ليلة ثامن عشر ذى القعدة سنة ١١٩٨ هـ ثمانى
وتسعين ومائة والف والسلطان نائم فى حصنه قال فلما انتبه من نومه قال
له بعض أصحابه نخرج على القوم قبل أن يتكاثروا فقال لا لأننا لا نعلم
الدولة الداخلة قليلة أم كثيرة وخاف الخديعة فخرج فى نفر من باب السوق
على خيل وركاب فقصدا برا من الشرقية ونواحيها وحشد حشوداً منها
ومن نواحيها فأقبل عشية الأحد بعد سبعة أيام كان فيها أبو نبهان ومن
معه محاصرين الحصن متمكنين من العقر فلما علموا بوصول السلطان بجيش
الشرقية وكانوا كالجراد المنتشر خرجوا إليهم والتقوا بين حاجر سعال
وأبى ذؤابة ـ نهر بزوى وهو بهمزة فموحدة فواو فذال معجمة فواو
فألف فباء موحدة فهاء ـ قال أبو نبهان فأراد بهم الوقوف لمعنى الترتيب
قال ودعاهم قائد منهم إلى الرجوع ليكونوا فى موضع ولعله رآه أصلح
لنزالهم وأولى بقتالهم فردوا إلى ورائهم من غير ما وقف إلى ما يأمرهم به
فلم يقدروا على ردهم لأمر سابق فى علم الله كونه وإلا ففى الخارجين أناس

من أولى الشدة والبأس يقاتلون كثيراً وإن قلوا يعرفون بذلك غير مرة في قتالهم لهذا الجبار وغيره ممن هو أقوى منه فلا يقدر عليهم بحيلة وفي هذه الوقعة تولوا منهزمين في الحال من غير ماقتل ولا قتال لأمر أراده الله تعالى في بقاء هذا السلطان على ما به من البغي والعدوان والغي والطغيان وعسى أن يكونوا أهلا لذلك الأمر ، لامرد لأمره ولا معقب لحكمه ولابد من كون مافي سابق علمه ، فكيف يجوز أن يكون في وقت إلا ماأراده فيه ولامحدث سواه فلا تعبدوا إلا إياه « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » كما كنتم يولى عليكم هي المقادير فلمني أوفذر .

ثم رجع الشيخ بمن معه إلى العقر ونزل السلطان في جامع السوق وجيشه نزل معه وبعضه بين حوائر الوادي وبعضه بالبطحاء ودخلت رجال بالصلح بين السلطان والشيخ قال أبو نبهان ان السلطان أرسل إليه مع أناس من أعوانه كتاباً يدعوه إلى الصلح فأجابهم إلى ماطلبوه لما رأى مايفوته من التخاذل عن قهر البلاد ومجاهدة العناد لرب العباد بعد التشمير لهم ، لعسى أن يأتي النصر من عند الله لمن يرجو منه مدداً بعد حين فلم يشعروا ولما أتاه الخبر بوصل أناس من أهل البأس بسمد نزوى أراد منهم ان يكونوا على السور واقفين وفي المقابض قائمين إلى الصباح فلم يجبه الا القليل من أهل النجدة والبأس ممن له في هذا الأمر قوة وشدة مراس ولكن ليسوا ممن تقوم به الكفاية والبعض أبى عن المراد وهم الأكثر وأظهروا له انا لنخرج وان لم يصحبنا خرجنا عنه وذلك لقلتهم وكثرة قوم السلطان فلما أيس من نصرتهم أتم لهم ما أرادوه على أيدي من يسعون فيما بينهما ورأى لاصحابه العذر الواضح من قلة ما يأكلونه من المعاش هنالك وعدم

ما يدفعون به عن أنفسهم من الباروت والرصاص وميل أهل الدار لا إليهم مع قلة المدد وانقطاع المدد الا أنه اشار أحد منهم إليه بجبر أهل البلد على الطعام بالقيمة فأبى أن يجبرهم عليه إذ لم يصح معه أن لهم فضلا لذلك ، قال ناصر بن أبى نبهان أن الشيخ أفاد جواز الجبر لأهل البلد على بيع الطعام لمثل هذا الأمر الذى ذكره إن لو عرف أن معهم فيه فضلة عن قوتهم لسنتهم أو غير ذلك من المواد التى عندهم قال : واما دخول الوالد فى هذا الأمر على قلة ماذكره فيما سمعته أنه وعده بالمدد وبالرجال وبما يحتاج إليه الحرب أخ السلطان وكان عدواً لأخيه حيث انتقل الأمر إليه بعد أبيهما وأراه خروجه منه والولى من اختاره المسلمون وأن يعقدوا الإمامة بعد ذلك لمن شاءوا ممن يرونه أهلا لها فلما عرفهم بخط بالخروج على السلطان وأنه خارج من بلده بجميع مايحتاج الحرب إليه سار الوالد وأضمر فى نفسه القهر له بالحيلة كما أخبر عن نفسه فيما مضى من كلامه ولم يتفق له ، تشمر بعد ذلك إلى أخذ الحصن على حين غفلة فرأوا الباب مفتوحاً فلما ذهبوا إليه أصحابه ورأوهم أهل الحصن سدوه ، م يسدونه من داخل والقوم تفتحه من خارج وبقى الباب كذلك وكان أهل الحصن أكثر من الذين يفتحونه من خارج من القوم فغلب أهل الحصن وسدوه فقال لهم الوالد الشيخ لو كنت عندكم لرميت الحصى بين الباب وبين الرز،فأضمروا أن يحربوا ويصبروا حتى يصلهم أخ السلطان لأن أهل السلطنة تتبعهم الناس أكثر من العشائر طمعا لما فى ايديهم وهذا مالا ينكره ذو عقل صحيح قال فلو وصل أخ السلطان فلا شك أن القلوب تكون مطمئنة به أكثر من حربهم بأنفسهم وهم عشائر فقراء ، وكان أرجى

لبلوغ المراد فلا شك أنه الرأى الذى فيه السداد فى سلوك منهج الرشاد
فلما وصل أخ السلطان وادى بنى رواحة منعوه عن المسير إلى نزوى إذ
كان ميلهم إلى السلطان لان السلطان ميله بالمحبة والعصبية والحمية الجاهلية
إلى كل يعنى يسمونه هناويا على الحقيقة فى نسبه كذلك ولكن
قسموا العوام عشائر [من] أهل عمان على غير حقيقة النسبة ويُقلى كل من كان
نزاريا ويسمونه غافريا وأخ السلطان معه هذا وهذا سوى ولذلك كان ميلهم
إلى السلطان دون أخيه فلما وصل الشيخ خبر أخ السلطان أنه منع عن
الوصول اليكم أيس من وجود ما ذكر عدمه وأيس أصحابه وهو فى الاصل
ماتشمر لهذا الامر الا بثقته بمن واثقه على المدد بجميع ما يحتاج إليه والا
فهو عالم أن هذا أمر لا يصح الا بذلك قال وقد وفى أخ السلطان بما عاهد
عليه الشيخ لانه خرج بذلك وسعى وجد واجتهد ولكن لا يكون فى
الكون شئ الاماسبق فى علم الله البصير بالعباد ، قال هذا ماعرفته
شفاها من لسان الشيخ والدى قال أبو نبهان مخبراً عن نفسه بعد أن ذكر
تعذر الامور ورأى الخروج أولى من الدخول فخرج منها بعد أن أعطى
من السلطان أمانا على كل محارب الا أنه أمان امراء اهل هذا الزمان من
البوسعيدى فى عمان فهو الادنى بماساغ إلى ان يكون المكر والخداع
قصد إلى سمد نزوى لوقوفه فيها خوفا من العدو عليها فوجد كبيرها قد
عزم على الرحيل منها وأنه أخبر الشيخ سالم بن مسعود العبرى كبير قومه
إنه كاثره فى الوقوف فكابره وقال له قد كنا متفرقين والآن صرنا فى

سمد مجتمعين إن جاءها قاتلناه دونها وإن سار إلى بلدا ننا لاقيناه، قال وقوله[1] من وراء فعل الرجال لأنه من جملة الأبطال معروف بالشجاعة حين النزال وحوله من بنى عمه رجال وأى رجال وأناس آخرون عند الحاجة إليهم لايقصرون فأبى الخروج منها والقوم تحتاج إلى الطعام وقد كان القائم به هو لاغيره ولا يرجى أن يقوم به أحد بعده فلم يمكنه أن يبقى فى سمد نزوى بعد خروجه من العقر وذكر غيره أن الشيخ جاعد خرج من العقر أول ليلة الإثنين قال ودخلوا سالمين وخرجوا سالمين قال ومروا إلى سمد ولم يقعدوا فيها قال فلما أصبح الصباح نهضت جيوش السلطان إلى سمد فخربت البلاد وشردت العباد وقتلت رجالا ويتمت أطفالا وحرقت المنازل والحروث وخشبت النخيل قال أبو نبهان : وذلك كله لعدم إعانه جرى منه هذا بعد أمانه أخزاه الله فى سلطانه ، وجميع من أعانه على شئ من ظلمه فهو من أعوانه قال أوله فى الحق مخرج إلى الصواب ؟ فى قتل الرجال أو فى تخريبه المنازل أو فى نهب المال أو فى تشريد العباد فى الأودية والجبال أو الحق فى حكمه أنه من الضلال لظهور ظلمه ؟ قال وهل هن غير واحدة مما تقدم له فى مثلها مما لا وجه له فى العدل لحكمها قال أنخفى عليك أمره بعد أن شهر فى البلاد كفره هذا كلام أبى نبهان مختصرا فى هذه الواقعة وقد تركت أكثره وانما ذكرت منه ما يناسب المقام وللقصة تمام يأتى ذكره فى خروج سلطان بن الإمام

---

(١) قوله مبتدأ وما بعده خبر .

ذكر خروج سلطان ابن الإمام

على أخيه سعيد بن الإمام

ذكر ناصر بن أبى نبهان أن سبب ذلك كان من الشيخ أبى نبهان قال : وذلك أنه لما رجع من نزوى إلى وطنه العليا شمر السلطان بالرُشا بالدراهم الجزيلة لقتل الشيخ وتبين عليه ذلك قال فشمر الشيخ فى العمل الخفيف من عمل السر فأخذ مرتبة مائة ورابعة وخامسة[1] مائتين ومزجها بحروف تعطيل حركات فلان حرفا بحرف وسطرا واحدا وكسره بأخذ حرف من آخره وحرف من أوله حتى تم السطر الثانى من وسط السطر الاول وكذلك بكل سطر حتى خرج السطر الآخر كالسطر الاول وهو المسمى معهم بالزمام ونظم السطر الثانى أسماء من أوله إلى آخره كل أربعة أحرف منه إسماً إن كانت جملة حروفه زوجا وإن كانت فرداً نظم كل خمسة منه إسماً وزاد كل اسم منها فى آخره بال أوال وأخذ جملته بالجمل الكبير عدداً واستنطق العدد حروفاً أى جعل بدل العدد مما له من الحروف حروفاً وجعلها إسما والحق آخره ائيل وهو إسم عبرانى معناه بالعربية الله كما يقولون إسرائيل وجبرائيل يضيفون ذلك إلى الله كما تقول ناصراً لله ومحمداً لله وسماء لله وأرضاً لله أى لله تعالى فيكون هذا هو الروحانى وتلك الأسماء هى القسم ووكل الروحانى بتعطيل حركاته فى كاغدة وحثه بالقسم ورقم التكسير فى قفا القرطاسة وطواها وقال لولده نبهان علق هذا على الماء فى قنطرة

---

(١) فى نسخة وأربعة

فلج كانت عند المسجد الذى قام فيه وهو مسجد الحشاة من بلد العلياء وأمره أن لا يتركه بقدر ما يمس الماء فإنه إذا مس الماء مات به ولم يرد به بعد موته قال فبطلت همة السلطان وضعفت قوته وذهبت مملكته وخرج عليه أخوه سلطان بن السلطان أحمد بن سعيد وتولى على جميع ما كان فى ولايته ولم يبق فى ولايته غير الرستاق قال وذهبت هيبته حتى أن السمك يؤخذ من يد طارشه إذا حمله من السوق ولا يقدر أن يذب عنه قال وصار عبرة للناظرين وآية للمعتبرين قال وعلم الناس جميعاً أن ذلك كان من الشيخ فيه وخضع للشيخ وذل له وصار من أشد الناس هيبة منه وفرقاً من عمله ومعرفته قال وأمر الشيخ ولده بعد ذلك بزوال العمل وتدميره لئلا يهلكه قال ويجوز له أن لو تركه إلى أن يهلك فى قول بعض المسلمين فى قتل الجبابرة غيلة قال وقد عمل به فى غيره من الجبابرة قال ولا فائدة فى رسم جميع ذلك قال وكان أكثر أمره فى هذا بالدعاء انتهى ما أردنا أخذه من كلام ناصر بن أبى نبهان وبهذا السبب الذى ذكره صارت الدولة لسلطان بن الإمام ولم يذكر ابو نبهان ولا ولده لسلطان هذا شيئاً يكرهونه منه فى باب الدنيا وظاهر الحال أن الحركات قد سكنت فى أيامه واستراح أبو نبهان وأولاده وكان الملك البحرى أيام اختلاف اليعاربة متفرقا فى أيدى عمالهم مثل الهند وممباسة وزنجبار وما بعدها وكل عامل قد استبد برأيه وانفرد بما تحت يده وادعى المملكة لنفسه فسعى سلطان فى رد ما أمكنه من ذلك ولم يتم له الأمر وانما تم لولده سعيد بن سلطان ومات السلطان سعيد بن أحمد وبقيت الرستاق فى أيدى أولاده حتى أخذها منهم طالب بن الإمام فى أيام سعيد بن سلطان بمعونة من سعيد

لعمه على حسب ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ثم قتل سلطان بن الإمام قتله أهل الشمال وكانوا قد آذوا عمان فى زمانه يغزونها فى سفن صغار من جهة البحر ودافعهم سلطان حتى قتل ثم دافعهم من بعده ولده سعيد بن سلطان حتى استأصلهم .

وكان سلطان قد ترك ابنه سعيداً صغيراً وكان مقامهم بمسكد فزحف إليه عمه قيس بن الإمام وكان على صحار وما يليها لحاصره بمسكد ومعه أهل الشرقية وقائدهم عيسى بن صالح وقام بأمر سعيد بن سلطان بعض أعمامه وبعض أخواله من الجبور فيقال أن قيسا خلص مطرح وما حولها ودخل مسكد ولم يبق لسعيد إلا السكيتان وما علا من البنيان .

فعند ذلك أرسلوا لعيسى بن صالح مالا جزيلا فى خفية لبعضهم وكان هو القائد الأكبر فلما أصبح اعتل بالحمى ففطن له قيس بن الإمام فقال له أو حميت فان كان ذلك فقم بيننا بالصلح فجرى الصلح بينهم على أن يكون لسعيد مسكد فقط ولقيس باقى المملكة وافترقوا على ذلك .

فما زال سعيد يكبر حتى ظهر على أعمامه وغيرهم وسعى فى تخليص ما بقى من ممالك العرب فى أرض الزنج وخلصت له وأخذ جانبا عظيما من أرض فارس ودانت له الأمور بعد وقائع مشهورة وأحوال معروفة .

وطالت أيامه حتى قيل انه عاش فى المملكة خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك .

ولطول مدته كثرت الحوادث فى أيامه وخرجت عليه طوائف

وحاربته أهل نجد وأهل الشمال وبنو أبو على وكان له فى الجميع وقائع كثيرة وحروب متوالية وأخبار يطول بها الكتاب .

وقتل عمه قيس بن الإمام فى صكة كانت بينه وبين أهل الشمال فى خور فكان وقتل فيها كثير من العرب من أهل عمان .

وترك قيس ولداً اسمه عزان بن قيس وهو جد الإمام الذى سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

وسنفرد لبعض الأحوال الواقعة فى أيامه باباً .

باب الأحوال الواقعة فى دولة السلطان

سعيد بن سلطان

ومن جملة ذلك أنه لما شخص نابه قتل ابن عم له كان قائما بأمر دولته على جهة النيابة وهو بدر بن سيف بن الإمام فسار الوشاة بينهما بالنميمة حتى وثب عليه سعيد فقتله وكان بنخل وال من اليعاربة يسمى مهنا بن محمد بن سليمان ثم قتل وصار حصنها لمالك بن سيف بن سلطان صاحب الحزم ووقعت منه مخالفة على سعيد بن سلطان فحاربه سعيد فأخرجه من الحصن وصارت نخل لسعيد . ومن جملة الأحوال الواقعة فى زمانه قدوم مطلق ابن محمد المطيرى وهو عامل من قبل سعود بن عبد العزيز الوهابى جاء إلى عمان بالجيوش بواسطة الغافرية من أهل الظاهرة وأهل جعلان وشايعهم على ذلك كثير من أهل النفاق ممن ينتحل بالدعوي مذهب الحق فقدم فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فكان قدومه على عمان عذابا واصبا وبلاء وبيلا ذكر الشيخ ناصر بن أبى نبهان أنه كان قد استحل دماء المسلمين وشركهم ودعى الناس إلى مذهبه قال ومن لم يدخل فى مذهبه قتله وسبى نساءه وذراريه وغنم أمواله، وذكر غيره أنه عامل أهل القبلة بمعاملة أهل الشرك فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم الخراج وتردد على عمان ثلاث سنين يسير عنها ويرجع إليها وأعد له السلطان سعيد بن سلطان الرجال للقتال فما أغنوا شيئا وجاء له بالعجم والعرب فهزمهم بأزكي وصار إلى مطرح ودخلها ونهبها وأدى إليه السلطان الخراج ليدافعه عن البلاد حين لم تغن الرجال

شيئاً وذلك لاختلاف كلمتهم فيما بينهم بزعمهم الباطل أن هذا غافرى وهذا هناوى واتخذ توام وهى البريمى معقلاوبقيت فيها عمال أهل نجد حتى أزالهم الله على يد الإمام عزّان بن قيس رضى الله عنه . قال ناصر بن أبى نبهان : قام مطلق بحرب بلدان المعاول ثلاثة أيام فقلنا للشيخ لازم عليك اعانة المسلمين فدخل المسجد ودعا عليهم فى الحين ثم خرج اليٰنافى صرح المسجد وعلى الصرح غماء فقال فى هذه الليلة ليذهبوا عنهم فلم يبيتوا تلك الليلة فى بلدان المعاول من غير أن يدركهم أحد لمسيرهم قال ثم سار إلى الشرقية فجئنا إلى الشيخ فقال اعملوا له طريقة المزج بقتل فلان بحروف النارية النحسة قال ونحن فى بلد العليا من وادى بنى خروص قال وأمرنا أن نجعله فى الموقد الذى نقدفيه وقت الشتاء فمالبث ثلاثة أيام إلا وجاءت الاخبار بقتله ، والعمل كان ايقتل قال وكنا قدعملنا ذلك بين يدى الشيخ قال وقتله فى الشرقية كهول قليلون وهو في جيش كبير قلت : وهؤلاء القاتلون هم رجال الحجريين وكان قتله عند شكل أولاد عرفة علوى الواصل جاءوا على حين غفلة فسلطهم الله عليه بعد أن قتل من رجالهم سبعة بيده لأنه كان فارساً عنيداً قالوا فأراد أن يحمل الدرع على نفسه فلم يمكنه لضيق الحال فاستوى على فرسه وكان يطعن بشافة فى يده فسقطوا عليه على غير مبالاة بالموت فمكنهم الله منه وانهزم قومه بعد قتله وقتل منهم مقتلة عظيمة وذهبوا هائمين على وجوههم وأراح الله منهم البلاد والعباد وكان قتله على ماقيل فى سنة خمس وقيل ثمان وعشرين ومائتين والف وجاء ولده سعد بن مطلق فى طلب ثأر أبيه فى سنة خمسين ومائتين وألف ركب فى قوم من البريمى وجنبوا الخيل وأغاروا على بدية صبيحة العيد وهو يوم الزينة فقتل

منهم رجالا وقتلوا منه رجالا ثم عطف راجعا فلم يعاود منهم أحد بعد ذلك فهؤلاء الوهابية الذين تراهم فى جعلان والظاهرة إنما هم بقايا من أتباع مطلق النجدى الوهابى قال ناصر بن أبى نبهان ولما طغى الأمير النجدى فى جميع البلدان قلنا للشيخ عليك نصر دين الله ونصر المسلمين واجب فقال إن شاء الله اصبروا وانظروا بما يرسل عليهم من محو آثارهم قال فما كان بعد مدة غير طويلة فوصل السر إلى سلطان مصر (١) ونزل عليهم ومحاهم من نجد وقبض الأمر إلى مصر وأرسل الله على كل من صار إلى مذهبهم من أهل عمان من الشرقية بنى بوعلى السلطان والنصارى ومحوهم ولم يبق أحد إلا من كتم نفسه أو رجع إلى مذهب السنية . قلت وقد رجعت بعد ذلك لبنى بوعلى قوة لكنها لم تبلغ القوة الاولى فانهم كانوا قبل ذلك أهل عدة وعدد وصولة يضرب بها المثل يعتقدون القتال دينا وكان السلطان سعيد ابن سلطان قد جيش لهم الجيوش من أهل عمان فلم يغنوا فيهم شيئا وكانوا كلما جاءهم بجيش هزموه ثم استعان عليهم بالنصارى (٢) وجمع معهم أهل عمان فهزمهم بنو بوعلى ثم جاء بنصارى آخرين وجاءوا بشدة لا تقاوم وطلبوا أن يكونوا فى قتالهم منفردين لا يكون عندهم أحد من العرب الا الادلاء

---

(١) هو الأمير محمد على جد العائلة المالكة السابقة بمصر وكان يومئذ واليا من قبل الدولة العثمانية على مصر ثم استقل بها استقلالا كاد يكون تاما لما حارب الدولة العثمانية فاحتل الشام وقضى على الحركة الوهابية بالحجاز وطاردها حتى بلغ عاصمتها الرياض فاحتلها وكادت الوهابية تموت وينقطع أثرها والملك لله يؤتيه من يشاء .

(٢) قلت أراد الإنجليز وهذه البادرة كانت أول ظهور الاستعمار الإنجليزى فى الخليج الفارسى بالفعل بعد أن مهدوا له بالدسائس ثم أخذت بعد تظهر المنافسة الفرنسية لكنها لم تستطع الصبر إزاء اليد الإنجليزية فصفا الجو الأخيرين فكان منهم ما يشاهد اليوم من تمكنهم بالخليج وجزيرة العرب والأمر لله .

فهجم عليهم بنو بوعلي فى منزلهم الذى نزلوه فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتلوا منهم كذلك ثم رجع بنو بوعلي وكمنوا للنصارى فى موضع منخفض قريب من بلادهم فجاءت النصارى والمدافع تسحب أمامهم وكانت محشوة بالسلاسل فنظروا فلم يروا أحداً وظنوا ان القوم قد كمنوا في الموضع المذكور فضربوا عود غاف كان عند الموضع فظن بنو بوعلى أن النصارى قد رأوهم فخرجوا من مكمنهم ووثبوا على النصارى وثبة الاسد الباسل فكانت المدافع تضربهم بالسلاسل فتأخذ منهم جانبا فيلتحمون حتى ضربوا رماة المدافع وكان قد قتل أكثرهم بالمدافع وانهزم الباقون إلى بلادهم ودانوا حين استشعروا العجز فأسرهم النصارى وسبوا من ذراريهم وحملوا من نسائهم إلا من شاء الله وكذلك استعان السلطان بالنصارى على حرب أهل الشارقة من أرض الشمال فقهر بهم عدوه وكانت هذه الاستعانة منه أول سبب تدخلت به النصارى فى ممالك المسلمين من أهل عمان فبقوا آفة فى ذراريه وعلة فى مملكته يظهرون الصداقة ويضمرون العداوة وأن أنكى الاعداء من يأتيك فى صورة صديقك يظهر محبتك ويضمر هلاكك ثم خرج على السلطان سعيد بن سلطان محمد بن ناصر الجبرى واستعان بأهل نجد والغافرية واستولى على سمد نزوى وأزكى ومنح وسمائل وسنا وودام وكان جباراً عنيداً وكان على غير مذهب الحق، ذكر الشيخ ناصر أنه كان حنفى المذهب والمشهور عند العامة أنه كان وهابياً ولكن الشيخ أعلم به لأنه قد عاصره وجاوره وذكر من جوره وظلمه قطرة من بحر قال وذلك أنى والشيخ ناصر بن محمد بن شايع الخروصى طنيناً نسيئة[1] مالا له بثمانية قروش افرنسيات وجمل عليه الخراج

---

(١) الطنين بيع تمر النخل خالصة وقبل بيع ثمار الأشجار .

فى ذلك المال اثنى عشر قرشاً ليسلمهن فى ذلك الحين قال وقس على هذا فيما وراءه فمن حصد قيمة عشرين فلساً أخذ عليه ثلاثين هذا فى غير زروع الحب فإن الناس تركوا زراعته أصلا وأن كانت الأمطار تمطر والأنهار تجرى فانهم تركوها تسيح في السيوح لايزرع بها أحد في خارج البلد فاذا قيل لهم كيف هذا قالوا إذا حصدنا ثلاثين صاعاً أخذ منا عليه خراجا دراهم عن ذلك قيمة سبعين صاعاً وتبقى الغرامة علينا فوق ذلك وجعل ابن صاحب الرسالة الثابية قاضياً له على البلد التى هى من نزوى بسمد وسيأتى تمام خبره وأنه طلب الشيخ ناصر ليقتله وأن الشيخ قتله بعلم السر ونذكر ذلك كله ان شاء الله تعالى نقلا من كلام الشيخ ناصر

ذكر ولاية طالب بن الإمام على الرستاق

من قبل ابن أخيه السلطان سعيد بن سلطان

وكان بالرستاق أولاد السلطان سعيد بن الإمام وكان طالب أعمى ولكنه يظهر التجلد والتصلب حتى أنه سقط يوما فى حفرة حفرت لفسل نخلة وكانت الحفرة غريزة نحو قامة فالتحم عليه قومه يقولون طحت طحت فى هيئة المتندم على إغفاله فقال لا وانما أردت أن أقيس غرزها ثم أخذ ينقد على حافرها يقول لم لاسويتها من هنا ولا حفرتها من هنا وانما كان سقوطه فيها لأنه لا يرضى أن يقاد وكان هذا فى مال بالرستاق بعد أن صارت إليه والمال من بيت المال وكان قد استأذن ابن أخيه السلطان سعيد أن يسير إلى الرستاق وطلب منه المعونة على ذلك فأعانه وخرج فى هيئة من يحضر للقبض حتى نزل فى بيت الوقفان من قرية عينى من الرستاق

وكان قصراً عالياً فجاء ملك الحصن وهو أحمد بن سعيد بن أحمد الامام ليسلم على عمه وكان قد هيأ له العسكر ليمسكوه إذا دخل من الباب ويحيلوا بسد الباب بينه وبين من يتبعه من قومه فلما دخل أحمد قدام قومه سد الباب دونهم وأمسك طالب أحمد بيده وكان قد قام له فى هيئة المحيي فقُبض هو ومن معه ثم أمر به فقيد ثم قام إلى الحصن وحاصره حتى فتح له وانتقل أولاد سعيد بن أحمد إلى المنصور ومنهم من سكن وبل وبقى طالب فى الرستاق عاملا من جهة ابن أخيه وملكها ملكا شديداً وحمى بعضهم عن بعض وكان ذلك فى آخر عمر أبى نبهان رضى الله عنه ، وذكروا من ضبطه أنه كان لا يرضى أن يحرس أحد ماله فى المصطاح والجنور وقيل ان رجل حرس ماله فى الجنور ليلة فعلم به طالب فأرسل إليه وهدده وقال أنت ما اكتفيت بحمايتنا ولا أدرى قالوا عاقبه أم لا وأن أهل الوشيل فى أيامه كثر مافيهم سرقة الزرع وثمرة النخل فأخبر بذلك فيقال أنه أرسل قدر ثلاثين عسكريا من حيث لا يعلم بهم وأمرهم أن يقفوا على أبواب حارة الوشيل بالليل فكل من جاء من خارج بزرع أوجداد قبضوا عليه ففعلوا ذلك وقبضوا على جملة اللصوص وجاءوا بهم إلى حصن الرستاق ومعهم ماسرقوا فسجنهم طالب فأصبحوا مفقودين من الوشيل فتساءلوا عنهم فأتاهم الخبر أنهم بسجن الرستاق فساروا إليه ليكلموه فيهم فما أطلقهم الا بكفالة من أعيانهم وارتفع الضر عنهم بذلك

وذكر الشيخ ناصر بن أبى نبهان أن طالب بن الإمام كان مضمرا للشيخ أبى نبهان وأولاده كل المداوة وأن أخاه محمد بن الامام كان محسنا إلى الشيخ غاية الاحسان ، ومن فعل الجميل ذكر به والعكس فى العكس قال

ولم يزل طالب يحاول للشيخ المكائد ويلتمس له المعاند حتى أجابه الريامى يعنى الشيخ سليمان النبهانى وكان بنو ريام جنده فأجاب طالباً إلى المراد باظهار العناد قال فنزل إلى الجار وهم بنو بحرى قال وكانوا أشد عداوة للشيخ ولكن لم يخبروا على مخاصمته فيما مضى مجاهرة فوعدهم بالنصرة وأمرهم أن يبدوا بالمضار وذهب عنهم وسار فأصبح الضر فى بعض أموال أصحاب الشيخ واحتصنوا فى بيت كبيرهم حتى يصلهم الريامى فوصل الناس للاصلاح فلم يقدروا عليهم وحذرهم الشيخ أن لا يبدءوهم بالحرب أبداً فسار اليهم ولد الشيخ نبهان ليكلم كبيرهم فى الصلح بغير سلاح وربما تمن غير زم لقميصه بزمامها من السرة بل شدها من أمامه بعضها ببعض ونهاه والده وقال لا تخلف على قال وكان كبيرهم أقرب المقربين مع ولد الشيخ نبهان وربما كثر ماله بعطاء الشيخ نبهان له فلما دنا من الباب ومعه أخوه الشيخ سعيد بن أبى نبهان لينادى كبيرهم ضربوهما ببنادقهم فأصابتهما ومات نبهان فى تلك الليلة وقتل منهم رجل وانهزموا إلى جبل بنى ريام وأما سعيد فقد عافاه الله بعد زمان ونزل بهم الريامى ووصل العبرى واصلحوا الحال بين الفريقين بالكف عن بعضهما بعض لاغير وذكر غيره أن قتل نبهان كان فى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف قال وكان ذلك قبل موت الشيخ بسنة قال الشيخ ناصر فلم يكف ذلك الجبار المريد فى الشيخ وأولاده وأخذ كبير الجار إليه وأسكنه فى بيته وأحسن إليه وأثاره إلى ما أراده منه وكانت لهم حجرة فى السفالة من العليا فأمرهم أن يحتصنوا فيها وفيها بيت مانع ليتيم وهى على مضيق الوادى ولا طريق للبلدان من العليا اليهن الا تحت الحجرة فقطعوا الطريق عن المرور فيها من أصحاب الشيخ وذهب

كبيرهم إلى الريامى لينزل معهم وأرسل أصحاب الشيخ إلى عشيرتهم من بلد المشائق ووصلوا قبل وصول بنى ريام وأمرنا الشيخ بحربهم وقلنا حتى يبدأونا قال ان المسلمين حربوا من بغى بأقل من بغيهم ، حربوهم حتى يهدموا حجرتهم فلم يبتدوهم حتى مر رجل من نسل أحد آباء الشيخ يسمى حنظل فى الطريق فلما كان بحذاء حجرتهم ضربوه ببنادقهم من الحجرة فأصابته ضربة فى الورك ولم تقتله ووقعت الحرب يومئذ واحتمى كل فريق منهم فى بيت وركوا بيوتهم وأحرقت المنازل وخشيت كثير من أموال الفريقين وأحاط أصحاب الشيخ بحجرة الجار ، قال وكان الوالى يومئذ على الفريقين صاحب نخل الشيخ سعيد بن سيف المعولى ولاه السلطان سعيد بن سلطان ابن أحمد قال وهو ابن أخ هذا الجبار ووصل مع الفريقين وقد صح معه المتعدى فقبض الحجرة وأمره الشيخ بهدمها فقيل له أن البيت المانع فيها الذى هم متحصنون فيه لأيتام قال اهدموه وغرامته فيما بينهم وبين الله وفى الحكم عليهم لأنهم هم كانوا فيه السبب لهدمه فهدم وصلح الحال بالتوقيف عن الزيادة وبقى كذلك أشهراً ليس لهم قوة على المعاندة ولا للريامى إذ ليس لهم منع يتحصنون به قال فلم يكف الجبار ما قد جرى من المضار فلم يزل يطلب من ابن أخيه الرخصة فى بناء حجرتهم وأنه هو المتكفل بهم إن تعدوا حتى سمح بذلك على غير رضى من الشيخ فحينما بنيت ذهبوا بليل إلى العليا ورصدوا للساقى بالماء فى الأموال وقتلوا رجلا من أصحاب الشيخ يسمى عبيد بن سعيد الخروصى ووقعت الحرب بين الفريقين وأحاط أصحاب الشيخ بالبيت ووصل الوالى وقبضه وأمر بهدمه وأمره الشيخ أن لا يتركوهم يسكنون هذه الحجرة ماداموا على أحوالهم هذه وتوقف الأمر ومات الوالى

وجعل أخوه الشيخ خافان بن سيف والياً بعده فطمع الجبار أن لا يكون مثل أخيه قوياً وطلب واجتهد لعمارة الحجرة فطاوعه السلطان، فعمروها فى حين، ثم أن أهلها منعوا الطريق عن المرور عن مسير أصحاب الشيخ إلى أموالهم التى بالسفالة، وأقاموا الحرب قال وكل ذلك طاعة للجبار ويعدهم بما يحتاجون إليه واحاط بهم أصحاب الشيخ قال ووصل هذا الوالى الآخر وقبض احداً من كبرائهم ووقف الحرب والمضار واخذ الكبير إلى نخل ليذهب به إلى السلطان وألحقه[1] أنا للصلح وصار كل منا آمنا من المضاررة فى أمواله فسمعنا حسا كأنه أحد يخشى فى الأموال خفية فى الليل فأرسلنا اليهم فقالوا نخشى بأمر الشيخ فنعناهم فعلم بذلك فأحضرنا فقال من منعنى منكم عن الخشى فقلنا له نحن فقال هل يجوز هذا فى شرع المسلمين أن تمنعونى عن أخذ حق هو لى وجائز لى أخذه قلنا له ان الوالى قد منع ذلك فقال هل يجوز للوالى أن يوقفنى عن أخذ حقى فوقف الحرب بحكم باطل ظلمنى فيه لأنه اخذ كبيراً منهم ووقف الحرب ولم يهدم البيت فأنا لم أحرب لأقتل أحداً بل ما كان حربى إلا لهدم البيت وقد عزمت على القوم حتى قرب حصول المطلوب فضيع على الأمر فيحتاج إلى غرامة أخرى أليس هذا من الباطل منه لى ولاشك أنه باطل أن لو كان عارفا لعرف أن عليه غرامة ذلك لى والحكم أن عليه أن يحرب معنا حتى يهدمه إن قدر على ذلك لأنه منكر وعلى كل من علم به أنه صار فى حد المنكر أن ينكره بهدمه مع القدرة على ذلك أو يعين من ينكره إذا علم أنه كذلك وقدر على الإعانة، وأمره ظاهر أنه على طريق المسلمين وبغيهم ظاهر والاياس من صلاحهم حاصل قال فهذا على معنى قوله

---

(١) الظاهر أن المراد وألحقه بكتاب فيه : أنا للصلح ... الخ

رحمه الله قال ولم نقدر أن نكفه عن الأمر بالخشى إلا بوعدمنى له إنى لأصالح
على هدمه فقال إن لم تهدمه كان منك السبب على تركه فإذا وقع منهم ضرر
فأنت شريكهم فى الإثم قلت له الطاعة لله ثم لك قال وذهبت مع الوالى
وذهبنا إلى السلطان فى مسقط ووقع صلح السلطان بأن نسلم لهم قيمة البيت
ويهدم قال ودفع السلطان الثمن إلى خفية عنهم ودفعت ذلك إليهم والبيت فى
قبض الوالى وأمر بهدمه وهدم ووقفت الحرب لعجزهم عنها بغير منع ولم
تكن حيلة للجبار إذ لاقدرة لهم إلا بالمنع قال ولم يكفه هذا إذ ليس له
إرادة إلاهلاك الشيخ وأصحابه الساكنين معه فى بلده مقدار خمسة وعشرين
رجلا ولكن معه عشيرة وأصحاب من بلدانه التى هى أسفل من حجرة
الجار وجاره مقدار مائة رجل يعنى بنى بحرى قال ولكن ينزل معهم الريامى
فى مقدار سبعمائة نفس والله أعلم ، قال وكان فى نفس السلطان من العداوة
للشيخ وأولاده وإرادة السوء لهم مافى ضمير عمه لهم والعلة واحدة ، قال
ولكن قد تبين له من قبل بضياع شيء من ماله فتضعضعت عليه جميع
أموره فلما صلح حاله معه صلحت أحواله التى كانت تضعضعت عليه ولم يقدر
أن يتبين له خوفاً من دعوته إلى الله الجبار أن تؤثر فيه شيئاً من آثار الدمار
قال ومن حيث أن الوالى ليس فى إرادته ذلك بل لا يرضى فى أحد الفريقين
إلا الإنصاف بالعدل بينهما وأدب المعتدى بما يستحقه فى الحكم وبقى
كذلك الأحوال ساكنة بين الفريقين قال ولم يقدر المريد طاب الجبار
العنيد بعد ذلك على السعى فى بناء الحجرة مادام الوالى حياً ولم يبق زماناً
إلا ومات يعنى الوالى خلفان بن سيف قال وما كان بينه وبين موت الشيخ
إلا مدة قليلة وذكر ذو الغبراء خميس بن راشد أن موت أبى نبهان كان

يوم ثالث من شهر الحج سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف قال الشيخ ناصر وكان عمره تسعين سنة عدد أحرف إسمه تعالى ملك ، قال وأما الجبار فإنه قبل موت الشيخ لم يزل يحاول على ولاية الرستاق لتكون له ولاية الفريقين ليفعل فى كل منهما ما يهواه هواه حتى اتفقت له وتولاها ولكن بقى الفريقان فى ولاية ولد الشيخ الوالى الأول سعيد بن سيف المعولى الذى ذكرناه وسار فى الفريقين سيرة أبيه ولم يقدر الجبار أن يعارض وهم فى غير ولايته إلى أن مات الشيخ كما ذكرناه فتشمر المريد وابن أخيه جميعاً لإظهار ما أكناه من العداوة والإرادة فى أولاد الشيخ بسبب عداوتهم لأبيهم قال ولم يكف الجبار إلا هلاك الشيخ وهلاك نسله وأمواله ومنازله وتدمير ما صنفه من العلوم النافعة وأنه فى آخر أمره بعد ما تولى الرستاق ليتولى الفريقين فيفعل فى كل منهما ما يهواه هواه ، ولكن بقى الفريقان فى ولاية صاحب نخل سيف بن الشيخ الوالى الأول الذى ذكرناه سعيد بن سيف وأخ الوالى خلفان بن سيف قال وسار الولد سيف فى الفريقين سيرة أبيه وعمه مدة قليلة قال ولم يقدر الجبار يفعل ما يهواه هواه فى الفريقين وهما رعية غيره كذلك مدة قليلة ثم توفى الشيخ قال فحين توفى الشيخ تشمر الجبار إلى ما أراده فى نفسه وقصده قال والتمس من ابن أخيه السلطان ليوليه الفريقين ويفسح له أن يفعل فى أولاد الشيخ ما يشاء قال فوجده أشد عداوة منه وإنه ما كتم فى حياة الشيخ ذلك إلا فرقاً منه فخذل بذلك قال ولا طفنى خدعاً أن نأتلف ائتلاف العناصر والخناصر بالبناصر وأكتب له شيئاً مما يبطل عنه جميع الأعمال الطلسمانية ولا تؤثر فيه جزما فأجبته لذلك على عهد وميثاق أن يكف أذاه عن إخوتى أولاد الشيخ

فأجاب وجعلت ذلك من أعظم الصلاح لهم قال فمزجت له من الحروف النارية الممتزجة ذوات النقطة منها بحروف تبطيل السحر من فلان وأتممت العمـــل فيه بالطريقة التى عملها الشيخ فى المزج بتبطيل حركات فلان المقـــدم ذكرها وشربه فى إناء وفى كاغدة اتخذه حرزاً وهذا من أقوى الأعمال فى هذا حتى قيل فى المسحور أنه لو كان قد غاب حسه وانطرحت جثته أفاق من ساعته وحينه إذا شربه فكل من عمل له ذلك لايضره عمل قال فاما عرف سره تشمر العدو للحرب فأمر الجبار بقطع الطرق من حذا حجرتهم عن مرور أولاد الشيخ وأصحابهم إلى سقى أموالهم ومعاناتها وقطعوا سقى أموالهم فأرسلوا عليهم فقالوا لا نخالف طالب بن السلطان فيما أمرنا وهذا بأمره فلم نصدقهم فراجعنا الجبار فقال لقد كذبوا وهو الـكاذب وكان موضعاً فى جبل أعلا من بيت الإخوة مرصداً يسمى أهل عمان ما كان مثله بومة وليس حيلة ليدخل البلد إلا إذا قبض ذلك المرصد فهبط الإخوة من بينهم ليأمن السارقون لأموالهم وليس لهم طريق إلى ذلك لأجل قطعهم الطريق فروا فى الجبل وهم خمسة نفر من أولاد الأخوة وأصحابهم فما كان إلا قليلا حين صاروا بحـذاء حجرتهم إلا والجبار من أعلاهم يضربونهم بالبنادق وما كان بينهم وبين أصحابنا أكثر من خمسة عشر باعاً فلم يصب أحداً منا فسلوا سيوفهم فسل أصحابنا سيوفهم فأصابوا منهم رجلين وماتا فى الحال وانهزموا جميعاً ولم ندر من الجبار أن هذه حيلة منه لقبض المرصاد الذى ذكرناه وهو الذى يحصرنا به عن الماء فأرسل إليه أناساً من بنى ريام ونزلوا فيه على غفلة مناودعى بكل ريامى حيث كان ومن حيث ظن أنه ليجيبه ونزلوا فى مقدار ألف نفس وجاء هو بنفسه

إلى حربى وأنا فى بلد سونى وهى التي تسمى العوابى وأنا فى بيت صغير عند شريعة الفاج عند بيت كبير لوالدى ولبعض عشيرته جاءنا فى مقدار ألف نفس قال وما معى غير ستة أنفار تركت ثلاثة منهم فى بيتى وثلاثة في البيت المنسوب للشيخ وأرسل ابن عمه السلطانُ إلى المشائر ليعينوا عمه فإذا جاءوا إلى الجبار قالوا على أى شىء تحاربهم وعلى أى سبب لأن الحرب لا يكون إلا عن سبب فيحاربون إلى أن يؤدوا الواجب فقال لا أدرى ابن أخى أمرنى بذلك وهذه خطوطه لى ومكتوب فى آخرها بعضها بخط يده حين نظرنى إياه لابد من هلاكهم و إذا ساروا إلى السلطان بذلك قال لا أدرى عمى أراد لهم وهذا خطه فلما عرفوا منهما ذلك سكتوا عنهما قال وهو يضربنا بالبنادق والمدافع ولكن جميع القوم لا يضربنا من يضرب منهم إلا بالباروت وقطع الخرق القديمة قال وكنت أذهب إليه وأجلس معه فى القوم وقد اتخذ معه شاعراً فاسقاً متهما بالرجال يسمى سعيد بن أحمد اليحمدى فيهجو بنظمه من شاء أن يهجو بالصفات قال وكفاه خبثاً أن سماه الشيخ سفلة من الرجال قال واتخذ متعلماً متكلما خبيثاً ثنيان بن ناصر المعولى قال وكان كثير الخبث مطاوعاً له فى جميع أموره اتخذه ليعمل له سيراً فيمن يريد أن يطعن فيه بالباطل من المؤمنين ، قال واتخذ متعلماً آخر يسمى سليمان ولا فائدة فى تعريفه وفى ظاهر الأمر أنه عارف فقال الجبار وأنا معه فى الحرب أتريد تعرف ورع سليمان ؟ قلت إليك فنادى الشيخ سليمان فقال لبيك قال حرب أولاد الشيخ جائز أم لا ؟ قال : جائز حربهم وقتلهم وهدم بيوتهم وخشى أموالهم ولم يدر أنى مع الجبار حينئذ قال فقلت له بأى وجه أجزت ذلك فيننا فنكس رأسه استحياء منى ولم يستحى من الله ، وقال كيف

نقول لم نقدر أن نسكن معهم إلا أن نقول بما يرضيهم فقلت هذا وجه إذا كان على هذا أى وجه من طرق الشيطان قال ودام الحرب كذلك سبعة أشهر وخشيت ما بقى من أموالنا من العليا وقطعت الأشجار ونزل من البيت ولد الشيخ ماجد ومعه أحد عشر رجلا فى الوادى وكر عليهم وقتل أنفاراً وانهزموا على كثرتهم ولم يقدروا بعد ذلك أن ينزلوا قال وبعد ذلك انقذ[1] جدار الأجل يعنى بركة الماء التى يوردون منها وأيقنوا بالغلبة والقتل فعملت الحيلة وقلت لهم اكتموا الأمر فصالحته على أن نخرج من بيوتنا ونحول طماعتنا فأجاب إلى ذلك لظنه أنه لا يقدر علينا مادام معنا ماء ولم يعلم بذهابه لحولنا ذلك وخرجنا وقبض البيوت وهدمها ودعى بنا إلى الصلح ليحسب قيمة الأموال ومبلغ دية القتلى ويقاصص ما بيننا فقلت ليس الحق كذلك فى قول والدنا ان المبتدىء بالحرب ظلماً عليه كل ما أفسده والمحروب ظلماً ليس عليه شىء مما يفسده على من حربه ولا على من كان معهم فى إعانتهم فى ظاهر الأمر لعله سأل وتوقف، ووقف الحرب وبعد مدة رجع الإخوة إلى بيتهم ولم يسمح ليبنوه إلا بناء ضعيفاً وعاش على أذاتهم دائماً فى حياته قال ثم انتقلت إلى نزوى وسكنت فى العلاية فى موضع يسمى الجمى قريباً من مسجد خب القش قال وولى أمرها يومئذ وكثير من بلدان تلك النواحى التى تسمى عمان محمد بن ناصر الجبرى حنفى المذهب وبلغ من أمره ماقد بلغ ثم ذكر من خبره بعضاً ثم قال وجعل ابن صاحب الرسالة الثلبية قاضياً له على البلدة التى هى من نزوى سمد قال وكان هو أعلم من فيها قال وأما أفضل من فيها فالشيخ العالم الورع الثقة

---

(١) أى انتقض .

السميدع الضرير علي بن سليمان العزرى رحمه الله وهو من نسل العالم موسى بن على رحمه الله ومعهم أصحاب متعلمون ولـكن دونه فى العلم وهم أهل زهد وورع وقد بلغوا حداً من حدود الـكمال فى الفضل قال وكلهم يقولون ذلك . وقال في موضع آخر :

بيـان ما كان من ولد العبادى

من الـكلام فى أولاد الشيـخ ولاه الحـكم فى نزوى والى من أهل المذاهب الأربعة تولى على أزكى ونزوى ومنح وأدم ولاية لم ير أصحابهن أشد منه ظلماً إذ ليس هو على مذهبهم فلم يدخل قلبه بعض رحمة على أحد منهم حتى مات وكان ولد على بن مسعود العبادى وهو الشيـخ العالم عامر ابن على الذى ولاه الحـكم أكثر أهل زمانه فى العلم وأما فى العمل به فالإعراض عن الـكلام فى بيـان ذلك ورسمه أحرى ولا فائدة لنا فى ذلك ولـكن مما يدل على بعض أحواله بعد نظمه فى أولاد الشيـخ فى هذه الحرب الواقعة عليهم كما ترى ومن يهد الله فهو المهتدى ومن لم يهد الله فما له من هاد قال وصل كتابك الشريف أيها الشيـخ الأبر العفيف الثقة الشيـخ سليمان سلمك الله وعافاك وأبقاك ذخراً لنا ولـكافة المسلمين وكفاك ما اكتنف دارك وموطنك وقرارك من غياهب الفتن ماظهر منها وما بطن وفهمنا منه ما يشغل القلوب فيذهل المعقول بل القضا قد مضى فانقضى ولا حيلة فى تغيير ما ترجمه القلم فى اللوح المحفوظ نسأل الله أن تـكون العقبى فى هذا فى الآخرة والأولى خيراً إن شاء الله تعالى ومن المرجو منك أن لاتقطع صغيرك التعريف فيما يحسن كونه منك له كما هو لك كذلك النية والاعتقاد والله الموفق على موافقة ذلك القول بالعمل

وعليك منى جزيل السلام والتحية والإكرام وممن ذكرتهم وعرفتهم بالسلام من الإخوان فى الإسلام من العبد الفقير الحقير المقر بالزلل والتقصير عامر بن على بن مسعود بن على بن على بن محمد بن خاف بن أحمد ابن على بن محمد بن عباد بن محمد بن عباد العبادى بيده وإن بدت حاجة تقضى إن شاء الله . وهاك فى معنى هناك هذه الأبيات قلتها حين وفد على كتابك الكريم فذكرت المعاهد وصفاء الموارد التى كنت إليها وارداً وانظر عساها تكون قاصية إلى تلك المعانى قاصية على ما تعلق بها من المبانى . فقلت شعراً :

محال أن تكون لنا بقاع ... مناديساً يدس بها المتاع
وعزاً للرجال إذا اعتراها ... اعتداء وافتتان أو ضياع
ولكن الرجال لهم طباع ... تصان بها المواضع والضياع
فهذا ديدن النجباء منهم ... وبعضهم لبعضهم سباع
ألا يا أيها المرتاب فيما ... نبأت به فما عنه نزاع
فذاك الصدق والحق المنير ... حكى شمس النهار له شعاع
كفاك بما تراه من الرزايا ... بوادى بنى خروص والسماع
بموت ذوى الحلوم فتى خميس ... وربانى الورى وقع الشناع
لقد ذهبت مهابته وضلت ... فلا يرجى لها فيه ارتجاع
وتاه المحتمون به فهابوا ... وشيكا عاقهم عنه انتجاع
وشتت شملهم وذرى ذراهم ... ونال حماهم العالى اتضاع
فلم تحمهم السمر العوالى ... ولا ما شيدوه ولا اجتماع
فلم يمنعهم حرص الصياصى ... ولا رصد الشوارع والدفاع

لقد أخذوا بهذا الأخذ لما ... بليد الرأى صار هو المطاع
تغلب قلبه الأهواء حتى ... به جرت مطيته الرعاع
تردد سيره فى كل وادٍ ... تضمضمه الفدافد والتلاع
فصبراً بادى الآرا جيلا ... على مالا له عنه اندفاع
ولو هو حيث مانادى أبوه ... ونادته المحابر والرقاع
هلم بنا فنحن إليك حصن ... به مس المباهلة ارتياع
تقاصر دوننا وأبوك يوماً ... مضى فى مضنا البطل الشجاع
فلباها على عجل مجيباً ... لصح له على الجوزا ارتفاع
ولكن القضاء عليه جار ... وعترته فما عنه انصداع
عساهم غيروا فرموا بهذا ... وغيرت المنازل والبقاع
فما ظن التعزز بالصياصى ... وبالشم الرواسى له امتناع
إذا اجتثت براثين البرايا ... فدع من لاله منا استماع
وإن منح الزمان بمثل هذا ... غريباً فهو منه له لنا اختداع
فلا تغررك [ب]الأحلام دار ... بها الغوغا لمذهبها مطاع
فيالله من زمن رمانى ... ببلوى لا لها عنى انقطاع
سوى كف المنية فهو يقضى ... لما يبنى الزمان به انقشاع
فياخسر البرايا حين أودى ... أبو نبهان حاق به الضياع

قال الشيخ ناصر وكتب سليمان فى القرطاسة بعد هذه: واصلكم أيها الإخوة المشايخ ثنيان بن ناصر المعولى وسعيد بن أحمد اليحمدى قرطاسة فيها ثلاثون بيتاً فالمرجو منكم أن تنظموا على منوالها كل واحد بعددها

وأرسلوا الجميع وبينوا فى نظمكم الصور الموجودة زيادة للبيان وللاستحقاق لما وقع وجرى وأتم محل النفس فكونوا كما ظننت بكم والسلام من سليمان بيده قال الشيخ ناصر ونحن لا لنا حاجة بأن نتكلم فى شرح مارقمه سليمان ولا ما نجده عن سعيد بن أحمد ولا عن ثنيان من الطعن فى أهل الإيمان بما لا يجوز فى دين المنان لأنهم لا من ضعفاء أهل العلم فضلا أن يكونوا من العلماء بل هم معروفون إنهم من الجهلاء الذين يرضون الأمراء بما يريدونه منهم على ما يحبونه ولو كان على غير اعتدال الميزان ميلا إلى هوى السلطان قال وكفى بسيرة الشيخ أبى نبهان التى لوالى حصن السويق محمد بن السلطان أحمد بن سعيد بما أبداه فيها من الذم لسعيد بن أحمد اليحمدى دليلا على خبثه وقد جعله والى نخل قاضيا فى بلد نخل ومات رجل لم يخلف غير خمر وكان لولده حق عليه فحكم أنه يجوز أن يباع لقضاء دينه إذا لم يوجد له لوفاء دينه فدعى بأهل الفسق وعرفوا أن هذا لا من الحق ونادوا عليه على سبيل الاستهزاء به ليشهروا أمره شاهرا ظاهرا أو نادى أهل الإيمان بالنكير مع أولى الأمر فلم يسمع لهم وباعوه بلا حياء من أحد فإذا كان مثل هذا وثنيان بن ناصر إخوته وهو يعلم بما يجرى منهما لأن أمرهما ظاهر لا ينكره أحد فلا بأس إذا رضى لنفسه أن يكون منهم قال والناظم لهذه المنظومة إذا كان يرضى من جملة إخوان هؤلاء الثلاثة ويرضى أن ينزل منزلتهم فنحن نرضى أن ننزله فى الحكم الذى ينزل فيه وإن كان لا نرضى إلا الحق وقال فى موضع آخر بقى طالب يماودهم فى الحرب أربع عشرة سنة والثلاث السنين فى زمان والدهم قال ولما صرت بنزوى لم أكن أشتغل بأذى الجبار ولم يزل الإخوة دائما مستأذين حتى هموا بالفرار من أرض عمان إلى ماشاؤا

من الديار قال وعرفونى اما انفعنا بشىء من الأسرار فشمرت وعملت صورتين من شمع احداهما صورة الجبار والأخرى صورة السلطان قلت التصوير حرام ولاأدرى بأى وجه استجازه الشيخ ناصر ولاأقول بجوازه حتى للمعنى الذي أراده قال وفرقت فى الأعضاء اعداد الوفق الثلاثى ومع كل عدد حرف ونكستهما فى التعليق واتخذت لوحاً من فضة وصورت فيه صورتين إحداهما معكوس رأسها مع قدمها هى صورة السلطان والأخرى معها قائمة معتدلة ورسمت أنه الملك والانتزاع كل كلمة منها فى الصورة التى توافقها من الملك والعز للقائمة ليكون فى السؤال ممن هو خير منه والانتزاع والذل للمنكوسة قال وتلوت عليهما وعلى صورتى الشمع ما قد أشرت إليه فى ديوان المصطفى الذى صنفته كله نظما على حروف المعجم فى الصنعة الفلسفية والحكمة الربانية قال وهو أخصر من النثر وأحصر قال ورسمت المشار إليه فيه في كتابى طرف الألطاف والسر الخفى فى شرح مربع الشكل القافى والشكل الألفى قال والمراد بذلك هلاك الجبار يعنى طالب بن الإمام وتضعضع ملك السلطان يعنى سعيد بن سلطان قال ولم أر هلاكه خوفا أن يتولى بعده الجائر الظالم محمد بن ناصر الجبرى وهو حنفى المذهب فلا يؤمن منه إذا تمكن ملكه فى عمان أن يدعو الناس إلى مذهبه بالجور والعدوان قال وعرّفت الإخوة أن اصبروا السنة ونصف سنة فعند انقضاء ذلك يقضى على الجبار ويتضعضع ملك السلطان قال وإنما احتاجا إلى هذه المدة لما ذكرته من الرسم لهم فى تبطيل الأعمال عنهما وكان يأتينى فى بعض الأوقات نوم كثير وأعاننى على ذلك أهل الورع والتقوى من أهل سفالة نزوى بالقهوة التى هى شربة البن لأقدر على التلاوة فى بعض الليل وأقوى

فنفمت ويقولون لى أكثر من التلاوة فأقول لئلا يموت فى دفعة من الألم فلا يكون عبرة لغيره من أهل الظلم فطول السقم أشد عذابا وجزاء فى النقم قال فما كان أشهر إلا وتألم واستقم وصاح وناح وتحير فلم يمكنه أن يقف فى مكان أبداً ولم يزل ينتقل به على سواحل البحر من بلد المصنعة تشريقاً من موضع إلى موضع يحمل على أعواد الخشب لايقدر على القيام بل على جنبه يقلب ويتقاب حتى انتهى إلى مسقط فلم يستطع الوقوف فيها مدة لتحيره وثبت ينقل من موضع إلى موضع تشريقاً من مسقط ودام على هذه الحالة سنة كاملة أو أكثر ولم يزل كذلك يحمل وينقل راجعاً إلى الرستاق ووصل ومات فيها عبرة لأولى الألباب ولم نعلم له ولا علمنا أنه علم به غيرنا أنه تاب بل لم يزل وهو على ذلك الحال على الإصرار فى الظلم إلى أن قضى نحبه ومرده ومردنا جميعاً غداً إلى الله الملك الوهاب . قال : وأما السلطان فلم يزل يتضعضع عليه التوفيق حتى أخذ عليه شىء من حصون البلدان الشاسعة من ولايته له قال ثم نهض رجل فقير متورع من أهل التقوى فى ظاهر حكمه زجار يعنى أنه يزجر له فى الباطنة بموضع قرب صحار يقال له القصير قال واسمه حمود بن عزان بن قيس بن السلطان أحمد ابن سعيد البوسعيدى قال كان أبوه وجدّه واليين على صحار ونواحيها ومات عنه أبوه وهو فى سن الصغر قال : واختلس خفية بأناس قلة فأخذ حصن صحار وهو فى ولاية السلطان سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد قال وسعى بغير حرب إلى قبض مابقى من الحصون التى بنواحيها وقد انتبهوا له وتشمروا الحرب به فلم ينفعهم حزم وحصلت له جميع حصونها فى أقل من شهر بأناس لايزيدون على أربعين نفساً وحصن ينقل أخذه

بخمسة وعشرين نفساً وكلهم على حزم منه قال وسعى إلى الرستاق بسبعين نفساً وما عنده من الطعام شيء بل يأكلون القاشع والتمر الضعيف فى النهار والأرز والعوال فى الليل فحصلت له والحروب فيها كانت قائمة فى ثلاثة أيام عبرة للأنام .

قلت : وذلك أن الرستاق بعد موت طالب صارت إلى سعود بن على ابن سيف وهو فيما أظن أحد أولاد الإمام فيحكى عنه أنه صار فيها أجبر من طالب واستغاث من ظلمه أهل الرستاق والله أعلم بحاله ثم أبق له عبيد وخرج بنفسه فى طلبهم حتى نزل بالمنصور وكان فيها رقيقه وهو سلطان بن أحمد بن سعيد بن الإمام فأنزله على الرحب والسعة فبينما هو نائم فى المسجد وقت الظهيرة إذ أتاه صاحب المنصور فضربه بتفق من المصباح فقتله ثم جمع صاحب المنصور من حوله من الأعراب وزحف على الحصن وحاصره وعند ذلك قدم عليها حمود بن عزان فدخلها والحرب قائمة ولعل ذلك كان لرغبة أهل الحصن فيه .

قال الشيخ ناصر وكلما سار إلى حربهم السلطان بجيش كبير فى مقدار عشرة آلاف هزموهم بمقدار مائتى نفس قال وجيش عليهم فى وقت مقدار سبعة آلاف وثمانين رأس خيل وقد قلنا لاتخافوا ولو جيش عليكم ومن الأرض جميعاً فانهم ليولون الأدبار بسر إلهى قد ستر عنكم فتلقاهم أخوه قيس بن عزان بن قيس بحصان واحد وخمسة وسبعين رجلا فظهر عليهم بعد القتال الشديد فردهم على أعقابهم وولوا الأدبار وصح فيهم القتل الكثير والجراح ولم يقتل من أصحاب قيس أحد وإنما جرح اثنان

وعافاهما الله تعالى قال ورفع حمود جميع المظالم واجتنب جميع المآثم إلا ما دخله عن جهالة أنه يجوز له فى ظنه قال وأشهر توبته مع جم كثير من المسلمين ولم تزل تتسهل له الأمور .

قلت : ولماذكره من صفات حمود بن عزان اجتمع المسلمون عنده وهموا بتقديمه إماما فلم يتفق ذلك لأمر أراده الله وكان حمود قد خلع الحصون للمسلمين وقلدهم الأمر وصار كواحد منهم فاجتمعوا يوماً فى مسجد البياضة من الرستاق ليعقدوا له الإمامة ثم اختبروه بشروط يشرطونها عليه وهى الشروط التي يشترطها المسلمون على الإمام الضعيف فأبى أن يقبلها وتفرقوا عنه وتركوه ومن يومئذ بقيت الرستاق فى أيدي أولاد عزان إلى حال التاريخ . وأما صحار وما حولها فانها أخذت منه بالحرب بعد أسر حمود بن عزان هذا فانه قد أسره السلطان ثوينى بن سعيد باحتيال احتاله عليه فى المواجهة فأمسك وقيد وحمل إلى مسكد وسجن فيها ومات فى السجن وكان لحمود فى حياته ولد اسمه سيف بن حمود فطلع طلعة على خلاف سيرة أبيه واستولى بالغلبة على صحار وما حولها وخاف منه أبوه وعمه فأمر به أبوه بعض الخدم فقتله فى صحار وأما السلطان سعيد بن سلطان فانه بعد مامضى قرب الشيخ ناصر وأدنى منزلته وضمه إليه وأكرمه وأنعم عليه فكان إذا سار إلى السواحل حمله معه فصلحت أموره بعد صحبته وكان الشيخ ناصر لهم فظاً غليظا ينكر عليهم فى حضرتهم وكانوا يلينون له ولا يظهرون له مايكره خوفا أن يصنع فيهم شيئاً من السر الإلهى الذى اشتهر به وعرف بعمله بين الخاص والعام ومات الشيخ ناصر فى زنجبار ، وله مع السلطان قصص ولا حاجة لنا بذكرها .

وذكر ذو الغبراء خميس بن راشد العبرى قال سمعت عبد الرحمن يعنى ناصر بن أبى نبهان أنه أكل الخبز بالماء والليمون سنة فى بلد نزوى من قلة مافى يده لأنه سافر عن بلده لما خاف على نفسه حين خشى ماله وهدم بيته طالب بن أحمد بن سعيد . وقال الشيخ ناصر فى ذلك :

معيشتنا خبز لغالب قوتنا ... وماء وليمون وملح وقاشع

فان حصلت مع صحة الجسم والتقى ... فياحبذا هذا بما هو قانع

قال ذو الغبراء : وعمت هذه الأخبار مع جميع الفرق الإسلامية واليهودية والنصرانية والمجوسية فتأسفوا فى نفوسهم بما أصاب عبد الرحمن ثم اجتمعوا فى بندر مسقط بحضرة سيدهم ومولاهم سعيد بن سلطان وقالوا هذا عار نبستره ومن عقبها نار شديدة فلا يرضى أحد بمثل هذا من الأمراء في علمائهم قال فكتب السيد إلى عبد الرحمن بالوصول إليه فلما وصل عنده حياه وكرمه وعظمه وكساه وجعل له فريضة معلومة وبيوتا مستورة وتزوج له من أحسن نساء أهل زمانه ومهما مشى خطوة في حضر أوفى سفر أخذه فى صحبته وأطعمه من طعامه واستشاره فى أكثر أموره فى طول زمانه إلى أن توفاه الله إلى رحمته: توفاه الله فى حجره وجواره فى بندر زنجبار وذكر فى موضع آخر أن الشيخ ناصر توفى يوم الأحد والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ومولده ببلد العليا فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف .

وتوفى الشيخ على بن ناصر الريامى يوم ١٨ رجب سنة أربع وستين ومائتين وألف يوم الثلاثاء وقت الظهر وقبل موت الشيخ ناصر بيسير قلد حمود بن عزان أمر المسلمين على حسب ماأشرنا إليه أولا ، ونذكره الآن مستوفى.

ذكر تقليد حمود بن عزان للمسلمين

وكان ذلك فى أول سنة اثنتين وستين ومائتين وألف فان حمودا فى هذا الوقت عزل نفسه من الحصون وقلد أمرها للمسلمين فجعل أمر الرستاق بيد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى[1] وصحار بيد الشيخ حمد بن خميس السعدى والشيخ جميل بن خميس السعدى مؤلف القاموس[2] وجعل الخابورة بأيدى آل خميس فغيروا المناكر وأمروا بالمعروف وأقاموا العدل واجتهدوا طاقتهم وطلبوا شخصا للامامة وكاتبوا إخوانهم من كل ناحية قال ذو الغبراء لزمتنا دعوة علمائنا وإخواننا المسلمين وقصدنا بالطاعة إليهم مسرعين ونزلنا عندهم بمسجد البياضة والخلق من كل فج مجتمعون والامر بينهم شورى فى نصب حمود بن عزان فى يوم رابع شهر شعبان فأبى السيد حمود من عذر له لعله خفية قال وكذلك اجتمعوا يوم أربعة وعشرين من شعبان فأبى عن ذلك فتغلظت قلوبهم عليه وكذلك خميس بن جاعد الوالى والزاهد سيف بن محمد تعذرا مع المسلمين لعذر لهم فى زمانهم قال وقد طلب هذا الأمر الشيخ سيف بن مالك اليعربى وأراد أن يقبض حصن الرستاق فأجابه

(١) هو أحد أئمة العلم فى زمانه فقد تصدى للتأليف وأجاد فيه وظهرت له مؤلفات جليلة ورسائل كثيرة فيها من تحقيق المسائل ما ليس بعده وهو رحمه الله جد الامام الحالى أبى عبد الله محمد بن عبد الله الخليلى .

(٢) أى قاموس الشريعة وهو أكبر كتاب فى الفقه ظهر الان اذ يبلغ تسعين جزءاً مستقل كل منها وقد وقفت عليه كله من خزانة قطب الأئمة رحمه الله فقد استطاع مؤلفه أن يحشر فيه كل أبواب الفقه والأصول والآداب الشرعية وما إليها ويوجد منه أجزاء فى دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة .

الشيخ الخليلى : كن فى الحصن كأحد من المسلمين واجتهد فى الأمر والنهى فلم يرض إلا بالحصن وما وجد المطلوب فرجع إلى وطنه .

وقال فى موضع آخر: قد كثرت مكاتبة شيخنا العالم سعيد بن خلفان إلينا يريد منا أن نكون فى خدمته ونحن ننظر ما هو فيه وعليه ونؤخر الوصول من علل كثيرة وسنبينها لئلا يظهر الجفاء فإن عمان قد مضت عليها سنين مجدبة والأيدى مقلة والانتقال نرى فيه خوفا على الأنفس والأهل قال وأنا قد بان لى من السلطنة والأمراء وأهل اليسر والفقر والذى يدخل معه من اخوانه والذين بيدهم قبض الحصون كلهم ضده ويراءونه بألسنتهم وقلوبهم متغيرة عليه هو ومن والاه وخفت عليه من كيدهم غيلة فاحترق قلبى وكتبت إليهما يعنى الشيخ الخليلى والشيخ سلطان بن محمد البطاشى نصيحة منى قال وأنا أقول قد ظهر نور المسلمين فى سنة اثنتين وستين ومائتين وألف والسبب فى ذلك أن السيد حمود بن عزان قد وصل عند الشيخ العالم سعد بن خلفان الخليلى وجاء به إلى حصنه بالرستاق وأمره أن يحكم بين المسلمين وأمنه الحصن والبلد فاجتهد الشيخ هو ومن والاه من آل سعد وغيرهم وأراد المسلمون أن ينصبوا إماما لهم الوالى سيف بن محمد السعيدى فأبى عن ذلك ثم أشاروا على الشيخ خميس بن جاعد الخروصى فلم يجدوا منه سبيلا ثم عرفوا المسلمين من كل جهة ليجتمعوا بالرستاق فلما صح جمعهم أشاروا بالإمامة للسيد حمود بن عزان فأراد منهم إرادات فلم يقدروا فأبى عن البيعة فى المرة الأولى والثانية وصار إلى بيت له فى القصير فالمسلمون احتسبوا واجتهدوا فى الأمر والنهى وإصلاح الرعية لله وفى الله والناس تنظر اليهم شزرا فلما عرفنى الشيخ سعيد بن خلفان بالوصول معه

لمدينة صحار قائما والشيخ سلطان بن محمد البطاشى بحصن الرستاق فألزمت نفسى وكتبت لهما هذا الخط ثم ذكر الخط بطوله وذكر فى أوله العذر الخاص به المانع له عن الوصول وفى آخره نصيحة للشيخين نصها : فى هذه الأيام الناصر معدوم لأنى أرى القائمين بالمساجد المريض والأعرج والسقيم والأعمى والجابن عن الحرب وأخبركم عن السادة الذى نسلهم من أولاد أحمد بن سعيد قلوبهم مطمئنة بالحصون فى أيديهم متى أرادوها سينزعونها من أيديكما لأن العساكر والرعية فى أيديهم سراً وعلانية ولكن أكنوا فى صدورهم ما لم تحيطا به فى إصلاح دنياهم لا لدينهم وأنتما عملتما التعزير والقيود وأخذ الزكاة وقد كان الذى بيده الأمر أقوى عشيرة وأكثر أموالا والرعية له مطيعة وأمراء القبائل معهم رغبة ورهبة وما يشير عليهم فى الأمر إلا بلسانه والحق يحتاج قيامه (إلى) مال ورجال تكون بأيديهم السيوف المسلولة واقفون فى أمر الأمير كل ساعة يتقون بنفوسهم من الرعية حراً وشتاء ليلا ونهاراً لا يخافون فى الله لومة لائم وأمرهم شورى بينهم وأنا أخبركم عن كثير من الأمراء عمل برأيه دون آراء المسلمين أمره نبذ فعاقبه ملكه وراء ظهره وقد عمل برأيه بلعرب بن حمير اليعربى فى طمره للمسلمين وقتله لبجاد بن سالم الغافرى والشيخ عامر بن سليمان الريامى فضعف أمره واجتمعوا عليه بنو غافر وألزموه بالحبال وأخرجوه من ملكه وأقام بفلج البزيلى والسيد أحمد بن سعيد لما ملك وساد أطاعت له الخلائق واستقام ملكه وخذل عدوه فدلته نفسه بقتل أكابر بنى غافر فلما قتلهم مشى على ديارهم بجيش عظيم فالتقوا بالأثيلة فصح عليه الكسير وهم فئة قليلة فثارت بينهم العداوة والبغضاء إلى أن ظهر فى الملك سعيد بن سلطان والسيد حمود

ابن عزان فعملا فى الرعية بميزان البصيرة و إصلاح الفريقين فاستطاعوا إليهما فمن عمل برأيهما لإصلاح دنياه فعسى يثبت أمره إلى بعض حين وأما إصلاح الدين فقل فيه المساعد إلا إذا بروا إليكما آل سعد وأنا كما رأيته بعيني وفكرت فيه بقلبي وغيرى كمثلى أرى البادى الذى سكن الصحارى يتقوه الذين معهم البلدان وأحاطت بهن السيران وكذلك السادة الكبراء يبذلون ما فى أيديهم من الدراهم لأمراء القبائل هذا طبعهم لسداد خللهم والله وعباده مطلعون على أمرهم وأنتما تنظران ذلك وإن آل رأيكما على قيام الحق والعدل بالسيف فأريد البيان لأصل إليكما ولنسل سيوفنا ونبايع الله أنفسنا ونقاتل أعداء الله وأعداءنا حتى تفنى أرواحنا والابتداء بالسادة ثم الذى يليهم إلى حيث ننتهى والمراد إلى طريق الآخرة . وأما ان وقفتما على هذه الحالة فأخاف عليكما الذهاب مما أنتما فيه وعليه لأن من راغم السلطان ولاعب الثعبان وغاص فى البحر مع الحيتان أو صادم الراجل الفرسان والشجعان سيبلى بالذل والامتحان والناصر والمعين معدوم فى عمان وأراها أموالكما قليلة وأيديكما غير طويلة وليس معكما عشيرة فانظرا لأنفسكما من الرأى الذى هو أصلح وأسلم والناس فى هذا الزمان تميل بالكلية إلى الظلم والفساد إلا قليل من عباد الله كتم إيمانه وعزل نفسه والسيد حمود ابتلى بالإمارة فما مراده إلا أن يبليكما من بلائه ولو كان حقاً وصدقاً منه لما عزل نفسه عن الحصون ولو كان صحيحاً منه هذا بتقديمكما وصح مع نسل أحمد بن سعيد لدخل فى قلوبهم بالحال والحين وأنهم سيعزلون رءوسكما نساؤهم والخدم قبل أولادهم ونسل أجدادهم وآلهم وعشيرتهم ورعيتهم لأن كلاً منهم يطلب الملك لنفسه دون غيره والنفس أسلم لها مسكنها

فى الخيام والفيافى والقفار عن سكن الحصون التى لم تحرز بالأمناء ولا تكافح عنها الأمراء والأولياء وأرى من كل جهة عليكم عيونا ومع العيون عيونا لأن أكثر الناس بضد الحق أمراؤهم يبرءون من الدماء والأموال ولا يجملون رأيا للأولياء ولا للنساء واليتامى والأرامل فالأقرب يوكل ماله ولو كان جاهلا والأموال الموقوفة تجرى فيها الوكالة على ما سبق وسلف ولم يرضوا بتبطيل دفاترهم وشهادتهم إن كانوا على الحق أو على الباطل يعملون به ويقتدون بنسل الملوك المضلين وهذا أثبتوه بسيوفهم ويحكمون به على بعضهم بعضاً فمن كانت له قدرة ومعه عشيرة وأراد الحق ينفذ بينهم ويبدل سيرتهم فلا يأتيهم كلام ولكن يسل سيفه عليهم حتى يفيئوا إلى أمر الله فإذا لم يقدر على ما ذكرناه فينكر عليهم بقلبه واما يجتنب عن أهل زمانه لأنهم كلهم فى محافلهم يستهزءون بالعلماء والتابعين لهم وأنا شاهدت أهل العلم والمطاوعة وهم عدة وأجسامهم قوية وأموالهم جزيلة كل قبيلة عددهم مثل آل سعد أو أزيد فسألتهم عن لزوم الجهاد والقيام فأجابونى حملة العلم بالعذر لأن أهل الجور والظلم شوكتهم قوية فى زمانهم فى أيديهم الحصون والرعية وهؤلاء الأشياخ عملوا بالتقية لإصلاح دينهم وهم أعلم بذلك وفى زماننا هذا أنتما أئمة مذهبنا وبكما نقتدى وبعلومكما نهتدى وعليكما السلام من خادم العلماء خميس بن راشد العبرى .

هذا كلامه بنص حروفه وقد ظهر ما توسمه فى أهل زمانه . وقال فى كتاب آخر لبعض أصحابه والسيد حمود قد فتح الباب لهما فلما دخلا سده عليهما وهما لا يشعران بأمره فيجب على من علم بسد الباب أن يخبرهما بذلك وقال فى موضع آخر بعد أن ذكر الشيخ سعيد بن خلفان

الخليلى قال وأقبل معه السيد حمود ظاهر أمره للسؤال وباطنه يريد منه أن يتقوى به ويكتب له لما يزيد من الأوفاق فأقام معه ببلد بوشر أياماً وأخذه فى صحبته وأنزله فى منزلته وقال له : كن أنت فى الرستاق واجتهد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فاجتهد الشيخ هو ومن معه وآل سعد وأرادوا نصبه ليكون إماماً لهم فأبى لأنه يعرف نفسه ليس هو من أهل الإمامة فلما صار الأمر فى أيديهم احتسبوا لجبوا الزكوات وأصلحوا الأموال الموقوفة وعملوا فى الناس التعزير والقيود على الشريف والضعيف والسادة والقبائل ينظرون إليهم ويستهزءون بعملهم مرادهم كشف خللهم مع الناس حتى يكثر عليهم الموشى والحساد فاستنزع السيد حمود وولده عليهم الحصون ونبذهم وراء ظهره قال والشيخ الخليلى لما خرج من الحصون اجتهد فى طلب علم الحرف فما مضت سنون كثيرة إلا ومات حمود وولده . هذا كلامه والأمر لله وحده . ومدة تصرف المسلمين فى ممالك حمود بن عزان من أول سنة اثنتين وستين إلى أول سنة ثلاث وستين على ما يظهر من تواريخ خطوطهم فوقت ذلك سنة تامة إلا أن يكون فوقها بعض المدة اليسيرة والله أعلم .

ذكر موت محمد بن ناصر الجبرى

وكان قبل خلع حمود الحصون للمسلمين بكثير من السنين وإنما أخرنا هذا لأن الكلام خرج بنا إلى ذكر حمود فاستقصينا خبره ، ذكر ناصر ابن أبى نبهان قال وذلك أنه لما ملك المحمود حمود الرستاق وخاف محمد ابن ناصر الجبرى على ما تولاه أن يتولاه حمود ويغلب عليه قال وظن أن التيسير لحمود كان بسبب منى له قال وأنا ساكن فى نزوى على احسان حمود إلىّ قال وسرت من بلدانا إلى نزوى قال فرأيت الناس من طرف الجبرى قد أحاطوا بباب البيت يريدون قتلى فذهبت عنهم من الجانب الآخر إلى عقر نزوى قال وكانوا هم وأهل حوائر الوادى أشد الناس حباً للشيخ وأولاده وقالوا : قد كظنا وكظك(١) فإن كان فيك نفع المسلمين فلا يجوز لك ترك هذا الظلم . قال وكان الواقع على أنا ومن معى يوم سبع وعشرين من ذى الحجة فى سنة ١٢٤٩ تسع وأربعين ومائتين وألف قال فقلت لهم قريباً يكون إن شاء الله ظناً أنه يحتاج للمدة كما قد احتاج السلطان والجبار فهما لأجل ما ذكرناه وأما هذا فأمره قريب قال فما انقضى من اليوم الذى وقع فيه الأمر إلا شهران بعجز سبعة أيام إلا ومات وذلك فى يوم ثانى من شهر صفر سنة خمسين ومائتين وألف قال فإن قلت كيف لم نعمل هذا العمل للحرب فالجواب لم أعمله لما ذكرته من عمل تبطيل الأعمال عن السلطان والجبار قال والتبطيل يحتاج إلى مدة وفراغ قال وما قصدنا بإظهار هذا فخرا فإن كثيراً من أهل هذا العلم يعملون العمل فلا ينقضى يوم ولا ساعة من النهار إلا والأمر قد مضى قال وكلامنا هذا يدل أنا أقل الناس علماً فيه .

---

(١) الضمير عائد الى الجبار أى كظنا الجبار وكظك .

قال : ومن ملك شيئاً من الرياضات فهو أقوى من هذا كله ، قال ومن علم منها علماً فلينفع المسلمين به على ما جاز ، قال وإذا لم ينتفع به ولم ينفع به من هو أهله لم يكن له فيه نفع قال ونفع المؤمنين مع القدرة من النصيحة لهم هذا كلامه والله أعلم .

وقد ذكرت فيما تقدم أن السلطان أحسن إلى الشيخ ناصر وأن أموره قد تراجعت فى آخر زمانه وقد تمكن من صحار بعد قبض حمود بن عزان وجعل فيها ولده تركى بن سعيد وجعل فى مسكد ولده ثوينى بن سعيد وفى زنجبار ولده ماجد بن سعيد وبقى هو يتردد فى ممالكه من زنجبار إلى مسكد ومن مسكد إلى زنجبار وبقيت الرستاق فى يد قيس بن عزان أخى حمود وهو أبو الإمام عزان ، وأما السويق فقد كانت فى يد محمد بن الإمام ثم صارت فى يد ولده هلال بن محمد وكانت الباطنة قد زهرت زهرة حسنة وكثر فيها الأخيار والمتعلمون وفيهم الشيخ جميل بن خميس مؤلف قاموس الشريعة وكان يسكن القرط وكان شيخهم حمد بن خميس من خيارهم وكان حبهم وميلهم إلى ملوك الرستاق لأنهم قد تسموا بالدين وعرفوا بالفضل وكانوا كثيراً يزورون قيس بن عزان حتى قيل انه يجتمع فى اليوم الواحد عنده فى غرفة الصلاة مقدار أربعين مطوعا وهو اسم لمن تسمى بالدين وكف عن المآثم وكانوا يقرأون عنده آثار المسلمين فما زال كذلك حتى انقضت أيامه وسيأتى خبر قتله إن شاء الله تعالى فى أيام ثوينى .

وحدثنى الثقة أن أربعين رجلا من خيار أهل الباطنة من أهل البطحاء ذكروا الشراء فرغبوا فيه وتعاقدوا عليه فقام عليهم أقاربهم ليمنعوهم منه لظنهم أنهم لا يقوون عليه فأبوا إلا الشراء وتعاقدوا عليه وأخذوا

لأنفسهم أكفاناً وخرجوا ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وقصدوا الى اخوانهم من أهل القرط فحين اجتمعوا على ذلك وأخذوا فى الخروج إذا هم بطير أبيض يسير أعلا من رءوسهم يتبعهم حيث ساروا فعلم بهم هلال بن محمد بن الامام صاحب السويق فخرج اليهم بعسكره ليقطع بينهم وبين اخوانهم فلما رآهم على تلك الهيئة هابهم هو ومن معه وكان بطلا شجاعا فقال لقومه امهلونى حتى اسبرهم فهوى إليهم بفرسه فاستداروا صفا واحدا كالحلقة المفرغة ليحمى بعضهم ظهر بعض فلما وصلت الخيل قربهم برك الذى حاذاها منهم على ركبتيه يريد أن يعقر الفرس فحرفها عنه هلال وأتى من الجانب الثانى ففعل من حاذاه كذلك ثم من الجانب الثالث ففعلوا كذلك ثم رجع الى قومه ومضى بهم الى حصنه ومضت الشراة والطير على رءوسهم لم يفارقهم حتى نزلوا عند اخوانهم بالقرط فأقاموا هنالك يأمرون وينهون ولم يخبرنا الثقة انهم عقدوا الامامة على أحد منهم وانما فهمنا منه أن أمرهم شورى بينهم وهو اجتماع محمود ، وفى الأثر أن لجماعة المسلمين جميع ما للامام من إنفاذ الأحكام وإقامة الحدود ، وقيل لهم جميع ذلك إلا الحدود فلا يقيمها إلا الامام وكان السلطان سعيد بن سلطان بمسكد فبلغته أخبارهم وخاف أن يعظم أمرهم فارسل اليهم الهدايا وأعظمها لهم من غير أن يتعرض لهم بحرب ظاهر وانما أرسلها على هيئة المعونة وهى الحرب الباطن وكان ذلك من مكائد الملوك فلما وصلتهم الهدايا قال بعضهم لا نقبلها وخافوا الفتنة وعرفوا أنها المكيدة وقال آخرون بل نأخذها لنتقوى بها على أمورنا ، ثم اتفقوا على الأخذ ، فلما أخذوا الهدايا فارقهم الطير الابيض ووقع فيهم الفشل واختلفت كلمتهم وتفرق جمعهم ورجع كل الى منزله

من غير أن يقتلوا أو يقتلوا ، والله أعلم بما كان عليه أول أمرهم أ كان عقداً
لا يجوز فسخه أم كان أمراً واسعاً اختاروه لأنفسهم ويكون لهم فيه الرجوع
والظن بهم هذا الوجه الثانى والثقة لم ينقل لنا أنهم توَّبوا أحداً منهم
وعابوه والله أعلم بحقيقة الأمر ، وينبغى للعاقل أن لا يدخل فى أمر يعجز
عن إتمامه والفضائل كثيرة والشراء درجة عظيمة لا يدركها إلا الخواص
من الخواص وليس كل رجل كأصحاب المرداس والله يؤتى فضله من يشاء ،
وكان للسلطان سعيد عامل من آل بوسعيد يقال له سيف بن محمد البوسعيدى
وكان عنده بمنزلة جليلة قاد له الجيوش وتولى له الأعمال ثم رزقه الله تعالى
حسن التوفيق فآب إلى الله وتاب توبة نصوحاً وباع أمواله وتخلص
مما جناه تخلصاً تاماً أدى الواجب وزاد عليه الاحتياط وانقطع إلى الله
فى الفيافى وزيارة العلماء والأفاضل واشتهر باسم الزاهد فظهرت له
الكرامات وانفتحت له أبواب الخيرات وشهد له بالفضل كل ناطق يعرفه
ووجبت له الولاية على الخاص والعام رضى الله عنه وأرضاه وأخباره كثيرة
تحتاج إلى بسط طويل وأذكر لك بعضها لغرابتها وهى قطرة من بحر : يقال
أنه كان يتعبد فى جبل من جبال سمائل فبينما هو كذلك إذا هو برجل غريب
لا يعرفه قدم عليه فأخذه فى العبادة حوله حتى استحقر الشيخ نفسه واستقل
عمله وقال فى نفسه هكذا الرجال فأقام ثلاثة أيام على ذلك الحال ثم أقبل
الغريب عليه بعد الثلاث وقال له يا هذا على أى مذهب أنت فقال الشيخ
على مذهب أهل الاستقامة فقال الغريب لو عبدت الله على مذهب أهل السنة
لكان خيراً لك ثم تناول هذا الغريب ورقاً من شجرة حين كانت قربهما
وهى شجرة التفلى فأكل منها وقال الشيخ لو عبدت الله على مذهب أهل السُّنة

لصار لك المر حلواً كما ترى فوقع فى نفس الشيخ انه الشيطان فقال أى عدو الله تريد أن تضلنى فتضاءل الغريب بين يديه ثم لم يره فظهر أنه الشيطان فعصمه الله منه ، وقيل انه كان يوما يتعبد بمسجد معتزل فى وادى المعاول ومعه عابد آخر أعمى فارسل إليه هلال بن احمد البوسعيدى بهدية عند جمال وكان هلال من أهل مسكد وكان يكثر الصدقات على الأفاضل وهو أخو حمود بن احمد صاحب رباط مكة فلما وصل الرسول قام الزاهد يعالج له طعاماً فصنع له عرسيّة فغرفها له فى ليفة خشى ثم قال له ادع الرجل الذى فى المسجد ليأكل وهو العابد الاعمى فأتاه فدعاه فقال قد تعشيت فنظر فاذا هناك نويات يسيرة يشك أتبلغ سبعاً أم لا فرجع الى الشيخ فأخبره فقال ذاك ليس مثلى أنا أى لم تغلبه شهوته مثل ماغلبتنى فباتوا فلما كان السحر سمع الرسول وهو نائم الشيخ والعابد يصيحان النار النار فلما أصبحوا قال الشيخ للرسول أتقرءان شيئاً من القرآن ؟ قال نعم ، قال فاقرأ ، فقرأ عليه « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها المدثر قم فأنذر — الى قوله تعالى — فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » فتلقاها الشيخ يرددها حتى غشى عليه وأخباره كثيرة وفضائله شهيرة وقد أدركت بعض من أدركه من الثقاة فأخبرونى عنه بالعجب والله يؤتى فضله من يشاء وتوفى الشيخ الزاهد بالشريعة من أرض سمد الشان وقبره فيها رحمة الله عليه ، ثم مات السلطان سعيد بن سلطان فى البحر فى مسيره الى زنجبار فى مركب كان له فساروا به وهو ميت حتى أنزلوه زنجبار فدفنوه فيها وذلك فى سنة ١٢٧٣ وكان قد عاش فى الملك خمسين سنة وقيل أكثر وخلف أولاداً وبموته اقتسم الملك بين أولاده فصار ملك السواحل لماجد بن سعيد ثم ملك من بعده

برغش بن سعيد ثم من بعده خليفة بن سعيد ثم على بن سعيد ثم حمد بن ثوينى بن سعيد ثم حمود بن محمد بن سعيد ثم على بن حمود بن محمد ولاحاجة لنا بذكر أخبار زنجبار والسواحل فان غرضنا تاريخ عمان ولبرغش ابن سعيد مآثر حسنة فانه خلط عملا صالحا وآخر سيئا جمع الأخيار وقراء الآثار ولازم العبادة وطبع جانبا من كتب المذهب وجعل للحجاج مركباً يحملهم فى كل عام من السواحل وعمان من غير نَوْل(١) وهم فيه مكفولون ذاهبين وراجعين وحج البيت وزار القبر وأجزل العطاء وأكرم العلماء ورحم الفقراء ونصب القضاة ، وبسط أخباره تحتاج الى مجلد وليس ذلك من غرضنا الآن وأما مسكد وأكثر الحصون من عمان فقد صار ملكها الى ولده ثوينى بن سعيد ثم من بعده الى سالم بن ثوينى ثم من بعده الامام عزان رضى الله عنه ثم من بعده الى تركى بن سعيد بن سلطان ثم من بعده الى ولده فيصل بن تركى وهو صاحبها اليوم ، وسنذكر لكل واحد باباً ان شاء الله تعالى وكان جانب عظيم من أرض فارس فى ملك السلطان سعيد بن سلطان وكان الوالى فيه سيف بن نبهان المعولى وكان له حزم وسياسة فما زال يستفتح قلاع فارس ويستجلب رعاياها ، حتى دخل كثير منهم فى طاعته وعظم أمره هنالك وقويت شوكته وبلغ فيها مبلغا لم يبلغه غيره ، ثم عزله السلطان ثوينى وولى عليها سعيد بن أحمد البوسعيدى ، فلم يحكم أمرها ، فثارت عليه العجم فأخذوا ما استفتحه سيف بن نبهان من بر فارس وبقى لملوك عمان ماحول البحر ، ثم ذهب أكثره وبقى الاقل منه ، والله الباقى .

---

(١) أى أجرة الركوب .

باب الأحوال الواقعة فى دولة السلطان

ثوينى بن سعيد بن سلطان

وكان قد ملك عمان بعد أبيه وانفرد بها دون إخوته وخالفه أهل نخل وقتلوا خادمه سويلم بن سالمين وكان والياً عليهم من قبله وعصبتهم الغافرية وجاءوا بجابر بن حمير اليعربى وبنوا له على ثوارة نخل قلعة تقابل حصن السلطان فقام عليهم السلطان وحاصره جابر بن حمير ومن معه فدخل عليه ناصر بن على شيخ آل وهيبه يريد أن يسعى بينه وبين السلطان بصلح على أن يخرج ويجعل له جملا فأبى جابر بن حمير فرشى ناصر السيابيين وأخرجهم عن عصبة جابر وساروا إلى بلدانهم ثم دخل عليه من أخرى ليكلمه فقال له اصنع ماشئت وذلك حين رأى ضياع الغافرية فجعل له فيما قيل ستة آلاف قرش فخرج من نخل ومضى إلى سيجا ثم بعد ذلك سار إليه السلطان بجيوشه بعد مدة وحاصر سيجا ودخلها وخرج منها جابر ومضى إلى جعلان وسكن عند بنى بحسن حتى مات وفى أيامه وهو السلطان ثوينى اقتتل قيس بن عزان وهلال بن محمد صاحب السويق وذلك أن هلالا كان ميله عند السلطان لأنه ابن عمه وكان عده وكان قد وقع بينه وبين أهل الباطنة بعض المشاحنة وهم آل سعد وكان قد كثرت الأفاضل فيهم وكان ميلهم إلى قيس بن عزان لما يرون فيه من آثار الصلاح وكان طبعه موافقاً لطباعهم وسيرته موافقة لسيرتهم فهموا أن يقوموا به للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان ملكه بالرستاق وأرادوا أن يضموا إليه ملك الباطنة فجاءوا به

إليها وطلبوا من هلال المواجهة له فأنعم لهم بذلك وخرج إليهم فى نفر قليل من أهل الخيل وكانوا قد تواعدوا على مقيل فى مال لبيت المال يختص به هلال فنزل هلال تحت بيذامة هنالك : والبيذامة شجرة عظيمة لها ورق عريض يقرب من الاستدارة وليس بمستدير وجاء قيس ومعه خيار آل سعد وكانوا قد أرادوا أن يقيموا الحجة على هلال ليأخذوه ببينة وبصيرة فإن امتنع عن الحق يقتلوه وكان قيس رأس الأمر وكان قد هيأ خادماً له يقال له رصاص وقال له إن قلت لك هات شربة فاقتل هلالا وكان هلال قد أحس بذلك فى نفسه فأخذ خنجره فى يده يعبث به يقطع بعض الخوص الذى كانوا جالسين عليه وهو خوص قد اجتمع من عمل القيض يكون كثيراً فى المجالس فكلمه قيس وقال له : إن ثوينى جبار ولا يجوز لك أن تعينه على المسلمين ونريد منك أن تكف نفسك عن معونته ، فقال أنا وثوينى لا نتفارق فقال له قيس كان على هدًى أو ضلال لا تفارقه ؟ قال لا أجد منه بداً قال لا يجوز لك ذلك قال أنا وثوينى كرجل واحد ولا ينفك بعضنا عن بعض وكان قد فطن لما يريدون ولكن منعه التكبر عن الحق وكانت فى نفسه شجاعة يرى أنهم لا يقدرون عليه بشىء فلما أيسوا منه قال قيس للخادم شربة فوثب الخادم ليأتيه بماء ولا لوم عليه فإنه هلال فلما رأى قيس ذلك سل كتارته من غمدها وضرب هلالا فى جبينه ضربة يرى أنها كانت تكشف سحلة رأسه فوقعت بادرة الكتارة فى البيذامة وكانت من هنالك ناتئة قليلا فمنعت الكتارة عن استئصال رأس هلال فمن حين ذلك ضرب هلال بخنجره فى غلصوم قيس فقتله ومات قيس من حينه ووثب هلال إلى فرسه وكان الدم قد غشى عينيه فرماه الحاضرون من أصحاب قيس بالرماح

فقضى عليه ومات الرجلان كلاهما والأمر لله ثم وثب آل سعد على حصن السويق فحربهم من فيه وكان فيه أخت هلال جوخة بنت محمد بن الإمام فحربت بمن معها ثمانية عشر يوماً ثم وثب آل سعد على الحصن وكانت تصب عليهم العسل والخل المحرّرين فكثر فيهم القتل والجراح ولم يردهم ذلك حتى اقتحموا الحصن وكان رجل منهم قد أمسك بيديه فى مدفع فنقع المدفع ورفس بقوة النقعة إلى داخل فدخل الرجل معه وقد صمت أذنه من النقعة لأنها كانت مع أذنه وخلص الحصن وخرجت المرأة بمن معها فى أمان وقبض آل سعد الحصن وجاءوا بأولاد حمود بن عزان وهم صغار فجعلوهم فيه ليتبعهم الناس وبقى فى الرستاق عزان بن قيس وهو الذى نصب بعد إماماً وتولى المطاوعة أمر السويق ثم جمع السلطان ثوينى الجموع وسار إلى حرب آل سعد فتجمعوا له بموضع يقال له الملدّة فاقتتلوا يسيراً ثم دخل الناس بينهم بالصلح فاصطلحوا ورجع حصن السويق إلى السلطان ويقال إن جوخة بنت محمد كانت قد طلبت من ابن عمها السلطان النصرة على أهل الباطنة فتمادى بها طمعاً فى الحصن لأنه لا يرى أخذه من يدها وهى مستنصرة به فإذا أخذه آل سعد أمكنه حربهم عليه فتمت له الحيلة بذلك ثم جمع السلطان ثوينى جموعاً وسار إلى الرستاق فحاصرها مدة من الزمان وكان فيها عزان بن قيس وبنو عمه فلم تخلص له وجاء الوهابى صاحب البريمى ليصلح الحال فى ظاهر الأمر فحين علم السلطان بمجيئه رجع عن حرب الرستاق ومضى إلى بلاده ثم خرجت على السلطان خارجة من الوهابية يقدمهم السديرى وكانوا من أهل نجد وكانوا قد تولوا أرض الجوّ وجعلوا البريمى بها ولايتهم وكان خروجهم بسبب ناصر بن على شيخ

آل وهيبة وسبب ذلك أن السلطان قدم عليه أخاه خليفين بن على فأضمر ناصر فى نفسه العداوة وأرسل للسديرى فجاء به إلى جعلان عند بو على وكانوا على مذهبه فقام فيهم وأدوا له الطاعة عن حب ورغبة ثم ساروا به فأخذوا حصن صور وكان شيخنا الصالح صالح بن على الحارثى فى السواحد فوافق مجيئه منها خروج الوهابى المذكور فطلب من السلطان ثوينى الخروج إلى قتاله وكان السلطان قد استحقر شأن الوهابى فلم يكن قد قصد الخروج إليه لذلك فقال له إن وراءه دولة وإنه طالب ملك وله عصبة من الغافرية وأخشى أن يكبر أمره فمازال به حتى أجابه إلى حربه وواعده فى يوم معلوم وقت الظهر ليصل بمن معه فى سفالة أبرى فى شريعة الزويد قال الشيخ فلم يتخلف وصوله عن ذلك الوقت بل وصل فيه بعينه ثم سارا إلى بدية وأناخا فى الواصل وأرسل إلى ناصر بن على رسلا ليصل إليه فلم يصل بالحال فلما كثرت عليه الرسل جاء فحين رآه السلطان مقبلا أخذ فى لعنه وهو لايسمعه حتى إذا كان غير بعيد ألقى ناصر عصاه إلى السلطان وقال هذا ظهرى للضرب ورجلاى للقيد ورقبتى للذبح مكراً وخديعة فقال السلطان أنت مسموح ما حملك على ما صنعت ؟ قال الجلوس عند مدفع اللصوص ومراده بذلك أنه قدم على السلطان يوماً ببركا فلم يؤذن له بالدخول وجلس قدام الباب عند مدفع تصاب عليه اللصوص ينتظر الإذن فلم يؤذن له فكان ذلك السبب الذى حمله على مظاهرة الوهابى فى الباطن ، فقال له السلطان شنعت فارقع فقال نعم فسار ناصر إلى صور وقال للسديرى رأيت الهناوية قد اجتمعوا عليك ومعهم سلطانهم وقد جاءك مالا قبل لك به ولا أقدر أنا على دفعه وأخشى أن تقتل وأنا قد جئت بك فارجع إلى مأمنك

فأخرجه من حصن صور ورجع من حيث جاء وكان تركي بن سعيد قد ضاق عليه الحال بصحار لقلة مدخولها فدفعها إلى أخيه ثوينى وانضم إليه فى مسكد وصاروا يداً واحدة فحين قام السلطان ثوينى على السديرى من طريق البر أمر أخاه تركى أن يلاقيه فى صور بالمراكب من طريق البحر فسار السلطان ثوينى إلى صور وفى طريق مسيرهم بلغهم خروج الوهابى من صور بسبب ناصر بن على فأراد بعض الأكابر أن يلاقوه فيقاتلوه فأبى السلطان واختار السلامة لقومه مع حصول المراد فلما وصلوا صور وافقوا تركى فى المراكب ولبث السلطان بها قليلا من الزمان ثم رخص قومه ، وركب مغربا ولم يدخل مسكد بل قصد صحار وفيها ولده سالم ابن ثوينى كان قد جعله فيها لمقاومة الوهابية القائمين بالبريمى ، ولسالم فى أبيه غوائل كان أبوه عنها غافلا ، أراد أن يقتله لينفرد بالملك ، وكان السلطان قد شركه فى ملكه حتى لا يرد أمره ، وكان أحب أولاده إليه والمقدر كائن .

إن من ترجو به دفع البـــلا　　　سوف يأتيك البلا من قبـــله

* * *

كم واثق بالناس حتى ماأتت　　　نوب الزمان غدوا عليه نوائبا

فبينما السلطان نائماً وقت الظهيرة فى غرفة صحار إذ دخل عليه ولده سالم فضربه بتفق فى فؤاده فيما قيل فمات من ساعته ثم قيد عمه تركى وجاء إلى مسكد وولى السلطنة والأمر لله وحده وذلك فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف باليوم السابع والعشرين من شهر رمضان قبل الظهر بقليل وبقى مطروحاً على فراشه بقية يومه ودفن بعد المغرب بساعة بغير تكفين.

ولا تفسيل ليلة الثامنة والعشرين منه وفى هذا الشهر وقعت سيول عظيمة بعمان وكان السيل جارفاً ويقال لها جرفة رمضان وأثرت فى عمان خصباً كثيراً وكان أخو السديرى قد سمع بخروج السلطان والهناوية على أخيه الذى بصور فركب بمن معه من أهل الخيل والإبل ووصل إلى منح فسمع به الهناوية من أهل الشرقية فاجتمعوا لدفاعه وأقاموا بالمضيبى فكان جمعاً عظيما فسمع بذلك الوهابى فرجع من منح وجاء على طريق الجبل فى طريق الشص وماتت له هنالك خيل من صعوبة الطريق ثم نزل من الجبل على وادى بنى خروص ثم إلى الرستاق ثم إلى البريمى وهى ولايته وأقام بها والله أعلم به .

باب الأحوال الواقعة فى دولة السلطان

سالم بن ثوينى

وذلك أنه لما قتل أباه بصحار وجاء هو إلى مسكد ووصله رءوس القبائل واستحضر من شاء منهم ليقوى بهم أمره أظهر للمسلمين أنه إنما قتل أباه ليظهر العدل فى الارض واستدعى ببعض أفاضل المسلمين وبعض مشايخ أهل الدين وقال وقال ووعد وأمل ، وذلك أنه رأى مافعله الشنيعة الشنعاء وأراد أن يرقعها ولو بقال زور فبينما هم كذلك إذ جاء النصرانى وكان قد تدخل عند الملوك وأظهر لهم التودد ، فلما قتل سالم أباه أظهر السخط لذلك وأطلق تركي من قيده وهو مقيد فى صحار ثم جاء النصرانى إلى مسكد وقال لسالم اعتزل لا تصلح للملك وقد قتلت أباك وأظهر له الغضب فشاور السلطان سالم من حضره من أكابر المسلمين فأجابوه بأن لا يصغى إلى قوله ويظهر له الشدة ، فلما رد اليه الجواب ضرب النصرانى بكمته على سطحة المركب وكان يفعل ذلك إذا غضب ثم قلع مركبه ومضى مسرعاً فلم تكن له معاودة فى هذا الخطاب ، ثم سار تركى إلى ينقل من الظاهرة وناصره أميرها من الغصون وقام معه وحرب صحار وكادت تخاص له بل يقال أنها خلصت فبينما الامير العلوى يكتب الخطوط للقبائل بخلوص صحار إذ نقع مدفع من قدام الحصن لايدرى من كواه فأصاب الامير فمات وانهزم عسكره وبقى تركى يتبعهم ليرجعوا اليه فأبوا وكانوا طوع أمرائهم دون السلاطين ولا ينتظم لهم أمر إلا بأمير من الغصون ثم مضى تركى على وجهه فى

البلاد يلتمس النصرة على ابن أخيه من كل من وجد وكانت له همة وجلد وجراءة ثم التمس المسلمون من السلطان سالم ماوعدهم به من إظهار العدل فبقى يمنيهم ويمدهم وهو مع ذلك يخادعهم ثم أصبح تركى بن سعيد فى السكوت الشرقى ركب فى خشبة وأخذ معه بعض الشحوح حتى جاءوا إلى السكوت فدخله وفيه البلوش فلما عرفوه لم يقدروا على منعه فتحصل فيه وكان ينزل اليهم بليل فيقتل ويرجع فكان يزورهم زورة الذئب وممن قتله تركى فى هذه الحالة عبد الله بن مشارى بن سعد بن مطلق ولد الوهابى الذى كان عذابا على أهل عمان ثم أن تركى لم يجد فى السكوت ما يقوم بمؤنة من معه من طعام وشراب وسعى بينهم بعض الرؤساء أن يخرج من السكوت فخرج سالما ومضى إلى الجانب الغربى ثم جاء على طريق البر حتى وصل الشرقية وطلب من أهلها القيام على ابن أخيه وكانوا قد كرهوه لقتله لأبيه فقام معه كثير منهم بل أكثرهم وهم بنو بو حسن والحجريون وبعض الحرث وكبير الخارجين من الحرث سعيد بن على بن مسعود البرواني وكان الشيخ صالح بن على الحارثى وهو رئيس الهناوية على الإطلاق لم يرض خروجهم هذا لما تقدم من وعد السلطان سالم أنه يقيم العدل وكان الشيخ صالح قد خرج من عند السلطان فوافق الجيش بسمد قاصدا لحرب السلطان والمقدم فيهم رئيس بنى بوحسن حمد بن مسلم وكان حمد هذا لا يخالف الشيخ صالح فلما رأى الشيخ ذلك دخل فى جملة الجيش وسار معهم وهو يقول لحمد ابن مسلم لا تعجل بالقوم وأرسل إلى السلطان أن يأخذ حذره فأكثروا المناخات حتى غضب سعيد بن على البروانى فنهره الشيخ فلما دنوا من مطرح

أراد أن يؤخرهم فقال حمد بن مسلم ليس عندنا للقوم بهطة يعنى نفقة فقال الشيخ أنا أعطيك لهم فبقى بعد حمدا خفية ثم استأذنهم أن يشرف على السلطان فأذنوا له ودخل عليه فرآه قد أهمل الحزم فأخذ يوبخه ويلومه وأغلظ عليه فقال السلطان قد أرسلنا إلى القبائل فلم تصل ثم عملوا الحيلة أن يصلهم السلطان بنفسه إلى مطرح فى الغد فجاء السلطان على الوعد وسار اليه بعض أكابر الهناوية ومناهم بجميع ماطلبوا وذلك أنهم طلبوا أن يكون لتركى من وادى القاسم مغربا فقال لكم ذلك ويصلكم الشيخ صالح فى غد بتمام الجواب فقالوا إن لم يصلنا إلى طلوع الشمس فلا ذمة بيننا قال نعم ، ثم رجع السلطان إلى مسكد وجاء الشيخ بالغد بعد طلوع الشمس فبينما هو يسير فى البحر فرأى القوم قد ركضوا على مطرح ودخلوها من الجانب الغربى وخلصوها فى ضحوة النهار ومضوا إلى الراوية فحاصروها وكان قد دخلهم بعض اختلاف وفشل وكانت مسكد قد امتلأت بالقبائل الغافرية ، وكان الشيخ قد رجع إليها بعد أن رأى دخول الهناوية مطرح وكان قد نصح للسلطان باطناً وظاهراً لما كان يعدهم به من القيام بالعدل ثم جاء النصرانى فحمل تركى فى المركب وذهب به إلى الهند وقيل ان تركى اختار ذلك بنفسه : رأى أن العرب لا تنفعه لعدم اجتماعهم عليه وبقى فيها حتى جاء المجىء الذى حارب فيه الامام عزان رضى الله عنه وسيأتى خبر ذلك .

ثم ان السلطان سالماً هم بالغدر بالشيخ صالح بن على ببركا فسيس

له أن يمسك فى البرزة إذا دخل للوجاه وكانت البرزة فى الحصن فلما برز السلطان ودخل الشيخ للوجاه لم يلبث أن علم بدو الشيخ بالمكيدة المصنوعة لشيخهم فانطلق واحد منهم يسعى مسرعاً إلى الحصن ودخل إلى البرزة وقال للشيخ ادرك قومك فقد تضاربوا فخرج الشيخ يعدو ولم يتمكن السلطان من مكيدته حتى خرج الشيخ فأخبره أصحابه بالمكيدة ووجدهم قد تهيأوا فركبوا من حينهم مغربين فانطلقت خيل السلطان فى أثرهم وعليها الوهابية فأدركوا بعض البدو فوقع بينهم بعض التناوش وقتل رجلان من الوهابية أصحاب السلطان وجرح رجل من البدو أصحاب الشيخ وكانت هذه الحالة من أول أسباب النزول للسلطان سالم بل أول نزوله قتل ابيه فإنه لم يلبث فى الملك إلا مدة يسيرة ، فقد قيل انه ملك سنتين وأشهرا فقط ، ثم سار الشيخ إلى حمد بن سالم بن سلطان وهو ابن عم أبى السلطان سالم وكان فى المصنعة فتواعدوا على أمر عجز حمد عن الوفاء به وذاك هو الخروج على السلطان سالم ومكث الشيخ معه يومين ثم ركب إلى الرستاق ثم توجه إلى وادى بني غافر وجاء على طريق نجد المخاريم ثم منها على طريق عمان حتى وصل إلى الشرقية وهى وطنه فبقى الخطاب بينه وبين الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى عالم عمان فى ذلك الوقت وكان الشيخ صالح قد تلمذ عنده وتعلم منه وأخذ عنه الدين وكذلك أخذ عنه جملة ممن أدركنا من المشائخ والإخوان وكان عزان بن قيس سلطاناً على الرستاق وكان حسن السيرة فيها ، وكان الشيخ محمد بن سليم الغاربى فى الباطنة وهو

أعلم من فيها ذلك اليوم وأفضل وكان مسموعاً مطاعاً فيهم لعلمه وفضله وأما الرياسة فلغيره فتكاتبوا وتخاطبوا وكانوا يحاولون ظهور العدل فى كل حين فلم تمكنهم الفرصة وكان الشيخ سعيد بن خلفان قد هيأ لذلك الأسباب وادخر الدراهم ولم تزل الرسل والمكاتبة بينهم حتى منّ الله عليهم بظهور العدل واجتماع الشمل ، فقاموا جميعاً على السلطان سالم فأخرجوه من مسكد وعقدوا الإمامة على عزان بن قيس على حسب ما سيأتى شرحه إن شاء الله تعالى .

باب إمامة عزان بن قيس بن عزان

ابن قيس بن الإمام

وهو الإمام المجتمع عليه من هذه الدولة رضى الله عنه ، وذلك أن المسلمين تكاتبوا وطلبوا الاجتماع والقيام على السلطان سالم بن ثوينى على حسب ما قدمنا ذكره فكتب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى عالم ذلك العصر الكتب إلى رؤساء الشرق وأكبرهم منزلة وأكثرهم نصراً شيخنا الوالى صالح بن على .

وحدثنى الثقة أنه لما وصلت الكتب إلى الشيخ المذكور سار بها بنفسه رسولا إلى حمد بن مسلم رئيس بنى بحسن وكان السلطان سالم قد تجند بأعداء الدين الوهابية ومنهم بنو بوعلى قال الثقة فحين وصلت جعلان وقع الطاعون فى بنى بوعلى فى ذلك اليوم بنفسه ولم يصب أحداً من أهل عمان غيرهم فشغلهم ذلك عن نصرة سلطانهم وكتب الشيخ سعيد بن خلفان إلى عزان أن يسير إلى بركا وضربوا لذلك مواعيد وجاء من مطاوعة الحجريين ومن معهم نيف وعشرون رجلا فمروا على الشيخ صالح ثم تقدموه بيومين إلى سمائل لحضرة الشيخ الخليلى سعيد ابن خلفان وكان قد اشتهر خبرهم وشاع ذكرهم وعرف مطلبهم فلما سمع بهم كبير حبس استهزأ بهم وقال هؤلاء الخارجون لا يستطيعون أن يسموا حمارا لو أمسك لهم تكيف يأخذون مسكد ولم يعلم أن النصر بيد الله وقد قال تعالى « إنا كفيناك المستهزئين » ثم لحق الشيخ بمن معه بعد يومين وجاءوا إلى سمائل من طريق وادى بنى رواحة حتى نزلوا بالعلاية عند الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى ثم قام عزان من الرستاق بمن حضر

معه من قومه وكانوا قدر سبعين راكباً ركبوا منها وقت العصر ولحق بعد ذلك من لحق وهجموا بركا من ليلتهم فدخلوها وقت السحر من ليلة ثانى من جمادى الآخرى سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ففتحها من يومه وأقام بها حتى دخل أهل الشرقية مطرحاً وذلك أن الشيخ صالح ومن معه والشيخ سيف بن أحمد الرواحى ومن معه قد خرجوا ومعهم عالمهم الأكبر الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى من علاية سمائل إلى جانب مطرح وكان بنو جابر قد منعوهم الطريق ثم جاءهم الشيخ على بن جبر الجبرى وسار بهم وكان لهم خفيراً من الغافرية حتى خلصهم من حرم بنى جابر ثم ساروا ونزلوا بفنجاء وهنالك أرسل إليهم السلطان هلال بن أحمد البوسعيدى وبعض أصحابه ليمنيهم ويعدهم بما أرادوا ويرجعوا عنه ولم يكن المشائخ قاموا لطلب مال ولا لدولة سلطان وإنما قاموا لإظهار الحق وإقامة العدل وكان هلال بن أحمد سيداً فاضلا وصار فى دولة المسلمين عضواً من أعضائها وكان من أهل الخير والمعروف فكلمهم فيما جاء به من قبل السلطان فلم يقبلوا منه مالا ولا وعداً ورجع عنهم من هنالك إلى السلطان فأخبره بتوجههم إليه وبما أرادوا ثم ركبوا من فنجاء مشرقين وفارقهم الشيخ سعيد من الطريق ليمر على بوشر وكان له فيها منازل وأموال فقال[1] فيها ثم لاقاهم بمن معه بموضع يقال له السليعة من أطراف الوطيه ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بسويح الحرمل أول ليلة اثنى عشر من جمادى الأخرى وهو الشهر المتقدم ذكره من السنة المتقدمة وكان نهوضهم من سمائل ليلة عاشر من الشهر المذكور وأحسب أنى سمعت شيخنا يذكر أن مسيرهم من القابل كان ليلة سادس أو قال يوم سادس من الشهر المذكور فلما أناخوا بالسويح قام أهل الحل والعقد للمشورة

---

(١) أى استراح وقت القائلة .

يتشاورون من أى موضع يأتون مطرح فبينما هم كذلك فى تلك المشورة إذ أقبل رجل من عسكر السلطان من طائفة يقال لها المشايخ وكان لهم شغف عند القائمين وميل إلى محبتهم لزعمهم أنهم صف واحد وعصبة واحدة فقال الرجل أين الشيخ بريد الشيخ صالح بن على الحارثى فدلوه عليه فأخذه بجانب عن الناس وقال الشيخ له ما عندك قال كم تعطونى إن دللتكم على الطريق الذى لا يصيبكم منه بأس فقال الشيخ لك ما تريد؟ فقال أريد أربعمائة قرش فقال الشيخ لك ذلك فقال قوموا فى أثرى ، فقاموا فى أثره وأرسلوا معه طائفة من الناس وجاء الجمهور على الباب الكبير فجاء المشائخى بمن معه من المثاعيب وهى منافذ للسيل لم يكن عليها باب وإنما وضع عليها شرباك من الخيزران فدفعوه بأيديهم ثم دخلوا ومضوا إلى الباب ففتحوه لأصحابهم وكان الوالى على مطرح يومئذ سيف ابن سليمان البوسعيدى فوثب القوم إلى بيت الوالى فهرب منه إلى مسكد عند سلطانه وكانوا قد تقدموا على الجند أن لا يأخذوا من أموال الناس شيئاً فخالف الأمر بدوى وهم أن يسلب بانيان فسلط الله البانيان عليه وسلبه سلاحه حتى مر الشيخ صالح عليه وسلاحه عند البانيان فزجره وأمر البانيان برد سلاحه فهل سمعتم ببانيان يسلب بدوياً إلا أنها كرامة خصوا بها حين خالف أمرهم . وكان دخولهم وقت السحر من ليلة اثنى عشر من الشهر المتقدم فدانت لهم وبقى الكوت فيه البلوش ، فلما أصبح الصباح أرسل الشيخ إلى أهل الأعمال أن يصبحوا فى أعمالهم ففتحت الدكاكين للتجارة وقامت الصناع فى صنائعها وقام السوق كما هو ولم يعتد أحد من الجيش مع كثرتهم على أحد من الرعية مع ضعفهم ، وقال البلوش فى الكوت إلى وقت العشى فناشدهم بعض المسلمين أن ينزلوا ويعطوهم الأمان فبينما هم يتخاطبون إذ سمع بعض الجيش خطابهم

فضربت البراغيم وزحف القوم على الكوت فطلبوا الأمان فأمنوا وخرجوا آمنين بما معهم فى أول ليلة ثلاثة عشر ، وفى تلك الساعة التى نزل بها أهل الكوت وصل عزان بن قيس بمن معه من بركا فنزل فى البيت الذى كان فيه الوالى .

ومن غريب الاتفاق أن الوالى الذى كان فيها وهو سيف بن سليمان لم يرجع إليها إلا فى الليلة التى تم فيها أجله فقتل عند تسور الخارجين على الإمام على سور مطرح وكان الوالى قائد الخارجين على حسب ما سيأتى بيانه ثم باتوا بمطرح وقالوا ، وفى أول ليلة أربعة عشر قصدوا مسكد فتجمعوا أولا بالمطيرح وقعدوا للمشورة كيف يدخلون مسكد ، فقال قائل انظروا أهل الباطنة حتى يصلوا فتكون حجتكم أقوى وجيشكم أكثر ، وقال آخر للشيخ صالح لو شاورتنا ما خرجت من بلدك وحين خرجت ووصلت ها هنا فلا تتأخر ساعة ، فقام عزان والشيخ ومن معهما من ساعتهم واقفين فقالوا هذا هو الرأى لا غيره ثم تقدم عزان على العساكر وخطبهم واقفاً أن لا يغيروا ولا يبدلوا ولا يأخذوا من مال الرعايا شيئاً وكانوا قد أذنوا لهم فى أخذ ما يجدونه فى بيت السلطان لأنه فى حكم بيت المال وقد جعلوه لهم مكافأة وترغيباً ، ثم مضوا على قصدهم ذلك وركبت طائفة منهم فى الهوارى فى البحر والتقوا جميعاً بريام وصلوا هناك ركعتين فى جماعة قربة إلى الله تعالى وطلبا لقضاء الحاجة وهو الفتح المبين وكانوا قد أرسلوا إلى قابض العقبة من يخدعهم بالدراهم فركبوا العقبة حتى وصلوا الباب والتفق ينقع فيهم ولكن بلا رصاص وإنما أزالته الدراهم ثم زحموا الباب فانفتح ولعله لم يغلق من داخل وإنما أزالت غلقه الدراهم ثم انحدروا ثم جاءوا على جهة الميابين وانقسموا هنالك طائفتين فجاء الأكثر منهم إلى باب الصغير وجاء الأقل

شرقى الخور فقلوا السلالم على السور فاندقت الجنود إلى مدافعة الجمهور وتفرغ الشرقيون فتسوروا بعد أن قتل منهم ثلاثة أنفس ، وأما الجمهور الذين على الباب الصغير فإنها قصرت سلالمهم ورجعوا متحيزين ولما تسور اخوانهم الشرقيون كبروا فى أعلا السور فهربت جنود السلطان من أعلا السور ومن حول الأبواب فتوجه الداخلون إلى الباب وفتحوه وأرسلوا إلى إخوانهم فدخلوا وهجموا جميعاً على بيت السلطان وتحيز السلطان إلى الكوت الغربى وكان إبراهيم بن قيس قد خرج من الرستاق مغاضباً لأخيه عزان فأوى إلى السلطان سالم فأكرم نزله فجاءت هذه الدخلة وإبراهيم عند السلطان فتحصن معه فى الكوت وكان إبراهيم أشد الناس حربا عند السلطان وكان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى قد تأخر عنهم فى مطرح وإنما لحق بهم من بعد فى تلك الليلة وكان الفتح المذكور فى ليلة واحدة وهى ليلة أربعة عشر من الشهر المتقدم فأصبحت البلاد خالصة إلا الكيتان فإنها حربت عند السلطان سبعة أيام فحاصرهم المسلمون وتجند سالم بالنصارى فضربوا معه ضربة مدفع واحدة ثم جاءهم النهى من دولتهم ومنعوهم أن يدخلوا بين العرب ، فبينما الشيخ صالح قاعد فى المنزل الذى نزله بعد صلاة الفجر إذ جاء بانيان يبشره بأن دولة النصارى منعت طارفتها من الحرب وكان مدفع كبير أسود قد سحبه ثوينى للرستاق وكان قد ترك عند باب الجزيرة فأخذوا حبالا وسار إليه بعضهم فربطها فيه وأحكم ربطها ثم مدوا الحبال إلى الباب الكبير ثم جذبوه إليهم جذبة صرخوا معها صرخة تزلزلت لأجلها الكيتان فكان سالم بن ثوينى يحدث الشيخ بعد أن جاء إليهم فى دولة عمه تركى يقول إنكم لما صرختم تلك الصرخة لم يبق عندى أحد على باب الكوت وإنما بقيت هنالك بنفسى فتركوا المدفع تلك الليلة عند الباب الكبير

فلما أصبحوا جاءوا ليخرجوا به من الباب فلم يسعه فقشعوا له الباب وأخرجوه فسحبوه فى الوادى ثم شرقوا به إلى الميابين فنصبوه هنالك مواجهاً للكوت الغربى فكان يضرب الكوت من هنالك وكانت الرصاصة تثقب الجدارين وتسقط فى البحر فلما رأى سالم ذلك دان وسارت الأكابر بينهم على أن ينزل ويكون هو السلطان وعزان سيف دولته ، فنزل فى أحد وعشرين من الشهر المتقدم ونزل فى بيت هلال ابن أحمد ثم أتاه من أتاه فى هيئة الناصح له يخوفه من المقام عند المسلمين ويقول له انج بنفسك فإنى أخاف أن تقتل ولم يكونوا قصدوا قتله وإنما هى المكيدة ، فطلب منهم مركباً ينجو فيه بنفسه ويتبرى من الأمر باختياره فأذنوا له فى ذلك فركب ومضى إلى القسم فكان يحدث الشيخ بعد رجوعه إليهم بعد انقضاء دولة الإمام يقول هيبة عزان فى القسم كهيبته فى عمان يخافونه فيها كأنه ملكها ، ولا جرم فإن الله قد نصر نبيه بالرعب مسيرة شهر ولاهل الحق من هذه النصرة نصيبهم وعند ذلك دانت الأمور للمسلمين ووضعت الحرب أوزارها من مسكد ومطرح فاجتمعوا وتشاوروا وكان قد لحق بهم أهل الباطنة يقودهم الشيخ محمد ابن سليم الغاربى فتشاوروا فى تقديم واحد منهم فوقعت خيرتهم على عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام فبايعوه إماماً فى بيت الشجر فى مسكد وهو أول إمام عقد عليه فى هذا البلد وكانت الأئمة قبل ذلك إنما يعتقد عليهم بنزوى ، وعقد على بعض أئمة المتأخرين بالرستاق وعلى بعضهم بنخل وعقد على بعض بمنح وبعض بينقل والله أعلم بموضع الجلندى وأظن عقده كان بصحار .

ذكر بيعة الإمام عزان بن قيس

حين وقعت خيرة المسلمين عليه بعد التشاور والتناظر وكان رؤساء الحاضرين يومئذ الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي والشيخ صالح ابن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليّم الغاربي ومن معهم من إخوانهم ووجوه القبائل وخاصة المسلمين وعامتهم ، فبايعوه يوم الجمعة بعد العصر في يوم اثنين وعشرين من جمادى الأخرى سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وبايعه الخاص والعام وضربت المدافع إعلاما ..

وصفة البيعة الموجودة في جوابات شيخنا الخليلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبناك إماما علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لا تعقد راية ولا تنفذ حكما ولا تقضي أمراً إلا برأي المسلمين ومشورتهم ، وقد بايعناك على إنفاذ أحكام الله تعالى وإقامة حدوده وقبض الجبايات وإقامة الجمعات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وأن لا تأخذك في الله لومة لائم ، وأن تجعل القوى ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله والعزيز ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله ، وأن تمضي على سبيل الحق أو تفني روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين انتهى لفظ البيعة ..

وهذه الشروط التي ذكروها في هذه البيعة إنما هي شروط يشترطها المسلمون على الإمام الضعيف كي لا يدخل في أمر لا يسعه الدخول فيه وإنما

اختاروا عزان للامامة مع أنه فى الجماعة من هو أكثر منه علماً ولا يبلغ علمه معشار ماعند بعضهم لكونه من بيت السلطنة وتفرسوا فيه صدق اليقين وقوة الإيمان وعزيمة الصبر وشدة الوفاء وحسن الاتباع وغاية الورع فصدق الله فيه ظنهم وقام بما حملوه من الواجبات ووفى بما عليه وزيادة حتى ذهبت فى سبيل الله روحه والمسلمون عنه راضون . فرحم الله تلك الأوصال ونور الله ذلك المضجع ، وقد أثنى عليه علماء عصره ثناء تاماً ، فمن ذلك ماستجده فى كتاب المسلمين لإخوانهم أهل المغرب، وقال الشيخ جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائى فى سيرته : وفى يوم اثنين وعشرين من هذا الشهر بعد العصر من يوم الجمعة عيد المسلمين كان لهم عيد آخر بعقد الإمامة للأمين السيد الأمجد عزان بن قيس الأرشد عن إجماع على ذلك ممن هم حجة الله فى بلاده على من بها من عباده عن علماء العصر وفقهاء المصر الشيخان العالمان نيرا فلك العلم والعبادة والورع والزهادة سعيد بن خلفان بن أحمد ومحمد بن سليم الأوحد ومن معهم ممن هو الحجة من المسلمين ، فهو إمامهم الأمين والقائم بأمر رب العالمين الذى وجبت ولايته وحرمت عداوته ولزمت نصرته وحسنت سيرته ونفذت كلمته وعند ذلك أخذ فى دعوة الناس إلى طاعة الله ، وأخذ من تغلب على معاقل المسلمين من الفسقة والمجرمين بالنزول منها والتخلى عنها فاستخلصها طوعاً أو كرهاً ثم شرع فى رد المظالم والأخذ على يد كل ظالم ، فنصب معالم الإسلام وحمل الناس على موافقة الشرع فى الحلال والحرام انتهى المراد من كلام الشيخ جمعة .

وكتب المسلمون إلى إخوانهم من أهل المغرب كتاباً يبشرونهم بهذه

النعمة التى من الله بها عليهم ونص الكتاب — وهو بقلم المحقق الخليلى — قال فيه (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أيد الأحكام الشرعية بسيوف الأئمة ، وجعل طاعتهم واجبة على جميع الأمة ، وجعل الحجة لهم وعليهم فى ذلك علماء الدين الذين بهم كشف الغمة ، وكشف بعدلهم وأنوارهم دامس حنادس الجور المدلهمة ، فهم الدعاة إلى الله تعالى والهداة إليه ، وبهم أكمل دينه وأتمه ، وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله لجميع العالمين رحمة وعلى آله وصحبه الذين لا تنكر فضائلهم الجمة وسلم ، ونهدى إبلاغ السلام الوافر وتجديد الثناء الفاخر ونشر هذا الخير العاطر إلى كافة من بأرجاء المغرب وأقطار الأرض من المسلمين أهل الاستقامة فى الدين من أهل العلم والفضل والحلم والفصل والعقد والحل ، وأرباب العقل والنقل من مشايخ الكلام وجهابذة الأعلام وأهل الاجتهاد فى الإسلام من هم خيرة الأنام والدعاة إلى دين الملك العلام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فالباعث لتحرير الكتاب ياأهل المغرب إعلامكم بأن إخوانكم أهل عمان قد قاموا لله تعالى فى هذا الزمان جهاداً فى سبيله وابتغاء مرضاته لما كثر الظلم وانتشر الإثم وانتهكت المحرمات وعطلت الحدود وسفكت الدماء وتعطلت الأحكام وخربت المساجد وترأس الفسقة وتعاظم الجهلة ، فانتدب لذلك أهل العلم وبقية السلف وأولوا الغيرة على دين الله وذوو الحمية فيه ، فباعوا أنفسهم لله تعالى وخرجوا على سلاطين الجور فأمكنهم الله من رقابهم وأذل بهم شوكة الجبابرة فأخرجوهم من الممالك صاغرين وكانوا لهم بحمد الله قاهرين ، فقدموا لهم إماماً ذا ثقة ودين وعقل وشهامة وبطش شديد فى المعتدين ، وهو الإمام الأوحد والمقدام

المؤيد والهمام المسدد ذو السطوات الهائلة والعزمات القوية لنصر الله تعالى إمام المسلمين عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام ، فهو الآن القائم بعمان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر السنن ويميت البدع ويغيث الملهوف ويرشد الضال ويفيض الخير ويقبض على يد كل جبار عنيد وفاسق مريد، فينفذ فيهم حكم الله الشديد ولا يتجاوز بهم إلى مالم يأذن الله به من الوعيد . ولما كانت هذه من أكمل النعم الدينية والمعارف الإلهية لظهور ما كان درس من الأحكام الشرعية وجب أن نعرفكم بها لأنكم شركاء فى كل ما كان من الأمور الدينية المحمدية. هذا مالزم بيانه والسلام عليكم من كافة إخوانكم أهل عمان ، من إمام المسلمين عزان بن قيس ، ومحمد بن سليّم الغاربى ، وصالح بن الحارثى ، وسالم بن عديّم الرواحى ، وحمد بن سليمان اليحمدى ، وكاتب الأحرف بأمرهم أخيكم سعيد بن خلفان الخليلى بيده ، تاريخ يوم اثنى عشر من ذى القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف) انتهى الكتاب بتاريخه فيكون هذا الكتاب بعد البيعة بأربعة أشهر وبعض أيام ولم نقف على جواب أهل المغرب لهذا الكتاب غير أنى وقفت على قصيدة كتبها عالم المغرب وقطب العلماء محمد بن يوسف أطفيش متعنا الله بحياته وهى قصيدة لامية كتبها للامام يذكر فيها أنه سيصل لنصرة الإمام ، وقد غابت عنى القصيدة غير أنى أحفظ منها قوله :

على ماء بحر الروم آتيك مسرعاً إذا شاء ربى أو ببرٍّ كرئبال

فانقضى أمر الدولة قبل وصول العالم المغربى ولكل امرىء مانوى

ذكر سرية إبراهيم بن قيس أخي الإمام

إلى قتل راشد بن عمير البريكي وزير سالم بن ثويني

قتل بشناص من الغربية وذلك أن هذا الوزير لم يزل يطلب الغوائل للدولة ويسعى في هدمها ما أمكنه طلباً لمنزلته الدنيوية فلما ثبت ذلك عند الإمام وتحققه أرسل إليه أخاه إبراهيم في نفر قليلين فنزلوا بلوى وركبوا منها وأخذوا عندهم واليها محمد بن سعيد الهنائي وساروا إلى ذلك الوزير وكان قد خاف على نفسه وجعل حوله طبنجة فلما وصلوا دخل إليه الهنائي وناداه فأجابه وقال نتخابر أي نتصافح باليدين فقال الوزير نعم فمد الهنائي إليه اليد الشمال وكان قد قبض باليمين خنجره وكذلك مد البريكي اليسرى وكان قد قبض باليمين طبنجته فمكنها من صدر الهنائي فحرفها الله عن لبته وأخذت من جنبه قليلا وضرب الهنائي البريكي بنصله وألقاه ميتاً ثم خرج إلى أصحابه وركبوا حتى وصلوا إلوى ورجع إبراهيم إلى أخيه وأقام الهنائي بلوى جريحاً ثم عافاه الله.

ذكر مواجهة القبائل للإمام

وذلك أنه لما نصب الإمام رضي الله عنه دانت له القبائل وواجهه أكابرها ووجوهها وبايعوه البيعة العامة وكان أكثر الناس قد حضروا البيعة إلا من شاء الله فوفدت عليه الوفود فاهتزت عمان فرحا بطلعته السعيدة وأرسل إلى المعاقل ففتحت له وولى عليها الولاة ونصب القضاة

وحث الناس على طلب العلم ، وخلصت له جميع حصون الباطنة فى أسرع حال ، وواجهه حمد بن سالم بن سلطان بن الإمام وهو صاحب المصنعة وكان قد جمع بها مالا جزيلا وأكثره من تركة آبائه الملوك ، ولعل بعضه كان مما جمعه بنفسه ، فطلبوا منه مطلبا لم يذكره الناقل لجهله به ، فأبى ووقع بينهم بعض الاختلاف ، فأخذوه وأسروه وقيدوه ومضوا إلى بلاده المصنعة فأخذوها وأخذوا ماجمع بعد حكمهم عليه إنه بيت مال وسيأتى إن شاء الله صورة الحكم فى هذا وغيره وأخذ الإمام من بيت حمد بن سالم بعض آنية الصفر فأرسل بها إلى بلده الرستاق ولم يكن ذلك عن مشورة من المسلمين فدخل فى نفس المسلمين من ذلك شىء لأن الشرط المتقدم فى البيعة يقتضى منعه من ذلك . قال شيخنا فدخلت على الشيخ سعيد فى بيته فى مسكد ليلة بعد المغرب فرأيته متعتبا على الإمام بما صنع ويقول قد حملنا ولايته على رقاب العباد وهذا صنيعه فنخشى أن يسألنا الله عن ذلك قال شيخنا : فقلت أرفق قال وكان بين بيته وبيت الإمام جدار يقتحم بين السطوح قال فأرسلت أمة تستحضر الإمام فاقتحمت الجدار إلى سطح الإمام ثم جاء الإمام إليهم من هنالك قال شيخنا : فذكرت له ما ذكره الشيخ سعيد وما وقع فى نفوس المسلمين من حمل الأوانى من غير مشورة قال فدمعت عين الإمام وقال : هذا كله فى نفوسكم على ولا تذكرونه لى لو لم يكن لى ديانة وجوب اتباعكم لكانت مروءتى توجب على ذلك مانزلت هذه المنزلة ولا نلت هذه الدرجة إلا بسببكم ، ما أخذت الأوانى تملكا وإنما أخذتها لتكون بيت مال بالرستاق نستعين بها على مايجوز لنا من ذلك وظننت أن حملها

لى جائز ، قال فتهلل وجه الشيخ سروراً بما سمع من انقياد الامام وحسن نيته ، و أتموا له ما صنع وعذروه بالتأويل .

وكانت الغافرية من سوء رأيهم يرون أن الدولة قد صارت للهناوية فأضمروا العداوة للامام ومن معه إلا من عصمه الله منهم ، فإن أفاضل الغافرية والهناوية كلهم قد دخلوا تحت طاعة الإمام ورضوا أمره ، وإنما بقيت رؤساء القبائل وأتباعهم من كل جاهل مارق ومنافق وفاسق فدخلتهم الحمية الجاهلية وتعصبوا العصبية الضالة ، وصار أكثرهم يداً واحدة فى الضلال والبغى واشتهر بذلك أهل وادى سمائل من سيابيين وبنى جابر والرحبيين والندابيين ، وحرضهم على ذلك إخوانهم من بنى ريام والدروع والجنبة وتشهر بها السيابيون ، فأوقع بهم الامام الوقعة المشهورة .

ذكر وقعة نفعا

وسببها العصبية الجاهلية ، وذلك أن السيابيين قد سفكوا بعض الدماء بالباطل فدعاهم الامام للانصاف فأبوا فقالوا حاكمنا البيض الهندية والسمر الخطية فجمع لهم الإمام الجموع وركب الشيخ صالح ومن معه من الشرقية ليقطعوا عنهم مدد الجنبة والدروع فأقاموا فى وادى عندام بموضع يقال له غرامة قرب العلية ومعـــه أكابر آل وهيبة فبقوا هنالك مرابطين وأما الإمام فإنه سار بجموعه وأكثرهم أهل الباطنة وأما أهل الشرقية فإن عامتهم قد تغلقت عليهم الطرق لأنها فى أيدى الغافرية ثم سار الإمام بجموعه حتى نزل فنجا وكان السيابيون قد جمعوا له جموعاً عديدة

فزحفوا إليه وزحف عليهم والتقوا بموضع يقال له السمادى بين فنجا ونفعا فاقتتلوا قتالا شديداً فولى السيابيون ومن معهم الأدبار ونصر الله الامام ومن معه فرجعت الغافرية إلى نفعا وتحصنوا بها وكان هذا فى يوم اثنين وعشرين من شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف وهى سنة الفتح ثم زحف عليهم الإمام بمن معه ودخل نفعا يوم أربع وعشرين فركن أهلها إلى الفرار بعد قتل وقتال وقتل منهم جمع كثير فمكنه الله من بلادهم وأنزلهم من صياصيهم وهدمها لئلا تكون مأوى لبغيهم وكتبوا بذلك إلى الشيخ الخليلى وكان بسمكد كتاباً حاصله : إن الواقع بفنجا عرفناك به وانتقلنا إلى بلد بدبد وأراد المحبون مواجهة رجال السيابيين ومن شايعهم من الباغين فثبتوا يعدون بالمواجهة ويخافون فمضى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى انقطع جوابهم على الامتناع اغتراراً بمن شايعهم من الهمج والرعاع وظنوا أن مواضعهم لاترام ومن لجأ إليهم لايضام ، فلما كان وقت الزوال ملنا عليهم بجنود الله التى لاترو عها الأهوال ولم يحمهم سهل الأرض ، ولا الجبال وما جمعوا من كثرة الرجال فثبت المسلمون أقدامهم وضربنا خلفهم وامامهم ، ولم يزالوا ينتقلون من جبل إلى جبل هاربين وكرار المسلمين لهم طالبين حتى أحلنا الله بساحة دارهم ولم يبق أحد منهم ولامن أنصارهم وها نحن بها قاعدون وفى عقوتها نازلون ، وإذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وقد أكلت الحرب رجالهم مائة وخمسين رجلا قد تقضت آجالهم والسلام انتهى . لفظ الكتاب على ما رواه لنا الثقة قال وبعثوا به رسولا إلى الشيخ وكان شيخنا قد ركب من وادى عندام وجاء عقبة السوية قاصداً

مناصرة الإمام فلما كان أوائلهم بالمراغة وصلهم خبر الفتح فرجع بعضهم يبشر الشيخ بذلك ثم سار شيخنا حتى نزل هيل وكانوا مع البغاة فأسر أكابرهم ومضى بهم إلى الإمام فقيدهم الإمام عقوبة لتمردهم وكسراً لشوكتهم وأقام الإمام بنفعا يهدم بروجهم المشيدة وقلاعهم المنيعة وهدم بروج من ناصرهم وأعانهم على بغيهم من بنى جابر وغيرهم وقيد الرؤساء وهرب كبيرهم حتى لحق بسالم بن ثوينى ولحق به أيضاً كبير بنى ريام وساروا جميعاً إلى رياض يستنصرون بأهل نجد فرجعوا بالخيبة ويقال إنه لما كان الإمام بنفعا قبل هدم بروجها نزل من جبالها رجلان يعتزيان عزرة بن ندرة يطلبان الإمام للمبارزة فهجموا على مجمع الشورى ورؤوس الجيش وكانوا بارزين فقام على بن سالم بن حسن العامرى وتلقى لأحدهما فمكنه الله منه وقتله وقام سيف بن شيخان المدوى للآخر فكان غاية ماعند سيف أن يتقى عن نفسه ضرب السيف بترسه والنزارى يقطع الترس قطع البطيخ وكان سيف من شجعان العرب فلما أدركه النزارى ضحك وهى ضحكة حصلة فضربه بعض من حضر بتفق فأبقت منه بقية وهوى على رجل يقال له سليمان بن سعيد فوقعت ضربته فى ثومة سيف سليمان فقطعتها فاحتولوه فقتلوه وكان قبل الدخلة التقى رجلان من سبور الإمام برجلين من أنصار نفعا يسبران أيضاً وكان التقاؤهم عند نخلة هنالك قال بعض سبور الإمام كان صاحبى من أهل الشرقية يقال له سرحان قال فتوجه واحد إلى سرحان وتوجه الآخر إلىّ قال وكانت رجلى على سقف هنالك فحمل على بسيفه فحين هممت بالحركة انخشع السقف فانحنيت على جانب فوقعت الضربة فى جذع النخلة فاهتزت من أعلاها إلى أصلها قال وعزيت سرحان وكان قد قتل صاحبه

فقلت له أ كلنى الكلب قال فهوى إليه ولمضه بسيفه قبل أن أتراجع فكان هذا السابر يحدث عن هذه القصة متعجباً من شجاعة سرحان والنزارى وكان هذا المتحدث من أبطال الرجال ولكن لاغاية للشجاعة والأقران تعترف للأقران ثم إن الإمام أرسل المقيدين إلى مسكد فسجنوا فى الكيتان والصير وكانت هذه وقعة أول وقعة ذلت بها رقاب الأعداء وظهر بها منار الدين وسكنت بها الحركات وتقاصرت بها النفوس عن أمانيها وما النصر إلا من عند الله والله أعلم

ذكر سرية فيصل بن حمود إلى نحو المشرق

وذلك أن الإمام جهز ابن عمه فيصل بن حمود بن عزان فى جماعة يسيرة فسار بها نحو المشرق ومر على وادى محلاص ثم شرق إلى صور ثم إلى جعلان مستكشفاً لأخبار الدار ومستطلعا على أحوالها فما نزل منزلا إلا وواجه من هنالك طائعاً وأجابه مستمعا فلما وصل جعلان نزل فى بلاد بنى بوحسن وواجهه أمير بنى بوعلى ونقله للضيافة ثم أرسل إلى جماعة من الحرث فوصلوا إليه فركبوا جميعاً إلى بدية ثم إلى بلدان الحرث ثم إلى مسكد ورجع بالظفر والفتح المبين

ذكر الحكم على أموال الملوك

من آل بوسعيد

وذلك أن الملوك من قبل الامام قد أخذوا الجبايات من غير حلها ووضعوها في غير أهلها فتناظر المسلمون فى أمرها وتشاوروا فى حكمها

فرأى الشيخ الخليلي أن سبيل هذه الأموال سبيل أموال بني نبهان التي حكم فيها الامام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي رحمه الله تعالى ولم يفهم الشيخ الفارسي مأخذ هذا الحكم ووقع بينهم في ذلك جدال طويل وبسط واسع وأظهر لهم الشيخ الخليلي في ذلك حججاً كثيرة وألف فيه رسالة واسعة فسكت الشيخ الفارسي وتشجع بقية العلماء وأمروا الامام بالحكم فيها بالاستغراق في يوم ثامن من شهر ذي الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وهي سنة الفتح فحكم الامام بذلك وكتبوا في ذلك كتابا ذكروا فيه صورة الحكم ونص الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما حكم به سيدنا إمام المسلمين الولد عزان بن قيس بن عزان في الأموال التي خلفها الامام أحمد بن سعيد وولده الامام سعيد بن الامام وأولاده قيس وسلطان ومحمد بنو الامام أحمد بن سعيد والأموال التي خلفها هلال بن محمد بن الإمام وسعود بن علي بن سيف وأموال السيد سعيد بن سلطان وابنه ثويني بن سعيد وسالم بن ثويني وعماله سيف بن سليمان بن حمد وسعيد ابن محمد بن سعيد وأموال بنت سيف بن محمد أم سيد سعيد بن سلطان وأموال عزّا بنت سيف زوجة السيد سعيد واموال محمد بن ناصر الجبري قد حكم بهذه الأموال المذكورة كلها لبيت مال المسلمين لاستغراقها في الجبايات والمظالم المجهولة أربابها فكان مرجعها لبيت المال وقد حكم الامام بذلك وأشهدنا عليه بتاريخ يوم ثامن من شهر ذي الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، وكتبه بأمره الفقير سعيد بن خلفان بن احمد الخليلي بيده . وأنا بذلك شهدت على سيدنا الامام وكتبته بيدي وأنا صالح ابن علي الحارثي هذا مني صحيح وبأمري وقد حكمت به وأشهدت عليه

وأنا العبد الفقير امام المسلمين عزان بن قيس وكتبته بيدى ، فمضى الحكم وأخذ الامام تلك الأموال وأضافها إلى بيت المال وباع منها جملة أصول وأنفذها فى عز الدولة وذلك كله بمشورة المسلمين وبرأى الشيخ الخليلى .

وأما الشيخ الغاربى فإنه توقف فى المسئلة وظن أن الحكم بهذا إنما يكون فى أموال من مات منهم ، دون الاحيـاء ، فكان بعض شيوخنا يذكر لنا عنه انه كان يقول ان الحى إذا اراد ان يتخلص وقد أخذ ماله لبيت المال فمن أين ترونه يتخلص فحكم الحى خلاف حكم الميت ولم ينقل لنا جواب عن اعتراضه هذا والجواب الواضح أن يقال : ان الحكم بالاستغراق لا يكون إلا حيث تعذر على الحى التخلص من اختلاط المظالم والجهل بأربابها والجهل بحقوقهم فإن الخلاص مع الجهل بذلك أو بشىء منه متعذر قطعاً إذ لا يمكنه أن يوصل الحق إلى أهله فغاية تخلصه إذا شاء التخلص أن يجعله فى باب من أبواب منافذ الأموال المجهول ربها وذلك هو بيت المال والفقراء وقيل يكون حشرياً لا ينتفع به وقيل يكون أمانة فى بيت المال وإذا حكم الإمام فيه بقول من هذه الأقوال وجب قبول حكمه لوجوب طاعته وصار ذلك القول بمنزلة المجمع عليه فخرج عن موضع النزاع إلى موضع الاجماع لإجماعهم على وجوب طاعة الامام والله أعلم .

ذكر فتح الجو

وكان معقلها البريمى وتسمى فى القديم توام وكان بها السديرى عاملا لصاحب نجد وكانوا قد اتخذوها معقلا لقربها من ناحيتهم وذلك بعد أن

تغلبوا على البلاد بمساعدة الغافرية وبعض الهناوية فى أيام سعيد بن سلطان وسبب ذلك العقوبة التى عجلت على أهل عمان بمخالفتهم شيخهم أبا نبهان وقيامهم عليه حين قام على نزوى لإظهار العدل كما تقدم فقاموا عليه فسلط الله عليهم عدواً من أنفسهم فجر عليهم أهل نجد فكان منهم ما تقدم ذكر بعضه وبقى معقلهم بالبريمى إلى أيام هذا الامام ، والجوّ والظاهرة كل فى طاعتهم إلا من شاء الله فمن الناس من أطاعهم راغبا ومنهم من أطاعهم كارها والغالب طوع فبقوا هنالك حكاماً على الناس بالجبرية يحكمون بما تهوى أنفسهم ولهم فى الناس عادات ظلم فقدم رئيس النعيم محمد بن على وكان تحت طاعتهم فجاء حتى وصل الشيخ الغاربى بأرض الباطنة فذكر له ما جاء به وأنه يريد من الامام أن يقوم على البريمى ، فقال له الشيخ الغاربى : أنت لا تستطيع خلافهم لأنهم حكام عليكم ونصحه مخافة الضرر عليه فى دنياه ، فقال لا أهمهم إذا كان عندى الامام وجماعة المسلمين ، فركب معه الشيخ الغاربى إلى الامام ببركا ، فأخبره بما جاء له محمد بن على ، فتشاور المسلمون واتفقوا على القيام فركب الامام بمن معه وكتب لأمراء الجنود أن يلاقوه بمن معهم فى صحار ، فتجمعت الناس من كل أوب واجتمع الجيش بصحار والامام معهم فركب بالجيش من هناك وبات بفلج القبائل ثم قال بالعوهى وكان الامباء بها كثيراً وكان لحسنه وكثرته فيها يضرب به المثل فيقال أمباء العوهى وكان ذلك الوقت وقت نضاجه فذكروا أن ثمر الامباء كان يتساقط على فرش القوم ولا يتناول أحد منه شيئاً فلما هموا بالرحيل نفضوا فرشهم وبقى الامباء مكانه وذكروا أن خادماً للامام وقيل بل مزينه وهو المحسّن أخذ امباة واحدة فأكلها فآل من الامام

على الزجر والتوبيخ ، ولم يبلغ به حد العقوبة لأن الثمرة كانت ساقطة بنفسها وكان الورع تركها كما ترك ذلك باقى الجيش وذلك الحال من توفيق الله للامام وحسن رعايته ثم راح من العوهى وبات بالسهيلات ثم نشر منها وجاء على وادى الجزى فوجد الاعداء قد سموا الموارد فنزحوا ماءها الذى فيها وكانت غزاراً ثم سار بمن معه حتى جاء على منازل بنى كعب فدانوا له وواجهوه ، ثم سار وساروا معه حتى نزل البريمى فخرج أهل الخيل من أهل نجد ولاة الحصن وركب أهل الخيل من أصحاب الإمام وكان فى الأعداء فارس يقال له مدغم وكان قد اشتهر بالشجاعة والبسالة والإقدام فى الحروب فتقدم للبراز فتقدم له من أصحاب الامام شامس بن حسن العامرى وكان حوله ابن أخيه على بن سالم فرأى شامس أن العدو سيأخذه فأرسل إليه الحربة وأطلقها من يده فلما رأى مدغم ذلك التقاها برأس الفرس فوقعت فيه فسقط الفرس ووقع الفارس على الأرض فضربه على ابن سالم بتفق فقضى عليه فانهزم الباقون إلى الحصن وتمنعوا به وكان حصناً رفيعاً أحيط بخندق فحاصره الامام وضربوه بالمدافع وبذل محمد بن على بمن معه من قومه بذلا حسنا شكره المسلمون على ذلك فخاف أهل الحصن يوماً أن يضرب الباب بمدفع فخرجوا ليجعلوا على الباب سيبة تقابل المدفع فجاءهم بعض القوم من جانب آخر فناموهم فدخلوا الحصن ولم يخرجوا بعدها لحرب فأرهقهم الحصار وكانت عندهم الخيل والابل فطلبوا الأمان ليخرجوا من الحصن فأمنهم الامام ونزلوا على يد الشيخ الغاربى وخرجوا بما معهم من خيل وإبل ومتاع ودخلها الامام بالفتح المبين وكانت مدة الحصار خمسة أيام فأقام الامام فيها لرفع المظالم الأمر والنهى

وكان ذلك فتحاً جليلا انقاد به كل صعب وماتت به الأعداء كمداً ورجع منها إلى أرض السر وهى الظاهرة فملك ضنك والنبى وانقاد أهل الظاهرة وواجهها صاحب حصن العينين وهو برغش بن حميد من أولاد محمد بن ناصر الغافرى المتقدم ذكره فى حروب اليعاربة فأخذ لنفسه أمانا وأعطى كلاماً فقبل منه الامام ذلك وولى على الظاهرة بريك بن سالمين الغافرى وجعل عليه عيوناً ثم شك فى ولايته ، وكتب فيه سؤالا للشيخ الخليلى ونصه :

وماتقول شيخنا إنا جعلنا الشيخ بريك بن سالمين واليا فى أطراف الظاهرة وبقى وسواس فى النفس من قبله إذ اليوم الدنيا وغدا الآخرة ونحن وإياك ماتكلفنا هذا الشأن إلا رجاء من الله تعالى أن يمنَّ علينا بأجره ونحن لم يرفع إلينا منه شىء وقد أظهر لنا المتاب وأعان لنا مما كان عليه المآب فهل يسع تركه فى فعل الولاية على هذه الصفة إذا لم تشك الرعية منه شيئاً فيجب عزله وإنما بقى على حاله التى ذكرتها لك والضرورة إلى مثله داعية إلا إذا منعها عدم الجواز صرح لنا يرحمك الله وقد جعلنا محمداً ومحمداً عليه عيوناً ورقباء غير أن نظره أبعد من نظرهما وأنت تعرف أحوال الجميع .

فأجابه الشيخ بقوله : يترك على حاله ولا بأس بذلك مالم يرفع عليه ما يوجب عزله واستخبروا عنه العيون فانهم أعلم بما منه يكون الله أعلم ثم فسح لقومه وركب قاصداً وطنه وهو الرستاق وأقام بها يأمر وينهى وينشر العدل ويبسط المعروف وفيها واجهه هلال بن زاهر رئيس

بنى هناءة ومحمد بن على رئيس بنى شكيل وكانا قد اظهرا الخلاف والتمرد فقبض عليهما وأوثقهما بالقيود وكان بنو شكيل أنصار حصن بهلا وكان حصن بهلا قديما فى يدى اليماربة ثم صار إلى الغافرية وبالزام محمد بن على خلص هذا الحصن وكان الإمام قد لزمه لذلك وبخاوصه أطلقه الإمام فكان هذا هو السبب فى فتح بهلى .

وفى حال قيام الإمام على البريمى انخدع سالم بن ثوينى اغترارا بمن وعده بالنصر والمظاهرة على الإمام فأتى إلى نزوى وكان قد قصد القسم والرياض ولم تكن نزوى يومئذ فى يد الإمام وانما كانت فى يد حمد بن سيف بن عامر البوسعيد فلم يجد ما أمله من النصر والمظاهرة ثم قصد آل وهيبة يطلب منهم النصر والمظاهرة على الإمام فآووه فأرسل الإمام اليهم ابن عمه فيصل بن حمود فى جماعة من جنود الله يقدمهم النصر فدخل سالم ابن ثوينى الرعب ولم تحمه كثرة آل وهيبة ولا وسعته سيوحهم فخرج منها خائفا يترقب فرجع القائد بالظفر والله يؤتى فضله من يشاء .

ذكر فتح منح

وكانت تحت صاحب نزوى وكان عسكرها بنو شكيل فركب إليها شيخنا صالح بن على بن حضر من قومه وكان فى جملتهم على بن سعيد بن محمد الجحافى وكان على بدويته ناصحا للدولة تسخيرا من الله وحسن عناية فقال للشيخ إن جئت منح بمن معك جفلوا منك وتحصنوا عنك ولكنى أتقدمكم لعلى أصادف منهم غرة فانعم له الشيخ بذلك فتقدمهم فى قدر عشرين راكبا وكانوا قد ركبوا إليها من القريتين فدخل على بن سعيد

سوق منح فصادف والى الحصن فى السوق فقبض عليه وأسره قال ماشأنك؟ قال هذا الشيخ صالح ورائى ولا خلاص لك إلا بفتح الحصن فوصل الشيخ وفتح الحصن بغير حرب ونزل من كان فيه وصار للامام والله أعلم .

ذكر فتح أزكى

وكانت فى يد على بن جبر بن محمد بن ناصر الجبرى صارت إليه من عهد محمد بن ناصر وبعد موته صارت إلى ولده جبر ثم إلى على بن جبر وكان لاهل هذا البيت شرف ورئاسة فى قبائل الغافرية وكانوا يعتقدون لهم منزلة السلطنة وقد تقدم أول الباب أن على بن جبر هو الذى خفر جماعة المسلمين بسفالة سمائل عند أول قيامهم ومن هنالك انقطعت أخباره إلا أن الشيخ الخليلى ذكره فى قصيدة نفعا أنه كان يومئذ فى جيش البغاة المتجمعة لحرب الإمام ، فلما فتح الله على المسلمين بالنصر على أعدائهم من أهل نفعا وغيرهم بعث الإمام سرية وولى عليها أخاه ابراهيم بن قيس فساروا حتى نزلوا بوادى بني رواحة الغربى وكان بينهم وبين على بن جبر مخاطبة فى تخليص الحصن فخلصه لهم وهم بذلك الوادى ليلة سابع من جمادى الأخرى من سنة ست وثمانين ومائتين وألف وحسن حال على بن جبر بعد ذلك والهداية بيد الله ثم سار ابراهيم إلى أزكى ونزل حصنها بجنود الله ودعا أهل النزار إلى السمع والطاعة فاجابوه وحين هابوه وسمعوا حين فزعوا وكانوا قد تجبروا على جيرانهم من أهل اليمن وتعدوا فيهم الحدود حتى هموا بالجلاء من أوطانهم فسكنهم ابراهيم فى بلادهم وأذن لهم فى تقويه البناء على أنفسهم لكونهم مستضعفين ودفع عنهم الظلم ومنع عنهم الغشم

ذكر فتح نزوى

وهى بيضة الإسلام وكرسى مملكة العرب

وكانت فى يد حمد بن سيف البوسعيدى كان آباؤه فيها ولاة فتغلبوا عليها حين اختلت دولة أولاد الإمام وصار بعضهم يقتل بعضاً على الدنيا فبقوا فيها حتى أخذها الإمام من يد حمد بن سيف وذلك أن إبراهيم توجه من ازكى إليها ونزل فرق ودعا أهل نزوى للدخول فى طاعة الإمام فأجابوه لذلك وتلقوه بالكرامة والسمع والطاعة إلا القلعة فإنها امتنعت من الإجابة ودعا إبراهيم سيف بن سليمان النبهانى رئيس بنى ريام للسمع والطاعة وكان سيف قد تغلب على سمد نزوى وجعل جامعها مرصداً لأنصاره وأحاطه بالقلاع العالية والسيران السامية فأجابه حين دعاه وواجهه فأزالوا من بيت الله الأحداث الباطلة وأسلم لهم برج بستان قيس ثم حاصر المسلمون قلعة نزوى الشديدة الأركان الشامخة البنيان فأظهرت العتو وأقاموا على حصارها وركب الإمام إليها بمن معه فوصلها يوم واحد وعشرين من جمادى الأخرى من سنة ست وثمانين ومائتين وألف ، فلما نزلها الإمام سلمها سلطانها له ، ونعم ما صنع إذ عرف الحق وأهله فأداه له ، وولى عليها الإمام سالم بن عديم الرواحى .

قال الشيخ جمعه بن خصيف فى سيرته : ثم نبض عرق النفاق للريامى يعنى سيف بن سليمان فنصب الشقاق ثم خذله الله وقاده إلى الوثاق فواجه الإمام يوم عيد المسلمين من الأيام بعد صلاة الجمعة يوم أربع وعشرين من هذا الشهر المبارك فعامله الإمام بما هو أهله فركبه الأدهم بعد أن ركب الكميت والأدهم ولم تحمه تلك العساكر والجنود وما ذلك إلا لطول تكبره وبغيه والسمود انتهى كلام جمعة بن خصيف ، وذكر

غيره أن سيف بن سليمان مات فى سجن الإمام والله أعلم .

ذكر غزوة جعلان

وسببها أن بوعلى نزعوا يدالطاعة وخرجوا من الجماعة وخالفوا الامام ولم ينقادوا للاحكام ولم يرضوا أن يكونوا تبعا وذلك لاعتقادهم الفاسد فإنهم كانوا على دين الوهابية وهم بقية من أنصار نجد وتعرفهم العامة بالازارقة لأنهم شابهوا الازارقة فى تشريك أهل القبلة فلم تفرق العامة بينهم وبين الازارقة وهم إنما أخذوا من الازارقة مسئلة التشريك ومن الحنابلة مسألة التشبيه وأخذوا من كل مذهب أغثه وقالوا قد أصبنا دينا كما صنعت الصابئة وكان اعتقاد الوهابية فى المسلمين أسوأ اعتقاد فمن هنالك صعب عليهم الانقياد فحصنوا بلادهم واستعدوا للحرب وكانوا من قبل ذلك أنصار سالم بن ثوينى فهموا بنصرته فرماهم الله بالطاعون ولم يرتفع عنهم حتى أخذت مسكد ولم يصب غيرهم من أهل عمان فكانت هذه الخصلة من كرامات هذا الإمام وكان بنو بوعلى أهل عدة وعدد وبسالة وشجاعة وإقدام هائل يعتقدون فى الموت الشهادة ويرون الفرار حراماً ولهم سطوات هائلة وكانت ملوك عمان من قبل الامام لم يدوسوا أرضهم إلا ما تقدم من أمر سعيد بن سلطان وانتصاره عليهم بالنصارى فعزم الامام بالمسير إليهم بعد فتح نزوى وكتب لأمراء الجنود أن يلاقوه بمن معهم فى بدية وسار هو بنفسه ومن معه من نزوى إلى بدية واجتمع الجيش بها ومن هنالك قصدوا جعلان ونزلوا ببلاد بنى بوحسن وكان بنو بوحسن تحت طاعة الإمام فأرسل إلى بنى بوعلى النصائح وأظهروا فى أول مرة العتو ثم انقادوا بعد ذلك لما يرى الامام فيهم ونزلوا على حكمه ، ويقال أن سبب انقيادهم حصول الرعب فى قلوبهم بسبب وقع عند المسلمين من غير احتفال له وذلك أنه فى ليلة من الليالى وقع ضرب تفق فى جيوش المسلمين فى هيئة

النفضة والنفضة ضرب متتابع فضرب الجيش كله ، كل من سمع الضرب ضرب فتواصل الضرب بعضه ببعض وقام صاحب الجاردى فضرب من غير أمر فكان يسمع لضرب التفق والمدافع دوى عظيم وصعقات هائلة ودوران كدوران الرحى وكان ذلك كله عن غير قصد فأورث الأعداء رعبا وألبسهم ذلة واستشعروا العجز عن مقابلة ما سمعوا بآذانهم ورأوا بأعينهم فانقادوا متذللين وجاءوا مذعنين لحكم الامام على مايرى فيهم من الاحكام فأخذ الإمام أكابرهم وأكابر من ناصرهم من بنى راسب والهشم وحملوا إلى مسكد فقيدوا بالكيتان وأمر بقلاعهم فهدمت كسرا لشوكتهم وإطفاء لفتنتهم وكانت عندهم قلعة مانعة فحفروا من تحتها وأدخلوا فى الحفر الباروت وقادوا الباروت إلى موضع يأمنونه فأحرقوه بالنار واتصل الحريق حتى ثار الباروت الذى تحت القلعة فنزعها صاعدا فكانت ترى فى الجو كمثل السحاب ثم تساقطت قطعاً وفى ذلك يقول المحقق الخليلى :

لا تسل عن قلاعهم كيف بالبا روت قد أصبحت تشق العنانا
فهى مثل الجبال سيرن تسـ يار غمام ثم انبثثن دخانا

وقبض عليهم حصن العيقة وجعله مرصداً للمسلمين ، ثم اقتضى نظره بعد ذلك هدمه فهدمه ، ثم رجعوا بالنصر والظفر وولى الامام على بلادهم سيف بن عامر ينفذ فيها الاحكام ويكف الناس بعضهم عن بعض وكان انقياد بنى بوعلى والتمكن منهم فى اليوم الرابع عشر من شعبان من سنة ست وثمانين ومائتين وألف . قال شيخنا : فلما وصلنا ابرى راجعين من جعلان تلقانا كتاب من الشيخ الخليلى يعاتبنا على ما صنعناه فى بنى بوعلى وأنشد فيه قول القائل :

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد

قال : وكان مراد الشيخ أن يحكم فى بنى بوعلى بحكم رسول الله صلى

الله عليه وسلم فى بنى قريظة إلا أنه لا تغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم
وذلك لخوفه على الدولة منهم وقد ظهر أخيراً ما تفرسه الشيخ الخليلى
فكان ذهاب الدولة على أيديهم كما سيأتى ذكره ، وحبس أكابر بنى بوعلى
فى الكيتان ما شاء الله من الزمان ثم أنهم خادعوا عقيد العسكر عسكر
الكوت وعملوا سياسة فيما بينهم فأرسل لهم قومهم من جعلان جراب
تمر وادخلوا فيه حبلا لينزلوا به من الكوت وواعدوهم على ليلة مخصوصة
فأتوهم فى تلك الليلة بسفينة صغيرة فنزلوا من الكوت إلى السفينة فى الحبل
وأصبحوا هاربين وهذا العقيد كان من أهل الحوقين من الخضور فيقال
أن بنى بوعلى كانوا يراسلونه وهو ببلده إلى أن مات وسكنت عمان بعد
هذه الغزوة وبها تمت فتوحات البلدان ولم يبق من عمان إلا حصن الحزم
وهو حصن لا تبعة له واستفتحه الامام بعد ذلك وسيأتى خبر فتحه
إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ جمعه بن خصيف فى سيرته : فها هى الآن مصر عمان
قد نعمت بالأمان ، روضة أنف بالعدل والإحسان ، مستظلة بظل
الانصاف ، مستنيرة بأنوار أهل الفضل والعفاف ، تنشر فيها الاعلام
الإسلامية وتنفذ الاحكام الشرعية وتحيى السنن المحمدية وتمات البدع
الباطلية وترد المظالم ويؤخذ بها الظالم فما منافق إلا أذله الله بنفاقه
ولا مشاقق إلا رجع بالوبال عليه شقاقه فسوق الأعداء فى كساد وأمرهم
حرام عليه السداد وآراؤهم منكوسة وتدابيرهم منحوسة .

ذكر مسير الامام بالجنود إلى البريمى

لمدافعة أهل نجد وهم ملوك الوهابية

ويقال لهم أولاد ابن سعود والقائم فيهم يومئذ عبد الله بن فيصل

وسبب ذلك أنه وصلت تعاريف من جهة الثغور الغربية بقدوم ملك نجد لحرب المسلمين فأرسل الامام التعاريف مع بعض الثقات إلى الشيخ الخليلى وكتب له فى ذلك وكان بيت المال قد نهكته الدول وأخذته المصاريف لاعزاز الدولة فأجاز الشيخ الخليلى لهم الاقتراض من الرعية على بيت المال لدفع هذا العدو المخوف كما ستراه فى كتابه للامام وكان ذلك فى شوال من سنة ست وثمانين ومائتين والف وهذا جواب الشيخ الخليلى للامام فى هذه المضية . قال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم إلى جناب سيدنا وعزيزنا الثقة الأجل الأكرم الاحشم المجاهد فى سبيل الله إمام المسلمين عزان بن قيس أعزه الله ونصره ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، كتبك الشريفة وصلت ومابالسان خادمك محمد بن سليمان الخروصى عرفناه وتعاريف فيصل ومحمد بن على والسمار نظرناهن وهن صريحات فى حالتين إحداهما الاخبار النجدية ، والثانية الاخبار العمانية بوجود الضعف والخيانة من أهل تلك الاطراف وكلهم يستدعى وصولك بالحال ونحن قد كنا نؤخرك لأجل التخفيف لكن نرى الأمر يزيد والداعى حثيث مسرع وكذلك تعاريف زايد ، والآن لا نرى لك التأخير ولا نحب لك التواهن من يوم إلى يوم ولا تسوى[1] مثل بنى أمية إذ يدعوهم عاملهم بمصر فيكتبون له : رقع الأمور حتى أخذت مصر .

قلت : الصواب أنه عامل خراسان وهو نصر بن سيار والملك الأموى يومئذ مروان بن محمد ومنه أخذت خراسان وجميع الممالك وانقلبت الدولة إلى بنى العباس ، رجع إلى كلام الشيخ قال : وانتزع الملك لكن نقول تشمر وقم على بركات الله تعالى بجنود المسلمين من الشرقية والباطنة وغيرها قبل وقوع الخلل فى البريمى وإذا وصل ابن سعود قبلك نخاف أن تنكشف عن

---

(١) الظاهر أن الأصل : لا تسوف .

داهية لا يمكن تداركها فلا بد من القيام إن كان مرادك الدفاع عن هذه
الرعية من حد بركا إلى البريمى والظاهرة ونحن من استوى خبر ابن سعود
إلى هذا الوقت الذى غرمناه فى البريمى يقارب عشرة آلاف لغير فائدة
ولا يمكن المقام على هذا ولا يحرك ابن سعود إلا أهل عمان فلا بد من قلع
هذه الشجرة الفاسدة من كل مخوف إن كانت فى نصرة الله ورسوله
وإحياء هذه الدعوة وإغاثة الفقراء والمساكين والخروج على هؤلاء البغاة
من أهل الشمال وغيرهم فى سبيل الله وله حكم الدفاع يلزم جميع أهل عمان
بأموالهم وأنفسهم على الأشهر والأصح من قول المسلمين وقد أجزنا لك
دعوتهم وجبرهم اليه وتأديبهم وليس حد الجفا إذا أحاط بك الخصم
وتغلقت عليك البلدان وصارت يدهم القوية وكلمتهم العلية ، وليس جهاد
ابن سعود أوجب ولا ألزم من جهاد أهل عمان الذين يكاتبون عليك العدو
ويجرّون عليك الخصم مرادهم نزع ملكك واستئصال دولتك. قال الله تعالى
« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » فكيف من يكاتب
ويعاهد ويرسل. وبالجملة فلا يستقيم أمرك ولا يستقر ولا تسلم رعيتك بدون
هذا نعم واقد أجزنا لك فى هذا الخروج القرض من الرعية على بيت المال
ولو بالجبر وأمرناك به فألزمهم إياه عن أمرنا ورأينا ولا تعطل أمور المسلمين
ولا تسمع قول المثبطين فإن هذا هو الصحيح فى النظر ويشهد بصحته الأثر
وأنا أقول أنك أبلغهم إياه عنى واحكم به عليهم منى فإنى فى ذلك مجتهد لله
ومتقرب اليه وإن كان فى المسلمين من ينكر جوازه أو يرى باطله فأنا
أحاكمه إلى آثار المسلمين وسيرهم وهى بحمد الله موجودة وإن كانت من
مسائل الاختلاف ولكن التوسع فى الرأى المختلف فيه فى وقت الضرورة
أعز للدولة وأنفع للأمة ولا تنظر إلى ما يلقون من مشقة الحال وذهاب
بعض المال فإن المريض لأجل طلب العافية يداوى بالبط والكى وقطع

بعض الأعضاء لسلامة العمر وإن كان ضعيف القلب يؤلمه ذلك من غير نظر فى العواقب فالعاقل لا يلتفت إليه والسلام من أحبائك الفقراء إلى الله تعالى وشركائك فى المسرة والمضرة هلال بن أحمد وكاتبه والقائل به الداعى إليه سعيد بن خلفان الخليلى بيده .

ملحاق خير : بحق أقول إن رأينا هذا ونسأل الله الإعانة عليه لكن إذا كان قيام هذا الجيش وتكليف الرعية بالقرض والقيام بالأموال والانفس فإن وصل أهل نجد فقد تحققت الضرورة وتبينت الحاجة وظهر الوجه وإن أخرهم الله بلطفه فان كان ليكفيك من هؤلاء الخلق أن يردوك بكلمة جميلة وطلب مساحة ولتكثر الوسائل والاقوال وترجعوا عنهم سالمين من بأسكم مثل بنى بوعلى إلى شهر وعادوا مخالفين فالأولى ترك القيام فى الحل فليس هو الوجه الذى أردناه ولا الطريق الذى اعتمدناه وأمرناك به ودعوناك له وأجزنا لك فيه هذه الوجوه وإن كان قصدك كشف قناع الحياء والتَقية ، وقهر كل خصم من أهل الشمال والظاهرة المعاندين إلى حد مبلغ القدرة لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا قول قائل فهو الوجه الذى أجزناه لك وأمرناك به وهو أكرم كل صديق منقطع واستبقائه عضدا لك مثل زائد ، على ما تظاهرت منه الأخبار عن أنه قاطع بخصامة ابن سعود لأجلكم فيستحق الاكرام ومثل محمد بن على لصحبته السابقة وما بان عليه شىء كذلك لكن لا تترك له الرأىَ فيمن يستحق القهر والضبط بالسياسة ونزع ما فى يده مما إذا صرح فى المكر يكون فى تركه على الدولة وهن وفى العاقبة بلاء مثل أناس لا يخفاك أمرهم ، وكل من تعصب لأهل الباطل ولم يكفه واجبه فيضبط معه هذا رأينا فإن كنت عازما عليه فتوكل على الله وسر على بركات الله ، والله معك ولا يخذل من الله ناصره ولا يضيع من كان الله معه ، وإن رأيت غير ذلك فليس منا فيه

أمر ولا نقول فيه بشيء إلا أن كل نازلة لها حكم ، والله يتولاكم ويرعاكم وهو الذى يتولى الصالحين بفضله وكرمه والسلام .

ملحاق خير : واصلك هذا التعريف فأعرضه على الشيخ محمد بن سليم ويعرضه على كل ذى معرفة فإن كان غير خارج عن الصواب فقد ألزمنا العمل به إن كنت تراه صلاحاً وقواماً للدولة وهو رأينا ولا نلزمك إياه إن رأيت الصلاح فى غيره ، وأما نحن فنراه هو الصلاح إن قال أحد ببطلانه فلتقم عليه الحجة أو يصل إلينا ونحاكمه إلى آثار المسلمين وسيرهم ، وإياك والتواهن ياعزان والوهانة يصبح أهل نجد والظاهرة والذين فى قلوبهم مرض معسكرين فى البريمى ، شد على أعداء الله وأقهرهم بحكم الله وأذلهم بعزة الله فإن عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ، والحليم من فكر فى العواقب وزايد ومحمد بن على أعرف بما هناك وخطوطهم كما ترى فعرف إبراهيم وصالح يلاقوك بجيشهم البريمى ويأتوك بالسميع والمطيع كله ويأخذوا القرض ويلزموه الناس ، وإياك تسمع الوسائل والمتشفعين جزاهم الله خيراً وإياك أن تأخذ من الفقراء والضعفاء ومثل أهل السيب وبركا الملدودين بالغرامة والامتحان من زمن ثوينى وسالم وتترك الأقوياء والمياسير أهل الباطنة فيكون ذلك خارجا عن العدل ومخالفاً لسيرة الأئمة الصالحين ، وإن كان الشيخ محمد لايقدر يأمر فليسكت وإن لم يقدر يسكت فدبره يشير [إلى] صحار أو يجىء عندنا ولا يتعرض لأهل الرستاق والباطنة وغيرهم إن كان مرادهم قوام الدولة ولا يريد الضياع وإلا فسينكشف الغطاء عند الله تعالى غداً يوم القيامة ، إذا أصبح ابن سعود حاكما بعمان مستولياً على البريمى والظاهرة والشمال وغاراته تصل السد ولا يكفيه من أهل عمان إلا كما تحكم على ثوينى يوم غرامة يجىء مائة ألف وينظر هل يبقى يومئذ حكم وإمامة ودين ومعزة للإسلام

ليعرف هو وغيره كيف العاقبة فى الدنيا والآخرة ، وهل استعمال مثل هذه الوجوه فى الضرورة أقرب إلى مرضاة الله تعالى واتباع الحق أم تركها حياء من الناس ومداراة لهم أحسن . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والسلام .

ملحاق خير وسرور : إذا تعين عزمكم على القيام ، فالذى يحتاجه أهل الشرقية يأخذونه من القرض المسطر من هناك أو من سمد أو من نزوى وأزكى وبهلا ورتبه لهم من تلك الجهة وأنت مر على أهل الباطنة العزاز وخذ منهم ومن غيرهم على الترتيب السابق والذى يحصل من هنا لنجعله مدداً لكم فوق ذلك والسلام ، ومن قبل ماجاء بلسان الولد محمد بن سليمان شرحه لنا وجوابه كذلك خذه من لسانه بالترتيب ، ونحن تكفلنا بالبيان فى هذه المهمة لأنها عظيمة الشأن فلم نتكل بها على جواب باللسان والسلام . حرر يوم ٢٧ شوال سنة ١٢٨٦ فعمل الإمام رحمه الله تعالى بمقتضى هذا الإفتاء وأخذ القرض من الرعية وأمر عماله فاقترضوا له وكتب لأمراء الجنود أن يلاقوه بالبريمى فسارت إليه جنود الله من كل جانب وركب هو بمن معه من جهة الباطنة وجاء ابن عمه فيصل وأخوه إبراهيم وشيخنا بمن معهم من جهة الشرقية والتقت الجموع كلها بالبريمى عند الإمام وكان رجلان من الدروع قد قطعا الطريق وقتلا ونهبا فطلبا للحكم فجاءت بهم الدروع إلى أمير الجيش الجائى من جهة الشرقية فى هذه السرية فدفعوهما إليه « ببسيا » فقيدهما الأمير وأرسل بهما إلى مسكد فلما رجع الإمام إليها من سفرته هذه استحضر الرجلين وسألهما بلطف عما صنعاه فأقر أحدهما بالقتل والآخر بأخذ المال فأمر بقطع رأس القاتل وأمر أن تقطع يد ورجل المقر بالنهب فأقيم الحد عليهما بالفرضة قبل نصف النهار وعاش مقطوع اليد

والرجل قليلا ثم مات وكان قبل ذلك قد قيد رجل هاشمى برجل حبسى صاحبه إلى أزكى فقتله فقبض عليه والى أزكى وأرسل به إلى الإمام بعسكد وأرسل الإمام إلى ولى المقتول وأحضر القاتل للخصومة فأقر بالقتل وعرضت الدية على الحبسى ، فقال لاأقبل إلا القود فقيد وقتل وكان بقتلهم إحياء حدود الله وكان ملك نجد وهو عبد الله بن فيصل قد جفا أخاه سعود ابن فيصل وطرده فوفد المطرود على الامام فوافق هذا السفر فسار مع الإمام إلى البريمى ، ثم ترخص بعد ذلك ونفعوه وحرضوه على أخيه وأظن أنى سمعت شيخنا يقول أنهم أعطوه ألف قرش وفرساً ، فلما سار من عندهم قتل أخاه ، وذلك أنهم التقوا على ماء بنجد فاقتتلوا ، فكانت القاضية على عبدالله بن فيصل ، وذلك بعد رجوع الإمام إلى وطنه فإنه قد كان أقام بالجموع فى البريمى ينتظر قدوم ملك نجد وكان زايد بن خليفة أمير بنى ياس قد أظهر لأهل نجد الخصومة وأظهر للامام المناصرة وطلب منه الامام المواجهة فواجهه بالبريمى فى عدد من الخيل والرجال فأكرم الامام مثواه ورجع إلى بلده شاكراً وبلغ ملك نجد انتظار جنود الله له فخمدت همته وسكنت حركته ويقال إنه رجع القهقرى من الأحساء والله أعلم بما هنالك ، غير أنه لم يصل عمان ورجعت جنود الله بالظفر والتأييد ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

ذكر فتح الحزم

وهو الحصن الذى بناه الامام سلطان بن سيف بن سلطان وهو من أعاجيب الزمان وكانت فيه بقايا اليماربة وبعضهم من نسل الامام البانى

ولمنعة هذا الحصن وقوته لم يقدر أحد على إخراجهم منه حتى أخرجهم هذا الامام بعد حصار شديد وكانوا قد بغوا على أهل الرستاق بغياً شاهراً ولم تتأتَّ حماية الرعية إلا بإخراجهم من حصنهم فسارت إليهم أمراء الجنود وأحاطوا بالحصن وجعلوا عليه السيب ورابطوه زمانا طويلا وكان من سياسة شيخنا أن يرد إلى الحصن كل من خرج منه ليتماونوا على أكل مافيه فينفذ بسرعة فكلما أراد أحد منهم أن يخرج من نساء أو ذرية أمر برده إلى الحصن ، واستشكل ذلك بعض من لم يبلغ مبلغه وقال كيف تردون إلى البغى من يريد أن يفر منه ، فكان جوابه أنهم ما خرجوا إلا لتقوية البغى أرادوا أن يستبقوا المتاع للمحاربة والحصن لايقدر عليه إلا بذهاب متاعهم ؛ فلما طال عليهم الحصار واشتد عليهم الأمر بعد أن كانت لهم فى المرابطين وقمات وقتل سيدهم ويقال إنه نقع به محزمه فى زورة زارها المرابطين فلما طال عليهم الأمد واشتد عليهم الأمر خاطبهم الشيخ الفاربى في الخروج من الحصن على أمان بما معهم فأجابوه إلى ذلك وخرجوا على يديه و بذلك تم الفتح للامام .

وكتب الشيخ الخليلى إلى والى الامام على الرستاق عبد الله بن محمد الهاشمى فى حرب الحزم كتاباً فيه بيان ما يسع فى حربه أحببنا ذكره هاهنا لأنه من جملة أحكام الامام ، قال وما ذكرته من قبل الرمية التى للحزم فإن جعلت على الأغنياء فجائز وان جعلت على الأموال جميعاً كل بقدره حتى من مال من لا يملك أمره فجائز ، فالأول جهاد والثانى دفاع اليعاربة عن الرستاق لبغيهم المشهور أمر غير منكور وعسى الله أن يدبر المخرج فإنه لطيف بعباده . وأما الشيخ خميس بن جاعد فقد سمعت عنه

من زمان أنه عاد عاثراً لا قوة له وينبغى أن تكفوه لأنه كبير السن إذ ضعفت قوته وقلت همته [فهو] غير ملوم وأنا أخبرنى عنه الشيخ يحي منذ زمان أنه كذلك أسأله عنه فيقول لى بنحو هذا من حاله والله يكفى الدولة بمن يستطيعها والله لا يضيعها ، ولو اعتذر مثل يحي ومثلك لرأيت أن نشد عليه والله ولى كل خير بفضله وكرمه والسلام . وكتب له أيضاً ما نصه : وبعد فقد عرفناك سابقاً أن تكفينا شغل الحزم : بجمل على أهل الرستاق وكأنك لم تسمح بذلك إلى الامام لعلك رأيت ذلك أصعب عليك من ضياع دولة المسلمين وعرفتنا سابقاً من قبل فلج العوابى فأرسلنا لك تعريفاً لوكيله وعرفناك أن تلتمس بالقرض وغيره على دولة المسلمين من أموال محمد بن طالب وغيرها فلم يبن لنا منك امتثال ونحن لم نقم ها هنا عبثا ولا لعبا وإنما أقمنا لله مقاماً نعز به دينه ونرضى به وجهه ونتقرب به إليه لا نرضى بفشل لأهل الحق ولا نخفى جهداً من كل وجه نقدر عليه مما يعز الإسلام وأهله فإن كنت منا فالمراد قيامك بما ذكرناه لك كله قد ألزمناك ذلك ولم نوسع لك فى التأخر عن شىء منه ، والله سبحانه جعلنا الآن ناظرين فى مصالح الإسلام لهذا الإمام فليس لكم إلا اتباعنا ما دمنا على الحق وإياك والتواهن بشىء مما أمرناك به بعد وصول كتابى هذا إليك فنعده منك خلافا للحق وأهله ونحن لو رأينا سبيلا إلى الرفق بالرعية والمساهلة لهم لكنا أحوج إلى ذلك وأولى به ، ولكن نرى أمرا جايلا وخطباً جسيما لا يمكن التساهل فيه واحتمال القليل بل الكثير من الأموال أولى من استئصال الدول وظهور أعداء الله تعالى على الممالك ولم نجد الآن السبيل إلا بتكليف الرعية . والسلام .

ذكر خروج تركى بن سعيد بن سلطان

على الإمام

وذلك بعد أن دانت الأمور وسكنت الحركات وظهر العدل والإنصاف وأخذ الحق من القوى للضعيف وذلت رقاب الجبابرة والمعاندين فعند ذلك نجم بالرؤساء نفاقهم وكاتبوا تركى بن سعيد سراً فيما بينهم وكان قد ركب إلى الهند فى دولة ابن أخيه سالم بن ثوينى على حسب ما قدمنا ذكره فجاء تركى فى مركب للنصارى ودخل به مكلى مسكد وتوسط بين الكيتان فرأى بيارق المسلمين بيضاء تنور والبيارق [1] هى الرايات : سميت بذلك لبريقها ولمعانها ، فلما رأى ذلك هاله وقال الله يمينا عليك حتى تكونى حمراء وكانت الرايات الحمر من شعار آل سلطان بن الإمام والرايات البيض من شعار آل عزان بن قيس ثم جاوز به المركب وأنزله فى لنجة وركب فى خشبة إلى الشمال فتعصبت له الغافرية أجمع وباطنتهم رؤوس النفاق من الهناوية فتجمع غافرية الشمال عند تركى يريدون أخذ البريمى ، فقاتلهم زايد بن خليفة دونها فهزمهم الله وفرق جموعهم ، فسار تركى إلى محضه ، وهى من بلاد النعيم ، فأقام بها وأظهر غافرية عمان الخلاف ورئيسهم برغش بن حميد صاحب العينين وباطنهم رؤساء آل وهيبة وغيرهم ، فخرج الإمام بمن معه وكانوا غير كثير حتى جاء المضيبى وواجهه الرؤساء المنافقون وأرضوه فى الظاهر وفى قلوبهم

---

(١) البيارق جمع بيرق اسم للراية وهذا اللفظ تركى لا عربى والله أعلم .

من الشحناء ما فى قلوب اخوانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم أمر الإمام شيخنا أن يسير بمن معه مقـدمة له إلى جانب الجوف والظاهرة فركب شيخنا بمن معه حتى نزل نزوى وكان الجنبة والدروع من جملة من خالف الإمام وأبوا عن الانقياد فخشى شيخنا أموالهم التى لهم بطيمسا والرده ثم جاء البدووهم الجنبة والدروع فـكمنوا فى واد هنالك فجاء الصريخ فخرجوا لهم فلم يروا احداً ثم رجعوا ثم جاء الصريخ الثانى فرجعوا إليهم فتراءت الفئتان فوقع بينهما بعض الرياح بالبنادق وأصابت البدو غرة من أصحاب الشيخ ومن أهل نزوى فقتلوا منهم رجالا ثم انحاز كل إلى موضعه ورجع الشيخ بمن معه إلى نزوى ثم لحقهم الإمام بالجيش ،وسمعت شيخنا يقول ان الإمام كان قد عزم على عزم رأى أن يكون فيه الحزم وهوَ أن يتخذ نزوى وطنا وينتخب معه من شجعان العرب ألف راكب يجعلهم عنده بنزوى يستغنى بهم عن جر الجيوش فإن قبائل عمان لاتكاد تتفق القبيلة كلها على حربه بعد مامضى وان اتفقت القبيلة على حربه فانه يصبحهم بألف راكب وهو فيهم فلا تقاومهم قبيلة وهم منتخبون من شرارة العرب فيخف بذلك المغرم عن بيت المال وعن الرعية وتستريح الرعية فى أوطانها ويكفيهم الإمام بشرارته أمر الحروب قال : وعلى هذا كان صمم عزمه قال وصلى فى نزوى وطنا فى هذه المرة غير أن الداعى كان حثيثا فاختار الله له ما عنده قبل أن يتم هذا الحال ونرجوا له من الله أجره ولو أراد الله بأهل عمان خيراً لأبقى لهم إمامهم وأتم له عزمه وأقول إن هذا الرأى لهو الرأى وينبغى أن يوصى به أول المسلمين آخرهم فمن استطاعه منهم فليفعله ، ثم سار الإمام بجيشه من نزوى وكان قد

كتب لأمرائه بالباطنة أن يلاقوه بالجموع بالظاهرة ليرد الخارجين عن طاعته إلى الطاعة ويدخلهم فى الجماعة وكان قد بقى لبرغش بن حميد حصن العينين ويبرين صفح عنهما الإمام حين واجهه بالبغى وأظهر له الطاعة ثم اغتر بآراء المنافقين ونزع يده من الطاعة وتجمع معه من عادى الإمام ونزلوا معه بيبرين فمر عليهم جيش الامام فناوموهم قليلا بالتفق أرادوا أن يخرجوهم من يبرين للقتال فلم يخرجوا وتحصنوا بيبرين وغرب الإمام بجيشه إلى الظاهرة وكان أهل الباطنة من جموعه قد سبقوا إليها وخرجت لهم الغافرية من عبرى فاقتتلوا بلجمة عبرى قتالا ثبتت فيه أهل الباطنة ثباتاً حسنا حمدت فيه مواقفهم فرجعت عنهم الغافرية القهقرى ثم وصل الامام بجيشه الظاهرة وأحاط بحصن العينين وكان فيه عمال برغش بن حميد فحاصره مدة يسيرة ثم فتحه الله له وألقى الله الرعب فى قلوب الأعداء وتشتتوا أيادى سبأ وهربوا فى البوادى فكبر ذلك على المنافقين من قوم الامام وكان الامام قد هم بالمسير إلى ضنك فأرسل المنافقون إلى رءوس الأعداء أن لاقوا الامام بضنك ونحن أهل الشرقية لسنا معه ولا نسير معه ، وكانت الأعداء تهاب أهل الشرقية أكثر من غيرهم ، فلما أرسلوا إليهم بذلك تجمعوا بضنك وفيهم تركى وهم الامام بالمسير إليهم فأظهر له رؤساء الشرقية الخلاف وكانوا قد أشاروا إليه أن يتأخر عن ضنك فلم يسمعهم فجعلوا ذلك سبباً للخلاف فأظهروا ما أضمروا وبركوا فى مباركهم فعاتبهم من شاء الله من الأفاضل ونصحوهم عن خذلان إمامهم وخوفوهم عقوبة الخلاف فأعاروهم أذنا صماء فركب الامام بمن أطاعه من أهل الباطنة وغيرهم فسار بهم وتخلف أهل الشرقية ، فلما قرب الامام ركب

أهل الشرقية مشرقاً إلا شيخنا ومن معه فانهم ساروا مع الامام وكانوا من أكبر أنصاره فجاءوا إلى ضنك من مدخل الوادى وكانوا قد أخذوا معهم بنى زيد أهل فدى وكانوا قد قدموهم على مضيق الوادى ليمنعوا العدو مقاعد القتال وكان فى نفس بنى زيد ما فى نفوس الخائنين وكان الامام قد أعدهم له فصاروا عليه فلما توسط الجيش الوادى جاءهم الضرب من بنى زيد وغيرهم فكانت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم خلق كثير وأكثر المقتولين من أهل الباطنة ، فاستشهد من أفاضلهم خلق واستشهد سالم بن سيف الفرعى وكان والياً للامام على بدية وكان فاضلا ناسكا زاهداً معرضاً عن الدنيا ، ويقال أنه لما رأى الجيش انهزم تقدم هو نحو العدو وقال لمثل هذا جئنا يعنى الشهادة فاستشهد رحمة الله عليه ،ويقال أنه ما وجد فى خرجه بعد موته إلا سروال يصلى به ومسواك يتسوك به ولم يترك إلا كتباً بيعت فى صداق امرأته الآجل ، وقيل أنه قيل له ان الناس انهزموا فقال عاهدته على أن لا أفر ثم رجع المسلمون فكانت هذه الحالة أول حالة ظفرت بها الأعداء وما هى بالظفر لو عقلوا وانما هى النار بل أول حالة ظفروا بها بالردة فى الوقعة التى كانت بأطراف نزوى ولله الملك الدائم ثم رجع الامام إلى مسكد وخافت الخونة على نفوسها القتل وعلموا أنهم قد أظهروا الخلاف للامام وما كان الامام أراد بهم قتلا وانما خافوه على أنفسهم فى زعمهم فبالغوا فى زوال الدولة ونزع الملك من يد الامام وبذلوا فى ذلك كل البذل وتكاتبوا من شرق البلاد وغربها وسار سعيد بن ناصر رئيس آل وهيبة إلى بنى بوعلى وأقام معهم قدر شهرين يحرضهم على الامام وجاء ناصر بن عامر رئيس الحبوس إلى غبى بدية فقام عند بعض رؤساءها

المنافقين و بقيت المكاتبة فيما بينهم والطروس تتراسل من جعلان إلى الغبى ومن الغبى إلى جعلان ومنهم إلى الغافرية الذين بعمان والظاهرة فلم يزالوا على ذلك حتى عقدوا من نفاقهم سرايا فجاءت سرية فيها أكثر آل وهيبة وبعض الناس من غيرهم وعليها تركى بن سعيد قصدوا إلى سمد الشان وتلقاهم فيها فيصل بن حمود وشيخنا بجيش ، فنزل البغاة بالميسر وجيش المسلمين بسمد وبقوا كذلك بعضهم يرصد بعضاً ، ثم جاء البغاة من واد غربى سمد يريدون أن يدخلوا سمد من أعلاها فوقف لهم حبوس الروضة أعلى الوادى فمنعوهم عما أرادوا ورجعوا القهقرى وسار تركى إلى سناو وأقام بها وقامت قائمة من جعلان فيها بنى بوعلى وناس من بنى بحسن وقائدهم سيف بن سليمان آل بو سعيدى الذى كان والياً لسالم بن ثوينى على مطرح فساروا إلى مسكد من جانب وادى مجلاص حتى نزلوا بسدروى وقامت قائمة من الهشم على وادى بنى خالد وقامت قائمة من العبريين وغيرهم وفيها برغش بن حميد على بهلى فاحاطوا بها وكان فيها شيخنا ماجد ابن خميس العبرى واليا للامام وعسكره العوامر وكان قد تهيأ فيها لحصار ثمانية عشر سنة وبالجملة فكل من كان له ضغن أو حقد ثار يومئذ وجمع الكل البغى وشغل كلا ما يليه ، ولم يكن ببال المسلمين أن سرية جعلان تصيب غرضها لقلة عددهم ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، فخرج من حضر من المسلمين للبغاة الذين بالسد فيقال أنه جاءت سحابة فأمطرت على جماعة المسلمين فبطلت تفاقهم ولم يكن من ذلك شىء على جماعة البغاة فرجع المسلمون إلى السيران ، وسار بالليل إليهم البغاة فتسوروا مطرح والامام يقاتل من أعلى السور وجاءت ضربة تفق فأصابت الامام فاستشهد رضى

الله عنه ، وقيل إن الضربة كانت من الذين معه فى داخل السور والله أعلم بحقيقة الأمر. وقتل على السور قائد البغاة سيف بن سليمان ودخل البغاة مطرح ثم قصدوا مسكد وكان فيها الشيخ الخليلى وإبراهيم بن قيس أخو الامام فسمعت بعض شيوخنا أن الشيخ الخليلى دعا إبراهيم لينصبه إماماً على الناس بعد قتل أخيه فشاور إبراهيم هلال بن زاهر الهنائى وكان هلال من جملة من نافق فقال له إن هذه دولة ذاهبة فتدارك صحار لئلا تذهب عليكم وهى مملكة آبائك ، فركب إبراهيم إلى صحار فقال الشيخ الخليلى خذلك الله كما خذلتنا فما قامت لابراهيم بعدها قائمة كلما أخذ بلدة جاء السلطان فأخرجه منها كما سيأتى ذكره . وتحصن الشيخ الخليلى فى الكوت الشرقى ومعه بعض بنى رواحة وأرسل البغاة إلى تركى فجاءهم وحاصر الشيخ حتى خانه من معه ولم يقدر عليهم أن يحربوا ، ويقال إنه جاء للشيخ بعض رؤساء الهناوية أن ينزل على أيديهم فلم يقبل أن ينزل على أيديهم لما علم من خيانتهم ونزل على يد قنصل النصارى[1] ظناً منه أنهم لا يرضون فى ذمتهم ورأى أنه قد استوثق لنفسه فخانه القنصل وسلمه إلى تركى فلما جىء به بين يدى تركى قال له أخرجتمونا من أوطاننا وفعلتم وفعلتم ، قال الشيخ ما فعلنا إلا ما تقتضيه الشريعة فأمر به فقيد هو وولده محمد بن سعيد وحمل الى الكوت فتركا هنالك فلم يخرج خبرهما والله سائله عما صنع ، وقيل ان تركى كان منتظراً فى قتل الشيخ وأن بعض عماله

---

(١) ولا يخفى أن النصارى يريد بهم المؤلف الانجليز وهم أصحاب الدسائس هنالك الآن والمدبرون لهذا الانقلاب . فليتأمل مغزى خيانة قنصلهم للعلامة الخليلى رحمه الله بعد أن استأمن له ونزل على يده ، لكن الاستعماريون لاذمة لهم ولا دين إلا بقدر الحاجة .

وهو ثوينى بن محمد خاف أن يعفو عنه تركى فسار إليه بغير إذن فقتله هو وولده فسلط الله على ثوينى من قتله فى مأمنه ، ويقال أن الإمام بقى ثلاثة أيام لم يدفن فلم يتغير ثم دفن بعد ذلك فى جبروه من مطرح فكان أول إمام دفن بها فيما علمنا ، وكان قتله ليلة ثامن من ذى القعدة سنة سبع وثمانين ومائتين وألف ودخلت البغاة مطرح يوم ثامن وكان وصول البغاة بالسد يوم رابع وكانت مدة إمامته سنتين وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً ،رضى الله عنه .

وكان رجل من بنى بو حسن وهو منذرى الأصل يقال له ابن الصباع واسمه محمد بن حمد بن جميع وكان من أنصار الامام وكان مشهوراً بالبأس ، فلما أخبر عن قتل الامام هوى على جيش البغاة فلم يزل يقاتلهم حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم سارت بشائر البغاة إلى البلدان يبشر بعضهم بعضاً . وكان الحصار على بهلى قائماً فنادوا الوالى وهو شيخنا ماجد أن الامام قد قتل فلمن تحرب ، قال فظننت أنها خدعة ، فضربت فألا فى المصحف قال فخرج لى قوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » . قال فعلمت ان الأمر قد قضى وصممت على أن لا أنزل من الحصن بل أدافع عنه ، قال : فقامت علىّ العسكر وقالوا لا نحرب معك بنفسك ونحن نخشى على بلداننا التضييع فإن شئت فخذ لنفسك وجها وإلا خرجنا عنك وكان معه المواصر . قال : فقلت أما أنا فلا آخذ وجهاً فأخذت العسكر لأنفسهم أمانا وتدلى الشيخ من الحصن بحبل إلى الأرض وذلك لئلا يكون قد مكن البغاة من معقل المسلمين ، ثم نجا بنفسه حتى أصبح من الليل بمسجد البياضة من الرستاق ، وكانت الرستاق والحزم قد

بقيتا فى يد فيصل بن حمود ابن عم الامام وسيأتى تمام خبرهم إن شاء الله تعالى فى الباب الآتى .

ذكر أحكام الإمام عزان بن قيس .

وقد تقدم ذكر أكثرها فمن ذلك التفريق لأموال الجبابرة المستغرقة فى الجبايات والمظالم ، ومنها جبره الرعايا على الجهاد بأموالهم وأنفسهم لأنه دفاع عن المصر والدفاع يلزم كل بالغ قادر ، ومنها جواز أخذ القرض على بيت المال من الرعية لأجل الدفاع عن المصر وقد فعلوا ذلك فى مسيرهم إلى البريمى لدفاع أهل نجد .

ومنها إنفاذ ما فضل من غلة مال مسجد شبيب الذى بالظاهرة فى مصالح الدولة الإسلامية وفى نظر مصالح الإسلام على قول من يقول إنها من أموال الله تعالى وهو قول موجود فى الأثر .

ومنها حجر أكل الحلوى والفواكه من أموال مسجد الرستاق وكان قد وجد لأهلها فيها التوسع بمثل ذلك وأمر أن ينفذ فضلة غلتها فى المتعلمين وكتب فى ذلك كتاباً إلى والى الرستاق وهو شيخنا عبد الله بن محمد الهاشمى ، قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من إمام المسلمين عزان بن قيس إلى الشيخ المحب المكرم المحترم الناصح العزيز الثقة الفاضل الأخ عبد الله بن محمد الهاشمى وكافة المتعلمين سلمكم الله تعالى وعافاكم وحرسكم وحماكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن بخير نحمد الله على ما أولانا من سبوغ نعمه ، ونعرفك فالواصل إليك سالم بن هاشل الجرادى قد بعثناه إلى بلدكم

معلما فى النحو وقد جعلنا له كل شهر ثمانية قروش ومن كان من أهل البلد فلا شىء له إلا الفقراء ومن كان من الغرباء فله قرشان ويكون ذلك من أموال المتعلمين التى عندكم ومن فضلة أموال المساجد وقد حجرنا أكل الحلوى والفواكه بالفضلة ورأينا صرفها فى هذا الأمر الذى يربى العلم ويقوى الدين ويكون التعليم فى جميع المساجد وكل وقت يقيم المتعلمون فى مسجد فقيامهم[1] واحرص على ذلك وذمرهم وشمر بنفسك وانصحهم واغلظ لهم القول وسارعوا إلى إحراز هذه الخصلة الشريفة ، ومنها تجويزه أخذ المغرم من أموال أهل الرستاق حتى من لا يملك أمره لينفذ فى حرب الحزم لأن اليماربة الذين كانوا فيه كانوا قد بغوا على أهل الرستاق وعلى أموالهم واشتهر ذلك وعرفوا به فكان الأخذ من الأموال فى هيئة الدفاع عنها وقد تقدم ذكر ذلك .

ومنها طنى الزكاة فى رؤوس النخل فيأخذها المستطنى بقيمة مخصوصة يدفعها إلى الامام ويأخذ الزكاة لنفسه وقد وقع بينهم فى جواز هذا الحال مباحثة فأول من أشار بفعله شيخنا صالح واستنكره شيخنا ماجد وطاب الوجه فيه فكتب شيخنا صالح بذلك إلى المحقق الخليلى فأجابه بقوله منك وإليك يعود: يعنى أنت أجب عنه بنفسك ثم كتب شيخنا ماجد فى ذلك كتاباً لشيخنا الهاشمى والى الامام على الرستاق فأرسل الوالى الكتاب إلى الامام فأرسله الامام إلى الشيخ الخليلى فأجاب عنه ونقض ما اعتل به وأثبتوا ذلك رأياً لهم وعملوا به لمصلحة رأوها .

---

(١) فى هذه العبارة خرم : ولعل صوابها : فقيامهم على تلك الأموال . وقوله : وذمرهم : أراد عنفهم على الكسل والتخلف عن دروسهم . والله أعلم

ومنها صلاته الجمعة فى أسفاره وكان الأصحاب لا يرون للامام أن يصلى الجمعة إذا سافر ، وممن رأى جواز ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وتبعه على ذلك هذا الامام ، ولعلهم رأوا فى ذلك مصلحة قد خفيت علينا وما يراه الحاضر لا يراه الغائب ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة فى شىء من أسفاره ولا صلاها أئمة المسلمين من قبل عزان بن قيس إلا فى أوطانهم غير صحار فإنها لم تنقطع الجمعة عنها من عهد الصحابة إلى يومنا هذا يصلونها فيها خلف البار والفاجر والعادل والجائر ، لأنها من الأمصار الممصرة ، وقد صلت الصحابة الجمعة فى الأمصار الممصرة خلف البار والفاجر والله أعلم .

ذكر كرامات الإمام عزان بن قيس

وقد ذكروا له كرامات كثيرة نحفظ بعضها وغاب عنا الأكثر . فمنها ماذكروه أنه بقى بعد أن قتل ثلاثة أيام لم يدفن وهو مع ذلك لم يتغير يذكرون أنه كشف عن وجهه فرأوه كأنه حى . ومنها ما قدمنا ذكره عند قيامه على سالم بن ثوينى أن الطاعون نزل على أنصار عدوه وشغلهم عن نصرته ولم يصب أحداً غيرهم أصلا ، وبقى فيهم حتى خلصت مسكد. ومنها ما حدث به رجل من أهل الشرقية أنه قال : كان لى مال بوادى بنى خالد قد كنزت منه ستين جراباً ولى مال آخر أديت زكاته لعامل الامام وأخفيت نصف الستين الجراب وهى غلة مال الوادى بل قلت لهم إنه جاء ثلاثون جرابا فأخذ منى زكاة ثلاثين جرابا قال فأما المال الذى أخرجت جميع زكاته فبقى تزيد غلته ، وأما المال الذى أخفيت نصف

غلته فلم يزد على ثلاثين جرابا من عهد الامام إلى وقته هذا وكانت المدة قدر عشرين سنة تقريبا فقيل له لعلك عطشته أو لم تسمده ، قال بل زدته ماء وسمادا . ومنها كثرة الخيرات فى زمانه ونمو البركات وزيادة الغلال على المعتاد زيادة لم يروها قبله ولا بعده ، ونعمت فى أيامه الرعية وعاشت فى ظل عدله وأمانه ، يسير الواحد فيها حيث شاء لا يخشى إلا الله تعالى ومنها أن المنافقين الذين جاهروه بالعداوة من قومه ذهب أكثرهم فى الفور حتى أن بعضهم لم يصل بيته بل سلط الله عليهم الموت بعضهم بالجدرى وبعضهم بغيره وبعضهم مات فجأة من غير مرض ومن مات منهم مات فى أسوأ حال ومن عاش منهم عاش فى شر معيشة ثم سلط على ذراريهم فمنهم من انقرض ولم يعقب عقبا ، ومنهم من سلب عزته التى كان فيها ، ومنهم من سلب نعمته ومنها أن رجلا من أهل النفاق سمع الثناء على الامام من الحاضرين ، فقال اسكتوا لئلا أتغوط من فى يعنى أنه سيقول كلاما خبيثا فسلط الله عليه بالحال آفة صار بها يخرج غائطه من فمه ثم مات . ومنها أن الله تعالى سلط على المتحاملين عليه الخوف من بعضهم بعض واغرى بينهم العداوة والبغضاء فهم يتقاتلون ويتناهبون دائما ووقعت بينهم الملحمات العظيمة فهم على ذلك إلى يومنا هذا ، ومنها أن الله تعالى أرسل عليهم بعد قتله ريحا شديدة قلعت أكثر نخيلهم وصارت عبرة للناظرين ويسمون تلك الريح ضربة الشلى ولشهرتها بينهم يتذاكرون بها تاريخ ماجهلوا تاريخه ؛ ومنها أن برغش بن سعيد سلطان زنجبار لما بلغه قتل الامام ضرب مدفعا فرحا مائة ضربة وضربة وذلك لأنه خاف على ملكه فأرسل الله عليهم ريحا شديدة حشرت زنجبار وكسرت المراكب وخربت

البيوت فيقال إنها كانت تأخذ سقوف البيت ومصابيحه ، والتجأ برغش إلى المسجد فقال له بعض الأفاضل هذه المائة الضربة والضربة فلم تبق بزنجبار شجرة قائمة الا ما غرس بعد ذلك إلا قليلا من ذلك ، ويقال إن طارقها قد تعمت من كثرة ما وقع من جذور الشجر . فاعتبروا يا أولى الالباب .

هذا ما حضرنا من ذكر كراماته رضى الله عنه . وأما فضائله فكثيرة وناهيك أنه قد باع نفسه لله وحسبك بثناء العلماء عليه وقد أطنبوا فى ذلك كما تقدم ، والله أعلم .

باب دولة السلطان تركى بن سعيد

ابن سلطان بن الإمام

وهو الذى خرج على الامام عزان وقد تقدم ذكره غير مرة ولما قتل الامام رضى الله عنه ودخلت البغاة البلاد أرسلوا إلى تركى وهو بسناو فسار إليهم واستوى على الكرسى ملكا بالقهر والغلبة على طريقة آبائه وكان ابراهيم بن قيس قد سار إلى صحار وفيصل بن حمود إلى الرستاق ، وكان بلوى عامل للامام يقال له محمد بن سعيد الهنائى فركب السلطان فى مركب وجاء فى البحر ومر على صحار وفيها ابراهيم والوالى عنده فلم يكن منه بصحار أمر بل جاوز عنها إلى لوى فركب عاملها من صحار إليها فلما أصبح أخذ من حضر وهم قدر خمسة وأربعين رجلا ونزل بهم الساحل ليلتقى جنود السلطان عند نزولهم من البحر فوجدهم قد نزلوا فى سور هنالك فدخل الوالى ومن معه فى نخل مقابل للسور وترابطوا هنالك قليلا ثم انحاز الوالى إلى الجانب الغربى من السور وتستروا ببيوت هنالك ووقف

الوالى فى سكة غير مستتر ينظر من يسير ويجىء فكلما رأى واحداً وثب عليه بالسيف وثبة الأسد وهرب منه بعض القوم حتى دخلوا البحر ثم جاءت رصاصة فضربته فى مدمع عينه فرفعته من الأرض قدر ذراع ثم سقط ميتا ، فلما رأى أصحابه ذلك هربوا وبقى منهم أربعة أرادوا حمله فأدركهم الضرب فأخذ واحد منهم التفق والثانى الكتارة والثالث الخنجر بلا قطاعة ثم نجوا بأنفسهم إلى الحصن وفيه ولده سيف بن محمد وكان شاباً فقام بالحرب أعوانه وجاء قوم السلطان فمثلوا بالوالى مثلة منكرة حتى أنهم قطعوا احليله والقموه فاه وجاءت به من الغد نساء فى سمة خباط كاللحم المقطع ثم نزل السلطان بمن معه وجرّ الجاردى على الحصن وقام الحرب ثلاثة أيام وسار بينهم الناس وواجه سيف بن محمد ونزل من الحصن وولى عليه السلطان والياً ثم رجع وجهز جيشاً ولى عليه بدر بن سيف بن سليمان البوسعيدى وحاصر صحار وفيها ابراهيم وطاولهم فى الحصار حتى خرج إبراهيم منها وجاء إلى الرستاق وفيها ابن عمه فيصل بن حمود وكان فيصل هذا قد غلبه أمر السياسة وأحب التخلى عن المملكة واتفق رأيه ورأى من حضر من المسلمين أن ينزل عن الحصون التى فى يده ويدفعها إلى إبراهيم فقطع لنفسه قطعاً من بيت المال واشترط أن تكون لنفسه قواماً فأنعموا له ونزل من الحصون وأقام ببيت القرن وكان فى حياة إبراهيم مكرما محترماً وقام إبراهيم بأمر المملكة وأرسل إليه السلطان غارة فصبحته أول النهار وهو فى الحزم نائم فأتاه الصريخ فقام من فوره وركب حصاناً وخرج إلى القوم فهزمهم وهو بنفسه قبل أن يلحق عليه غيره وفى القوم أو أكثرهم من لا يحب قتله للعصبية الباطنية وألجأهم هنالك إلى مضيق

واستجار به بعضهم فأجاره ، ويقال إن فى القوم خيالا وهو من خدام اليعاربة فقصده ابراهيم ليقتله فهرب على فرسه فسقطت خنجره من حزامه فقال له إبراهيم سقطت خنجرك يا خادم فقال ما عليها خنجر ، وما كان همه إلا النجاة بنفسه وخلصت للسلطان تركي حصون الساحل كلها. وأما حصون عمان فإنها تفرقت على الرؤساء الذين كانوا بها قبل الإمام ، فرجعت نزوى إلى حمد بن سيف الذى أخذها الامام من يده ، ورجعت بهلى إلى برغش ابن حميد الغافرى وسمد نزوى إلى الريامى ، ثم إن برغش بن حميد قبض على شيوخ العبريين بسياسة من بعضهم لبعض وقتلهم فى سجنه بعض أقاربهم ثم سلط الله على برغش أخاه ناصر بن حميد فقتله وقتل أخاه راشدا وصارت بهلى ويبرين إلى ناصر وهو صاحبهما اليوم . وأما نزوى فانها بقيت فى يد حمد بن سيف زمانا وكان عسكره بنى هناة وكان قد اتخذ هلالا بن زاهر رئيس بنى هناءة صاحبا خاصا فاحتال هلال على حمد فأخرجه منها وقبضها هلال لنفسه وأظهر للناس أنه فيها نائب السلطان ثم انكشف الحال بعد ذلك انه ليس بنائب بل هو مستقل بها لنفسه وبقى فيها مدة طويلة حتى مات حمد بن سيف وجاء ولده إلى نزوى فضرب هلالا بتفق فقتله وكان ذلك فى أيام السلطان فيصل بن تركي فأرسل إليها عامله لحربها فأخذها من أولاد هلال بن زاهر وولى عليها سيف بن حمد قاتل هلال .

ثم سار ابراهيم بن قيس إلى المصنعة فأخذها من عامل السلطان فأرسل السلطان إليها مركبا للنصارى لحربها فخرج منها إبراهيم وجاء سالم بن ثوينى إلى الشرقية وأقام ببدية يطلب النصرة على عمه السلطان تركى فلم يتفق له ذلك ثم مضى إلى المندومات بها وفى آخر ذى القعدة من سنة تسعين ومائتين وألف

خرج شيخنا صالح بن على الحارثى — وهو المراد عند إطلاق لفظة شيخنا — بمن معه من المطاوعة وغيرهم على السلطان فساروا وتعجل الشيخ بمن معه من مقدمة الجيش لينال غرة من مسكد ، فطلع عليهم الفجر دونها فرجعوا وأناخوا بسويح الحرمل وتجمع الجيش هنالك وكان قد صادفهم بعض الحطابين فأخبروا عنهم فى مسكد وكان السلطان مريضاً فخرجت إليهم جنوده وأكثرهم الوهابية وعليهم رؤساء الدولة فجاءوا إلى السويح بعدّهم وعديدهم فالتقاهم بوادر الجيش فاقتتلوا يسيراً ثم انهزمت جنود السلطان فركبهم الجيش قتلا وأوسعهم طعناً وضربا فقتلوا منهم خلقا كثيراً ثم دخلوا مطرح ونزل الجيش بها وسالمهم السكوت وأرسل السلطان إليهم عامله بدر ابن سيف ليرضيهم بما أرادوا فقال الشيخ لا نرضى إلا بدخول مسكد فقال العامل أنا أدخلكم إياها فليصحبنى من شئت من قومك وكان ذلك تلطفاً منهم ليتمكنوا من المكيدة فأرسل الشيخ عنده سبعين رجلا وفيهم رئيس الحجريين هلال بن سعيد وحمود بن سعيد الجحافى فدخلوا مسكد واتفقوا أن يأتيهم الشيخ بالجيش من الغد وما كان عند السلطان لهم مدافعة لكونه مريضاً ولأن أنصاره من القبائل لم تصله ، فاستحضر السلطان حمود الجحافى وشكا له الحال وتلطف به وخلع عليه الخلع ومناه الأمانى وقال له ردّ عنى القوم بما شئت ولك ما شئت . قال شيخنا فلما كان الغد خرجت بالجيش من مطرح إلى مسكد فلما صرنا بالعقبة إذا نحن بحمود مقبلا قال فأخذنى فى ناحية وقال إن السلطان يعد لك الفرائض ويغنيك بما تحب ويعطيك الآن ستة آلاف قرش وترجع عنه ، قال فقلت اتق الله ما لهذا جئنا إنما جئنا لإظهار العدل وتقويم الأمر

قال نحن لا نريد ملكا فاما أن تأخذ هذا الوجه واما أن أفرق هذه الدراهم فى الجيش وأخذلهم بها ، قال وقد علمت انه إن لم أقبل سيفعل ما قال فقلت له إن لم يكن لك بد عن هذا فخذ لنا منه خمسين ألفا ، قال يكفيكم هذا ، قال شيخنا فلم نقدر عليه إلا بما يريد وعلمت أنه سيفسد علىّ القوم فطاوعته وخرجنا من مطرح ثم قاموا على السلطان مرة أخرى وكتبوا لابراهيم بن قيس أن يلاقيهم فلاقاهم بمن معه وجاءوا على الراوية وحاصروها ثم تخاون القوم ورجعوا من غير شىء ، ثم قاموا على السلطان قياماً ثالثاً وفيهم أخو السلطان عبد العزيز بن سعيد فساروا حتى اقلوا[١] السلالم على سيران مسكد فقصرت السلالم فسقط بعضها على الأرض وجنود السلطان تضربهم من أعلا السيران فرجعوا عنها من غير شىء .

وسبب خروج عبد العزيز عندهم على أخيه ماوقع بينه وبين أخيه من الضغن على الدولة ، وذلك أن عبد العزيز كان بالهند وأرسل إليه أخوه السلطان وضمه إلى نفسه واستعان به على أمره ، واستخلصه على مملكته حين خرج لحرب النزار من أزكى ، وكان السلطان قد قدم بعض رؤساء الهناوية ، فاحتالوا عليه حتى خرج من مسكد وسار إلى جؤاذر وملكوا أخاه عبد العزيز بن سعيد طمعا فيما عنده فلم يجدوا عنده ما تأملوا فكاتبوا السلطان تركى أن يأتى إليهم بمسكد وعملوا الحيلة لعبدالعزيز فأخرجوه من مسكد إلى سمائل وعقب السلطان لمسكد وخرج عبد العزيز من سمائل إلى الشرقية وأقام بسمد الشان زماناً وخرج على أخيه

---

(١) فى الأصل قلوا فإن لم تكن هذه لغة عمانية فصوابه أقلوا أى رفعوا كما صححناه والله أعلم .

فلم يتفق له مطلوبه ، ثم سار إلى الهند فى أيام فيصل بن تركى وأقام بها زماناً ومات فيها ثم أن السلطان بعد رجوعه من جوادر قبض على الرؤساء الذين احتالوا عليه وفيهم حمود بن سعيد الجحافى فقيدهم وسجنهم فما فكهم منه إلا شفاعة شيخنا وكان له عنده كلمة ، ثم خرج إبراهيم بن قيس ملك الرستاق فأخذ المصنعة مرة أخرى وجعل عليها عاملا ورجع من هنالك وأحاط بالعوابى ، ثم جاء السلطان بجنوده إلى المصنعة فجاء إبراهيم إلى آل سعد يطلب نصرتهم وأقام بالبلدة يعدونه فلم يفوا له حتى خلصت المصنعة للسلطان ورجع جيش إبراهيم عن العوابى خالياً ورجع ابراهيم إلى الرستاق ثم جاء أهل سرور يستنصرون على جيرانهم بنى جابر وطلبوا من شيخنا أن ينصرهم وأقام رئيسهم عند عبد العزيز بن سعيد بسمد الشان يطلب منه النصرة فاتفقوا على نصرته فساروا جميعاً حتى مكنوهم فى أماكنهم وأذلوا خصمهم وكان السلطان قد مال بعصبيته إلى بنى جابر فأخرج إليهم بعد ذلك بعض أولاده فسار شيخنا وأقام بوادى الراك من الجرداء فرجع جيش السلطان ولم يكن بينهما قتال ثم خالف السلطان بنوا بطاش فبقوا كذلك مدة ثم تمكن السلطان من رئيسهم فقتله وجمع لهم جنداً فسار إليهم يقدمهم ولده فيصل فدخلوا بلدانهم وتمكنوا منها .

ثم خرج إبراهيم بن قيس وأخذ حصن السويق من الباطنة فجاءه مركب للنصارى من قبل السلطان فخاطبه بالخروج فخرج قبل أن يضرب ثم رجع من هنالك إلى الرستاق وأقام بها زمانا ثم خرج فأحاط بالعوابى وحاصرها بضعة عشر يوما وضرب حصنها بمدفع فخلصت له وكان ذلك آخر عمر السلطان تركى .

وفى سنة إحدى وثلاثمائة وألف مات الشيخ محمد بن سليم الغاربى رحمة الله عليه ، وكان موته بالخبة من الباطنة وفيها قبره ، وفى هذه السنة أيضاً مات بالشرقية الشيخ سعيد بن على الصقرى ، وكان رجلا فاضلا يؤوى الاخيار ويحب العلماء وبينه وبين علماء المغرب مكاتبة[1] وله عندهم خصوصية وفى آخر سنة خمس وثلاثمائة وألف مات السلطان تركى بن سعيد واستوى من بعد ولده فيصل بن تركى على الكرسى .

---

(١) رأيت له مكاتبات مع شيخنا قطب الأئمة وكان يرسل إليه بعض تآليفه ليبرزها إلى عالم المطبوعات منها كتبه الثلاثة فى البلاغة كتب على كل منها بخط القطب : يرسل إلى الشيخ سعيد الصقرى ليطبعه ثم يرده : وقد رأيت مثل هذا على كثير من تآليفه الاولى ويظهر أنه كان عازما على طبع كثير من تآليف شيخنا ، ولم تسعفه المقادير فعجلته بالموت رحمهما الله وله ثواب نيته فنية المؤمن خير من عمله ، والحمد لله

باب دولة السلطان فيصل بن تركى

ابن سعيد بن سلطان بن الامام

ولى السلطنة فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وكان هو أوسط اخوته ،
وكان أحسنهم سياسة وحزماً ، فاستوى على الكرسى وأرسل رسله إلى
شيخنا يذكر له وفاة والده ويطلب منه المهادنة والصلح ، فعقدوا الصلح
بينهما ثم أخذ فى جمع الجيوش وخرج بها إلى الرستاق فى أول سنة ست
وثلاثمائة وألف وعسكر بيركا وأتاه بعض الرؤساء يكلمه فى الرجوع عن
الرستاق وترد إليهم العوابى لأنها أخذت منهم قريباً فظنوا أن الخروج
لأجلها فلم يقبل ذلك ومضى بنفسه فى الجيش حتى دخل الرستاق وعسكر
فى برج المزارعة وسحبت المدافع وقربت من الحصن وضرب بها الحصن
وفيها يومئذ إبراهيم بن قيس وأولاد أخيه الامام عزان وكان ممن اشتهر
يؤمئذ بالدفاع سعود بن الامام فإنه كان أكثر ملوكها دفاعا وبقى الحرب
كذلك زمانا ثم تخاونت جنود السلطان وجاء أهل الباطنة لنصر إبراهيم
بجيش عظيم وتبين للسلطان الخيانة فى قومه فرجع عنها بدون شىء وبقيت
العوابى فى يد إبراهيم ورجع السلطان إلى مسكد . وفى أول سنة اثنتى عشرة
وثلاثمائة وألف دخل شيخنا وادى دما وكان بها بنوا شهيم قوم أظهروا البغى
وطلب منهم شيخنا الحق فأبوا وسار إليهم بالجنود ودخلها بعد أن ظنوا أنها
مانعة لا يقدر عليها: ودما هذه غير دما المشهورة فى الكتب فإن المشهورة
هى السيب وليست بمانعة لأنها أرض من الباطنة وهذه واد قد اكتنفته

الجبال الشامخة ثم وقع بين السلطان وبين شيخنا بعض أشياء فى النفوس وكتب إليه شيخنا كتابا ذكر له فيه أنه لا يملك إلا نفسه يعنى أنه لا يعطيه ذمة إلا عن نفسه ، فقيل أن السلطان استنكر الكتاب، وقال له قائل : أن هذا الكتاب يشعر برد البرى فأعرض السلطان عن الكتاب وجعله كلاشىء ولعله إنما فعل ذلك رغبة فى استبقاء الصحبة .

ثم خرج عبد الله بن صالح بن على الحارثى وسار إلى نزوى فى جماعة عديدة لأمر مهم هنالك ثم رجع من نزوى على طريق أزكى ثم على وادى بنى رواحة ثم على سمائل ثم دخل مسكد فقابلهم السلطان بالاكرام فلما كان بعض الليالى هجموا على بيت السلطان وعلى سائر المقابض فتمكنوا منها وخرج السلطان إلى الكوت ثم جاء شيخنا بالجيوش ومعه سعود بن الامام حتى نزلوا بسويح الحرمل وكتب للسلطان كتابا كشف له فيه القناع أنه حرب له ، فقام الحرب فى مسكد ونصرت الغافرية السلطان والهناوية الشيخ ، وكذلك الرحبيون نصروا الشيخ وقام الحرب نيفاوعشرين يوما ثم دخل الناس بالصلح بينهم ودفع السلطان إلى الشيخ اثنى عشر ألف قرش وتوثقوا على أشياء لم يف السلطان بشىء منها وكانت هذه الدخلة فى شعبان من هذه السنة ثم رجع الشيخ إلى وطنه القابل من الشرقية وأقام بها .

وفى اليوم السابع من ذى الحجة وقت الضحى من سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وألف مات عبد الله بن شيخنا صالح بن على ، وسبب وفاته مرض أصابه بين أهله بعد رجوعهم من واقعة حرب مسقط الأخير بمدة تزيد على الشهرين قليلا وقد كان فى وقته منفرداً بالسياسة فى الحروب

والتدبير فى الدول والبسالة فى الأمور والشجاعة فى الإقدام وكان على وفق مراد والده المذكور ، وقد سارت بسمعته الركبان واشتهر بهذا الوصف فى جميع البلدان مع صغر سنه فانه توفى وهو ولد عشرين سنة أو فوقها بقليل ، وفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف فى يوم الأربعاء وقت العصر لست مضين من ربيع الآخر توفى شيخنا الصالح صالح بن على بن ناصر بن عيسى بن صالح الحارثى ، وسبب وفاته أنه خرج مجاهداً فى جيش ، فحمل على بلد الجيلة ـ وكانت من أعوان الجبابرة ـ فى ضحى ذلك اليوم فأصابته رصاصة فى فخذه فبقى جريحاً حتى توفى شهيداً فى وقت العصر . ولم يمت رضى الله عنه حتى أقر الله عينه بنيل مطلوبه فى أهل الجيلة ، فان أولاده الكرام حملوا بمن معهم من الأقوام على أولئك الظلمة ، فاستفتحوا دارهم ومحوا آثارهم ، فبقى القوم بين طريد وأسير وقتيل ثم أمر به ابنه عيسى فحمل إلى علاية سمائل فدفن فيها ، غفر الله له ورحمه ورضى عنه وبرد مضجعه آمين . وقد كان رضى الله عنه أعلم أهل زمانه فى الحلال والحرام وأشدهم حرصاً على قوام الإسلام وأكثرهم خصالا فى صفات الكرام ، وكان أحد الثلاثة الذين دارت عليهم مملكة إمام المسلمين عزان بن قيس رضى الله تعالى عنه . وأما قريناه الآخران فهما شيخنا سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلى الخروصى وشيخنا محمد ابن سليم الغاربى ثم استشهد ذلك الإمام ووزيره شيخنا الخليلى وبقى هذا الشيخ من بعدهما محارباً للجبابرة ومسارعا إلى أعمال الآخرة ، وله فى ذلك وقائع مشهورة وأحاديث مذكورة ، وقد استشهد رضى الله عنه وعمره يناهز الستين سنة ، وتأمر بعده ولده عيسى بن صالح ورجع من

الجيلة إلى وطنه فلما وصل وطنه بلغه أن السلطان جمع الجيوش لحرب بني رواحة وكان بنوا رواحة من أنصار الشيخ وكان السلطان قد طمع بموت الشيخ أن يصيب من أنصاره غرة فجمع الجموع وأرسل إليه عيسى يكاتبه بالتأخير عن الحرب ويمنيه بالوجوه الجميلة فلا يرى فى أجوبته إلا الخشونة، فجمع السلطان جنوده وسار إلى وادى سمائل ونزل بسيجا وكان بنو جابر من أعوانه وأنصاره ، وركب الأمير عيسى بن خف معه حتى نزلوا العلاية من سمائل وفيها أولاد الشيخ الخليلى ، وكان أحمد بن سعيد ولد الشيخ الخليلى عالما فاضلا وكان قد رأى فى منامه قوله تعالى « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فاستبشر الشيخ وبشر إخوانه ، فلما جاوز السلطان إلى سيجا وكانوا يظنون أنه يقصد العلاية أراد الأمير عيسى أن يركب إلى الوادى الغربى ليحميه خوفا عليه من السلطان فقال رؤساء العلاية إن هذه مكيدة من السلطان وإنه لم يقصد الوادى وإنما قصده العلاية فعمل الأمير ومن معه حيلة فأرسلوا من يصيح بالقوم فركبوا فى هيئة من يثبت الصائح حتى دخلوا الوادى الغربى ونزلوا فيه وأخذوا مقاعدهم للقتال وكان السلطان قد أرسل إلى رؤساء بنى رواحة أن يواجهوا فواجهوا على يد شيوخ بنى غافر ومنهم — وهو كبيرهم — ناصر بن حميد صاحب بهلى ، فلما وصلوا أمر بهم السلطان فقيدوا فكلمه الشيوخ فيهم فأبى أن يطلقهم ورأى أنه لا خفر لهم عليه لأنه سلطانهم ، فدخل ذلك فى نفس الشيوخ لأنهم يرونه نقصاً فى منزلتهم وتضييعاً لذمتهم. وكان ذلك سبباً لخذلان السلطان ، فمشى بعض الشيوخ إلى بعض واتفقوا أن لا يجتهدوا فى حربه فأمر بالمسير إلى الوادى وخرج هو فى أولهم فخرج الجيش

أجمع ، فلما قربوا من الوادى انحاز الشيوخ الذين اتفقوا على خذلان السلطان على جانب فى موضع يسترهم عن الضرب جبل ، واندفع باقى جنود السلطان إلى الوادى وأكثرهم بذلا فيهم بنوا جابر فوقع الضرب من الجانبين وكانت الصمع يومئذ قليلة لايوجد منها عند الأمير وأصحابه فى ذلك الوقت إلا قدر ثلاثين تفقا وهى التى هزمت القوم . وأما جند السلطان فكان عندهم من الصمع شىء كثير قيل إن عددها فى دفتر السلطان كان أربعة وعشرين مائة تفق(١) . وأما عدد الرجال من جنود السلطان فقد كانوا آلافا كثيرة فوقع الضرب من الفريقين وضرب مدفع السلطان ، ثم وقعت على المدفع خلة قيل إنها انكسرت رجله ثم انكشفت جنود السلطان بعد أن كادوا يشارفون الوادى فأصيب منهم قتلى تزيد على أربعين رجلافيما قيل فرجعوا على أعقابهم وكان السلطان بنفسه يحرضهم على فرس قدامهم ، فلما انهزموا رجع السلطان إلى حصن سمائل ثم منها إلى مسكد ولم يقتل من أصحاب الأمير أحد إلا رجل كبير السن من بنى رواحة كان فى زرع هنالك فجاءته رصاصة سائبة فقتلته ، فرجع الأمير بمن معه بالنصر والسلامة ، وفى شوال وقت المغرب ليلة أربعة وعشرين من هذه السنة وهى سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف .

توفى سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدى ببندر مطرح وكان قاصدا لحج بيت الله الحرام بالأجرة عن غيره فأصابه فيها ألم الجدرى فمات منه ودفن فى ذلك البندر بالموضع المعروف بالعريانة ، غفر الله له ورضى

---

(١) لعله أراد ألفان وأربعمائة أو سقط الواو للناسخ والأصل أربعة وعشرين ومائة فليتأمل

عنه وكان من أهل سناو فانتقل منها إلى الفتح من بلدان الشرقية ، وكان مسارعاً إلى الخيرات معروفا بالسكينة والوقار تاركا لحظوظ النفس ومتصفاً بالكمالات الإنسانية ، مجداً فى تحصيل العلم النافع وفى الاستفادة والإفادة فيه،ومهر فى العلم مع صغر سنه فانه توفى وعمره نيف وعشرون سنة على التحرى ، ومات بعد أن شرع فى التصنيف فإنه قد صنف منظومتين فائقتين فى فنهما : إحداهما فى الرد على من يدّعى قدم القرآن نونية سماها فيض المنان ، والثانية لامية فى الدفاع والجهاد سماها « علم الرشاد » .

وفى سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف فى اليوم التاسع عشر من شعبان توفى أبو عبد الله حمد بن سيف بن سعيد بن راشد البوسعيدى رضى الله عنه. وسبب موته رحمة الله عليه أنه خرج حاجا من عمان عن غيره ، وكان قد حج عن نفسه فتوجه أولا [إلى] أرض السواحل ، ومر على ساحل الهند ، فأصابه ألم الجدرى بالبندر المعروف « بمبى » وهو يومئذ فى يد النصارى أخزاهم الله تعالى وأذلهم وقد كان عالما فاضلا نبيها فطنا نزيها اتفق كل من يعرف حاله على تفضيله على سائر فضلاء مصره فى دهره وكان سنه يوم توفى نيفا وأربعين سنة بل كان إلى الخمسين أقرب ، وفي سنة ستة عشر وثلاثمائة وألف فى اليوم الرابع من المحرم عند غروب الشمس توفى والدى حميد بن سلوم السالمى في بندر جدة من ألم الجدرى، وفى يوم أحد عشر من هذا الشهر المذكور توفى إبراهيم بن قيس أخو الامام بالرستاق وكان ملكها ، وملكها من بعده سعود بن الامام عزان بن قيس وكان إبراهيم قد خلف ولدين أحدهما صغير جداً يقال له أحمد بن إبراهيم والثانى رجل شاب يقال له سعيد بن إبراهيم،وكان إبراهيم قد جعل عسكر

قلعة الرستاق من بنى هشام ورئيسهم ناصر بن محمد المخطوم فاتفقوا هم ومن
حضر من رؤساء الهناوية على تقديم سعود فلما دخل سعود الحصن هرب
سعيد على فرس ومعه رجلان أو ثلاثة أهل خيل حتى جاءوا الحزم وكانت
رؤساء الهناوية قد جعلوا فى الحزم نائباً من أهل الباطنة يقال له حمدان ليمنع
الحصن من سعيد ، فلما جاء سعيد صادف حمدان على باب الحصن فأمسكه
وقال لابد من فتح الحصن أو أقتلك فناداهم أن افتحوا له ففتحوا له فدخل
فلما دخل سعيد الحصن ظهرت حجته على من فيه فأخرجهم منه وبقى هو
وأعوانه وكان سعود بن عزان ثقة تقياً فاضلا مرضياً كان شيخنا يفضله على
أبيه الامام قبل عقد الإمامة وكان قد هم بعقد الإمامة عليه بالقابل من
الشرقية وكتب للقبائل أن يحضروا البيعة فجاءت القبائل بعضهم قد وصل
وبعضهم فى الطريق فكان من الأمر المقدر أن حصلت موانع عن تمام ذلك
العزم ، ولا حاجة إلى ذكر مامنع . فلما تولى سعود الرستاق كتب إلى
أفاضل المسلمين ورئيسهم عيسى بن صالح فحضروا معه بالرستاق وفيهم أيضاً
ابن عم الامام فيصل بن حمود ووصل شيخنا ماجد بن خميس العبرى وقال
سعود بن عزان قد كنتم تحاولون معقلا للمسلمين تقيمون فيه العدل وقد
مكننى الله من هذا المعقل فقبضته لكم حتى تصلوا فإما أن تكونوا شركائى
فى الأمر وإما أن أخرج إلى بيتى فقال له المسلمون كن مكانك ونحن إن
شاء الله تعالى من ورائك ومن أعوانك ، وهذه ثقات الرستاق يعينونك
على مهماتك الحاضرة وتكلموا فيما بينهم أن ينصبوه إماما على المسلمين وعلى
ذلك صمم عزمهم ، وكانت الناس من الأطراف ينتظرون تقديمه اماما

لعلمهم بأهليته وكتب بعض الأفاضل من بعض الأطراف فى ذلك قصيدة ميمية أحفظ منها قوله :

فإن شاء الإله فمن قريب يقال له الامام ابن الامام

فلم يقدر الله ذلك ولا يكون إلا مايريد الله وكما تكونون يولى عليكم ، فانفشل الأمر وضعف العزم ورجع كل إلى بلده ومات حمود بن سعيد الجحافى بالرستاق فى هذه المرة وبقى سعود بن عزان أميراً عادلا على الرستاق وما يتعلق بها والعوابى وسار فيما ملك سيرة حسنة وولى أمره العلماء والثقات وجعل نفسه كواحد منهم .

وفى شوال من هذه السنة قصد الأمير عيسى بن صالح وبعض أصحابه الحج على طريق البر فمر على سعود بن عزان بالرستاق ، ثم على زايد بن خليفة فى بوظبى ثم إلى قطر ثم إلى الأحساء ثم إلى نجد ثم إلى المدينة ثم إلى مكة وكان بنو هشام وهم عسكر قلعة الرستاق قد شق عليهم مارأوه من عدل سعود وحسن سيرته وشق على رؤساء النفاق من أهل الرستاق وغيرهم ذلك فخافوا أن يكبر أمره وقد رأوه يكبر فعملوا المكيدة فيه واحتالوا عليه بواسطة أخيه حمود بن عزان فأدخلوا حمودا الحصن خفية ليلة ثمانى وعشرين من شوال من سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف فلما طلع الفجر خرج سعود بن عزان للصلاة بالجماعة الذين لازموه فى غرفة الصلاة فصلى بهم ركعة من فريضة الفجر ، فلما قام إلى الثانية نقمت فيه من ورائه التفاق فقتلته من حينه وضربت رجلا من ورائه من حبوس الروضة كان معه يسمى محمد بن مطر وهو خال حمود بن عزان ، والضاربون فيهم بعض رؤساء بنى هشام ومكنوا حمود بن عزان وهو أخو سعود من الحصن ودفن سعود

تحت الحصن من الجانب الغربى فقيل إنهم كانوا يرون الأنوار عليه ساطعة ، وبقى حمود فى يد بنى هشام آلة ووسيلة لهم على ظلم أهل الرستاق وأما العوابى فان واليها بعد قتل سعود سلمها إلى سعيد بن إبراهيم ثم أساء سعيد فى أهلها السيرة فتعصبوا بالعبريين فأحاطوا بها وأخرجوا عسكر سعيد وتمكن منها السلطان فيصل فصارت له إلى اليوم وفسدت أمور الرستاق وسلط الله عليهم الآفات من جدرى وطاعون ، وسلط عليهم الظلمة يسومونهم سوء العذاب وقامت قائمة من أكابر آل سعد أهل الباطنة وأرادوا أن يحتالوا على حصن الرستاق ليدخلوه ويمسكوه عن بنى هشام ففطنوا لهم فوقع بينهم ضرب وقتل فى الفريقين وقتل ناصر بن محمد رئيس بنى هشام وذلك كله داخل الحصن وترأس بعده أخوه حارث ابن محمد وبقيت الرستاق لحمود بن عزان اسما ولحارث بن محمد معنى وفسدت أمورها واختصمت رعيتها واحترب أهل الغشب وتعصبوا بالقبائل الخارجية ووقعت بينهم حروب فلما رأى حمود بن عزان وحارث ابن محمد فساد الأمور عليهم واختلاف الرعايا كتبوا للأمير عيسى أن يصلهم وكان الأمير قد تأخر عنها لأنه لا يعرف لها قابضا أمينا ، فمن قدر الله تعالى أن أظهر سعيد بن إبراهيم المتاب وكتب بعض ثقات الرستاق بتوبته وكان ذلك منه مخادعة المسلمين يطاب بها الرستاق فيما ظهر من أمره بعد ذلك .

إذا سبحت قيطون همت بسرقة   فحذرك من قيطون حين تسبح

فركب الأمير ومن معه من الشرقية وكان السلطان قد نشب أظافيره بالرستاق طمعا فيها حتى قيل إنه كان بنو هشام يعدونه بها ،

فأرسل ولده تيمور وخادمه سيف دولته سليمان بن سويلم فى مركب فأنزلهم بالسيب ثم ارتفعوا الى الخوض ورأ ! قو ما من بنى جابر فقطعوا عقبة القرط على طريق الامير وكان طريقاً ضيقاً فجاء الأمير بنى سرور ثم منها إلى فنجا بعد منافعة حصلت بين بعض القوم و بين أهل العمقات من ! ميا بيين بعد طلوع الشمس بنحو ساعة ثم قالوا بفنجا ثم راحوا منها و درو فى وادى فنجا فوافقوا بعض سبور قو م السلطان هنالك فأمسكوه هم ، فقبل غروب الشمس بقليل وصلوا قرب عقبة القرط فرآهم الرصد ف موا فيهم فعقل القوم ركابهم وركضوا على من بالعقبة فانهزموا ولوا الأدبار ولا ندرى مالذى وقع فيهم . وأما قوم الأمير فلم يصب أحداً نهم بأس لافى أول النهار ولا فى آخره ، ثم ساروا حتى عرسوا بفليج السيد ثم نشروا حتى قالوا بوادي المعاول فى بلد حبرى ثم راحوا حتى باتوا بين العوابى والرستاق ثم صبحوا الرستاق فتلقاهم حمود بن عزان بأهل الخيل فى علاية الرستاق للتجليل والإكرام ، ثم ساروا معه حتى أنزلهم مسجد البياضة وهنالك واجهه أمراء العسكر من بنى هشام فذكر لهم ما كتبوه له ووعدوه به وهو أن تكون الدار داره والحصن حصنه فلم يجد منهم وفاء ، وأقام ثلاثاً يراجعهم فى الوفاء بما وعدوا فامتنعوا ، فخرج مغاضباً وهو يعزم على أن يأتوا بسعيد بن ابراهيم من الحزم و يقاوموا الحصن بحرب ، وكان حمود بن عزان قد مل الإقامة بين بنى هشام لكونهم قد استطالوا عليه وحكموا القابض دونه ، فأرسل إلى الأمير أن ينتظره أو يصل إليه بصباح الشرجة فأرسل إليه الأميرانى أنتظرك بمسجد قصرى فوصل حمود بن عزان مسجد قصرى وأظهر التسليم

والإذعان وقال لا أحب أن أكون هنا بين بنى رواحة إلا أن تزيلوهم عنى فمكث عندهم وأرسلوا إلى سعيد بن إبراهيم وجاءوا به وبقى حارث بن محمد يماكرهم ويمدهم ويمنيهم وكان السلطان قد نزل بالمصنعة وأرسل ولده تيمور بجيش وأقام فى جما وأرسل خادمه وعامله سليمان بن سويلم بجيش وأقام بالعوابى ، وكان ولده نادر بن فيصل ببركا ومعه قوم والسلطان فى مركبه بازاء المصنعة وتارة يشرق به وتارة يغرب والكل يحاولون الرستاق وحارث يماكر الجميع وأقاموا على ذلك شهراً ، ثم ان حارث بن محمد وهو أمير الحصن أرسل إلى الأمير عيسى والى سعيد بن إبراهيم أن يدخلوا عليه الحصن للمشورة والنظر على شرط أن لا يزيد من دخل على سبعة أنفس فشاور الأمير من حضره يقول يسعنى أن ادخل معه فأجيب أن الدخول ليس بتمليك ولو كان سعيد جائراً جاز لك الدخول معه على هذا الحال فانه دخول للمشورة فقط ، فدخلوا وبقوا فى المشورة وحارث يشرط الشروط على سعيد : أنك تكون أنت الملك على شروط ذكرها فلم يتفقوا تلك الليلة ثم أصبحوا فلم يتفقوا إلا بعد الظهيرة أو بعد الظهر وذلك أن حارثاً يشترط على سعيد أن لا يبرز فى الحصن ولا يدخله إلا بأربعة أعبد وعسكر الحصن كله من جماعة حارث وكانوا يريدون غير هذه الشروط فأبى حارث الا التمسك بها ولا قدرة لهم على زواله بالقهر، فلما رأوا ذلك أعطوه ما طلب ، وضربت المدافع اعلاما بأن الملك سعيد بن إبراهيم وأطلق حارث الباب فارتفع الأمير ووجوه قومه فى الحصن وأقاموا فى الغرف وحارث مع ذلك يماكر السلطان ويمده ويمنيه والسلطان مقيم على ما تقدم ، ثم انكشفت لهم أحوال حارث واطلعوا على بعض مكاتبته

للسلطان وكان يعد السلطان بادخاله فى حصن الرستاق وكان حصن المزاحيط فى يد السلطان أعطاه إياه حمود بن عزان وقت مخالفته هو وابن عمه سعيد بن إبراهيم وبقى فى يده إلى اليوم ولم يكن للسلطان منه فائدة لـكن له بقبضه غوائل ، فوصل ولده تيمور يوماً ببعض قومه إلى حصن المزاحيط ، ثم رجع إلى جما . ثم إن الأمير ووجوه قومه قد صمم عزمهم على إخراج حارث ومن معه حين رأوا أنه مخادع فعملوا لذلك الحيلة وأظهروا أن الأمير يقيم بالرستاق عند سعيد بن إبراهيم ويرخص قومه يرجعون إلى الشرقية فقالوا لوجوه لقوم من شاء منكم الرخصة فليجئ بكرة عندنا وكان مقامهم بالحصن وكان مقام البدو خارجاً ، فلما تعالموا بالرخصة جاءوا وقت الضحى واجتمعوا كلهم بالحصن ، وحارث لم يفطن للمكيدة وكان من مخادعته أن أظهر أنه تائب يتعاطى النسك ، وكان سالم بن عمير من وجوه القوم وكان حارث قد اتخذه صاحباً لا يفارقه مكراً وخداعاً وأراد سالم بن عمير أن يكتب وصية عند القاضى راشد بن سيف اللمكى فخرج فى ذلك الوقت إلى القاضي بقصرى ليكتب له وصحبه حارث والناس يجتمعون بالحصن لأخذ الرخصة فى الظاهر، وكان الأمير ومن معه قد أخرجوا دفتر القوم الذى فيه كتابة نفقاتهم، وأخرجوا كيس القروش وكل من رأى ذلك من البدو قعد ، ولم يفارقهم كيلا يكون الإنفاق وهو غائب . ثم أبطأ عليهم حارث ، فقال قائل : أرسلوا إليه يذهب من هناك ، فأبى الأمير إلا أن يأخذه بحجة وبيان . ثم خرج إليه الأمير بنفسه ولا أقول منفرداً بل يحتمل أن يكون معه رجلان ، وكان قبل ذلك قد أرسل إليه فلم يحضر ، فلما سار إليه تلاقوا بالطريق ، فقال حارث — أو سالم —

ماهناك قال سعيد بن ابراهيم أبى أن نرخص القوم وجماعة حارث فى الحصن
وقال أنه يخشى على نفسه منكم ويخاف أن تصنعوا به مثل ماصنعتم بسعود
فلما دخلوا الحصن ورأى حارث القوم مجتمعين فيه أيقن بالذل واستشعر
العجز وعلم أنه لا محالة خارج من الحصن ، وقال له الامير ومن معه قد
أعطيناك جوابًا[1] أن تكون فى الحصن واليًا ونحن نفى لك بذلك ولكن
رخص جماعتك وابق عندك اثنى عشر رجلا حتى يأمن سعيد بن إبراهيم
من غوائلكم ، وقال حارث لا أقيم إلا بجماعتى ولا لى مقام بعدهم فقالوا له إذن
يكون ذلك برأيك فلا تقل أخرجناك فحمل جميع ما فى الحصن مما قدر
على حمله وأعطوه عن الاثقال دراهم بقدر قيمتها وزيادة وأتوه بالركاب
وخرج بين المغرب والعشاء وأرسلوا معه الخفراء وصحبوه إلى العوابى
وفيها سليمان بن سويلم خادم السلطان وواليه فلما رأى السلطان ذلك
أيس من الرستاق ورخص باقى الجنود ورجع إلى مسكد ، وكان هذا آخر
رجب من سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والف وكان ركوب الأمير بمن
معه من الشرقية إلى الرستاق فى أواخر جمادى الاخرى من السنة المذكورة
فمدة المرابطة قدر شهر ، ثم بقى سعيد بن إبراهيم فى حصن الرستاق والحزم
وكانوا يظنون فيه بعض الخير وكانوا يرون انهم لم يدخلوه فى حصن الرستاق
وإنما ادخله حارث لكنهم اخرجوا حارثا عنه وبقى هو وهم فى الحصن
وكانوا قادرين على اخراجه أيضا غير انهم لم يجدوا الأصلح فى الحال ولم
يتهيأ لهم ذلك الحين إلا السكوت عن التقديم والتأخير وكانوا يظنون منه

(١) كذا فى الأصل ولعله أراد جواب طلب حارث وإلا فهذه اللغة عامية وقد استعملها المصنف كثيراً رعاية للسواد من العامة على مايظهر أو احتفاظا بالأصل المأخوذ منه وكان الصواب : فأعطيناك كتابا أو عهداً فليتأمل .

غير ماوقع ، وكان قد أظهر لهم الجميل وأعطاهم العهود فرخص الامير جنوده وبنى هو ومعه خادم يخدمه عند سعيد فى حصن الرستاق ليكون مطلعاً على أحواله مقوما لاعوجاجه وبقى سعيد يداريه ما دام عنده ، ثم آنس الامير منه الانحراف عما كان عاهدهم عليه وكتب إلى بعض وجوه قومه يخبرهم عن الحال الواقعة من سعيد فسار إليه منهم جماعة ورجعوا جميعاً إلى الشرقية وبقى سعيد بن ابراهيم هنالك ، وأظهر بعد خروج الامير عنه ما كان يستره من خبث السريرة وسوء السيرة وظلم الرعية ، وأفسد فى الأرض ولم تزل اليعاربة تحاول حصن الحزم حتى وجدوا له فرصة فى أيام سعيد خادعوا خادماً من الخدام قابضاً على الحصن فجاء بهم وأخفاهم فى خيبة قرب الحصن حتى أصبح الصبح وكان فى وقت الضحى يجد لذلك فرصة وكان قد أخرهم لأجلها ، فلما كان ذلك الوقت أشار إليهم بدخول الحصن فجاءوا إلى الباب فوجدوه مفتوحا فدخلوا فى البرج وكان فى البرج رجل من بنى ريام يقال له خصيف ومعه ابنه فلما رآهم ظهروا من الدرجة ضربهم وقتل منهم فرأوا أن يحاصروه لظنهم أنه لا مغيث له ولا شك فهو نازل فبقى يمانعهم ، وكان سعيد بن ابراهيم فى الباطنة وسارت إليه الرسل فركب فى الحال وجاء أهل الرستاق أحاط سعيد ومن معه بالحصن ، وأرسل لهم خصيف حبلا من دريشة البرج فصعدوا فيه فلم تشعر اليعاربة إلا والقوم قد ملأوا الحصن فأيقنوا بالغلبة وخرجوا على يد ناصر بن راشد كبير بنى غافر بعد أخذ سلبهم وقتل من قتل منهم قبل الأمان فبقى سعيد على سوء سيرته فى الرعية حتى أخذه الله بغتة فى مأمنه : وذلك أنه فى يوم أربعة وعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٣٠ دخل أولاد فيصل بن حمود

ابن عزان وهما محمد وابراهيم مع سعيد بن ابراهيم فى الحصن بإذن منه لهم ومرادهم فى ظاهر الأمر ينظرون ولده وكان ابن اختهم وكان طفلا صغيرا ودخل معهما رجل من أصحابهما يقال له سيف بن حمد القمشوعى وقد باطنوا أربعة من خدامه واحدهم مملوك سعيد فلما تمكنوا[1] فوق الحصن ضربوا سعيداً ثلاث ضربات تفق وثلاث ضربات خنجر فوقع صريعا ميتا بالحال وأرادوا قبض أخيه أحمد بن إبراهيم وكان فى حد الاحتلام فهرب عنهم بالحال وتوجه إلى الحزم، ثم التفتوا إلى باقى الخدام فقتلوا منهم أربعة وركض إلى القلعة اثنان من الخدام الذين مع أولاد فيصل والقمشوعى وخادم قبضوا برج الحديث الذى أعلا من الصباح وواحد من الخدام فى برج الريح وهو مملوك سعيد واسمه مسعود وبقى النقع بينهم وباقى خدام سعيد في الصباحات ومع الخدم بنو غافر ومن أراد من أهل البلاد يسير معهم منه الخدام وبنو غافر وبقى النقع بينهم من الضحى إلى صلاة الظهر ثم إن خدام سعيد نادوا خادمة تفتح لهم الصباح الداخل الذى يدخل إلى السكنة من الجانب التحتى فدخلوا على أولاد فيصل من هناك فلم يشعروا إلا والضرب من تحتهم وورائهم فضرب عليهم الخادم المسمى الفيل فعند ذلك ركضوا إلى القلعة أعنى محمد وإبراهيم فضرب إبراهيم على باب القلعة ، ثم ضرب الخادم المسمى سالم بن الحميدى على ستار القلعة ثم ركض بنو غافر والخدام إلى برج الحديث فضربوا الباب فأصابت سيف القمشوعى فمات فاستجار الخادم المسمى درويش ثم جاءوا إلى القلعة وبقى النقع بينهم ومحمد بن فيصل فالجأوه إلى غالة منها بعد ماضرب منهم جملة بين قتيل وجريح فاستجار بهم فلم يجيروه وتعلق بعن

يرجو منه النفع منهم فلم يجبه أحد فحرقوا عليه بالنار فلما أحس بالهلاك التى نفسه من دريشة ضيقة إلى خارج الحصن فضربوه قدر عشر ضربات تفق فمات والخادم الذى فى برج الريح أخذ شملة فدلاها إلى خارج الحصن فهرب إلى بلد العوابى فقبضه عامل السلطان فيصل ، ثم رجع أحمد بن ابراهيم وهو أخو سعيد المقتول إلى الرستاق بوفوده من بنى غافر وأهل الحوقين وغيرهم فدخل الحصن وصار عدد القتلى ثمانية خدام والسادة ثلاثة: الجملة أحد عشر قتيلا وخمسة جرحى منهم زهران بن شيخان الغافرى ثم مات من جراحته وطرّشوا لآل سعد ووصلت فرقة منهم لتركيد الأمور وأرسلوا بذلك رسولا إلى الأمير بالشرقية فكتبوا له بهذا الواقع وذكروا له أن القائم فيها الآن أحمد بن ابراهيم وطلب منه بعضهم الوصول لتركيد الأمر فلم ير للوصول معنى لما رأى من انقلاب حال سعيد بن ابراهيم بعد ما تمكن ، فأحمد بن ابراهيم هو الآن ملك الرستاق ، فهذه أحوال الرستاق بعد ابراهيم بن قيس إلى الآن ، ذكرتها لك متتابعة على طريق الاختصار لاستحضار الفائدة وجمعها فى موضع واحد وإن خالف أسلوب التاريخ .

وأما حارث فإنه لما خرج من الرستاق سار إلى الوادى الغربى من وادى بنى رواحة وهو وطنه فأقام بها حتى قتل : سلط الله عليه ثلاثة أنفس كانوا أعوانه فيما قبل على قتل سعود بن عزان فقتلوه غيلة فى مأمنه ثم قتل الثلاثة بعده قتلهم جماعة حارث وهذه كلها عقوبات تتبعهم من خيانتهم فى قتل الشهيد سعود بن الإمام عزان رحمهما الله وكذلك سلط الله على من عاونهم ولو بمشورة فلم نعلم أن أحداً تشهر بمعونة فى ذلك إلا وقد

سلط عليه فقتل ومن بقى منهم ينتظر القتل وكان شيخ المعاول ناصر بن محمد قد تشهر بذلك فسلط الله عليه رجلا من جماعته فقتله فى مأمنه نهاراً ومازال أهل الدنيا يتقاتلون على الدنيا يقتل بعضهم بعضاً .

تفـــانى الرجال على حبها   وما يحصلون على طائل

وفى أول سنة تسع عشرة جرى فلج الظاهر بالشرقية بملاية بدية على يد شيخنا الفاضل جمعة بن سعيد بن على المغيرى رحمه الله فجاء نهراً مباركا وتوفى هذا الشيخ ليلة رابع من ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين ووصلنى نعيه بمكة يوم رابع ذى الحجة وكان قد مات فى صلاة العشاء الآخر بمسجد الظاهر وهو يصلى بالناس وما كان به من بأس فحين قام إلى الركعة الثالثة خر ميتاً رحمة الله عليه ، وفى أول سنة تسع عشرة أيضاً خرج من مسكد بالوز الانجليز ويقال له القنصل ومعناه بالغربية الوالى[1] فجاء على طريق قريات ومنها إلى صور ومنها إلى وادى مسلق وكان قد استأذن السلطان فى ذلك وكان قد هم أن يدخل الشرقية من رفصة المشارفة وانتدب لمنعه شيخنا الأمير ورؤساء القبائل وتعاقدوا على منعه خوف غوائله وكتبوا بذلك إلى رئيس المشارفة وركب الأمير إلى بدية ثم إلى جعلان فى معارفة الناس لدفع الشر المتوقع بمنعه وكتب البالوز إلى السلطان فيصل بالواقع فداخلته الحمية فى رد هذا القنصل إذ كان عن إذنه خرج فركب بمن حضر معه البحر ونزل بصور وكان قد حمل معه ما يحتاج إليه فيقال إن متاعه من الدراهم غرقت به الماشورة عند التنزيل من المركب ثم أرسل السلطان إلى بعض رؤساء الصواويع وهم من شيوخ بنى بحسن فذمرهم عند البالوز وأرسل معه ولده تيمور

---

(١) صوابه : نائب الدولة أو وكيل الدولة الوالى فهو حاكم الولاية

وكان يومئذ يقارب الاحتلام فركب الأمير من القابل ومعه وجوه قومه
ونزلوا بالمترب من بدية وركب معهم رئيس الحجريين هلال بن سعيد
ومعه كثير من مطاوعتهم وبعض قومه وساروا جميعاً حتى نزلوا بالفليج
من بلدان المشارقة ، ثم ركبوا من هنالك قاصدين الرفصة لمنع البالوز
وأعوانه ، فإذا هم قد دخلوا الرفصة فرجع الأمير ومن معه والبالوز
ومن معه يسيرون وراءهم ولم يعاجلوهم سياسة منهم خافوا الفرقة بين
المسلمين ورجعوا متحرفين لقتال ومنتظرين للفرج حتى وصلوا موضعاً
يقال له أم الخم وهو مرصد للقتال أحاطت به الجبال والطريق بين الجبال
فى الوادى فهنالك قبضوا عليهم الطريق ، وكان الوقت حراً والشمس
فى كبد السماء فوجهت إليهم التفاق وهموا بقتلهم إن لم يرجعوا إلى
أعقابهم ، ثم رأى الأمير أن يكلم تيمور لعله أن يرجع من غير قتال
فأتى إليه وسط قومه والنصرانى قد جلس فى الأرض ماداً رجليه متحيراً
فكلم الأمير تيمورا فى ذلك قبل إطلاق التفاق فأجابه برفق ولين
واتفقوا على أن ينزلوا جميعاً بالفليج ويكتبوا بالواقع إلى السلطان وكان
بصور فنزلوا بالفليج وقد أمن بعضهم بعضا وقد كان فى أول الأمر إنما
وصل عند الأمير وجوه القوم وحين نزلوا بالفليج صارت تأتيهم الرجال
متوالية وصار السلطان ينفق على الفريقين ولما أيس البالوز من
وصول الشرقية طلب أن يرى معدن الصخام — ويسمى الفحم وهو
جبل فيه حجر يحمل لوقيد النار فى المراكب وغيرها وأكثر عمل
المراكب عليه — فاقتضى رأيهم أن يسمحوا له برؤيته ولم يرض بعض
الناس بذلك فقطعوا له فى طريق المعدن وكان معه تيمور بن فيصل
وبعض الناس من أصحاب الأمير فأطلق القاطعون فيهم التفاق وأصابت
ضربة منهم الحصان الذى تحت البالوز فقتله ووقع البالوز على بطنه فى

الأرض فصار يرفص برجليه كهيئة السابح فى البحر فوثب بعض من كان معه من أصحاب الأمير فكفوهم عن النقع ثم ساروا حتى وصلوا جبل الصخام فأروه إياه على عجل وأزعجوه فى الرجوع فلم يتمكن من رؤيته كما أراد ثم رجعوا إلى منزلهم وأرسل البالوز إلى الأمير أن يأتيه أو يأذن له فى إتيانه فقال الأمير لا أراه ولا يرانى ثم رجعوا إلى صور وواجه رئيس الحجريين السلطان بصور ومعه بعض الناس من وجوه القوم وأعطاهم السلطان عطايا وأرسل للأمير هدايا «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء» ورد الله كيد البالوز فى نحره . نسأل الله أن يحفظ بلاد الإسلام.

وفى ذى القعدة من هذه السنة قتل شيخ بنى على وهو حاكم ينقل من الظاهرة وهو هلال بن غصن وكان فيما سمعنا رئيساً فاضلا آمراً ناهياً شديداً على أهل المناكر كثير العبادة والتلاوة واصطلحت فى أيامه بلدانه واستراحت رعاياه وكان هلال بن غصن قد جهز جيشاً لحرب فدى فقتل والجيش محاصراً لها وكان قد أمر على الجيش ابن أخيه سليمان ابن سنان وكانوا ينتظرون فتحها وبقتله تفرق الجيش عن أميره ورجعوا عنها بعد ما عاينوا الظفر وكان قتله على يد ابن أخيه خلف بن سنان ابن غصن وهو أمير ينقل اليوم ويقال إن قتله كان عن شورى من السلطان وواليه سليمان ومن رغبة فى خلف فى الملك بعد عمه ويقال إن هلال بلغه إن خلفاً سيقتله قال ما أصنع به ؟ يقضى الله ما كان قاضيا لا يحل لى أن أقتله بالتهمة ولا يحل لى أن أشمت أقاربى ، فبينما هلال جالس بعد صلاة العشاء الأخيرة فى المسجد يذكر الله إذ دخل عليه خلف فقال كيف تأخرت إلى الآن يعنى عن الصلاة وهو يظن انه جاء ليصلى فقال الآن جئت ثم أرسل أهل بيت هلال إلى هلال الخادمة لتنذره

وتحذره من خلف فدعته ليخرج إليها فحين خرج إليها نقع فيه خاف من ورائه بنفق فوقع على الأرض وهو يقول : لا إله إلا الله . ثم قضى نحبه ولم يتمكن خلف من ملك ينقل إلا بعد أن قتل جملة من أقاربه وخدامهم ، ثم دانت له الأمور ولله الأمر كله .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وألف خرجت من بيتى بالقابل قاصداً حج بيت الله الحرام ومررت على السلطان فيصل ذاهباً وراجعاً فقابلنى هو وأولاده بالإجلال والاحترام ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وطلبت منه الخلوة على لسان ولده تيمور وكلمته فى اجتماع الشمل والقيام بالعدل وجمع العرب تحت راية واحدة فقال إن حصل لكم ذلك يقول عمى نريد غيره وأراد بعمه عبد العزيز بن سعيد ، ومعنى قوله إنكم إن اجتمعتم على هذا الحال لا نريدك بل نريد عمك فتجاهلت له كأنى لم أفطن لما أراد وقلت له من غيرك ؟ أى لا يوجد غيرك ممن هو أهل لهذا والحجة عليه فى هذا فقال إن الوالى سليمان سيخرج إلى الشيخ عيسى لمواعدة بينهما والجواب يكون على لسانه فما ينقله عنى فهو منى وكنت قد كتبت له عند رجوعى من الحج فى المركب برفع العشور والكرنتينة عن الحجاج فرفعهما من تلك السنة إلى هذا العام إلا سنة واحدة لم يكن هو فيها بمسكد فكرتن الحجاج وعشروا ثم رجعت إلى الوطن سالماً شاكراً والحمد لله تعالى ، وكنت قد اجتمعت فى مكة برجال من علماء قومنا وكان رجل منهم يقال له الزبير ابن على الأصغر من أهل عظيم آباد من أرض الهند قد سبقنى إلى مكة ولما سمع بوصولى أتى الىَّ فى بيت الرباط وسألنى عن أصول المذهب وفروعه وأهله ومحله فشرحت له ذلك شرحاً وافيا كافيا وطلب منى بعض كتب المذهب فدفعت إليه مشارق الانوار وكان لم يحضر غيرها والكلام

فى ذكر جميع ما سأل عنه يطول به الكتاب ثم بقى يتردد علىّ مرارا ويناظرنى فى الخلاف الواقع بيننا وبينهم وكان رجلا أديبا حسن الجدال ذا ذكاء وفطنة لا يكابر الحجة إذا رآها وكان هو السبب فى الاجتماع بعلماء الآفاق فى ذلك العام وقد منّ الله علىّ باظهار الحجة على جميعهم واعترف بعضهم بالحق الذى فى أيدينا ، فنهم من قال إن الاباضية أقرب الفرق إلى الحق وقائل ذلك عبد الرزاق البغدادى ، ومنهم من قال أعلم أن الأصلح والأسلم ما أنتم عليه وقائل ذلك الزبير وكان يكنى أبا عبد الله ، فقلت له حاشاك أبا عبد الله أن تترك الأصلح والأسلم فسكت ولم يجب ولم يكن بعد هذه المقالة بينى وبينهم مناظرة

وفى آخر سنة أربع وعشرين جاء الوالى سليمان بن سويلم إلى الشرقية للمواعدة التى جرت بينه وبين الأمير فقابله الإمير ووجوه قومه بالإجلال والاحترام وفى ليلة إحدى عشر من شهر الحج من هذه السنة مات الشيخ المرحوم أحمد بن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى وكان عالما فاضلا لجاء الخبر والوالى عند الامير بالقابل ثم قصد الوالى سليمان راجعا إلى السلطان وصحبه وجوه الناس من أهل الشرقية وكان السلطان قد جعل سليمان سيف دولته وكان قد أذل له كثيراً من القبائل وكانت القبائل قد أظهرت لسليمان العداوة ومنهم السيابيون فوقف له فتية من رجال السيابيين على طريق العق وكمنوا له فى جبل هنالك على الطريق حيث لا يراهم المار ، فبينما الوالى ومن معه يسيرون ضحى إذ نقعت التفاق فى الوالى وهو على ناقته فسقط ميتاً وانكب عليه خادم له فضرب فوقه فالتفت القوم إلى الضارب فإذا هم قد صعدوا الجبل كالظباء ونقعوا فيهم فلم يصيبوا

أحداً واختفوا عنهم بالجبل ثم هم السلطان بحرب السيابيين وسخط الامير عليهم بما صنعوا حيث قتلوه وهو خارج من بلاده وعنده وجوه قومه وجاء شيوخهم ليرضوا الامير فلم يقبل منهم ، ثم رجعوا إلى بلادهم وكاتبوا السلطان فكتب لهم بالعفو فى الظاهر وهو يريد أن يأخذهم بالحيلة فرجعوا بكتاب السلطان إلى الامير وأروه إياه وطلبوا منه المسامحة فسامحهم ، ثم رجعوا إلى بلادهم وأخرج السلطان ولده نادرا إلى سمائل وولاه عليها وأظهر نادر أنه يأمر فيها وينهى وشد على أهل المناكر وهو مع ذلك يعمل الحيلة لرئيس السيابيين سيف بن محسن وكان رجل من بنى هناءة يقال له سعيد بن خميس بن حويسن قد واطأ نادرا على قتل سيف وبقى يعمل الحيلة يظهر لسيف التودد ويريه الخطوط التى تأتيه من السلطان وأولاده وكشف له أخبارهم فكان يأتيه بخبر كل حادثة تزيد عندهم وللناس غوائل والمأخوذ غافل فاطمأن سيف بن محسن إلى قوله وصدقه فى زعمه وكان لا يمتنع منه متى جاءه وهو مع ذلك لايظن أن مثله يقوى على مثل ذلك فأتاه يوماً ومعه رجل من العسكر كأنه يصحبه فى الطريق فأرسل إلى سيف بن محسن ليجيئه فى موضع من أطراف نفعا فأتاه منفرداً وقيل ان بعض قومه أراد أن يصحبه فمنعه فلما وصل تلقاه سعيد بن خميس بالترحيب واللين وأعطى سيف رجلا بناليخدم قهوة ويشغل العسكرى ودخل هو وسعيد فى مسجد هنالك ليأخذ منه السر الذى جاءه به فجلس سيف على دريشة فى المسجد فجاء العسكرى من ورائه ونقع فيه من خارج الدريشة وخر ميتاً ووثب سعيد والعسكرى الذى معه إلى حصن بدبد وضربوا المدافع سروراً وكانوا يرون أنهم قد أخذوا ثأر واليهم سليمان بن

سويلم ، وبعد ذلك رجع نادر إلى حضرة أبيه بمسكد وترأس من بعد سيف ابن أخيه محسن بن زهران بن محسن وكان فيما قيل يطلب غرة من السلطان وأولاده حتى كان ذات يوم خرج السلطان إلى نخل وأناخ بها وكان فى قومه رئيساً بنى عمر : سالم بن مرهون ، وخليفة بن عبيد وكان قاتل سيف بن محسن من جماعة هذين الرئيسين ، فلما كانا فى هجمة من الليل نقمت التفاق فى سالم وخليفة فماتا من ذلك واشتد لذلك غضب السلطان وقيل له إن السيابيين هم القاتلون ورجع من نخل حتى وصل فليج السيد وأرسل ولده نادراً وبعض القوم إلى بدبد ومضى هو إلى مسكد ثم جمع الجموع وأرسلها إلى ولده ببدبد ثم أرسل ولده تيمور وغصت بدبد بالجنود وواجه رؤساء السيابيين وهم مع ذلك ينكرون القتل فأخذوا أعيانهم وقيدوهم ثم أرسلوا إلى بعض البنيان بنفعا فهدموه وحملوا المقائيد إلى مسكد وحبسوا بالكوت زماناً ثم أطلقوهم .

وفى يوم اثنى عشر قبل العصر بقليل في جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وألف مات فيصل بن حمود بن عزان بن عم الإمام ببلد الواصل من بدية وفيها قبر ، وكان قد تردد عليها مراراً وتزوج منها وسكن فيها وحمل المرأة إلى الرستاق وكانت فاضلة صالحة وماتت بالرستاق وجاء فى هذه المرة الأخيرة فى أواخر سنة سبع وعشرين وأقام أياماً وتزوج منها بامرأة أخرى ، فما طالت أيامه حتى مات بالتاريخ المتقدم وكان معه ولداه محمد وإبراهيم ، وبعد أيام العزاء ركبا إلى الرستاق وأقاما بها حتى قتلا بالحصن على حسب ما تقدم والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

قد تم الجزء الثانى

من السيرة المسماة « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان »

تأليف شيخنا العلامة « نور الدين أبى محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى » ، رحمه الله وغفر له ونور ضريحه .

كلمـة ختاميـة

للمعلق على الطبعة الثانية من الكتـــاب

ابي اسحاق إبراهيم أطفيش الميزابي الجزائري

أحمدك على آلائك يا من جعل التاريخ عبرة وذكرى ، وأشكرك على عونك وتوفيقك إياى إلى إظهار هذا الكتاب الجامع لكثير من سير الأئمة والسلف الصالح أهل المزايا العظمى ، والصلاة والسلام على المبعوث بالحسنى ، سيدنا محمد رسول الهداية إلى أعظم الزلفى ، وآله وأصحابه الذين نالوا بجلائل أعمالهم الدرجات العلى .

وبعد فقد تم طبع الجزء الثانى من «تحفة الأعيان ، بسيرة أهل عمان» فكمل به هذا الكتاب الفريد الذى كشف لنا حال قطر من أعظم الأقطار الإسلامية تاريخاً وأهمها شوكة ودولة ، وقد كان تاريخ عمان ــ ولايزال معظمه ــ عنا غامضاً ، ولكن هذا الكتاب يبين لنا عن صفحات منه جليلة ، وأطوار فخيمة ، وذكريات تحمل إلينا أنباء جميلة وأخرى عليلة أسيفة ، وكم بين طيات التاريخ من عبر ، وآيات بينات كان منها نذير للبشر ، وتقلبات هى إحدى الكبر ، ولقد أحسن المؤلف رحمه الله فى ترتيب أطوار الحكم بعمان من إمامة وملكية حسب الزمان منذ ظهور الحكم المستقل فى عهد التابعين إلى آخر أيام المؤلف ، فكان حسن هذا الترتيب إحدى مزايا الكتاب ، ولئن فات المصنف أن يضم إلى كتابه كثيراً من رسائل أئمة العلم إلى أئمة الحكم إذ لها علاقة بتاريخهم فإنه لم يدخر وسعاً فى جمع عهود الأئمة إلى ولاتهم وقوادهم وأمرائهم ، وكأنه رحمه الله يرى أن يحفل بشأن الأئمة حيث كان يذكر مااحتوى كل إمام عليه من كرائم الفعال ومحاسن الخصال ، وما ازدهر به عهده من علم وعدل ودين ومساواة بين الناس فى الحق . ومشاورة أهل الحل والعقد

من العلماء فى تصرفاته ، بحيث يخرج القارىء من مطالعته وقد تصورت له صفحة من تاريخ الحكم الشورى كما كان فى عهد الخلفاء الراشدين ومقتضى ما يرشد إليه الكتاب العزيز - وإنه لتنزيل رب العالمين - ولم يحفل بذكر أطوار الحكم الفردى ومافيه من سوء الاستبداد واقتراف المنكرات ، والظلم من شيم تلك النفوس غالباً ، وكان من مقتضى التاريخ أن يلم بكل أدوار الأمة التى يكتب عنها الكاتب إلا أنه ربما يعتذر عن المؤلف بأن علماء الشريعة يتورعون عن ذكر حوادث الجورة وما يأتونه من الجرائم بدعوى أن ذلك من قبيل نشر الباطل ، والحق أن هذا ليس بعذر وأخطأ من يلتمسه ، وإنما المصنف لم يحفل فى تاريخه هذا بعهد الجورة تفصيلا لعدم وقوفه عليه وقوفا يجعله واثقاً بما يكتب ، ويدلك على هذا أنه ذكر بعض وقائع من هذا القبيل وكشف عن أسرار بعض المستبدين وما بيتوه من حيل توصلوا بها إلى الحكم وسفك دماء بريئة صعدوا على جثتها إلى أريكة الملك ، وامتطوا غواربها إلى أطماعهم فكانوا وبالا على الأمة حينا من الدهر كما وقع فى عصر بنى نبهان ، والحق أن عمان ليفتخر بعظمته التاريخية : عظمة العلم والفتح ونشر لواء الإسلام فى كثير من أقطار الشرق والأقطار الإفريقية الشرقية وجهاد أئمته وكثير من ملوكه فى حفظ استقلاله ، ويحق له أن يباهى بأئمته الهداة الراشدين الذين رفعوا فيه منار الحق والدين ، وأقاموا حدود الله بلا هوادة ، ولم يخافوا لومة لائم « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

أبو إسحاق

فهرست

الجزء الثانى

من كتاب : تحفة الأعيان

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضوع	صفحة

تمت الفهرست

نبذة عن حياة المؤلف

هو نور الدين ابو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي العماني ٠

ولد سنة ١٢٨٦هـ ببلدة (الحوقين) من توابع (الرستاق) في سلطنة عمان وكان منذ صباه قوي الذاكرة ، شديد الذكاء ٠ وقد كف بصره في الثانية عشرة من عمره حفظ القرآن ثم سافر الى الرستاق وانقطع الى العلم والاخذ عن مشايخ كثيرين حتى بلغ درجة عالية من التحقيق والاجادة في التاليف ، وانتهت اليه رئاسة العلماء في عمان ، وكان خطيبا منطيقا كثير السعي في اصلاح الامة وجمع الشمل وكان عظيم الهيبة جوادا قانعا بالقليل ٠

كان شديد الغيرة على الاسلام ، دائم اليقظة على تطورات السياسة في العالم الاسلامي وخاصة عمان ، ويرجع اليه الفضل في اعادة الامامة الى عمان ، وهي لم تعرف سوى الامامة نظاما لحكمها الا في فترات نادرة ادرك آخرها المؤلف ودأب في اواخر حياته في السعي مع نفر من علماء عمان وقادتها لاعادة الامامة ، ومبايعة سالم بن راشد الخروصي الذي كان يعول على المؤلف في ادارة شئون الامامة ٠

ترك المؤلف ما لا يحصى من التلاميذ والمستفيدين من علمه وهديه ، بل أن صفوة علماء عمان من تلاميذه ، ومنهم محمد بن عبد الله الخليلي الذي بويع بالامامة بعد وفاة المؤلف خلفا للخروصي ٠ كما ترك المؤلف كتبا كثيرة تشهد بفضله وغزارة علمه وسعة افقه ، وهي في العقيدة والحديث والفقه واصوله والعربية والتاريخ ، وكثير منها لا يزال مخطوطا ٠ اما المطبوع منها فهو الكتب التالية :

- **شرح مسند الربيع بن حبيب (المعروف بالجامع الصحيح) في ثلاثة اجزاء ٠**
- **شمس الانوار (الفية) في اصول الفقه ، وشرحها (طلعة الشمس) طبع في جزاين ٠ وبهامشه (الحجج المقنعة في احكام صلاة الجمعة) ٠**
- **جوهر النظام (ارجوزة في اربعة عشر الفا) في الاديان والاحكام والاخلاق ٠**
- **مدارج الكمال (نظم لمختصر الخصال للحضرمي) يزيد عن الفي بيت ، في الفقه ٠ وله عليه شرح كبير لم يكتمل ٠**
- **تلقين الصبيان ٠ رسالة مفيدة في الاعتقاد والعمل ، طبعت مرارا ، وهي اول ما يقرئه اهل عمان أولادهم من كتب الدين ٠**
- **تحفة الاعيان (هذا) ٠ ولولده الشيخ محمد السالمي كتاب مكمل لموضوعه مطبوع باسم (نهضة الاعيان) وفيه ترجمة مطولة للمؤلف وتفصيل لمؤلفاته المخطوطة (ص ٩٩ ــ ١١٣) ٠**

توفي المؤلف خامس ربيع الاول ١٣٣٢هـ في (تنوف) بعمان وقبره فيها تحت سفح الجبل الاخضر ٠

تصويبــات ظهرت بتكرار المراجعة

بعد استخراج حوالي (٥٠٠) خطا مطبعي جرى تصويبها في النسخة المقدمة للطبع بالاوفست ٠

الجــزء الاول

صفحة	سطر	الصواب
٨	١٥	الامتناع
١٢	٢	وآله
١٤	١٧	الحاملين
١٥	١٢	يحيى
١٧	٤	خطبة
٢٥	٧	تكمم
٣٤	١٢	العتبي
٣٦	٩	ترجو
٥٦	١١	أبرويز
٦٢	٨	خـلا
٦٤	١٨	بهجر
٧٠	٨	ففادوا
١٠٢	٥	لخروج
١٧٦	٧	وطء
٢٠٣	١٩	غرتهم
٢٢٧	٩	الى ابي
٢٦٧	٩	لله
٢٦٧	١٧	ويحكى ان
٢٩٠	٧	شاء
٣٠٤	١٣	كمي
٣١٦	٢	الثقات
٣٢٥	١٩	الثقات
٣٧١	٦	بالتغريق

الجــزء الثانــي

صفحة	سطر	الصواب
٣٢	٢٠	لاثم مائل
٤٤	١٣	وأخبار الانوار
٤٩	١١	وقوروا
٥٦	٧	وانتهاك
٦٩	١٢	أؤتمنوا
٧٨	٩	لحن
٧٩	١٥	فاتته
٨٩	٢١	اليها
٩٥	١٧	دنا
١١٨	١	اربعين مجلدا
١٢٤	١٧	البدو
١٢٥	٤	لمحمد
١٣٢	١٢	كل ما
١٤٣	١	غير
١٥٥	١٦	الواصل
١٥٨	٦	وبارا
١٧٠	١٦	اثنا عشر
١٨٢	١٥	لمقارفة
٢٢٧	١٦	فاخذ
٣٠٠	١٨	ورائك
٣٠٣	٩	ما الذي
٣١٠	٢٢	أما الوالي

ملاحظة : : جاء في الكلمة الختامية للمعلق على الطبعة الثانية ان المؤلــف قد فاته ذكر رسائل ائمة العلم الى ائمة الحكم هكذا قال مع ان في الكتاب الكثير منها (ج١/١٣٢ و١٣٨ ـ و١٣٩ ـ و١٤٠ـ ١٤٩ ـ و٣٠٠ و٣٢٢ ج٢/٦٧ و١٦٤ و١٧١ و١٧٩ الخ ٠ ٠) ٠